مجلة الأزهر

٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٧٨

المجلد الواحد والستون ـ القسم الثاني

السنة ١٤٠٩هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

رجب ١٤٠٩ هـ
فبراير ١٩٨٩ م
الجزء السابع
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة الإيلاف

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، وبعد :

فحين بدأت كتابة «مقدمة قبل الهجرة» في المحرم من عام ١٤٠٨ هـ ـ بدأت ببيان مختصر عن «النظم» التي مارستها القبائل العربية ، فيما بين أفراد القبيلة: «سياسة داخلية»،وفيما بين القبائل بعضها وبعض: «سياسة خارجية» ، واخترنا أن نقصر الحديث على السياسات الخارجية مختارين منها ثلاثا تعتبر في الذروة منها ، حتى إن بعضها قد مارسته القبيلة «داخليا» كما مارسته «خارجيا» وتلك الثلاث هي : الحلف ، والجوار ، والإيلاف .

وشاء المولى ـ جل وعز ـ ان ننتهي من حديث «الحلف» و«الجوار» وهذا حديث الإيلاف ، وتلك ـ في البداية مقدمته :

مرت الجزيرة العربية فى عصرها التاريخى[1] ـ قبل بعثة رسول الله ـ ﷺ ـ لفترات معدودة بانتعاش اقتصادى زاهر ، أبرزها فترتان ، أشار إليهما الكتاب العزيز ، هما: «سبأ» و«الإيلاف» .

فعن «سبأ» وما نعمت به من رفاهية ـ حين استقامت على وحدانية الله ـ سبحانه ـ وطاعته ، وعملت ـ بإذن ربها ـ حرصا ورعاية على أسباب نعمتها؛فأقامت سدها المشهور على مسافة ١٤٥ ك م تقريباً إلى الشرق الشمالى من "صنعاء"؛ حيث تجتمع سيول اليمن الغربية مع السيل الذى يأتى من الشمال ، والسيل الذى يأتى من الجنوب ، وتؤلف جميع هذه السيول شبه بحيرة كبيرة مستديرة ومرتفعة من جهة الغرب والشمال والجنوب ، ومنخفضة من جهة الشرق فتسير جميعها شرقا فى مجرى سَيْلٍ واحد ، وتدخل جميعها بوادى جبل «بلق» فتقسمه إلى جبلين :"بلق"الأيسر إلى الشمال ، و«بلق» الأيمن إلى الجنوب ؛ لأنه واقع على يمين الآتى إلى «مأرب» ويزداد اتساع الوادى بين البلقين كلما اتجه الإنسان شرقا حتى ليبلغ عرضه نحو خمسمائة متر ، ثم يأخذ فى الضيق إلى أن يبلغ نحو ١٧٥ مترا فى مخرجه آخر الجبلين بمكان يسمى «مربط الدم»،وفى هذا المكان بُنِىَ السد ، وهو عبارة عن جدار مبنى بالتوازى إلى جانب «بلق» الأيمن ، وفيه مخرج واحد للماء قائم إلى جانب الجبل ، عرضه نحو أربعة أمتار ونصف تقريبا ، وجداره الواحد هذا عبارة عن صخرة عظيمة فى جانب الجبل[2] .

ثم عَمَّا آل إليه أمرها حين بطرت نعمة ربها ، وتحدت مشيئته فأصابها «سيلُ العَرِمِ» الذى أتى على السد فخربه ، يقول ـ عز وجل :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ[3] وَأَثْلٍ[4] وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ[5] قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى

---

(١) العصر التاريخى لأمة هو:العصر الذى تترك فيه تلك الامة للناس اخباراً و آثاراً تتعلق بشئونها ، فاما ما كان من قبل ذلك فهو تاريخ «اسطورى» وقد يشارك الامة فى بيان عصر تاريخى لها امة اخرى كان لها معها شان ، كذلك يمكن ان يدخل جزء من التاريخ الأسطورى العصرّ التاريخى ـ مع مضى الزمن ـ اثر كشف ونحوه .

(٢) بتصرف عن الأستاذ نزيه العظم ورد بالجزء الثانى من كتابه «من رحلة إلى بلاد العرب السعيدة» ... راجع للأستاذ محمد مبروك نافع «تاريخ العرب : عصر ما قبل الإسلام» ، ص ١٠١ م النهضة المصرية ط ٢ ـ ١٩٥٢ . ونلاحظ ان الصخرة حملت فيما بعد كتابة حِمْيَرية فى عصر حمير التالى لعصر سبا . انظر نفس المرجع .

(٣) هو ثمر الاراك ، وهو نبت مرّ .

(٤) ضرب من الطرفاء نُفعه فى خشبه لاثمره ، وهو فصائل لا خير فيها لطعام .

(٥) قال ابن كثير : صار امرتينك الجنتين .. إلى شجر الاراك والطرفاء والسدر ذى الشوك الكثير والثمر القليل .

بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ(٦) فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ سبأ ١٥ ـ ٢١ .

وعن «الإيلاف» كانت سورة «قريش» يقول تعالى :

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ .

* * *

استغرق عصر سبأ ـ بجنوب الجزيرة العربية ـ تسعة قرون تقريباً قبل أن يأفل نجمها عام ١١٥ ق . م،وازهى هذا العصر كان متحدا ـ تقريبا ـ مع عصر سليمان ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام(٧) ، ثم ثبت على ازدهاره من بعد ذلك امداً طويلاً ، وكانت «سبأ» عصر «سليمان» على «قوة وبأس» صَدَّقَهُمَا القرآن الكريم ، ولم يعقب عليهما بتكذيب ، وذلك إذ جمعتْ الملكةُ الملأَ من مستشاريها ، وعرضتْ عليهم أمرَ سليمان ـ عليه السلام :

﴿ قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ . قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾(٨) النمل ٣٢ ـ ٣٣ .

ويغلب على ظنى ، وآمل أن اكون مصيباً أن فترة الإيمان والاستقامة والطاعة لأمر الله ـ عز وجل ـ التى تشير إليها آيات «النعمة والأمن» فى سبأ تبدأ فى حكم هذه الملكة ، فإن الكتاب العزيز نص ـ صراحة ـ على إيمان هذه الملكة بالوحدانية على يدى سليمان ـ عليه السلام ـ وفى ذلك يقول المولى ـ جل جلاله ـ يحكى شهادةَ إيمانها وَطَرْحَهَا لوثنية قوامُها (عبادةُ الشمس) :

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ النمل ٤٤ .

فأما ما تتحدث به روايات تاريخية عن إرسال العديد من رسل الله ـ عز وجل ـ إلى أهل سبأ يدعونهم للإيمان فأمر أرى له وجها أذكره ـ بمشيئة الله .

لقد أودع د /جوادُ علىّ فى موسوعته «تاريخ العرب قبل الإسلام» فى الجزء الدينى منها دراسة

←

(٦) ظنُّ ابليس هو «امنيته فى ابن ادم ان يُغْوِيهُ ويضله ويجعله تابعا له ، وصَدَقَ ظنه فى اهل سبا حين بدلوا نعمة الله كفرا فاستحقوا البوار .

(٧) حكم سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ مملكته الفترة (٩٦٠ ـ ٩٣٠ ق . م) راجع لـ . ج . ادجار . وشفيق غربال كتاب «التاريخ القديم» فصل «بنو إسرائيل» .

(٨) ويخطىء بعض المؤرخين حين يصفون تلك المملكة بالضعف التام ، وإنما هى ضعيفة إذا قورنت بما كان لسليمان عليه السلام ـ من قوة .

تحليلية مطولة عن اسم المولى - عز وجل : «الرحمن» الذى عثر عليه بنقش - أو أكثر - بجنوب الجزيرة ، وقد كتب بحال نطق القوم آنذاك ، وهذا الاسم الكريم إنما ورد - أول مرة - إلى هذه البقاع فى رسالة سليمان - عليه السلام - إلى هذه الملكة ، وكان فى صدر رسالته التالية :

﴿بِسم الله الرحمنِ الرحيم .
ألاَّ تَعلُوا عَلَىَّ وَأتُونِى مُسْلِمِين﴾ النمل ٣٠ - ٣١ .

وَطَلَبُ سليمان إيمانَ القوم صريحٌ فى رسالته صراحة إسلامها فى نهاية الأمر ، ونلاحظ - مع الآيات الكريمة أن إيمانَ الملكة لم يأت عن إكراه ؛ بل عن اقتناع تام مصحوب بالرضا ورجاء القبول لدى الله - عز وجل - فَأَنْ يُؤمِنَ قومُها ، وأن تأخذ - هى - فى نشر الوحدانية أمر مقبول ميسور .

وهنا أرى - وأرجو - أن أكون مصيباً أيضاً : أن رواية وهب بن منبه - رضى الله عنه - التى تقول : «أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً» أرى أنهم ليسوا إلا «دعاة» لدين الله - جل جلاله - أرسل بهم سليمان - عليه السلام - إلى القوم يعلمونهم كيف يعبدون الواحد الأحد ، وحتى عصر المسيح - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - وقبل بعثته لم تخل جماعة الإسرائيليين من أنبياء ، وليس بعيداً أن يكون بعض هؤلاء الهداة أنبياء ، وبذلك يستقيم - أيضا - رأى السدى - رضى الله عنه - الذى يراهم قدبلغوا آلافا(٩) فأى غرابة فى أن يرسل سليمان - عليه السلام - بجماعة بعد جماعة ؟!

وهل ننسى أن بعض اليهود استقر باليمن من عصر بعيد !

* * *

وتضعف دولة سليمان - عليه السلام - عقب موته ، ثم تضمحل وتبيد بينما تقوى «سبأ» وتزداد بالإيمان والطاعة قوة تمكنها من بسط حمايتها على طول طريق قوافلها التى تبدأ من الجنوب حتى تصل آمنة إلى الشام ذات القرى المباركة ، كما يصل بعضها إلى خليج العرب ، أى "البحر الأحمر" فتصل حمولته إلى مصر التى عبّد حكامها الطريق بين «قنا» و « القصير » كما أعاد «بطليموس الثانى» الذى حكم مصر الفترة (٢٨٥ - ٢٤٦ ق م) فتح القناة التى تصل النيل بالبحر الأحمر .

كان ازدهار سبأ يعتمد - فى داخلها - على ما حققته ببناء السد من اكتفاء زراعى لشعبها عاش به بين جنتين ، ثم كان مازاد عن حاجتها إلى جانب «التجارة الدولية» الخطيرة الشأن التى كانت تمسك بأمرها ، فإن «الهند» لم تكن قد عرفت - بعد - للغرب ، فكان العرب وحدهم أمراء البحرية بين ثغور بلاد العرب الشرقية والهند ، وهم الذين أحاطوا علماً دقيقاً ومعرفة وثيقة بالأنواء والرياح الموسمية للمحيط

---

(٩) راجع لابن كثير السيرة النبوية ١/١٠ ط . عيسى البابى الحلبى ١٣٨٤ .

الهندى ومداخل «المندب» فجلبوا من الهند : التوابل والطيب والبخور والحيوانات النادرة كالطواويس والنسانيس وغيرها من العروض والسلع التى كان الغرب يعتقد أنها ـ جميعا ـ نتاج الجزيرة العربية .

وكانت الطرق البرية ـ داخل الجزيرة ـ مفضلة نظراً إلى صعوبة الملاحة فى البحر الأحمر الذى لم يلق له السبئيون اهتماما بحرياً حيث لم يشكل عندهم مصدراً تجارياً يغرى بترك الهند .

وكان من أهم طرق «سبأ» داخل الجزيرة طريقان :

طريق تبدأ من مدينة «شبوة» بحضرموت ، وتسير إلى «مأرب» عاصمة «سبأ» ومنها إلى «مكة» فـ «البتراء» فَغَزَّة فتكون على ساحل البحر الأبيض .

وطريق تبدأ من ساحل «عمان» وتنتهى عند البحر الأحمر .

فامتلكت «سبأ» ناصية الأمر على الشاطىء الشرقى للأبيض والأحمر .

هذا جزء مما وعاه التاريخ من أمر هذه القوافل الآمنة التى جعلت لها «حكومة سبأ» القوية «مستراحات» تقاربَتْ ـ فيما بينها فى قُرًى ظاهرة هى التى تحدثت عنها الآيات الكريمة ، فى تلك القرى تجد القوافل راحتها وحاجتها بين مرحلة وأخرى من حيث ابتداؤها من الجنوب حتى نهايتها إلى الشام ذى القرى المباركة ، وإلى ثغر البحر الأحمر .

فهى ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ أى متواصلة من اليمن إلى الشام بينة واضحة يعرفها المسافرون .

﴿قَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ فكانت حسب حاجة المسافرين بسبب قرب بعضها من بعض يستطيع المسافر أن يَقِيل فى واحدة ، ويبيت فى أخرى آمنا مطمئنا .

﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ بين قراكم هذه الظاهرة ، والقرى التى باركنا فيها بالشام ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ .

* * *

وظلت «سبأ» قلب العالم التجارى ، بل مصرفه المالى الضخم بما احتكرت من سلع تهافت عليها حكام الغرب وأغنياؤه حتى جأر «بلينيوس» المؤرخ الرومانى : «مما تبتزه العرب من نقد يعد ثروة طائلة نبذرها على أهواء مترفينا ونسائنا» كما يقول(١٠) .

لقد كانت «سبأ» آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان حتى كفرت بأنعم الله ـ جل جلاله ـ وباد مؤمنوها ، وظهر الفساق من مُتْرَفِيها ، فكال ـ سبحانه ـ لها العذاب :

فأما فى «الداخل» فقد سلط الله سبحانه ـ على سَدِّها « سَيْلَ العَرِم » فهدمه . وأما فى « الخارج » فقد تَكَشَّفَ للغرب أمر «الهند» على يدى ضابط بحرى هو «هبلوس» الذى تسلل متنكراً فى البحرية العربية ، وهبط الهند ، فأحاط الغرب علما بخفايا الطرق البحرية ، وأضاعت سبأ بكفرها وجحودها عصر ازدهار رائع .. حتى كان «الإيلاف»ـ على يدى هاشم بن عبد مناف الجد الثانى لرسول الله ﷺ ـ أقوى ظاهرة جامعة لازدهار اقتصادى عظيم .

د. على أحمد الخطيب

(١٠) راجع للدكتور فيليب حِتِّى ـ تاريخ العرب مطول ص ٧٨ دار الكشاف بيروت .

تعقيب على موضوع حرمان العصبة من إرث الباقى من البنات

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعـــد :

فقد كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين فى كلمته (يوميات) بجريدة الأهرام الصادرة فى ٨٨/١٢/١٦ أن مذاهب الفقه الإسلامى لا تختلف إلا فى القليل ، وهى مذاهب دين واحد ، هو الإسلام ، والاختيار للمجتمع يكون فى هذا العصر للمصلحة لا للتعصب ، والمصلحة واضحة .

وذهب الأستاذ بهاء الدين تبعاً لذلك إلى الدعوة للنظر فى الأخذ بقول الفقه الشيعى (للإمامية أو الجعفرية أو الاثنى عشرية .. وكلها عناوين لمذهب واحد) . الذى منع العصبة من إرث باقى التركة بعد فرض البنت أو البنات كالحال إذا انفرد الابن بالتركة أو كان أولاد المتوفى ذكوراً وإناثاً ..

وعلى حد تعبير اليوميات (.. يكفى وجود البنت أو البنات كى تظل التركة فى الحدود نفسها المرسومة ، كحالة وجود الابن الذكر ، فلا يشعر الأب بأنه منكوب بوجود بناته ..) إلخ ..

كما طالعت تعقيب كل من أ . د/ عبد الحميد ميهوب ، ود ./ عبد المنعم النمر ثم الكلمات الثلاث التى نشرت بيوميات الأهرام أيام ٢٩ ، ٣٠ ، ١٩٨٨/١٢/٣١ .

ذلك : أن من قواعد فقه الشيعة الإمامية فى أحكام المواريث كما تردد فى كتبهم التى اطلعت عليها ـ ومنها "الكافى"، "والوافى" "ومن لا يحضره الفقيه"، "وجواهر الكلام ـ حيث جاء فى هذا الأخير ما يلى :ـ

(قد أجمع أصحابنا وتواترت أخبارنا عن سادتنا ، بل هو من ضروريات مذهبنا أنه لا يثبت الميراث عندنا بالتعصيب ، وهو توريث ما فضل عن السهام لمن كان من العصبة ، وهم : الابن والأب ومن يدلى بهما من غير ذوى السهام ..) ويروون فى ذلك أثراً منسوباً إلى سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، ويستندون فى هذا إلى صحيفة : (كتاب الفرائض) التى يدعون إملاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها على سيدنا على رضى الله عنه .

حيث كتبها بخطه ، ثم كانت بيد جعفر حسبما جاء مردداً فى تلك الكتب وفى كتاب (وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) ..

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

ولهم فى هذا فروع ترددت فى المصادر الفقهية لمذهبهم .. هذا الذى انفرد بهذه القاعدة دون باقى مذاهب الفقه الإسلامى السبعة ، التى نُقل فقهها نقلاً مدوناً ، صحيحاً ثابتاً ، وهى مذاهب الحنفية والمالكية ، والشافعية والحنابلة والزيدية والظاهرية والأباضية ، فقد جرت هذه المذاهب على توريث العصبة الذين هم القرابة من جهة الأب . ومن جهة الابن ، وتسمى عصوبة نسبية ، وحكم هؤلاء العصبة بالنفس لدى هذه المذاهب السبعة ـ بوجه عام ـ أنهم يرثون ما بقى من السهام بعد ذوى الفروض إن وجدوا ولم تستغرق سهامهم كل التركة ، فإن لم يوجد أحد منهم استحق العصبة بأنفسهم كل التركة .

وإن استغرقت سهام ذوى الفروض التركة لم تستحق العصبة شيئاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما : (الحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِى فَلِأَوْلَى رجل ذكر) ..

وما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه عن جابر بن عبد الله فى شأن ابنتى سعد بن الربيع حيث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم تركة سعد هذا : فأعطى لبنتيه الثلثين فرضاً بالسوية بينهما ولزوجته : أمهما الثمن فرضاً ، ولعمهما أخى سعد الباقى .

وتطبيقات أخرى فى توريث العصبة بالنفس والعصبة بالغير ، والعصبة مع الغير واردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها عمل الصحابة رضوان الله عليهم .

والواضح من نصوص القرآن الكريم فى آيات المواريث ، ومن نصوص السنة الشريفة التى وثقها جمهور المحدثين أن ما انفرد به فقه المذهب الشيعى الإمامى فى هذا الموضع وغيره خروج على نصوص القرآن والسنة الصحيحة ، فضلاً عن عمل الصحابة رضوان الله عليهم . ولم يُرْوَ خَبَرٌ صحيح بمخالفة الإمام على ـ رضى الله عنه ـ فى ذلك سوى ما نسب إليه فى كتب هؤلاء الشيعة .

هذا : ولا يجوز ـ بعد ما أجتمع عليه عمل الصحابة مما يعد إجماعاً منهم ومن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ـ إعادة النظر والاجتهاد فى حكم شرعى من ثوابت الأحكام الشرعية .

كما لا ينبغى إطلاق القول بأن الاختيار للمجتمع يكون فى هذا العصر للمصلحة إذ النظر فى المصلحة لا يكون مع وجود النصوص ، والمصلحة التى تغياها شرع الله هى التى لا تتنافى مع مقاصد الإسلام ، والمستقر من أحكامه .

←

تعقيب على موضوع حرمان العصبة

والقرآن قد قطع فى أمر الاجتهاد بالدعوة إلى الاتباع فى أمر التشريع والطاعة للنصوص .. يقول الله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ ويقول عز وجل :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ..

وفضلاً عن هذا فإن الشرع الحنيف قد وكل أمر النظر فى الأحكام لطائفة من الأمة فقهت فى دين الله .

يقول سبحانه : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ . فالتمييز بين الصواب وغير الصواب من القول فى أمور الدين بوجه عام ـ إنما هو لهذه الطائفة ـ لا للمجتمع بمعنى الرأى العام ، كالشأن فى أى تخصص علمى له أبعاده ومقوماته العلمية وله خصائصه ، ذلك أن الأمر فى التشريع الإسلامى والاستنباط من نصوصه ، له ضوابطه التى يجب الالتزام بها ، والتى لا يتسع المقام حتى لإجمالها .

ثم إن الأمر فى الواقعة المثارة هو أمر الدليل وحكمه ، وليس فى إطلاق الاختيار بين الآراء لمن يشاء ، إذ أن أحكام المواريث من أحكام الله التى نُصّ عليها فى القرآن الكريم ، وفى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قولاً وتطبيقاً .

وبالمقارنة العلمية إجمالاً بين أدلة من يرون الإرث بالتعصيب وهم فقهاء المذاهب السبعة المدون فقههم ، وغيرهم من الفقهاء الذين توالت الروايات عنهم فى كتب الفقه العام ، وبين من لا يرون هذا وهم الشيعة الجعفرية ـ إن المقارنة ـ ترجح أدلة الأولين على أدلة الآخرين . ذلك لأن الشيعة حينما منعوا الإرث بالتعصيب كمبدأ لمذهبهم قالوا برد باقى التركة على أصحاب الفروض بوجه عام ، حتى إذا ما كان للمتوفى بنت أو بنات فقط ووجد معها أو معهن عاصب من غير الأبناء والأب ، حازت البنت أو البنات كل التركة فرضاً ورداً .

والتوريث بالرد أمر اجتهادى لا يستند إلى نص خاص ، ومن ثم كان الاختلاف واسعاً فى مداه وفى مواضعه .

وليس لدى الشيعة من سند فى هذا إلا ما يتردد فى كتبهم ـ على ما سبقت الإشارة إلى نصه المنقول عن كتاب جواهر الكلام ـ وهو قول أئمتهم ، وهو قول لا يثبت عند غيرهم .

ومن ثم يبقى قولهم بالرد على البنات وحرمان العصبة من الإرث قول بلا سند من القرآن ـ ولا من السنة الصحيحة الثابتة ، حال إن إرث العصبة بوجه عام ثابت بآيتين فى كتاب الله سبحانه : أولاهما فى سورة النساء . يقول تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ والأخرى فى سورة الأنفال يقول سبحانه : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ ثم بباقى آيات المواريث .
فأيهما أحق وأولى بالأعمال ؟ آيات القرآن الكريم وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاؤه

التطبيقى الذى ورّث فيه العصبة من الرجال ، بل وورث الأخت مع البنت ولم يَرُدَّ على البنت ؟ أو الأخذ بقول ليس له سند صحيح ؟

أيهما أولى ، الرد على البنت أو البنات ؟ أو إعمال نص القرآن بتوريث العصبة الذين لم تحدد فروضهم ودخلوا فى عموم قول الله : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ ﴾ وقول الله : ﴿ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ .. ﴾؟

هذا ما قضى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو الذى كلفه الله بإبلاغ الرسالة وبيان القرآن ، وهو لا ينطق عن الهوى ، يقول تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

ولقد جرى عمل الصحابة رضى الله عنهم ، ومنهم الإمام على - كرم الله وجهه - على ذلك ومن ثم فإن الإرث بالتعصيب لما بقى بعد أصحاب الفروض هو الحق الذى توجبه الأدلة من القرآن والسنة وعمل الصحابة ، لا سيما والقرآن قد بين حال أقوى العصبة ، وهو الأب ، ليتبين منه حال سائر العصبات بدلالة تلك النصوص .

هذا : ولعل فى القول - بأن الإغضاء عن الأخذ بالفقه الشيعى فى هذه الواقعة أو غيرها إنما هو من باب التعصب المذهبى - تجاوزا للواقع فى مصر بوجه خاص ، لاسيما فى أمور التشريع ، إذ لا يخفى أن القضاء والفتوى فى المواريث وغيرها كان يجرى على مقتضى فقه المذهب الحنفى فقط بضوابط وقيود ، ثم كان الاتجاه الذى قاده المصلحون من العلماء منذ أواخر القرن الماضى وأثمر عدة قوانين أخذت بعض نصوصها من غير الفقه الحنفى بعد مقارنة الأدلة للمذاهب المختلفة فى كل واقعة فى تقنينها .

ومن ثم صدر القانونان رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ ورقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ببعض مسائل الأحوال الشخصية مستقاة من الفقه المالكى والشافعى والحنبلى ، وبعض القواعد الموضوعية التى جاءت بلائحة المحاكم الشرعية رقم ٧٥ لسنة ١٩٣١ ، ثم كان قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ م .. والذى بدأت اللجنة عملها له عام ١٩٣٦ ، ثم تابعت اللجنة عملها بعد إصداره حتى أعدت قانونى الوصية والوقف اللذين صدرا فى سنة ١٩٤٦ ، وكان فقه المذاهب الثمانية مطروحاً أمامها فى كل تلك الموضوعات على ما هو ثابت من محاضر وجلسات تلك اللجنة (لجنة الأحوال الشخصية) ومذكرات بعض أعضائها ، والمذكرة التفسيرية التى وضعتها بشأن مراجعه ومصادره ، والمذكرة الإيضاحية التى قدمتها الحكومة إلى "البرلمان" لبيان أساسه وخطة وضعه ، وكان أن جاءت أحكام نحو ١٩ مادة من غير الفقه الحنفى أو بترجيح قول فى هذا الفقه على ما كان العمل يجرى عليه وذلك من بين ٤٨ مادة هى جملة مواد قانون المواريث ، فأين هو التعصب المذهبى فى التشريع ؟.

إنه ليس من السهل أن نقبل تجريح الأحاديث الصحيحة التى تثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم وجاءت بها كتب الصحاح لمجرد زعم أن طاوساً راوى حديث (ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فَلِأَوْلَى رجل ذكر) قد تبرأ منه ، أو أن ابن عباس أنكر روايته عنه . وكل هذا غير صحيح بعد إخراج البخارى ومسلم لهذا الحديث وعلى ما هو محقق فى موضعه من كتب الفقه والحديث ، هذا فضلاً عن باقى الواقعات التى قضى فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتوريث العصبة بالنفس ومع الغير مع بنات المتوفى وقد سبقت الإشارة إلى بعضها .

← تعقيب على موضوع حرمان العصبة

على أن كلمة الولد ، الواردة فى بعض آيات المواريث لا تصلح سنداً لمذهب الشيعة فى منع التوريث بالتعصيب بإطلاقه ، لأن آية المواريث قد حددت نصيب الأولاد ، إذا كانوا ذكوراً وإناثاً أو إناثاً فقط . قال الله سبحانه فى سورة النساء : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ . . ﴾ أى أن تلك الفروض للبنت وللبنات مقررة ، إذا انفردت أو انفردن وجاءت كلمة (إن كان له ولد) عند تحديد نصيب الأبوين وليس فى موضوعنا هذا .

وقد سبق القول بأن الفقه الشيعى يرد باقى التركة بعد الفروض على أصحاب الفرض ولا يعطيه للعصبة وعندئذ فاستحقاق أصحاب الفروض لباقى التركة ليس فرضاً أصلياً ولكنه رد ، وليس حجباً على ما هو الحال عند وجود الذكر ؛ لأن الحجب فى نطاق المواريث غير الرد، ولكل موقفه وضوابطه .

وكل ما يلزم التأكيد عليه أن الحجج الشرعية فى هذا المجال قد نوقشت واستقرت دون تعصب ، وقد أشرت فيما سبق إلى أن (لجنة الأحوال الشخصية) التى وضعت مشروع قانون المواريث ٧٧ لسنة ١٩٤٣ واجهت كل ذلك بحثاً عن الحجة لا عن الهوى .

وموضوع جواز الوصية للوارث الذى جاء فى قانون الوصية وكذلك الوصية الواجبة ، إنما مصدرهما بعض وجوه التفسير لآيات سورة البقرة فى شأن الوصية : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ . . ﴾ الآيات ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ من سورة البقرة . وحين أخذ قانون الوصية بإجازة الوصية للوارث ، وبوجوب الوصية أى بحكم القانون بالنسبة لفرع من توفى (المادة ٧٦ من القانون) إنما رأى رجحان الدليل بغض النظر عن القائل به .

ثم أنه لا ريب أن الإمام جعفر الصادق موضع التجلة والتقدير ، ولكن الذى ثبت بالتحقيق العلمى أن « صحيفة الفرائض » لم يثبت صدورها عن الإمام على ـ رضى الله عنه ـ كما لم يثبت صحة ما نسب إليها فى الموضوع .

ومما يلزم بيانه أن مادة (الفقه المقارن) التى تدرس فى كليات الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف لا تقتصر على دراسة المذاهب الأربعة المشهورة ، وإنما تدرس المذاهب الثمانية سالفة الذكر ، وتقدم رسائل الدراسات العليا فى أمثال هذه الموضوعات تحقيقاً وتوثيقاً ومقارنة بين الأدلة .

ولعله قد وضح أنه لا محل للتعصب المذهبى فى مقام البحث العلمى المستوعب ، وأن هذه المسائل ليست بنت اليوم ، وأنها كما قيل : (قتلت بحثاً) وأن كتب الفقه ـ بوجه عام ـ وكتب الحديث وكتب الفرائض قد جَمَعَتْ ، وقارنت مقارنة علمية دون غرض أو هدف سوى الحق والعلم وحده .

وتطبيقات المواريث قد اختلف فيها الأولون ، ولكن الاعتداد إنما يكون بقول من أسند إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله الحكم بفهم صحيح ، ونقل موثوق . ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

شيخ الأزهر
(جاد الحق على جاد الحق)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . وبعد :

فإن القارىء لمجلة الأزهر قد لمس جهد القائمين عليها إعدادا وتحريرا ، وهذا حجمها بين يديه يؤدى دوره فى مختلف المجالات العلمية والأدبية ، ولسنا نشك فى انه يود لهذه المجلة ان تسير على منهجها هذا ، وأن تنشد على دَرْبِهِ الكمال .

وإن ثمن المجلة الحالى "عشرين قرشا"، وهى تعد كتابين لا كتابا واحدا ليس شيئا بجانب تكاليف المجلة بحال ، وهو ـ فى نفس الوقت ـ مساو لثمن صحيفة يومية .

وقد حاول الأزهر الشريف ان يُبقى على هذا الثمن ما امكن حتى تبين أن القارىء ينبغى أن يشارك فى جهدها هذا تخفيفا لأدنى عبء تتحمله ، وعلى الأزهر الشريف بعون الله أن يتحمل الجهد الأكبر .

لذلك تقرر رفع ثمن النسخة ابتداء من عدد شعبان ١٤٠٩ هـ ـ مارس ١٩٨٩ إلى (٣٠) ثلاثين قرشا مصريا ، وتكون قيمة الاشتراكات كالآتى :

قيمة الاشتراك سنويا

● جمهورية مصر العربية :

جنيه	مليم
٣	٦٠٠

● اتحاد البريد العربى الافريقى (بالبريد الجوى) :
٢٥ خمسة وعشرون "دولار" او ما يعادلها .

● باقى دول العالم :
٥٠ خمسون "دولار" او ما يعادلها

وتطلب ـ راسأ ـ من قطاع الاشتراكات بمؤسسة الأهرام
شارع الجلاء ـ القاهرة ، ولا علاقة للاشتراكات بإدارة مجلة الازهر .

دراسات قرآنية

فى وصف المؤمنين

قال الله تعالى فى وصف المؤمنين :
﴿ الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .
الأحرف المقطعة : أسماء ، مسمياتها الحروف ، وبها بدأت بعض السور القرآنية وافتتاحها بعامة - أى سور القرآن - يكاد لا يخرج عن واحد من عشرة .
١ - الثناء : وهو إما لنفى النقص ، مثل ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ ﴾ أو لنفيه وإثبات الكمال ، مثل ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ .

٢ - الأحرف المقطعة : كما هنا ، وفيها إشارة إلى إحدى وسائل التعلم ، كما تبدأ بتعليم الصبى بالأحرف المفردة مثل (أ ، ب ، ج ، د) ثم تركيبها فتقول : (أبجد) .

وهى كذلك أداة لتنبيه السامع لما يلقى عليه ، وإشارة إلى الناطق بها ﷺ ، فهو أمى ، ما أبعد نطقه بأحرف الهجاء ، وهى كذلك دليل على وجه من وجوه الإعجاز ، فإنها حروف عربية ركب القرآن منها والعبرة بالصورة المركبة ، لا بنوعية المادة ، فالحروف حروف العرب ، صاغوا منها كلامهم ، والنظم هو نظم القرآن المعجز الذى نزل من رب العالمين . فالأحرف المقطعة للتنبيه ، وللإعجاز ، وللعجب من أن ينطق بها أمى ، ولا يبعد أن تكون رموزاً ومواضعات بين المحبين .

وأسرار الحروف ألفت فيها مؤلفات ، عبر بها أصحابها عن الذوق والشعور ، وهما نوع من الإدراك الخاص الذى ينفرد به المتذوقون من غير أن يلزموا به العقول ، فالإنسان فكر ، وشعور ، وعاطفة ، وإرادة ، وغير ذلك .

٣ - النداء : مثل أول المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ .

٤ - القسَم : نحو ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾ ،
٥ - الشرط : نحو ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ .
٦ - الأمر : نحو ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .
٧ - السؤال : مثل ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾ .
٨ - الدعاء : نحو ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ .
٩ - الخبر : نحو ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ .
١٠ - التعليل : مثل ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ، .

• • •

أما اسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فالمشار إليه هو الأحرف التى تكون منها الكتاب الحكيم ، وأسماء الإشارة ، يشار بها إلى مُحَسٍّ حاضر ، وهو كذلك حاضر فى قلوب المؤمنين يحسون به ويشعرون .

وجاء بـ « لام البعد » لبعد المنزلتين ، من

د . محمد عبد المنعم القيعى

أنزله سبحانه ، ومن نزل عليه ، ﷺ ، ومن تلقوه عنه من باب أولى .

والكتاب هو القرآن ، فالمسمى واحد ، والأسماء متعددة ، كل اسم يشير إلى معناه ، فهو قرآن باعتبار قراءته ، وشفاء لما فى الصدور باعتبار ما يحدثه فيها ، وهو كتاب باعتبار أنه مكتوب فى الصدور وفى السطور ليتدبره المتدبرون ، ويلتزم بتعاليمه العاملون :

ألفاظه إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة .

وإذا هى لانت فأنفاس الحياة الآخرة .

ومعانيه عذبة ترويك من ماء البيان ، وذات رقة تستروح منها نسيم الجنان .

كل ماذكره العلماء من أوجه الإعجاز صحيح ، وليس ذلك نهاية إعجازه ، فإنه لا تنقضى عجائبه .

وألفاظه ومعانيه ، عامة مرنة ، تسع الزمان الذى ندركه بالإحساس الداخلى ، وتسع المكان الذى ندركه بالإحساس الخارجى ، وتسع الأشخاص والأحوال والظروف المختلفة .

يحمل الخلود فى أصل تعاليمه ، ويساير التطور الاجتماعى بتطبيق توجيهاته .

وهو الكتاب الكامل الذى احتوى خصائص الكتب السماوية وزاد عليها ، وهيمن ﴿ وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ .

وأصح مايصدق على الأثر الخالد قابليته للاحتمالات ، ليسع اجتهاد المجتهدين المختلفين فى الزمان والمكان والأحوال . ﴿ لَارَيْبَ فِيهِ ﴾ الريب هو : مقدمة الشك ، وقد نفى سبحانه عن القرآن أن يكون محلا للريب ، وإن ارتاب فيه المرتابون ، بلا بينة . والقاعدة فى نظر الإسلام ، أن وضع الشىء فى غير موضعه إساءة ، وينزل ذلك منزلة العدم ، لأنه لا وجه له ، فالشك عندنا قنطرة اليقين فيما يدركه العقل ، ومع ذلك فإن الإسراف فيه ، انمياع فكرى ، وتخلخل نفسى ، ومرض اجتماعى .

وما تدركه العقول يبقى فيها ، أما ما جاء وهو فوق إدراكها ، فليس للعقول أن تنكره ، وعليها أن تودعه مع الإيمان فى القلب .

إن الإسلام لا ينكر على العقل جهده ، والذى ينكره على العقل ، تطاوله فيما لا مجال للعقل فيه مثل : أخبار الكتاب عن الجنة أو النار .

وهذا السياق لم يتعرض لغيره من الكتب ، ولم يقل : (لافيه ريب) كما قال عن خمر الجنة ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ تعريضا بخمر الدنيا التى حرّمها ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ما أجمل هذا التعبير عن القرآن ، إنه نفس الهدى ، والإخبار بالمصدر أبلغ من الإخبار باسم الفاعل « هاد » .

وكان القرآن هدى للمتقين ، مع أنهم مهتدون ، زيادة لمن هو مهتدٍ ، وإتاحة للفرصة أمام الضالين المستعدين لقبول الهدى ، وإذن لابد للانتفاع من أمرين :

(أ) صلاحية المنتفع به .

(ب) قابلية المنتفع .

فالماء العذب لا ينبت الذى خَبُث ، والماء المالح لا ينبت فى الأرض الطيبة ، كذا القرآن ينتفع به

←

● الكاتب : أستاذ قسم التفسير ـ جامعة الأزهر

في وصف المؤمنين

من هو قابل للانتفاع ﴿ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ .

والمتقون من احتاطوا لأنفسهم ، واتخذوا لها وقاية من عذاب الله ، فهم جمعوا الوان الطاعات ، واجتنبوا ما أمكنهم من السيئات ، فالتقوى هي جماع الخير كله .

ومن المعلوم أن الله لايكلف نفساً إلا وسعها ، وقد قال سبحانه : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ . فالأولى معلقة بالاستطاعة ، والثانية متصلة بالعقيدة ، وهكذا يرتبط الفعل بالقدرة عليه ، ويرتبط الاعتقاد بالقلب الذي هو أوسع قدرة من سائر الجوارح وهناك أمور لا نستطيعها ، إذ هي فوق طاقتنا ، كاتقاء ذات الله ، ومافطرنا عليه ، وإنما علينا كما قال الله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ . والتقوى مشترك بين الإخلاص والعمل الصالح واجتناب السوء فإنه لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس .

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ هذا أول صفات المتقين ، والإيمان له ثلاثة عناصر :

(أ) غيب غير محدود ، فمنه ما انكشف ، ومنه مالم ينكشف بعد ، وفي ذلك إشارة إلى نقص وسائل الإدراك عند الإنسان ، ولن تكمل إلا بالإيمان الذي يجمع بين العقل والوجدان .

(ب) عقل يسترشد به المؤمن ، فالرجل الفيلسوف صورة عقلية للرجل المؤمن ، والرجل المؤمن صورة قلبية للرجل الحكيم ، فالذي يقبل أمراً غير معقول المعنى جاء به غير الشارع قد فقد عنصراً هاماً من عناصر الإيمان : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ . فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

(جـ) وجدان يملؤه الإيمان فيشعر به ويحس ، وينتقل من الشكلية إلى الموضوعية ، ويوائم بين باطنه وظاهره ، لينعكس حتماً على سلوكه وأخلاقه ، ومتى كان المعيار السلوكي تفريقاً بين الواجب والمنفعة ساد النفاق ، وانطمس الإيمان .

وهو أكبر جنود الحياة ، يبصرك إن عميت في الحادثة ، ويهديك إن ضللت عن السكينة ، ويجعلك صديق نفسك ، لا عدوها ، تكون المصيبة وإياها عليك ، وهو اثبت جنود الدفاع ، حيث لا يبقى علم ولا جاه ولا مال إلا توارى أمام المصائب ، ويبقى الإيمان وحده في معركة الحياة ، يرد قدر الله إلى حكمة الله ، فلا يلبث ما جاء منها أن يختفي وتعود النفس راضية بقدر الله ، كأن مايقع فيها يقع أمامها .

وقال : ﴿ بِالْغَيْبِ ﴾ وهو يحتمل : إما غيب ما أمرنا ان نؤمن به ، وإما غيبنا نحن ، حيث لم نشاهد وجود ما آمنا به من الغيوب ، لكن اليقين يعوضنا عن المشاهدات الحسية ولله در من قال : (لو كشف الحجاب ما ازددت يقينا ؛ لأن طريق الشرع اثبت من طريق الحواس التي يمكن أن تنخدع) وفي ذلك إشارة إلى أن المشاهدات غير كافية في نطاق الإيمان وإن كانت هي المعول عليها في نطاق العقول والحواس .

ولعل الذين فتنوا بالمادة وصفائحها ، أن يتحسسوا مكان الإيمان من نفوسهم وأرواحهم ، وهم الآن ينشدون الإيمان بعد أن كانوا يعادونه ويخاصمونه ، ليتحسس الإنسان الآن مكان روحه ، ليطمئن على نفسه أهو لم يزل إنسانا أم أنه فقد إنسانيته وذهب مع الصاروخ وأخواته من الآلات ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

في رياض السُّنة النبوية المطهرة

كفوا ألسنتكم عن أمة لا إله إلا الله

د. رءوف شلبى

روى الامام ابو داود بسنده قال :
حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا ابو معاوية ، حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن ابى نُشْبة عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من أصل الإيمان : الكف عمن قال لا إله إلا الله لا تكفره بذنب ، ولا تخرجه من الإسلام بعمل ، والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى ان يقاتل آخر امتى الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والإيمان بالأقدار » .
رواه أبو داود فى كتاب الجهاد
باب فى الغزو مع أئمة الجور

إن الحديث يدلل على إثبات النبوة لسيدنا محمد ﷺ كما يدلل على حدبه على أمته وتحذيره من فعال السُوقة الذين يظهرون فى آنات وأحيان من عمر الأمة الإسلامية فيفسدون عليها أمر دينها ويغرون بها السفهاء من الحكام .

فقد هبت على الأمة الإسلامية رياح التكفير وإباحة الدماء بفعلة أرادها خصوم الإسلام منذ القديم حينما رأوا ممالك الدنيا تزحف للإسلام وقد سقطت راياتها،ورفعت راية واحدة هى راية "لا إله إلا الله-محمد رسول الله" فدسوا لها الدسائس حتى قتل سيدنا عمر-رضى الله عنه- فلما لم تنقض الدولة ثاروا على سيدنا عثمان رضى الله عنه وقتلوه،ثم لعبوا بأمر الخلافة حتى وقعت الفتنة،ثم أشعلوا الفتن إشعالاً سرمدياً فقننوها فى فرق وأحزاب ليبقى المرجل يغلى فلا يستريح المسلمون أبداً .

ولقد تصدى القرآن الكريم لهذه المعركة منذ القدم فأنب الذين يكفرون الناس بالهوى .

كما تصدت السنة النبوية الشريفة لحماية الأمة من سفهاء التكفير وجهلاء التأويل .

اما القرآن الكريم فقد قال الله تعالى :
﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن ←

يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
(١٢٩ آل عمران)

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ . (١١٦ النساء)

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (٤٠ المائدة)

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .
(١٤ الفتح)

« واما السنة النبوية الشريفة ففيها احاديث جمة تنهى عن تكفير المسلم وتفسيقه وقتاله يقول النبى ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » . « رواه مسلم »

« لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » .

« رواه البخارى ومسلم واجمد والنسائى وابن ماجة »

« لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم » . « الطبرانى » (صحيح)

موقف حجة الإسلام الإمام الغزالى :

لكن بعض المسلمين لم ينصاعوا للقرآن والسنة فقد غلبت عليهم المصالح الخاصة والأهواء الشيطانية ونقلت إليهم فلسفة اليونان أيام البذخ الفكرى فى الدولة العباسية فانفتح باب الجدل الذى منعه الإسلام فقد قال الرسول ﷺ : « الجدال فى القرآن كفر » .
« رواه الحاكم » .

واستعانت الحكومات القديمة فى تثبيت سياستها بتوجيه من بعض العلماء فتولدت الفرق بعد الفرق وغصت الساحة الإسلامية بالتكفير فانبرى لهم الإمام حجة الإسلام ابو حامد الغزالى كى يرد الأمة إلى وعيها ويهدىء من الغلواء وشطحات الغالين فألف لذلك كتابا سماه :

« فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » .

وقد حققه العالم العلامة الثبت الدكتور سليمان دنيا ـ رحمه الله ـ وقد عقد الإمام الغزالى عدة فصول فى كتابه ليرد على الناس دينهم وينأى بهم عن ضلالات التكفير فقال :

« كل فرقة تكفر مخالفها وتنسبه إلى تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام. فالحنبلى يكفر الأشعرى ، زاعما أنه كذب الرسول فى (إثبات الفوق) لله تعالى ، وفى (الاستواء على العرش) .

والأشعرى يكفره زاعماً أنه مشبه وكذّب الرسول فى « أنه ليس كمثله شىء » .

والأشعرى يكفر المعتزلى زاعماً أنه كذب الرسول :

فى (جواز رؤية الله تعالى) .

وفى إثبات العلم والقدرة ، والصفات له .

والمعتزلى يكفر الأشعرى ، زاعماً أن إثبات الصفات تكثير للقدماء ، وتكذيب للرسول فى التوحيد .

ولا ينجيك من هذه الورطة إلا أن تعرف : حدّ التكذيب ، والتصديق ، وحقيقتهما فيه .

فينكشف لك غلو هذه الفرق ، وإسرافها فى تكفير بعضها بعضا .

فأقول :

التصديق : إنما يتطرق إلى الخبر ، بل إلى المخبر .

وحقيقته : الاعتراف بوجود ما اخبر الرسول

ﷺ عن وجوده . إلا أن للوجود خمس مراتب ، ولأجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة مخالفها إلى التكذيب .

فإن الوجود :

ذاتى ، وحسى ، وخيالى ، وعقلى ، وَشِبْهى .

فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن وجوده ، بوجه من هذه الوجوه الخمسة ، فليس بمكذب على الإطلاق[1] .

فرد بذلك الإمام الغزالى موجة التكفير التى قامت بين أصحاب الفرق الإسلامية لكى يلم شعث الأمة وينقى الإسلام من شوائب أهواء أهل الفرق ، ثم وضع الإمام الغزالى وصية فى هذا المجال وقانونا فقال :

« اعلم أن شرح ما يكفر به ومالا يكفر به يستدعى تفصيلا طويلا يفتقر إلى ذكر كل المقالات والمذاهب ، وذكر شبهة كل واحد ودليله ، وَوَجْه بُعْدِهِ عن الظاهر ووجه تأويله .

وذلك لا يحويه مجلدات ، ولا تتسع لشرح ذلك أوقات .

فاقنع الآن بوصية وقانون :

أما الوصية : **فإن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك** ، ماداموا قائلين : « لا إله إلا الله » محمد رسول الله » ، غير مناقضين لها .

والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله ﷺ بعذر ، أو غير عذر فإن التكفير ، فيه خطر ، والسكوت لا خطر فيه .

أما القانون : فهو أن تعلم أن النظريات قسمان : قسم يتعلق بأصول القواعد . وقسم يتعلق بالفروع .

وأصول الإيمان ثلاثة : الإيمان بالله ، وبرسوله ، وباليوم الآخر . وما عداه فروع .

واعلم أنه لا تكفير فى الفروع أصلا ، إلا فى مسألة واحدة . وهى : أن ينكر أصلا دينيا عُلِمَ من الرسول ﷺ بالتواتر .

لكن فى بعضها تخطئة ، كما فى **الفقهيات** .

وفى بعضها تبديع ، كالخطأ المتعلق بالإمامة وأحوال الصحابة .

واعلم أن الخطأ فى أصل الإمامة ، وتعيينها وشروطها ، وما يتعلق به ، لا يوجب شىء منه تكفيرا .

فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب الإمامة ، ولا يلزم تكفيره .

ولا يلتفت إلى قوم يعظمون أمر الإمامة ، ويجعلون الإيمان بالإمام مقرونا بالإيمان بالله وبرسوله .

ولا إلى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم فى الإمامة .

فكل ذلك إسراف ، إذ ليس فى واحد من القولين تكذيب للرسول ﷺ أصلا ، ومهما وجد التكذيب ، وجب التكفير ، وإن كان فى الفروع .

فلو قال قائل مثلا : البيت الذى بمكة ليس الكعبة التى أمر الله تعالى بحجها ، فهذا كفر ، إذ قد ثبت تواتراً عن رسول الله ﷺ خلافه .

ولو أنكر شهادة الرسول ﷺ لذلك البيت بأنه الكعبة لم ينفعه إنكاره ، بل يعلم قطعاً أنه معاند فى إنكاره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يتواتر عنده ذلك . وكذلك من نسب عائشة رضى الله عنها إلى الفاحشة ، وقد نزل القرآن ببراءتها فهو كافر ؛ لأن هذا وأمثاله لا يمكن إلا بتكذيب الرسول ، أو إنكار التواتر .

والتواتر ينكره الإنسان بلسانه ، ولا يمكن أن يجهله بقلبه .

←

---

(١) « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » للإمام الغزالى ص ١٧٥ ، ١٧٦

نعم لو أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد ، فلا يلزمه به الكفر .

ولو أنكر ما ثبت بالإجماع ، فهذا فيه نظر ، لأن معرفة كون الإجماع حجة قاطعة ، فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم أصول الفقه .

وانكر "النظام" كون الإجماع حجة أصلا ، فصار كون الإجماع حجة مختلفا فيه .

فهذا حكم الفروع .

وأما الأصول الثلاثة ، وكل مالم يحتمل التأويل فى نفسه ، وتواتر نقله ، ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه ، فمخالفته تكذيب محض .

ومثاله : ما ذكرناه من حشر الأجساد ، والجنة والنار ، وإحاطة علم الله تعالى بتفاصيل الأمور .

وما يتطرق إليه احتمال التأويل ، ولو بالمجاز البعيد ،فننظر فيه إلى البرهان : فإن كان قاطعا ، وجب القول به .

ولكن إن كان فى إظهاره مع العوام ضرر ، لقصور فهمهم ، فإظهاره بدعة .

وإن لم يكن البرهان قطعياً ، لكن يفيد ظناً غالباً ، وكان مع ذلك لا يعلم ضرره فى الدين ، كنفى المعتزلة الرؤية عن الله تعالى . فهذه بدعة ، وليس بكفر .

وأما ما يظهر له ضرر ، فيقع فى محل الاجتهاد والنظر ، فيحتمل أن يُكَفّر ، ويحتمل أن لا يكفر . ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض من يدعى التصوف أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى ، أسقطت عنه الصلاة ، وأحلت له شرب الخمر والمعاصى ، وأكل مال السلطان .

فهذا ممن لاشك فى وجوب قتله ، وإن كان فى الحكم بخلوده فى النار نظر .

وقتل مثل هذا ، أفضل من قتل مائة كافر ، إذ ضرره فى الدين أعظم ،-وينفتح به باب من الإباحة لا ينسد .

وضرر هذا ، فوق ضرر من يقول بالإباحة مطلقاً ، فإنه يمنع عن الإصغاء إليه ظهور كفره .

وأما هذا فإنه يهدم الشرع من الشرع ، ويزعم أنه لم يرتكب فيه إلا تخصيص عموم : إذ خصص عموم التكليفات بمن ليس له مثل درجته فى الدين .

وربما يزعم أنه يلابس ويقارف المعاصى بظاهره ، وهو بباطنه برىء منها ، ويتداعى هذا إلى أن يدعى كل فاسق مثل حاله ، وينحل به عصام الدين .

ولا ينبغى أن يظن أن التكفير ونفيه ينبغى أن يدرك قطعاً فى كل مقام .

بل التكفير حكم شرعى ، يرجع إلى :

إباحة المال . وسفك الدم . والحكم بالخلود فى النار .

فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية :

فتارة يدرك بيقين .. وتارة بظن غالب . وتارة يتردد فيه .

ومهما حصل تردد « فالموقف فيه عن التكفير أولى » .

والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل(٢) .

وللأزهر موقف ايضا :

والحديث الذى معنا أصل من أصول صَحْو

(٢) « فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة » ص ١٩٥ ، ١٩٧ .

جدل التكفير الذى انتقل إلى مجتمعنا المعاصر كعدوى واردة من الفرق القديمة التى دسها خونة الأخلاق وأعداء الإسلام قديما ، وإنه لمن الخير أن أستضيف شيخنا الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز ليشرح لنا هذا الحديث لعلة واحدة هى أن أُقَدِّمَ للشباب المعاصر دليلاً على قيام الأزهر بدوره منذ الزمن البعيد ، ودليلاً على صحة عدم جواز التكفير من علماء سلفنا الصالح دفعاً لما يتوهم فى أذهانهم من أن الأزهر يجارى أحداً غير الحفاظ على الإسلام ورعاية محارم الله وحقوق عباده الصالحين .

قال فضيلة المرحوم الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز :

ثلاث من أصل الإيمان : إذا قيل « أصل الإيمان انساق الفهم إلى الأركان التى يعد سقوط واحد منها خروجاً عن الملة وهى الأركان الاعتقادية » .

أما الفروع العملية فليست من أصل الإيمان بهذا المعنى . بل يقال للواجبات منها إنها أصل ثمرات الإيمان ، فتعد أصلا بالقياس إلى النوافل والمندوبات وإن كانت فرعاً بالنسبة إلى الواجب الأول ،وهو معرفة الله ورسله واليوم الآخر .

واللفظ هنا محمول على حقيقته بدون تقدير؛ لأن الخصال الثلاث اعتقادية كما سيتبين .

فالخصلة الأولى هى : « الكف عمن قال:لا إله إلا الله » : عرفنا غير مرة أن كلمة « لا إله إلا الله » شعار مختصر وعَلَمٌ على العقيدة الصحيحة الشاملة للرسالة والبعث كما نسمى السورة :

(اِقْرَأْ) أو (حَمَ) وليس معنى « الكف عمن قالها » عدم التعرض بالفعل لماله ودمه ، فإن هذا وإن كان من واجبات الإسلام ، « كل مسلم على مسلم محرم » ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ لكنه ليس من أصل حقيقة الإيمان على مابيناه وإنما معنى الكف هنا هو ما بينه النبى - ﷺ - بقوله : « لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل » : كَفَّرَهُ : جعله كافراً . و(أخرجه) : جعله خارجا . والجعل فيهما جعل بالاعتقاد لا بالفعل أى : لا ننسبه إلى الكفر، ولا نحكم بخروجه عن الإسلام إذا اقترف ذنبا ولو كبيرة ، مالم يدل على رفض العقيدة مباشرة وإلا كان رِدَّة .

وإذا كان عدم تكفير المسلم معدودا من أصل الإيمان لزم منه أن يكون تكفيره كفرا وبهذا نطقت أحاديث (الصحِيحَيْن) كقوله - ﷺ - : (إذا كفر الرجل أخاه - أو إذا قال الرجل لأخيه:يا كافر - فقد باء بها أَحَدُهما)

وقوله : لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) - وإلى ظاهر هذه الأحاديث استند كثير من العلماء فى الحكم بكفر (الخوارج لتكفيرهم (الصحابة) : والأكثرون على أنهم متأولون ، وإن هذا الحكم مقيد بمن أكفر أخاه بغير تأويل فقد رمى (عمر) رضى الله عنه - (حاطب بن أبى بلتعة) بالنفاق لأنه أرسل إلى (قريش) يخبرهم بعزم النبى على غزوهم فى فتح (مكة) فقال (عمر) : دعنى يارسول الله - أضرب عنق هذا المنافق ولم يكن (حاطب) كما قال (عمر) بل كانت هذه تقاة منه وصَدَّقَهُ الرسولُ - ﷺ - فيها ، وشهد له بالجنة ؛ لأنه كان شهد (بدراً) .

وقد يُظَنُّ فى بادىء الرأى أن الكفر والخروج عن الإسلام لفظان مترادفان ، ولكن مستحدثات أهل الأهواء علمتنا التفرقة بينهما ، (فالخوارج) حكموا بكفر مرتكب الكبيرة الذى لم يتب من ذنبه ، و(المعتزلة) حكموا بخروجه عن الإسلام وعدم دخوله فى الكفر وقالوا : إنه أخذ منزلة بين المنزلتين) . فكأننا برسول الله -

ﷺ ـ قد ألهمه الله ما سيكون لكلتا الطائفتين من ابتداع مستقل ، فأشار إليهما بالعبارتين .

الخصلة الثانية : هى الإيمان ببقاء شريعة الإسلام ووجوب الجهاد للذب عنها حتى يكون الدين كله لله . وهذا لا ينكره إلا كافر؛ لأنه من الأحكام التى نعلم بالضرورة مجىء النبى بها ، ذلك هو ما تضمنه قوله ـ ﷺ :

(والجهاد ماض منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال) : (الجهاد) فى الأصل هو الاجتهاد أى : بذل غاية الجهد واقصى الوسع لتحصيل مطلوب، أو دفع محذور .

ويقيد فى الشرع بما يكون وفقا لأمر الله تعالى . ثم يطلق عاما وخاصا . فيقال بالمعنى العام على ما يتناول ثلاثة أنواع : جهاد المرء لنفسه وهواه ، وجهاده للبدع والمنكرات العملية ، وجهاده للكفر والضلالات الاعتقادية .. وسواء فى ذلك كله أن يكون بالقول أو بالفعل . بالمال أو بالنفس .

ويقال بالمعنى الخاص على النوع الثالث وهو محاربة الكفار بالأنفس والأموال : وهذا النوع لم يشرع إلا بعد الهجرة إلى (المدينة) أما مطلق الجهاد فهو مشروع منذ بعث الله (محمداً) ـ ﷺ ـ هاديا ومبشرا ونذيرا ، وأوجب عليه تبليغ (القرآن) والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قال تعالى فى سورة (الفرقان) المكية : ﴿ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيرًا ﴾ أى : (بالقرآن) وهذا الجهاد قائم فى كل زمان (ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله) ـ (رواه الشيخان) .

فإن حمل على هذا المعنى استقام الكلام بدون تقدير .

وإن حمل على القتال وهو ما تساعده الغاية فى هذه الجملة كان معنى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « منذ بعثنى الله » أى : منذ بعثنى بذلك الجهاد وأذن لى فيه وأمرنى به ، وكان قوله « ماض » أى : نافذ ومستمر . ليس إخبارا عن وقوعه بالفعل فى كل زمن ؛ لأن هذا خلاف المشاهد ، بل هو إخبار عن استمرار وجوبه على الأمة كلما حصل موجبه ، فيجب الإيمان بهذا الوجوب وبهذا الاستمرار ، عملنا أو لم نعمل أطاع من أطاع وعصى من عصى ، إلى أن يقتل (الدجال) بيد آخر المسلمين .

و« الدجال » : صيغة مبالغة ، من « دجل » بفتحتين ـ إذا كذب ، أو من « دجّل تدجيلا » إذا غطى الشىء وطلاه بالذهب، وهو لقب لكل كاذب مموه ؛ لأنه يستر الحقائق ويموه على الناس بالباطل ، واشتهر بوجه خاص فى كل من يكذب على الله ورسوله من الضالين المضلين وهم كثير ، منهم من مضى ومنهم من ينتظر ، حسبما أخبر به النبى ـ ﷺ ـ فيما رواه (البخارى) وغيره :

(لا تقوم الساعة حتى يخرج دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، أو حتى يخرج ثلاثون دجالا،كلهم يكذب على الله ورسوله) .

و« الدجال الأكبر » آخرهم وهو « المسيخ الكاذب » الذى يخرج بين يدى الساعة فيدعى الألوهية، ويأتى بأعظم الخوارق من السحر فتعظم به الفتنة وهذا هو المقصود فى الحديث .

و« المقاتلة » : مفاعلة من الجانبين ، فيصح فيما بعدها الرفع والنصب والأحسن أن ينصب

« الدجال » مفعولا بها ، لأن آخر أمره أن يصير مقتولا لا قاتلا .

وفى « مسلم » أن الذى يقتله هو « مسيح الهدى عيسى ابن مريم » ، وهذا لا ينافى وصف القاتل فى الحديث بأنه « آخر هذه الأمة » لأن « عيسى » - عليه السلام - إذا نزل كان من هذه الأمة تابعا لشريعتها ، فيؤمها بكتابها . أو يكون مأموما وإمام هذه الأمة منها على الاختلاف فى فهم الحديث الذى فى (الصحيحين) .

ومفهوم الغاية فى قوله : (إلى أن يقاتل) أن فرض الجهاد يسقط بعد تلك الغاية ، وهو كذلك . ففى (صحيح مسلم) أنه إذا قتل (الدجال) وظهرت (يأجوج) و(مأجوج) لجأ (عيسى) بمن معه إلى الجبال لعدم قدرته عليهم فلا يجب عليه قتالهم . حتى إذا أهلكهم الله بأمر من عنده وطهر الأرض منهم بعث ريحاً طيبة تقبض روح كل مؤمن ومسلم ممن عصمهم الله من فتنة (الدجال) ولا يبقى بعدهم إلا شرار الناس حتى تقوم الساعة .

هذا : وأحب أن أقول ههنا كلمة ، وهى أن تفاصيل هذه الأشراط - كغيرها من الأخبار الغيبية - لا تدخل فى باب العقائد التى يكفر جاحدها مالم تنقل الينا بالتواتر الذى يحصل به عند الناس علم ضرورى بأنها مما جاء به الرسول ، لكنها لثبوتها فى صحيح السنة يكون إنكارها اجتراء على ما هو مظنون الصدق . بل ربما كان القدر المشترك فى كل منهما متواترا تواترا معنويا . فعلى العاقل الذى لم يبلغه ذلك التواتر أن يحترز جهده عن ردها وتكذيبها بمجرد التشهى والاستبعاد ، وأن يؤمن بإمكانها ويعوذ بالله من شرها وشر الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن . فذلك هو أقل ما تقابل به الأخبار الصحيحة فى كل أمر جائز الوقوع . بل هذا هو الأدب الذى أدبنا به رسول الله - ﷺ - بإزاء مايبلغنا من أخبار أهل الكتاب عن كتبهم ، حيث نهانا عن تكذيبهم وقال : « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » رواه (البخارى) و ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ (سورة البقرة من الآية ١٣٦) فإذا كانت هذه هى معاملتنا لرواية الكفار فى الأمور المحتملة الصدق ، فكيف برواية المسلمين العدول الثقات عن رسول الله - ﷺ .

لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل : أى لا يسقط فرض الجهاد بكون الإمام ظالما بحبس الحقوق عن أهلها فيستأثر بها لنفسه أو يعطيها لمن لا يستحقها ، بل نعطيه ما يجب علينا من الطاعة فى غير معصية الله ونسأل الله مالنا عنده من رزق .

وربما ظن الجاهل أن قوله - عليه الصلاة والسلام - (**ولا عدل عادل**) زيادة لا حاجة إليها ، إذ لا مجال لتوهم متوهم أن الجهاد يسقط مع الإمام العادل ، والواقع أن هذا القول من البلاغة بمكان رفيع ، فإن اقتران الأمور التى فيها شبهة وتوقف بالأمور الواضحة التى لا شبهة فيها ، وتسويتها بها فى الحكم مما يزيل غبار الشبهة عنها ويقوى الباعثة عليها ، كأنه قيل : لا يبطله جور الجائر إلا أن يبطله عدل العادل ، وهذا واضح البطلان ، فذلك مثله ، وهذا أسلوب شائع فى الكلام .

والخصلة الثالثة هى :

(الإيمان بالأقدار) : جمع قدر .

والإيمان بالقدر جزء من الإيمان بالله فهو ركن من أصول الدين التى لا خلاف فيها بين المسلمين .

وليس معنى الإيمان بالقدر اعتقاد أن ما علم الله وجوده من المسببات لابد من وجوده ولو

منقطعاً عن أسبابه ، كما يزعم الجهلاء (إنه إذا كانت السعادة والشقاوة ، والرزق والحرمان ، والنصر والهزيمة ، والصحة والمرض ، والحياة والموت ، كل أولئك سبق به الكتاب، وجف عنه القلم، وطويت عليه الصحف، ولا تبديل لكلمات الله فلا فائدة إذاً فى إتعاب النفس بالأعمال ومحاولة الوصول إلى المقاصد من طرقها التى جرت بها السنن الكونية ، إذ لابد من وقوع المقدر فى وقته المحدد له سواء وَقَعَتْ أسبابه أم لم تقع) .

إن من زعم هذا فقد فكك معنى القدر فآمن ببعضه وكفر ببعضه . ذلك أن الله تعالى كما عَلِمَ الأشياء علم أسبابها ونتائجها وسائر أحوالها وظروفها وربط بعضها ببعض فى علمه . ومجموع ذلك هو القدر . فإذا علم الله أمراً يسر له أسبابه الموصلة إليه فى علمه حتى يقع على الوجه الذى علمه . نبه النبى - ﷺ - على ذلك حين سأله الرجل المزنى أو الجهنى فقال : (يارسول الله ! فيم العمل ؟ فقال - ﷺ - : « إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار[٣]) فلو وقعت المسببات بدون أسبابها التى ربطها بها فى علمه لكان بعض القدر واقعاً وبعضه غير واقع . وهذا جهل كبير - تعالى الله عنه علواً كبيراً .

ولو كانت عقيدة القدر كما يزعمها هؤلاء الجهلاء لكانت مدعاة قعود وكسل ، وباعثة جبن وخور ، بل لكانت معول هدم للشرائع والقوانين ، وأداة لتقويض نظام العالم وفنائه العاجل ، وإذاً لصدق عليها قول بعض الملحدين انها هى إحدى عوامل ضعف المسلمين وخمولهم .

وكيف تكون كذلك وهذا كتاب الله يقرر لنا أن النصر مع الصبر، وأن الرزق مع السعى ، وأن الأمن فى إقامة الحدود ، وأن السعادة مرتبطة بالعمل لها !

يقول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِّنكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ . ويقول : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ ويقول : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ ويقول : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾ . إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وضع الأسباب لمقاصدها ، ونوط المقاصد بأسبابها .

وهذه سنة رسول الله قولية وعملية كلها ناطقة بإتيان البيوت من أبوابها وأخذها من أسبابها ، فقد لبس الدروع فى الحروب ، وحفر الخنادق ، واستعمل العيون والحراس ، واستظهر بالحلفاء ، واستعان بالأصحاب وتداوى وأمر بالتداوى ، وسعى وأمر بالسعى ، وكان يدخر لقوت أهله ما يكفيهم عاماً وأمر بالاقتصاد وقال : « إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » - أخرجه الستة[٤] .

الا قد بلغ الأزهر ، ألا قد بلغ الأزهر ، ألا قد بلغ الأزهر .

وبعد : فهل للحركة الإسلامية الشابة المعاصرة أن تتعقل ؟ وأن تثوب إلى الرشد والصواب .

ولقد صدق رسول الله ﷺ حين قال : « كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

رواه أبو داود وابن ماجة .

فهل سيكف الشباب عن التكفير والمغالاة !!؟

---

(٣) راجع المختار من كنوز السنة لفضيلة الأستاذ الدكتور دراز . وهو من حملة إجازة رواية الحديث .

(٤) راجع المختار من كنوز السنة للدكتور دراز ص ٤٠٩ ، ٤٤٧ ، ٢٤٠ ، ٢٢٢ طبعة الأزهر .

القيم الدينية

للمقدسات الإسلامية

أ. د. عبدالفتاح بركة

تقع فلسطين فى قلب العالم الإسلامى من حيث الصورة المادية ، ومن حيث الصورة الأدبية والروحية ايضا ، وقد كانت لها هذه المكانة منذ بدأ الإسلام ، وقبل أن يدخل الإسلام إليها ، وقد امتزجت هذه المكانة وهذا التقدير بمشاعر المسلمين ، وظلا ينموان ويزدادان ، بعد أن دخلها الإسلام ، واصبحت جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامى . وكيف لا تكون كذلك ، وهى تلك البقعة المباركة من الأرض المحيطة بتلك البقعة المقدسة فى بيت المقدس !! وقد بذل المسلمون لها دماءهم واموالهم ، وطارفهم وتليدهم ، حفاظا عليها ، ورعاية لها ، وتكريما لمقدساتها وحرماتها ، ابتغاء مرضاة الله ، على امتداد الزمن وتتابع القرون منذ نعمت بدخول الإسلام إليها ، ودخولها فى حوزة المسلمين وحمايتهم .

ولبعض الأماكن والأزمان ملامح ومعالم ومشخصات ، تجعلها ترتبط بمشاعر البشر كارتباط الإنسان بالإنسان من أهله وذويه ، ولاشك ان لبيت المقدس والارض المباركة من حوله من هذه الملامح والمعالم والمشخصات الدينية ، ما يجعلها ترتبط بمشاعر المسلمين الروحية والدينية برباط وثيق لا ينفصم ، غرستها النصوص الدينية المقدسة ، واكدتها الممارسات العملية للمسلمين من اهل فلسطين ومن غير اهلها على مر السنين .

وتاريخ علاقة الإسلام بفلسطين عامة ، وببيت المقدس خاصة ـ قديم قدم الإسلام نفسه ، وسواء نظرنا إلى الإسلام بمعناه العام ، وهو أنه : دين الله الذى أرسل به أنبياءه جميعا ، أو نظرنا إليه بمعناه الخاص وهو : دين الله الذى أرسل به محمداً ـ ﷺ ـ خاتم الأنبياء فختم به النبوات والرسالات ، وآلت إليه مواريثهم الروحيه جميعها ، فإن فلسطين وبيت المقدس ترتبط بالإسلام ارتباطا وثيقا على هذا المعنى أو ذاك، وأى معنى من معانى القداسة يحمله دين من الأديان الإلهية السابقة لهذه البقعة من

القيم الدينية للمقدسات الاسلامية

الأرض ، بيت المقدس وما حولها ، فإن الإسلام يحترمه ويقدره ويحمله فى تعاليمه وهدايته إلى الناس ، ويحمل أتباعه أمانة حفظه ورعايته .

وأدنى مراجعة لتاريخ الإسلام والمسلمين بالنسبة لفلسطين وبيت المقدس تُظْهِرَ أن المسلمين لم يفرطوا فى هذه الأمانة ، ولم يقصروا فى أداء واجبهم نحوها ، سواء فى ميدان البناء والتنمية الإنسانية والحضارية ، أو فى ميدان حمايتها وتأمينها والدفاع عنها والتضحية فى سبيلها بكل مرتخص وغال .

وتقع (مدينة بيت المقدس) فى وسط فلسطين ، وفيها (المسجد الأقصى) وهو يعتبر قمة المقدسات فى هذه الأرض عند المسلمين ، وقد نوه بهما القرآن الكريم ، ونوهت بهما السنة المطهرة ، وبرزت فى عواطف المسلمين ومشاعرهم منذ أول فرصة اتيحت لهم لاستنقاذها من يد الرومان على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن بعده على يد أبطال آخرين صانوا حماها ، وافتدوها بالنفوس والأرواح .

أسماء هذه المدينة :

وأقدم اسم يعرف لهذه المدينة كان باسم ساكنيها الأوائل وهم (اليبوسيون) بناة القدس الأولون ، وهم بطن من بطون العرب الأوائل ، نشأوا فى صميم الجزيرة العربية ، وترعرعوا فى أرجائها ، ثم نزحوا مع من نزح من القبائل الكنعانية ، فاستوطنوا هذه الديار وسميت المدينة باسم « يبوس » تبعا لاسمهم . وأغلب الظن أن ذلك حدث حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

وأول من اختطها وبناهـا من ملوكهم « مَلَكِيصادق » وكان محبا للسلام حتى أطلق عليه « ملك السلام » ومن هنا جاء الاسم الآخر للمدينة (سالم) .

وعندما تولى ملكها « سالم اليبوسى » زاد فى بنيانها ، وشيد برجا للدفاع عن المدينة ، وراحت تعرف المدينة بعدئذ باسمها الكنعانى « أورو ـ سالم » اى مدينة السلام[(١)] .

وعندما كانت تخضع لفراعنة مصر فى أوقات مختلفة ابتداء من عام ١٤٧٩ ق . م . كان المصريون يطلقون عليها طورا اسمها اليبوسى « يابيشى » وطورا اسمهـا الآخر « أورو ـ سالم »[(٢)] .

ثم ملكها (داود) عليه السلام ، وكانت حينئذ ذات حضارة ومنازل متقنة وحكومة وصناعة وتجارة ، فأحبها واتخذها عاصمة ملكه ، ولكنه ترك اسمها الكنعانى « أورو ـ سالم » وأسماها (مدينة ـ داود)[(٣)] .

ثم تعرضت هذه المدينة لغزو الأشوريين ابتداء من عام ٧٣٠ ق . م حتى تمكنوا منهاعام ٦٧٨ ق . م ، وكانت تدعى على عهدهم : « يورو سالم » اى مدينة الرب سالم ، وفى بعض الآثار الأشورية ذكرت بهذا الاسم : « أور ـ سا ـ لى ـ أمو » وهو منحدر عن اسمها باللغة الآرامية[(٤)] .

---

(١) انظر عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، ط/ دار المعارف بمصر ، ص ١١ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣ .

(٣) انظر عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ، ط/ دار المعارف بمصر ، ص ١٦ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢١ .

كما كان البابليون من بعدهم يسمونها « أورو ـ سالم »[٥] .

أما فى عهد الأسكندر الأكبر فقد كانت تدعى « يروشاليم » ثم راحت تدعى « هيروساليما » ، وعندما حاصر (تيطس) المدينة عام ٧٠ م كان الرومان يسمونها « سوليموس »[٦] .

وقد عانت هذه المدينة تحت الحكم الرومانى زمنا طويلا ، وشهدت ثورات مختلفة ، وقاسى فيها اليهود والمسيحيون على السواء من عسف الرومانيين ، ولما تولى « إيليا أدريا نوس » عرش الرومان ١١٧ ـ ١٧٨ م شتت أهل المدينة ، وأمر بتدميرها عقوبة لهم ، وأنشأ مكانها مدينة جديدة أسماها باسمه الأول « إيليا كابيتولينا »[٧] واستمر هذا الاسم إلى الفتح الإسلامى حتى ذكر فى العهدة العمرية .

وقد ذكر الزركشى فى كتابه « إعلام الساجد بأحكام المساجد » لهذه المدينة سبعة عشر اسما ، بغير ترتيب ، وإن كان يشير إلى ضبطها ، وإلى ما يتعلق بمناسبة معناها من ذلك قوله :

الثالث : بيت المقدس بفتح الميم وإسكان القاف ، أى المكان الذى يطهر فيه من الذنوب ، والمقدس ، المطهر ، ومنه القدس ، للسطل الذى يستقى به الماء . قال الواحدى : قال ابو على الفارسى : يحتمل أن يكون مصدرا كقوله:« إليه مرجعكم جميعا » ونحوه من المصادر ، ويحتمل أن يكون مكانا على معنى أنه بيت المكان الذى جعل فيه الطهارة ، أو بيت مكان الطهارة ، وتطهيره : إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها[٨] . وقد ذكر من هذه الأسماء أسماء غير مشتهرة مثل : "مصروث"، "بابوش"، ولعلها تعود إلى اسمها عند المصريين « يابيشى » ، « كورشيـلا » ، « أزيل » ، و« صلمون »[٩] .

وبعد الفتح الإسلامى استقر اسمها على « القدس الشريف » و« بيت المقدس » ، وهى أسماء محببة عند المسلمين ، لا يبغون بها بدلا ، ولا عنها حولا .

ويبدو أن اسم (القدس) و(بيت المقدس) لم يكن جديداً على المدينة ولا على المسلمين ، بل لعله كان معروفا منذ أيام موسى ـ عليه السلام ـ وقد يشهد لذلك ما حكاه الله عنه وهو يقول لقومه ﴿ يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينْ ﴾ ـ المائدة ٢١ ، فوصفها بالأرض المقدسة مما يوحى بأنها كانت معروفة عندهم بهذا الوصف ، وهو الذى بقى لها واستقر ، وعرفه الإسلام ، وتحدث عنها رسول الله ـ ﷺ ـ إلى اهل مكة باسم (بيت المقدس) ، وذلك فى أحاديث الإسراء المختلفة ، من ذلك مارواه أنس ابن مالك أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (أتيت بالبراق « وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه » قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس[١٠] ...) ، وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر ، فجلىَّ الله لى (بيت المقدس) ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه[١١] » ..

←

(٥)المرجع نفسه ص ٢٢ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٧) المرجع السابق ص ٣٦ وانظر كذلك ص ١٦٧ ـ ١٧٠ .

(٨) تحقيق الشيخ ابو الوفا مصطفى المراغى ط/ المجلس الاعلى للشئون الإسلامية ص ٢٧٧ ،وانظر ص ٧ من كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلى جـ ١ .

(٩) المرجع السابق ص ٢٧٩ .

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب الايمان باب الاسراء برسول الله ﷺ .

(١١) صحيح البخارى ، كتاب تفسير القرآن ، واللفظ له ، ومسلم كتاب الايمان ، باب ذكر المسيح ابن مريم .

وعندما دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه (بيت المقدس) قال لكعب : أين ترى أن أصلى ؟ قال : « إن أخذت منى صليت خلف الصخرة ، فكانت (القدس) كلها بين يديك ..» .

من هنا يظن أن اسم « القدس » واسم « بيت المقدس » كان معروفا ومتداولا فى ذلك الوقت على عهد الرسول - ﷺ - ، وخلفائه الراشدين وأن المسلمين لم يبتدعوا هذه الأسماء ، وإنما استعملوها وأكدوها فغلبت بعد ذلك على غيرها من الأسماء .

مكانة القدس قبل الإسلام :

إن الأحكام الدينية الخاصة بقداسة بعض الأزمنة والأمكنة ، أحكام ثابتة عند الله منذ خلق السموات والأرض ، من ذلك بالنسبة للأزمنة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ - التوبة ٣٦ . و« بيت المقدس » من هذه الأماكن التى اختصها الله تعالى بتكريم خاص ، وبالتالى فهذا الحكم ثابت لها منذ كانت ، لكن معرفة الإنسان بهذا الحكم ، ونظرته إليها هذه النظرة هى التى يمكن أن ننظر إليها فى ضوء التتبع التاريخى لنعلم متى بدأت أو ظهرت .

وكثير من كتاب المسلمين يذكرون أقوالاً تدل على أن ذلك كان منذ آدم عليه السلام ، وقد تجلت هذه المعرفة فى قيامهم ببناء مسجد بيت المقدس ، يقول مجير الدين الحنبلى : ومن العلماء من قال : بنى مسجد بيت المقدس آدم عليه السلام ، ومنهم من قال : أسسه سام بن نوح عليهما السلام ، ومنهم من قال : أول من بناه وأرى موضعه يعقوب بن إسحق عليهما السلام ، بل يروى عن بعض العلماء : أن أول من بناه الملائكة بأمر الله تعالى[١٢] ، وقد يشتبه ذلك مع ما يتبادر إلى الذهن من أن أول بيت وضع فى الأرض لعبادة الله تعالى ، هومسجد الله الحرام بمكة المكرمة ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران - ٩٦ .

وفى الصحيحين عن أبى ذر - رضى الله عنه - قال : « سألت رسول الله - ﷺ - عن أول مسجد وضع على الأرض ؟ فقال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاما ، ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما أدركتك الصلاة فصل » ، فالقرآن الكريم ينص على أن المسجد الحرام بمكة هو أول المساجد وضعا ، والحديث يبين أن المسجد الأقصى قد وضع بعد المسجد الحرام بأربعين عاما ، وعلى تلك الروايات التى تعود ببناء المسجد الأقصى إلى آدم عليه السلام أو حتى إلى الملائكة فإنه قد يظن أن هذا يعارض مضمون الحديث من ترتيب بناء المساجد ، وأن المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين عاما ، ومع ذلك - وعلى فرض صحة تلك الروايات - فإنه لا تعارض عقلا ، إذ يمكن أن يكون هذا الترتيب قد حدث فعلا بأن يكون البانى نفسه قد بنى المسجد الحرام أولا ، ثم بنى المسجد الأقصى بعده بأربعين عاما .

ومع ذلك فالأقرب إلى الظاهر أن الذى رفع قواعد البيت الحرام هو إبراهيم وإسماعيل

(١٢) الأنس الجليل ص ٨ .

عليهما السلام ، وأن هذا هو المقصود بأولية بنائه ، يبقى بعد ذلك أن يكون بناء المسجد الأقصى بعد ذلك بأربعين عاما ، والشائع أن الذى بناه هو سليمان عليه السلام ، وبينه وبين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أكثر من هذه المدة بأزمان متطاولة !

يقول الزركشى ـ بعد أن أورد هذا المعنى : وهذا القائل جهل التاريخ ، فإن سليمان ـ عليه السلام ـ إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه ، والذى أسسه هو يعقوب بن إسحاق صلى الله عليهما بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر[١٣] ، وقد وجه الحافظ الضياء المقدسى هذا الحديث أن هذين المسجدين وضعا قديما ثم خربا ، ثم بنيا[١٤] .. ومعنى ذلك أن الحديث يتعلق ببناء الكعبة على يد إبراهيم عليه السلام ، وأن المسجد الأقصى وضع بعده بأربعين عاما وعلى ذلك يكون بناء يعقوب عليه السلام له من باب التجديد كذلك لا التأسيس .

والخلاصة من هذا كله ، أن قداسة هذه البقعة ، وقداسة المسجد الأقصى كانت معلومة منذ القدم ، وأن هذا المسجد كان يعاد بناؤه وإقامته كلما خرب ، سواء قلنا : إن أول من بناه هو آدم ، أو سام بن نوح ، أو يعقوب أو سليمان عليهم السلام .

يدلنا على أن هذه القداسة كانت معلومة ما تحدث به القرآن عنها ، وهو يحكى عن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وعلاقتهم بها ، وكذلك عن أحداث أخرى ، فنجده مثلا يقص علينا : كيف نجى الله إبراهيم ولوطا عليهما السلام فيقول ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء ٧١ ـ ويحكى عن قوم موسى ـ عليه السلام ـ ماهيا لهم من هذه الأرض المباركة فيقول : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ الأعراف ـ ١٣٧ ولذلك يناديهم موسى عليه السلام أن يدخلوا هذه الأرض ، ويصفها بالقداسة فيقول : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ المائدة ٢١ .

ويتحدث عن سليمان ـ عليه السلام ـ فيقول : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء/ ٨١ ـ كما يذكر منّته على أهل سبأ حيث جعل بينهم وبين هذه ا لبلاد قرى ظاهرة تيسر لهم طريق المواصلات والأسفار ، يقول تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً ، وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ سبأ ـ ١٨ فوصف هذه البقعة بأنه قد بارك فى قراها .

فوصف القرآن لها بأن الله قد بارك فيها وبأنها الأرض المقدسة ، وأن ذلك مما كان يتم به الخطاب ، يدل على أن هذه القداسة كانت معلومة معهودة ، وأنها كانت من الأمور المسلمة الشائعة .

وعلى مقربة من بيت المقدس وفى إطار تلك الأرض التى بارك الله فيها يقع « القبر » المنسوب إلى سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، وقد دفن عنده إسحق ويعقوب ويوسف عليهم السلام كما يروى ذلك مجير الدين الحنبلى ، كما يروى أيضا عن وجود « قبر » لوط

←

(١٣) الزركشى ،اعلام الساجد ص ٣٠ .

(١٤) المرجع والصفحة .

عليه السلام فى قرية تبعد عن مسجد الخليل بنحو فرسخ ، وكذلك « أيوب » فى قرية من أعمال نابلس ، وشعيب فى قرية من أعمال صفد ، كما نقل أن فى المغارة الغربية تحت المسجد العتيق ستين نبيا منهم عشرون مرسلا ، وأن هذا المكان مشهور يقصد بالزيارة[١٥] ...

ويقال : إن داود عليه السلام هو الذى بدأ ببناء المسجد عند الصخرة بناء على وحى وإرشاد من الله تعالى ، وأنه توفى قبل اتمامه ، فلما تولى الملك بعده نبى الله سليمان عليه السلام اتمه[١٦] ، وروى النسائى وابن ماجه فى سننهما عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ـ ﷺ ـ أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله ثلاثا ، فأعطاه اثنتين ، وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة ، سأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فأعطاه إياه ، وسأله حكما يواطىء حكمه ، فأعطاه إياه ، وسأله من أتى هذا البيت يريد بيت المقدس ، لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فقال رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة .

ويروى الزركشى عن كعب الأحبار أن سليمان بنى البيت المقدس على أساس قديم ، كان أسسه سام بن نوح ، ويروى عن عطاء الخراسانى قال : بيت المقدس بنته الأنبياء ، وعمرته الأنبياء ، والله ما فيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبى .

وظل هذا البناء الذى بناه سليمان عليه السلام معرضا للهدم والنهب والتعمير والتخريب حتى تولى (قسطنطين) عرش الأباطرة الرومان ٣١٣ م ، وتنصر ، وأصبحت إيليا ـ بيت المقدس ـ مدينة بيزنطية تابعة لقسطنيطين .

ولم يمض زمن طويل حتى زارت أمه الملكة هيلانة إيليا (٣٢٦ م) وبنت فيها كنيسة القيامة (٣٣٥ م) وخربت هيلانة البناء الذى كان على الصخرة وجعلتها مطرحا للقمامة نكاية فيمن بقى من اليهود ، وفرض قسطنطين عليهم أن يتنصروا فتنصر فريق منهم ، ومن لم يتنصر قتل أو غادر البلاد[١٧] .

يتبع

---

(١٥) الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلى صفحات متفرقة من ص ٥٠ ـ ٦٨ .

(١٦) انظر عارف باشا العارف ، تاريخ القدس ص ١٦ ، والأنس الجليل ص ١٠٣ ـ ١٠٦ .

(١٧) عارف العارف ، تاريخ القدس ، ص ٢٨ .

مكانة بيت المقدس
وموقف المسلمين منه

للأستاذ
محمد صابر البرديسى

عن ابى هريرة (رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله (ﷺ) (لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا ، والمسجد الاقصى)[1]

اولا اللغة :

١ ـ لاتشد الرحال : النفى بمعنى النهى ، اى لا تشدوا .

٢ ـ المسجد الاقصى : بيت المقدس لبعدم عن مسجد مكة (وكنى بشدها عن السفر مطلقا) .

ثانيا : ما يشتمل عليه الحديث :

١ ـ بيت المقدس قبلة المسلمين الاولى .
٢ ـ القدس مدينة إسلامية عربية .
٣ ـ القدس مدينة مقدسة .
٤ ـ تدويل القدس مرفوض .

البيان

١ ـ بيت المقدس قبلة المسلمين الاولى :
بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى ، حتى قبيل غزوة بدر الكبرى . وحتى نزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[2] .

وحينئذ حول (ﷺ) قبلته فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة « بيت الله الحرام » .

وهو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، هو والبيت الحرام ، ومسجد النبى (ﷺ) بالمدينة . والمسجد الأقصى مسرى النبى (ﷺ) ومنه عرج إلى السماء ، وفى رحابه صلى النبى (ﷺ) بالأنبياء ، وكان لهم إماماً . وهو الأرض المقدسة ، وبه مسجد أبى الأنبياء (إبراهيم عليه السلام) وهى أرض المسيح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام التى يقدسها النصارى ، ويَحُجُّونَ إليها . وهذا المسجد هو المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ، وأنزل فيه قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ

←

(١)رواه الإمام أحمد

(٢) سورة البقر آية ١٤٤ .

مكانة بيت المقدس

﴿ ... الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3]

وسمى بالمسجد الأقصى ، لبعده عن مسجد مكة مسافة أو زمنا ، ولا يستقيم أن تُقْصَد الزيارة بالراحلة إلا إلى ثلاثة مساجد : « المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى » وماعداها من المساجد متساوية الأقدار : وخص الثلاثة بالشرف والفضل لأنها أَبْنِيَةُ الأنبياء ، ومتعبداتهم ، ولأن الأول إليه الحج والقبلة ، والثانى : أسس على التقوى ، والثالث قبلة الأمم الماضية .

فأما بقية المساجد فإنها متساوية فى الفضل والشرف .

٢ ـ القدس مدينة إسلامية عربية :

إن القدس « أو » بيت المقدس » كنعانية عربية أسسها أصحابها قبل أول عهد لليهود بها ، بأكثر من ألفى سنة ، « واسمها العربى « أورسَلِيم » أى بيت السلام »[4] وإن إبراهيم عليه السلام ، وإسحق ويعقوب (إسرائيل) وموسى لم يملكوها ، بل إن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لم يملك لنفسه مقدار قبر يدفن فيه زوجته سارة فالتجأ إلى بعض العرب ، واشترى منهم مغارة ليتخذها مقبرة لها ، وكذلك ابن ابنه : يعقوب (إسرائيل) اشترى من العرب قطعة الحقل التى نصب فيها خيمته ، اشتراها من يد (بنى حمُور) .

وأول اتصال للإسرائيليين ببيت المقدس كان حين فَتَحَها داود ، وظل العرب حينذاك يعيشون فى مدينتهم القدس ولم تنقطع صلتهم بها حتى العصر الإسلامى .

يقول الشيخ عبد العزيز الخياط وزير الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بالأردن :

إننى أؤكد أنه ليس لليهود أى أثر ووجود قديم أو حتى مجرد دليل على وجودهم فى المسجد الأقصى بجميع مساحاته ، ولم يكن لسيدنا داود أو سليمان عليهما السلام ، ولا لأى من اليهود أى وجود تاريخى فى هذه المنطقة بالذات .

وقد حاول اليهود اثبات ذلك عن طريق الحفريات حول المسجد الأقصى ، والتَّلَمُّسُ فى الأدلة التاريخية فلم يستطيعوا أن يأتوا بدليل واحد وجميع التَّسْمِيَات التى تطلق على أماكن المسجد الأقصى هى تسميات إسلامية حاول اليهود تَزْويرها بتسميتها إلى أشخاص أو وقائع يهودية قديمة . وقد تَحَدَّيناهم أن يأتوا بأى أثر يدل على وجودهم التاريخى فلم يستطيعوا اثبات ذلك .[5]

٣ ـ القدس مدينة مقدسة :

القدس مدينة مقدسة فى نظر المسلمين بحكم عقيدتهم الدينية التى تتضمن التصديق بكل الرسالات السماوية ، وبجميع أنبيائه ورسله وبسبب ذلك حافظوا عليها وعلى جميع مقدساتها المُوسَوِيَّة والمسيحية ، والإسلامية بعدل تام ، سجله التاريخ ، وظَلَّتْ على مدى تاريخ المسلمين موضع رعايتهم العادلة التى اعترف بها ورضى عنها العالم أجمع .

إن هذه المدينة تحوى مقدسات دينية يهودية

(٣) سورة الإسراء آية ١ .

(٤) النهاية لابن الأثير ص ٨٠ جـ ١ .

(٥) نشرته الأهرام فى ١٩٨٧/٣/١٣ .

ومسيحية وإسلامية ، ويجب أن يكون الإشراف عليها لمن يؤمن باحترام ما أنزل الله من رسالات ؟

والإسلام كما هو معروف يجعل الإيمان بهذه الرسالات جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية ، وبذلك لا ضمان لجميع هذه المقدسات إلا فى ظل الحكم الإسلامى العربى .

وقد دل التاريخ فى مدى أربعة عشر قرنا على قيام الحكم الإسلامى العربى بهذه الرعاية ، مهما اختلفت الدول الإسلامية التى يمثلها هذا الحكم .

ويروى التاريخ انه فى فترة من الزمن خرج بيت المقدس من سلطان الإسلام وأهله وبَعُد الحكم الإسلامى من القدس ، فنزلت المظالم بنصارى الشرق ، حتى أعانوا الجيوش الإسلامية على رَدِّه لسلطان المسلمين ، ليعود إليهم أمنهم الذى فقدوه .

إن بيت المقدس أرض من أرض الإسلام اغْتُصِبَتْ منا اغتصابا ، واغتصبت مع اغتصابها حريتنا الدينية ، وحرية النصارى أيضا وكان حقا علينا بمقتضى العهد الذى قدمه الإمام عمر أن نسترد من المغتصبين ما أغتصبوه ، وأن ندافع عن الأرض التى هى أرض الإسلام .

وإن عهد عمر لازال فى رقاب المسلمين إلى اليوم .

إن الشعب العربى ، فى القدس ، ينتظر من كل الشعوب العربية والإسلامية أن تسانده ، ولو تم له ذلك ، فإنه سينتصر بإذن الله ، وتعود القدس بصخرتها المشرقة ، ومسجدها المبارك إسلامية عربية وتظل على مدى التاريخ مدينة النور والسلام . إن القدس تستغيث ، ومسجدها الشريف ، بناؤه وصخرته الطاهرة تنتحب ، وتُرَاثُها الدينى كله يتألم وتهدده الأخطار ، وكل اثر فيها يناشد المسلمين عامة فى كل مكان والشعوب العربية خاصة ، بل وكل الأحرار فى العالم أن يُنْقذُوه ، ويُخَلِّصُوا القدس من نير الاستعباد والاستعمار .

٤ ـ تدويل القدس مرفوض :

إن ما يشاع فى الأوساط ، على أى مستوى من المستويات عن تدويل القدس أمر يرفضه الإسلام والمسلمون لأن ذلك يخرج المدينة المقدسة عن وضعها الطبيعى وفيه افْتِئات وتجرؤ على حقوق العرب والمسلمين ، أذ أن ذلك ينقص حقوقهم فى بلادهم التى أثبت التاريخ حسن قيامهم على حكمها .

إن الأمل فى الله سبحانه وتعالى قائم ، ونصره إكيد لمن اتبعه وآمن بهداه قال تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾(٦) .

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ واخْشَوْه يكن النصر لكم ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) أن عمر بن الخطاب ، اتى النبي (ﷺ) بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبى (ﷺ) فغضب ، وقال : اتتهولون(٧) فيها يابن الخطاب ثم قال آخر الحديث :

والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى) .(٨)

إن المسلمين أحفظ الناس لقدسية هذه المدينة .

وفق الله المسلمين للحفاظ على مقدساتهم ، واسترداد ما اغتصب منهم ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(٦) سورة النور آية رقم ٥٥

(٧) اى اتتحيرون فيها .

(٨) رواه الإمام احمد .

فى ذكرى الإسراء والمعراج

معارج الأرواح

مع شهر رجب المعظم تتجدد الذكرى العطرة للإسراء والمعراج ، هذه الذكرى التى تعيد إلى الأذهان المعنى العميق لارتباط الأرض بالسماء ، فى أعظم رحلة قام بها الإنسان ممثلا فى نبى الإنسانية الأعظم سيدنا محمد ـ ﷺ ـ حيث أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ، وليريه من آياته إنه هو السميع البصير . ومن هناك عرج به إلى السموات العلا ، متخطيا حواجز الأرض وقوانين الكون . ومتخذا من « جبريل » عليه السلام ـ رفيقا له فى رحلته التى شاهد فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر .

ولم يكن اختصاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه المصطفى ـ ﷺ ـ بهذه المزية العظمى إلا لإظهار فضله على الكائنات ، ورفع قدره فى الأرض والسموات ، وتشريفه بعالم يتشرف به نبى قبله قط ، فقد علت قدمه فوق كل قدم ، وأرسل إلى أهل السموات إرسال « تشريف » ، كما أرسل إلى أهل الأرض إرسال (تكليف) ،

وحشدت له الأنبياء والرسل ليؤمهم فى صلاة جامعة تشهد بإيمانهم به ومبايعتهم له تصديقا لقول الحق ـ جل وعلا ـ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُوا أَقْرَرْنَا . قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران ٨١ .

وتشريف النبى ـ ﷺ ـ بهذه المنزلة تشريف لأمته ، وإشهار لفضلها بين الأمم ، وإعلاء لقدرها فى الآفاق ، فهى أمة النبى الخاتم ، الذى حظى بما لم يحظ به غيره ممن سبقه من الأنبياء والمرسلين ـ عليهم السلام .

كل نبى يفيض على أمته من علمه

وليس من شك فى أن كل نبى يفيض على أمته من العلوم والمعارف والهدى على مستوى المعين الذى ارتوى منه ، وعلى قدر ما وصل إليه قدره من التعريف والتكريم والاجتباء ، والأنبياء يتفاضلون فى ذلك بشهادة القرآن الكريم ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ البقرة ٢٥٣ ـ ومنزلة نبينا ـ ﷺ ـ فى العلم أسمى منزلة ، جاءت له .

من باب الوهب الذى وهبه الله إياه مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ النساء ١١٣ .

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

ومن باب الطلب امتثالا لقوله تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ طه ـ ١١٤ .

ومن باب المشاهدة التي استطلعها في ليلة الإسراء والمعراج ، مصداقا لقوله ـ تعالى ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ النجم ـ ١٨ .

ومن باب الوحي الذي تلقاه مصداقا لقوله ـ تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الشورى ـ ٥٢ .

ومن باب الجهاد ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ العنكبوت ـ ٦٩ .

فلاشك في أن يكون العلم الذي ورثه النبي ـ ﷺ ـ لأمته وعلمها إياه زائداً على علم غيرها من الأمم ، تستحق أن تتبوأ به من المنازل الرفيعة مالم تصل إليه أمة أخرى .

غرابة الحادث ومغزاه

والإسراء والمعراج معجزة للنبي ـ ﷺ ـ لاشك فيها ، جاءت تسرية له عما أصابه من آلام جسام بسبب تكذيب قومه له ، وتصديهم بالمقاومة الشرسة لدعوته الرشيدة ، وإيذاء أصحابه وتعريضهم لصنوف العذاب الشديد ، ولولا تثبيت الله لهم وقوة عقيدتهم وعظمة إيمانهم لما أطاقوا الاحتمال .

ولقد جاءت في وقت اختار الله فيه إلى جواره زوجته البارة الوفية السيدة خديجة ، التي كانت الساعد الأيمن له واالصدر الملىء بالرحمة والحنان ، ومات عمه أبو طالب ، وقد كان ـ على الرغم من عدم إيمانه ـ يقف إلى جواره يشد من أزره ويقوى من عضده ، حتى قال النبي ـ ﷺ ـ « ما نالت مني قريش شيئا حتى مات أبو طالب » .

جاءت هذه المعجزة في ذلك الوقت لتشعر النبي ـ ﷺ ـ أن قوة الله أكبر من كل قوة ، وأن رحمته أوسع من كل رحمة ، وأن العناية الكبرى التي شملته تستطيع أن تمده بما يشاء ليستمر في أداء رسالته ، على النحو الذي يريده لها ربه جلت حكمته وتباركت عظمته .

لقد كان الإسراء والمعراج في نهاية النصف الأول من العام الثاني عشر من بدء البعثة تقريبا ـ أي قبل الهجرة بعام ونصف ـ كما يرى كثير من العلماء ـ وهذا الوقت هو منتصف البعثة على وجه التقريب ، فكانت هذه الرحلة حدا فاصلا بين عهدين : عهد التحمل واختزان الطاقات ، وعهد الجهاد والكفاح .

ربى النبي ـ ﷺ ـ أصحابه في خلال تلك المدة السابقة على الصبر وتحمل المشاق والمكارة وقهر النفس وقمعها عن الاندفاع والتسرع ، حتى أصبحت طيعة لهم سلسة القياد لما تتطلبه الدعوة منهم ، حتى إذا ماتمكنت هذه العادات الطيبة فيهم ، واستضاءت الأرواح بنور الله ، وانطلق المسلمون إلى الهجرة انطلقت معهم تلك الطاقات المخزونة قوية زاخرة لا تلوى على شيء ، وحين إذن لها بالجهاد سارت تبشر بنور الله .

عالمية الدعوة

كان الإسراء إلى بيت المقدس إشعاراً بأن الإسلام ليس مقصورا على الجزيرة العربية .

←

وليست دعوته مقصورة على العرب وحدهم ، كما كانت الرسالات قبل الإسلام ، وكما كانت الرسالتان السابقتان مقصورتين على بنى إسرائيل فحسب وحتى قال عيسى عليه السلام : « إنما جئت لأهدى خراف بنى إسرائيل الضالة » وحتى رأينا اليهود متقوقعة على جنس واحد لاتتخطاه .

لقد كانت رسالة الإسلام عامة شاملة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ سبأ ٢٨ . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء ١٠٧ .

فلابد أن تشمل فيما تشمل المكان الذى انبثقت منه الرسالتان السابقتان اليهودية والمسيحية ، ولتثبت أن رسالة الله لا تتعدد فى جوهرها ، وقد جاء الإسلام متمما لمكارم الأخلاق ومكملا لخطوات الأنبياء السابقين برسالته الخاتمة التى لا تأتى بعدها رسالة أخرى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ - الأحزاب ٤٠ - ومصححا للانحرافات التى وقع فيها أتباع الرسل السابقين ، ومصوبا للأخطاء التى أضيفت عن عمد وغير عمد إلى النصوص المقدسة والتعاليم الربانية الصافية .

ولعل أمر المسلمين فى أول فرضية الصلاة بالاتجاه إلى بيت المقدس فى صلاتهم إشعار لهم بهذا المعنى الجليل العميق ، معنى (واحدية) الرسالة السماوية وعدم تعدد منابعها ، فالمعين واحد والمشكاة واحدة والمعبود واحد لاشريك له ، والأنبياء جميعا منذ خلقت البسيطة خطواتهم متلاحقة يتمم بعضها بعضا ، حتى ظهر الكمال المطلق بالقرآن الكريم الذى تعهد إليه بحفظه ، وبرسوله الكريم الذى بعثه الله رحمة للعالمين .

ماتثيره الذكرى من أحاسيس

إن هذه الذكرى تثير فى نفوس المسلمين اعتزازا بدينهم ، وتبعث فيهم قوة اليقين الذى يضىء جوانب النفس ،، ويطلق الروح إلى عوالم الكون فترتاد منها ما يبعث الشوق إلى الملأ الأعلى ، وما يذخر به من نور ومثل .

وتذكر المسلمين بواجبهم نحو المسجد الأقصى الذى جعله الله مسرى لنبيه - ﷺ - وأولى القبلتين فى الصلاة وثالث الحرمين ، ولعلهم يستطيعون بإنطلاقة روحية قوية أن يخلصوه من قبضة الوثنية الصهيونية ، ويعيدوه حرا طليقا يستطيع أن يحج إليه من يشاء من خلق الله ، فما جعل الله تلك الأماكن المقدسة لتحاط بالحديد والنار ، ويستأثر بها قوم دون آخرين ، ولكنه جعلها حرما آمنا يجد الجميع فى ظلها الأمن والسلام والاطمئنان .

ولكن الإثارة المثلى لمن تشده أشواق الذكرى إلى الآفاق العليا والملكوت الأعلى .

لقد رسم النبى - ﷺ - بحديثه عن مشاهداته الراقية الطريق لأمته نحو التأمل الصافى ، والتفكر فى خلق السموات والأرض ، ليصل منه الإنسان إلى حقائق ما يكون ليصل إليها لو وقف جامد الفكر جامد الحس بليد العقل .

دعوة الإسلام إلى الفكر

والإسلام من بين الأديان الثلاثة يدعو إلى التفكر والتأمل ويشجع على البحث ، وآياته العديدة تشهد بذلك ، من ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِى الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران ١٩٠/١٩١ .

فهو لا يشجع على التفكر فى السموات إلا وهو يدعو إلى النظر إليها ، وتوجيه القلب والفكر لها ، عله يستطيع عن طريق تأمله ذلك أن يصل إلى بعض أسرارها المستكنة وغيبياتها المستورة .

بل إن سورة النجم التى أشارت إلى المعراج بدأت بالقسم بالنجم إذا هوى لتلفت النظر من المشاهدة الحسية إلى التفكر فيما وراءها من أسرار حكيمة ودقائق عظيمة ، وإنها لتنعى على الجامدين وقوفهم عند ظواهر من العلم ربما أضلت وما أرشدت فتقول « وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » وتقول : « ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ » ثم إنها تختم آياتها باستنكار موقف من يقابل هذا الحديث بالعجب والسخرية دون أن يفطن لما فيه من آيات ودلائل وعبر .. « أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ » ؟

لقد راد النبى ـ ﷺ ـ السماء بجسمه واطلع عليها بحسه ، وميراث أمته من ذلك أن يمعنوا النظر ويوجهوا الفكر ، وهم حريون بذلك أن يفتح الله بصائرهم ، فيلهمهم من فيضه ـ جزاء وفاقاً لجهودهم ـ ما يدهش العقول وتعجز عنه الفهوم ، وهذه هى السياحة الفكرية التى استشف فهمها بعض المتذوقين من المفسرين لقوله تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ ﴾ .. التوبة ١١٢ .

الطموحات الروحية وكيف تتحقق

وليس غريبا أن يفتح الإسراء والمعراج للمسلمين آفاقا جديدة من المعرفة ، فيعرجون بأرواحهم إلى السماء كما عرج إليها نبيهم ـ ﷺ ـ بجسمه ، فهى فى حقه معجزة لأنها خرقت قوانين الأرض ومنطق الحياة ، وهى فى حق أمته تشريع لأن يجولوا بأفكارهم ويبحثوا بعقولهم وينطلقوا بأرواحهم وراء الحقيقة فى هذا الكون العظيم .

إنها طموحات لمن اختصهم الله بفضله أن يخاطروا بالفكر العميق المبنى على أسس التقوى ، ليصلوا إلى غاية أبعد فى العلم والمعرفة ، وقد وضع العارفون من العلماء وسائل لذلك استنبطوها من الكتاب والسنة ـ هى ما يسمونها جهاد النفس ، وما يطلقون عليه اسم « الجهاد الأكبر » .

وأطلق عليها اسم الجهاد الأكبر لأنها جهاد عدو غير متطور ، هى جهاد الهوى والشيطان والوساوس والرغبات والتطلعات والشهوات ، هى قطع النفس عن مألوفاتها ، وردها صاغرة لتنصاع ـ عن طريق التمرس بالطاعات والرياضات المختلفة ـ لأمر الروح ، حتى لا تصبح منافسة له ، فتتوزع همة صاحبهما بين الإقبال والأدبار والطاعة والمعصية ، إن القلب ينبغى ان يكون له سيد واحد هو الذى يستوى على عرشه ، فإن تغلب الروح انصاع جميع ما فى البدن له . وإن تغلبت النفس انصاع لها كل ما فى البدن . وما أبعد الفرق بين الإنسان الروحى والإنسان النفسى ؟

جهاد النفس وأثره

إن الوسيلة العظمى لارتياد الآفاق العلا هى « الجهاد الأكبر » الذى يشير إليه قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات ٤٠ ، ٤١ ، وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت ٦٩ ـ وغير ذلك من الآيات .

وقد حث النبى ـ ﷺ ـ على هذا الجهاد بقوله « ما تقرب إلى عبدى بشىء أحب مما افترضته

عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » حدث به أبو هريرة - رضى الله عنه - ورواه البخارى فى صحيحه وذكره الإمام النووى فى رياض الصالحين - باب المجاهده -

فالجهاد هو الذى يفتح للمجاهد آفاق المعرفة والقرب من الله ، جاء فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى عن أنس « إذا تقرب العبد إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا ، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة » وهذا هو المعراج الحقيقى للروح ، المعراج الذى يوصل المجاهد إلى حضرة الحق ، ويعرفه على واجب الوجود - سبحانه وتعالى .

دروس من السيرة

فالإسراء والمعراج لم يكونا حدثا عارضا فى حياة النبى - ﷺ - ولكنهما كانا أمرا له أهميته التشريعية ومدلوله العظيم فى حياة المسلمين .

وأى نقطة يلتقطها المسلم من هذا الحدث والحديث الوارد فيه تترك فى نفسه أروع الآثار وتحفزه إلى الانتفاع بسيرة نبيه - ﷺ - وتدعوه إلى التفكر الذى يفتح أمامه الطريق إلى المعرفة .

وقد أشار إلى ذلك الحكيم ابن عطاء الله السكندرى فى حكمة :

« ما نفع القلبَ شىء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره » .

وفى التعليق على هذه الحكمة يستشهد الرندى شارح الحكم يقول كعب : من أراد شرف الآخرة فليكثر الفكر .

وقيل لأم الدرداء : ما كان أفضل عمل أبى الدرداء ؟ قالت : التفكر .

ذلك لأن التفكر يطل به الإنسان على حقائق الأشياء ومعرفة الحق من الباطل ، ثم يصل من وراء ذلك إلى معرفة الله . وهذا هو المعراج الأعلى .

قال الحسن البصرى : الفكر مرآة تريك حسنك من قبحك ، وتطلعك على عظمة الله تعالى وجلاله .

قال يحيى بن معين : التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن الحوارى فقال ابن حنبل لابن أبى الحوارى : يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبى سليمان الدارانى فقال : يا أحمد ، قل : سبحان الله بلا عجب - فقال أحمد بن حنبل : سبحان الله ، وطولها - بلا عجب - فقال ابن أبى الحوارى : سمعت أبا سليمان يقول : إذا عقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت ، وعادت إلى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير ما يؤدى إليها عالم علما .

فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا ، وقال : ما سمعت بحكاية أعجب من هذه ، ثم ذكر الحديث : من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم .

هدية الذكرى

إن أجل ما تهدى لنا ذكرى الإسراء والمعراج أن يتوق الإنسان إلى معرفة ربه ويتشوق إلى الدرجات العلا ، ويحقق فى نفسه معنى خلافة الله فى الأرض ويكون كما قال الشاعر :

فكن رجلا رجله فى الثرى
وهامة همته فى الثريا ..

وهذه الهمة العالية كفيلة أن تصل به إلى أبعد الغايات بتوفيق الله ومشيئته .

من أسلوب المعاهدات

فى القرآن الكريم

د. عبد الحليم حفنى

من المعروف أن من اهم ما تتميز به المعاهدات والاتفاقيات هو الاهتمام باسلوب صياغتها، فكل من طرفى الاتفاقية يحاول ان يبذل كل جهده وبراعته فى ان يجعل نص المعاهدة متضمنا امرين :

١ - أحدهما وضوح حقوقه كاملة .
٢ - عدم وجود ثغرات فى صياغة نصوص

المعاهدة يمكن أن يستفيد بها الطرف الآخر فيما لو حاول أن يلتوى أو أن يفسر النص لمصلحته وهذا يسرى على كل العقود التى تبرم بين طرفين ، من حيث التركيز على أسلوب صياغتها بحيث تتضمن حقوق كل طرف ، وتمنع أن يستغلها أحد الطرفين فى تفسير شىء منها لصالحه ، ولذلك يعتمد جهد المحامين فى دفاعهم على إبراز منفذ أو ثغرة فى نص الاتفاق ليفسروه لمصلحة موكليهم حينما ينشب خلاف حول تطبيق أو تنفيذ هذا الاتفاق ، ومن المشهور أن اليهود يستغلون هذه الثغرة فى نص قرار الأمم المتحدة الذى يقضى بإنسحاب إسرائيل من (أرْضٍ احتلتها سنة ١٩٦٧) ويحاولون تفسير ذلك بأن القرار إنما يلزمهم بالإنسحاب من أى ارض ولو كان جزءا من الأرض المحتله ولو كانت الصيغة هى الأنسحاب من (اْلأَرضِ) التى احتلوها لما كانت هذه الثغرة التى نشأت من عدم وجود الألف واللام فى كلمة الأرض ، والتى قُصدت فى أغلب الظن عند الصياغة قصداً .

والقرآن الكريم يعلمنا فيما يعلمنا كيف يصاغ العقد أو الاتفاق ، بل يعلمنا كيف يكون الحوار حول المعاهدات ، وكيف يكون الحرص على دقة صياغتها ، وذلك من خلال اتفاقية موسى عليه السلام مع العالم الربانى الذى يروى أن اسمه الخضر .

ومن ملابسات هذه الاتفاقية التى يسوقها القرآن الكريم فى صورة قصة من سورة الكهف ، ومضمونها أن موسى عليه السلام - وهو نبى مرسل يرى نفسه - وهو على حق - أنه بهذه الصفة ينبغى أن يكون أعلم أهل زمانه وأفضلهم ، لأنه لو كان هناك من هو أعلم وافضل منه لكان أولى بالرسالة.، فهو يحرص حرصا شديداً على أن يلم بكل العلم فى كل فروعه ، ولكن

←

من أسلوب الاتفاق في القرآن

الله سبحانه يريد أن يعلمه أن كمال العلم فوق مستوى البشر، بل المخلوقات جميعا، وأن العلم الكامل لله وحده، ولا ينبغي أن يكون لأحد سواه، ومقتضى هذا أن العلم الكامل لا حدود له، ولا تدرك سعته ـ فضلاً عن تفاصيله ـ مدارك البشر، والقرآن يشير إلى هذا في أكثر من موضع، وبأكثر من أسلوب.

ومن ذلك قوله تعالى يخاطب نبيه العظيم محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ومن ذلك هذا التصوير لسعة العلم الكامل بأنه لو قطعت كل أشجار الأرض وحولت إلى أقلام، ثم أصبحت كل بحار الأرض ومحيطاتها مداداً ومعها سبعة أمثالها، فكل ذلك ينفد، ولكن علم الله لا ينفد ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾. (سورة لقمان ٢٧).

وقد أخبر الله موسى بأن هناك عالما لديه فرع من العلم لا يعلمه موسى هو العلم الرباني، وأن مكانه عندمجمع البحرين، وبحرص موسى الشديد على تحصيل كل علم نافع أصر على بلوغ هذا العالم مهما تكبد، ولو قضى أحقاباً من الزمان في سفره إليه، فشد رحله، وعبر عن تصميمه هذا بقوله لخادمه كما في القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ وبعد عناء ونصب وأحداث وصل ومعه خادمه إلى هذا الشخص الذى حدد القرآن له ميزتين صادرتين إليه من الله مباشرة، بما يوحى أنه كان في هاتين الميزتين على صلة بربه بدون واسطة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ والرحمة هنا تشير إلى الوحى والصلة الخاصة بينه وبين الله كما في قول نوح عليه السلام لقومه ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ ﴾ (سورة هود ٢٨)، ولكن الذى يعنى موسى ـ عليه السلام ـ والذى تكبد من أجله ما تكبد هو الميزة الثانية، وهى ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ فهو علم خاص غير مكتسب، بل هو منحة من الله مباشرة لهذا العالم، في صورة نوع من علم الغيب.

ووصل موسى إلى العالم (الخضر) وبدأت المفاوضات بينهما، موسى يريد بكل وسيلة وكل حرص أن يكون طالب علم لدى الخضر، ليتعلم علمه الربانى، والخضر بوصفه عالما لا ينبغى أن يحجب علمه عمن يستفيد به.

وقد بدأ موسى المفاوضة بأن عرض على الخضر مشروع اتفاق كان نصه: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾؟

وقد تبدو هذه الصيغة قليلة الكم في الكلمات، ولكننا حين نتأملها من حيث اللغة وحدها ودون إضافة اى آراء أو تأويلات نجد أنها تتضمن فيضا من الدقة في الشروط والشمول والاحتراز وحسن التوصل، ومراعاة الملابسات، ومن ذلك:

(هل) وهى أداة استفهام، وملابسات الموقف تؤكد أن موسى مصمم على طلب هذا العلم، فكان المتوقع أن تكون الصيغة، موضحة لرغبة موسى كان يقول: عَلِّمْنى، أو أريد أن أتعلم منك، ولكنه يصوغ رغبته في صورة سؤال، لأكثر من سبب، منها: أن رفض المعلم في حالة السؤال أخف حرجا منه في حالة الطلب، فحينما يسأله موسى: هل توافق على تعليمى فإنَّ رَفْضَ الخضر بقوله (لا) أخف حرجا مما لو قال له: علمنى فيرد بقوله: (لا)؛ لأن الجواب المتوقع للسؤال إما لا وإما نعم، بخلاف الطلب.

(أتبعك) وهى تتكون من كلمتين :

(أتبع) بمعنى أكون تابعا لك ، والسياق يحدد أنها تبعية علمية بمعنى أنى لا أعارضك ولا أخالفك فى محيط التعليم ، وهذا هو البند الأول فى مشروع الاتفاق ، وكأن موسى يقول له : إذا وافقت على تعليمى فالبند الأول أن من حقك أن ألتزم التبعية العلمية لك ، وبهذا الشرط لا يستطيع هذا الطرف مضايقة الطرف الآخر بمعارضة أو مزاحمة علمه بعلم أو رأى آخر ، وهذا القيد لا تؤديه ألفاظ أخرى ، فلو قال موسى مثلا : هل تقبلنى طالب علم عندك ؟ فإن هذا التعبير يؤدى الهدف الذى يريده موسى ولكنه لا يحقق التزامه بما يؤديه لفظ التبعية .

(الكاف) وهى ضمير الخطاب فى (اتبعك) ومع صغر لفظها إلا أنها تمثل هنا بندا كاملاً فى مشروع الاتفاق ، فبهذا اللفظ (الكاف) يقيد موسى التعليم بأن يكون على يد الخضر نفسه ، لأنه يشترط صراحة أن تكون التبعية للخضر ، وهو شرط ذو أهمية فى الاتفاق ، حيث يلتزم الخضر حينئذ أن يعلم موسى بنفسه ، ولولا هذه الكاف لكان يمكن افتراضا أن يأتى الخضر بعد حين بمعلم مكانه ليعلم موسى ، كما يحدث فى دور التعليم ، فإن قبول الطالب فى مدرسة أو كلية يتضمن أن هذه الدار تلتزم تعليم هذا الطالب ، ولكنه لم يشترط معلما معينا فمن حقها أن تأتيه بأى معلم ، ولكن دقة صيغة القرآن أن هذه الكاف توضح أن التبعية العلمية من موسى إنما تكون للمخاطب وحده وهو الخضر (أتبعك) وكأنه يقول : والبند الثانى ، أن تكون أنت نفسك المعلم لى .

(على) حرف جر يعرف فى اللغة بأنه يفيد (الاستعلاء) ومعنى الاستعلاء هنا من الدقة البالغة فى أسلوب القرآن ، فإن اللفظ السابق وهو (اتبعك) يوحى بنزول مكانة موسى عليه السلام من حيث إنه تابع ، فيأتى لفظ (على) موحيا بالاستعلاء ، فيحدث التوازن بين النزول والاستعلاء ، فتعود فوراً إلى موسى منزلته ، فكأنه يقول : مع تبعيتى لك إلا أننى أشترط عليك ، والاشتراط إنما يأتى من مصدر العلو والقوة ، وهذا لا يتحقق بدون لفظ (على) .

(أن تعلمنى) وصياغة هذا الشرط تحمل دقة بالغة لا تتوافر فى تعبير آخر مماثل ، فلو كان التعبير مثلا : هل أتبعك على أن أتعلم منك ، فإنه يحقق مصلحة موسى ، ولكنه يضر بموقف الخضر ، لأنه كأنه يشترط عليه شرطا غير منطقى ، لأن تعبير ـ أتعلم منك ـ معناه أن أستفيد منك علماً ، فلابد حينئذ أن يستفيد موسى علما حتى يوصف بأنه (تعلم) وهو شرط غير منطقى لأن المعلم لا يملك أن يجعل المتعلم يستفيد مهما حرص على ذلك ، وإنما يملك أن يقدم إليه علمه فى صورة واضحة ، ولذلك كان تعبير موسى (على أن تعلمن) بمعنى على أن تقدم إلى علمك ، ثم لا عليك أن أحصل هذا العلم أو لا أحصله ، وكأن موسى يقول فى مشروعه ، والبند الثالث أن تقدم إلى علمك بصرف النظر عن استفادتى أو عدم استفادتى (مما) وتتكون من كلمتين : (من) و(ما) .

فأما (من) فهى حرف جر يفيد فى اللغة التبعيض ، وأما (ما) فهى اسم موصول بمعنى (الذى) ومضمون الكلمتين فى صيغة (على أن تعلمن مما علمت) أننى لا أشترط عليك أن تقدم إلى كل علمك ، وإنما تقدم إلى بعضه ، وهذا التعبير فضلاً عن أنه يمثل حسن التوسل ، وسمو الذوق فى أسلوب الوصول إلى الهدف ؛ فإنه يمثل شرطا مهما فى دقة نصوص الاتفاق ، فلو كان التعبير مثلا : على أن تعلمنى علمك ، فإنه يلزم

من أسلوب المعاهدات فى القرآن

الخضر أن يعلمه كله علمه ، وهذا يحدث خللا فى الإتفاق من ناحيتين :

إحداهما : انه ليس من المنطقى أن يطلب طالب علم كل ما لدى المعلم من علم ، فإن العرف يقضى بأن الذى يقدم للطالب فى أية مهنة هو القدر المناسب الذى يستفيد به ، وأقصاه القدر الذى يؤهله ليكون معلماً فى مهنته .

والخلل الثانى : أن اشتراط تقديم كل العلم يفتح بابا للمماحكة والالتواء فيما لو افترضنا غير هذه القصة ؛ فإن الطالب يستطيع أن يلتوى إزاء هذا الشرط ، فلو افترضنا أن المعلم قدم إليه علمه فإنه يستطيع أن يدعى أن ما ناله ليس كل مالدى المعلم ، وليس لدى المعلم دليل قط ينفى به هذه الدعوى ؛ لأن العلم فى أية مهنة لا حدود له ، بخلاف ما لو ثار الخلاف حول بعض العلم ، فإن العلم والعرف ، أحدهما أو كلاهما ، يحدد فى العادة البعض المناسب الذى يقدم إلى الطالب .

وحينئذ كأن موسى يقول فى مشروع اتفاقه : والبند الرابع أن تقدم إلى بصفتك معلما قدراً مناسبا من علمك .

(عُلِّمْتَ) مبنى للمجهول ، والأصل مما علمك الله ، فالله سبحانه هو المعلم لأن السياق فى : (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً) يحدد أن العلم من الله مباشرة ؛ وهذه الصياغة فى البناء للمجهول ذات أهمية كبيرة فى دقة شروط الاتفاق ؛ لأنه لو كانت الصيغة مثلاً : على أن تعلمنى من علمك ، أو مما عَلِمْتَ بالبناء للمعلوم ، فإنه يمكن حينئذ لمن فى مكان الخضر أن يلتوى ويعلمه علما مكتسبا من علوم الدين أو الدنيا ، ويقول له : نحن اشترطنا أن أعلمك من علمى ، وهذا من علمى ، ولكن بناء الفعل للمجهول يحدد أن العلم المطلوب ليس علماً اكتسبه الخضر اكتسابا بجهده ، وإنما هو علم ممنوح من علم الله منحا ، وهو علم الغيب .

(التاء) والتاء فى (عُلِّمْتَ) ضمير المخاطب ، وهى تؤدى فى الاتفاق دقة كبيرة ، حيث تحدد أن المقصود ليس كل علم ممنوح من الله ، وإنما العلم الممنوح للخضر بالذات ، وكأن موسى يقول له : إننى لا أطلب علما مطلقا ، ولا مطلق علم ممنوح من الله ، وإنما أطلب العلم الممنوح لك انت ، والذى تتميز به عن غيرك ، ويكون واضحاً حينئذ أنه علم الغيب ، ولولا التقييد بتاء الخطاب لوجدت ثغرة فى نصوص الاتفاق تتيح لمن يريد (الالتواء) أو التأويل أن يفسر النص على وجه يريده ، ولكن موسى بهذا كأنه يقول له : والبند الخامس هو أن يكون العلم الذى تعلمنى إياه هو العلم الذى ميزك الله به عن غيرك ، وليس علماً آخر .

(رُشْداً) والرشد هو الخير والفلاح ، وهذا اللفظ يحدد منهج العلم المشروع تعليمه ، وهو أن يكون علماً نافعاً فى أى مجال وأي غرض ، وكأن موسى بهذا القيد يقول له : والبند السادس أننى التزم ألا أستخدم هذا العلم إلا فى مجال النفع .

وكل هذه البنود أو الشروط الستة تتضمنها هذه الكلمات المعدودة ﴿ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً ﴾ .

وفى مجال المفاوضة حول مشروع الاتفاق الذى يقدمه موسى ، يرد الخضر على موسى ليس برفض التعليم ، فإن العلم لا يجوز حجبه عن طالبه دون سبب مقبول ، وإنما يرد بأن هذا الاتفاق لا فائدة منه ، لأنه يعلم على وجه اليقين أن موسى لن يصبر على هذا العلم ، ومصدر هذا اليقين عند الخضر أنه يعلم مقدما أن ما سيصدر منه فى صحبة موسى إياه معظمه فى صورة منكر عظيم ، وموسى يستحيل أن يسكت على منكر ، ولهذا

يؤكد الخضر لموسى قائلاً : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾ .

وإعجاز القرآن فى دقة أسلوبه يدعونا إلى تأمل ما يتضمنه رد الخضر ، فقد يقال إن رد الخضر فيه إطناب لا ضرورة له ، وأنه كان يمكن إيجاز رده فى مثل قولنا (لن تصبر) ولكن الكلام لو جاء على هذا النحو لفقد أهم ما يتضمنه رد الخضر ، أما رد الخضر فإنه يتضمن فيما يتضمن ما يأتى : (إنك) .

تتضمن تأكيد أن موسى لن يصبر ، والخضر يعلم هذا مقدماً ، وإذن فما دام الخضر يعلم مقدماً عدم جدوى تعليم موسى هذا العلم فمن الحكمة أن يصرفه عنه ، ولو كان رد الخضر خاليا من التأكيد لكان لدى موسى أمل ، والخضر يريد أن يقطع عليه هذا الأمل فى هذا التعليم .

﴿ لَنْ تَسْتَطِيعَ ﴾ لو قال له الخضر - لن تصبر - لكان فيه إيهام نفى صفة الصبر عن موسى ، والصبر فضيلة فى أى إنسان فضلاً عن نبى مرسل ، فنفيها عن موسى ولو إيهاما فيه انتقاص شديد من موسى ، ولذلك يقول له ﴿ لَنْ تَسْتَطِيعَ ﴾ بمعنى أن الصبر على هذا العلم فوق طاقتك ومقدرتك ، فيكون من باب ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ وكأن الخضر بهذا يعتذر عن موسى بأنه لا يؤاخذه ولا يلومه على عدم الصبر حيئنذ ، لأنه أمر خارج عن استطاعته .

« معى » زيادة فى توضيح عدم المساس بصفة الصبر فى موسى ، وكأنه يقول : إننى لا أعنى نفى صفة الصبر عنك أو انتقاصها ، وإنما أعنى انك لن تستطيع الصبر فى حالة معينة فحسب ، هى مصاحبتك إياى ﴿ مَعِيَ ﴾ وإنما كانت هذه الزيادة فى التوضيح لأن صفة الصبر من الزم لوازم المرسلين ، فالخضر يوضح له أنه لا يعنى المساس بصفة الصبر فيه .

(صبرا) جاءت بالتنكير لإفادة العموم والإطلاق ، لأن الخضر يريد أن يمحو من نفس موسى كل أمل فى جدوى هذا التعليم ، ولو قال له لن تستطيع (الصبر) فإن (آل) حينئذ تفيد التعريف أو العهد ، ويكون المعنى لن تستطيع الصبر المعهود الذى أطلبه ، وهذا لا يشمل الصبر العادى الموجود لدى الناس عادة على اختلاف درجاتهم فيه ، فيبقى فى نفس موسى أمل فى أن يتقبل منه الخضر صبره العادى ، أما التنكير الذى جاء فى لفظ القرآن فإنه ينفى أى درجة وأى نوع من الصبر على الإطلاق ، وهذا ما يريد الخضر أن يوضحه لموسى ، وما لا يستطيع لفظ آخر أن يؤديه .

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً ﴾ ؟ هذا من رد الخضر ، فحيث أكد فى الجملة السابقة أن موسى لن يصبر ، فإنه يريد أن يسوق السبب ، وهو أن موسى بحكم كونه نبيا لا يمكن أن يصبر على شىء فى صورة منكر إلا إذا عرف حقيقته معرفة اليقين ، وصوغ هذا المعنى فى أسلوب السؤال لأن السؤال إثارة ليقظة الفكر ، من حيث إن أى سؤال يحتاج إلى إجابة ، والإجابة مهما كانت سهلة إنما تأتى بعد تفكير ، والخضر يريد أن يصل بموسى إلى الاقتناع العقلى بأن رفضه ليس امتناعا عن تعليمه ، وإنما لأن هذا التعليم لا جدوى منه ، بناء على هذا السبب الذى ساقه .

ومنهج التعليل هو ميزة العلماء ، من حيث إن الشأن فى العالم أنه لا يتقبل شيئاً ولا يدلى بشىء إلا مصحوبا بالتعليل والتدليل والخضر بهذا التعليل يسلك الأسلوب المناسب له بوصفه عالما .

وتتصل حلقات المفاوضات بينهما حول الاتفاق ، فإن الخضر فى رده السابق يحاول أن يغلق كل الأبواب ويسد كل المنافذ أمام رغبة

موسى فى هذا التعليم ، وقد أحكم إغلاقها فعلاً ، ولكن موسى يستطيع أن يفتح لنفسه ثغرة كبيرة ينفذ منها ، فإذا هو يرد على الخضر بما يلى : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾ .

فالمنفذ الكبير الذى لجأ إليه موسى هو (مشيئة الله) وكأنه يقول للخضر هب أننى لا أستطيع الصبر معك ، ولكن الله إذا شاء فإنه يستطيع أن يمنحنى الصبر الذى تريده وترضى عنه ، ويشير إلى هذا المعنى بلفظ (ستجدنى) وهذا بخلاف مالو قال مثلا سأكون إن شاء الله صابرا ، فإن لفظ سأكون ونحوه لا يحدد موقف الخضر من حيث رضاه أو عدم رضاه عن هذا الصبر ، ولكن لفظ (ستجدنى) فيه إبراز وتجسيد لموقفه متضمنا رضا الخضر عن هذا الصبر ، كأنه معاين ومشاهد لهذا الصبر أمامه ، ومادام لن يرفضه فهو إذن راض عنه ، ويزيد موسى تأكيداً وتوضيحاً بل تحديداً لنوع الصبر بقوله ﴿ وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً ﴾ اى على الاطلاق ، فلا يترك للطرف الآخر فى المفاوضات منفذا يثير من خلاله حجة أو رداً .

وبهذا يكون موسى قد قلب الموقف تجاه الخضر ، فبعد أن حاول الخضر إغلاق كل المسالك أمامه ، إذا هو الذى يسد على الخضر كل المنافذ بأن يضعه أمام مشيئة الله ، ومشيئة الله لايستطيع مؤمن أن يجادل فيها .

وعندئذ يكون الخضر قد استسلم لرغبة موسى فى التعليم من حيث المبدأ ، وكأنه وافق على الشروط التى أوردها موسى فى مشروعه ، لأن معارضة الخضر لم تكن فى شروط موسى ، وإنما فى مبدأ قبوله طالبا ، وقد سلم الآن بهذا المبدأ .

وكما تضمن مشروع موسى شروطا محددة ، فإن الخضر يعرض أيضا على موسى مشروعا يمثل موقفه ووجهة نظره فى الاتفاق ، ليضاف هذا المشروع إلى مشروع موسى ، وقد تضمن مشروع الخضر أيضا شروطا محددة عرضها على موسى ليرى رأيه فيها .

وكما صاغ القرآن الكريم شروط موسى كلها فى كلمات كذلك صاغ شروط الخضر كلها فى هذه الكلمات :

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾ ونلحظ أن الخضر كرر حينئذ شرطين من شروط موسى ، ليكون تكرارهما تأكيداً لهما ، حيث إن الموقف كله يدور فى نجاح التعليم وفشله عليهما ، وهما (إن اتبعتنى) المكون من (إن) الشرطية ، والفعل (اتبع) وياء المتكلم وهو الخضر ، ولكنه يبدأ كلامه بلفظ (إن) بكسر الهمزة وسكون النون ، التى تفيد الشك فى حدوث الفعل الواقع بعدها بعكس (إذا) فلفظ (إن) بما يفيده من معنى الشك جعل الأسلوب يخفى التكرار وكأن هذين الشرطين غير مكررين ، أعنى غير مذكورين فى هذا التعبير بوصفهما شرطين ، وإنما لإبراز معنى الشك ، وكأن الخضر يقول : مع أننى أشك فى أنك ستتبعنى ، إلا أننى أشترط عليك فى حالة اتباعك إياى شروطا وكأن هذه الشروط هى معنى التبعية له بمعنى إتباعك إياى ، لا يتحقق إلا بهذه الشروط ، وهى :

١ ـ أن تلتزم التبعية ، وهذا مستفاد من لفظ الفعل فى (اتبعتنى) وقيمة هذا الشرط فى أسلوب الاتفاقيات أن الطالب قد يعتمد على أن مجرد قبوله طالبا يكسبه حقوق الطالب ، ولكن هذا

الشرط يوضح له أنه لا يكتسب حقوق الطالب إلا اذا أدى مايجب على الطالب ، وجوهر هذا الواجب هو التبعية العلمية بكل ما تقتضية هذه التبعية .

٢ ـ أن تكون تابعا لى انا بالذات ، وهذا مستفاد من ياء المتكلم فى (اتبعتنى) ولو كانت الصيغة بدون هذه الياء مثل أن يقال : اشترط عليك التبعية ، أو أن تكون تابعا ، لامكن للطالب أن يجعل تبعيته للخضر ولغيره ممن يشاء ولو كان هذا الغير مخالفا للخضر ومنهجه ، ويحتج الطالب حينئذ بأن صيغة الاتفاق لا تلزمه اتباع الخضر بالذات ، وإنما تلزمه مطلق التبعية .

وقلت إن هذين الشرطين مكررين للتاكيد ، لانهما وردا بنصهما فى شروط موسى بلفظ (هل اتبعك) بمعنى أعرض عليك أن اكون تابعا ، وأن تكون تبعيتى لك انت بالذات .

٣ ـ يحظر عليك فى أثناء التبعية أن تتدخل فى التعليم لا بالمنع ولا بالاعتراض ولا حتى بمجرد السؤال ، وهذا مستفاد من لفظ الفعل فى (فلا تسألنى) والنص على السؤال من جوانب الدقة فى صياغة الاتفاق ، فإن الخضر يعلم بطبيعة الحال أن ماسيفعله هو منكر فى ظاهره ، وموقف موسى حينئذ لابد أن يكون على الأقل اعتراضا على المنكر ، وليس مجرد سؤال ، ولكنه لو كانت الصيغة مثلا : فلا تعترض ، فإن موسى يستطيع أن يجعل اعتراضه فى صورة سؤال ، كأن يقول : لماذا تقتل هذا الغلام ؟ ويستطيع أن يزعم أنه لم يخل بالاتفاق لانه يسأل سؤالا وليس اعتراضا ، ولكن صيغة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي ﴾ تغلق عليه أى باب للتدخل أو الالتفاف حول مدلول الألفاظ .

٤ ـ حظر الأسئلة من موسى مقصور على ما يوجه إلى الخضر بالذات وليس محظورا على موسى أن يسأل أى شخص غير الخضر ، وهذا مستفاد من ياء المتكلم فى صيغة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي ﴾ بمعنى أن الحظر مقصور على توجيه السؤال إلى الخضر نفسه ، وهذا الشرط لايستفيد منه موسى عمليا رغم أن ظاهره لصالحه ، لأن هذا العلم لايعلمه من الناس أحد إلا الخضر .

٥ ـ تحظر الأسئلة على موسى ليس فيما يتعلق بموضوعات التعليم فقط ، وإنما فى أى شيء ، سواء ما يفعله الخضر أو غيره على الإطلاق ، وهذا مستفاد من تعبير (عن شيء) فى جملة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ بتنكير (شيء) حيث معناه عن أى شيء على الإطلاق ، فقد يقال إن المفروض أن سؤال موسى سيكون بداهة عما يفعله الخضر ، وليس عن غيره ، وبالتالى كان ينبغى أن يكون المنع فى هذا النطاق وحده ، فلماذا يمنعه من السؤال عن أى شيء ولو كان خارج نطاق التعليم ؟ والجواب أن المنع لو كان خاصا بما سيفعله الخضر فإن هذا قد يوجد ثغرة فى نص الاتفاق تتيح التحايل لمن يريده ، فقد كان يمكن حينما يخرق الخضر السفينة وفيها ركابها فى عرض البحر أن يسأله موسى بطريقة غير مباشرة فيقول مثلاً : ما حكم من يفعل فعلاً تترتب عليه جريمة أو قتل إنسان ؟ ويكون قد اعترض على الخضر بأسلوب غير مباشر ، ويدعى مع ذلك انه لم يخل بالاتفاق ، لأنه لم يسأله عما فعل وهو خرق السفينة ، وإنما سأله سؤالاً عاما ، ولكن صيغة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ تغلق هذا الباب ، وكل باب لتأويل النص .

٦ ـ من حق موسى أن يسأل كما يشاء إذا فاتحه الخضر أى مفاتحة أو بأى حديث فيما يتعلق بما يفعله فى محيط التعليم ، وهذا مستفاد من إحداث الذكر فى ﴿ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ وأصل التعبير : حتى أحدث ذكرا لك

منه ، وإحداث الذكر يتعلق باللسان ، وكأن الخضر يقول : من حقك ياموسى أن تسأل عندما أفاتحك فيما أفعل ، ولفظ (أحدث) يقتضى أن موسى ليس من حقه السؤال إلا عندما يجد الخضر يحدث وضعا جديداً طارئا كالمفاتحة أو الشرح ، بخلاف ما لو كان التعبير مثلاً : حتى تجد أو ترى منى ذكرا لهذا الموضوع ، فإن موسى قد ينتهز مثلا فرصة إنشراح نفس الخضر ، أو إقباله عليه ، فيسأله عما يفعل ، محتجا بأنه (وجده) أو (رآه) مهيأ نفسيا للحوار والإجابة كما فى نص الاتفاق ، ولكن لفظ (أُحَدث) يحدد أن الحظر يرفع فقط عند حدوث وضع طارىء من الخضر فى المفاتحة أو الشرح بصورة صريحة طارئة .

٧ ـ ليس من حق موسى التدخل أو السؤال إلا إذا وجه الخضر مفاتحته لموسى بالذات ، وهذا مستفاد (لك) فى صيغة ﴿ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً ﴾ فإن هذا اللفظ يقيد موسى بأنه لا يحق له السؤال إلا إذا كانت المفاتحة من الخضر موجهة إليه هو بالذات ، فيمكن أن يفاتح الخضر أو يحدث أى أحد غير موسى فيما يفعل ، ولا يكون مع ذلك من حق موسى أن يسأل الخضر ، ولو كان التعبير : حتى أحدث منه ذكرا بدون لفظ ﴿ لَكَ ﴾ من حق موسى أن يسأل الخضر عندما يفاتح أو يحدث أى أحد فيما يفعل ، ولا يكون هذا إخلالاً بالاتفاق .

٨ ـ ليس من حق موسى التدخل أو السؤال إلا فى الموضوع الذى يفاتحه أو يحدثه فى شأنه الخضر دون غيره من الموضوعات ، وهذا مستفاد من لفظ « منه » فى صيغة ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فالصيغة صريحة فى أنه ليس من حق موسى السؤال عن شىء إلا إذا أحدث له الخضر ذكرا فى هذا الشىء بالذات ، ومعنى هذا أنه مهما تحدث الخضر أو فاتح موسى فى موضوعات ، فليس من حق موسى أن يسأل عن موضوع لم يفاتحه فيه ، وإنما يسأله عما فاتحه فيه فقط ، ولولا لفظ (منه) لكان من حق موسى أن يسأل عن أى شىء على الإطلاق فور أن يفاتحه الخضر فى أى موضوع أو أى شىء ، ولا يكون قد أخل بالاتفاق .

ومما يراعى أن التنكير فى لفظ (ذكرا) لصالح موسى ، فهو تنكير للإطلاق والتعميم ، بمعنى حين أحدث لك أى ذكر على الإطلاق فى موضوع ما فمن حقك أن تسأل كما تشاء عن هذا الموضوع .

وكما أن موسى وضع فى مشروعه ستة شروط ، فإن الخضر وضع أيضا ستة شروط إضافة إلى الشرطين اللذين كررهما من شروط موسى .

وحيث لم يعترض موسى على شىء من شروط الخضر فكأنه أقرها ووافق عليها ، وتكون معالم الاتفاق كله قد تحددت . وإذا افترضنا أن موسى سيكون الطرف الأول فى الاتفاقية ، وإن الخضر هو الطرف الثانى ، فيمكن إيجاز الشروط التى اتفق عليها الطرفان كما يلى :

أولاً : على الطرف الأول (موسى) أن يلتزم التبعية العلمية للطرف الثانى (الخضر) .

ثانيا : على الطرف الثانى (الخضر) أن يتولى تعليم الطرف الأول (موسى) بنفسه فقط .

ثالثا : على الطرف الثانى (الخضر) أن يقدم علمه للطرف الأول (موسى) وبصرف النظر عن أن يستفيد الطرف الأول (موسى) أو لا يستفيد .

رابعاً : على الطرف الثانى (الخضر) أن يقدم القدر المناسب من العلم إلى الطرف الأول (موسى) وليس عليه تقديم كل علمه .

خامساً : يجب أن يكون العلم الذى يقدمه الطرف الثانى (الخضر) للطرف الأول (موسى) هو العلم الذى ميزه الله به ، وهو من محيط علم الغيب ، ولا يدخل فى الاتفاقية أى علم مكتسب .

سادساً : على الطرف الأول (موسى) ألا يستخدم هذا العلم إلا فى مجال النفع والخير .

سابعاً : فى حالة انتظام الطرف الأول (موسى) فى هذا التعليم عليه أن يلتزم عدم التدخل بأية صورة ولو بالسؤال أو الاستفسار .

ثامناً : المحظور على الطرف الأول (موسى) هو توجيه التدخل أو السؤال إلى الطرف الثانى (الخضر) دون غيره .

تاسعاً : المحظور أيضاً على الطرف الأول (موسى) مطلق الأسئلة سواء عما يفعله الطرف الثانى (الخضر) أو ما لا يفعله أو أى شىء .

عاشراً : من حق الطرف الأول (موسى) أن يتدخل أو يسأل حينما يبدأ الطرف الثانى (الخضر) فى شرح ما يصدر منه أو الحديث عنه .

حادى عشر : ليس من حق الطرف الأول (موسى) أن يسأل الطرف الثانى (الخضر) إلا إذا كانت المفاتحة فى الموضوع موجهة إلى الطرف الأول (موسى) بالذات .

ثانى عشر : ليس من حق الطرف الأول (موسى) أن يسأل الطرف الثانى (الخضر) إلا فى ذات الموضوع الذى يفاتحه فيه فقط .

ولكن القرآن الكريم بإعجاز أسلوبه يصوغ كل ذلك فى هذه الكلمات القليلة من قوله تعالى :

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً . قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً . قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً . فَانْطَلَقَا . . . . ﴾ (٦٧ - ٧٠ سورة الكهف) .

وبهذا يعلمنا القرآن فيما يعلمنا كيف تصاغ العقود والاتفاقيات .

دكتور عبد الحليم حفنى

من حديث الإسلام
في جنوب أفريقية

لو كانت زيارتى إلى جنوب افريقيا تقدمت بعض الوقت لزدت فى كتابى : «مؤامرات على الإسلام» بضع صفحات ، ولكن حسبى اننى وجدت وشاهدت بنفسى مصداق ما كتبت ، وكنت اعتمدت فيما كتبته على مجلتين اساسيتين تصدران باللغة الانجليزية هما Facus, Arabia ـ (البؤرة) وهذه الأخيرة مجلة شهرية صغيرة يصدرها طلبة وخريجون شرقيون يقيمون فى انجلترا ـ وفى عنوانها انها تتحدث عن العلاقات بين الإسلام والمسيحية ، وهى تعنى باخبار المسلمين فى مختلف انحاء العالم وتعرضها فى تبويب محكم انيق ، هذا عدا ما نقلته من الصحف الأخرى ومنه قليل جدا جاء فى الصحف المصرية . وقد رايت مصداق ما كتب هنا وهناك ، فشكرت للمجلتين الرئيسيتين إحسان ما قدما إلىّ ، ولكننى رايت بعينى فوق ما كنت إسمع ، ثم انصرفت وما راء كمن سمعا .

وأدع منهج الكتاب وما سلكته فيه من سباق التبشير والإسلام هنا وهناك ، وأضع بين يدى حديثى هنا فكرة عامة عن مقاطعات الجمهورية وسكانها .

جمهورية جنوب افريقيا تتكون من أربع مقاطعات ، لكل مقاطعة طابعها وسكانها وبها وزراؤها وحكامها الذين يعنون بشئونها . ومقاطعة (الترنسفال) أكبر هذه المقاطعات ، وبها برلمان الجمهورية ورئيس الـوزراء ورئيس الجمهورية . وعاصمتها هى (بريتوريا) ، وهى قريبة من (جوهانسبرج) ـ تبعد عنها إلى الداخل بنحو ستين ميلا ، وبها كثرة مسلمة ، وحى كبير خاص بالهنود ، وبها عدد من كبار التجار المسلمين . قالوا إنهم يؤدون زكاة أموالهم إلى الجمهورية الإسلامية فى إيران ، كما يبعثون ببعض منها إلى محاربى افغانستان ، وهم يلمون بكل أخبار مصر حتى الأحداث الصغيرة ـ هذا على الرغم من أنه لا توجد علاقات سياسية بين البلدين ، ولا صحف عربية هناك .

وفى (بريتوريا) مساجد كثيرة قيل لى : إنها تبلغ الخمسين ، وقد صليت فى مسجدها الجامع صلاة العشاء والقيت به محاضرة قصيرة ، تحدثت فيها عن المرأة المسلمة ، وشهودها الجُمَع ، وسماعها الدروس بالمسجد ، ومشاركتها فى الحروب ، هذا لأن إمام المسجد يحرم دخول النساء المساجد ، كما يحرم التصوير للفيديو أو

لفضيلة الدكتور
عبد الجليل شلبى

للتسجيل الصوتى : «الريكوردر» .

بجانب المسجد الكبير فى بريتوريا مدرسة إسلامية كبيرة للبنين والبنات وهى التى كان بها الحفل ، وكان النساء فى جناح خاص بهن ، وصور كل شيء للفيديو وللروكوردر .

اما مدينة (جوهانسبرج) فهى اكبر مساحة وعدداً من (بريتوريا) ، وبها المطار الدولى ، ومنها يكون الاتجاه إلى أنحاء الجمهورية ، وبها بعض المساجد ولكن المسلمين بها قليلون .

كان فى استقبالنا أنا والقارىء الذى صحبنى ـ فى المطار مستشار من وزارة الخارجية هو مستر «كاسال Casal» ـ وهو من سلالة إيطالية ، وتعلم فى إيطاليا ولذا هو كاثوليكى المذهب ، وقد قابلنا بكثير من الحفاوة ، وطبعا لم يكن معنا «تأشيرة دخول» لعدم وجود هيئة سياسية لجمهورية جنوب افريقيا فى مصر ، وقام فى الحال بالأمر بكتابة إذن دخول ، ولما حان موعد قيام الطائرة التى تنقلنا إلى (دربن Durben) اصر مع قرب الطائرة أن يحضر لنا عربة خاصة ، ولحسن الحظ تأخرت الطائرة ، فكان فى تأخرها مجال للتحدث معه فى شجون من الأحاديث .

قال فى بادىء الأمر ومن باب المجاملة : إنه يحب الإسلام وتعجبه التشريعات التى جاءت فى القرآن ، وسألته : إن كان مسلما ، أو فى نيته أن يعتنق الدين الإسلامى ؟ فأجاب : أن لا ، وأردف : أن إعجابه بالإسلام وتقديره لبنيه لا يحتم أن يترك دين آبائه ليتبعه .

وقلت له : إنى مقدر لأدبه وكرمه ، ولكننى كنت أود أن يلقى المسلمون فى بلاده معاملة حسنة أو على الأقل حرية دينية .. وقال فى شيء من الهدوء والأدب السياسى : إن حكومته تحترم كل الأديان ، وإن المسلمين يؤدون شعائر دينهم فى حرية تامة .

وقلت له : إننى كنت أشعر بكثير من الحزن إزاء ما يلقى المسلمون فى بلده من مضايقات ، وعندما كنت إماما للمركز الإسلامى فى لندن أقمنا حفل تأبين ورثاء للشيخ عبدالله هارون إمام المسلمين فى «كيب تاون» ، وهو قد مات فى سجنه متأثرا بما لاقى من التعذيب والإهانة ، وقال : إن هذا الحادث مضى عليه ما يزيد على عشرين عاما ، وقد تغير الموقف الآن جدا ، وقال : سترى بنفسك أن المسلمين فى بلادنا يتمتعون بحرية أكثر مما تتمتع به الجماعات الإسلامية فى مصر .

رأيت أن أوجه الحديث توجيهاً آخر حتى لا ينقله مستر كاسال بلباقته إلى الحديث عن مصر وعن أيام محنتها ، فقلت : وما الذى سأراه ، وهل سيسمح لى بخطبة الجمعة ، والحديث عن سماحة الإسلام ، وحسن معاملته المسيحيين فى البلاد التى دخلها المسلمون فاتحين ، أو أن أوازن فى محاضراتى بين سماحة الإسلام وتعصب المسيحيين ، أو أن أقول : إن الإسلام لم يهدم الكنائس ، بل سمح بزيادتها ، بينما هدم المسيحيون فى أسبانيا وصقلية جميع

←

● الكاتب : الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية الأسبق بالأزهر .

من حديث الاسلام

المساجد ، ونحن لا نريد أن تمثل جمهورية أفريقيا ما حدث فى البلاد الأوروبية حين طرد منها المسلمون ؟ قال : قل كل ما تشاء ، وانتقد الجمهورية كما تشاء ، ولكنك ستجد تحولاً كبيراً وسيحدثك المسلمون بما يتمتعون به من حرية .

قلت : وأى حرية بعد أن هدمتم مساجدهم ومساكنهم وشردتموهم كل مشرد ؟! ولم يهتز ولم يبد عليه أى تأثر ، وقال : لم نهدم مسجداً واحداً ، أما نقل المسلمين ، فكان لأعمال سياسية لا لتعصب دينى .

وأفاض المستشار كاسال فى الثناء على حكومته وما تتسم به من ديمقراطية ، ورجا إذا كنت سأكتب مذكرات الا اكتب حتى اسمع وارى .
واستأذن وكان معه ولدان صبيان له ، وودعنا وداعاً مهذباً كريما وقال : ارجو أن اجلس معك وقتا أطول .

وفى حديثى إلى المسلمين قالوا : إنهم لم يهدموا المساجد ، ودفعوا لهم ثمن الدور التى هدمت ولكنه كان ثمناً زهيداً جداً ، والآن يسمحون لهم بالعودة ليبنوا لهم بيوتاً جديدة إن شاءوا ، ولكن ثمن الأرض الفضاء ثمن باهظ جدا ، ولا يمكن بحال أن يوازن بالثمن الزهيد الذى قدم لهم ثمناً للأرض والبناء جميعاً ، كما أنهم الآن يمارسون شعائرهم الدينية ، ولكن لا تعمر المساجد إلا يوم الجمعة لأن المصلى يقطع مسافة طويلة حتى يصل إلى المسجد ، وقال لى الأخوة المسلمون : إنه يوجد منهم الآن فى البرلمان ستة عشر عضوا ، وأعضاء البرلمان نحو مائتين وأربعين !!

قلت : إنها بداية حسنة ونسأل الله لهم المزيد .

وقيل لى : إن الحرب الساخنة العنيفة قد وقفت الآن ، ولكن الحرب الباردة لم ولن تنتهى ، وأن أعمالاً كثيرة سلبية تجرى لعرقلة الدعوة الإسلامية .

يتبع

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد/عبد الحميد شاهين
علي حامد

من صور البيع الجائز

س : تاجر يبيع لبعض الزبائن بالنقد بسعر ، وبالأجل باسعار مختلفة ، فما يساوى مائة نقداً ، قد يبيعه لبعض الناس بمائة وعشرة ، ولآخر بمائة وعشرين ، ولثالث بمائة وثلاثين ، تبعا لظروف كل مشتر فى السداد فتختلف المواعيد ، فما حكم هذا البيع افيدونا .

م . م

جـ : إن العلماء جعلوا للأجل حصة من الثمن ، ومصالح الناس تقتضى الا يكون ثمن المؤجل كثمن المعجل ، أو تجعل ثمن ما قرب أجله مثل ما بعد أجله .

فإذا اتفق البائع مع المشترى على ثمن لا يزيد ولا ينقص فذلك جائز حالاً أو مؤجلاً - والمؤجل إذا كانت مدته قصيرة فلا شىء فى نقص قيمته عن الذى مدته أطول .

أما إذا تم الاتفاق على بيع بثمن فتأخر المشترى عن السداد فلا يجوز للبائع أن يزيد عليه فى الثمن نظير الزيادة فى مدة التأجيل ، فذلك من الربا الموجب للعنة الله ، فعلى المؤمن أن يحذر من العقوبة ، والله الموفق .

المسح على الجوربين

س : ما حكم المسح على الجوربين فى الوضوء ؟

جـ : الموجود فى فقه الحنفية أنه لا يجوز

←

الفتاوى

المسح على الجوربين عند الإمام إلا أن يكونا مجلدين أو مُنَعَّلَيْن . وقال الصاحبان : محمد وأبو يوسف : يجوز المسح عليهما اى الجوربين إذا كانا ثخينين لا يشفان .

فإذا لبس المصلى الجوربين على طهارة ثم انتقض وضوؤه وهو لابس للجوربين ، وأراد أن يتوضأ يصح له أن يمسح على الجوربين ـ لمدة يوم وليلة فى حالة الإقامة أو ثلاثة أيام فى حالة السفر .

وفى ذلك تيسير على الناس ، خاصة فى أيام الشتاء حيث يشتد البرد ، ويخشى من غسل الرجلين بالماء البارد . وقد جاء هذا عن عدد كثير من صحابة النبى صلى الله عليه وسلم يزيد على عشرة أفتوا جميعهم بجواز المسح على الجوربين ، وبعض الفقهاء يشترط لذلك شروطاً مشددة ، لكن الأمر مبنى على التيسير ، فإذا قيل للمصلى : إنك تستطيع أن تتوضأ وتمسح على الجوربين بدل غسل الرجلين مادمت قد لبستهما على طهارة ، فهذا مما ييسر عليه كثيراً ويجعله يقبل على أداء الصلاة فى وقتها . والله الموفق

رفع اليدين عند الركوع

س : نرى كثيراً من الناس يرفعون أيديهم عند الركوع وعند الرفع منه ، وبعضهم لا يرفع يديه إلا عند تكبيرة الإحرام فقط . نرجو توضيح الأمر .

جـ : قال الأوزاعى : أدركت أهل الحجاز وأهل الشام وأهل العراق ـ ماخلا أهل الكوفة ـ يرفعون أيديهم إذا افتتحوا الصلاة ، وإذا ركعوا وإذا رفعوا رءوسهم .

وقد روى الرفعَ جمهورٌ من الصحابة قال الشافعى : روى هذا سوى ابن عمر اثنا عشر رجلا عن النبى صلى الله عليه سلم .

عن ابن عمر قال : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا بحذو منكبيه ثم يكبر فإذا أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك ، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضاً ـ متفق عليه ـ وقال ابن عبد البر ـ لم يرو أحد عن مالك ترك الرفع فيهما إلا ابن القاسم ، والذى نأخذ به الرفع لحديث ابن عمر وهو الذى رواه ابن وهب وغيره ، عن مالك ولم يحك الترمذى عن مالك غيره .

وقال الخطابى وتبعه القرطبى إنه آخر قولى مالك وأصحهما . كما جاء فى فتح البارى .

مايوجب الوضوء .. و الغسل

س ما الفرق بين المنى والمذى والودى ، وهل يجب الغسل منهما جميعاً ـ علماً بأننى يحدث لى بعضها كثيراً عند التفكر ، أفيدونى .

س ـ الهرم ـ ف بنات الفيوم

جـ : المنى ماء يخرج من قبل المرأة أو الرجل بقوة وتدفق وشهوة وهذا يجب منه الغسل ، وكذلك يجب الغسل إذا استيقظ من النوم فوجد بللا بالثوب .

أما إذا خرج المنى بدون شهوة وتدفق بقوة فلا يجب منه إلا الوضوء فقط .

والمذى ماء أبيض لزج يخرج عند التفكر أو الملاعبة ، كنزول البول ولا يشعر به الإنسان ، ويكون من الرجل والمرأة إلا أنه من المرأة أكثر .

وأما الودى ـ فهو ماء أبيض ثخين يخرج بعد البول غالبا ويكون من الرجل أكثر .

والمذى والودى لا يجب من أحدهما أو منهما معا إلا الوضوء فقط .

الأكل مما فيه نوع من الشبهة

س : لنا قريب ميسور الحال ، بار بأهله ، ويساعدنا بماله ، ولكن أغلب كسبه من تصوير الأفراح ، وفى الغالب تتضمن هذه الاحتفالات ، الرقص والاختلاط ، ونظن من أجل هذا أن ماله حرام ، فما الحكم الصحيح ، وهل لنا أن نرد عليه إحسانه ، وما واجبنا الشرعى نحوه .

ص . ى الظاهر

جـ : إن نشر المفاسد وما يؤدى إلى الفتن وفساد المجتمع حرام ، لما يؤدى إليه من الإضرار بالفرد والجماعة ، وفى الحديث « لا ضرر ولا ضرار » . أما ما ينتج عن ذلك من أجور وعوائد ، فإنها إذا اختلطت بأموال أخرى حلال ، حل الجميع للشبهة لأن الشبهة هنا هى اختلاط الحلال بالحرام والإثم على الفاعل ، لا على من انتفع بهذا المال ، أما واجبكم نحو هذا الشخص فهو فيما صوره النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ...» .

من أعلام الأزهر فى القرن التاسع الهجرى

الشيخ خالد بن عبد الله بن أبى بكر الجرجاوى

الشهير بالأزهرى

أحد مشاهير علماء النحو والإعراب فى القرن التاسع الهجرى ، درس اللغة العربية فى رحاب الأزهر الشريف ، وحفظ عدداً من المتون ، وبرع فى عدد من الفنون ، وكثر النفع بتصانيفه لإخلاصه ووضوحها .

ذلك هو الشيخ زين الدين خالد بن عبدالله بن أبى بكر بن محمد بن أحمد الجرجاوى الأزهرى الشافعى ، وغلبت شهرته بالأزهرى إذ كان الانتساب إلى الأزهر فى ذلك الزمان شرفا يعلو النسب الخاص للشخص ، وحتى مؤلفاته العلمية فى النحو سمى بعضها ، أو أضاف إليها كلمة (الأزهرية) تحقيقا لهذا الشرف[1] .

مكان مولده وأصل محتده :

ولد الشيخ زين الدين خالد بن عبدالله الأزهرى بمدينة جرجا[2] من أعمال محافظة سوهاج بصعيد مصر سنة ٨٣٨ هجرية تقريبا ، ونشأ فى كنف والديه ، وتحول وهو طفل مع أبويه إلى القاهرة فحفظ فيها القرآن الكريم ، وقرأ (العمدة) و (مختصر أبى شجاع) وعمل فى شبابه بالوقادة فى الأزهر حيث كان يشعل فوانيس الزيت فى أروقة الأزهر فى ذلك العصر ، واستمر على أداء هذا العمل حتى بلغ السادسة والثلاثين من عمره[3] .

حادثة تغير مجرى حياته :

ذلك أنه بينما كان يشعل إحدى الفتائل بالأزهر سقطت فتيلة على كرسى لأحد طلبة العلم فهاج ذلك الطالب ، وعيره بالجهل ، وعندئذ ترك الشيخ زين الدين خالد بن عبدالله الأزهرى الوقادة واشتغل بطلب العلم ، وهو فى تلك السن المتأخرة عن وقت التحصيل وجَدَّ واجتهد وبرع وصنف حتى صار من كبار علماء النحو والإعراب واللغة[4] .

---

(١) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر سنة ١٤٠٣ هـ ـ مارس سنة ١٩٨٣ م مقال « الأزهر المعجزة الجامعة الرباط » لسماحة الشيخ عبدالله كنون .

(٢) تكلمنا عن تاريخ مدينة جرجا بشىء من التفصيل فى مقالنا من أعلام الأزهر فى القرن الحادى عشر الهجرى (الشيخ أحمد هاشم المكاوى الشهير بأحمد السيوطى) بمجلة الأزهر المحرم سنة ١٤٠٥ هجرية أكتوبر سنة ١٩٨٤ م .

(٣) كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى جـ ٣ نشر مكتبة القدسى سنة ١٣٥٤ هـ .

(٤) كتاب « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » تأليف : أبى الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلى جـ ٧ نشر مكتبة القدسى سنة ١٣٥١ هـ .

للمستشار
محمد عزت الطهطاوى

شيوخه الذين تتلمذ عليهم :

تتلمذ الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى على عدد من شيوخ الأزهر درس عليهم اللغة العربية ونال منهم الإجازة نذكر منهم :

١ - الشيخ السنهورى قرأ عليه كتب ابن الحاجب المصرى .

٢ - الشيخ الأمين الاقصرائى قرأ عليه كتاب العضد وحاشيته .

٣ - الشيخ التقى الحصنى درس عليه علوم البديع والمعانى والصرف والمنطق والأصول والبيان .

٤ - الشيخ على بن المجدى درس عليه علمى الفرائض والحساب .

٥ - الشيخ يعيش المغربى نزيل سطحه قرأ عليه فى العربية .

٦ - وقرأ على الجوجرى وإبراهيم العجلونى والزين الإبناسى والشيخ داود المالكى والشيخ عباس الأزهرى وغيرهم(٥) .

مؤلفاته العلمية :

بارك الله فى علم ودراسة الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى فكتب عدة مؤلفات قيمة قاربت الخمسة عشر مؤلفا أشهرها الكتب الآتية :

١ - التصريح بمضمون التوضيح .

وهو شرح على كتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للعلامة ابن هشام ، وقد طبع هذا الكتاب بحاشية الشيخ ياسين العليمى فى مجلدين ، وأثنى الإمام ابن العماد الحنبلى على هذا الكتاب فقال عنه : (إنه لم يصنف مثله) .

٢ - الحواشى الأزهرية - وهو كتاب فى حل ألفاظ المقدمة الجزرية فى التجويد .

٣ - المقدمة الأزهرية فى علم العربية .

وقد طبع هذا الكتاب بحاشية العلامة أبى بكر الشنوانى ، كما شرحها الشيخ زين الدين منصور الطبلاوى فى كتاب العقود الجوهرية فى حل ألفاظ الأزهرية .

٤ - الزبدة فى شرح البردة .

وهى رسالة فى شرح قصيدة البردة التى قام بتأليفها الإمام البوصيرى ، وقد شرحها شرحاً مفصلا ثم اختصره .

٥ - موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب .

وهو شرح لكتاب قواعد الإعراب لابن هشام .

٦ - شرح المقدمة الأجرومية فى كتابين .

وقد قام بتأليف ذلك الشرح بطلب من أستاذه الشيخ عباس الأزهرى ، وطبع الكتاب الأول بحاشية الشيخ أبى بكر الشنوانى ، وطبع الثانى بحاشية الشيخ أحمد بن سلامة القليوبى .

٧ - القول السامى على كلام ملا عبدالرحمن الجامى فى النحو .

٨ - تمرين الطلاب فى صناعة الإعراب ، وهو إعراب لألفية ابن مالك .

(٥) كتاب « الضوء اللامع » جـ ٣ لشمس الدين السخاوى المرجع السابق .

(٦) كتاب « معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية » تأليف : عمر رضا كحالة - الجزء الثالث نشر المكتبة العربية بدمشق مطبعة الترقى سنة ١٣٧٦ هـ - سنة ١٩٥٧ م - ومجلة الحرس الوطنى السعودية ذو القعدة سنة ١٤٠٨ هـ - يونية ١٩٨٨ م مقال الأستاذ أحمد عبدالله بن الباتلى .

٩ ـ الألغاز النحوية .

وهو كتاب لطيف يحوى مسائل يُعدها النحاة من الألغاز التى تحتاج إلى علم موسع وذكاء .

١٠ ـ تفسير اية ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ سورة الواقعة ـ ٧٥[٦] .

وفـــاته :

توفى الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى بـ(بركة الحاج) خارج القاهرة بعد رجوعه من حج بيت الله الحرام وكان ذلك فى شهر المحرم سنة ٩٠٥ هجرية التى توافق سنة ١٤٩٩ ميلادية[٧] .

وبعـــد :

فإن الشيخ خالد بن عبدالله الأزهرى يعد بتلك المؤلفات من أفاضل علماء الأزهر الذين قاموا فى عصره على خدمة اللغة العربية خير قيام فإذا كان الاهتمام بلغة العرب واجباً وحتماً فى كل الأزمنة فذلك لأن اللسان العربى هو الذى استوعب رسالة الإسلام والتراث الإسلامى من الكتاب والسنة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ سورة يوسف ـ ٢ .

ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين هما :

١ ـ الدين بعلومه المختلفة .

٢ ـ واللغة بفنونها المعروفة .

وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه .

فالإسلام يشرق بالعربية فتتضح منه الفروع والأصول .

والعربية من غير الإسلام تنكمش وتزول[٨] .

والإسلام وإن كان قد سوى بين الأجناس كلها فى الحقوق والواجبات العامة إلا أن ذلك لا يغير من الحقيقة الثابتة ، وهى أن العرب هم اس الإسلام ، ونزول الوحى بلغتهم يجعلهم ـ حكاما كانوا أو محكومين ـ قادة الفكر والفقه والأدب والتربية فى كافة بلاد الإسلام .

والأزهر بقيامه بتخريج أولئك العلماء فى الدين واللغة انتهت إليه فى القرون الثلاثة الهجرية السابع والثامن والتاسع زعامة الثقافة فى جميع البلاد العربية فحفظ وجود اللغة ورفع من تدهور الأدب ، وجمع شمل العلم والدين .

---

(٧) كتاب « شذرات الذهب لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى » الجزء السابع ـ المرجع السابق .

(٨) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر سنة ١٤٠٣ هـ ـ مارس ١٩٨٣ م مقال « كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية » بقلم : المرحوم أحمد حسن الزيات .

الشعر والشعراء

إشراف : د . حسن جاد

ياليلة الاسراء

تجلى الذى لا ينام

من وحى الاسراء

ياليلة الإسراء

للشاعر
مصطفى أحمد درويش

ياليلة الإسراءِ نُورك لَاحَا   وسَرى سَنَاك يعانق الأرواحا
يَاليلةً ضَاءتْ بنور محمدٍ   فأحَالها - بَعْد الظَّلامِ - صَباحا
بُوحى بمَا طُويَتْ عليه سريرةُ الملكوُت ، بُوحِى وَاملَئى   الأقدَاحا
مْن فيَض أنْوارِ الحقيقةِ واجْعَلى   مافيكِ من خَافى الرُّموز جَناحَا
وبما خَبَات منِ الغُيوب تحدَّثى   وتضوَّعى فينا شذًا فوّاحَا
قُصِّى عَلَيْنا كيفَ كَانَ محمدُ   قَاباً وكيف تَجاوزَ الأشْبَاحا
ورأى : ايُدْركُ ما راى ؟! ودَنا » وكيف دَناَ ؟! وكيفَ بَدا الجَلالُ صُراحا
ياليلةَ الإسرَاءِ بُشْرَاك استَفَا   قَتْ امُّتى تَرجْو هُدىً وصَلاحَا
لَا يُفزِعَنْك مَا الَمَّ بنا وان ليالى الأفراح   عدن نُوَاحَا
او اننَا قَدْ قلَّ نَاصِرُنا وصرنَا مَطْعَماً لـلآكلين   مُبَاحا
فالضِّفةُ انتفضت وَغَزةُ جَاهَدَت والصَّخرُ اَصبحَ للشباب   سِلَاحا
وَمَاذِنُ الْقُدسِ استفاض نداؤُهَا   فى رُوح كُلِّ مُوحِّدٍ وَانْدَاحَا
وَصَحَا الفِلسطينىُّ يَنصُرُ دِينَه   وَيَشيدُ مجداً إنْ غدا او رَاحَا
وَصَحت قوى الإسلامِ تطلبُ عِزَّها   وَترى الجهَادَ مَفَازَةً وَفَلاحَا
وَكتائبُ الإيمَانِ قارَبَ زَحفُها   غَايَاته لتجدِّد الافرَاحَا
إنى ارى جندَ النبىِّ محمد   قَدْ اَقبلُوا كى يُطْلِعُوا الإصْبَاحَا
مَتَتَابعين على الخيول وَنُورُهمْ   يَنْهلُّ فوق جِباهِهِم وَضَّاحَا
ليُحرِّرُوا مَسْرى البَشيرِ المصطفى   ويُسَلِّمُوا للامّةِ المِفْتَاحَا

من وحي الإسراء

للشاعر
محمد على جمعه الشايب

سبحان من اسْرى بأحمدَ فى الدُّجى　　فاضاء وجه الأرض بالإسراء

تَتَهامَسُ الكُثْبانُ تَسْألُ بَعْضَها　　لِمَ فاضَ هذا الكونُ بالأضواء

نُورٌ تعانِقُه القلوب طَهارةً　　ويُنَبِّه . الأرواحَ مِنْ إغفاء

والصخرةُ الخَرْسَاء تَسْأل اخُتْها　　مَنْ ذلك السارى على البيداء ؟

عَبَقُ النبُوةِ فى مَوَاكبِ قُدْسِها　　أَفْضَى بِسِرِّ الرحلة الغَرَّء

سَارَ البراق بأحمدٍ يطوى المَدَى　　يَسْرِى كَمَسْرَى النورِ فى الظلماء

مِنْ مسجد الله الحرام بمكةٍ　　للمسجد الأقصى بغير مِرَاء

ياليتَ امُتَهُ تحرِّرُ قُدْسَها　　وتفكّه مِنْ قَبْضة الأعداء

القِبْلَةُ الأولى تئن إذا هَفَتْ　　ذِكْرى الرّسولِ بِلَيْلةِ الإسراء

فى القدس زادُ المسلمين هو الأسى　　وكانهمْ فيه مِن الغرباء !!

يخشوْن مِنْ غدهم ولا يدرون ما　　فى جعبة الإصباح والإمساء

فى الضِّفة العزلاء .. أو فى غزةٍ　　مُهجٌ تُضَمُّ لمَوْكِب الشهداء

خاضوا النِّضالَ ولا سِلاحَ بكفهمْ　　إلا الحجارةَ صُوِّبتْ بإباء

وإذا الرِّجَالُ مضوْا فإنَّ وراءهم　　جيلاً يُتَمِّمُ غَضبةَ الآباء

والكلُّ للوطن الأسير فداؤه　　لا فَرْقَ بَيْن رجاله ونساء

تجلى الذى لا ينام

للشاعر الدكتور
أحمد عامر

ومـاكنـت اعـرف أن المـاذن ... يـاخـذهـا النـومُ مثـلى ومثلـك
تنـام المـاذن يـاقلـب عنـك ... وتنـأى .. فمـن يحـرس الآن ليلـك ؟؟
ويـانيـلُ مـالـك تجـرى دمـوعـا ... وليست .. تهـز الشـواطـىء حـولـك
تكـاد شرايـين عمـرى تجـف .. ... وانـت الكـريم .. ومـا اعتـدت بخلـك
اناجيك حيـث يـرد الصـدى ... ومـن قبـل كنـت تجـاوب خلـك
ويـاحـب صرت مجـرد لفظ ... بسـوق المـزاد وقـد بـعـت أهلَـك
وغـرُّك زيـفُ المظـاهـر يطـغـى .. ... ولـم ادر كيـف الـريـاء أضلَّـكْ !!
ويـاقلـبُ ضيـعـت عمـرى وفـاء ... لمـن خـان عـهـد الـوفـاء وملـك
وتـزعـم انـك أقـوى اصطبـاراً ... وأن سيـوف الـعـدا .. لـن تفلَّـك
إذا اقبـل الليـل ولى الصحـاب .. ... وحـل السرابُ .. والقيـتَ رحلَـكْ
تجليـت يـاذا الجـلال الـعظيـم ... أنـا مـن يـرجّـى رضـاك وفضلـك
وانتظـر الفجـر .. يـرفـع فيـه ا لـ ... مؤذن صـوتـا يـردد قـولـك
وتصحـو المـاذن .. وهـى تنـاجيـ ... ك لاشىء بـعـدك، لا شىء قبلـك

العلوم الكونية

البرق والرعد وفيزياء السحاب

غاز الأوزون في جو الأرض

البرق والرعد

وفيزياء السحاب

انتهيتُ منذ فترة من إعداد دراسة نقدية حول «نصيب الفكر العلمى من التدريس الفلسفى العام» ، وكان من بين ما اطلعت عليه من الكتب والمناهج ذات الصلة بموضوع الدراسة كتاب « الفلسفة ومشكلات الانسان » الذى يدرس حاليا لطلاب الصف الثالث الثانوى (ادبى)[1] . ولفت نظرى ما جاء فى صفحتى ١٢ ، ١٣ من هذا الكتاب عن ظاهرة البرق والرعد كمثال توضيحى لتنوع واختلاف اساليب التفكير ، فذكر أن الأسلوب الدينى عامة ـ دون نظر إلى نوعية الدين ـ يربط هذه الظاهرة بتفوق قدرة الله والإمعان فى الإيمان . ونحن نرى أن فى هذا التعميم إجحافاً بالإسلام ، ذلك الدين الخاتم الذى جاء بالمنهج الإلهى الشامل ليقود حركة الإنسانية كلها ، وليحقق الإنسجام الرائع بين الفكر والواقع مهما تقدمت معارف الإنسان وعلومه ، فضلا عن انه جاء بما يُعَدُّ تصحيحاً لجميع انواع البلبلة التى وقعت فيها الديانات المحرّفة والفلسفات الخابطة فى الظلام . قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) .

أما عن التعليل العلمى الذى أورده الكتاب المدرسى تفسيراً لظاهرة البرق والرعد ، وخلع عليه صفة القانون العلمى المحدد ، فهو يعزى السبب إلى «التقاء الموجات الكهربائية بعضها مع البعض الآخر فى الجو» . ولم تتضمن قائمة المراجع لهذا الفصل من الكتاب اى مرجع علمى يرجع إليه الطلاب للاستقصاء أو الاستزادة .

وسوف نعرض فى هذا المقال بشىء من التفصيل لظاهرة البرق والرعد التى شغل الإنسان بها منذ القدم ، ولا يزال العلماء فى حيرة من أمرها ، بالرغم من كل ما أحرزوه من تقدم فى مجال فيزياء السحاب والكهربية الجوية . ومن الخير أن نبدأ بما تيسر من آيات القرآن الكريم ، نستهدى بهدايتها ، ونستلهم بعضا من معانيها ودلالتها .

البرق والرعد والسحاب فى القرآن الكريم :

إن التعرف على ظواهر الكون ضرورة من ضرورات وجود الإنسان ؛ لأنه يرى فى هذه الظواهر خير دليل على وحدانية الخالق وعظمته وقدرته فى إبداع خلقه ، ويشعر أمامها بعجزه وضآلته وحاجته الماسة إلى رعاية ربه وعنايته ، ويهتدى بإذن الله واستقراء قوانينها إلى فهم

● الكاتب : أستاذ الفيزياء بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة .

(١) كتاب « الفلسفة ومشكلات الإنسان للصف الثالث الثانوى (ادبى) ، تأليف : سماح رافع محمد ومحمد مصطفى البسيونى ، مراجعة د . محمد أبو الوفا التفتازانى ، طبعة ٨٨ / ١٩٨٩ .

أ. د. أحمد فؤاد باشا

طبيعة سلوكها وتسخيرها للإفادة منها فى إسعاد البشر وإعمار الحياة على الأرض . والبرق والرعد والسحاب من الظواهر الكونية التى تكرر ذكرها فى القرآن الكريم ، وسميت إحدى السور القرآنية سورة الرعد لقوله سبحانه فيها : ﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِى اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ . (سورة الرعد : ١٢ ، ١٣) .

والبرق هو مايرى من النور اللامع ساطعاً من خلل السحاب[٢] . وبرقت السماء تبرق برقا ، وابرقت : جاءت ببرق .

والبراق هو الدابة التى ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، وسمى بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه ، وقيل : لسرعة حركته شبَّهَهُ فيها بالبرق[٣] .

والرعد هو : الصوت الشديد المُدَوِّى الذى يسمع من السحاب فى أعقاب حدوث البرق . ورعدت السماء ترعُد وترعَدُ رعداً ورعوداً : صوتت للأمطار[٤] .

والصواعق جمع صاعقة ، وهى كل أمر مفاجىء يؤدى إلى الهلاك أو الغشية ، وتطلق عادة على صاعقة الجو أو الكهرباء .

وكان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك »[٥] .

وروى الطبرانى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكرا »[٦] .

والسحاب جمع سحابة ، وسميت بذلك لانسحابها فى الجو ، أو لجر الرياح لها . قال الثعالبى : أول ما ينشأ من السحاب فهو (النَّشْء) ، فإذا انسحب فى الهواء فهو (السحاب) ، فإذا تغيرت له السماء فهو (الغمام) ، فإذا أظل فهو (العارض) ، فإذا ارتفع وحمل الماء وكثف وأطبق فهو (العماء) ، فإذا عنَّ فهو (العنان) ، فإذا كان أبيض فهو (المزن)[٧] .

وفى مقام آخر يبين الحق جل وعلا كيف يخلق السحاب الذى ينزل المطر من خلاله ، فهو الذى يرسل الرياح فتثير السحاب ، وهو الذى يسوق السحاب برفق من مكان إلى مكان ، ثم يؤلف بينه ويجمع بين متفرقه ، فيكثره وينميه ويبسطه حتى يملأ أرجاء الأفق ، ويجعله متراكما يركب بعضه بعضا ، فتتهيأ الفرصة لحدوث برق ورعد ومطر . وأحيانا يتعاظم هذا السحاب المركوم فيكون أشبه بالجبال الضخمة الكثيفة فى السماء ، فيها حبات البرَد الثلجية التى تختلف أحجامها بين صغير لا يسبب ضرراً عند سقوطه على الأرض فيكون

---

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ، تحقيق محمد على الصابونى ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٣) لسان العرب لابن منظور ، مادة « برق » ص ٢٦١ .

(٤) لسان العرب ، مادة « رعد » ص .

(٥) رواه الترمذى والنسائى والحاكم وأحمد ، وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب .

(٦) انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٧) عن د . عبد الله شحاتة ، تفسير الآيات الكونية ، ص ٦٥ ، ٦٦ ط ١ دار الاعتصام ١٩٨٠ .

البرق والرعد

رحمة ، وكبير يسبب اضراراً عند سقوطه على الأرض فيكون نقمة ، ويوضح الأسلوب القرآنى المعجز حقيقة هذا الخلق الإلهى العظيم والغاية منه فى قوله تعالى :

﴿ اللهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِى السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ . (سورة الروم : ٤٨) .

وفى قوله عز من قائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِى سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَه ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِه وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِه مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴾ . (سورة النور : ٤٣) .

وفى قوله سبحانه مخبراً عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ (الطور : ٤٤) .

وفى قوله جل شأنه ـ مخبراً عن دلالات تفرده بالإلهية : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ . (سورة البقرة : ١٦٤) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كلمة «التسخير» من اقوى التعابير فى الدلالة على التذليل للخدمة المستمرة الدائبة ، فكأن السحاب مذلل لإرادة الله . ومن اوجه تسخيره بقاؤه معلقاً فى الهواء على خلاف طبع الماء من حيث أنه اثقل من الهواء . ولكن صغر القطيرات المكونة للسحاب جعله يبقى معلقاً بين السماء والأرض على الهيئة التى نراه عليها . كذلك يسوق الله السحاب بواسطة تحريك الرياح إلى حيث أراد وشاء ، ولو دام فى مكان معين لعظم ضرره من حيث أنه يستر ضوء الشمس ويكثر الأمطار والابتلال ، وإذا انقطع لعظم ضرره أيضاً لأنه يقتضى القحط وعدم العشب والزرع ، فهو مسخر لله سبحانه بمقدار معلوم ، يأتى به فى وقت الحاجة ويرده عند زوال الحاجة[٨] .

ويبلغ الأسلوب القرآنى قمة البيان والإعجاز فى وصف حال ضرب من المنافقين الذين يظهر لهم الحق تارة ، ويشكّون تارة أخرى ، فقلوبهم فى حال شكّهم وكفرهم وترددهم أشبه بالمطر الذى ينزل من السماء فى حال ظلمات ورعد وبرق . قال تعالى :

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيه ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . (البقرة : ١٩ ، ٢٠) .

وكثيراً ما ينبه الله عباده أن يعتبروا بهذه الظاهرة واكتمال أثرها بإحياء الأرض بعد موتها ، فيؤمنوا بحقيقة البعث والنشور . قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَيُحْيِى به الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذلِكَ

(٨) عبد المنعم السيد عشرى ، تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم ، ص ٦٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ .

لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ ﴾ (الروم : ٢٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وهو الذي يُرسلُ الرياحَ بشرًا بين يدَيْ رحمتِه حتى إذا أقلَّتْ سحابًا ثقالاً سُقناه لبلدٍ ميّتٍ فأنزلنا به الماءَ فأخرجنا به من كلِّ الثمراتِ كذلكَ نُخرجُ الموتى لعلكم تذكّرون ﴾ (الأعراف : ٥٧) .

وقال تعالى : ﴿ واللهُ الذي أرسلَ الرياحَ فتثيرُ سحابًا فسُقناه إلى بلدٍ ميّتٍ فأحيينا به الأرضَ بعدَ موتِها كذلكَ النشور ﴾ (فاطر : ٩) .

كذلك يشير الأسلوب القرآنى إلى مسميات أخرى للسحاب فى مثل قوله تعالى :

﴿ أفرأيتمُ الماءَ الذي تشربون . أأنتم أنزلتموهُ من المُزنِ أم نحنُ المنزلون . لو نشاءُ جعلناه أُجاجًا فلولا تشكرون ﴾ (الواقعة ٦٨ ـ ٧٠) .

وقوله سبحانه : ﴿ وأنزلنا من المعصراتِ ماءً ثجّاجًا . لنخرجَ به حبًّا ونباتًا . وجناتٍ ألفافًا ﴾ (النبأ : ١٤ ـ ١٦) ، وقوله : ﴿ وظلّلنا عليهمُ الغمامَ وأنزلنا عليهمُ المنَّ والسلوى ﴾ . (الأعراف : ١٦٠) .

(فالمزن) هو الغيم والسحاب ، واحدته مُزنة ، و(المعصرات) هى السحاب التى تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد[٩] . وأحيانا لا يذكر اسم السحاب ولكن يستدل عليه من سياق النص القرآنى ، فى مثل قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرياحَ لواقحَ فأنزلنا من السماءِ ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ (الحجر : ٢٢) .

وهكذا نرى عظمة الأسلوب القرآنى فى أثره على النفس والعقل والقلب والوجدان ، يسلك سبيله إليهم جميعاً ، ويطوف بهم فى شتى مجالات الكون ليطلعهم على قدرة الله الخالق ويبين للإنسان أبعاد مسئوليته فى الخلافة وحمل الأمانة .

فيزياء السحاب :

يرجع تاريخ الاهتمام بدراسة الظواهر الجوية المختلفة على أساس علمى سليم إلى عصر الحضارة الإسلامية التى نبغ علماؤها فى وضع أصول المنهج العلمى التجريبى وممارسته بعيداً عن الأساطير والخرافات وكانت تعاليم الإسلام الحنيف خير حافز لهم على البحث والتنقيب فى كل ظواهر الكون والحياة .

وفيما يتعلق بفيزياء السحاب ، فقد ذكر ابن سينا فى كتابه «الشفاء» أن السحب تولد من الأبخرة الرطبة إذا تصعّدت بتصعيد الحرارة فوافقت الطبقة الباردة من الهواء ، فجوهر السحاب بخارى متكاثف طاف فى الهواء ، والبخار : مادة السحاب والمطر والثلج والطل والصقيع والبرد ، وعليه تتراءى مختلف الظواهر الشمسية والقمرية كالهالة وقوس قزح .

وتحدث ابن سينا عن البرق والرعد فقال : إن البرق يرى والرعد يسمع ولا يرى ، فإن كان حدوثهما معا رؤى البرق فى آن (أى فى نفس اللحظة التى حدث فيها) وتأخر سماع الرعد ، لأن مدى البصر أبعد من مدى السمع ، فإن البرق يحس فى (الآن) بلا زمان ، وأما السمع فيحتاج فيه إلى تموج الهواء أو ما يقوم مقامه من أجسام صلبة أو سائلة .

وحاول ابن سينا أن يسوق الدليل على نظريته بأن البصر يستبق السمع فذكر انه إذا اتفق أن قرع إنسان من بعد جسماً على جسم فإنك ترى القرع قبل أن تسمع الصوت ، لأن الإبصار ليس له زمان والاستماع يحتاج إلى (آن) .

والحقيقة ان ابن سينا كان يتبع فى هذا منهجاً عقلياً صورياً أشبه بمنهج أرسطو الذى قال ـ على أساسه : إن الحجر الأثقل يصل إلى الأرض قبل

(٩) مختصر تفسير ابن كثير ، جـ ٣ ص ٥٩٠ ، ٥٩١ .

الحجر الأخف إذا تركا ليسقطا من نفس الارتفاع ، ولعل هذا الأخير كان متأثرا بدوره بريشة طائر رآها لا تسقط إلى الأرض بسهولة ، **ولكن الحسن بن الهيثم استطاع بالتجربة العملية ان يبطل نظرية السرعة الآنية للضوء التى قال بها ابن سينا ، واثبت ـ لأول مرة فى تاريخ علم البصريات : ان للضوء زماناً وسرعة معينة ، كما ان للصوت زمانا وسرعة معينة .**

على أن رأى ابن سينا فى تكون السحب لا يختلف كثيراً عن الرأى الذى قال به فيجان وشماوس فى عام ١٩٢٩ م ، وفيه يعرف السحاب بأنه : مادة غروية من الماء عالقة فى الهواء ، أو محلول غروى هوائى . والمادة العالقة إما أن تكون فى صورة قطيرات من الماء ، وإما بللورات من الثلج ، وإما مزيج من القطيرات والبللورات معا . وكثيراً ما تكون القطيرات المائية فى درجات حرارة منخفضة تصل إلى ٥٠°م تحت الصفر[١٠] .

ولم يهتم الغربيون بمواصلة الدراسة المنظمة للسحب التى بدأها علماء المسلمين إلا فى القرن الماضى عندما حاول العالم الفرنسى لامارك أن يصنف السحب ونشر قائمة بأنواعها . إلا أن القائمة كانت غير مدعمة بأشكال توضيحية ، فلم تحظ باهتمام يذكر .

وفى عام ١٨٩١ وصل المؤتمر الدولى الذى عقد فى ميونخ إلى اتفاق حول تقسيم السحب ادى إلى نشر اول مصور دولى للسحب فى عام ١٨٩٦ وتطور هذا الاتجاه تدريجيا خلال القرن الحالى حتى اصبحت فيزياء السحب حاليا من اهم فروع علم الأرصاد الفيزيائية الذى يحظى باهتمام الباحثين بهدف الاستفادة من تطبيقاته الهامة فى اغراض التنبؤ بحالة الجو والطيران والاستمطار (السحاب الاصطناعى) وغيرها .

وربما يكون من المفيد فى تفهم الآيات القرآنية المتعلقة بظواهر البرق والرعد والسحاب أن نذكر رأى العلم فى تصنيف أنواع السحاب ، ويكفى أن نذكر من بينها :

١ ـ الركام ، أو السحب الركامية ، وهى تنتج عن تيارات هواء صاعدة إلى أعلى . فعندما يصعد (الهواء) المحمل (ببخار الماء) إلى أعلى يخف الضغط الواقع عليه فيتمدد وتنخفض درجة حرارته إلى حد يسمح (بتكثف بخار الماء) الموجود (مكوناً قطيرات رفيعة من الماء) وإذا اشتد البرد (بالسحاب) تجمدت قطيراته الدقيقة فجأة وصارت (ثلجا) . وإذا ترددت (بللورات الثلج) صاعدة هابطة بين طبقتين إحداهما ثلجية فى أعلى والأخرى مائية فى أسفل ازداد حجم هذه البللورات وصارت (بردا) . ونظراً لثقلها تهبط إلى أسفل مقتربة من سطح الأرض .

٢ ـ المزن الطبقى ، وهو سحاب معتم رمادى فى العادة ، لكنه يبدو كما لو كان مضاء فى داخله ، وتبدو قاعدته أحياناً فى منظر ممزق ، وكثيراً ما يهطل منه المطر أو الثلج بدرجة تختلف فى شدتها بين الخفيف والغزير .

٣ ـ المزن الركامى ، وهو سحاب كثيف بلغ شأواً كبيراً من النمو ، تتراكم قمته على هيئة كتل جبلية ، وهو اكثف السحب جميعها واكثرها نشاطاً ، وتتساقط منه (رخات) تتراوح بين المعتدلة والغزيرة ، وتصحبه عواصف البرق والرعد ، وهو السحاب الوحيد الذى يسقط منه البرد .

يتبع

---

(١٠) فيزياء السحب ، د . و . بيرى الترجمة العربية ، مكتبة نهضة مصر ١٩٦١ .

غاز الأوزون في جو الأرض

والفجوة التي حدثت في نصف الكرة الجنوبي

د. ربيع سيد فولى

تمهيـــد :

قبل الحديث عن غاز الاوزون ، خصائصه وكيفية تكوينه في بعض طبقات الغلاف الجوى ، والفجوة التى حدثت في طبقة الأوزون في نصف الكرة الجنوبي - نرى انه من الافضل ان نتحدث ، ولو باختصار ، عن هذه الطبقات وهى : طبقة التروبوسفير ، طبقة الستراتوسفير ، التروبوبوز الذى يفصل بين التروبوسفير والستراتوسفير ، وطبقة الاوزونوسفير .

التروبوسفير :

يقصد بالتروبوسفير الطبقة السفلى الرئيسية من الغلاف الجوى لكوكب الأرض ، وتمتد هذه الطبقة من سطح الأرض إلى ارتفاع ٨ - ١٠ كيلومترات في المناطق القطبية ، وتمتد إلى ١٠ - ١٢ كيلومترا في المناطق تحت المدارية ، وتمتد إلى ١٦ - ١٨ كيلومترا في المناطق المدارية ، وتتميز طبقة التروبوسفير عموماً بتناقص درجة الحرارة مع الارتفاع عن سطح الأرض بمعدل حوالى٢/١ ٦ درجة مئوية لكل كيلومتر واحد .

هذا ويتركز اكثر من أربعة اخماس الكتلة الكلية للهواء الجوى في طبقة التروبوسفير ، وفيها تتكون السحب الرئيسية بأنواعها المختلفة نتيجة تكثف بخار الماء على نويات التكثف الموجودة في الهواء الجوى .

وفي التروبوسفير تتكون الكتل الهوائية والجبهات المختلفة والمنخفضات والمرتفعات الجوية .

ويسمى الجزء السفلى من التروبوسفير (٥٠ - ١٠٠ متر) الملاصقة لسطح الأرض بالطبقة السطحية ، كما تسمى الطبقة التى تبدأ من سطح الأرض إلى ارتفاع حوالى واحد كيلومتر (وقد يصل إلى اثنين كيلومتر) بالطبقة الدنيا (أو الطبقة الحدية) من الغلاف الجوى والتى تحدثنا عنها في مقالة سابقة تحت عنوان «تركيب الطبقة الدنيا من الغلاف الجوى» (السنة السابعة

← غاز الأوزون فى جو الأرض

والخمسون ـ الجزء الحادى عشر ـ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ صفحة ١٨٣٦) .

التروبوبوز :

عبارة عن طبقة انتقالية (ونظرياً تعتبر سطحاً فاصلاً) بين طبقة التروبوسفير التى تحدثنا عنها وطبقة الستراتوسفير التى سنتحدث عنها . أى أن التروبوبوز يعتبر الحد العلوى لطبقة التروبوسفير أو الحد السفلى لطبقة الستراتوسفير .

الستراتوسفير :

هى إحدى طبقات الغلاف الجوى التى تقع بين طبقة التروبوسفير وطبقة الميزوسفير ، وتبدأ طبقة الستراتوسفير من سطح التروبوبوز إلى ارتفاع ٥٠ ـ ٥٥ كيلومترا من سطح الأرض . وتتميز هذه الطبقة بثبوت درجة الحرارة مع الارتفاع تقريباً فى الجزء السفلى منها ثم زيادة درجة الحرارة مع الارتفاع فى الجزء العلوى منها .

ويتوقف موضع الحد السفلى لطبقة الستراتوسفير (التروبوبوز) على عوامل متعددة منها خط العرض (التحرك شمالاً أو جنوباً) والزمان (ليلاً أو نهاراً ، صيفاً أو شتاءً .. الخ) والنظام السينوبتيكى (مناطق الضغط المرتفع أو مناطق الضغط المنخفض ومدى نشاطها) .

وينحصر الستراتوسفير السفلى بين التروبوبوز وارتفاع حوالى ٢٤ كيلومترا من سطح الأرض ، ويقع الستراتوسفير العلوى أعلى هذا الارتفاع وحتى الحد العلوى لطبقة الستراتوسفير الذى يطلق عليه اسم الستراتوبوز (٥٠ ـ ٥٥ كيلومترا من سطح الأرض) .

هذا وتتراوح درجة الحرارة فى المتوسط عند سطح التروبوبوز بين – ٤٥°م ، – ٧٥°م متوقفاً على خط العرض وأى وقت من السنة . ويتراوح متوسط درجة الحرارة عند الحد العلوى للستراتوسفير بين – ٢٠°م ، + ٢٠°م .

ويوجد فرق أساسى بين الستراتوسفير والتروبوسفير وهو أن النسبة المئوية للغازات الرئيسية الدائمة (الاكسجين والنيتروجين) فى طبقة الستراتوسفير تقل كثيراً عن نظيرتها فى طبقة التروبوسفير ، ولكن غاز الأوزون الذى سنتحدث عنه يتواجد بنسبة كبيرة فى الستراتوسفير ، ويتواجد هذا الغاز بنسبة ضئيلة فى طبقة التروبوسفير .

الأوزونوسفير :

يطلق اسم الأوزونوسفير على طبقة الغلاف الجوى الواقعة بين ارتفاعى ١٠ ، ٥٠ كيلومترا من سطح الأرض ، وتتميز هذه الطبقة بزيادة تركيز غاز الأوزون فيها . ومن الناحية العملية تتطابق طبقة الأوزونوسفير مع طبقة الستراتوسفير ، ويكون تركيز غاز الأوزون فى طبقة الأوزونوسفير أكبر من عشرة أضعاف تركيزه بالقرب من سطح الأرض التى يتكون عندها جزىء واحد أوزون من حوالى كل مليون جزىء اكسوجين .

ويتكون غاز الأوزون بكثرة فى طبقة الأوزونوسفير خاصة مع تفاعلات تكوين وتفكك جزيئات غاز الأوزون عند امتصاص أشعة الشمس فوق البنفسجية ذات أطوال الموجة القصيرة جداً ، ويساعد على ذلك ارتفاع درجة الحرارة فى الجزء العلوى من طبقة الأوزونوسفير .

وأحيانا يطلق اسم الأوزونوسفير على طبقة الغلاف الجوى الواقعة بين ارتفاعى عشرين وخمسة وعشرين كيلومترا من سطح الأرض حيث

أنها تحتوى على أكبر قيمة لتركيز غاز الأوزون فى الجو .

خصائص غاز الأوزون :

- يتكون جزىء غاز الأوزون من ثلاث ذرات اكسوجين .
- غاز الأوزون يتميز برائحته النفاذة الحادة وعدامة لونه (عديم اللون) .
- الوزن الجزيئى لغاز الأوزون يساوى ٤٨ .
- غاز الأوزون يعتبر من المؤكسدات القوية .
- يتواجد غاز الأوزون بالقرب من سطح الأرض بنسبة ضئيلة جدا (حوالى ٢ ×١٠$^{-٨}$ فى المائة نسبة حجمية) .
- يتزايد تركيز غاز الأوزون فى طبقة الستراتوسفير بين ارتفاعى عشرة كيلومترات وخمسين كيلومترا (فى طبقة الأوزونوسفير) ويبلغ متوسط تركيزه فى هذه الطبقة حوالى ٤ × ١٠$^{-٧}$ جرام/متر مكعب .
- تبلغ النهاية العظمى لتركيز غاز الأوزون بين ارتفاعى عشرين وخمسة وعشرين كيلومترا من سطح الأرض ، وتتناقص قيمة التركيز بمعدل كبير جداً كلما اتجهنا إلى أعلى أو إلى أسفل .
- يعبر عن الكمية الكلية لغاز الأوزون فى الغلاف الجوى بسمك طبقة الأوزون التى يمكن الحصول عليها إذا ما أصبح الضغط الجوى ١٠١٣,٢٥ ملليبار (حوالى ٧٦ سنتيمتر زئبق) عند درجة حرارة الصفر المئوى .

ويتراوح سمك هذه الطبقة بين واحد ونصف سنتيمترا وأربعة سنتيمترات ونصف .

- يتكون غاز الأوزون فى طبقة الأوزونوسفير نتيجة التأثير الفوتوكيميائى للأشعة الشمسية فوق البنفسيجة (طول الموجة أقل من ٢٤٢ مائتين واثنين وأربعين نانومتر) . إذ ينقسم جزىء الأكسوجين إلى ذرتين بفعل هذا التأثير الفوتوكيميائى ثم تتحد كل ذرة اكسوجين مع جزىء أكسوجين غير منقسم مكونة جزىء غاز الأوزون (ثلاث ذرات أكسوجين) .
- من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده أن الجانب الأعظم من الأشعة فوق البنفسجية القاتلة يتم امتصاصه أثناء التفاعلات الفوتوكيميائية السابق ذكرها والتى يتكون نتيجة لها غاز الأوزون ، ولولا ذلك لما استمرت الحياة على سطح الأرض .

تكون غاز الأوزون فى التروبوسفير السفلى :

سبق أن تحدثنا فى مقالة سابقة بعنوان «الغلاف الجوى» (العام الهجرى ١٤٠٥ صفحة ٩٥٢) وشرحنا بنوع من التفصيل التركيب الكيماوى للهواء الجوى بما يتضمنه من غازات دائمة مثل (النيتروجين والأكسوجين والأرجون) وغازات متغيرة مثل (الأوزون وثانى أكسيد الكربون والهيدروجين) وغازات متغيرة جداً مثل (بخار الماء وأول أكسيد الكربون وثانى أكسيد النيتروجين .. الخ) .

ويهمنا فى هذه المقالة (الحالية) أن نذكر أنه من الممكن أن يتكون غاز الأوزون فى طبقة التروبوسفير السفلى أيضاً نتيجة للتفاعلات الفوتوكيميائية ، فعلى سبيل المثال يتحد غاز ثانى أكسيد النيتروجين (عامل مؤكسد) مع غاز الأكسوجين تحت تأثير أشعة الشمس مكوناً غاز الأوزون بعد اختزال ثانى أكسيد النيتروجين إلى أول أكسيد النيتروجين .

ولكن بالطبع ـ كما سبق ذكره ـ تركيز غاز الأوزون فى طبقة الأوزونوسفير يفوق بكثير تركيزه فى طبقة التروبوسفير .

فجوة الأوزون :

فى الآونة الأخيرة حدث كثير من الجدل حول فجوة الأوزون التى حدثت فى نصف الكرة الجنوبى ، ويخشى البعض من اتساع هذه

البقية ص ٨٣٩

طرائف

عز التقوى

قال عبد اللـه بن الحكم للإمـام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ لما قدم مصر : إذا أردت أن تسكن هذا البلد فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه :

يا أبا محمد من لم تعزه التقوى فلا عِزَّ له
ولقد ولدت بغـزة ، وربيت بالحجـاز
وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعا قط .

وأخو الجهالة متعب محزون

يحكى أن رجلا ضاق حاله من أجل المعيشة ، وطال به الكد والتعب فخرج هائما على وجهه داخل الصحراء ، فوجد قصرا دارسا خربا قد كشف الريح عنه الرمل ، وإذا بقطعة من الرخام فى جدار ذلك القصر مكتوب فيها هذه الأبيات :

لما رأيتك جـالسا مستقبـلا
أيقنت أنـك للهمـوم قـرين

مـالا يقدر لا يكـون بحيلـة
أبـدا وماهـو كائن سيكـون

سيكون ماهو كائن فى وقته
وأخو الجهالة متعب محزون

يجرى الحريص ولا ينال بحرصه
شيئا ويحظى عاجـز ومهين

فدع الهموم وتَعَرَّ من أثوابها
إن كان عندك بالقضاء يقين

هوِّن عليك وكن بربك واثقا
فأخو الحقيقة شأنه التهوين

طرح الأذى عن نفسه فى رزقه
لـمـا تيقـن أنـه مضمـون

لا تحجب عنى أحدا

قال بعض الأكاسرة لحاجبه : لا تحجب عنى أحدا إذا أخذت مجلسى ؛ فإن الوالى لا يحجب إلا من ثلاث : عىّ يكره أن يطلع عليه ، أو بخل فيكره أن يدخل إليه من يسأله ، أو ريبة .

ومواقف

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

قالوا ....

● أكثر الناس وقوفا يوم القيامة أكثرهم خوضا فى الباطل .

● كفاك أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك .

● زهدك فى راغب فيك نقصان حظ ، ورغبتك فى زاهد فيك ذل نفس .

● اعقلوا الخير إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية ؛ فإن رواة العلم كثير ، ورعاته قليل .

● لا يعاب المرء بتأخير حقه ، إنما يعاب من أخذ ماليس له .

● ما المبتلى الذى قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء .

حمقا

اشترى أعرابى جملا ، فندم عليه فى شرائه ، فجعل يصعد النظر فيه ويصوبه ليجد ما يتوصل به إلى رده .

فقال البائع : « من طلب عيبا وجده » .

أصناف الرجال

قال عمر : رضى الله عنه :

رجل ينظر فى الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها .

ورجل لا ينظر فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبل قولهم .

ورجل حائر بائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً .

القلب

قال أبو بكر الوراقى للقلب ستة أشياء : حياة ، وموت ، وصحة ، وسقم ، ويقظة ونوم .

فحياته الهدى ، وموته الضلالـة ، وصحته الصفاء ، وعلته الصلافة ، ويقظته الذكر ، ونومه الغفلة .

« دعاء »

اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ، ولا مضلين ، سلما لأوليائك ، حربا لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادى بعداوتك من خالفك .

اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجهد وعليك التكلان .

سر إخلاص المسلم لدينه

أسئلة موجهة إلى حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الشيخ محمد مأمون الشناوى "شيخ الأزهر"

من الصحفى الأمريكى : أ. أ. دورويـنيـان وإجابة فضيلته عنها

كعادة ما نتوقعه من أسئلة لها أهداف بعيدة ، صادرة عن نوايا لا يعلم صداها إلا الله - عز سبحانه وجل - توجه هذا الصحفى بأسئلة محددة تتناول موقف الإسلام من المذاهب السياسية إلى فضيلة الإمام الأكبر ، فتلقاها فضيلتـه وأجاب عنها ...

لقد تأثرت تأثراً عميقاً بما لاحظته من تحمس المصرى العادى لدينه ، وحرصه على أداء صلاته كل يوم فى حينها ؛ الأمر الذى لا يفعله إلا قليل من المسيحيين : وبذلك أود أن تسمحوا مشكورين بالإجابة على الأسئلة الآتية :

س ١ - ما الذى يدفع المسلم إلى الإخلاص لدينه على هذه الصورة : هل هو دافع غريزى شخصى أو دافع الدين ؟ هل السر فى ذلك هو التعليم الأولى الذى يتلقاه المسلم سواء كان دينيا أو غيره ، أم تأثير الوالدين فى النشء ؟ وبالجملة ماهى العوامل فى هذا الشعور ، وما أهمها فى رأيكم ؟

جـ ١ - الإسلام دين الفطرة ، فهو دين طبيعى ينفذ إلى النفوس الفطرية من غير مشقة ولا إجهاد فكر ؛ وذلك لأنه دين يدعو أصحاب العقول إلى إعمال فكرتهم فى حقائقه ، ويتسع إلى المناقشات العقلية والمنطقية ، لا يتوارى عنها ، ولا يستتر دونها بستار شكلى . ومن أجل ذلك ترى المصرى العادى يتلقاه عن رضا واقتناع ، ويؤمن به إيماناً راسخاً كأنه ضرورة من ضرورات حياته ، ووسيلة متفردة فى إسعاده . وقد يساعد على ذلك عوامل كثيرة ، منها ما يرجع إلى التربية والتعليم تحت تأثير البيئة ولون الحياة التى يحياها المصرى العادى ، ومنها ما يرجع إلى الاستعدادات الموروثة والدوافع الشخصية الداخلية ؛ ومنها ما أشرت إليه في اختصار من أن الإسلام دين يعتقد ، لا دين يملى إملاء . وسأفرد فيما يلى لكل حالة من الحالات التى ذكرتها كلمة يسيرة تزيد فى إيضاح ذلك ، وتكشف عن حقيقته .

(١) الدين الإسلامى دين ذو قواعد سهلة واضحة لا تعقيد فيها ولا التواء فالعبادات

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الدينية فيه عبادات يقوم بها المسلم لربه فى أى مكان ، يسر فى ذلك أو يعلن والله سبحانه وتعالى طالب العبد فى عبادته أن يقف بين يديه منه إليه من غير واسطة ، وجعل مقام ذلك العبد إن كان تقياً فى عبادته مخلصاً لله فيها اكرم مقام وأعز موضع ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ لا فرق فى ذلك بين أعجمى أو عربى ، شرقى أو غربى . فكرم المرء عند الله بعمله يقرب منه سبحانه به ، وبعده عن الله بعمله إن كان شراً ، يخرج به عن رضاه ، ويستحق بشروره غضب الله فى الدنيا ، وعقابه بالنار فى الآخرة .

لكل ذلك ترى المسلم حريصا أن يكون قريبا من ربه كريم الموضع عنده ، وما أخف الوسيلة إلى ذلك وأهونها على النفس ! فقد يسر الله على عباده هذه التكاليف ، وما حملهم شيئا فوق طاقتهم ولا أرهقهم ، بل راعى سبحانه وتعالى الرأفة بعباده ، فكان رفيقا بهم فى تكاليفه ، مترخصا لهم فى حالاتهم التى تعرض من شدة أو عناء ، فقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا . لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ حتى لقد دعا سبحانه وتعالى كثيراً ممن أسرفوا على أنفسهم أن يعودوا إلى رضاه ، وهو غافر لهم الحوبة ، قابل منهم التوبة ، فقال عز من قائل :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا . إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ . هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ .

(٢) إن المتتبع لطبائع المصريين والباحث فى دوافعهم النفسية واستعداداتهم الموروثة من أجيال طويلة مضت ، يقرر أن لها أكبر الأثر فى الإقبال على العبادات ، والقرب من الله ، والإخلاص فى دعائه سبحانه وتعالى ، وخصوصاً حينما تحل بهم الشدائد ، أو تحزبهم الكروب ؛ فما أسرعهم حين يتوجهون إلى الله سبحانه وتعالى ضارعين إليه أن يفك أسرهم ، ويفرج كربهم ، يخضعون فى ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(٣) أما التعليم والتربية فإننى أعتقد اعتقاداً قوياً فى أثرهما فى ذلك الإخلاص القوى ، والتفانى فى الطاعة لله سبحانه وتعالى : وذلك لأن التعليم الدينى فى مصر كان هو السائد فى القرى والمدن ، فقد انقضت حقبة طويلة والتعليم فى المكاتب والمدارس أساسه حفظ القرآن الكريم وترتيله ، وما كان يتعلم بجانبه من الكتابة والقراءة لم يكن إلا وسيلة لقراءة وكتاب الله واستظهاره ، وحين تدرج التعليم فى مصر حتى اشتمل التعليم المدنى فى مراحله الابتدائية والثانوية والعالية ، كان غذاء هذه المدارس الجديدة المتخرجين فى المكاتب التى قلْتُ : إن التعليم فيها يقوم على أساس قراءة كتاب الله

←

من روائع الماضى

وحفظ ما يمكن حفظه منه ؛ وما تجردت برامج الدراسة فى المدارس الابتدائية والثانوية من دراسات كافية للمبادىء الدينية فى كل فرقها ؛ فإنها تحرص دائما على تحفيظ بعض آى القرآن زيادة على دراسة المبادىء الدينية الكثيرة . على أن التدرج فى إنشاء هذه المدارس المدنية لم يحرم البلاد المصرية خاصة والبلاد الإسلامية عامة من المحافظة على أكبر معهد دينى له الأثر الكبير المشكور فى شرح قواعد الدين وبيان عقائده : ذلك هو الأزهر الشريف ، الذى له الفضل الأكبر فى الاحتفاظ بالآثار الصالحة المتوارثة عن السلف من كبار المسلمين ورجال العلم منهم ؛ فقد بقى أكثر من ألف عام وهو الينبوع الفياض الذى تتفجر منه عيون الحكمة الإسلامية ، وتفيض من جوانبه جداول المعرفة فى كل ناحية من نواحى العلم والدين والثقافة الإسلامية . ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إنه هو المعهد الوحيد الذى حفظ للمسلمين تراثهم ، وأبان لهم سبيلهم ، وأوضح أمامهم معالم الحق ، وجنبهم مسالك الضلال : وأنه إلى عهد قريب جداً كان المعهد الوحيد الذى أخرج للمصريين من قامت بأفكارهم نهضاتها ومن استحدثت بهم مصر أسس حضارتها التى يجنون ثمارها الآن .

ومن كل ذلك يتبين لك من غير خفاء أن التعليم الدينى كان ولا يزال سلطانه غير محدود على النفوس المصرية ، يدعوهم الأزهر إلى الاحتفاظ بدينهم ، والإخلاص لربهم من أول إنشائه إلى وقته الحاضر ، ولم يكن بعد ذلك موضع للعجب من تفانى المصريين فى حبهم لربهم وإخلاصهم لدينهم . وسيبقى ذلك إن شاء الله ما بقى الأزهر ، وما بقيت النفوس خالية من الهوى والغرض .

س ٢ - إننى لست مقتنعا بما قيل من أن الشيوعية لا تستطيع أن تتسلل بين المسلمين . وهنا أود أن أنوه لفضيلتكم بأن كنيسة الروم الكاثوليك تعترض بشدة على هذا الشر ، ومع ذلك فإن كثيراً من الزعماء المسيحيين وخاصة فى إيطاليا الكاثوليكية قد انقلبوا شيوعيين وناصبوا الكنيسة العداء ، أو استمروا فى التردد على الكنيسة فى أيام الآحاد ولكنهم يعملون للشيوعية فى أيام الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، والسبت . ولست مقتنعا بما أعلن من أن المسلم الطيب لا يمكن أن يصبح شيوعيا ، لأن هذا هو عين ما قاله البابا عن الشيوعية ، ثم لم يلبث المسيحيون أنفسهم أن خالفوه . على أنه فى حالة ما إذا كانت إجابتكم بالمثل ، هل لى أن أسأل فضيلتكم عما إذا كنتم قد اتخذتم فى الأزهر تدابير خاصة ضد الشيوعية ، مثل إصدار تحريرات معينة ضدها ، أو الإشارة إلى الوسائل التى يمكن التعرف بها على الشيوعية ومكافحتها ؟

جـ ٢ - لقد داخلك الشك فى أن الشيوعية لا تتغلغل بين صفوف المسلمين ولا أمنحك عذرا فى هذا ؛ لأنك لو عرفت الدين الإسلامى وكيف كفل للمسلمين التساند الاجتماعى ، وأن واجبا محتوما على كل واحد منهم أن يأخذ بيد أخيه المسلم ، وأن يقف حاجزا بينه وبين الحاجة وما تستدعيه ضرورات الحياة ، لما توانيت لحظة فى الإذعان معنا فى أن الإسلام هو الصخرة التى ترتطم بها أمواج الشيوعية ثم تنحسر عنها واهنة مخذولة إن شاء الله . وحتى أوضح لك ما أجملته أقول :

قلت لك : إن الإسلام كفل للمسلمين التساند الاجتماعى ، وما يقيهم شر الحاجة ، ويدفع عنهم مطالب الأيام . وسبيله فى ذلك :

أولا ـ أنه فرض على كل مسلم أن يجعل لله حقا فى ماله ، سواء أكان ذلك المال زروعا ، أو حيوانا من إبل أو بقر أو غنم ، أو عروض تجارة ، أو ذهبا أو فضة ، أو مالا مقوما من أى نوع ، بشرط أن يفيض عن حاجة المسلم من النفقة عليه وعلى عياله ، ومن تجب عليه نفقتهم ، وألا يكون مطالبا به فى دين أو نحوه ، وقد يبلغ ذلك الحق عشر المال أى ١٠٪ ثم حدد أيضا وجوه الصرف لهذه الأموال التى تجتمع لدى بيت المال ، وجعل مصارفها الفقراء والمساكين ، ومن انقطعت بهم السبل ، ومن أغرقهم دين لم يكن مسببا عن معصية الله ، وغيرهم مما هو ثابت فى الدين ومعروف من مأخذه . ولقد طالب الله سبحانه وتعالى المسلمين بدفع هذه الزكاة فى مواضع كثيرة ، ولم ترد فى القرآن آية من الآيات التى تدعو المسلمين إلى إقامة الصلاة إلا مقرونة بدعوتهم إلى إيتاء الزكاة . فالزكاة والصلاة فى الإسلام ركنان من الأركان التى قام عليها الإسلام ، ودعامتان متينتان بنى عليهما ديننا القوى . من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ، ﴿ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ و﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ . . و ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ .

ولولا أنى لا أجد فى مثل هذا المقام متسعا لسرد كثير من الآيات التى تحتم على المسلمين أداء الزكاة كلما استحقت ، لأفضت فى البحث معك ولأطلت ، ولكنى سأجتزىء بعد ما ذكرت بما أقص عليك من حادث خليفة المسلمين الأول أبى بكر الصديق ، وكيف أنه قام فى أشد أوقات المسلمين وأعصبها ، بعد موت رسول الله ـ ﷺ ـ بإعلان حرب شعواء على كل من امتنع عن تأدية هذا الفرض ؛ وتحمل فى سبيل ذلك تعريض المسلمين لهول فَزِعَ منه من كانت لا تفزعه الخطوب ولا تزعزعه الحوادث ، خليفة المسلمين عمر بن الخطاب المعروف بشدته فى الدين وعدم الهوادة فيه ، فجاء أبا بكر يطلب إليه التريث فى إعلان هذه الحرب حتى تمر الشدة التى هم فيها ؛ ولكن صرامة أبى بكر فى دينه وتفانيه فى الإخلاص لأركانه ودعائمه ، دفعاه إلى ألا يبالى بمكروه يقع فيه وقال له : والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ لقاتلتهم عليه أو أهلك دونه ! وقال : والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ! وخاض غمار هذه الحرب ، وخرج منها ظافراً ، معزاً لدين الله ، ومثبتاً لأركان الإسلام .

ومن ذلك ترى أن الدين الإسلامى اتخذ طريقاً وسطا حد فيه من طغيان (الرأسمالية) فأخذ من مال الأغنياء نصيبا مفروضا يصرف الحاكم منه على الفقراء وذوى الحاجات ، كما ينفق منه على دور الاستشفاء ، وأماكن إيواء العجزة بحيث لا يترك لأمثال هؤلاء مجالا للشكوى ، ولا مسلكا ينفذون منه إلى سلب أموال الناس وأخذها بالباطل ، وغير ذلك من المسائل التى تذكى نارها فى نفوس الفقراء وسائل الرأسماليين ومكتنزى الذهب والفضة .

ثانيا ـ ومن المبادىء المقررة فى الإسلام أيضا حرية التملك (الملكية الفردية) واحترامها ، وأن لكل فرد أن يقتنى من المال ما تمكنه من اقتنائه السبل المشروعة ، وليس عليه وراء ذلك إلا أن يؤدى الفرض الذى أشرنا إليه من قبل ، وله فى كل حالة أن يتصرف فى هذه الأموال بما يراه ، وتبقى بعده تركته لورثته ، فى حدود القوانين الإسلامية التى جاءت فى نصوص القرآن فى مواضع كثيرة منه ، وقد دعا الدين الإسلامى

من روائع الماضي

جميع المسلمين بعد ذلك إلى التطوع بالإنفاق ، وشجعهم على التبرع لأعمال الخير ، ونهاهم في كثير من المواقف عن الإفراط والتفريط ، فنهى عن السرف كما نهى عن التقتير ، فقال تعالى في الحث على الإنفاق : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ﴾ وقال تعالى في التوسط والاعتدال : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ . .

ثالثا ـ وإنك لو تأملت في حكمة الإسلام في احترام الملكية الفردية ووضع القواعد العامة للمواريث ، لعرفت أن هذا من أكبر الدوافع التي تحفز المولين إلى قوة الاستثمار والنشاط في الإنتاج ، ويدعو إلى السهر على المصالح وبذل الجهود القوية في تكثير الأموال ، وهو في الوقت نفسه يحمى هذه الأموال من أن تعبث بها يد السرف والتبذير . فالرجل الذي يعرف أن الأموال التي بذل في جمعها صحته وعقله ستصير بعد ذلك إلى الدولة ولا ينتفع بها بنوه بطريق مباشر ، ليس هناك ما يحفزه إلى ادخارها ويدفعه إلى المحافظة عليها . ولا يصح أن يقال : إن قواعد التكافؤ الاجتماعي قد تغني عن ذلك ؛ فإن الطبيعة البشرية التي تدفع الآباء إلى المحافظة على بنيهم وجمع الأموال في سبيلهم ، لا يمكن بحال أن يغني عنها أو يقوم مقامها ما يدعيه ذوو الآراء الهدامة من مبادىء ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب .

إنك لو تأملت بعض ذلك لما ترددت لحظة في أن سبيل الشيوعية إلى المسلمين مليئة بالعواثير والأشواك ، وأنها ـ إن شاء الله ـ لن تجد المسلمين الطيبين لقمة سائغة ولا فريسة مستضعفة حتى يسهل عليها أن تنفذ إلى نفوسهم . ولعلي لا أكون متجنيا إذا قلت : إن المسلمين يختلفون اختلافا واسعا عن غيرهم ؛ فإني أعتقد أن المسلمين يحبون دينهم من قلوبهم ، ويقومون بشعائر الإسلام حبا في القيام بها ، لا خاضعين لمؤثرات خارجة عنهم .

رابعا ـ هذا إلى ما تقرره المبادىء العامة في الدين الإسلامي من احترام الحريات والدعوة إلى الشورى وتبادل الرأى في المشاكل العامة ، مما طبع المسلمين بالطابع (الدستوري) من نحو ثلاثة عشر قرنا وبعض قرن . وهذا القرآن الكريم يطلب الله سبحانه وتعالى فيه من نبيه أن يشرك المسلمين معه في الرأى ، فقال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ووصف المسلمين جملة في آية أخرى فقال : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ ولعلك واجد في القريب لعلماء المسلمين جولات وافية في دفع هذه النظريات الهدامة ومحاربتها ، بما يوضحونه للمسلمين من حقائق عن دينهم ، بالنشر والإذاعة ، والوعظ والخطابة .

س ٣ ـ وصف لى موظف في جامعة الدول العربية الإسلام بأنه يحمل طابع الاشتراكية ؛ فما رأيكم في ذلك ، وإلى أى مدى تبلغ الاشتراكية الإسلامية ؟ وما أوجه الشبه على وجه التحقيق بين الاشتراكية الإسلامية والاشتراكية الحديثة ؟ ويلوح لى مما استخلصته من أحاديث

البقية ص ٨٣٣

اللغة والأدب والنقد

من ملامح المنهج العلمي

السمات العامة لأسلوب الرافعي

الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة

ملامح المنهج العلمى في الصاحبى لابن فارس

١ ـ الشعر : لم يغفل ابن فارس هذا اللون من الأدب فى مصنفه بل رمى فيه بسهم وافر من نظراته الفاحصة ، وذوقه الرفيع . فبين المقصود منه حين قال : « الشعر كلام موزون مقفى دال على معنى ويكون اكثر من بيت وإنما قلنا هذا لانه يجوز اتفاق سطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر من غير قصد[1] .

وتحدث عن تنزيه الله لكتابه الكريم عن شبه الشعر وعن رسوله محمد ـ ﷺ ـ حين قال سبحانه : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾[2] وقال عن الرسول ﷺ : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾[3] وذكر أن الشعر ديوان العرب ، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر[4] .. » .

ثانيا : الهدف من تاليفه :

وبعد هذا العرض لاهم موضوعات هذا الكتاب يستبين لنا الهدف من تاليفه ففى معرض حديثه عن اهمية دراسة اللغة ووجوب العلم باصولها مما لا غنى عنه لباحث أو دارس فى اى فن من فنون العلم يكشف لنا عن سر تاليفه لهذا الكتاب فيقول :

« الا تسمع قول الله جل ثناؤه ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾[5] إلى آخر الآية . فسر هذه الآية فى نظمها لا يكون بمعرفة غريب اللغة ، والوحشى من الكلام ، وإنما معرفته بغير ذلك مما لعل كتابنا هذا ياتى على اكثره بعون الله تعالى[6] ، ويتضح من نص ابن فارس السابق .

ومن خلال عرضنا لموضوعات الكتاب أن الهدف من تاليفه هو الكشف عن سر وجوه إعجاز القرآن الكريم من خلال دراسة الألفاظ ، والتراكيب وكذا الحروف العربية وما توحى به من أسرار تعد فى القمة من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم . فضلا عن بحثه الدائب عن أسرار هذه اللغة وخصائصها التى امتازت بها

---

(١) الصاحبى ٤٦٥ .
(٢) الآيات (٢٢٤) ، (٢٢٥) ، (٢٢٦) ، (٢٢٧) من سورة الشعراء .
(٣) الآية (٦٩) .
(٤) الصاحبى / ٤٦٧ وقارن بالعلامة اللغوى ابن فارس / ١٧٥ ـ ١٧٩ .
(٥) الآية (٥٢) الأنعام .
(٦) الصاحبى / ٤ .

عن بقية اللغات والتى استحقت بسببها أن تنال الحظوة عند الله تعالى باختيارها لغة لقرآنه المجيد وترجمانا لمعانيه ، وحافظة لأسراره إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثالثا : الاستشهاد بالقرآن والسنة وكلام العرب :

من الواضح أن ابن فارس كان يهدف إلى إبراز أهمية اللغة العربية لدارس اللغة والفقه والأصول وغيرها لفهم كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - لذلك رأيناه يكثر من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والشعر العربى الرصين والأمثال العربية . وكان منهجه فى إيراد تلك الشواهد أن يدعم بها قاعدة نحوية أو مسألة بلاغية أو نظرية أصولية . وليكون فيما يذكره من أدلة تقوية لحجته ، ودعما لآرائه ، وتوضيحاً لما يأتى به من أبواب يلفها الغموض والإبهام فيكون الشاهد بمنزلة النبراس الذى يدلك على الطريق ، ويرشدك إلى السبيل المستقيم . وهذا المنهج واضح جلى فى كل ما تعرض له من أبواب فى اللغة والنحو والصرف وغير ذلك . فمثال الاستشهاد على أمر الواحد بلفظ الاثنين يأتى بقول الله جل ثناؤه ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ وهو خطاب لخزنة النار والزبانية والاستشهاد على أن المفعول يأتى بلفظ الفاعل تقول « سر كاتم أى مكتوم » . ويستدل على ذلك بقول الله عز وجل ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ أى لا معصوم .. الخ .

ويستشهد بالقرآن على الحذف والاختصار فى لغة العرب فيقول : « ومن سنن العرب الحذف والاختصار يقولون « والله افعل ذلك » أى لا افعل .. ومنه فى كتاب الله جل ثناؤه ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ اراد اهلها . ويستشهد بالقرآن على مراتب الكلام فى وضوحه وأشكاله . فمن واضح الكلام الذى يفهمه كل من يعرف ظاهر كلام العرب قوله جل ثناؤه ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ومن المشكل لغرابة لفظه قوله جل ثناؤه ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ وقوله ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ومن المشكل بحيث لا يعلم معناه إلا بمعرفة قصته قوله جل ثناؤه ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

ويستشهد بالقرآن لتوضيح بعض الكلمات فى لغة العرب ففى حديثه عن (بعد) يقول : « يدل على أن يعقب شىء شيئاً تقول : جاء زيد بعد عمر ويقولون إنها تكون بمعنى مع ، يقال : هو كريم وهو بعد هذا فقيه أى مع هذا أو يتأولون قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴾ على هذا بمعنى مع ذلك .

***

ويستشهد بالأحاديث النبوية الشريفة على ما سبق ذكره ليدعم رأيه ، ويقوى حجته ، وليوضح بها لغة العرب . ففى موطن حديثه عن مراتب الكلام فى وضوحه وأشكاله . يستدل بقول الرسول ﷺ : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثاً » (٧) على وضوح الكلام لمجيئه على ظاهر كلام العرب ،

---

(٧) الحديث فى سنن النسائى ١/٦ - ٧ ومسند الإمام احمد ٢/١٣ .

من ملامح المنهج العلمى

ويستدل بقول الرسول ﷺ : « على التبيعة شاة »[8] على المشكل لغرابة لفظه .

ويتخذ ابن فارس من الحديث النبوى الشريف أداة لتوضيح الألفاظ الغريبة فى لغة العرب ففى معنى « بيد »[9] يقول : قالوا بيد بمعنى غير . قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم »[10] وفى (بَلْهَ)[11] يقول : « بَلْهَ بمعنى دع وقيل بمعنى غير قال رسول الله ﷺ » : « يقول الله جل ثناؤه » : (أعْدَدْتُ لعبَادىَ الصَّالحينَ مَالاَ عَيْنٌ رأَتْ وَلَا أُذن سِمَعَتْ ولَا خَطَر علَى قَلْبِ بَشَر بَلْه مَا اطّلَعتُهُم عَلَيْهِ) قالوا : معناه (سوى) و (دع) .

ولا يغفل الاستشهاد بالشعر العربى . فالشعر هو كلام العرب الذى يريد أن يقيم الدليل على صحته وأستقامته ويأتى به جنبا إلى جنب مع القرآن والحديث . ففى مراتب وضوح الكلام واشكاله يستشهد بقول الشاعر :

إن يحسدونى فإنى غير لائمهم
قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

على وضوح الكلام وأن هذا من أكثره وأعمه[12] بحيث لا يغيب معناه على أى سامع أو قارىء .

وعن المشكل لغرابة لفظه يستدل بقول الشاعر :

وقَاتِمِ الأَعْمَاقِ
شَأْزٍ بِمَنْ عَوَّهْ
مضْبُورةٍ قَرْوَاء هِرْجَاب فُنُق[13] .

وفى حديثه عن (بَلْهَ) بمعنى غير يستدل بقول الشاعر :

تمشى القَطُوفُ إذا غَنَّى الحداةُ بها
مشى النَّجِيَبةِ بَلْهَ الجلَّةَ الجُنُبا[14]

ويستدل على (بيد) بمعنى غير بقول الشاعر :

عَمْدًا فَعَلْتِ ذاكِ بَيْدَ أَنِّى
إخَال لو هَلَكْتُ لَمْ تُرِنِّى[15]

* * *

ويتخذ من الشعر أداة لتوضيح المعانى وتقريبها للأذهان ، وكذلك دليلا على صحة المعنى الذى يرمى إليه فيقول فى معنى « لا جرم » « جرم بمعنى حق قال :

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا »[16] .

---

(٨) التبيعة : اسم لأدنى ماتجب فيه الزكاة من الحيوان . والحديث فى النهاية ١/١٢٢ .

(٩) الصاحبى/ ٢١١ والحديث فى صحيح البخارى ٢/٢ ومسلم ١/٢٣٤ ومسند الإمام احمد ١٣/١٣٢ .

(١٠)الصاحبى / ٢١٠ والحديث فى البخارى ٦/١١٦ .

(١١) البيت للكميت بن زيد الأسدى معجم الشعراء / ٣٤٧ .

(١٢) الصاحبى / ٦٩ .

(١٣) هذا الرجز لرؤبة فى ديوانه فى مجموعة أشعار العرب ٣/١٠٤ .

(١٤) هذا البيت لإبراهيم بن هرمة . والقطوف من الدواب : المتقارب الخطو البطىء . والنجيب من الإبل : القوى الخفيف السريع . اللسان : بله .

(١٥) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدى وترنى من الرنين وهو الصوت . اللسان : بيد .

(١٦) البيت لأبى أسماء بن الضريبة كما فى اللسان جرم ١/٢٢٣ .

واستدل على أن (رُبَّ) كما تكون للتقليل رأى قوم أنها وضعت لتذكر شيء ماض،من خير أو شر . بقول الشاعر :

وَرُبَّ رَكْبٍ قدْ أنَاخُوا حَوْلَنَا
لَيَشْرَبُوا الخمرَ بألماءِ الزُّلالْ[١٧] .

وفي مجال الاستشهاد بالأمثال العربية نراه يستعين بها ، ويتخذ منها مادة ، وأداة تعبير واضحة للتدليل على قوه لغة العرب وسعة بيانها في التعبير عن المعنى الكبير باللفظ القليل .

ففي باب القول في ان لغة العرب افضل اللغات وأوسعها يستدل بأمثال العرب فيأتي بقولهم : « وهو ألْوى ، بعيدُ المُسْتَمَرِ »[١٨] « وهو شراب بأنْقُعٍ »[١٩] و« هوجُذَيْلها المُحَكَّك وعُذَيْقها المُرَجَّب » و« ذات الزَّمَيْنْ »[٢٠] و« أتَى بالأمْر مِنْ فَصِّه »[٢١] الخ .

ويستدل بالأمثال العربية على ما لا يعلم معناه إلا بمعرفة قصته . فيضرب لذلك بالمثل « عَسَى الغُوَيْر أبْؤُساً »[٢٢] . ويستدل بها أيضاً على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها وأن الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير ، فيقول : ومن ذلك قولهم : « اَعْمدُ من سيِّدٍ قَتَله قَوْمُه »[٢٣] اى هل زاد ؟ ويعد ابن فارس هذا من مشكل الكلام الذى لم يفسر بعد .

وهكذا يسير ابن فارس وفق هذا المنهج الذي خطه لنفسه من مراعاة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وكلام العرب شعراً ونثراً ليصل في النهاية إلى أن لغة العرب هى كل هذا ما دامت قد بعدت عن اللهجات المذمومة والرديئة مما يمثل في نظره خروجا على ما يعرفه العرب . وحينما يقول العرب فإنه يعنى خاصتهم الفصحاء الذين لم تشبهم شائبة ، ولم يتسرب اللحن إلى لغاتهم والذين بعدوا في كلامهم عن عنعنة تميم ، وعجرفية قيس وكشكشة أسد ، وكسكسة ربيعة ، وكسر هوازن وقيس[٢٤]

مصادر الكتاب :

من ملامح المنهج العلمى الذى توجه به ابن فارس موسوعته العلمية (الصاحبى) . ذكره للمصادر التى رجع إليها ونقل عنها سواء كانت إعلاما أم كتبا والتى نوه عنها في المقدمة بقوله : « والذى جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في صناف العلماء المتقدمين » .

فمن يطالع الكتاب يقرأ أسماء العلماء الذين كان لهم فضل السبق في الريادة العلمية في مجال بحثه وكانت لهم في ذلك صولات وجولات وبحوث وآراء تذكر لهم فتشكر مثل ابن عباس ومجاهد وحصيف وأبو الأسود الدؤلى والأخفش وأبو حية النميرى وأبو الحسن على بن إبراهيم القطان وأبو عبيدة والفراء وأبو بكر محمد بن داود الظاهرى والخليل بن أحمد وسيبويه والكسائى

←

(١٧) البيت لعدى بن زيد انظر العمدة لابن رشيق ١/٢٢٣ .

(١٨) في مجمع الأمثال ٢/١٩٢ « لتجدن فلانا ألوى بعيد المستمر » ألوى : شديد الخصومة . واستمر : استحكم اى قوى في الخصومة لايسام المراس .

(١٩) أى معاود للأمر مرة بعد مرة وأصله أن الحذر من الطير لا يرد المشارع لكنه يأتى المناقع يشرب منها فكذلك الرجل الكيس الحذر لا يتقحم الأمور مجمع الأمثال ١/٣٦٠ .

(٢٠) المثل في اللسان : زمن والزمين اى في ساعة لها اعداد يريد بذلك تراخى الوقت .

(٢١) في اللسان : فص : انا آتيك بالامر من فصه أى من مخرجه الذى قد خرج منه .

(٢٢) يضرب في الرجل يقال له : لعل الشر جاء من قبلك مجمع الأمثال ٢/١٧ .

(٢٣) وتفسر (أعمد) بمعنى أعجب . والمعنى أنه ليس بعار أن يقتله قومه ليهون على نفسه وقوع الهلاك .

(٢٤) المزهر للسيوطى ١/٢١٠ .

من ملامح المنهج العلمى

والأصمعى والمبرد وثعلب وابن قتيبة والنضر بن شميل ، ويورد الفقهاء . فى كلامه قال فى إحدى مباحثه قال بعض الفقهاء كلام العرب لا يحيط به إلا نبى والمراد ببعض الفقهاء الأمام الشافعى فقد جاء فى الرسالة « ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى » وذكر اسم الإمام الشافعى فى أكثر من موضع .

ولقد أورد بعض أسماء الكتب التى نقل عنها مثل كتاب المقتضب للمبرد وفصيح الكلام لثعلب والعين للخليل بن أحمد . وهؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم ابن فارس تتنوع تخصصاتهم بين اللغة والنحو والأصول والفقه مما يدل على أنه كان ينهج نهج العالم الموسوعى الذى تتعدد موارده ، وتتنوع روافده . ولعل البعض يفهم - خطأ - أن هذا عيب فى المنهج ! لا فلم يكن ذلك من ابن فارسٍ سيرا على غير نظام بحيث إذا قابلته شاردة التقطها ، أو التقى بضالة أخذها وعقلها .

وإنما ما فعله ابن فارس من تنوع مصادره يؤكد - عن قناعة - شدة ارتباط هذه المصادر وتلاحمها ببعضها وتلاقيها عند هدف واحد هو خدمة كتاب الله عز وجل ، والسنة النبوية الشريفة .

فصلة علم اللغة بالأصول وثيقة يلحظها بعناية دارسو علم الأصول كالبحث فى نشأة اللغة وعلاقة اللفظ باللفظ فى الاشتقاق والنحت والقلب وعلاقة اللفظ بالمعنى فى الاشتراك والتضاد والترادف والتباين وفى المعرَّب وهل فى القرآن شىء منه وفى حروف المعانى ولغة القرآن الكريم وسعة العربية وأنه لا يحيط بها إلا نبى [٢٥] .

وصفوة القول : أن ابن فارس فى كتابه الصاحبى استطاع أن يجمع العديد من الآراء اللغوية والنحوية والبلاغية والأصولية والأدبية على صور متفاوتة فى الكثرة والقلة حسبما اقتضى المقام ذلك . وكأنى به أراد أن يجعل من هذا الكتاب موسوعة علمية فى بابه . لكل قارىء وباحث فى المجالات التى أشرنا إليها له فيها نصيب وفير .

خاتمة البحث

بعد هذه الجولة السريعة مع ابن فارس فى كتابه « الصاحبى » يمكن أن نضع بين يدى القارىء الكريم ما توصلنا إليه من نتائج :

١ - تكراره لبعض الظواهر تحت عناوين مختلفة - وتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد

٢ - تداخل بعض المباحث فى الكتاب بسبب استعماله لعبارة (ومن سنن العرب) فى المباحث اللغوية والنحوية والصرفية وكذا البلاغية

٣ - اعتراه التردد والاضطراب فى معالجة بعض قضايا اللغة كالقول بالتوقيف فى تطور اللغة

٤ - لوحظ أن ابن فارس كان يسلم ببعض الآراء دون أن يبدى الأسباب .

وأخيرا وليس آخرا يبقى كتاب الصاحبى بمنهجه العظيم الذى رسمه ابن فارس لنفسه للسير عليه والالتزام به ذخيرة ثمينة لأى باحث

والله أسأل أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه سميع مجيب الدعاء .

---

(٢٥) ينظر كتاب فقه العربية / ١٦ .

فى هذا الشأن أن القرآن لم ينص صراحة على وجوب عدم المساس بالملكية الشخصية ، فما رأيكم فى ذلك ؟ وإذا كان الإسلام يماثل من بعض الوجوه الاشتراكية الحديثة الا ينتظر من وراء هذا التشابه أن يقوم بين الإسلام وبين الاشتراكية الدولية السياسية (مثل الشيوعية الماركسية) تشابه يؤدى إلى توزيع الثروة الشخصية بأمر الحاكم أو الحكام ؟ إنى أوجه هذا السؤال بالذات ، لأن بعض المصريين الشيوعيين قد قرروا لى أن آيات القرآن يمكن أن تتمشى فى سهولة مع الفلسفة الشيوعية فيما يتعلق بتوزيع الثروة . فإذا كان الأمر كذلك فإن أمن العالم العربى يصبح بذلك مهدداً (ومعه الأمن العالمى كله) بمجرد السماح للدعاية الشيوعية بالازدهار فى هذا الجانب من العالم .

جـ ٣ - إنه ليؤسفنى أشد الأسف أن تستخلص مما جرى بينك وبين الناس من أحاديث حول الإسلام والاشتراكية من ناحية ، والإسلام والملكية الفردية من ناحية أخرى ، أن القرآن لم ينص على شىء من عدم المساس بالملكية الشخصية ، وأخذت لنفسك حق الادعاء من أن الإسلام يماثل من بعض الوجوه الاشتراكية ، وأنه ينتظر من وراء هذا التشابه أن تقوم صلات بين الإسلام وبين الاشتراكية الدولية السياسية تؤدى إلى توزيع الثروة الشخصية بأمر الحاكم ، وأنك توقعت قرب تحقيق ذلك بما ألقاه فى روعك بعض المصريين الشيوعيين كما تقول من أن آيات القرآن الكريم تتمشى فى سهولة مع الفلسفة الشيوعية ، بئس ما سولت لكم أنفسكم وألا ساء ما تحكمون ! لقد نسبتم إلى آيات القرآن ما القرآن منه براء . فليس فى القرآن آية تتمشى مع الفلسفة الشيوعية فى أى وضع من الأوضاع ، ولكن هؤلاء الشيوعيين الذين قرروا لك ما قرروه قد التوت بهم السبل ، وضلوا عن سبيل الله ، وأرادوا أن يضلوا الناس كذلك .

ولو أنك تفضلت فذكرت أسماء بعضهم لكان لنا منهم موقف آخر أمام الله وأمام الناس ؛ فأنا دائما على استعداد أن نأخذ أمثال هؤلاء بحرب لا قبل لهم بها ؛ وإن مما هون علىَّ أثر هذه العبارات أنك - هداك الله - قد التجأت إلينا لتعرف الرأى الحقيقى فى الدين الإسلامى وفى كتاب الله . ولعلنا فيما قدمنا إليك نكون قد كشفنا لك عن شبهات هؤلاء المضللين ، وأبنَّا من حقيقة أمرهم من حبهم لشيوع الفتنة بين المسلمين .

وإنا لنقرر لك أن القرآن الكريم قد احترم الملكية الفردية وصانها بقواعد وحدود لا تجعلها عرضة للتلف ولا للضياع ، ونظم انتقالها إلى الأبناء والمستحقين وفصل القول فى قواعد المواريث وتحديد الأنصبة فيما تركه الوالدان والأقربون قلّ منه أو كثر ، فقال تعالى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا ﴾ ثم قال تعالى بعد ذلك : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾ ثم قال تعالى بعد ذلك : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾ إلى آخر ما جاء فى هذه الآيات من بيان الأنصباء مفصلا ، ومن بيان الوصية التى للمالك فى ماله لمن شاء ، مما يدل الدلالة الواضحة على حق الملكية لكل مالك ، وانتقال هذا الحق من بعده إلى ورثته من أبنائه وأقربائه . ثم ختم هذا البيان الرائع بقوله سبحانه : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

السمات العامة لأسلوب الرافعي

٢

رابعا ـ توليد المعاني :

على الرغم مما قلنا من فيض الطبع لدى الرافعي ، واصالة المنزع ، فإنه كثيرا ما يعمل فكره فتلتقى الفطرة مع الصنعة لتمنحنا ادباً فيه من الإحساس والعقل ، ومن العاطفة والفكر بشكل لا تتفاوت فيه المقادير في اغلب الاحايين . وإن كان بعض النقاد اشار إلى غلبة إعمال الفكر في بعض كتاباته ، وذهب البعض إلى مهاجمته بقسوة ووصم ادبه بانه ادب الصنعة والزخرف والغرابة(١٥)

إن الأمر حين يكون مناطه الخصومة والمحاماة ، وأخذ العزة بالاثم ، تذهب معه النصفة في الحكم ، ويحل محله التحامل والغلبة . وهذا ما حدث في آراء خصوم الرافعي ، والواقع ان أدب الرجل لا تصدق معه هذه الصفات إلا في القليل النادر ، وفي المرحلة الأولى من حياته خاصة .

وإذا كنا لا ندفع عن أدب الرافعي طابع الغموض المتولد أحيانا من الإ يغال في توليد المعاني والاسترسال في تشقيقها . وفي رأيي انه غموض غير مستغلق على من يألفه ، وعلى من كان بعيداً عن الكدرة في طبعه والضعف في وسائله . يقول : مثلاً في وصف كتابه (المساكين) : « كتابٌ ليس له قبلُ ، وليس له بَعْدُ ، فهو دائر مع النهار والليل ، على معنى آخره في الإنسانية أوله ، معنى إذا قلت فيه إنه يجيء مع كل مولود ، فقد قلت إنه لا يموت مع أحد من الموتى »(١٦) وكان بإمكانه أن يقول إنه كتاب لا مثيل له ، أو لا يضارعه كتاب من قبل ولا من بعد على سبيل المبالغة ، ولكنه جعله « معنى » يدور مع الإنسانية كما يدور الليل والنهار على الكرة الأرضية ، ثم ذهب إلى إعادة المعنى بصورة طريقة أخرى ، بقوله إن هذا « المعنى » إن ولد مع كل مولود ، فإنه لا يموت مع أي ميت !! بمعنى أنه ولد ولن يموت !!

وهذا التوليد أن تطلب من القارىء المستكمل

---

(١٥) د . طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف بمصر ، ط ؟ س ؟ / جـ ٣ ، ص ١٢٣ .

(١٦) المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، ط ٧ ، ١٩٦٣ ، ص ١٤ .

لأدواته وقفة استمتاع وتلذذ بالاكتشاف ، فإنه لا يروق القارىء العجلان ، أو قارىء العصر الحديث الذى تعود أن تكون مادته العلمية الصحافة ، وأكله « السندويج » !

وقد لا يتعبك « التوليد » بسبب تعمق فى المعنى ، ولكنه يتعبك بسبب التفريع وطول النفس ـ كما نلاحظ هذا فى وصفه للشيخ على ، ذلك الرجل العجيب الذى خلده أدب الرافعى ، ولولاه ما كان شيئا مذكورا فى العالمين ! يقول الرافعى « .. إنه ليجوع ويظمأ ويعرى ، ولكن كما يجوع الطير وتظمأ الأرض ، ويعرى الشجر .. فإن تخلت عنه السماء مرة ، وقطعت مقاوده من الغيب وخذلته الوسيلة ـ فما تغمز منه الحاجة إلا حجراً صلداً يقع على أى جانب ترميه ثم لا يقع إلا حجرا ، لأن آلام هذا الرجل من الألم القفر الذى لا ينبت فيه شىء من الخوف ، ولا يهتدى إليه وَهْمٌ فى الحياة ، ولا مجرى فيه للدمع ، ولا ظل للحسرة . وهو ألم إن أفضى إلى الموت ، أفضى إليه برجل لا يعرف الموت ماهو ، وإن أبقى على الحياة ، أبقى عليها فى رجل عرفت الحياة من هو ! » [١٧] .

وأنا لا أرى فى هذا الأسلوب اى غموض بقدر ماهو صفاء خاطر وانفعال بموضوع ، ولكنه انفعال ـ بطريقة خاصة ـ انفعال لا ينتهى باللمحة الخاطفة أو التصوير الموجز ، ولكنه انفعال يتولد منه انفعال ، وفكرة تتولد منها فكرة ولا أرى انفكاكا بين الفكرة والشعور فى أغلب الأحيان ، وإن بدا للآخرين فى بعض الأحيان أنه « غلبة الفكر على الشعور ، وسطوة الفن على الطبيعة » [١٨] .

ولقد وفق الدكتور أحمد هيكل فى تعليل ظاهرة (الغموض لدى الرافعى بقوله : « بيان يجنح فيه صاحبه إلى اعتصار المعانى وتوليد الأفكار ، ومزج الخواطر ، من خلال مجازات مركبة ، واستعارات بعيدة ، وكنايات خفية ، فيأتى بيانه آخر الأمر أشبه بعملية « تقطير » لألوان من الزهور المعروفة ، والورود المألوفة ، والرياحين الشائعة لاستخلاص عطر مركب مركز غريب ، فيه جمال ، ولكن ليس فيه بساطة ، وفيه متعة ، ولكن ليس فيه جلاء ، وفيه فن ، ولكن فن المهارة التى تسيطر على الفطرة» [١٩] .

ولا اعتراض لدى إلا على النسبة التى تسيطر فيها المهارة على الفطرة ، فأنا أرى أن هذه المهارة لدى الرافعى تولدت فى فطرة وموهبة ، وجهد ودربة معاً . وإن هذه الفطرة لتتدفق لتوظف المهارة بنمط خاص فى الإبداع وليس للمهارة سيطرة ملغية أو سطوة جبارة .

ويذهب الدكتور حلمى مرزوق إلى رأى طريف وحصيف فى تأمله لطابع الغموض فى أدب الرافعى ، فيرى أن « الحرية الكبيرة التى أوتيها فى إدارة الكلام على وجوهه المختلفة ، وقدرته على انتزاع ما يريد من مادتها وفاءً للمعنى أو الصورة المنشودة .. هذه الحرية هى المسئولةَ عن

←

---

(١٧) المساكين ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(١٨) الأستاذ الزيات ، وحى الرسالة ، ص ٤٤٢ .

(١٩) تطور الأدب الحديث فى مصر ، ص ٣٨٧ .

السمات العامة لأسلوب الرافعى

ذلك الغموض أو الالتواء . فالرافعى كان يوغل فى تصريف الكلام على مشتهاه لا يعنيه أن يخرج على المألوف ومجرى اللغة اعتداداً بقدرته وذوقه[٢٠] ولعل هذا مَرَدُّ ما أشرنا إليه من طابع التفرد والتميز فى أدب الرافعى ، ذلك التفرد الذى يجعله علما بارزاً وحده لا يخضع لتيار أو مدرسة غير تيار نفسه .

ولا اعتقد أبداً أن مرجع هذه السمة من الغموض الشفاف حينا والملتوى حينا آخر ، إلى نزعة من التزيد وحب الاستغلاق أو حب الاستعلاء والعظمة ، بل هى سمة كونتها ثقافته الخاصة وتكوينه النفسى الخاص وعبقريته وموهبته الخاصة ..

بقى أن نُشير نهاية الأمر إلى أن مبعث هذا العمق الغامض على بعض الاستعدادات يرجع إلى فلسفة المعنى والجوهر لدى الرافعى ، وهى التى تجعله ، مع اهتمامه بالشكل أديب المعنى بلا ريب وتبعد عنه مقولة الاهتمام بالزخرف والصنعة التى تعاورها خصومه فى كل مرة يكتبون عنه . ومع أن العناية بالمعنى بارزة فى أدبه ولكننى أحصيت العديد من النماذج التى يذكر فيها المعنى قبالة اللفظ ، أو المعنى قبالة الجسد ، أو المعنى قبالة الضحالة والسطحية أو الإشارة إلى جوهر الأشياء وما هيتها وجُوَّانيتها إن صح التعبير ، فيقول عن طه حسين ، مثلا ، إنه مسلم لفظاً لا معنى[٢١] ، وينظر إلى النموذج الذى أبدعه من الشيخ على ، فيرى أنه معنى الرجل الذى انطوت عليه كلمة (الحمد لله)[٢٢] ويجعل الشاعر وهو ينظر إلى الماء يتملى معنى الماء (فإذا نزل الشاعر الدقيق الحس ، بروضة غناء نضرة حَسَّ بقلبه كأنما يخضر بعد يبس ، وإذا أظل فى الغدير الصافى أحس بمعنى الماء ينساب فى عروقه »[٢٣] ، وفى الدين إنه (معنى إنسانية القلب)[٢٤] ، و(بالقيام فى الصلاة يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامى على الجسم كله)[٢٥] . إلى غير ذلك فى الشواهد التى تدلنا على مقدار سيطرة فكرة «المعنى» الكامن وراء ظواهر الأشياء ، وانعكاسها فى أسلوب الرافعى وعمقه .

خامسا : الطرافة والمفاجاة

للأدباء ، فى الغالب ، منهجان : فمنهم من يسلك بك مسلكاً آمنا لا تتوقع فيه التواء ، ولا تدخل معه فى غابة ، ومنهم من يستولى عليك العجب ، وتأخذك الدهشة وأنت تسير معه فى عوالم لم تكن قد رأيتها ، وإن كنت رأيتها ، فأنت معه فى العالم ، ولست معه إلا فى عالمه الخاص . فهو الساحر الذى يلمس الأشياء فلا تبدو فى ناظريك الأشياء ذاتها التى كنت عرفتها ، يلبسها روحه وذوقه وسحره ! بل للأدباء فيما يكتبون مذاهب وطرق فى إدارة دفة الكلام . فهذا طه حسين يأخذ بيديك أخذاً مسترسلاً هادئاً حتى لتشعر معه بأنك تعرف مايقول مسبقاً ! وهذا العقاد يستوفز عقلك من أول الرحلة ، فلا تمشى معه إلا وكلك عقل ومنطق محكم ، فإذا سمحت لنفسك أن تغيب من عقلها فقد ضعت ، وقل غير ذلك مع غيرهم من الأدباء .

---

(٢٠) تطور النقد والتفكير الأدبى الحديث ، ص ٣٧٦ .
(٢١) تحت راية القرآن ص ٣٤٤ .
(٢٢) المساكين ، ص ٥١ .
(٢٣) حديث القمر ، ص ١٩ .
(٢٤) وحى القلم ، جـ ٣ ، ص ٣٨ .
(٢٥) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ١٣ .

أما أمرك مع الرافعى فأمر عجب ، فهو يستثير فيك أحاسيسك كلها قلبك وعقلك معاً ، ولا يفجؤك بما يدهش القلب وحده فقد يقول المألوف الذى تتوقعه ، ولكنه يقول غير المألوف ، ويولد من المعلوم غريبا ، بل يجعل المعلوم مجهولا ، ولعل هذه السمة توضح لنا ما قلنا عن فرادته فى أدباء جيله .

انظر إليه ، وهو يتحدث عن طه حسين ودراسته للأدب العربى على ضوء المناهج التى درسها فى الغرب ، فهو يرى انها لم تفد هذا الأدب ، إلا بالقدر الذى تريد أن تجعله اوروبيا ، فتمسخه مسخاً ، فيقول : « الحق إن طه حسين للأدب العربى كالكسوف والخسوف يحجب حتى نور الشمس وحتى نور القمر »[٢٦] . ونحن فى هذا التعبير لسنا إزاء تشبيه ، كما ألفنا من أساليب البيان ، بل أمام فكرة تمحق جهد طه حسين محقاً ، وتعده خساراً أى خسار ، وظلمة تذهب ببهاء أدبنا ونوره الذى عرفناه ، فضلاً عن اننا ونحن نسترسل مع الرافعى لم نكن نتوقع هذه اللقطة الطبيعية والنفسية من عالم الكسوف والخسوف !

ويأتى للمألوف جداً ، ولكنه يجعلك امام شىء كأنك تحتاج منه إلى تعريف ، فحين يتحدث عن الصلاة المألوفة المعروفة يقول لك عن حقيقة المسلم الذى يروض نفسه على الصلاة : « .... يروضها على ذلك كل يوم وليلة خمس مرات مسماة فى اللغة (خمس صلوات)[٢٧] ، فهل أنت بحاجة إلى أن يقول لك شيئا عن تعريف الصلاة ، ولكن جعل المعلوم امامك مجهولاً ، ودعاك إلى أن تعرف سره .

وقد يستغرقنا الوقت ، وتضيق بنا الصفحات إذا نحن ذهبنا نمثل لهذه الظاهرة فى ادب الرافعى ، ولكننا نقول انها أشبه ما تكون قرباً إلى الرمزية والصور المستحيلة على أيدى أصحابها ، ثم هى بعد ذلك قريبة فى منهج التوليد الذى فرغنا من الحديث عنه فى السمة السابقة والتى قلنا إنها هى المسئول عن ما قيل من الغرابة والغموض فى أدب الرافعى ، وهو غموض لا يتساوى القراء فى تلقيه والتأثر به على درجة واحدة .

سادسا ـ ادب الشخصية :

مرت على الأدب العربى مرحلة آل فيها إلى الضعف ، خاصة تلك الفترة التى لم يكن فيها الصراع محتدماً مع الغزو الأجنبي . ولم تكن الدوافع الذاتية والخارجية قد عملت عملها فى إثارة الأديب وجعله يكتب بتأثير من أعماقه بعيداً عن أدب الأنماط الجاهزة ومع منتصف القرن الماضى الميلادى وبدايات هذا القرن توافرت تلك الدوافع والمحفزات إلى أدب يتسم بطابع الشخصية ، بحيث أصبح القارىء يميز بين أسلوب وأسلوب من خلال السمات الفنية والنفسية أو الفكرية للأديب .

ولقد كان الرافعى بحق من هؤلاء الأدباء الذين لا تعدم القدرة على معرفة أسلوبهم حتى ولو لم يكن مقرونا بالأسم ، ذلك انه أدب نابع من ذاتية الأديب وشخصيته ، وليس من قبيل الترف والصناعة والزخرفة اللفظية التى إن عرضت ذكاء ومهارة ، فإنها لا تعرض إبداعا وعبقرية .

---

(٢٦) تحت راية القرآن ، ص ٢٩٩ .

(٢٧) وحى القلم ، جـ ٢ ، ص ١٢ .

السمات العامة لأسلوب الرافعي

فمن الناحية الفكرية تجد لدى الرافعي عصبية دينية لا تخطئه في أي صراع يخوضه، وفي أية تجربة فنية يصورها، ليس لديه مجاملة أو مداجاة، بل يرى أنه وريث النبوة في المحافظة على الإسلام وقيمه، أمام الجيل الذي يستعد لتضييع أمجاد الآباء وبيعها بأبخس الأثمان. وهذا ما يفسر لنا نزعته البيانية وصلته بالتراث اللتين أشرنا إليهما.

ومن الناحية الوجدانية نجد الرافعي ممثلا لهذا الاتجاه - هو والمنفلوطي - قبل أن يتبلور على شكل اتجاه واضح المعالم لدى مدرسة الديوان. وهذا الاتجاه هو الذي ثبت دعائم أدب الشخصية وميزه. ونكاد نقول إن هذه النزعة الوجدانية بادية المعالم في أدب الرافعي كله مع روح شاعرية تغمر نثره الفني. هذه الروح التي قد لا تجدها في شعر بعض الشعراء!

أنظر إليه وهو يتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج في مقال بعنوان «فوق الآدمية». كيف يستوطىء المسلمون العجز، وفي أول دينهم تسخير الطبيعة؟

كيف يستمهدون الراحة، وفي صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى؟

كيف يركنون إلى الجهل، وأول أمرهم غايات العلم؟

كيف لا يحملون النور للعالم، ونبيهم هو الكائن النوراني العظيم؟[٢٨].

وانظر إليه، وهو يتحدث عن (المساكين)! «ومن عجيب الحكمة أن مامن نبي أو حكيم أو شاعر يترجم إلى لسان الحياة ما هو اسمى من الحياة إلا استمد ذلك من مساكين الحياة خاصة. هم أبدا السحابة المستوية المخيلة لمطر العواطف على حدب الروح الإنسانية في الأرض، ولعلهم لذلك يتراكمون في الحياة من سواد كالغمائم ويتشققون من نار كالبروق، ويجلجلون برعود يئنون فيها، ويتبجسون بمطر يبكون به»[٢٩].

فماذا ترى غير عوالم النور واستثارة أعمق عواطف النفس الإنسانية لدفعها إلى صراع الحياة وقيادة الحياة كما في النص الأول، واستثارتها لاستبطان النظر إلى ذاتها وإنسانيتها ودفعها إلى العطف على شبيه لها في الخلق، ذلك الإنسان الذي يسمى «المسكين»... بينما هو الرحمة النازلة من السماء، أو هو (السحابة المستوية المخيلة لمطر العواطف على جدب الروح الإنسانية في الأرض) كما قال في النص التالي وقد ألمعنا من قبل إلى أننا مع الرافعي إزاء أدب تحتمل فيه نوازع القلب والعقل معاً بنسب متجانسة قد يطغى بعضها على بعض، ولكن لا تضيع معها نسب الطرف الآخر! فقد تجد المنطق والمحاجة والجدل في أدب المقالة الإسلامية لديه، كما لاحظ الدكتور مصطفى الشكعة[٣٠]، ولكنه - مع ذلك - (شاعر النفس، مرهف الحس، رقيق القلب، قوى العاطفة) كما قال تلميذه وصفية الأستاذ محمد سعيد العريان[٣١].

ومن الناحية النفسية نشهد لدى الرافعي، مما يعضد ويؤصل أدب الشخصية حدة في الطبع وتشنجا في المزاج، وميلاً إلى المبالغة وتضخيما للأحاسيس في كثير من أدبه، مع ايثار للسخرية اللاذعة المرة خاصة في خصوماته مع

(٢٨) المصدر نفسه، جـ ٢، ص ٣١.
(٢٩) المساكين، ص ١٤.
(٣٠) مصطفى صادق الرافعي، كاتبا عربياً ومفكراً إسلامياً، بيروت، ط ١، ١٩٧٠، ص ١٧٠.
(٣١) من مقدمة كتاب (المساكين) ص ٣.
(★) كما في (تحت راية القرآن).

طه حسين وسلامة موسى وفى كل موقع يجد نفسه فيه مدافعا عن عقيدة الإسلام أو حرمة اللغة ، أو قداسة التراث الأدبى والعلمى للمسلمين .

ومما أصل أدب الشخصية لدى الرافعى تلك النزعة الماورائية أو الرمزية التى يطل من خلالها على قرائه ، مما يخفف فى جدية أسلوبه وصعوبة الجرى معه خاصة إذا كان القارىء قليل الزاد ، أو عجلان المسيرة . فهو يتحدث على لسان (دمنة) على طريقة (ابن المقفع) تارة* وعلى لسان (الباشا) تارة ثانية* ، وعلى لسان الشيخ (على)* تارة ثالثة ، فيجعل أسلوبه قريباً من أدب القص والسرد ، وأن لم يبلغ بهذا السرد مدى يجعله فى عداد القصص أو الرواية ، وتلك طريقة بلغ بها الرافعى القمة فى الاستحواذ على قلوب قرائه آنذاك ، وبوأه منزلة أدبية غير منازعة .

هذا ماانتهى إليه رصدنا للقيم الفنية فى أدب الرافعى ، ويبدو أننا بحاجة قبل ذلك إلى رصد القيم الموضوعية فى هذا الأدب ، وخاصة ونحن بصدد جمع المواد الأولية لاستشفاف نظرية عن الأدب الإسلامى عامة . وهذا ما سنحاول عمله فى فرصة أخرى إن شاء الله

(*) كما فى وحى القلم جـ ٢ .

(*) كما فى المساكين .

غــاز الأوزون - بقيــة

الفجوة (نظراً لأنه فى حالة اتساع فجوة الأوزون من الممكن أن تصل نسبة اكبر من الاشعة فوق البنفسجية إلى سطح الارض باثارها الضارة) .

إلا اننى أعتقد أن السبب فى حدوث هذه الفجوة الصغيرة فى طبقة الأوزون فى نصف الكرة الجنوبى وعدم حدوثها فى نصف الكرة الشمالى هو أن نصف الكرة الجنوبى معظمه مغطى بمياه المحيطات ، اما غالبية نصف الكرة الشمالى فيغطيه اليابس وتكثر فيه الانشطة البشرية بما فيها من صناعات مختلفة وعمليات احتراق هائلة ؛ الأمر الذى يؤدى إلى تصاعد الغازات الصناعية المختلفة ، ونخص بالذكر فى هذا الشأن غاز ثانى أكسيد النيتروجين الذى يتسبب فى تكوين غاز الأوزون فى التروبوسفير السفلى .

اى ان فرصة تكوين غاز الأوزون فى طبقة التروبوسفير السفلى تكون اكثر بكثير فى نصف الكرة الشمالى عنها فى نصف الكرة الجنوبى .

اما فرصة تكوين غاز الأوزون فى طبقة الأوزونوسفير بالطريقة التى سبق ذكرها عند الحديث عن طبقة الاوزونوسفير فتكون متساوية تقريباً فى نصفى الكرة الشمالى والجنوبى .

ومن ناحية أخرى فإنه يحدث انتقال راسى بين طبقتى التروبوسفير والستراتوسفير وبذلك من الممكن أن تزيد نسبة تواجد غاز الأوزون فى طبقة الستراتوسفير (أو الاوزونوسفير) فى نصف الكرة الشمالى عنها فى نصف الكرة الجنوبى - وهذا يفسر حدوث الفجوة الصغيرة التى حدثت فى طبقة الأوزون فى نصف الكرة الجنوبى وعدم حدوثها فى نصف الكرة الشمالى .

ولكن بالإضافة الى ما سبق ذكره فإنه نتيجة للدورة العامة للرياح فى التروبوسفير والستراتوسفير (سنخصص لها مقالة مستقلة بإذن الله) ، سوف لا تستمر فجوة الأوزون التى كثر الحديث عنها فى الاتساع بل على العكس سوف تضيق حتى تختفى تماما والله تعالى اعلم .

الإسلام
والاتجاهات العلمية المعاصرة

الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ، كتاب قامت الهيئة المصرية العامة للكتاب بنشره ومؤلفه الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل استاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الازهر ، وهو مؤلف على قدر رفيع له مؤلفات اخرى منشورة فى علم الكلام وفى العقيدة والفلسفة الإسلامية وفى التيارات الفكرية وفى التصوف الإسلامى .

يقع الكتاب فى (٢٣٠) صفحة من القطع الكبير ، ويحتوى على مقدمة جيدة وثمانية فصول اكبرها حجماً هو الثانى أما أقلّها فالسابع ، وبقية الفصول متقاربة الأحجام ، واختتم بخلاصة مقتضبة جداً . فى نهاية الكتاب نجد فهارس ، فهرس لأهم الشخصيات العلمية ، فهرس لأهم المراجع والمصادر ، ثم فهرس للموضوعات أو المحتويات . أما اهم الشخصيات العلمية التى ترجم لها المؤلف فهى تسعة عشر شخصية بارزة فى مجالات العلوم المختلفة ، منها أربعة عشر من العلماء المتخصصين فى الفيزياء ، واثنان فى الكيمياء ، وواحد فى علم الحيوان ، وواحد فى الرياضيات ، وواحد فى الفلسفة . وأما المراجع ، فأهمها عند المؤلف ثمانية وخمسون ، إلا انه قد رجع إلى مراجع اشار إليها فى حواشى الصفحات المتتابعة ، وبلغت ستة وعشرين مرجعا ، فتصبح جملة المؤلفات والكتب والدوريات التى رجع إليها مائة واربعة عشر .

تبرز اهمية هذا الكتاب فى جلال موضوعه ، فهو يردُّ بالحجة والبرهان على ادِّعاء الفكر العلمى او الإلحادى المعاصر فى أن قوانين العلم التجريبى تُغْنى عن الإيمان بوجود الله سبحانه ، وقد اتخذ المؤلف فى هذا البحث خطة قائمة على (علم الكلام القديم) الذى كانت تحتوى مقدماته على تفهم لمسائل العلم الطبيعى السائدة آنذاك ، فأكسب التحليل أصالة وقوة فى مواجهة تيار الإلحاد المعاصر ، ترشد المؤمن إلى التدين الصحيح .

يوضح المؤلف فى مقدمة الكتاب ان الإلحاد العلمى المعاصر يقوم على اساس وينبنى على قواعد لخصها أوجست كونت فى قوله : (إن الاعتقاد فى ذوات عاقلة او إرادات عليا ، لم يكن إلا تصورا نخفى وراءه جهلنا بالأسباب الطبيعية .. اما الآن وكل المتعلمين من ابناء المدنية الحديثة يعتقدون بان كل الحوادث

تأليف
أ. د. يحيى هاشم حسن فرغلى
عرض وتحليل
د. كارم السيد غنيم

العالمية والظواهر الطبيعية لابد لها من أن تعود إلى سبب طبيعى وانه من المستطاع تعليلها تعليلاً علمياً مبناه العلم الطبيعى .. فلم يبق فراغ يسده الاعتقاد بوجود الله ، ولم يبق من سبب يدفعنا إلى الإيمان به) .

كما اكد المؤلف على أن المذاهب والفلسفات المعاصرة ، وإن تعددت اسماؤها ، فهى كلها «مادية» ، وانها تنبنى على هذا المبنى الذى لخصه اوجست كونت ، ولعل جون سومرفيل يبين هذا فى قوله : (إن مجرد تسمية إحدى الفلسفات لنفسها «بالمادية» يعتبر عادة فى نطاق حدودنا الثقافية امراً يدعونا إلى النفور منها ، وقفل الأبواب دونها ، وأن كلمة «مادية» تستخدم فى العادة فى سياق الاتهام لا من أجل التصنيف فقط) ، ثم يقول : (لهذا فهم يميلون إلى إطلاق اسم «التجريبية» و «الطبيعية» و «الإنسانية» و «الواقعية» ، وما شابه ذلك على فلسفات كان من الأدق أن تسمى «مادية») .

والماركسية لم تختص باسم «الفلسفة المادية المعاصرة» إلا لأن المفكرين السوفييت يحذون حذو ماركس وإنجلز فى مقت اى تحايل لتفادى استخدام كلمة «مادية» ، فاطلقوها فى جراة ودون قناع .

أما قواعد الإلحاد العلمى المعاصر فهى ثلاث :

الأولى : الزعم بأن «قوانين الطبيعة» من ناحية و «التطور» من ناحية أخرى يمكن الغنية بهما عن افتراض «وجود الله» وعلمه وإرادته .

الثانية : إنكار كل الغيبيات التى لا يمكن إخضاعها للتجربة .

الثالثة : ادعاء كفاية المنهج العلمى التجريبى والغنية به عن المناهج الأخرى ، تلك التى تستخدمها الفلسفة الميتافيزيقية أو الدِّين .

والمؤلف يستهدف بهذا الكتاب دحض أو إسقاط القاعدة الأولى فقط ، أما القاعدتان الثانية والثالثة فإنه يَعِد بإسقاطهما فى كتب أخرى قادمة إن شاء الله . وأما برنامج الكتاب أو محتواه فهو ثمانية فصول ـ كما سبق أن قلناه ـ مرتبة على النحو التالى :

مذهب التطور العقلى ـ مذهب التطور الحيوى ـ مذهب التطور الاجتماعى ـ حتمية القوانين الطبيعية ـ الحتمية لا تلغى الإرادة الإلهية ـ الاستدلال على وجود الله طبقاً لقوانين الفيزياء الحديثة ـ إيمان بعض مشاهير العلماء التجريبيين المعاصرين ـ المنهج البنائى للدين : الضرورة العملية ، حيث بين المؤلف ان الإنسان مُلْجَأ إلى الإيمان بالله بحكم الضرورة العلمية ، وبين ايضاً ان هذه الضرورة العلمية هى المدخل الحقيقى إلى الإيمان بالله ، وهى المدخل الحقيقى إلى العلم ، وهى

←

الأساس الذى تلتقى عنده الاتجاهات الفكرية البشرية كلها ، وفى النهاية بين المؤلف أن هذا الأساس يُلْجِىء الإنسان إلى موقف التسليم لله .

الفصل الأول كان فى (مذهب التطور العقلى أو الفكرى) وكانت جل مادته مناقشة لـ (قانون الأحوال الثلاث) يقول المؤلف : يقدِّمُ الإلحاد المعاصر المنهج التجريبى على أنه المنهج الوحيد الصالح للفكر البشرى المعاصر ، ويحاول أن يلبسه ثوباً من الفضائل العلمية والعقلية ، مدعياً أنه - أى هذا المنهج - منبعها الأصيل . وترجع جذور هذه الإدعاءات - فى الغالب - إلى الفلسفة الوضعية عند أوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٧٥م)

يرى أوجست كونت أن الاضطراب العقلى الذى تعانيه الإنسانية مرجعه إلى أن الناس يعتمدون على ثلاث فلسفات متعارضة هى : الفلسفة اللاهوتية ، والفلسفة الميتافيزيقية ، والفلسفة العلمية أو الوضعية .

وأنه قديما سيطرت الفلسفة اللاهوتية بمضمونها الأسطورى الخرافى ، ثم أفسحت مجالاً للفلسفة الميتافيزيقية - وهى وثيقة الصلة بالخرافة - فى حين أن الفلسفة الوضعية لم تتخذ طريقها إلى العقول إلا بعد تقدم العلوم الطبيعية المادية ابتداء من القرن السابع عشر ، ومع ذلك فإن هذه الفلسفة الأخيرة لم تستطع القضاء نهائياً على الرواسب اللاهوتية والميتافيزيقية مما أدى إلى ظاهرة الفوضى العقلية ، وما يترتب عليها من صراع وأخطاء أخلاقية واجتماعية .

ويعتقد أوجست كونت أن النصر سيكون فى آخر الأمر حليف التفكير الوضعى .

عرض المؤلف لمعنى الفلسفة الوضعية عند كونت ، ثم اعتقاده عن أنه منشىء علم الاجتماع وذلك بتقديم ، أو الكشف عن قانون الأحوال الثلاث . أما صيغة هذا القانون فهى : (بناء على طبيعة العقل الإنسانى لابد لكل فرع من فروع معلوماتنا من المرور فى تطوره بثلاث حالات نظرية متتابعة : الحالة اللاهوتية أو الخرافية ، والحالة الميتافيزيقية أو المجردة ، وأخيرا الحالة العلمية أو الوضعية) .

ويرى أوجست كونت أنه متى ثبت هذا القانون فإن علم الطبيعة الاجتماعية لا يظل مجرد فكرة فلسفية ، بل يصبح علماً وضعياً . ومؤلفنا قبل أن يفند تهافت هذا القانون ، أشار إلى أن فلاسفة وعلماء قبل كونت تكهنوا بهذا القانون ومنهم تيرجو ، كوندرسيه ، بيردان . بل حدوث صيغته منذ القرن الثامن عشر ، ومع هذا ينسبه كونت إلى نفسه . وتأتى أهمية التصدى لنقد هذا القانون من استعمال كونت له كمفتاح يفض به مغاليق الإنسانية ممهداً بذلك كخطوة أولى لابد منها لاستنباط مبادئه الأخلاقية ولمباشرة تنظيماته الاجتماعية ، ولقد اعتبره كونت أساسا لعلم الاجتماع ، وفى نقد مؤلفنا له وهدمه له استشهد بآراء علماء وناقش آراء آخرين منهم الأستاذ عباس العقاد ، كلوتيلد دى فو ، د/محمد عبدالله دراز ، هيزنبرج .

امتداداً لتفنيد المؤلف ونقده لهذا القانون ، ينبرى لدحض **ادعاء حداثة المنهج العلمى التجريبى** وهو الطور الثالث أو الحالة الثالثة فى قانون الأحوال الثلاث ، ويقوم بتوجيه سؤال هام يجيب عليه بالنفى - بعد أن جال وصال مع علماء وفلاسفة ، ذلكم السؤال هو :

هل من الصحيح أن التفكير العلمى طَوْرٌ مُحْدَثٌ من أطوار التفكير البشرى بدأت بشائره فى عصر النهضة الأوروبية أو بعده بقليل ، كما

تدعى الفلسفة الوضعية ؟ لا ، بل يكاد يجمع كل من هربرت سبنسر ، هاكسلى ، بيكون ، جيمس كونانت ، على عمومية المنهج التجريبى وأنه ليس خاصا بطور معين من أطوار النضج العقلى ، بل يقررون أن التفكير التجريبى يبدأ مع الطفل الوليد والرجل البدائى .

يعرض المؤلف للسقطات التى وقع فيها إسماعيل مظهر فى هذه المسألة وما جرى بينه وبين الشيخ أمين الخولى ومصطفى الشهابى والأستاذ العقاد والدكتور دراز ، ثم يخلص إلى ما خلص إليه من قبل د/ دراز إذ يقول :

(الواقع أن الحالات الثلاث التى يصورها كونت ، لا تمثل أدواراً تاريخية متعاقبة ، بل تصور نزعات وتيارات متعاصرة فى كل الشعوب ، وليست كلها دائما على درجة واحدة من الازدهار أو الخمول فى شعب ما ، ولكنها تتقلب بها الأقدار بين بؤس ونعمى ونحوس وسعود ، بل نقول : إن هذه النزعات الثلاث متعاصرة متجاورة فى نفس كل فرد ، وأن لها وظائف يكمل بعضها بعضاً فى إقامة الحياة الإنسانية على وجهها ، ولكل واحدة منها مجال يوائمها ..) .

(مذهب التطور الحيوى) ، كان موضوع الفصل الثانى فى هذا الكتاب القيم ، بدأه صاحبه بإعطاء القارىء لمحة عن الجذور القديمة لهذا المذهب ، حيث يقول : توجد البدايات الأولى لفكرة التطور الحيوى فى كتابات بعض الفلاسفة الأغريق خصوصا أرسطو (٣٨٤ ـ ٣١٢ ق . م) الذى اعتقد أن الكائنات الحية قد ارتقت من أنواع بسيطة إلى أنواع معقدة يُعْتَبَرُ الإنسان ذروتها . ولكن هذه الفكرة لم يكن لها حظ الشيوع لاختلافها مع فكرة الخلق الخاص التى جاءت بها الأديان .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن بعض مفكرى الإسلام قالوا بتطور الأنواع قبل داروين بقرون ، من هؤلاء الإمام (الحسن البصرى) فيما رواه عنه الرازى فى تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ ، وابن مسكويه ، وإخوان الصفا ، والعلامة البلخى ، وابن خلدون فيما جاء عنه فى مقدمته (اتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان .. صاحب الرؤية والفكر ، ترتفع إليه من عالم القدرة .. وكان ذلك أول أفق من الإنسان) وفى القرن الثامن عشر بعث الفكر الأوروبى الأفكار اليونانية القديمة القائلة بأن الأجناس الحية الحاضرة هى ثمرة عملية طويلة من النمو ، فى ذلك الوقت كانت النظرة المقبولة هى نظرة العالم السويدى «لينيوس» القائل : (إننا نقر وجود أنواع بعدد الأزواج التى خرجت من يدى الخالق ، وأن الأنواع بقيت ثابتة منذ خلقها الذى جاء وصفه فى سفر التكوين ، والتغير الوحيد الذى وقع هو زيادة أعدادها لا تغير أصنافها) ، وأنه ليس هنالك من جنس جديد .. تلك نظرية لاءمت العالم النيوتونى كل الملاءمة ، لكن هذه النظرية كانت تتعرض لهجمات من جهات عديدة ، فالعلماء الطبيعيون كـ (بوفون وايرازموس ودارزموس وداروين ـ جد شارلز داروين ـ وجوفروا سانت هيلير ، خصم كوفييه ، أحد الآخذين بموقف لينيوس ، والشعراء الرومانتيكيون والفلاسفة ، أمثال (جوته) و (أوكن) و (شيلينغ) ، حاولوا جميعا أن يصوغوا فكرة التطور بأشكال مختلفة ، وكان أكبرهم جميعا (لامارك) صديق (بوفون) .

بعد أن عرض المؤلف لبعض آراء بوفون (١٧٠٧ ـ ١٧٨٨ م) وما له وما عليه فى هذه المسألة وتقديم سؤال بوفون نفسه الذى تركه دون جواب شاف له وهو : ما هى الطبيعة ؟ ، انتقل إلى عرض (نظرية التطور) عند لامارك ـ

←

ذلك العالم الفرنسى فى علم النبات وعلم الحيوان (١٧٤٤ - ١٨٢٩ م) - وقد استكمل وضع نظريته فى التطور فى كتابه « فلسفة علم الحيوان » عام ١٨٠٩ م أما نظرية لاماراك فى التطور فتتلخص فى :

ان البيئة تؤثر فى شكل الحيوانات وتركيب اعضائها ، وان الاستعمال المتكرر او المستمر لأى عضو يزيد فى حجمه ، فى حين يؤدى عدم الاستعمال إلى ضعفه وصغر حجمه حتى يختفى ، وان الصفات المكتسبة التى تتكون على هذا النحو تنتقل إلى الاجيال بالتوارث ، وان هذه الصفات تتكاثر بمرور الزمن ، إلى ان تحدث نوعاً جديداً من الحيوانات .

قام مؤلفنا بالنقد العلمى لهذه النظرية ثم عرج على «داروين» ، فقدمه من لحظة المولد (١٢/٢/١٨٠٩ م) حتى عودته من رحلته التى قام بها فى بعثة علمية على ظهر سفينة الأبحاث «بيجل» حيث اتجهت إلى الأرخبيل الهندى للقيام ببعض الأبحاث العلمية .. ثم اعانته الحكومة على نشر كتابه الأول (فى أصل الأنواع بواسطة الانتخاب الطبيعى أو بقاء الأجناس فى صراع الحياة) فى عام ١٨٥٩ م ، ثم إصدار كتابه الهام الثانى بعنوان (أصل الحياة) فى عام ١٨٧١ م وقد توفى داروين فى ١٩/٤/١٨٨٢ م .

العناصر الأساسية لنظرية التطور عند داروين هى :

- الانتخاب المقصود .
- الانتخاب الطبيعى .
- الصراع على البقاء .

قدم المؤلف آراء (داروين) وتلامذته لبيان الإطار العام لكل من هذه العناصر التى تقوم عليها النظرية ، وانتهى إلى رأى داروين فى أصل الإنسان (فى كتاب «أصل الأنواع») حيث ترك هذه المسألة معلقة إلا أنه عاد فرأى عدم وجوب استثناء الإنسان من قانون التطور ، وهو يصرح بهذا أيضاً فى كتابه (تسلسل الإنسان) .

بعد ذلك عرض المؤلف الأدلة التى تستمد نظرية التطور الداروينى إطارها العام منها ، وهى عدة علوم منها : علم التشريح المقارن - علم الأجنة - علم التقسيم - علم الحفريات . وبالنسبة لأدلتهم المستمدة من علم الحفريات ، فإنها تأتى من السجل المرتب للحفريات الذى استطاع العلماء وضعه ، وهو يدل فى نظر التطوريين على وجود تعاقب يبدأ من كائنات بسيطة للغاية إلى كائنات اكثر تعقيداً وتخصصاً ، كما أن هذه الحفريات تقدم لنظرية التطور دليلاً جديداً إذ تُظْهِر (الحلقات الموصلة) بين الأنواع والتى لا توجد فى حيواتنا الحالية . ويتضمن سجل الحفريات عند تطور الجنس البشرى فى زعم التطوريين مجموعة من الأشكال اقتربت من هيئة الإنسان الحالى :

أولا : إنسان جنوب أفريقيا الشبيه بالقرد ، وهو أول نوع مشابه للإنسان .
ثانيا : الإنسان الجاوى .
ثالثا : إنسان بكين .
رابعا : إنسان هايدلبرج - بألمانيا .
خامسا : إنسان نياندرتال - بألمانيا أيضاً .
سادسا : إنسان كرومانيون - بفرنسا .
سابعا : الإنسان الحديث أو الإنسان العاقل ، وقد بدأ ظهوره منذ حوالى (١٢٠٠٠) سنة فقط .

من خير ما أقرأ

إعـــداد

عبد الفتاح السيد عبد السلام

عـادل رفـاعى خفـاجـة

هجمة التجريح .. إلى متى .؟

كيف يمكن أن نحمى شبابنا من تقليد ألفاظ التجريح والقذف ، التى تهز أسماعهم من خلال بعض البرامج والمسرحيات الإذاعية ، وكذلك المسلسلات التليفزيونية ؟

كيف يمكن أن نحميهم من التعليقات الهابطة والعبارات الجارحة أو الفاضحة التى تكتب تحت الرسوم (الكاريكاتورية) فى المجلات والصحف اليومية .

إن أخطر شىء على هذا الجيل هى هجمة الألفاظ النابية والعبارات الهابطة التى تتحول عندهم إلى لهجة دارجة تشوه سحر لغتهم العربية ، وهى بين لغات العالم ستظل محتفظة بسحر إيقاعها ، حتى ولو تغلبت عليها العامية .

أيها السادة لا تنزعوا إلى عبارات السب والقذف ، فهى ليست وسيلة إقناع ، وليست مظهر شجاعة ، بل إنها وباء ينتشر بين أبناء جيلنا الراهن ، ونحن أحوج ما نحتاج إليه شفافا نقيا للنهوض بأمته ومجابهة مختلف التحديات التى تهددها .

كلمـــات

للأستاذ / محمود عبد المنعم مراد

ما الجديد الذى مهد التربة لكى تنتشر هذه الموجه ؟

الجديد فى رأينا هو الأزمة الاقتصادية ، ومن أهم مظاهرها أزمة الإسكان بوجه خاص . ثم سبب سياسى ، أراد أن يستغل الاقتصاد فى الإخلال بالأمن والاستقرار ولهذا ، فإن حل المشكلة بالرصاص أو بالنقاش والحوار ، لا يفيد كثيرا ، إنما يكون الحل بإصلاح الأحوال . ولو أن الأمر يتطلب جهدا ووقتا كبيرين .

←

من خير ما نشر

نحــو الغــد

للاستاذ / حسين فهمى

شاركت فى الحلقة الإقليمية الأفريقية ، وندوة المنظمات غير الحكومية بشأن فلسطين التى عقدت فى القاهرة .

وقد تتابع المتحدثون فى إدانة إسرائيل ، كما اعتبروا الحوار الأمريكى الفلسطينى المنتظر خطوة صحيحة وإيجابية ، ولكن الكثيرين من المتحدثين حذروا مما قد تلجأ إليه إسرائيل لتخريبها .. فبينما الندوة منعقدة فى القاهرة ، تتوالى التصريحات الإسرائيلية برفض الحوار .

كما حذر كثير من المتحدثين من أن تتخذ واشنطن من الحوارَ الأمريكى سبيلاً إلى ممارسة الضغط على زعيم منظمة التحرير لابتزاز التنازلات .

ولكن مندوب المنظمة فى الاجتماع عبر بشكل حاسم عن تمسك المنظمة بمواقفها السلمية وحقوقها الوطنية .

ولقد ترددت كلمة الانتفاضة « بالعربية » على ألسنة المتحدثين فدخلت القاموس السياسى المعاصر ، واعتبرها الجميع حركة تحرر وطنى مشروعة . وبات محققا الآن أن الدولـة الفلسطينية ستحتل مكانها فى المجتمع الدولى إن عاجلاً أو آجلاً ... وإن غداً لناظره قريب .

متحـذلقـات

للاستاذ / جمال بدوى

تعتزم الحكومة إغراء المرأة العاملة بترك الخدمة بعد أن تبلغ سن الخمسين مقابل مكافأة توازى مجموع مرتب خمس سنوات ، كما يتضمن التعديل فى قانون العاملين بالدولة منح المرأة العاملة أجازة بدون مرتب لرعاية أطفالها بحد أقصى ست سنوات متفرقة .

هذه مؤشرات هدفها تشجيع المرأة على الاهتمام برسالتها المقدسة فى تربية الأولاد ورعاية البيت والاهتمام بزوجها ... وأعرف أن هـذه الإجراءات تثـير ثـائـرة السيـدات (المتحذلقات) اللاتى يعتبرن أى كلام فى هذا المجال تخلفا ورجعية وعودة بالمرأة إلى عصر الحريم . والمتحذلقات اللاتى يـرددن هذه الشعارات لا يعرفن ماذا يجرى للمرأة العاملة عندما تخرج إلى عملها وكيف تتعرض لأبشع ما يتعرض له إنسان .

والقروش القليلة التى تعود بها المرأة العاملة لم تعد تكفى نفقات الملابس والانتقال .

(بروسترويكا) مصرية

د . محمد احمد ضرغام :

يتطور العالم سياسيا واقتصاديا بصورة ملحوظة وقد سبقت روسيا بقيادة جورباتشوف إلى إحداث تطور هائل فى نظمها السياسية والاجتماعية لتفتح على شعبهانوافذ جديدة من الأمل وراحة النفس وحرية الفكر ضاربة عرض

الحائط (بشيوعيتها) البغيضة التى جرت على الشعب الروسى الاكتئاب والتخلف السياسى والاجتماعى . فقد وجدت (البروسترويكا) الروسية ـ ومعناها (إعادة البناء) ـ صدى طيبا لدى كل شعوب .. ولعل الذين يعتنقون الشيوعية فى مصر يتراجعون عن التمسك بذيولها بعد أن نبذها أهلها ، حتى لا يصيروا ملكيين أكثر من الملك .

ما أشد حاجتنا إلى بروسترويكا مصرية لنعيد بناء المجتمع على اساس جديد يتمشى مع المتغيرات السياسية والفكرية والاقتصادية التى طرأت على مجتمعنا الذى انهكته التطبيقات الاشتراكية المزعومة .

نقطـة البدايـة

بداية أى إصلاح هى الصراحة .. والاعتراف بالخطأ .. والتوقف عن ارتكابه .. وبدء سلسلة من الإصلاحات التى تقود أخيرا إلى الهدف . يجب أن نعترف أن ترسانة القوانين التى تشل الإنتاج أو تعرقل مساره فى أبسط الأحوال كان لها أثر فى الأزمة التى نواجهها . يجب أن نعترف أن الادارة ببطئها وجمودها وتعقيدها كانت سببا فى تعثر الإنتاج وقلته .

يجب أن نعترف أن السياسة فى بلدنا لاتخدم الاقتصاد ، وإنما يعمل الاقتصاد خادما للسياسة ، وجزء ضخم من مشاكلنا يرجع لهذا السبب .

لو اعترفنا بهذا كله فسوف يسهل علينا الإصلاح والتغيير .. إن الحرية التى نحلم بزيادتها فى مجال السياسة مطلوبة أيضا بنفس الزيادة فى مجال الاقتصاد .

أمريكا الأولى فى عدد الاغتيالات

ضربت أمريكا رقما قياسيا جديداً فى عدد الاغتيالات خلال الشهور العشرة الأولى من عام ٨٨ حيث قتل ٢٨٨ شخصا أغلبهم من ضحايا العنف الناتج عن تعاطى المخدرات .

أنباء وآراء

● عاد إلى القاهرة مساء الأحد ١٤ من جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٤ من يناير ١٩٨٩ م فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قادماً من المملكة العربية السعودية حيث حضر فضيلته اجتماعات الدورة الثانية عشرة للجنة اختيار الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام وذلك تلبية للدعوة التى وجهها رئيس الهيئة إلى فضيلته للمشاركة فى أعمال لجنة جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٠٩ هـ .

● ● ●

● فاز فضيلة الشيخ محمد الغزالى بجائزة الملك فيصل الإسلامية لعام ١٤٠٩ هـ ـــ ١٩٨٨ م .

أعلن هذا الفوز خلال لجنة تشكلت برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر وضمت فى عضويتها الدكتور عبد الله عمر نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ولفيف من قادة الفكر الإسلامى والدعوة الإسلامية فى العالم .

تنظم نقابة المهن التعليمية يوم ٤ من رجب ١٤٠٩ الموافق ١٠ فبراير ١٩٨٩ مسابقة فى حفظ القرآن الكريم بين المعلمين بدار النقابة بالجزيرة ، وسوف يتم تكريم الفائزين فى احتفال النقابة بعيد المعلم فى ٢٦ من رجب ١٤٠٩ هـ .

● تطبيق فريضة الزكاة بالسودان

أجاز مجلس الوزراء السودانى مشروع قانون تطبيق فريضة الزكاة فى السودان ، وذلك بموافقة معظم الوزراء السودانيين .

وأشارت المذكرة المصاحبة لمشروع القانون بأنه يجىء تمكيناً للدولة من الحفاظ على شعيرة الزكاة إحدى الفرائض الإسلامية الأساسية .

● ● ●

اوضحت دراسة حديثة نشر عنها صباح الجمعة ٢٧ من جمادى الأولى ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩/١/٦ ـ أجرتها كلية الطب بجامعة بوسطن الأمريكية أن السيدات اللاتى يتعاطين حبوب منع الحمل يواجهن ضعف احتمالات الإصابة بسرطان الثدى وترتفع نسبة الاحتمال إلى أربعة أضعافها فى حالة تعاطى الحبوب بشكل متصل .

● ● ●

● تصحيح المفاهيم عن الاسلام

عقد الاتحاد الإسلامى للطلاب بفرانكفورت بألمانيا الغربية مؤتمراً استمر ثلاثة أيام ناقش خلالها مشاكل الطلاب المسلمين الدارسين هناك .

د. أحمد عبد الرحيم السايح
الأستاذ عبد المنعم فوده

شارك في المؤتمر عدد من ممثلي سفارات الدول العربية والإسلامية، وبعض ممثلي الأحزاب الألمانية ووزارة التعليم الألمانية والاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية. كما حضره طلاب يمثلون خمس عشرة دولة، طالب المشتركون في المؤتمر بضرورة متابعة ما يصدر عن الإعلام الألماني حول الإسلام والمسلمين بتصحيح مفاهيم الإسلام في اذهان الشعب الألماني.

●●●

● مركز جديد لدراسات العالم الاسلامي

قررت ندوة الدين الإسلامي والتحدى الحضارى التي عقدت في «فاليتا» عاصمة مالطا. إنشاء مركز لدراسات العالم الإسلامي يهتم ببحوث ودراسات استراتيجية وعلمية وإعلامية عن العالم الإسلامي في شتى المجالات.

وأشار البيان الذى أصدرته الندوة بإنشاء المركز إلى أن القضايا «الإستراتيجية» والقانونية ستكون من محاور اهتمام المركز في مجال الدراسات الإسلامية. تشمل هذه القضايا مسائل الحدود السياسية، وعلاقات الدول الإسلامية بالدول المجاورة، وعلاقات العالم الإسلامي الدولية، وكذلك الثغور الإسلامية والمناطق والبحار والمياه الإسلامية المعتدى على سيادتها.

●●●

● وافق مجلس بلدية مدينة (برنت) البريطانية شمال لندن على توسعة أول مدرسة إسلامية تعمل بنظام الوقت الكامل والتى تولى تأسيسها أحد الدعاة الإسلاميين.

وهذه المدرسة من المدارس المتفوقة بمنهجها ومستواها الدراسى طبقا لتقارير الحكومة البريطانية.

والجدير بالذكر أنه يوجد ٨٠٠ مدرسة دينية نصرانية خاصة و ٤٠ مدرسة يهودية تتلقى الدعم من الحكومة البريطانية.

●●●

● أذاعت لندن بنشرتها الإخبارية في ١٩٨٩/١/٢٨ الخبر التالى:

قامت مظاهرات قوية ـ في العاصمة لندن ضد كتاب «آيات شيطانية» قال المتظاهرون: إن ما جاء به كفر وتجريح لمشاعر المسلمين.

وقد قامت مظاهرات مماثلة بالعاصمة أيضا لنفس السبب قبل ذلك، وفي يناير أيضا.

الكتاب وضعه هندى بريطانى قصدا لتشويه أسس إسلامية أولية.

●●●

● تكثيف جهود الاعلام لنشر الدعوة الاسلامية

دعا أحمد الديدات إلى ضرورة تكثيف العمل الإعلامى لنشر الدعوة الإسلامية في كل مكان بالعالم. وقال: إن الإعلام يمثل ركيزة أساسية للتعريف بالدين الإسلامى وحضارته ومبادئه، وطالب بضرورة الإنفاق في مجال خدمة الدعوة الإسلامية، وشراء محطات تليفزيونية لتبث

البرامج عبر الأقمار الصناعية لنشر مبادىء الإسلام مع تكثيف الجهود لنشر الدعوة فى افريقيا وأمريكا وجميع دول آسيا إلى جانب مساعدة الأقليات الإسلامية فى العالم .

●●●

● مشاكل الأقليات الاسلامية

أعلن الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى بالسعودية أن المنظمة تعد حالياً « استراتيجية » جديدة تتصدى للمشاكل التى تواجه الإقليات .

وقال : إنه تم تشكيل لجنة خاصة لإعداد هذه « الاستراتيجية » : وأن مهمة هذه اللجنة متابعة وضع المسلمين فى بلغاريا والفلبين والهند وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى ويوغسلافيا . بالإضافة إلى الاتصالات التى تجرى مع الأقليات الأخرى المنتشرة فى العالم غير الإسلامى ، والتى تتم مساعدتها عن طريق صندوق التضامن الإسلامى أو عن طريق صندوق خاص فى البنك الإسلامى .

●●●

● معهد دولى إسلامى بـ « واشنطون »

تم افتتاح « المعهد الدولى للعلوم والتكنولوجيا الإسلامية » فى العاصمة الأمريكية واشنطن فى بداية هذا العام ، ويهدف هذا المركز إلى تشجيع وتنمية العلوم فى البلاد الإسلامية ، وذلك بالتركيز على ثلاثة مجالات رئيسية مع تطبيقاتها وهى الفلسفة الإسلامية ، وعلم الاجتماع ، وتاريخ العلوم والتكنولوجيا فى الإسلام .

●●●

● حصر المخطوطات الاسلامية بفلسطين

أعلن عميد كلية الدعوة الإسلامية بمدينة القدس أنه يجرى حصر جميع المخطوطات الإسلامية فى المسجد الأقصى المبارك . وقال : إن المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية فى الأردن أصدر كتابا يتضمن أسماء هذه المخطوطات ، والمخطوطات الأخرى المحفوظة بمكتبة الحرم الإبراهيمى فى الخليل ، كما أصدر المجمع الملكى كتاباً آخر يتضمن أسماء المخطوطات الموجودة فى المكتبة المحمدية فى (عكا) ، والذى أعده الدكتور محمد عطا الله الأستاذ بجامعة النجاح بنابلس .

●●●

● عقار للشيخوخة يعالج سرطان الجلد

اكتشف فريق من الأطباء الأمريكيين فاعلية عقار (تريتينوين) الذى يستخدم فى إزالة تجاعيد البشرة الناجمة عن الشيخوخة ، فى الحماية من الإصابة بسرطان الجلد ، اثبتت التجارب أن هذا العقار يخفض عدد وحجم البؤر الجلدية التالفة والتى قد يؤدى تفاقمها إلى الإصابة بسرطان الجلد .

●●●

● صابون ضد البلهارسيا

توصلت باحثة سعودية تعد رسالة الدكتوراه فى علم المناعة بجامعة جورج واشنطن الأمريكية إلى إنتاج نوع من الصابون يحمى الإنسان من الإصابة بالبلهارسيا المنتشرة فى عدد كبير من دول العالم الثالث . والصابون الجديد يوضع على الجسم ولا يزول بالماء ، ويكون طبقة عازلة تمنع ميكروب البلهارسيا من اختراق الجسم ، وقد اثبتت التجارب التى أجريت على الصابون الطبى فعاليته .

فهــرس العــــدد

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية « قصة الإيلاف » د . علي أحمد الخطيب	٧٥٣
تعقيب للشيخ جاد الحق علي جاد الحق	٧٥٨
دراسات قرانية « في وصف المؤمنين » أ . د . محمد عبد المنعم القيعي	٧٦٤
في رياض السنة النبوية المطهرة « كفوا ألسنتكم عن أمة لاإله إلا الله » د . رءوف شلبي	٧٦٧
القيم الدينية للمقدسات الإسلامية أ . د . عبد الفتاح بركة	٧٧٥
مكانة بيت المقدس أ . محمد صابر البرديس	٧٨١
في ذكرى الإسراء عبد الحفيظ فرغلي القرني	٧٨٤
من أسلوب المعاهدات في القرآن الكريم د . عبد الحليم حفني	٧٨٩
من حديث الإسلام في جنوب افريقية د . عبد الجليل شلبي	٧٩٨
الفتاوى أ . علي حامد عبد الرحيم	٨٠١
من أعلام الأزهر للمستشار محمد عزت الطهطاوي	٨٠٤

الشعر والشعراء
اشراف د. حسن جاد

الموضوع	الصفحة
ياليلة الإسراء للشاعر مصطفى احمد درديز	٨٠٨
تجلى الذى لا ينام للشاعر عبد الوهاب الشامي	٨٠٩
في ذكرى الإسراء محمد علي جمعة	٨١٠

العلوم الكونية

الموضوع	الصفحة
البرق والرعد أ . د احمد فؤاد باشا	٨١٢
غاز الاوزون د . ربيع سيد الفولي	٨١٧
طرائف ومواقف أ . عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٨٢٠
من روائع الماضي تقديم عبد الفتاح حسين الزيات	٨٢٢

اللغة والأدب والنقد

الموضوع	الصفحة
من ملامح المنهج العلمي د . محمد السيد عطية	٨٢٨
السمات العامة لأسلوب الرافعي د . شلتاغ عبود شراد	٨٣٤
الإسلام والاتجاهات العلمية عرض كارم السيد غنيم	٨٤٠
من خير ما نشر اعداد عبد الفتاح السيد عبد السلام عادل رفاعي خفاجة	٨٤٥
ابناء وآراء اعداد د . أحمد عبد الرحيم السايح عبد المنعم فودة	٨٤٨

القسم الانجليزى
اشراف د. أنس مصطفى النجار

الموضوع	الصفحة
المقالة الثانية أ . عبد الحكيم احمد طه	٨٥٦
المقالة الاولى د . أنس مصطفى النجار	٨٦٢

institutions have recently become involved in the function of the administration of the Zakah. In countries where Muslims are the minority group, each Muslim should be responsible for the expenditure of his own Zakah after making a precise estimate of its amount. Mosques in non-Muslim States are the responsibility of the Muslim community and their building, maintenance and running expenses may be obtained from the funds of Zakah. This is based on the understanding that the activities and functions of the Mosque aim at promoting the interests of Islam, inspire good will towards its adherents and sustain the faith of fresh converts. In an Islamic State, however, Mosques do not usually fall under the categories of Zakah. It is very important from the "Shariah" (Islamic Law) point of view that the Zakah funds should be estimated according to the specified system and values, no more and no less. It is also mandatory that the Zakah funds should be spend in the exact channels of expenditure as decreed by Allah in the Holy Quran.

Besides the duty of Zakah, the Muslim is strongly encouraged to extend charity to those who need it. This charity outside the Zakah is not a duty. It is therefore called "Sadaqah" which is an act of altruism and philanthropy. It never substitutes Zakah, and it is not a pillar of Islam, whereas Zakah is a decree from Allah, and therefore must be done according to the law governing it. Sadaqah is very highly recommended and urged in the Holy Quran. It is a manner of spending at will, little or much without any defined limit as in the case of Zakah. It is benevolence and charity for individual or community welfare.Allah will reward greatly for such an act of "Sadaqah". In the Holy Quran it is stated: "The parable of those who spend their wealth in the way of Allah, is that of a grain of corn, it grows into seven ears, in each ear there are a hundred grains; and Allah grants manifold increases to whom He pleases, and Allah is All-Embracing, All-knowing" (Surat Al-Baqara, II, 261).

The institution of Zakah as a Divine Decree specified in the Holy Quran is the third Pillar of Islam. It is an intricate complex matter to people whose financial activities involve various spheres; or a particular specialized trade. In such situations, more advanced treatises on Zakah should be consulted, or someone with definite knowledge on the subject.

The financial system of Zakah has been studied in detail as compared to other current non-Muslim systems of economics, finances, banking, and benovelent social economic institutions. Islam absolutely rejects usury and therefore refutes the current banking and economic systems that are adopted nowadays all over the world. It is the duty of Islamic Nations to establish a firm economic and banking system based on Islamic Principles that should be independent of non-muslim systems.

discussed under the subject of the channels of expenditure of the Zakah funds and finances. This subject is specifically particularized in a distinct Quranic text. "Alms are (to be given) to the poor, and the needy, and those employed to administer (the funds); and for those whose hearts have been (recently) reconciled (to the Truth), and for those in bondage, and those in debt, and for those (engaged in any way) in the cause of Allah, and for the wayfarer. Thus, it is ordained by Allah. And Allah is All-Knowing, All-Wise. (Surat Al-Tawbah, IX, 60).

According to this Quranic decree, there are eight categories of individuals that are eligible and qualified to receive from the Zakah funds. These are the following:

1) Those whose income is too poor to meet their needs of life
2) Those who have some income but it is not sufficient to cover all their needs.
3) Those employed in the service of Zakah, and the genuine expenses of administering Zakah are properly chargeable to the Zakah funds.
4) Those who are reconciled to Islam. These may be persecuted by their former associates and require assistance until they establish firm resources of living.
5) Those in bondage, literally and figuratively; captives of war must be redeemed, slaves should be helped to freedom. Those in bandage of ignorance or superstition or adverse unfavourable environment should be helped to freedom to develop their own mental faculty.
6) Those who are held in the grip of debt should be helped to economic freedom.
7) Those who are engaged in the defence of the Faith; struggling and striving in the cause of Allah. This is achieved by teaching, fighting, or committed in any manner approved by a righteous Imam. Such individuals become unable to earn their ordinary living, and should therefore be supported from the Zakah funds.
8) The strangers who become stranded in places away from their normal habitat, are eligible to be supported from the Zakah funds.

In the older days, the Zakah was collected and administered by a certain responsible body of people under the jurisdication and the supervision of the state. The expenditure of the Zakah funds was appropriately channeled by this administration into the qualified eligible channels acording to the Quranic decree, to the recipients in any locaity of the country. In recent times, this does not precisely take place even in Islamic countries. The Zakah funds are spent by each individual on his personal responsibility according to the Quranic decree, and no collective funds are gathered, and no specific administrative body under State control exists. However, in some Islamic countries, several religious societies have become responsible to undertake the voluntary unpaid administration of collection and expenditure of Zakah funds. Some banking

balance on the single individual scale, and on a community and national scale. This financial and cultural balance preserves and conserves human self-dignity and human rights. The establishment of such foundations in a society results into social cohesion and pyshcological sence of social security, and social belonging. Another functional effectiveness of "Zakah" is the perpetual establishment of a budgetary foundation of the Islamic administration of State. The resources of the "Zakah" are not only spent to provide support for the poor sector of the population; it is also used for expenditure in all purposes of civil, military, educational, health, emergency and population consumption. The calculation of the Zakah is equivalent to 2.5 percent on the annual national capital values and not only on the national annual gains. It is therefore considered as the highest rate of internal revenue a country can collect; much more so than the taxation system adopted by several countries. It is also more justified and precise.

The Zakah as an act is essentialy performed on the part of the Muslim individual as a voluntary action originating from his faith. It is an implementation of the decree of Allah by an individual when all conditions are justified. The act of Zakah is conditioned by three general requirement. The individual must be a Muslim, and no Zakah is expected or accepted from a non-Muslim. The complete possession of the wealth, that should be existing on demand. Wealth included in absent or abstract trade assets is not subject to "Zakah", until this wealth becomes present and exists on demand. The last requirement of "Zakah" is that its obligation applies only when the amount or value of money or property reaches a minimal measure called the "Nisaab" which is specific for each type of property.

The duty of Zakah applies to five main categories of property. These are: (1) Naqd which is gold, silver, and money in any form of existence. (2) Merchandise which are items of any kind held for the purpose of trade. (3) Cattle as cows, oxen, sheep, camels, or the like, used for the purpose of professional breeding. (4) Minerals extracted from the ground. (5) Crops gathered from tilled fields. The Nisaab for gold, silver, money, merchandise, minerals is the equivalence of 90 grams of gold. In case of cattle, the Nisaab is 30 cows, 40 sheep, or 5 camels. The obligations of the duty of Zakah only applies when the dutiable amount has remained in the possession of the owner for one full lunar year. The exact amount of Zakah for money, gold, and silver that has reached the Nissab, is 2.5 percent of the amount that has been in the possession of the owner or present on demand for one whole lunar year.

A very important aspect on the subject of Zakah deals with the recepients of the Zakah money. This is generally

➜

manner that misses the reality of the meaning of "Zakah". The true meaning of "Zakah" as the third pillar of Islam, is the commitment of the Muslim to calculate and give out, what is understood and conceived to be the right of Allah (Haqq Allah). This right of property and belonging to Allah is calcualted annually according to certain prescribed teachings; and given with gratuity and grace to specific channels of expenditure.

The practice of this collective Islamic function will result ultimately into growth, purity, and goodness of individual property; because that individual has in honesty and candidness calculatd the "Zakah" that is due upon his complete monetary assets and property. The superficial look upon the practice of "Zakah" makes one think that "Zakah" lessens the individual property; this is a false illusary understanding. The decrease appears in the material count; but the reality and increase is in the blessing, purity, goodness attached and qualified to the rest of the property by the grace of Allah , by fulfilling the "Right of Allah" Haqq Allah.

The teachings of the doctrines of the Holy Quran emphasize the fact that the Zakah is the "Right of Allah" in every person's wealth. This is to be given out according to specific Divine system of collection and expenditure. This understanding motivates wealthy people to give out the Zakah willingly; and allows the poor members of the population to receive their share without loss of dignity or self respect, and preserve their pride. The Zakah is essentially their right appearing under the profound name the "Right of Allah". Zakah is therefore not a charity or benevolance, it is Haqq Allah that must be taken from the affluent rich to be given to those in need. The basic concept in the faith of every Muslim is that every human is poor and needy to Allah, and that all wealth is granted by Allah , and is in reality the property of Allah granted to the individual. Allah prescribed the Zakah as a mandatory Islamic socio-economic system for several good purposes, some of which the human mind has realized, and others remain still obscure beyond our recognition. Several social advantages can be achieved in the practice of "Zakah". Capital money must be invested and utilized in development, industrialisation work and production. If it remains stagnant without utilization, it will gradually decrease because the "Zakah" will annually depreciate the value of the capial money. There is no way for capital money, except either to invest, develop; or die. Another advantage of "Zakah" is the establishment of a social equilibrium between the various sectors of the population. This equilibrium constitutes both financial and cultural

THE PILLARS OF ISLAM

THE ZAKAH

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakah), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection)?, Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXI, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

The origin of the word "Zakah" in the syntax of the Arabic Language means growth, purity and goodness. In the context of Islamic doctrines and jurisprudence, "Zakah" means the payment of a certain amount of money according to very specific regulatory optimizations. This money is given by the Muslim, to be spent in very special specified channels. The word "Zakah" is usually poorly translated into English in a

Revelation; and a unified spelling and diction as originally dictated by the Prophet. Once that was finally completed; Osman ibn Affan ordered everything else related to scripts as writings of the Holy Quran to be burnt. This last text was the Master Text of the Holy Quran, the [MÙSHAF-AL-IMAM]. The reference text for all other scripts and prints of the Holy Quran from the time of Osman ibn Affan to our present times. The only addition was the introduction of the styles of writting and calligraphy, and the dotting and punctuation; in order to facilitate reading and grammatical precision. This was done by Abu Al-Aswad Al-Douali; Nasr ibn Assem Al-Laythii, Yehia ibn Yamre Al-Adwani Khalil ibn Ahmed, and Mohammad ibn Sireen. These learned men were eminent authorities in Quranic Sciences, and were characterized by true piety, extreme honesty and meticulousness.

It is well accepted by historians and chroniclers that compilation of the Holy Revelation ranks among the most eminent and outstanding features that characterize the reign of Abu Bakre Al-Siddiq. It is certainly the most blessed accomplishment for Islam and Muslims. The wars against the apostates, the victorious crusades into Iraq and Syria, each was enough achievement in itself to class Abu Bakre as a unique ruler of supreme distinction. Abu Bakre during his short term in office as "Khalifah" of Rassul Allah, having achieved victory against the apostates, put down the foundation for extensive propagation of the Islamic faith through the Islamization of other territories outside the Arab Peninsula; and by the compilation of the Holly Quran, earns the grandeur and eminence. May Allah have mercy and grace on Abu Bakre, he was certainly from the righteous.

unified text "Mushaf" during the reign of Abu Bakre. The completed text remained in the custody of Abu Bakre till his death, then in the custody of Omar ibn Al-Khattab till his death. The manuscript was then in safekeeping with Hafsah bint Omar, the widow of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). In the reign of Osman ibn Affan, the manuscript of the Holy Revelation was taken from Hafsah, in order to use this original text as original reference to the second calligraphic script of the Holy Quran.

During the reign of Osman ibn Affan, Muslim territorial expansions were very great, and Muslim worriors and companions of the Prophet spread into distant lands. The Muslim Arabs became mixed with other Muslims of non-Arab descent. Even among the Muslim Arabs themselves, various dialects of diction prevailed among the various tribes. This extensive spectrum in the knowledge of the Arabic language and the difference in dialect between the various Arab tribes created a condition of pronounced dispute and difference in the exact and correct reading of the Holy Quran. In one of the far distant territories in Armenia, Muslims from Syria disputed with Muslims from Iraq over the proper diction and pronounciation of a certain verse from the Holy Quran. Similar incidents occured in other parts of th Muslim world, and at Al-Madinah between Muslim of different tribal origins. Osman ibn Affan as the man in authority at Al-Madinah at the time, became very concerned; and instructed the unification of the diction of the words of the Holy Quran according to the dialect of Quraysh, since the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) belonged to the tribe of Quraysh. Osman ibn Affan brought the script kept with Hafsah, and deputized Zayd ibn habet to supervise writing the Holy Quran in one diction, one spelling, and one pronounciation. He appointed Saied ibn Al-Aas, Abd-Allah ibn Al-Zubayr, Abd-Al-Rahman ibn Al-Harith ibn Hisham to assist Zayd ibn Thabet in this second compilation of the Holy Quran. This second script of the Holy Quran was precisely identical to the first in its text and precisely identical to the original text dictated to the scribers by the Prophet during his life time.

The purpose of Abu Bakre in compiling the Holy Quran, was different to the purpose of Osman ibn Affan in making a second compilation of the Holy Quran. Abu Bakre compiled the Holy Revelation for the supreme purpose of preservation and conservation of the Divine Words. Osman ibn Affan had the prodigious aim of unifying and identifying the diction of the Holy Quran to be only as that practiced and recited by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This last text developed in the time of Osman ibn Affan was both a precise compilation of the exact original text of the Holy

➤

accept anything memorized by any companion, unless two witnesses testify that this was relayed to that companion by the Prophet himself. Finally, Zayd made certain that everything of the text of the Holy Quran in the process of compilation, qualified and conformed with the last arrangement and optimal exactness dictated by the Prophet during the last year of his glorious life (prayers and peace from Allah upon him).

The selection of Zayd ibn Thabet to undertake the monumental colossal assignement in preference to other companions was by a process of thoughtful wisdom on the part of Abu Bakre. Zayd ibn Thabet was relatively young, and that would give him the necessary energy and continuity required; and make him more humble and less biased to his opinion. He would consent to consult and listen to the judgement and advice of the elderly companions. He was known to memorize the exact complete text of the Holy Quran, as approved by the Prophet. Zayd ibn Thabet knew and récognized the enormity and magnitude of the task to which he was entrusted to excute. He knew and realized that several companions memorized the Holy Quran, and would stringently judge the accuracy of the compilation. Zayd ibn Thabet was certainly reputed for his peity, honest virtue in character, reliable and dependable. Zayd realized that the Guardian of all was Allah, the Guidance, the All-knowing, the All-Cognizant, and the Vigilant. This humbleness for Divine support, energized Zayd to overcome all difficulties; and with patient preserverance and obstinate resolutior carried the heavy responsibility of the compilation of the Holy Revelation into one unified text. The completed work received the satisfaction of all Muslims, the companions of the Prophet, the contemporary "Huffaz", and the Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre Al-Siddiq.

The precision of compilation of Holy Quran and the optimized methodology by which the compilation was performed was unique and distinctive to the Holy text of the Revelation. No other manuscript in history received the same rigorous analytical assurance of the text as the Holy Quran. The process adopted was schemed by Zayd ibn Thabet, and was approved and intimately supervised during its implementation by Abu Bakre himself. The various other prominent and important commitments and duties of Abu Bakre in his function as Khalifah, did not diminish or curtain the compelling supremacy of the notable and serious significance of the work entrusted to Zayd ibn thabet. The compilation of the Holy Revelation in one unified text involved the preservation of the precise origin and roots of the whole Muslim Theism, Doctrines, jurisprudence, and the Arabic language. The compilation of the Holy Quran was totally completed into one

in Syria, and against the Persian Empire in Iraq and across the Arab Gulf. The war against the apostates came early in the reign of Abu Bakre, and the most important battle was the battle of Al-Yamamah against Musailamah "the impostor" and his followers. The Muslim death toll in this battle alone was twelve hundred men; about fourty of these were from the "Huffaz" of the Holy Revelation. This incident motivated Omar ibn Al-Khattab to think of compiling the Holy Revelation into one collected exactly documented manuscript; before the death of more "Huffaz" in future battles. The death of the "Huffaz" meant the loss of living human reference and witness to the text and precision of the Holy Quran. Omar ibn Al-Khattab took time to think of the matter, and finally resolving his wise decision; went to Abu Bakre, explained his fears and thoughts regarding the Quran and the "Huffaz", and asked Abu Bakre to plan for the compilation of the Holy Revelation of the Glorious Quran.

Abu Bakre had not thought of the matter beforehand and answered Omar "How can I carry out something the Prophet had not done". Both Abu Bakre and Omar discussed the matter with reason, logic, justification, sagacity and wisdom; that lasted for sometime; until finally Divine providence enlighted the heart of Abu Bakre to agree to the request of Omar ibn Al-Khattab. Abu Bakre finally approved the most delicate and most difficult commitment in his reign as Khalifah. Abu Bakre sanctioned the undertaking of the compilation of the Holy Revelation in one complete unified manuscript. Abu Bakre summoned Zayd ibn Thabet, briefed him about the discourse between himself and Omar ibn Khattab regarding the compilation of the Holy Quran; and authorized Z ıd ibn Thabet the responsibility of the functional operation of that great work. Zayd ibn Thabet confronted Abu Bakre about how he could do something the Prophet had not done; but Abu Bakre discussed the matter with Zayd until Zayd's heart was enlighted to the idea. In the words of Zayd, he said as he walked out of the presence with Abu Bakre "I was stunned and my mind became heavy with the duty assigned to me; it would have been easier to remove a mountain, than to be entrusted with the compilation of the Holy Revelation.

Zayed ibn Thabet developed a precise system of rigorous analysis for the compilation of the Holy Quran. Every person that memorized anything of the Holy Quran, reported it to Zayed. Every person that wrote any part of the Holy Quran, reported it to Zayed. Every person that wrote any part of the Holy Quran dictated by the Prophet, brought the written script to Zayd. Zayd refused to accept any written script, except the original dictated by the Prophet himself. Zayd made certain and verified that what was memorized by the companions was written with precision in script. Zayd did not

the Holy Revelation to the memory by learning. Many of the companions memorized several Suras of the Holy Quran, and some memorized only a few Suras. These companions who memorized parts or all of the Holy Quran were called "Huffaz" (plural of Hafez). The most famous of the Huffaz were Abd-Allah ibn Massoud, Muaz ibn Jabal, Ubayi ibn Kaab, Zayd ibn Thabet, Abd-Allah ibn Omar, Abd-Allah ibn Amre ibn Al-Aas, Ubadah ibn Al-Samet and many others. The number of companions that memorized appreciable portions of the Holy Quran exceeded thousands. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) always made the Huffaz recite in his presence what they memorized of the Holy Quran. The third criteria was that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) instructed his companions not to scribe anything after him, except the Holy Revelation. These instructions were for the purpose of preserving the Holy Quran in exactness and precision of its Divine quality and text. The writing of the script text of the Holy Quran was performed on skins, leathers, parchment, cuticle of trees, stones, and the broad ends of dry palm tree blades. The preservation of the Holy Quran during the lifetime of the Prophet ended by the fact that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) recited the complete arranged text of the Holy Revelation to the Angel Gibriel twice durig the last year of the Prophet's life before his death. Also, the Prophet made Zayd ibn Thabet recite the whole scripture of the Holy Quran in his presence before his death.

It should be stated that the Holy Revelation was arranged in distinct entitites as Suras, and their sequence was determined by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). This was part of the Divine Function related to the Holy Revelation, mediated by the Angel Gibriel. Many of the companions memorized the full text of the Holy Quran in absolute unerring infallible exactness. Men as Abu Bakre, Omar ibn Al-Khattab, Osman ibn Affan, Aly ibn Abi Taleb, Zayed ibn Thabet, Abd Allah ibn Massoud and many others memorized the Holy Quran; and many more memorized large portions of it.

The second phase of the documentation and compilation ofthe Holy Quran was during the life of Abu Bakre Al-Siddiq, and during his reign as Khalifah of the Prophet. This period of Islamic history was characterized by fierce wars against the apostates, and later by the Iraq and Syrian crusades. The former was to re-establish the dominance of Islam and its doctrines among the Arab tribes in the Arab Peninsula; and the latter were to propagate Islam into other territories outside the Arab Peninsula, and for ensuring strategic security against the Eastern Roman Bezantine Empire

ABU BAKRE AL- SIDDIQ

THE COMPILATION OF THE HOLY QURAN

By : Dr. Anas Moustafa El- Naggar, M.D., Ph.D

The gathering of the Holy Quran in one manuscript was initiated and completed during the reign of Abu Bakre. This is considered one of the most outstanding achievements that distinguish the early period of Islamic History after the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The Holy Quran was revealed by Divine Power to Muhammad, the Messenger of Allah in the form of a fractionated protracted Revelation over a period of twenty three years. The rigorous and vigilant preservation of the Holy Quran was processed from the time of the Revelation to the final documentation, by script and commitment to memory word for word. The current manuscript of the Holy Quran passed through three main phases of scrupulous and meticulous analysis of precision and accuracy of assembly and gathering. The first phase was during the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him); the second and most critical phase was during the time of Abu Bakre Al-Siddiq; and the third was during the reign of Osman ibn Affan.

During the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), three essential criteria were established to make absolutely certain the undisputed exactness of the preservation and conservation of the Holy Revelation.

The first was the accute selection of prestigious scribers from among the companions to undertake the duty of amenuensis and registration of the Holy Revelation as dictated by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). From among these scribers were Abu Bakre Al-Siddiq, Omar ibn Al-Khattab, Osman ibn Affan, Ali ibn Abi-Taleb, Abd-Allah ibn Abi Sarh, Ubayi ibn Kaab, Zayd ibn Thabet, Abd-Allah ibn Rawahah, and few others. The Prophet optimized the precision of what was written by continually subjecting the script to fastidious revision. The second criteria was that the Prophet instructed his companions to commit the words of

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
VOL. 61, PART VII
Rajab, 1409, Hijriah

Editor: Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., Ph.D.

===============

CONTENTS

1. **Abu Bakre Al-Siddiq.**

The Compilation of the Holy Quran.

By: Dr. Anas Moustafa El Naggar.

2. **The Pillars of Islam.**

The Zakah.

By: Abdel-Hakim Ahmad Taha.

Preparation of the Prints by Mrs. Fatimah Mohamed Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

شعبان ١٤٠٩ هـ
مارس ١٩٨٩ م
الجزء الثامن
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة الإيلاف

صاحب الإيلاف .. حياته الأسرية

(٢)

فى مقدمة الحديث عن صاحب الإيلاف : « السيد الشريف : هاشم بن عبد مناف بن قصىّ » ، نطرح اموراً ـ هى براهين لابدّ منها ـ للدلالة على شرفه ، وخياره ، وصحة اخباره .

إنه لؤلؤة بين لآلىء ينظمها سِمْطُ هذا النسب الزكى الذى لم يلحقه دنس الجاهلية ، ولم يعلق به خَناها فهو فرع شريف زكى لاصل شريف زكى من قبله ، وهو اصل شريف زكى لفرع شريف زكى من بعده ، شعشع فيه طهر النسب ، ولالأ فيه نقاؤه حتى استتم نوره ، واستقام كماله فى رسول الله الخاتم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ خياراً من خيار من خيار ..

وشرف الطهر وكماله فى هذا النسب حَدَّث به ـ عن وحى لا ينطق عن الهوى ـ سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« إن الله ـ تعالى ـ خلق الخلق فجعلنى فى (خير) فرقهم ، وخير الفرقتين ، ثم تخير القبائل فجعلنى فى (خير) قبيلة ، ثم تخير البيوت فجعلنى فى (خير) بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً ، وخيرهم بيتاً »[1] .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً بعد قرن ، حتى كنت من القرن الذى كنت فيه »[2] .

وروى مسلم ـ فى صحيحه ـ قول واثلة بن الأسقع ـ رضى الله عنه :

« سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :

إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وروى مسلم ـ أيضاً ـ قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشاً ، واصطفى من بنى قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » .

وصحة أخبار هاشم يحفظها نسيج قوى من أبنائه وذريته من بعده ، بل من أبناء إخوته فمن بعدهم ، فليس منهم من أحد ، من هؤلاء أو هؤلاء ، إلا كان فى جيله الثالث أو الرابع « صحابى جليل » يربأ بنفسه أن يكون على جهل بآبائه فتغمض عليه سيرهم ، وتندُرُ[3] منه أمجادهم :

فهو يحفظ نسبه حفظاً متيناً يفرق بينه وبين الأكثرية من الأعاجم الذين لا يحفظون أنسابهم فيجهلون ماضى أسمائهم وبلاء آبائهم ، فإذا سئل أحدهم عن نسبه انتسب إلى « بلده » ، كما يقول الجاحظ ـ رحمه الله .

وهو يحفظ ـ أيضاً ـ ما لآبائه وما له هو من « مفاخر » يعتد بها فى هذا المجتمع الذى كثيراً ما تثور فيه أزمة (مجد) فتحال إلى (حكومة) تقضى فيها قضاء لازماً بفخر فلان على فلان وعلو كعبه عليه ، وقد تقضى أيضاً بنفى الخصم المغلوب فينفذ فيه[4] ..

وفات هذان الأمران : « حفظ النسب » ، « وحفظ الأمجاد » جميعاً ـ مستر « موير » المؤرخ « الحجة » فكان أن « ضلل » كثيراً فى التاريخ الجاهلى ، وكثرت أخطاؤه فى هاشم بن عبد مناف .

● ● ●

---

(١) رواه الترمذى راجع لأبى الفضل عبد الله الحسنى ـ الكنز الثمين فى أحاديث النبى الأمين ، وهو مجلد اقتصر فيه مؤلفه على بعض الصحيح فى ترتيب هجائى .

(٢) راجع لابن كثير : شمائل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ص ٥٧ ، والحديث عن الإمام البخارى ط عيسى البابى الحلبى .

(٣) ندر منه كذا : زال عنه .

(٤) انظر لمحمد بن سعد ـ الطبقات الكبرى ٧٦/١ « المفاخرة والمنافرة » ط دار صادر بيروت .

نشأ هاشم فى بيت عبد مناف بن قصى ، فهو سليل سيد قريش قاطبة فى عهدها الجاهلى من قبل البعثة وَجَدُّه « قصى » لا تنساه قريش بحال :

لقد كانت بطون « فهر » من قريش قد شتتتها خزاعة حين تغلبت على « جرهم » ، فملكت مكة ؛ فعاشت تلك البطون غريبة عن أرضها ؛ فإذا هى حُلُولٌ وصِرَمٌ وبيوتات متفرقون[٥] فى بنى كنانة الذين يمتون لقريش بقرابة ، وتنقلت بهم الديار ، وكان قصى واحداً من هؤلاء ، ولدته أمه فاطمة بنت سعد لأبيه كلاب بن مرة غريباً عن أرضه ووطنه ، وما لبث أن مات كلاب ، فتزوجها ربيعة بن حرام من « عُذْرة » ، وخرج بها وبه إلى بلاده حيث نشأ فى « قضاعة » غريباً ، وهو الماجد سليل بيت إبراهيم وإسماعيل ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ بالبلد الحرام .

شب قصى ، وكان جلداً نهداً نسيباً لا تعوزه قوة ولا شدة ، ويرفعه نسب كريم ، وعمل بالتجارة فانثال عليه المال الوفير ، وطرح به الكدّ مطارح قومه فعرفهم ، وعرف مكانته ، وأدرك تاريخه ، فأجمع على أن يسترد أرضه ويجمع قومه ، وشاء الله ـ تعالى ـ له النجاح ، تقدمة للرسالة الخاتمة بأرض مكة الحرام .

فاوض الخزاعيين بالحسنى فامتشعوا السلاح فأثخن فيهم حتى طلبوا التحكيم ، فَحَكَّموا بينهم يَعْمُرَ ابن عوف بن كعب الكنانى ، فحكم بأن « قصيا أولى بالبيت من خزاعة » ، فولى أمر البيت وحكم مكة ، وجمع قومه من شتات ، وقطع لهم مكة رباعاً أنزلهم بها فأحاطوا بالبيت ، واستحكمت حمايتهم له ، وعرفوا لقصى مكانته وفضله ، فملكوه أمرهم ، ودانوا له ، غير أنه ترك البيت على حاله بما أحدثته « خزاعة » فى الدين الحنيف من شرك .

وصار قصى مسئولاً عن « سقاية الحجيج » و« رِفَادته » ، بإطعامه الطعام ، كما صار مسئولاً عن « حجابة » ، البيت وسدانته و« الدفاع » عن مكة تحت لوائه ، فجمع بذلك الرياسة كلها .

و« عبد مناف » هو ابن ذلك الرجل الفذ الذى عرفت قريش به طريقها إلى موطنها ، ونالت به عزتها وفى بيت عبد مناف نشأ هاشم الشريف الماجد .

● ● ●

سماه والداه « عَمْراً » ، ثم توالت أياديه على قومه فاشتهر بألقاب وكنايات عدة ، فهو « هاشم » لما هَشَمَهُ من خبز وكعك أطعمه قومه ثريداً باللحم وهم فى مَحْل مُسْنِتُون ، وهو « عمْرو العُلاَ » لعلو مرتبته ، وهو لفظ افتخر به فى « قضاعة » ، وتناقلته الأجيال حتى أنشده عبدالله الزِّبَعْرَى ـ عصر الرسالة ـ فقال :

عمرو العُلاَ هشم الثريد لقومه ورجالُ مكة مُسْنِتُون عِجافُ [٦]

وهو لفتوته وجماله « قدح النُّضَار » يشاركه فى هذه الفتوة وهذا الجمال أخواه : « عبد شمس ونوفل » ، فكان يقال لثلاثتهم : « أقداح النضار » . ولهاشم وأخيه المطلب : « البدران » لجمالهما . وهو ـ من بين إخوته : « سيد البطحاء » .

←

---

(٥) أى جماعات متفرقات حلّتْ بهذه الأراضى .

(٦) مسنتون : مجدبون أصابهم الجدب والقحط فهم لذلك عجاف ، أى مهازيل .

وكنى عدة كنايات فى مقدمتها : أبو نضلة ، ونضلة هذا ولده ـ كما سيجىء ـ ثم ألحقته مَفَاخِرُه بكنايات أُخر . فهو « أبو البطحاء » ، و« أبو يزيد » ، و« أبو الشُّعْثِ الشجيات » . وهذه الكنية الأخيرة رثاه بها مطرود بن كعب الخزاعي ـ فيما صح من شعره فى مرثياته لأبناء عبد مناف ، ومنها ـ فى هاشم :

ياعين فَأبكى أبا الشُّعثِ الشَّجِيَّاتِ ... يَبْكينهُ حُسَّراً مثْلَ الْبلَيأت[٧]
يَبْكِين أكْرَم من يمشى على قَدَمٍ ... يُعْوِلْنه بِدُموعٍ بعد عبراتِ
يبكينَ شَخْصاً طويل الباع ذَا فَجَر ... أبى الهَضيمة فَرَّاج الجليلات[٨]
يبكينَ عَمْرَو العُلَا إذ حان مَصْرَعُه ... سَمْحَ السَّجِيَّة بَسَّام العَشِيَّاتِ[٩]

• • •

ولد هاشم فى بيت عبد مناف بن قصى ، ونشأ فى بيت هذا السيد الأمير فى هذه البلدة العزيزة نشأ سيداً عن سيد ، وله إخوة بنين وبنات ، فقد تزوج « عبد مناف » ثلاث نسوة كن فضليات منجبات أسهمن فى إنجاب هذه الكوكبة ذات الشرف الرفيع الذى تمادى نسله حتى الإسلام ، ولنا فيهم ـ وفى والداتهم جميعاً ـ ملاحظة واحدة ، هى اننا لا نستطيع الترتيب بينهم ، وإن يسبق إلى الذهن أن أم هاشم أولى النساء ، ويذكر ـ صاحب الكامل ، رحمه الله ـ أن هاشماً أكبر الأولاد .

تزوج عبد مناف بنسوة ثلاث هن : عاتكة الكبرى ، وواقدة ، وريطة :

فأما (عاتكة الكبرى) فهى بنت مرة بن هلال بن فالج بن ثعلبة بن ذكوان من مضر ، وجُمْلَة ولد « عبد مناف » منها ، فالذكور : هاشم وعبد شمس والمطلب .

والإناث : تماضر وقلابة وحيَّة ـ وفى (الطبقات : حنَّة) ـ وأم الأخثم وأم سفيان .

وعَدَّ ابن هشام وابن سعد من بنات « عبد مناف » ، « ريطة » .

كذلك صرح ابن سعد بابنتين لعبد مناف هما « بَرَّة » و« هالة » ولست أحسبهما إلا صاحبتى الكنيتين : « أم الأخثم وأم سفيان » ، وذلك مما يشكر عليه ابن سعد ـ رحمه الله .

كذلك يصرح ابن سعد بأن « ريطة بنت عبد مناف » أمها « الثقفية » ، ولا يذكر « علماً » للثقفية .

---

(٧) الشعث الشجيات : النسوة اللاتى نزلت بهن أحداث الدهر فصرفتهن بكربها وما ألحقت بهن من عَوَز عن الزينة ، وأسلمتهن إلى شظف العيش ، فكان هاشم لهن ولأمثالهن يد مواساة ، فلما مات بكينه حاسرات غير منتقبات ذاهلات عن أنفسهن كتلك النياق اللاتى تعقل على قبور من مات من العرب لا تدرى شيئاً عما يفعل بها .. بينما صاحبها يؤمن بالبعث ـ كما كان الحال لدى قدماء المصريين .

(٨) قال زميلنا الفاضل الأستاذ طه عبد الرءوف محقق سيرة ابن هاشم : الفجر : الجود شبه بانفجار الماء ، ويروى : ذَا فَنَعٍ ، والفنع : كثرة المال .

(٩) بسام العشيات قال عنه : يضحك للأضياف ويبسم عند لقائهم .

وسمى ابن هشام ـ زوجة عبد مناف الثقفية : « ريطة » وقال عنها : امرأة من ثقيف ، وقال عنها أيضاً : « أم أبى عمرو »(١٠) ، فهى وابنتها ـ إذاً ـ تحملان اسماً واحداً .

وليس يمتد الذكر بكل من : أبى عمرو وأبى عبيد ، وإنما الضوء على الرجال الأربعة : هاشم وعبد شمس ، والمطلب ونوفل أبناء عبد مناف فتلخص أن لعبد مناف بنين ستة ، وبنات ست . وذلك فإن زوجته الثالثة :

« واقدة » بنت عمرو المازنية من مازن بن منصور بن عكرمة ، ولدت لعبد مناف ابنه « نوفل » بن عبد مناف .

وإذا استثنينا من أبناء « عبد مناف » ، أبا عمرو الذى لا نجد عنه ذكراً فى « عمل » أو « ولد » ، واستثنينا ـ كذلك ـ أبا عبيد الذى درج ، فمن بعدهما من بنى « عبد مناف » ليس إلا رأساً لسلالة توالى أحفادها حتى أدركوا الإسلام ، وعاشوا بعض دُوَلِهِ ـ نجتزىء منهم بأمثلة سريعة :

أ ـ فهذا هاشم ـ صاحب حديثنا هذا ـ أحد أبناء « عبد مناف » من أبنائه :

« شيبة الحمد عبدالمطلب » بن هاشم بن عبد مناف ، والدُ « عبد الله » ، والد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ب ـ و« عبد شمس » من أبنائه ربيعة والد عتبة وشيبة اللذين قتلا كافرين فى (بدر) ، ومن نسل الأول « هند بنت عتبة » صحابية أسلمت يوم الفتح ، وأخوها « مهشم » أبو حذيفة بن عتبة أسلم قديماً وهو من مهاجرة الحبشة .

جـ ـ والمطلب بن عبد مناف ، والد « مخرمة بن المطلب » ولمخرمة ولدان من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هما القاسم وقيس ، والأول : تِرْبُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وُلِدَ معه « عام الفيل » رضى الله عنهما .

د ـ ومن أبناء « نوفل بن عبد مناف » عدى بن نوفل والد « المطعم بن عدى » والد « جبير بن مطعم » رضى الله عنه أحد نسابة العرب الخبير بأنسابهم وديارهم وأيامهم .

وما ذكرناه ـ كما قلت ـ إنما هو بعض الأبناء الذين التف حولهم التاريخ فسطع على هذه الأسرة بضوء لا يخبو مدى الدهر .

● ● ●

ونأتى إلى « هاشم بن عبد مناف » صاحب الإيلاف ، وهو معدود من أجواد الجاهلية كما جاء فى « المُحَبَّر » لابن حبيب البغدادى وغيره ، وكان كجده قصى قد كثر ماله وعظم شرفه ، عجز من بنى

←

---

(١٠) فى الطبقات أن أبا عمرو وأبا عبيد وليدا « واقدة » وليس « ريطة » ، وذلك لأمر بسيط هو أنه لم يعد « ريطة » زوجة ، بينما ابن هشام تقطع عبارته بأنها زوجة ، بينما يقتصر ابن سعد على قوله عنها : « الثقفية » .

عبد مناف من أراد لنفسه أن يسبقه ، ثم هو ـ مع ذلك ـ ما عاش لنفسه ، أو لقريش فقط ، بل أراد الله ـ سبحانه ـ أن يكون صاحب الأيادى البيض على الجزيرة كلها .

تزوج هاشم بست نسوة ، ليس من الدقة أن نوالى بينهن بترتيب ، أو نذكر وفاة إحداهن قبل غيرها ، أو نعلم مَنْ مِنَ النسوة خَلَفَها ، لكنهن ـ جميعاً ـ فضليات ـ أيضاً ـ منجبات ، وهن : سلمى ، وقيلة ، وهند ، وواقدة ، وأميمة ، وَعُدَىّ .

و« سلمى » هى بنت عمرو بن زيد بن لبيد سليلة عدى بن النجار من « يثرب » خزرجية من بنى عمرو ابن الخزرج ويبدو ـ والله أعلم ـ أنها آخرهن زواجاً بهاشم ، وهذا ما نستنتجه من كتب السير والتاريخ ، ولهاشم منها ولدان هما : شيبة الحمد عبدالمطلب ، ورقية ، جاء فى الطبقات : « ورقية بنت هاشم ماتت وهى جارية لم تبرز » .

ولذا ذكر كثير من المؤرخين شيبة الحمد ولداً لسلمى ، ولم يذكروا « رقية » .

و« قيلة » هى بنت عامر بن مالك بن جذيمة ـ وجذيمة هذا هو « المصطلق » من خزاعة ـ وكانت تلقب بـ « الجزور » ، ولدت لهاشم : أسد بن هاشم .

و« هند » خزرجية الأصل أيضاً ، وهى ابنة عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج .. فى الطبقات أنها والدة « صيفى » ، وتذكر بقية المراجع ـ ومنها الطبقات أيضاً ـ ولداً آخر هو « أبوصيفى » .

و« واقدة » وهى بنت أبى عَدِى ـ وفى الطبقات : أو عُدَىّ ـ وهو عامر فهى : واقدة بنت عامر بن عبد نُهْم بن زيد بن مازن بن صعصعة ، ولدت لهاشم ، خالدة والضعيفة .

و« أميمة » هى ابنة عدى بن عبد الله بن دينار بن مالك بن سلامان بن سعد من قضاعة ، وهى أم : نضلة وأختيه : الشفاء ورقية .

و« عُدَىّ » ذكرها ابن سعد فى طبقاته ، قال : ـ فى أولاد هاشم : « وحَنَّة بنت هاشم أمها عُدَىّ بنت حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قسى . وهو ثقيف » .

فمبلغ ولده الذكور خمسة : شيبة الحمد عبدالمطلب ، وأسد ، وصيفى ، وأبو صيفى ، ونضلة .

ويبدو من مختلف المصادر أن نضلة أكبرهم وآخرهم شيبة الحمد عبدالمطلب ،

والنساء ست هن : رقية ، وخالدة ، والضعيفة ، والشفاء ، ورقية ، وحنة .

ونلاحظ أن إحدى الرقيتين درجت صغيرة . كما سبق .

أولئك كل أسرة الشريف ؛ هاشم بن عبد مناف .

● ● ●

يتبــع

د. علي أحمد الخطيب

بيان للإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

بشأن مفتريات بريطاني هندي

نشرت مجلة الأزهر البيان التالي في عددها الصادر في جمادى الأولى ١٤٠٩ / ديسمبر ١٩٨٨ تنبه الأذهان إلى خطورته ، ووجوب التصدي له ، والمجلة تعيد نشره تتابعا للأحداث . كما تلحق بأنباء وآراء وغيرها من أبواب المجلة ملحقات بهذا الأمر .

قال فضيلة الإمام الأكبر : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

وبعـــــد :

فقد ورد إلى الأزهر الشريف :

أنه صدر في بريطانيا كتاب بعنوان : « آيات شيطانية « Satanic Verses » لمن يدعى / سلمان رشدى – من أصل هندى ويحمل الجنسية البريطانية يتعرض بالتجريح لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ ، ويسيء إلى زوجاته وأصحابه رضي الله عنهم . في أسلوب قصصي : فيه أكاذيب وافتراءات من وهم الخيال لبعدها عن حقائق الإسلام .

ويبدو أن ما دفعه إلى هذا حنق الملاحدة على الإسلام ، والرغبة في الارتزاق من أيدي أعداء هذا الدين الحنيف .

ولقد أثار هذا الكتاب قلق الأوساط الإسلامية في بريطانيا فنهضت الجمعيات والمنظمات الإسلامية هناك للنشر تنديداً بالكتاب ، وتعريفاً بما يحمله صاحبه في قلبه من سوء ، ثم رفعت إلى القضاء دعوى ضد دار النشر التي تعاونت معه .

ولقد عقد كل من مجلس سفراء الجامعة العربية ، ومجلس أمناء المركز الإسلامي في بريطانيا جلسات خاصة لاتخاذ ما يجب عمله تجاه هذا الجرم الصريح .

وإن الأزهر الشريف ثقة منه بهذه الأنباء التي تواترت عما يحمله هذا الكاتب وكتابه من سوء المقال عن الإسلام ورسوله ﷺ وآل بيته وصحبه ليدعو الهيئات والمؤسسات الإسلامية في بريطانيا إلى التضامن نحو اتخاذ الإجراءات القانونية لمنع تداول هذا الكتاب .

كما يدعو الدول الإسلامية والعربية إلى حظر دخول هذا الكتاب إليها وإلى مقاطعة دار النشر التي أصدرته ومنع مطبوعاتها من التداول في البلاد الإسلامية .

ويدعو الأزهر الشريف منظمة المؤتمر الإسلامي إلى أن تأخذ دورها في مواجهة مثل هذا التزييف لتاريخ الإسلام وحقائق سيرة رسول الله ﷺ .

ويشكر الأزهر كلا من حكومة باكستان وحكومة الهند على مسارعتهما إلى التقرير بمنع دخول هذا الكتاب وحظر تداوله بالبلدين .

ويدعو الأزهر الشريف كافة الهيئات والمؤسسات الإسلامية أعضاء المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة للقيام بما يجب إزاء هذا النشر الخبيث ، وإلى حين اجتماع هيئة رئاسة هذا المجلس في الشهر القادم .

هذا : ولخطورة المعلومات التي وردت إلى الأزهر عن هذا الكتاب وكاتبه ، وما فيه من إلحاد وأباطيل عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وآله وأصحابه قد وجّهت الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية إلى اتخاذ إجراءاتها لمنع دخول هذا الكتاب إلى جمهورية مصر العربية وحظر تداوله فيها .

من صفات المؤمنين

قال تعالى :

﴿ . . . وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

فى كلمتنا الماضية انتهى حديثنا إلى الوصف الأول : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ وهذه الآيات الكريمات قضايا تتلاقى فى وحدة الشعور بها ، وهى من صفات المتقين الذين يؤمنون بالغيب .

ووحدة الشعور هنا جَمْعُ ما هو مستقر فى القلب وهو الإيمان ، وما تعبر عنه الجوارح بالحركة الجسمية من صلاة ، والحركة المالية من تقديم العون للمحتاجين بلا غرور ولا منٍ ولا أذى يُبطل الصدقات ، ثم جَمْعُ للإيمان الشامل بالقرآن وبالكتب السماوية التى نزلت من قبل ، وكلها تدعو إلى الإيقان بالآخرة : يوم الفصل ليأخذ كل ما له ، وما عليه عن طريق إرشاد الله وتوفيقه .

والصلاة بأركانها وشروطها مكلف بها الإنسان وهى طهارة للقلوب واستفتاح لباب الغيوب ، أمرنا سبحانه بإقامتها ، لا بمجرد إيجاد صورتها ، وهى إحدى الطاعات .

علم الحق من العبد وجود الملل ، فلون له الطاعات .

وعلم منه وجود الشره فحجرها عليه فى بعض الأوقات لتكون الهمة إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فليس كل مصل مُقيم ، كصورة صلاة المنافقين الذين ﴿ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ .

ومن أجل هذا ذكر القرآن بعض آثارها ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

والحياة نصفان : تعبير وتأثير ، كالمغناطيس له أثره فهو لا يتحرك حين يجذب ، لكن الحديد يتحرك له عندما ينجذب إليه .

وهيهات أن تكون تعاليم الإسلام صوراً ميتة ، إذ الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها .

ومن شروط صحتها : طهارة المصلى فى بدنه وثيابه ومكان صلاته ، وغير معقول أن يطلب طهارة الظاهر ، ولا تطلب طهارة الباطن .

وللإسلام من وراء كل توجيه له هدفان . تحقق الظاهر .

والوصول إلى ما وراء هذا الظاهر من قيم هى حقائقه الموضوعية ، ومن معانٍ كامنة فى الشعور ، والإدراك الحسى والتصور الذهنى .

قال ابن عربى : إن حجاب العزة دون

د. محمد عبد المنعم القيعى

سبحانه مسدل ، وباب الوقوف على معرفة ذاته مقفل[1] والإنسان لا تسهل عليه شدائد البداية ، إلا إذا عرف شرف الغاية ﴿ وَإنها لكبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ . الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

وللعقول حد تقف عنده من حيث ما هى مفكرة والقلوب غير محدودة من حيث هى قابلة ، ورؤية البصيرة علم ، ورؤية البصر طريق حصول علم ، وللعقل نور يدرك به أمورا مخصوصة ، وللإيمان نور به يدرك كل شىء ما لم يقم مانع ، والنفس تحشر على صورة علمها ، والجسم يحشر على صورة عمله وفى الحديث «يبعث العبد على ما مات عليه»[2] .

والمصلون فى الحقيقة كما وصفوا :

رهبان ليل يقرأون كلامه
أساد غاب فى الوغى بنهار

وقد أمر الله أن تؤدى الصلاة فى وقتها

﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ .

والمؤمن الحكيم هو العالم بمواضع الأمور ، ووضعها فى أماكنها وزمانها على بصيرة ، وهى محل المناجاة ومعدن المصافاة ، تتسع فيها ميادين الأسرار ، وتشرق منها شوارق الأنوار ، عُلِمَ وجود الضعف منك ، فقلل أعدادها ، وعلم احتياجك إلى فضله ، فأكثر إمدادها .

ومن معنى ستر العورة فى شروط الصلاة أن يغطى الإنسان ذنوبه بالتوبة منها والإقلاع عن الوقوع فيها .

واستقبال القبلة يعنى وحدة الهدف ، وحسن المقصد .

وسائر الشروط والأركان تؤدى كما أمرنا ، وعلى المصلى أن يتدبر ما وراء هذه الحركات وتلك الأفعال فتكبيرة الإحرام إسقاط ما سوى الله من حساب العبد .

وفى القراءة مناجاة لله ، وكيف يشرق قلب وصور الأشياء منطبعة فى مرآته ؟ وكيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته ؟

وكيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟

كيف يرجو أن يفصم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته ؟

وفى الركوع إشارة إلى الخضوع .

وفى السجود لمحة إلى ذل العبودية أمام عظمة الربوبية .

ولما استفتح المصلى باب الملكوت بخضوعه وذله لمولاه ، أذن له بالدخول فى حريم الحى الذى لا يموت وقال بلسانه وقلبه : «التحيات لله ، والصلوات والطيبات» ثم سلم على من دعاه لهذا الهدى ، ثم على نفسه وعلى عباد الله الصالحين .

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ .

والرزق : ما ملكه الإنسان وانتفع به أو تضرر ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ ﴾ وفى آية أخرى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ والإنفاق من الرزق إعطاء شىء منه ، وكل ما يعطاه الإنسان عليه الإنفاق منه كالصحة والعلم والمال ونحوه ، فإن كان بنية خالصة راج وازدهر ، وإن كان بغير إخلاص تبعثر وهلك .

والصلاة والزكاة ، أختان مترادفتان فى معظم التعبير القرآنى وهما من القيم الراسخة فى عقيدة

١ - الفتوحات المكية ص ٢

٢ - رواه مسلم وابن ماجه

من صفات المؤمنين

المسلم نحو نفسه ، وربه ، والناس أجمعين ، وإن كيان الإنسان يهتز من أساسه إذا ما عرف وشعر أنه قد افتات على قيمة عليا من القيم التى لا حياة للإنسان بغيرها ، وإن التحليل المنطقى لعبارة ما ، يتناول صورة التركيب ، وما فيها من علاقات ، ويفرغ من العبارة فحواها .

﴿ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ .

إعلم أن الإسلام دعوة إلى توحيد الإنسانية فى حقوق واحدة ، وهداية واحدة وإيمان واحد ، ولا معنى للخلق ولا للدين بغير التبعة ، ولا معنى بغير التبعة لتكليف ولا حساب ، فديننا الحنيف يدعونا إلى الإيمان بكل ما تقدم علينا إيماناً إجمالياً ، وبما أنزل إلينا إيماناً تفصيلياً فيما يلزمنا من عقيدة وعمل ، وإذا كانت الجنة لمن آمن بموسى أو عيسى أو غيرهما عليهم الصلاة والسلام ، فالمسلم تلزمه عقيدته أن يؤمن بجميع الرسل ، لا يفرق بين رسول ورسول ولا بين الله ورسوله ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ .

﴿ وبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

الآخرة هى يوم الحساب ، والثواب أو العقاب ، وحياة المرء فى الدنيا قد تنتهى بلا جزاء فكان من العدل الإلهى أن يُقيم وقتاً يأخذ كلٌّ جزاءه وينال ما هو مؤهل له ، ولا يكفى أن يعترف الإنسان بالآخرة .

فضمير الفصل « هم » تعريض لمن يزعم الكفاية هؤلاء الموصوفون بما ذكر على هدى من ربهم .

وهم الفائزون بالفلاح والرضوان .

وتأمل حرف الجر «عَلَى» الذى يفيد التمكن والاستقرار ، فلا شكوك ولا ريب فيما اعتنقوه وفعلوا بمقتضاه .

على أنه يتعين عليهم أن يوقنوا بأن التوفيق من الله وحده ، ويكفى من الجزاء لك على العمل أن يكون له قابلا .

والنفس الإنسانية لاتتهالك على اللذة العاجلة إلا إذا أقفرت من المبادىء الباقية ، وخلت من العقيدة الصحيحة التى تقاوم إغراء الساعة .

وإن تعاليم العقيدة ليست من قبيل الدراسات العلمية التى تعرض على المعمل وإنما هى ذخيرة شعورية تصهر الضمير فتعينه على مراس الحياة ، وتلهمه حسن المعاملة ومكارم الأخلاق ، وعناصر الإيمان : تأثير نفسى بليغ ، وعقيدة مقبولة لا تناقض المحسات .

ولا تقوم عقيدة بغير شخصية قادرة على إيحائها ، وعاطفة حسية تستجيب لدعائها ، ومبادىء روحية تملأ العقل والوجدان ، والصلاة تكملة للشخصية الإنسانية . والإنفاق صلة لها بما يجاورها .

ولا يغيب عن الذهن أن الآيات المذكورة تمثل عقيدة وعملاً بقسميه الجسمانى والمالى ، ليندمج الإنسان مع غيره . فالمسلم لا يتقوقع فى داخل نفسه وبيته وإنما هو يتفلسف فى دائرة الحياة المشتركة بينه وبين غيره . والموجود البشرى حقيقة متفتحة على غيرها ، ومعنى وجود الإنسان نجاحه أو فشله فى تحقيق إمكاناته التى يملكها .

والذات الواعية تعرف كيف تعطى لأى شىء قيمته ، وربما كانت القيمة الحقيقية لتلك الحياة هى انها فى ذاتها ليست لها ادنى قيمة ، اللهم إلا إذا اعتبرت مزرعة للحياة الأخرى .

والإنسان هو نور الحقيقة فى ظلمات الكينونة الذى لا يقوم إلا خارج نفسه ، يعبر بلسان حاله عن نفسه وغيره تعبيراً صادقاً باعتقاده وعمله والله يهدينا سواء السبيل .

خلق الإنسان ومبعثه

د. محمود محمد رسلان

قال تعالى :

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ . أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ . أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الواقعة : ٥٧ ـ ٧٤ .

هذه الآيات البينات تناولت خلق الإنسان وبعثه ، وتحدثت ـ فى تحليل حكيم ، وهى تسوق الدليل إثر الدليل ـ عن البعث ، وهو أهون على الله ـ عز وجل ، فقال تعالى ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ .

اى ـ نحن ابتدانا خلقكم فاوجدناكم فى الكون وما كنتم ـ من قبل ـ موجودين ، افليس القادر على البداءة بقادر على الإعادة ، فهلا تصدقون بالبعث امام ما سقنا لكم من بداهة .

وجاءت الآية الكريمة فى بداية الرد على المكذبين الذين قالوا : ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ الواقعة ٤٧ .

فكان رد الله ـ سبحانه : ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ ..﴾ ثم ساق الدليل اثر الدليل على الترتيب التالى :

الدليل الاول : «أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ؟» اى ما تقذفونه فى الأرحام من النطف هل تقرونه فى الأرحام أم الله هو الذى يقره ؟

خلق الانسان ومبعثه

«أأنتم تخلقونه» فتجعلونه بشرا مصورا فى البطون ليخرج إلى الوجود إنسانا جديدا «أم نحن الخالقون» المقدرون المصورون له ؟

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ سوينا وصرفنا هذا الأمر بين أهل السماء والأرض وكتبناه عليكم ، وأقتنا موت كُلٍّ بوقت معين لا يحيد عنه أحد .

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ لا يسبقنا أحد فيهرب من الموت ، أو يغير وقته ؛ لأننا الذين قدرنا بينكم الموت ، ونحن القادرون أسئلتكم على أن نبدل أمثالكم وأشباهكم بعد موتكم بآخرين من جنسكم ، وما نحن بمسبوقين فى آجالكم فلا يتقدم متأخر ولا يتأخر متقدم .

«فننشئكم» وفق مشيئتنا «فى ما لا تعلمون» من خلق أو صفات لا تعلمونها .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أن من قدر على الأولى قادر على الأخرى ؛ فهلا تتذكرون أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ الروم : ٢٧ .

وفى الخبر : عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبا للمصدق بالنشأة الأخرى ولا يسعى لدار القرار[(١)] .

ولقد أبطل الله حجة الملحدين فساق هذه الآية المفحمة فقال : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ الطور : ٣٥ .

أم هنا منقطعة ، والهمزة فيها للاستنكار ، فوجودهم من غير موجد أعلى وهو الله أمر تنكره الفطر السليمة ، وكونهم خلقوا أنفسهم أمر لم يقل به عاقل ، وبما أنهم لم يخلقوا أنفسهم فإن ثَمَّ خالقا خلقهم ، فماذا يمنعهم من الإقرار بأنه سبحانه قادر على البعث ؟

وفى الدليل الثانى : قال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ الحرث يشمل شق الأرض وإثارتها ووضع البذر فيها أى أخبرونى عما تحرثون من أرضكم فتطرحون فيها البذر ، أأنتم تنبتونه وتحصلونه زرعا فيكون فيه ما يقتات منه ؟ أم نحن نفعل ذلك ؟! انكم تشقون الأرض وتلقون فيها البذر فإذا اقررتم بأن اخراج السنبل من الحب ليس إليكم فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض وإعادتهم ؟

وفى إضافة الزرع إلى الناس حكمة ؛ لأن الحرث من عملهم وعلى وفق اختيارهم ، أما الزرع فمن فعل الله تعالى ينبت على اختياره سبحانه لا على اختيارهم ، وفى هذا نهى لما ذهبوا إليه من أن الزرع يخرج على مرادهم ، ومن ثم ورد النهى فى الحديث الشريف الذى أخرجه ابن جرير بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يقول أحدكم زرعت وليقل حرثت فإن الزارع هو الله» .

وفى رواية : «لا تقولن : زرعت ولكن قل : حرثت» قال أبو هريرة رضى الله عنه : ألم تسمعوا قول الله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ ؟ رواه البزار[(٢)] .

---

(١) راجع تفسير القرطبى سورة الواقعة .

(٢) راجع تفسير ابن كثير : ٢٠٢/٨ بهامش تفسير الإمام البغوى .

فائدة جليلة : يستحب لكل من يلقى البذر فى الأرض أن يقرأ بعد الاستعاذة ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ؟ الآية ثم يقول : بل الله الزارع ، والمنبت ، والمبلغ . اللهم صل على محمد ، وارزقنا ثمره ، وجنبنا ضرره ، واجعلنا لأنعمك من الشاكرين ، ولآلائك من الذاكرين ، وبارك لنا فيه يارب العالمين .

قال الإمام القرطبى : إن هذا القول أمان لذلك الزرع من جميع الآفات : الدود ، والجراد وغير ذلك .

وعن هذه الآية قال الماوردى : إنها تتضمن أمرين :

الأمر الأول : الامتنان عليهم أنه أنبت لهم زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم .

الأمر الآخر : البرهان الموجب للاعتبار لأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشى بذره وانتقاله إلى استواء حاله من العفن «والتتريب»[٣] حتى صار زرعا أخضر ، ثم صار قويا مشتدا أضعاف ما كان عليه ، فهو بإعادة من أمات أخف عليه وأقدر ، وفى هذا برهان مقنع لذوى الفطر المستقيمة .

ثم قال : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ أى الزرع مهشما متكسرا تذروه الرياح فلا ينتفع به فى مطعم ولا غذاء ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ أى تعجبون بذهاب الزرع ، وتندمون مما حل بكم بسبب المعاصى ، والعرب تقول : تفكهت بمعنى : تنعمت ، وتفكهت بمعنى حزنت ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أى معذبون ، والمغرم : المعذب الذى ذهب ماله بغير عوض ، فالذين ألقوا الحب فى الأرض ولم يخرج لهم عوضا عنه غرموا كل ما أنفقوه فى زرعهم فأصبحوا محرومين .

الدليل الثـالث : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ أى هذا الماء العذب الصالح للشرب لتحيوا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم فهلا تشكرون نعمة الله عليكم فى إنزال المطر عذبا زلالا ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل : ١٠ ، ١١ .

أخرج ابن أبى حاتم بسنده عن أبى جعفر عن النبى - ﷺ - أنه كان إذا شرب الماء قال : «الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ، ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا»[٤] .

يقول الله سبحانه : ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ المزن : هو السحاب واحده مزنة والمزن : السحاب الأبيض ، وماؤه أعذب ، فإذا عرفتم أن الله هو الذى أنزل المزن فلم لا تشكرونه سبحانه فتخلصوا له العبادة ، ولا تنكروا قدرته على الإعادة .

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾[٥] ملحا يحرق الفم فلا تستسيغوا طعمه ، وحذف اللام هنا ، وأثبتها فى آية الحرث فى قوله تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ﴾ لأن هذه اللام هى الفاصلة بين صواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه ، لعلم السامع بمكانها ، أو الاكتفاء بسبق ذكرها ، أو تخصيص ما يقصد لذاته ، ويكون أهم وفقده أصعب بمزيد التأكيد فلولا تشكرون الله على أمثال هذه النعم الضرورية لمعايشكم ، كذلك تفيد هذه اللام معنى التأكيد لا محالة ، فأدخلت فى آية المطعوم دون

←

(٣) أى التغيير .

(٤) استدل به الإمام ابن كثير فى تفسيره جـ ٨ ص ٢٠٣ المصدر السابق .

(٥) راجع تفسير النسفى : ٤/٢١٩

آية المشروب للدلالة على أن المطعوم مقدم على أمر المشروب ، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب[٦] .

الدليل الرابع :

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ اخبرونى عن النار التى تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب ألنتم انشأتم شجرتها منذ القدم ؟ أم نحن المنشئون لها .

للعرب شجرتان : إحداهما : المَرْخ واخراهما : العَفار . إذا اخذ منهما غصنان اخضران فَحُكَّ احدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار[٧] ، وهذا يصدقه قول الله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يس : ٨٠ .

فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من «المائية» المضادة لها بكيفيته كان اقدر على إعادة الغضاضة[٩] ـ فيما كان غضا فيبس فبلى .

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ اى النار تذكرة ، تذكر بالنار الكبرى .

قال مجاهد وقتادة رضى الله عنهما ، ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال : «ياقوم ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا منْ نار جهنم قالوا : يارسول الله ، إن كانت لكافية ، قال : إنها ضربت بالبحر ضربتين ، أو مرتين حتى يستنفع بها بنو آدم ، ويدنوا منها» وفى هذا تبصرة وعظة من أمر البعث ، وأنموذجا لنار جهنم .

﴿وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾ ، منفعة للذين ينزلون الأماكن القفر ، والذين خلت بطونهم ، أو بيوتهم من الطعام ..

قال الفراء : إنما يقال للمسافرين : مقوين ، إذا نزلوا «القِيّ» : وهى الأرض القفر التى لا شيء فيها ، وأيضاً المستمتعين بها من الناس اجمعين فى الطبخ والخبز ، والاصطلاء ، والاستضاءة[١٠] .

اخرج الإمام مالك رضى الله عنه عن ابى الزناد ، عن الأعرج عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم» فقالوا : يارسول الله إن كانت لكافية فقال : «إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا»[١١] .

البقية ص ٨٩٦

---

(٦) احتبس المطر عن دولة الإمارات عدة سنوات ، وبدأت الآبار تجف ، والزراعة تتوقف ، واصبحت نقطة الماء اغلى من برميل البترول ، وارتفعت تكلفة تحلية مياه البحر ، وهرولت الشركات الامريكية إلى حكومة الإمارات تعرض عليها مشروعاً ضخماً لإسقاط الامطار عن طريق أسراب من الطائرات تسير بسرعة فوق السحاب ؛ وتلقى عليه مواداً كيميائية تحوله إلى مطر ينقذ الزرع والضرع .. ووافقت الحكومة بلا تردد ، وجاءت الطائرات ، وجثمت فوق المطارات وانتظرت مرور السحب فى سماء الإمارات وكانت المفاجاة ان السحب غيرت اتجاهها ، ورفضت أن تمر فوقها ، وانتاب الناس هنالك دهشة وفزع وخوف ، والتجأ رئيس الدولة فى الإمارات ومعه العلماء إلى الله وادوا صلاة الاستسقا فى خشوع وخضوع وبعد اربعة أيام بالضبط كما تقول جريدة الاخبار فى ١٤٠٩/١/١٤ هـ ١٩٨٨/٩/١٢ م نزلت امطار كثيرة لم تشهدها البلاد من قبل وهطلت السحب بغزارة دون تدخل الطائرات الامريكية ، وامتلات الآبار ، وارتوى النبات والحيوان والإنسان ، وازداد الناس يقينا وإيمانا بقوله تعالى : ﴿ وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ﴾ الشورى . ٢٨ .

(٧) نقلا عن مجلة الاعتصام : ١٤٠٩/٢/١٥ هـ ـ اكتوبر ١٩٨٨ م .

(٨) جاء فى اللسان : وهما شجرتان فيهما نار ليس فى غيرهما من الشجر .

(٩) غضن النبات وغيره : صار طريا ناضرا .

(١٠) راجع تفسير القرطبى سورة الواقعة .

(١١) رواه الإمام البخارى من حديث مالك ، ورواه مسلم من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن ابى هريرة . راجع تفسير ابن كثير سورة الواقعة .

من محاسن الإدارة فى الإسلام .. الستر على المسلم

د. رءوف شلبى

روى الترمذى قال : حدثنا قتيبة : حدثنا ابو عوانة عن الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

«من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، ومن ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه» .

رواه الترمذى فى ابواب الحدود .

ومسلم فى تحريم المظالم .

واخرجه الحاكم والنسائى وابن ماجه وهو حديث صحيح .

المفردات :

نَفَّس : من التنفيس وإزالة الكرب وإذهاب الهمِّ وفتح باب الفرج .

الكُربة : فعله من الكرب وهى ما يحزن الإنسان .

مِنْ كرب : من تبعيضية أو ابتدائية .

ستر : الستر هو الغطاء ورجل ستير ومستور يعنى عفيف .

«شرح الحديث»

أولا : فك الكربة

إيراد هذا الحديث فى أبواب الحدود عند الإمام الترمذى كان لفتة إسلامية راقية توضح إدراك أهل الحديث لمحاسن الإدارة فى الإسلام فلم يشأ الإمام الترمذى أن يبدأ أبواب الحدود بأحاديث تحدد عقوبة الجرائم التى ترتكب من بعض المسلمين لأنه بالحس الإسلامى الصادق يدرك أن المسلمين لو أقاموا الشريعة وأحسنوا معاملة أنفسهم لكانوا فى غنى عن إقامة الحدود .

فإن الإسلام لا يعلِّم الحاكم الشراهة فى إقامة الحدود بقدر ما يعلمه كيف يكون محسناً فى إدارته لشئون الرعية وإلى هذا أراد الإمام ←

السـتـر على المسلم

الترمذى ـ رضى الله عنه ـ أن ينبه إلى محاسن الإدارة فى الإسلام لكى يعى الناس أن البر والمعروف مقدمان على الشر والمأسوف ولذلك روى الترمذى عدة أحاديث فى جانب المعروف ومحاسن الإدارة قبل أن يبدأ فى رواية أحاديث الزجر والعقاب .

فذكر أولا : حديث : «رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يشب ، وعن المعتوه حتى يَعْقِل» .

ثم اتبعه بحديث : «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطىء فى العفو خير من أن يخطأ فى العقوبة » .

ثم ساق الحديث الذى معنا «ومن هنا فقد أدركت أن الإمام الترمذى يريد أن يعلمنا قبل رواية الأحاديث الزاجرة كيفية حُسن الإدارة فى معاملة الناس وهو الأمر الذى لو صار عرفا معروفا بين الناس لما احتاج الناس إلى قضاء أو محاكم أو انحرف الناس عن الجادة وسبيل الله القويم .

كما دلنا على أن مهمة الحاكم والأمير هى إشاعة الأمن بين الناس ، وقضاء مصالحهم ، ووضع الرحمة موضع العرف والعادة حتى تشيع الرافة والمودة بين ربوع المسلمين فتحل البركة ، والطمأنينة فيستريح الحاكم أو الأمير أو المسئول ؛ فإن البليّة فى الأمة لا تأتى إلا حين تشعر الأمة بالقسوة وعدم العدل، وإشاعة الظلم والفوضى والاستبداد وسيف القانون الذى لا يعرف رحمة ولا أخلاقا .

فإن شريعة الإسلام تمتاز وتتباين مع كل القوانين بأنها جاءت بالرحمة ، وأنها قامت على مكارم الأخلاق وأن العفو مقدم على القصاص فى المنظور الأخلاقى ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ .

وقد قال النبى ﷺ للناس عندما هرب ماعز الأسلمى لما مسَّه حر الرجم : «هَلَّا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه » .

ومن قبل قال الرسول ﷺ : «أَبِك جنون» ؟

قال الإمام النووى فى شرحه لهذه العبارة : إنما قال : «أبك جنون» ؟ .. لأن له طريقا فى سقوط الإثم بالتوبة وهذا مبالغة فى تحقيق حال المسلم وصيانة دمه(1) .

وعلى هذا الأساس من صنيع الترمذى فإن كل إدارى مسلم مسئول عن تنفيس كُرَب الذين يعملون معه كل على حسب مستواه وقدرته ومسئوليته ففى الحديث الشريف :

«أيما والٍ ولِيَ أمر أمتى بعدى أقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عدلا نجاه الله بعدله ، وإن كان جائرا انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم ينخرق به الصراط فأول ما يتقى به النار انفه وحر وجهه .

(رواه أبو القاسم بن بشران فى أماليه عن على حديث حسن) .

ويؤيده بقوة وجلاء ما رواه النسائى وابن حبان عن انس عن النبى ﷺ قال :

«إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضَيَّع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» .

فالتنفيس عن المسلم وظيفة كل رئيس حسب التسلسل الوظيفى والاجتماعى والإدارى فالذين ينفِّسون عن مرءوسيهم أو من يعولونهم فإن الله

(1) راجع « تحفة الأحوذى » بشرح جامع الترمذى جـ ٢ ص ١٩٥ .

تعالى ينفس عنهم كرب الآخرة وبين الثمن والمثمن ربح باهظ فإن كربة الدنيا قصيرة وقيمتها قليلة إذا قيست بكرب الآخرة فهى سرمدية . ولا راد لها ولا عدل يعدلها يقول الله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ٥٤ يونس .

يقول العلماء : والمضاعفة فى ثواب الله يوم القيامة قد تكون كمًّا ، وقد تكون كيفا وعلى هذا ففك كربة يوم القيامة يساوى فك كُرَب كثيرة فى الدنيا فإذا ما قوبلت واحدة بواحدة كان فك كربة الآخرة فى حد ذاته أضعافا مضاعفة لفك كربة واحدة فى الدنيا ومع هذا فالله يضاعف لمن يشاء ، وإذا استقر هذا فى تصور المسلم زاده حرصاً على أن يسارع فى فك كرب الناس فى الدنيا : إمَّا على سبيل التجارة مع الله ليفك كربه يوم الآخرة أو على سبيل الامتثال لنداء النبى ﷺ فيكون الأجر أعظم والقدر أكبر والفوز أفضل .

وحول هذا المعنى تزخر السنة النبوية بحض المسلمين على إغاثة اللهفان والسعى على قضاء مصالح العباد ففى الحديث الشريف .

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم :

١ ـ رجل حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب .

٢ ـ ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم .

٣ ـ ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل مالم تعمل يداك » .

(متفق عليه) .

وفى الطبرانى :

«أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تطرد عنه جوعا أو تقضى عنه دينًا» .

من مشى فى حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد ما بين الخافقين .

ثم قال ﷺ :

«لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته ـ وأشار بأصبعه ـ أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين » .

وعند ابن حبَّان :

« من مشى فى حاجة أخيه حتى يثبتها له أظله الله عز وجل بخمسة وسبعين ألف ملك يصلون له ، ويدعون له : إن كان صباحا حتى يمسى ، وإن كان مساء حتى يصبح ولا يرفع قدماً إلا حط الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجته .

وقد أكد الطبرانى وابن أبى الدنيا هذا المعنى فى روايته :

« لا يزال الله فى حاجة العبد مادام فى حاجة أخيه» (رواه الطبرانى) .

وعند ابن أبى الدنيا :

« من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة ومحا عنه سبعين سيئة إلى أن يرجع من حيث فارقه فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب » (رواه ابن أبى الدنيا والأصبهانى) .

وهؤلاء القوم الذين جعل الله فك كرب الناس على أيديهم وحملهم هذه المسئولية تنظر اليهم السنة النبوية من زاويتين :

الزاوية الأولى : أنهم صفوة الله الآمنون من عذاب الله يوم القيامة . ففى الطبرانى :

روى ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم اولئك الآمنون من عذاب الله » .

ومن حديث أبى الدرداء قال : قال رسول الله

السـتـر على المسـلم

ﷺ : « من كان وصلة لأخيه إلى ذى سلطان فى مبلغ بر أو إدخال سرور رفعه الله الدرجات العلى فى الجنة »

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله عز وجل يوم القيامة » .

إن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها وأرضاها قالت : قال رسول الله ﷺ :

من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة .

تلك هى الزاوية الأولى التى تنظر بها السنة إلى المسئولين الذين ينشرون بين الناس السرور وقضاء المصالح .

طردهم من الوظيفة التى ائتمنهم الله عليها الزاوية الثانية :

ففى الطبرانى : من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

إن لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ما كانوا فى حوائج المسلمين ما لم يملوهم ، فإذا ملوهم نقلها إلى غيرهم .

ومن حديث عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

«إن لله أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم » .

وعن عائشة رضى الله عنها وأرضاها قالت : قال رسول الله ﷺ : «ما عظمت نعمة الله عز وجل على عبد إلا اشتدت إليه مؤنة الناس ومن لم يحمل تلك المؤنة للناس فقد عرض تلك النعمة للزوال .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم ، فقد عرَّض تلك النعمة للزوال» .

وصدق الله العلى العظيم : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ١١٧ هود .

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ .. ١١ ـ الرعد .

ولما كانت كُربَ الناس تحتاج إلى تنفيس بأسلوب عملى لا بأسلوب وعظى ومجاملة كلامية فقد حرص سيدنا رسول الله ﷺ على أن يدفع الأمة على الإنتاج والعمل ففى الترمذى من حديث أبى سعيد ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على جوع سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عرى كساه الله يوم القيامةً من حلل الجنة .

وفى الطبرانى عن أم سلمة :

«ما من امرىء يحيى أرضا فيشرب منها كبد حرًى أو يصيب منها عافية إلا كتب الله له بها أجراً» .. «حديث حسن» .

ومن الأحاديث المتفق عليها والمشهورة بين العلماء وبين المسلمين ما رواه أنس عن رسول الله ﷺ :

« ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

فهل لرؤساء المصالح والمصانع والشركات والإدارات أن يدركوا حسن الإدارة من منظور الإسلام ؟ حتى يستقيم أمر هذه الأمة التى طال عليها شغب الإدارة ، وظلم الرؤساء فأفسدت

حياتها الاجتماعية وضلت طريقها فى الحياة الإنسانية ؟؟

ثانيا : الستر على المسلم :

يقول العلماء : ستر المسلم يكون فى بدنه والذب عنه .

وقد روى أبو داود والنسائى وابن حبان عن رسول الله ﷺ : « من ستر عورة أخيه فكأنما استحيا موءودة فى قبرها» . (حديث صحيح) .

وعند أحمد بن حنبل :

«من ستر أخاه المسلم فى الدنيا فلم يفضحه ستره الله يوم القيامة» .

وهذا الستر الذى يأمر به النبى ﷺ قائم على أساس من أسس العلاقة التى يفرضها الإخاء الإسلامى ففى الحديث :

« المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه» (أبو داود عن أبى هريرة) .

« المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم ، يرد مشدهم على مضعفهم ، ومسرعهم على قاعدهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد فى عهده » (أبو داود وابن ماجه) .

ولذلك يحذر النبى ﷺ جماعة المسلمين من تخذيل أنفسهم ففى الحديث :

« ما من امرىء يخذل امرأ مسلماً فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » ..

(أبو داود - وأحمد حديث صحيح) .

وقد جاء فى صحيح مسلم :

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» .

وهذا القدر العام من الستر هو حرمة كل مسلم على صاحبه مالم يجاهر ماجن بفسقه يستر الله عليه ثم يصبح ويقول قد عملت البارحة كذا وكذا .. يفضح نفسه وقد ستره الله .. فهذا الماجن الفاجر الذى يفضح نفسه يرى فيه الإمام النووى أنه يستحب أن ترفع قصته إلى الوالى فإن عجز الوالى عن تهذيبه رفعها إلى الحاكم بشرط إذا لم يترتب على ذلك مفسدة فكما سلف أن قررناه : أن النهى عن المنكر مشروط بعدم مضاعفات زيادة فى الفساد والأذى[٢] .

ويبقى بعد هذا أن ندرك أن من المجانة ما يتردد فى المكاتب والمصالح والصالونات فى البيوت من تجاوز الستر على المسلم إلى الغيبة والنميمة بل إلى البهتان .

ففى مسلم قال رسول الله ﷺ :

«أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذِكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهَتّه .

أما عقاب هؤلاء القوم المساكين الذين يحبون الغيبة والبهتان فقد روى الطبرانى بإسناد جيد عن أبى الدرداء عن رسول الله ﷺ قال : «من ذكر امرءاً بشىء فيه ليعيبه به حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاذ ما قال فيه» .

وفى الطبرانى أيضاً :

«عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قال فى مؤمن

(٢) راجع «شرح النووى» على مسلم جـ ٥ ص ٤٤٢ .

الستر على المسلم

ما ليس فيه أسكنه الله ردْغَة الخبال حتى يخرج مما قال» .

وردْغة الخبال هى : عصارة أهل النار .

وفى مقابل هؤلاء المساكين يأتى ثواب المفلحين الذين يذبون عن الناس و أعراضهم ففى الطبرانى .

عن أسماء بنت . يزيد - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله ﷺ : «من ذَبَّ عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار» .. (رواه أحمد وابن أبى الدنيا) .

فليحسن الناس إدارتهم لمصالح الناس وليسع المخلصون فى قضاء مصالح الرعية حتى يرفع الله المقت والغضب الذى حل بالأمة .

وليستر القادرون عيوب الضعفاء فلا يتصيدون الأخطاء ، ولا يتجسسون على العورات فمن تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه فى قعر بيته .

فقد قرر الإسلام أن كل المسلم على المسلم حرام : «دمه وماله وعرضه» .

ثالثا : والله فى عون العبد ما كان فى عون أخيه :

هذه تتمة الحديث كأنما هى قاعدة عامة وشرط مشروط فى الحفاظ الإلهى على عون هذه الأمة .

قال فى «تحفة الأحوذى» : أَيْ من كان ساعيا فى قضاء حاجته وفيه تنبيه على فضلية عون الأخ على أموره وإشارة إلى أن المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جلب المنافع إذ الكل عون[٣] .

وقد جاء فى «البخارى» ما يفسر أدنى ما يكون العبد فى عون أخيه .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «كل سلامى من الناس عليه صدقه ، كل يوم تطلع فيه الشمس : يعدل فيه بين الاثنين صدقة ، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة » (رواه البخارى فى كتاب «الجهاد») .

قال ابن حجر - رضى الله عنه - :

وجه كون الكلمة الطيبة صدقة أن إعطاء المال يفرح به قلب الذى يعطاه ويذهب ما فى قلبه وكذلك الكلام الطيب فاشتبها من هذه الحيثية[٤] .

اقول :

إن عون المسلم من أخيه المسلم هو التزام دينى نابع من العقيدة وشامل لصنوف العون من أول «فك كربته» و«الستر عليه» إلى «الكلمة الطيبة» يلقاه بها وهو هاش باش فمن تجاوز ذلك الحد فقد ألبس على نفسه وتهوك وتفيهق وتنطع والمسلم ليس كذلك دائماً .

فليحذر الذين يفسدون حياة المسلمين بإدارتهم المريضة وحماسهم الأجوف «للروتين» المعوق واللوائح المعقدة وحبهم المستميت للسلطة ، وتمنيهم للمخلصين الذين يعملون لوجه الله أن يخطئوا فإن عاقبة الأمور بيد الله والله بالغ أمره .

وسيجعل الله لمن ظلم من بعد عسره يسرا .

فمن يتق الله يجعل له من أمره يسرا وكذلك يعظم له أجرا . وقد بلغت ، والله يشهد .

أ.د/ رءوف شلبى

---

(٣) « تحفة الأحوذى » جـ ٤ ص ٦٩١ .

(٤) راجع «فتح البارى» ص ٤٤٩ .

القيم الدينية

للمقدسات الإسلامية

(٢)

أ. د. عبد الفتاح بركة

مكانة القدس فى الإسلام :

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة ـ ٢٨٥ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة ـ ١٣٦ .

ويقول جل شأنه : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة ٤٨ .

ويقول جل جلاله : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب ٤٠ .

هذه الآيات الكريمة ، وآيات أخرى كثيرة غيرها ، تعطينا فكرة التواصل المستمر بين النبوات ، وأن السابق منها يؤدى إلى اللاحق نشاطه وجهاده وهدايته وإصلاحه ، وأن اللاحق منها يبنى على ما سبقه ما يؤكده ويثبته ويضيف إليه ، وأن جميع مواريث الأنبياء من الهداية الآلهية ، والمقدسات الدينية قد استقرت فى نهاية الأمر على يد خاتم النبيين ـ ﷺ ـ إلى هذا الدين الخاتم الذى اكتملت به النبوات ، وأصبحت هدايته تامة كاملة للبشر أجمعين فى كل زمان ومكان ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة ٣ .

ومن مواريث الأنبياء عليهم السلام تلك البقاع المقدسة المباركة من أرض فلسطين وعلى قمتها المسجد الأقصى ، لذلك تكون لها فى الإسلام تلك المكانة العظمى التى كانت لها من قبل عند الأنبياء السابقين ، باعتبار أن الإسلام حفيظ على مواريثهم ، قيِّم على تعاليمهم ، مهيمن على ما سبقه من كتاب ، ولو لم يرد فى الإسلام شىء

بخصوصه بالنسبة لمكانة هذه المقدسات لكانت قداستها فى أديان النبوات السابقة كافية لتحمل المسلمين أمانة رعايتها وحمايتها ، كيف وقد خصها الإسلام بفضل تنبيه وتنويه ، وبفضل تكريم وتقديس .

(١) الإسراء والمعراج :

من هذا التكريم والتقديس تلك الرحلة الليلية التى دبرها الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد - ﷺ - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعروجه به من ثم إلى السموات العلا ، فربط بين ميراث النبيين جميعا من بناة الكعبة وبناة المسجد الأقصى فى رحلة مباركة ميمونة توجت بتلك الوصلة السماوية حيث رأى من آيات ربه الكبرى .

يقول سبحانه وتعالى منوها بهذه الرحلة المباركة ، مبينا عظيم المنة فيها : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الإسراء - ١ .

وفى هذه الآية الكريمة تصريح برحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أما قصة المعراج فأكثر العلماء على أنها ما ذكرته آيات سورة النجم فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ النجم ٨ - ١٨ .

ويهمنا هنا أن نؤكد على هذا المعنى الذى أشرنا إليه من تواصل الرسالات الإلهية وانتهاء مواريثها جميعا إلى الرسول الخاتم ﷺ ، وإلى أمته خاتمة الأمم . ولقد أحسن قاضى القضاة مجير الدين الحنبلى ، حيث جمع من الروايات الحديثية ما يكون صورة متكاملة عن صورة الإسراء والمعراج يبدو فيها هذا المعنى من تواصل الرسالات وانتهائها إلى محمد ﷺ ، وأن الإسراء بين المسجدين ربط واقعى وعملى صريح بين هذه الرسالات ، وأدائها فى النهاية وتسليمها إلى هذا الدين الخاتم .

يقول مجير الدين الحنبلى :

وكان من حديث المعراج الشريف ما روى عن النبى - ﷺ - أنه قال : أتيت بالبراق وهو دابة طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه . قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين .

وفى رواية : فلما دخلت المسجد إذا أنا بالأنبياء والمرسلين قد حشروا إلىَّ من قبورهم ومثلوا لى وقد قعدوا صفوفا صفوفا ينتظروننى فسلموا علىَّ فقلت : ياجبريل من هؤلاء القوم ؟ قال : إخوانك الأنبياء والمرسلون .

زعمت قريش أن لله شريكا ، وزعمت النصارى أن لله ولدا اسأل هؤلاء النبيين : هل كان لله شريك ؟ ثم قرأ : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ .

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر فى - كتاب التنزيل - له : إن هذه الآية نزلت على النبي - ﷺ - ببيت المقدس ليلة الإسراء ، وقد عدها غيره من العلماء فى الشامى والذى قاله أبو القاسم أخص مما ذكروه . فلما

نزلت وسمعها الأنبياء عليهم السلام اقروا لله ـ عز وجل ـ بالوحدانية .

قال ـ عليه الصلاة والسلام : ثم جمعهم جبريل وقدمنى فصليت بهم ركعتين .

قال ـ ﷺ : ثم خرجت فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ ﷺ ـ قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ؛ فإذا بآدم عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ ﷺ ـ قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بى ودعوا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ، ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف ـ عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، وذكر مثله ، فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يَدْخُلُهُ كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .

ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إلىَّ ما أوحى : ففرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى فقال : ما فرض ربك عليك وعلى أمتك قلت : خمسين صلاة ؟ قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك لا يطيقون ذلك ؛ فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربى ، فقلت : يارب خفف عن أمتى ، فحط عنى خمسا فرجعت إلى موسى ، فقلت : حط عنى خمسا ، قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ـ قال : فلم أزل أرجع بين ربى ـ تعالى ـ وبين موسى حتى صارت خمس صلوات . قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قال : يا محمد إنهن خمس صلوات ـ فى اليوم والليلة ـ لكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة . قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ـ فقال : رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه وفى رواية : ياموسى ، قد ـ والله ـ استحييت من ربى مما اختلف إليه . قال : بسم الله فاهبط . قال ـ ﷺ : ثم حملنى جبريل حتى أنزلنى على جبل بيت المقدس . وإذا أنا بالبراق واقف على حاله فى موضعه فسميت الله واستويت على ظهره ، فما كان بأسرع من أن أشرفت على مكة ومعى جبريل .

قال ـ ﷺ : لما كان صبيحة ليلة الإسراء أصبحت بمكة متحيرا فى أمرى ، وعلمت أن الناس يكذبوننى ، فقعدت معتزلا حزينا إلى ناحية من نواحى المسجد فمر بى أبو جهل عدو الله ،

←

فجاء حتى جلس إلىّ فقال ـ كالمستهزىء : هل كان من شيء يا محمد ؟ فقلت : نعم . قال :

وما هو ؟ قلت : إنى أسرى بى الليلة . قال : إلى أين ؟ قلت : إلى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين أظهرنا ؟ قلت : نعم . فقال أبو جهل : يا معشر قريش ، يا معشر بنى كعب ، يا معشر بنى لؤى ، هلموا . فانفضت المجالس ، وجاءوا حتى جلسوا إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال أبو جهل :

حدث قومك يا محمد بما حدثتنى ، فقال ـ رسول الله ـ ﷺ : إنى أسرى بى الليلة قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين أظهرنا ؟ قال : نعم فبقى منهم المتعجب ، ومنهم المصفق ، ومنهم الواضع يده على أم رأسه ، ثم قالوا : هل تستطيع أن تنعت لنا بيت المقدس ؟ قلت : نعم ، قال : فذهبت أنعته حتى التبس علىّ بعضُ النَّعْتِ لكونى دخلته ليلا فجيىء بالمسجد أَنْظُرُ إليه حتى وضع دون دار عقيل ، فجعلت أنظر إليه ، وأخبرهم عن آياته : قال ـ ﷺ : وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فنفرهم حس الدابة فَنَدَّلهم بعير فدللتهم عليه .

ثم أقبلت حتى إذا كنت بضَجْنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء ، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ، ثم غطيت عليه ، كما كان ، وإن عِيَرهم الآن تُصَوِّبُ من (البيضاء) ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق ، عليه غرارتان : إحداهما سوداء ، والأخرى برقاء . فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أولا إلا الجمل الذى وصف لهم وسألوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا ماء ثم غطوه ، وإنهم افتقدوه من الليل ، فوجدوه كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا القوم الذين نَدَّلهم البعير ، فقالوا : صدق والله ، لقد ندلنا بعير بالوادى الذى ذكره ، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه ، وإنه لأشبه الأصوات بصوت محمد ابن عبد الله ـ ﷺ ؛ فجئنا حتى أخذناه .

وذهب الناس إلى أبى بكر فقالوا : هل لك يا أبا بكر فى (صاحبك) إنه يزعم أنه قد جاء هذه الليلة ببيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ، فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه : والله لئن كان قال لكم ذلك لقد صدق فما تَعَجُّبكُم من ذلك ؟ فوالله إنه ليخبرنا عن الوحى من الله يأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة واحدة من ليل أو نهار فنصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه .

ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : يانبى الله أحدثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : صدقت فصفه لى يانبى الله فإنى جئته قال رسول الله ـ ﷺ ـ : فرفع لى حتى نظرت إليه وجعل يصفه لأبى بكر ، وهو يقول : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ـ حتى انتهى فقال رسول الله ـ ﷺ :

وأنت يا أبا بكر الصديق فسمى من ذلك اليوم صديقا .

كما ورد فى أحاديث أخرى وصفه لمجموعة من الأنبياء والرسل الذين التقى بهم ، مثل ما رواه مسلم عن أبى العالية : حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ (ابن عباس) ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ : « مررت ليلة أسرى بى على موسى بن عمران عليه السلام ، رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة . ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس » .

وفى حديث آخر لمسلم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ مر بوادى الأزرق ، فقال : أى واد هذا ؟ فقالوا : هذا وادى الأزرق ، قال : كأنى انظر إلى موسى ـ عليه السلام ـ هابطا من الثنية ، وله جؤار إلى الله بالتلبية ، ثم اتى على ثنية هَرْشَىَ فقال : اى ثنية هذه ؟ قالوا : ثنية هرشى . قال : كأنى انظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف ، خطام ناقته خلبة ، وهو يلبى » .

وروى عن جابر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : عرض على الأنبياء فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فإذا أقرب من رأيت به شبها عروة ابن مسعود ، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم (يعنى نفسه) ، ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية .

وإنما أوردت هذه الأحاديث على طولها لبيان صلة الأنبياء ببيت المقدس من جانب ، وصلة خاتمهم بهم ، وما يتضمنه ذلك من صلته بالمسجد الأقصى وهذا الرباط الدقيق المتين الذى يربط بين هذه المساجد المقدسة المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، ثم مسجد الرسول ـ ﷺ ـ الذى بنى بالمدينة المنورة فيما بعد(١) ..

وليس يعنينا فى هذا المقام أن نشير إلى الخلاف فى توقيت حادثة الإسراء والمعراج ، أو فى كيفية حدوثها ، فتلك ـ فوق أنها أمور تتعلق بإرادة الله النافذة ، وقدرته المطلقة ـ لا تؤثر فى موضوع البحث وهو القيمة الدينية لهذه الأماكن المقدسة .

صلاة الرسول ـ ﷺ ـ بالأنبياء فى المسجد الأقصى :

لقد تعددت الروايات الخاصة بأحداث الإسراء والمعراج ، وأحاديث الإسراء والمعراج أحاديث طويلة ، فلا غرو أن تختلف الروايات فى ذكر بعض الأحداث أو إهمال ذكرها ، أو فى تقديم بعضها أو تأخيرها ، وقد يكون ذلك تابعاً لمناسبة إيراد الحديث ، أو تابعاً لما أثبتته حافظة الراوى ، وهدفنا فى هذا البحث أن نتعرف على واقعة صلاة الرسول ـ ﷺ ـ فى المسجد الأقصى خلال رحلة الإسراء والمعراج ، وسوف نجد أن بعض الأحاديث أهملت ذكر هذه الحادثة والتفتت مباشرة إلى صعوده ﷺ إلى السموات ، وبعضها أشارت إلى دخوله ﷺ إلى المسجد دون إشارة إلى صلاته فيه ، وذكرت أحاديث أخرى أنه صلى فيه بغير أن تشير إلى شىء من التفاصيل ، وقد أشار البعض إلى شىء من هذه التفاصيل .

وقد قرأنا فيما جمعه مجير الدين الحنبلى فيما جمعه من روايات سابقة أنه قال ﷺ : (ثم جمعهم «أى الأنبياء» جبريل ، وقدمنى فصليت بهم ركعتين) .

كما جمع ابن كثير عند تفسيره سورة الإسراء روايات عديدة من أحاديث الإسراء والمعراج ، فذكر من سنن النسائى روايته عن أنس بن مالك

←

(١) انظر قصة الإسراء بشىء من التفصيل فى الجزء الثانى من البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ص ١٠٨ وما بعدها ، وسيرة ابن هشام ـ طبعة مصطفى الحلبى ـ الجزء الأول صفحة ٣٩٧ وما بعدها وغير ذلك من كتب التاريخ والسيرة ..

ـ وذكر أن فى طريقه غرابة ونكارة ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل ، خطوها عند منتهى طرفها ، فركبت ومعى جبريل عليه السلام ، فسرت ، فقال : انزل فصل ، فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليت «بطيبة» وإليها المهاجرة ، ثم قال : انزل فصل ، فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليت «بطور سيناء» حيث كلم الله موسى ، ثم قال : انزل فصل ، فصليت ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليت «ببيت لحم» حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس ، فجمع لى الأنبياء عليهم السلام فقدمنى جبريل عليه السلام حتى أممتهم » ..

ثم ذكر رواية ابن أبى حاتم عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : «لما كان ليلة أسرى برسول الله ـ ﷺ ـ إلى بيت المقدس ، أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ، ينتهى خفها حيث ينتهى طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذى يقال له : باب محمد ـ ﷺ ـ أتى الحجر الذى ثمة فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ، ثم ربطها ، ثم صعد ، فلما استويا فى صرحة المسجد قال جبريل : يامحمد ، هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال :

نعم ، فقال : فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن ، وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال : فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن علىّ السلام ، فقلت : من أنتن ؟ فقلن : نحن خيرات حسان ، نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ، قال : ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة ، قال : فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل عليه السلام فقدمنى فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل : أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : قلت :

لا ، قال : صلى خلفك كل نبى بعثه الله عز وجل ...» .

وذكر رواية الحافظ أبو بكر البيهقى فى كتاب «دلائل النبوة» عن أبى سعيد الخدرى ـ وفى طريقه أبو هرون العبدى ، وهو ضعيف ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال ـ فى حديث طويل : «ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين» .

وبعد روايات كثيرة متعددة يعلق ابن كثير : وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ـ ﷺ ـ من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ثم يقول : فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ، ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ..

ويرى أن الرسول ـ ﷺ ـ لم يؤم الأنبياء فى رحلة الذهاب وإنما فى رحلة العودة بعد رجوعه من السموات .

يقول : ثم هبط إلى بيت المقدس ، وهبط معه الأنبياء ، فصلى بهم لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم فى السماء ، والذى تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ، ولكن فى بعضها أنه كان أول دخوله إليه والظاهر أنه بعد رجوعه إليه ، لأنه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم ، وهذا هو اللائق ، لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوى ليفرض عليه

وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ، ثم لما فرغ من الذى أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه فى الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له فى ذلك .. ا هـ .

وبهذا يظهر تماماً أن الأنبياء جميعاً سلموا إمامتهم فى بيت المقدس والمسجد الأقصى إلى رسول الله - ﷺ - وأصبحت جميع مواريثهم وأماناتهم ورسالاتهم وديعة فى يد هذه الأمة المشرفة بما فى ذلك تلك المقدسات فى بيت المقدس والمسجد الأقصى .

ولعل هذا الذى تم بتقديمه عليهم إماما كان تنفيذاً لذلك الميثاق الذى أخذه الله تعالى على النبيين والذى ذكره فى قوله :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ - آل عمران/ ٨١ - فههنا نجدهم قد آمنوا به ونصروه ، وأظهروا علامة ذلك بتقديمه عليهم إماما .

ولهذا كانت أمته - ﷺ - شهيدة لهم على أممهم ، وكان - ﷺ - شهيداً على الجميع يقول تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ - البقرة/ ١٤٣ - ويقول : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ - الحج/ ٧٨ .

فاستوت الرسالات وتواصلت وتكاملت وانتهت فى آخر أمرها إلى صورتها الأخيرة الخاتمة التى جمعتها وهيمنت عليها وأحاطت بها ، فى هذا الدين الذى جاء به محمد - ﷺ - ليكون المعَبِّر الوحيد عنها إلى آخر الزمان ، وليكون الحفيظ على مواريثها ومقدساتها بياناً وحماية .

اتخاذ الصخرة من المسجد الأقصى قبلة فى الصلاة :

وقد فرضت الصلوات الخمس - كما هو معلوم - فى ليلة الإسراء من فوق سبع سموات ، وباعتبار ما كان من الإسراء إلى بيت المقدس ، وابتداء رحلة المعراج السماوية من هنالك ، وبناء على توجيه من الله تعالى ، فقد اتجه رسول الله - ﷺ - والمسلمون معه إلى الصخرة المشرفة من بيت المقدس فى أداء الصلاة ، وظل على ذلك حتى هاجر إلى المدينة ، واستمر المسلمون فى توجههم إلى المسجد الأقصى بعد الهجرة ستة عشر شهرا أو نحوا من ذلك حتى أذن الله سبحانه وتعالى لرسوله أن يتوجه إلى البيت العتيق الذى بناه إبراهيم أبو الأنبياء - عليه السلام .

أخرج الإمام أحمد والطبرانى فى «الكبير» عن ابن عباس - رضى الله عنهما : كان النبى - ﷺ - يصلى وهو بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرا ، ثم صرف إلى الكعبة .

فقد كان - ﷺ - وهو فى مكة يستقبل فى صلاته بيت المقدس إلا أنه كان يحب أن لا يهجر الكعبة ، فكان حين يصلى يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فيكون مستقبلا بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، ويكون بذلك قد أبدى ميله

←

ورغبته فى قبلة أبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ وظل على ذلك حتى هاجر إلى المدينة وظل هناك يستقبل بيت المقدس ، إلا أنه لا يتمكن من أن يجعل الكعبة المشرفة بين يديه ، فكان ـ ﷺ ـ يقلب وجهه فى السماء منتظرا أن يأذن الله له بالتوجه إلى الكعبة التى بناها أبوه إبراهيم ـ عليه السلام .

وقد ظن اليهود وبعض من لا يفقهون أنه إنما كان يتجه إلى بيت المقدس استمالة لهم ، وقد تبين أنه كان يتوجه إليها منذ كان فى مكة قبل أن تكون له صلات مباشرة باليهود ، وأن هذا التوجه إلى بيت المقدس كان بتوجيه من الله وحده .

وأنه كان مع ذلك يتشوق إلى أن يوجهه الله تعالى إلى الكعبة فكان يقلب وجهه فى السماء من أجل ذلك ، ولو كان يراعى فى توجهه إلى بيت المقدس مثل هذه الترهات ما قلب وجهه فى السماء انتظاراً لتوجيه جديد .

ولقد استجاب الله لمشاعر رسوله ـ ﷺ ـ لسابق علمه فنزل قوله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَاكُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ـ البقرة/ ١٤٤ ـ ومع هذا فالحكمة من توجهه إلى بيت المقدس بيت كثير من الأنبياء السابقين ، ثم إلى البيت العتيق الذى بناه أبوالأنبياء تتضح فى أنه قد جمع مواريث الأنبياء فقد ظل يتجه إلى بيت المقدس مدة بقائه فى مكة ونحواً من سبعة عشر شهراً فى المدينة حتى أذن الله له بالتوجه إلى الكعبة المشرفة .

يروى مسلم عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء يقول : صلينا مع رسول الله ـ ﷺ ـ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، ثم صرفنا نحو الكعبة .

ويروى أيضاً عن البراء بن عازب قال :

صليت مع النبى ـ ﷺ ـ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التى فى البقرة :

﴿ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ ـ البقرة/ ١٤٤ .

فنزلت بعدما صلى النبى ـ ﷺ ـ فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون ، فحدثهم «فولوا وجوههم قبل البيت»[٢] .

يقول ابن كثير[٣] : وقد جاء فى هذا الباب أحاديث كثيرة ، وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله ـ ﷺ ـ أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ،

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة .
وانظر فى ذلك تاريخ الطبرى ط دار المعارف جـ ٢ ص ٤١٦ ـ ٤١٧ وسيرة ابن هشام ط مصطفى الحلبى جـ ١ ص ٥٥٠ وما بعدها .

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ١٨٦ ط عيسى الحلبى .

فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس .. واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التى هى قبلة إبراهيم عليه السلام فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق ا هـ .

وبتوجيه الله تعالى للمسلمين فى صلاتهم إلى بيت المقدس قبل توجهم إلى الكعبة على الرغم من رغبة رسول الله - ﷺ - فى التوجه إلى الكعبة بيان واضح لقداسة هذه البقعة المباركة التى نص عليها فى سورة الإسراء وأنها من مواريث الأنبياء - عليهم السلام - التى آلت إلى المسلمين إلى الأبد ، وأن عليهم واجباً ثقيلاً تجاه قبلتهم الأولى .

وقد غفل اليهود ومن تابعهم أو تغافلوا عن هذه الحكمة فى جمع الإسلام بين القبلتين بيت المقدس ومسجدها الأقصى ، ومكة ومسجدها الحرام فأشاعوا قالة السوء وتساءلوا متهكمين عن السبب الذى جعلهم ينصرفون عن قبلتهم الأولى إلى قبلتهم الثانية يريدون بذلك إثارة الشكوك والريب ، وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم وأجاب على تساؤلهم فقال : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ - البقرة/ ١٤٢ .

يقول ابن كثير(٤) : وقد روى الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله - ﷺ - يعنى فى أهل الكتاب : «إنهم لا يحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التى هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين» .

يتبع

د . عبدالفتاح بركة

(٤) المرجع نفسه ص ١٩٠ .

مرجان الإسلام

في جنوب أفريقية

٢

اكبر تجمع للمسلمين فى مقاطعة (ناتال) فى مدينة (ديربن) ، وهى مدينة كبيرة بها عدد من المساجد ، ومسجدها الجامع كبير انيق به مكان خاص للنساء ، وبه دورات مياه واماكن للوضوء مجهزة بالماء الحار والبارد ، وفى صلاة المغرب كان بالمسجد عدد كبير من المصلين .

وأشعر فى هذا المسجد بحاجة المسلمين فى جنوب افريقية إلى دعاة يُعَرِّفُون بالإسلام ويعلمون أحكام العبادات ، فالإمام فى هذا المسجد هندى لا يستقيم لسانه على العربية الفصحى ، ولا أظنه تسهل عليه قراءتها ، وقد استقبلنى هو والمؤذن استقبالا كريما ، ولما حان وقت الأذان تفقدته وكنت أريد أن يكون إمام الصلاة بوصفه الإمام الراتب للمسجد ، ولكنه اختفى ، لا أدرى كيف ، ولا لم اختفى ؟ وصليت المغرب .استمع المصلون إلى حديثى بشغف وتعطش ، وفى اليوم التالى قيل لى : إن الإمام طلب من الذين اقتدوا بى فى الصلاة أن يعيدوا صلاتهم : لأنها كانت صلاة باطلة ، وسبب فسادها انى اقصر لحيتى فلا يصل طولها إلى قبضة اليد !

وفى (دربن) قابلنا «احمد ديدات» ، واطلعنى على كتب ومنشورات تبشيرية ، ومن أعجبها كتاب مرتب على هيئة المصحف ، يبدأ كل قسم منه بالبسملة ويضع عنوانه فى زخرف عربى كالذى يرسم فى المصاحف ، وبعض فصوله تبدأ بحروف مقطعة ، ولم يتسع الوقت لأقرأ كثيرا من محتويات الكتاب ، ومدرسة «ديدات» تضم عدد من التلاميذ رأيتهم جميعا يقراون الاناجيل فى لغتها الانجليزية الحديثة .

وطلب إلى أن أتحدث فقلت : إننى يعجبنى أن يدرس المسلمون الأديان الاخرى ، وأن موازنة القواعد والأحكام الدينية ومقابلاتها ذات جدوى كبيرة لأنها تظهر نصاعة الإسلام ، وتوضح سموه وأنه بحق هو الدين السماوى الصحيح ودراسة الأديان الأخرى إنما تكون بعد دراسة الإسلام وحسن فهمه ، وحيث خصصوا أنفسهم للدراسة الدينية فيجب البداية بدرس الإسلام وتفهمه من خلال فهم القرآن ودراسة الأحاديث النبوية الشريفة على قائلها أفضل الصلاة وأزكى السلام .

لم يسترح احمد ديدات ولا تلاميذه إلى حديثى ، وقال أحد التلاميذ : إن الإسلام يواجه هجوما عنيفا من المبشرين ، وهؤلاء المبشرو

د. عبد الجليل شلبي

يعنون بشرح ما يسمونه (مساوىء) الإسلام و(أخطائه) أكثر مما يعنون بتعليم المسيحية وكثيرا ما يعاب على الإسلام أشياء مذكورة فى الكتاب المقدس ولا يعيبونها فيه[1] وفى هذا الكتاب (العهد) كثير من التضارب، وفيه ما لا يصدقه العقل وينبو عن المنطق! وتبين لى أنه قرأ الكتاب المقدس بعمق كاف، ورأيت ألا أطيل الجدل فى هذا الموضوع، ولم أسأله عن مدى دراسته الإسلامية، وقرأ «الشيخ بركات» الذى كان يصحبنى بصوته الجميل آيات من القرآن الكريم قراءة مجودة مؤثرة، وفرحوا جميعا، ولكن أحمد ديدات قام دون أن يودعنا.

إن تلاميذ أحمد ديدات قد يتفوقون على المبشرين فى مناظراتهم، كما تفوق هو فى مناظرته، ولا يأتى هذا التفوق إلا بدرس الكتاب المقدس، وقد سبقت مناظرة أحمد ديدات، مناظرة الشيخ رحمة الله الهندى مع القس فندر Phender وهى مدونة فى كتاب «إظهار الحق» وقصتها أكبر وأضخم من قصة المناظرة التى اقامها ديدات مع قس أمريكى منحرف، وأخرج المبشرون من قبلهم كتابا سموه «الهداية» ـ ولكن لم يذكروا اسم مؤلفيه واكتفوا أن يقولوا: إنه من تأليف جماعة وكتاب (إظهار الحق) متداول، وطبع فى قطر طبعة أنيقة جميلة، وما أظن كثرة من المسلمين قرأت أيا من الكتابين، ومازلت أرى أن دراسة الإسلام أجدى على المسلمين فى جنوب أفريقيا من دراسة الأديان دراسة مقارنة، لأن المسلمين هناك يجهلون الكثير من حقائق الإسلام وقواعده، وهم بحاجة إلى من يعرفهم طرق العبادة الصحيحة أو يشرح لهم آى الذكر الحكيم والسيرة النبوية، ولست أريد التقليل من شأن مدرسة ديدات ولا أريد حذف منهجه نهائيا، إنما أريد أن يعرف الإسلام أولا، والوضع فى جنوب أفريقيا يختلف عن الوضع فى البلاد الإسلامية، لأن هناك كثرة كاثرة من الزنوج ذوى الديانات البدائية، والمبشرون إذ يدعونهم إلى المسيحية يرون تشويه الإسلام هو السياج الذى يحول دون دعوتهم له وأكبر قبيلة من الزنوج هم قبائل «الزولو» فى مقاطعة ناتال، ويبلغ عددهم نحو ستة ملايين.

وليسوا فى الواقع قبيلة واحدة تنتمى إلى أصل واحد، فقد كانوا من قبل قبائل متفرقة، حتى جاء ملك يدعى «رنجا» كان ذا شهامة ورأى فعمل معهم ما عمله (قصى بن حكيم) حين جمع قبائل قريش العشر، وسماهم قريشا، فكانوا أمة واحدة. وهذه القبيلة حاربت الانجليز فى شجاعة نادرة وتضحية وحيل حتى بات الانجليز يخشون بأسهم، وكان الطريق الوحيد لإ لانتهم هو طريق التبشير، ففتحت بينهم المدارس التبشيرية وبنيت المستشفيات، وبلغ ما انفق فى سبيل التبشير نحو ثلاثين مليونا من الدولارات، وكانت طريقة ناجحة فقد دخل كثيرون النصرانية تقليدا ومحاكاة، وقنع المبشرون بهذا آملين أن يكون الجيل المقبل أكثر استجابة وأحسن فهما.

وللزولو الآن (حكومة) منظمة وعليها (ملك) يملك ولا يحكم كما يقال هوكنج «جودو» وقد تعلم فى إحدى مدارس التبشير الانجليكانية، ولكنه يحب المسلمين، وكنت أود أن يتسع الوقت

←

(١) مثال ذلك تعدد الزوجات فقد نص على وجوده بين أنبياء سابقين على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

من حديث الإسلام

لمقابلته وزيارة مملكته ، ولم ييسر هذا ، وأسفنى كثيرا .

ونائب الملك ، ورئيس وزرائه هو ابن عم له وصهر ـ كلاهما من فرع يقال له «بو تو لذى» .

وحكومة الزولو مع هذا النظام ليست حكومة مستقلة ، ولا يزال بينهم وبين الانجليز خلافات كثيرة واسعة ، ولكن لاهم يستطيعون الاستقلال والحكم المدنى الحديث ، ولا يسمح الانجليز لهم به إن استطاعوا .

وليس بين الزولو مسلمون إلا أن يكون أفراد عرفوا الإسلام ، وليسوا أيضا نصارى جميعا ، وحتى النصارى منهم لاتزال بينهم وثنيات قديمة من (الطوطميات) و(عبادة الاسلاف) أو (بعض الحيوانات والأشجار) .

ويلى قبائل الزولو قبائل «الكوزا» ـ ويوجد الآن عدد منهم فى منطقة (الكاب) وَبَعْضٌ رَحَلَ إلى أماكن أخرى ، ويبلغ عددهم مليونين منهم نحو خمسمائة شخص مسلم وبَغَّضَتْ حروبهم المتطاولة مع الأوروبيين ديانة الأوروبيين إليهم ، وفى سنة ١٩٨٥ م كانت هناك مذبحة قتل الانجليز فيها منهم أربعين شخصا فى موقف واحد ، وقد تكون هذه القبائل أدنى إلى الإسلام وأكثر استجابة له لو وجدت دعاة يجتذبونهم إليه .

وقابلنى أحد أبناء هذه القبيلة ، ورجا أن أزورهم لأحدثهم عن الإسلام ، ولكن لم تكن هذه الزيارة فى جدول أعمالى ، وأدهشنى أن سأله بعض الذين كانوا معنا إن كان يضمن سلامتى ؟ وعلمت أن دسائس الانجليز علمتهم الشك والحذر ، وقد أتهم بأننى جاسوس من قبل الانجليز فيقتلوننى فى الحال ، لكنهم إذا اقتنعوا بأننى مسلم محايد فإنهم يجلوننى ويستمعون إلى ؟

يتبـــع

خلق الانسان ومبعثه ـ بقية

وخلاصة ما قدمنا : أن الله سبحانه بدأ بذكر خلق الإنسان فقال : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ، ثم بما فيه قوامه وهو الحب فقال : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ثم بما يعجن به ويشرب وهو الماء ، ثم بما يخبز به وهو النار ، فحصول الطعام بجموع الثلاثة ، لا يستغنى عنه الجسد مادام حيا[12] ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ اى نزه الله عما أضافه إليه المشركون من الأنداد والعجز عن البعث لانه بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة لمنفعة الإنسان فاذكروه بالتسبيح لما عدد من بديع صنعه وإنعامه[13] .

وبعد أن تلوت هذه الآيات المباركة لعلك تلمح فيها لطائف غير ما ذكرنا ، وهذا عطاء القرآن الكريم لا يتوقف فهمه عند قول بشر .

والله يهدى إلى سواء السبيل .

(١٢) تفسير النسفى ٤/٢٢٠ .
(١٣) راجع تفسير ابن كثير ـ سورة الواقعة .

الانتفاضة وإعلان قيام الدولة الفلسطينية

للأستاذ/ السيد حسن قرون

فى الدقيقة الأولى من صباح الثلاثاء ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ اعلن قيام الدولة الفلسطينية ارتكازا على الحقوق التاريخية والطبيعية للشعب الفلسطيني ، وانطلاقا من الشرعية الدولية المتمثلة فى قرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ ـ الصادر فى نوفمبر ١٩٤٧ ، والخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين : عربية ويهودية ، وجاء فى حيثياتها : «واستجابة لمطلب الانتفاضة الشعبية المستمرة فى الأراضى المحتلة» ثم حديث عن الحكومة المؤقتة .

وأنا يهمنى الحديث عن الانتفاضة ، فلقد شغلت بها منذ ثار غبارها وارتفع صوتها باستخدام الحجارة تعبيراً عن ضيق النفوس بذلك الاحتلال الإسرائيلى ، ولأمر لم أتبينه فى رؤية الغد نحو فلسطين كتبت مقالين متتاليين فى مجلة الأزهر ، الأول فى ديسمبر ١٩٨٧ وهو بدء الانتفاضة والثانى فى يناير ١٩٨٨ ولم يدر فى خلدى أن فلسطين فى الضفة وغزة ضاقوا ذرعاً بالاحتلال الإسرائيلى ، فكانت الانتفاضة وسلاحها الحجارة ، وعنوان المقالين : «بكاء الديار ورثاء الممالك والأمصار» تحدثت فيهما عن الأندلس وعن فلسطين وذكرت الشعر القديم والحديث فى ذلك البكاء وهذا الرثاء .

وكانت الانتفاضة الفلسطينية فى العام الماضى والعام الحاضر قد حركت مشاعر الشعراء بجانب مقالات الصحفيين والأدباء ، وكتبت عن طفل قتل أبوه فتشبث بقبره ونشرت الصحف صورته ، وكانت مقالتى بالأخبار فى ٢٩ فبراير ١٩٨٨ ولقد اهتم العالم أجمع بتلك الثورة الفلسطينية وهالهم دفاعهم المشروع والذى يرى فى وسائل الإعلام من حجارة تطير فى الهواء ولا تحدث مقتلا للعدو ، وتقابل الحجارة بأحدث سلاح أقل شىء منه إطلاق الرصاص والقنابل التى تحمل الأجسام المحرقة ، وقد بلغ عدد الشهداء حتى اليوم أكثر من ثلثمائة شهيد ، ولم تقتل الحجارة أحداً من إسرائيل أو تجرحه .

الانتفاضة والدولة الفلسطينية

وأصحاب الانتفاضة من حقهم أن ينالوا الاستقلال وتحرير أرضهم من وحشية الاحتلال ، ولقد كانت لهم الأرض كلها أفلا ينالون شطرهم منها ؟

ولقد فكرت فى الحجارة طويلا ، ووجدت لها تاريخاً فى الأمتين : الفلسطينية واليهودية على مر التاريخ ، ويكفى أن نذكر منها فى القديم تسجيلاً لمعركة كان الحجر فيها صاحب القدم المعلى جاء فى القرآن الكريم وفى العهد القديم «التوراة» على أن القرآن الكريم فى تلك المعركة سجل لداود بطولة فى قتله خصمه من الفلسطينيين ، وكان خصمه بطلاً وممارساً للحروب ، فقال الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ . . ﴾ . (الآيتان ٢٥٠ ، ٢٥١ من سورة البقرة) .

كان الفلسطينيون فى غاية القوة عدداً وعدة ، ولما نازل داود جالوت ، واسم جالوت فى العهد القديم «جليات» . وقد أطال فى حكاية داود فتحدث عن الحشود من الجانبين ، وسمى الملك باسم «شاول» والقرآن سماه «طالوت» وشاول له قصة وهو أول ملك على بنى إسرائيل جاء استجابة لطلب شعب إسرائيل على لسان نبيهم فى ذلك الزمان وهو «صموئيل» الأول .

قال العهد القديم : إن جليات مكث أربعين يوما يطلب المبارزة من شعب إسرائيل فلم يخرج له أحد ليبارزه حتى جاء داود يحمل الطعام لإخوته المحاربين فى جيش شاول ، وسمع صوت جليات يطلب المبارزة ، وسمع معه من يقول من رجال إسرائيل إن الملك شاول جعل مكافأة من يقتله الثراء والزواج من بنته بجانب ذلك يجعل بيته أى أسرته لها الحرية فى بنى إسرائيل .

وقابل داود الملك شاول وأعلمه أنه يبارز جالوت فاستصغره الملك ، وكان غلاماً حسن الوجه أشقر ، فأخبره داود أنه صرع أسداً ودباً حين خطف الأسد شاةً من غنمه التى يرعاها .

«كان داود راعى غنم» فأذن له الملك والتقى بخصمه جالوت وتحاورا قبل القتال ، وكان يلبس الملابس الحربية والسلاح فألقى بها وحمل عصاه وجرابا به خمسة حجارة ، وقتله بحجر ثم هجم عليه وأخذ سيفه وقطع رأسه وذهب به إلى شاول الملك ، وفرحت نساء إسرائيل وضربن الدفوف ورقصن وغنين وجاء فى وصف «جليات» أنه من «جت» طوله ستة أذرع وشبر ، على رأسه خوذة من نحاس ، وكان لابسا درعاً حرشفياً ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس ، وجرموقا نحاس على رجليه ، ومِزْراق نحاس بين كتفيه ، وقنا رمحه كنول النساجين ، وسنان رمحه ستمائة شاقل حديد ، وحامل الترس كان يمشى أمامه .. وهذا الوصف يشبه الأساطير وإن جاء فى الكتاب المقدس .

ولقد قامت دولة إسرائيل على ذلك العهد بانتصار حجارة داود ، ولنا أن نتفاءل بقيام دولة فلسطين بحجارة الانتفاضة ، كان سكان فلسطين كفاراً يحاربون الأنبياء ويظلمون الشعب المسالم ، لكنهم اليوم تبادلوا الموقع فكان عرب فلسطين هم المدافعين عن الحق وعن شعائر التقوى ولا يخافون الموت ، ولقد وقع العالم أجمع فى الإثم حين أحلوا الغرباء فى أرض الأصلاء ومدوهم بالمال والسلاح .

ولئن استخدم العرب اليوم الحجارة فلقد سن

لهم آباؤهم هذا السلاح ، حاربوا به فى جاهليتهم قال شاعرهم :

فإن تمنعوا منا السلاح فعندنا
سلاح لنا لا يشترى بالدراهم
جنادل أملاء الأكف كأنها
رؤوس رجال حلقت بالمواسم

والأبناء يقتدون بالآباء ، وأبناء الضفة وغزة لهم جانبان عظيمان من القدوة :
الأنبياء وميراث الآباء :

ولقد اخذت الحجارة مكانتها وقدسيتها فى الكتب المقدسة وفى الشرائع السماوية ، وحسبك ان تعلم انها عبادة فى الحج ، فى رمى الجمرات ، وانها تطهر من الإثم حين يرجم الزانى والزانية ، وانها تنوب عن الماء فى الاستنجاء ، وانها توصف بها القلوب القاسية كما جاء فى القرآن من سورة البقرة يصف بنى إسرائيل بعد حادث البقرة من ذبحها وضرب بعضها بقتيل بنى إسرائيل ليحيا فيخبر عن قاتله : قال تعالى يخاطبهم :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٧٤ سورة البقرة) .

فالحجارة طاهرة مطهرة ولها أثر عظيم فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة لها عذابها الشديد المقيم للمجرمين . قال تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ والْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون ﴾ (٦ - التحريم) .

وهكذا تفعل الحجارة . والأمل الكبير فى قيام الدولة الفلسطينية ونجاح الانتفاضة وسلاحها من الحجارة المختارة . والله على كل شىء قدير .

السيد حسن قرون

من تاريخ الإسلام ومدرسة القضاء

إلى عهد الإمام المراغي

بداية ينبغي أن نشير إلى نقاط عدة تعتبر معالم لهذا الموضوع

١ ـ طرق الدراسة قديما بالجامع الأزهر :

كانت طرق التدريس في الأزهر هي الطرق التي تقوم عليها الدراسة في غيره من المساجد الكبيرة قبله كجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وجامع ابن طولون بالقطائع وغيرهما من مساجد العالم الإسلامي في شكل حلقات علمية ، فكانت الدروس تعقد به ، حيث يتصدر كل حلقة أستاذها والشيخ أو الأستاذ يجلس على كرسي من الخشب أو الجريد ليتمكن من رؤية طلبته وإسماعهم إذا كثروا أمامه ، والطلبة متحلقون حوله على شكل دائرة غير كاملة ، كل منهم صامت منصت لدرس شيخه ، وكان على رأسه الطير ..

وكانت الدراسة تقوم على الحوار والمناظرة والتحليل والمناقشة ثم تكون أسئلة الطلاب في كل ما يعن لهم من مشكلات الدرس ومعضلاته ..

وأحيانا تكون الدراسة عن طريق «الأمالي» حيث يملي الشيخ على طلابه من كتاب مخطوط ، من تأليفه أو تأليف غيره ، والطلاب يكتبون خلف الشيخ ، وبعد كل فقرة يقف الشيخ ليشرح ما فيها من أفكار وألفاظ تستدعي الشرح .

وقد تكون الدراسة على صورة ثالثة وهي أن يكلف الشيخ أحد طلابه الممتازين بالقراءة والشيخ يشرح ما غمض من عبارات المؤلف .. فإذا فرغ الشيخ من دروسه كلف الطالب القارىء بإعادة الدرس على زملائه بصورة أخرى وهو ما يطلق عليه في عصرنا الحاضر اسم «المعيد» أي أن الدراسة بالأزهر كانت حرة .. «وكل شيخ له طريقته» ولا سلطان لأحد عليه فالشيخ يتفق مع طلابه على زمان الدرس ومكانه والطالب حر أيضاً في أن يجلس إلى الحلقة التي يرغبها .. والتي تتناسب مع عقليته وسنه وتحصيله ..

والمهم أن الدراسة بالأزهر كانت تعتمد على التحليل والمناقشة والحوار بين الطلاب والشيوخ بما يثقف العقل وينمي ملكة الفهم .. وقد ظلت الدراسة على هذه الحال إلى وقت قريب إلى أن اضطر المسئولون إلى وضع قوانين ولوائح لتطوير الأزهر .

ويصف لنا علي مبارك في كتابه : «الخطط التوفيقية» طريقة الدراسة على نظام الحلقات فيقول :

كان في السابق لكل أهل مذهب من المذاهب الأربعة عمد معينة من عمده لا يجلس في التدريس بها غيرهم ....

د. مجاهد توفيق الجندى

«ولكل شيخ من أهل المذهب عمود لا يتعداه ، ولا يتعدى أحد عليه» .

المدرسون بالجامع الأزهر :

كان لا يتصدى للتدريس بالجامع الأزهر إلا من درس العلوم والفنون المتداولة به ومارسها ممارسة بحث وتحليل دقيق ، وتلقاها من أفواه العلماء والمشايخ لمدة طويلة قد تصل أحيانا إلى ثلاثين سنة أو أكثر أو أقل وبعد أن يصبح متأهلا لتصدر الحلقة ، حلالا لمشكلات المسائل ومعضلاتها ، يطلب من شيوخه ويستأذنهم أن يعطوه إجازة[1] علمية .. فيحدد له شيوخه قطعة من كتاب يبحثها بحثا عميقا ويراجع عليها كافة المصادر الخاصة بموضوعه ثم يجتمع شيوخه وزملاؤه يوم الامتحان فيتراكمون ويتزاحمون لحضور درسه .. فيتصدر الحلقة مكان شيخه ، ويبدأ درسه بالبسملة والحمدلة والحوقلة والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحابته ، ثم يذكر المصادر التى رجع إليها فى بحثه من باب الأمانة العلمية ويدخل فى درسه ثم يتوغل فيه شيئا فشيئا .

وبعضهم كان يتأنق فى الابتداء ، ويسلك فى درسه طريق الاغراب ، وبعض الحاضرين يتعصب عليه ويتعنت والبعض ينتصر له ، خاصة عند توجيه الأسئلة إليه ، فإذا وفق فى الإجابة والاقناع .. يعتبر هذا نجاحا له وعلى الشيوخ أن يمنحوه الاجازة العلمية ؛ فإذا تلعثم فى الإجابة ربما اقاموه ومنعوه من التصدر ، وعليه أن يجلس من جديد فى حلقات الشيوخ .

ثم صارت هذه الحال فى العصر الحديث إلى التساهل .. ويعلق على ذلك على مبارك الذى شاهد بنفسه هذه الحال فيقول : «ثم تساهلوا فى ذلك حتى صار من يتصدر لا يتعرض له احد ، حتى كثر المتصدرون .

وقد تنبه المسئولون بالأزهر والغيورون عليه إلى هذا الوضع وأجمعوا على عمل قانون يجرى عليه المشايخ فى تصدرهم ومنع غير المستحقين ، وكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ «مصطفى العروسى» شيخ الأزهر ولما فاجأه العزل عن المشيخة سنة ١٢٨٧ هـ وحل محله الشيخ «محمد المهدى العباسى الحنفى» رأى أن من المصلحة العائدة على العلم بالحفظ ،عدم الابتذال تطبيق ما ارتآه سلفه ، فاستأذن الخديو الأعظم فى عمل قانون الامتحان لكل من يريد التدريس من المستجدين وقد راعى الشيخ المهدى فى هذا القانون الأخذ بأطراف من التقاليد والأعراف القديمة مع ماجدد فيه ، ومع الدقة والحزم ومراعاة الأمانة المطلقة فى الامتحان وهذا هو أول قانون من قوانين الأزهر .

(١) راجع تصدير العلامة جلال الدين السيوطى محاضرة القاها أمام لجنة امتحانه ليحظى بدرجة التدريس بجامع شيخون بالقاهرة .. وهى تتكون من اثنين وخمسين سطرا بخط يده ضمن مجموعته رقم ٢٠٤ بمكتبة الأزهر ونشرت بالمجلة فى عدد سابق ، وهذا التصدير يعطينا بأجلى بيان صورة مشرقة لتخريج العلماء فى الجامع الأزهر وغيره من مراكز العلم فى البلاد الإسلامية وقد تحدث فيه السيوطى عن تفسير الآيات الثلاث الاولى من سورة الفتح وتناولها شرحاً وتحليلاً من كافة الجوانب .. (الباحث) وراجع أيضاً كتابنا : دراسات وبحوث جديدة فى تاريخ التربية الإسلامية ص ١٨٢ ـ ١٩٢ ط اولى سنة ١٤٠٤ هـ .

٢ - الإجازات العلمية بالجامع الأزهر :

لم يكن للأزهر قبل صدور هذا القانون شهادات معينة ، ولكن كانت هناك إجازات علمية تمنح للطلاب من أكابر الشيوخ وفطاحل العلماء ، متى كمل استعداد الطلاب ونضجت مداركهم ، وأصبحوا أهلا للتدريس أو الافتاء أو القضاء ، وقد تمنح الإجازة فى العلوم الشرعية أو العربية جميعا وتسمى «إجازة عامة» ، وقد تمنح فى مادة واحدة نظرية أو عملية كالطب مثلا فتسمى «إجازة خاصة» فى الطب وممارسة العلاج ، وقد تمنح الإجازة فى كتاب خاص متى أتم الطالب دراسته أو حفظه بحيث يمكنه تدريسه ، وهذه الطريقة سار عليها الأزهر قديما فى عصوره الزاهرة .

وقد ذكر العلامة القلقشندى[٢] - وهو من أعلام الأزهر فى كتابه الموسوعى : «صبح الأعشى ....» طائفة من هذه الإجازات ، نذكر منها بعض ما جاء فى إجازته هو أو التى أخذها من العلامة «سراج الدين أبى حفص عمر» الشهير بـابن الملقن ، وكتبها للقلقشندى القاضى «تاج الدين بن غنوم» فقد جاء فيها بعد البسملة والديباجة : «ولما كان فلان - أدام الله تسديده وتوفيقه ويسر إلى الخيرات طريقه - ممن شب ونشأ فى طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالأخلاق المرضية الجميلة ، وصحب السادة من المشايخ والفقهاء والقادة من الأكابر والفضلاء ، واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضى ، وإلى نيل السعادة إن شاء الله يقضى .. استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا ، العبد الفقير إلى الله تعالى ، الشيخ الإمام العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، فريد دهره ، ونسيج وحده جمال العلماء ، أوحد الفضلاء ، عمدة الفقهاء والصلحاء : سراج الدين مفتى الإسلام والمسلمين أبو حفص عمر بن الملقن .. الخ .

٣ - قانون الامتحان سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧٢ م

هذا القانون هو المشهور بقانون الامتحان ، لكنه بحث مواضيع أخرى تتصل بإصلاح الأزهر وقد عالج هذا القانون العيوب التى طرأت على النظام القديم ، ومنع التساهل فى تعيين المدرسين ، فنظم طريقة الحصول على «شهادة العالمية» وحدد المواد التى يمتحن فيها الطالب قبل الحصول عليها ، ورتبها على ثلاث درجات : أولى ، وثانية ، وثالثة وجعل منحها بأمر أو براءة من ولى الأمر .. وبذلك وضع أول حجر فى تدخل البيت المالك فى شئون الأزهر ، ومنع أن يدعى العلم من ليس من أهل العلم ..

أما العلوم التى تدرس وطريقة تدريسها ، فلم يمسها بتعديل أو تبديل .. بل بقيت كما كانت ، وبقى حرص الأزهريين عليها كما كان .

وقد وُصِفَتْ الكتب وكل العلوم التى كانت تدرس بالأزهر فى تلك الفترة بأنها «من نتاج العصور المتأخرة ، تحدرت من العصور الزاهية ، ولكن عدا الزمان عليها ، فأفقدها روحها ، فصارت شكلا» .

٤ - بداية فى التطوير

كانت النظرة التى نظرها رجال الأزهر إلى محمد على وبنيه ، وإلى كل ماجد فى عهدهم من

(٢) نسبة إلى «قلقشندة» إحدى قرى مركز طوخ محافظة القليوبية ، وكانت له حلقة كبيرة مشهورة ، فى الجامع الأزهر شغل عدة مناصب فى دولة المماليك الجراكسة آخرها رئيس ديوان الإنشاء سنة ٨٢١ هـ وله عدة مؤلفات مخطوطة منها : ضوء الصبح المسفر ، ومطبوعة ومنها : صبح الأعشى فى صناعة الانشا فى اربعة عشر جزءاً .

تغيير شمل النواحى التعليمية وغيرها ـ نظرة شك وريبة فكان صمودهم على ما ورثوا من ثقافات نتيجة معقولة لهذه النظرة الحذرة .

ثم كان لـ « دنلوب » بعد الاحتلال البريطانى وقبضته بيد من حديد على زمام التعليم فى مصر ـ أثر كبير على صلابة الأزهريين وزيادة صمودهم ووقوفهم فى وجه من يريدون التغيير والتطوير ..

ولكن صيحات الاصلاح لم تذهب أدراج الرياح .. فقد صاح محمد عبده صيحاته القوية .. وتحمس لها مؤيدون وتفتحت لها آذانهم ، ووعتها أذهانهم ، وإن كانوا قلة قليلة .

٥ ـ مجلس إدارة للجامع الأزهر

صدر فى يناير سنة ١٨٩٥ م قانون بتشكيل «مجلس إدارة الأزهر» وذلك ثمرة من ثمار جهود الإمام محمد عبده ..

ويتكون هذا المجلس من خمسة أعضاء : ثلاثة من كبار العلماء أحدهم شافعى وهو الشيخ حسن المرصفى[٣] ، والثانى مالكى وهو الشيخ سليم البشرى[٤] والثالث حنبلى وهو الشيخ يوسف النابلسى[٥] شيخ الحنابلة إذ ذاك ، واثنين أحناف من موظفى الحكومة وهما الشيخ محمد عبده[٦] والشيخ عبدالكريم سلمان[٧] .

٦ ـ العلوم الحديثة والأزهر

رأى مجلس إدارة الأزهر أن يستطلع ويختبر قوة المشتغلين بالعلوم الحديثة مع العلوم القديمة ، وحال المقتصرين على القديم فقط ، فقرر انه لا يقبل طلب امتحان بمكافأة فى علم من العلوم الحديثة وحده ، بل لابد أن يصحب بثلاثة علوم على الأقل من العلوم المتداولة وأن من أراد الامتحان فى العلوم القديمة وحدها فله ذلك دون حجر عليه ، ثم تبين بعد الامتحان أن الذين نجحوا فى العلوم القديمة مع اشتغالهم بالعلوم الحديثة ، أكثر من الذين نجحوا مع اقتصارهم على العلوم القديمة وحدها .. وقد سجل المجلس ذلك فى تقريره السنوى مدعوما بالأدلة والأرقام ..

٧ ـ القانون رقم ١٠ لسنة ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١ م واهم مواده

كان إنشاء مدرسة القضاء " رعى افتئات على حق الأزهر الطبيعى ، فقد انشئت دون توجيه من الأزهر أو اشراف عليه ، ومن العجيب أن تحمل فى هذه الحالة كلمة (الشرعى) وكان من الممكن لو أن النية خالصة أن تستنبت من الأزهر فتكون مدرسة من مدارسه العليا ، أضف إلى ذلك أنها كانت حربا على طلبة الأزهر بما اختصت به من مزايا ، ثم كانت ـ فى النهاية ـ لا تستطيع أن تقيم صرحها العلمى دون الاعتماد على علماء الأزهر .

ثم صدر القانون رقم (١٠) لسنة ١٩١١ م فأصبحت المدرسة بهذا القانون قسما من اقسام الأزهر .

وأثبتت الأحداث أن ارتياب «المحافظين» من

←

(٣) نسبة إلى «مرصفا» إحدى قرى مركز شبين القناطر محافظة القليوبية (الباحث) .

(٤) نسبة إلى «محلة بشر» إحدى قرى مركز «شبراخيت» محافظة البحيرة ولد سنة ١٢٤٨هـ ١٨٢٩ م ومات سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م ودفن بزاوية السادات المالكية بصحراء قرافة السيدة زينب بعد حياة حافلة بمآثر الاعمال .. (راجع ترجمته فى كتاب «إقليم البحيرة» لمحمد محمود زيتون طبع دار المعارف سنة ١٩٦٢ م ص ٥٦٨ والمراجع التى رجع إليها (الباحث) .

(٥) نسبة إلى «نابلس» إحدى قرى فلسطين (الباحث) .

(٦) ولد «بمحلة نصر» سنة ١٢٥٨ هـ ١٨٤٩ م وقيل سنة ١٢٦٥ هـ وأبوه «عبده خير الدين» وأمه «حنينة» من أسرة عثمان من الغربية ويرجع أصلها إلى «بنى عدى» ، فى سن العاشرة التحق بالجامع الأحمدى بطنطا ثم درس بالأزهر .. (إقليم البحيرة ص ٥٨٨ ـ ٥٩٤) .

(٧) ولد فى «جنبواى» إحدى قرى البحيرة سنة ١٢٦٥ هـ وهو من أصل ألبانى .. مات فى مايو سنة ١٩١٧ م وشهد جنازته سعد زغلول وعلماء الأمة (إقليم البحيرة) ص ٥٩٤ ـ ٥٩٧ .

من تاريخ الأزهـــر

علماء الأزهر من هذه الخُطأ كان فى محله .. والواقع أن محاولة إحداث دراسة إسلامية بعيدة عن الأزهر ، وفى الإمكان انشاؤها بالأزهر أمر لايخلو من نظر ، فكان هذا القانون تصحيحا لخطأ الإساءة إلى الأزهر .

والقانون الجديد هذا ينظم الدراسة بالأزهر على قواعد جديدة ، وأهم ما تضمنه : تقسيم الدراسة بالأزهر إلى مراحل ، لكل منها نظام خاص ومواد مخصوصة(٨) ثم إنشاء هيئة تشرف على الأزهر برياسة شيخه ، تسمى «مجلس الأزهر الأعلى» وإنشاء «هيئة كبار العلماء»(٩) وإضافة مواد التاريخ والجغرافيا والرياضة ومبادىء الطبيعة والكيمياء إلى مواد الدراسة القديمة .

وقد جاء فى المادة الأولى من هذا القانون : أن الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر ، والمعاهد الأخرى هى : معهد مدينة الاسكندرية ، معهد مدينة طنطا ، ومعهد مدينة دسوق ، ومعهد مدينة دمياط وكل معهد يؤسس فى القطر المصرى بإرادة (سنية) ويحل مجلس الأزهر الأعلى محل ناظر المعارف العمومية فى جميع الاختصاصات التى له الآن بمقتضى القانون المشار إليه .

٨ ـ إنشاء اقسام للتخصص بالأزهر

بما أن الأزهر كان فى حاجة أخرى إلى اقسام للتخصص يزداد فيها العالم تمكنا فى المواد الأزهرية الأصيلة فقد رئى إنشـاء قسم للتخصص سنة ١٩٢٣ م ويتكون هذا القسم من مجموعة شعب منها : شعبة الفقه والأصول لتخريج قضاة شرعيين ، وكان ذلك تمهيدا لإلغاء مدرسة القضاء .. ثم توجهت العناية إلى التوسع فى دراسة العلوم الحديثة فى المرحلتين الابتدائية والثانوية بالمعاهد الدينية ، فزودت هذه المعاهد بالمعامل اللازمة لهذه الدراسة .

٩ ـ ورقة عمل جديدة لاصلاح الأزهر فى مشيخة المراغى الأولى له ..

عندما عين فضيلة الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخا للأزهر سنة ١٩٢٨ م كتب مذكرة قدمها للمسئولين بشأن إصلاح الأزهر .. علاج عيوبه ، وحل المشكلات التى تعترضه من كل جانب .. فقد كان رحمه الله تلميذا للإمام محمد عبده فأشرب روحه ، وحمل لواء الاصلاح من بعده ، وقد كانت هذه المذكرة ولا تزال الدستور لكل اصلاح أدخل على الأزهر أو سيدخل عليه فيما بعد .. وقد تكونت لجنة بتكليف من مجلس الوزراء لإصلاح الأزهر برئاسة الشيخ المراغى ، واستمرت هذه اللجنة

البقية ص ٩١٧

(٨) انعقد هذا المجلس لأول مرة فى تاريخه بدار مشيخة الأزهر وفق النظام الجديد فى ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩ هـ ـ ٤ من يونية ١٩١١ م وكان يتكون من الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر رئيساً ثم الشيخ بكرى عاشور الصدفى مفتى الديار المصرية وشيخ السادة الحنفية ، والشيخ سليمان العبد شيخ السادة الشافعية والشيخ هارون عبدالرازق نائب شيخ السادة المالكية والشيخ أحمد البسيونى شيخ السادة الحنابلة ، وأصحاب السعادة أحمد شفيق باشا مدير عموم الأوقاف وأحمد فتحى زغلول باشا وكيل نظارة الحقانية ، وأحمد ذهنى باشا ناظر مدرسة المهندسخانة سابقا (الباحث) .

(٩) تتكون هذه الهيئة من ثلاثين عالماً من كبار العلماء وأفاضلهم على أن يكون عدد علماء المالكية منهم ٩ علماء والحنفية ١١ والشافعية ٩ والحنابلة ١ وبعد أن تداول المجلس فى اختيارهم ، وبعد الاطلاع على الباب السابع من القانون نمرة ١٠ لسنة ١٩١١ م وبعد الإطلاع على المواد ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٧ من القانون المشار إليه . وهذه الهيئة ستضطلع بشئون كثيرة فيما بعد لخدمة الإسلام والمسلمين (راجع أسماء أعضاء هذه الهيئة فى الملحق رقم ٥ ، ومعه أيضاً كشف بأسماء الطلاب الذين حضروا دروس بعضهم) .

(★) يقصد عندما انتقلت تبعيتها إلى وزارة الحقانية بعد أن كانت تابعة للأزهر وجزءا منه (الباحث) .

إعداد الأمة للدفاع

في توجيهات الإسلام

٢

لواء . أ . ح
محمد جمال الدين محفوظ

لقد اصبحت قوة اية دولة وقدرتها على الدفاع عن نفسها وتحقيق اهدافها الاستراتيجية ، لا تقاس بمدى قوتها العسكرية فحسب ، بل بمتانة اقتصادها وقوة معنويات شعبها ، وتقدمها العلمى والتقنى إلى غير ذلك من عناصر القوة ، واصبح حشد كل هذه القوى فى تخطيط منسق من الضرورات الحيوية لتحقيق قدرة الدولة على الدفاع ورد العدوان ..

٢ ـ الإرادة القتالية لدى الرجال والشيوخ :

● كان لعمرو بن الجموح ـ وهو أعرج شديد العرج ـ أربعة أولاد يقاتلون مع رسول الله ﷺ ، فلما كانت غزوة احد أصر على أن يخرج محاربا ، لكن أبناءه أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم الا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة » فخرج معه فقتل يوم أحد[1] .

● وفى حرب العسرة (غزوة تبوك) ركب ابو ذر الغفارى رضى الله عنه بعيراً مهزولا وسار خلف رسول الله ﷺ ، فأبطأ به البعير حتى عوقه عن الركب فنزل عنه وحمل متاعه على ظهره ثم واصل سيره متتبعا أثر الرسول ﷺ ماشيا ، ونزل رسول الله فى بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يارسول الله ، إن هذا الرجل يمشى على

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ـ ط ـ مصطفى البابى الحلبى ـ ١٣٧٥ هـ ـ القاهرة ـ القسم الثانى (حـ ٣ ، ٤) ـ ص ٩٠ .

الطريق وحده ، فقال رسول الله ﷺ : كُنْ أبا ذر ، فلما تأمله القوم قال : يارسول الله هو والله أبو ذر ، فقال رسول الله ﷺ : « رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده »[٢] (ومعنى كن أبا ذر : الدعاء ، أي أرجو الله أن تكون أبا ذر) .

● وفي غزوة تبوك أيضاً أتى جماعة من المسلمين إلى النبي ﷺ وهو يتأهب للخروج ليعطيهم ما يركبونه فلم يجد ، فتولوا وهم يبكون لأنهم لا يجدون ما ينفقون وقد ذكرهم القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَايُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾[٣] (التوبة ٩١ - ٩٢) .

● وقبل غزوة بدر استشار الرسول ﷺ أصحابه ، فتجلت أروع صور إرادة القتال فيما سمع منهم : « يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون» ..

« يارسول الله امض لما أردت فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تَلقى بنا العدو غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله»[٤] .

٣ - الإرادة القتالية لدى المرأة :

وقد سجل التاريخ صوراً رائعة لدور المرأة وجهادها في المعركة وفي الجبهة الداخلية ومن ذلك أن الصحابية الجليلة (أم خلاد) حضرت غزوة أحد مع زوجها وولدها وأخيها ، واستشهد الزوج والولد والأخ ، فحملتهم على بعيرها ولقيتها عائشة أم المؤمنين في طريق المدينة فقالت لها : عندك الخبر ، فما وراءك ؟ قالت أم خلاد : أما رسول الله فصالح ، وكل مصيبة بعده جلل (أي هينة) واتخذ الله من المؤمنين شهداء : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ (تشير إلى تراجع المشركين عن غزو قاعدة الإسلام في المدينة والاكتفاء بمعركة خارجية عند جبل أحد) .. قالت عائشة : (تسأل عن الشهداء معها) : من هؤلاء ؟ قالت : أخي وابني خلاد وزوجي عمرو بن الجموح !! وقد قال لها النبي ﷺ بعد أن دفنهم :[٥] « ياهند ، ترافقوا في الجنة ، عمرو بن الجموح وابنك خلاد ، وأخوك عبدالله » .

فقالت أم خلاد : « يارسول الله أدع الله أن يجعلني معهم » !

● والخنساء التي مات أخوها صخر - في الجاهلية - فملأت الدنيا عليه شعرا رثاء وبكاء حتى فقدت بصرها ، نراها بعد أن أسلمت تقول : وقد بلغها نبأ استشهاد أبنائها الأربعة في وقت

---

(٢) المرجع السابق : القسم الثاني ص ٥٢٤ .

(٣) لذلك سموا البكائين ، قال ابن عباس : سألوه أن يحملهم على الدواب ، وكان الرجل يحتاج إلى بعير يركبه ، وبعير يحمل عليه ماءه وزاده ، لبعد الطريق (تفسير القرطبي والكشاف) .

(٤) السيرة النبوية .. أيضاً .

(٥) إمتاع الأسماع : ص ١٤٧ ط ١٩٤١ .

واحد في معركة القادسية : « الحمد لله الذى شرفني باستشهادهم ، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته » !!

ثم انظر إلى وصية الخنساء لأبنائها قبل المعركة : « اعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، يقول الله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

فإن رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على أرواقها ، فيمموا وطيسها (قلب المعركة والضرب) وجالدوا رسيسها (أصلها) تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة »[٦] .

● تلك وغيرها صور رفيعة لقوة إيمان المرأة المسلمة وقوة عقيدتها ، وضربها القدوة والمثل لزوجها وأولادها في الروح المعنوية والإرادة القتالية ، فتشجعهم على الخروج للقتال وعلى الاستبسال فيه ، وتصبر الصبر الجميل عند استشهادهم بل تفرح بهذا الشرف الذى حظيت به .

الترف عدو الإرادة القتالية :

يقول المشير مونتجمرى : « في الحرب يكون العدو ظاهرا واضحا ، أما في زمن السلم فإن الأمة تواجه عدوا أشد خبثا هو الضعف من الداخل ، وإذا أمسك الترف بتلابيب الأمة وسيطر على رجولتها وطبيعتها ، وإذا أهملت الصفات الحربية ، فسوف يكون ذلك سببا في سقوط هذه الأمة ، وإذا كنا في حاجة إلى مثل على ذلك من العصر الحديث فأمامنا فرنسا ، إنها أمة عظيمة من كافة الوجوه ، غير أن الضعف من الداخل نهش روحها في سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية ، وحدث الانهيار في عام ١٩٤٠ م أمام جحافل القوات الهتلرية ، ولكنها استردت روحها في عام ١٩٥٨ على يدى قائد عظيم للغاية هو الجنرال ديجول ..

ثم يقول مونتجمرى : ومرة أخرى أقول : إن الخطر الآتى من الداخل قائم ويجب التأهب لصده باستمرار ، وهنا أتوقف قليلا لأقول : إن كاهن دلفى كان على حق »[٧] .

يشير مونتجمرى إلى ما يروى من أن الأسبرطيين عندما كانوا في أوج مجدهم العسكرى في زمن الإغريق ، أرسلوا وفدا إلى كاهن مدينة دلفى (مدينة يونانية) وسألوه في غرور أحمق : هل تعتقد أن هناك ما يمكن أن يلحق الأذى بأسبرطة ؟ . فأجاب الكاهن بسرعة : نعم .. الترف !

● إن الترف يؤدى إلى استرخاء النفوس ، وإذا استرخت النفوس فسدت وضعفت العزائم ، كما أن كثرة الترف تؤدى إلى الطغيان كما يشير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (العلق ٦ ـ ٧) وقد ذكر القرآن أحوال الأمم التى أهلكت بسبب الترف وطغيان الغنى وهو بعض ما يفهم من قول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً . وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرا بَصِيراً ﴾ (الإسراء ١٦ ـ ١٧) .

● إن الشعوب المجاهدة حقاً يجب أن ترضى بالقليل من العيش وأن تحتمل ما تفرضه ظروف الحرب من تقشف في سبيل الأمن والعزة

←

(٦) القرطبى المالكى : الاستيعاب في أسماء الأصحاب ـ دار الكتاب العربى بيروت جـ ٤ ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

(٧) فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ ـ تعريب فتحى عبد الله النمر جـ ١ ص ٣٦ .

والكرامة ، وقد حذر الله تعالى عباده المؤمنين من الانهماك فى طلب الدنيا والاسترسال فى التمتع بملاذها ، والتلهى بزخارفها عن السعى فى كسب رضاه تعالى ، والجهاد فى سبيله . وأنذر الغافلين عن الله ، المفتونين بحب الدنيا والتاركين للجهاد بالخسران المبين ، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون ٩) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة ٢٤) .

● ويحذر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمة الإسلام مغبة الافتتان بالدنيا والتقصير فى الجهاد فيقول : « ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا » (رواه أحمد وأبو داود) .

ويروى ابن عمر عن ابيه فيقول : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى خليفته بالشام : « انظر من قبلك فمرهم فلينتعلوا وليحتفوا » أى ليمشوا أحياناً بالنعال وأحياناً حفاة تدريباً لهم على الخشونة والتقشف .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » (رواه أبو داود) وفى رواية : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » (رواه البخارى) .

سادساً : وعى الامن :

● وفى وقت الحرب ـ وحتى قبل أن تبدأ ـ تنشط إلى أقصى حد إجراءات العدو للحصول على المعلومات عنَّا والدعاية والحرب النفسية وترويج الشائعات والتجسس وترويع الآمنين والإرهاب والتخريب المعنوى والمادى إلى غير ذلك من الأعمال التى يستهدف بها التأثير على عواطف وأفكار وسلوك الأمة وقيادتها نحو الهزيمة والاستسلام .

● من أجل ذلك يجب أن يتسلح الشعب بالوعى الذى يحصنه ضد هذه الأعمال ويقيه من التأثر بها ، ويفوت على العدو أغراضه ، وذلك بالحرص على كتمان الأسرار وعدم ترويج الشائعات ، ومعاونة السلطات فى الإرشاد عن الجواسيس وكبح شهوة الكلام والثرثرة والتحدث بدون حرص أمام من يعرفه ومن لا يعرفه .

● والحق أن توجيهات الإسلام فى هذا المجال تجعل الأسرار أمانة من الأمانات التى يجب على المسلمين أن يحافظوا عليها كما قال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال ٢٧) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » (رواه أحمد)

● كما جعل الإسلام « الصمت » جوهر الوعى والأمن ، فهو « المانع الأصيل والأكيد » لإفشاء الأسرار ، يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (متفق عليه) ، ويقول أيضاً : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » (رواه الترمذى) .

سابعاً : الدفاع الشعبى وحراسة المنشئات الحيوية :

● ولما كانت الحرب الحديثة حرباً شاملة تضم جبهة القتال وجميع أراضى الدولة ، فإن العدو يعمد إلى « ضرب العمق » لأنه المستودع الحقيقى للقوة المادية والمعنوية ، فيحرص على إحداث الخسائر فى الأرواح لإضعاف الروح المعنوية وعلى تخريب القاعدة الاقتصادية ، وعلى شل المرافق العامة والخدمات الحيوية المستمرة للشعب كمرافق المياه والكهرباء والمواصلات لإحداث الارتباك والفوضى فى حياته وحركته .

● من أجل ذلك أصبح من الواجبات القومية على أبناء الأمة جمعاء حراسة المنشئات الحيوية كالمصانع والكبارى والسدود والمطارات والموانىء ومحطات السكك الحديدية والتجمعات السكانية وغيرها من المرافق ، وأن يتطوعوا فى أجهزة الدفاع المدنى والإسعاف والإنذار والإطفاء والإنقاذ التى تنظمها الدولة ، وتقوم بتدريب أبناء الأمة على العمل فيها ، وتزودهم بالمعدات اللازمة فضلاً عن تجهيز الملاجىء ووسائل الإنذار وغير ذلك .. مما تتطلبه أعمال الدفاع المدنى .

● وكل هذه الأعمال يوجه إليها الإسلام ويعدها من مهام « الرباط » فى سبيل الله بمفهوم العصر ، بعد أن كان معناه فى الماضى ربط الخيول فى الثغور التى يتوقع هجوم العدو منها بقصد الاستعداد لرده ، فكان المرابطون يقضون الليل والنهار متأهبين للقتال لا يغادرون أماكنهم حتى يحل غيرهم محلهم .

● لذلك فإن كل الأعمال المتعلقة بحراسة المنشئات الحيوية وتأمينها والدفاع عنها هى جهاد ورباط ، من قام بها فهو مجاهد ، ومن مات وهو يؤديها فهو شهيد ، كما يشير قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد » .

دور المرأة فى تأمين الجبهة الداخلية :

● وقد جعل الإسلام للمرأة دوراً فى المعركة

تؤديه فى ميدان القتال أو فى الجبهة الداخلية على حد سواء[٨] ، ومن ذلك القيام بخدمات الإعاشة والإسعاف والتمريض وقد قالت الرُّبيع بنت مُعَوِّذ رضى الله عنها : « كنا نغزو مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة » (رواه البخارى وأحمد) .

وفى مجال تأمين الجبهة الداخلية نذكر دور المرأة فى غزوة الخندق فإن يهود بنى قريظة بعد أن نقضوا العهد أرسلوا رجلاً منهم إلى داخل المدينة فاستطاع التسلل إلى الدور التى تجمع بها النساء والأطفال ، ولكن هذا اليهودى لم يعد إلى قومه ليخبرهم عن مواضع النساء والأطفال ، وعن درجة مناعتها وحمايتها ، لأن امرأة مسلمة هى صفية بنت عبد المطلب رأته يستطلع المواضع فنزلت إليه فقتلته ..

● لقد كان هذا اليهودى يقوم بمهمة استطلاع للجبهة الداخلية حتى يمهد بما يحصل عليه من معلومات لقيام اليهود بهجوم مباغت عليهم بعد التأكد من عدم تيسر الحماية لهم ، ليضطروا

(٨) بالرجوع إلى لجنة الفتوى بالأزهر افادت بأن المرأة لا يجب عليها الجهاد ابتداء ، فأما عند الضرورة القصوى فيجوز أن تقوم بالجهاد إذا كانت مدربة قادرة على حمل السلاح .

المسلمين إلى الانسحاب من خط المواجهة مع المشركين لنجدة أهليهم وإنقاذ أموالهم .

● وهكذا كان قتله واقياً للمسلمين من خطر داهم ، إذ جعل اليهود يفكرون أن فى داخل المدينة حراساً أشداء من المسلمين ، ليس من السهل التغلب عليهم ، لذلك قبع اليهود فى حصونهم لا يفكرون فى الخروج .

ثامناً : الإعلام والتوعية والنشاط السياسى و (الدبلوماسى) :

● ويوجه الإسلام إلى حشد كل الوسائل التى تدخل فى مجال « الجهاد باللسان » الذى أمر به الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى قوله : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم » (رواه أحمد والنسائى وصححه وغيرهما) ، وتدخل أيضاً فى مجال النصح لله وللرسول كما يستوحى من قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . (التوبة ٩١)

● والنصح العام ركن من الأركان المعنوية للإسلام ، به عز المسلمون الأوائل وانتصروا على أعدائهم ، وقد قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « الدين النصيحة » فقيل : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم) فالنصح العام فى حالة الحرب يكون فى كل ما فيه مصلحة للأمة وللمجاهدين منها ، ومن ذلك ما يلى :

(١) إعلام أبناء الأمة بطبيعة الحرب ومتطلباتها وتضحياتها وتزويدهم بالمعلومات والبيانات عن حقائق الموقف أو القتال وتبصيرهم بأهداف العدو وبواجباتهم ومسئولياتهم تجاه القضية التى يقاتلون من أجلها أو الأخطار المحدقة بأمتهم .

(٢) توظيف الإنتاج الأدبى والفنى والثقافى وتوجيهه نحو خدمة الأهداف الوطنية والتعبئة المعنوية لأبناء الأمة .

(٣) غرس وعى الأمن ومقاومة أساليب العدو فى الدعاية والحرب النفسية وكل ما يستهدف تدمير الروح المعنوية للشعب والجيش وتفتيت الجبهة الداخلية .

(٤) قيام العلماء والدعاة والمصلحين وحملة الأقلام بتزويد الأمة بسلاح العلم والإيمان وعلاج الأمراض الاجتماعية ومحاربة السلبية والجهل والترف ، والإسراف والتبذير ، وتنمية الإرادة القتالية فى أبناء الأمة .

(٥) الإعلام الخارجى والنشاط السياسى و (الدبلوماسى) الذى يستهدف شرح قضية الأمة على الصعيد الدولى ، وكسب تأييد الرأى العام العالمى وفضح أهداف العدو وفرض العزلة عليه ، و « تحييد » القوى الأخرى التى قد يسعى العدو إلى جذبها نحوه ، ولنا فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير أسوة فى هذا المجال بعقده المعاهدات مع القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية لكفالة حرية الدعوة من ناحية وكفالة حسن الجوار والمعاملة من ناحية أخرى ، وبإرسال كتبه إلى الملوك والرؤساء والأمراء فى بلاد الروم وفارس والشام ومصر والحبشة واليمن وغيرها لدعوتهم إلى الإسلام .

(تم البحث)

الدعوة إلى الإسلام

والداعى لها فى ضوء القرآن الكريم

د. توفيق محمد شاهين

طبيعة الدعوة إلى الإسلام فى القرآن الكريم :

ـ دعا رسول الله محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الحق وهو دين الله تعالى طوال حياته فى رسالته .

ونهج فى سبيل الدعوة منهج الحجة الواضحة ، والحكمة فى الإقناع ، وعدم إيذاء المعارضين له ، ولا إلى لغوهم وعبثهم .. اكتفاء بوضوح الحق فى ذاته ، امام العقل الإنسانى الذى يحترم نفسه ولا يميل إلى الهوى ، ولا إلى عصبية فكرية ولا جاه زعامة وشرف أسرة أو طبقة ، أو نيل مصلحة فردية .

ـ وعاش الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ للدعوة إلى الحق متجرداً عن زينة الدنيا ، وفى صبر على المكاره والشدائد ، حتى ينجح فى أداء رسالته .

ـ وجنب رسالته الإكراه ، والرهبة والخوف .. فتوافرت لها المشيئة الخالصة والإرادة الحرة لمن يؤمن بها .

ـ وترك للمؤمن أن يلتزم بمبادىء الدعوة عن اختيار ، وأن يراقب نفسه فى سلوكه وتصرفاته فى حياته وحياة من حوله بالتزام من نفسه وضميره ، لا بإلزام خارجى ؛ ليكون إنسانياً فى أمة إسلامية ، يسود فيها احترام الإنسان ، وكرامته ، وحريته ، فى إطار المثل الإنسانية العليا ، ولا ينزل عن هذا المستوى .

ـ ومن هنا لا يكون الدين الإسلامى موقوتاً بزمن ، ولا محدوداً بمكان ، وليس لقبيلة أو جماعة أو أسرة ، أو كتلة من البشر ، وإنما يهدف إلى الوحدة فى العالم الإسلامى ، ويرتبط بالإنسانية أينما وجدت وكانت .

ـ وما جاء فى القرآن الكريم تحت باب الدعوة إلى الله تعالى يكون حينئذ شاهدا على أن :ـ

- الإسلام هو دين الله .
- والقرآن هو كتاب الله .
- ومحمد هو رسول الله وخاتم النبيين .
- وأن رسالته إلى الناس أجمعين إلى يوم الدين .

←

وفى إيجاز نذكر نبذة عن معنى الدين أو الرسالة ، وعن كتاب الرسالة المقدسة ، وعن رسولها الأمين ، حتى لا يكون هناك لبس فى تحديد المفاهيم ، ولا تكون هناك حساسية فى ذكر الإسلام ونبى الإسلام .. ونعرف دعوة الإسلام فى طبيعتها ، والداعية فى صفاته وأخلاقه .

وفى إطار موضوعنا سنذكر الإطار الذى أحاط به القرآن نبى الإسلام ، كقدوة للدعاة فى هديه ، وخلقه ، وعمله ، ودعوته ؛ لتكون نبراساً للدعاة فى حياتهم ، وللدعوة فى حركتها ، حتى تؤتى ثمارها طيبة مباركة للإنسانية كلها .

وستجد أن الدعوة إلى الإسلام حضارية فى طريقها ، وإنسانية فى مبادئها ، وأن حملتها : اصحاب مثل عليا يرتقون بإنسانياتهم إلى أعلى مستوى ، ومؤمنون إيماناً كاملاً بما يدعون إليه ، ابتغاء وجه الله تعالى ، وخير الإنسانية .

أ ـ مفهوم الدين فى نظر المسلمين :

الدين فى نظر المسلمين هو الإسلام ، لأنه دين الأنبياء جميعاً ـ صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ـ كما ورد فى القرآن الكريم . ومن هنا فإن المسلمين يؤمنون برسالات الله ورسله اجمعين ، على نحو ما تحكيه الآية الكريمة :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ البقرة/ ٢٨٥ .

واصول الأديان السماوية فى نظر المسلمين واحدة ، يؤمنون بها ، كما يقول القرآن الكريم :

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة/ ١٣٦ .

والدين للبشر ضرورة ، ولا يقول بأن العقل لا يحتاج إلى الدين ، إلا مخرف أو معتوه ، أو مغرور .

ب ـ والقرآن الكريم فى نظر المسلمين :

هو كتاب الله تعالى ، ووحيه إلى نبيه خاتم الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الهادى للتى هى أقوم يبشر من تبعه بالخير ، وينذر من خالفه وعارضه بعدم السعادة والسكينة فى الدنيا والآخرة .

تكفَّل الله سبحانه بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر/ ٩ . فقد حفظه المؤمنون به وغيرهم على السواء ـ بحفظه الله ـ من الزيادة والنقصان والتغيير والخلط .. إلخ .

والقرآن ليس غريباً على الكتب السابقة التى أوحاها الله سبحانه إلى رسله السابقين ، بل هو الوثيقة المقدسة الجامعة لأصول وحى الله فى الكتب السابقة إلى الأنبياء والرسل ، يقول القرآن الكريم واصفاً نفسه :

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ . مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ فصلت/ ٤١ ، ٤٣ .

فيه تفصيل لحياة المعاش والمعاد ، ليس فى غيره ، وفيه ضمان صلاح حال الحياة والأحياء ، وصفه الله تعالى بقوله :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء/ ٨٢ .

ولا يستغنى عن الرحمة إلا شقى ، ولا يرفض الشفاء إلا معتوه .

وهو معجزة الرسول الكبرى ، والآية الباقية إلى يوم الدين .

جـ : نبى الإسلام فى نظر المسلمين :

محمد بن عبد الله هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو بشر غير انه أوحى إليه القرآن من الله تعالى ، بواسطة جبريل عليه السلام :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ الكهف/ ١١٠ .

﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ الاعراف/ ١٥٨ .

أرسله الله سبحانه إلى الناس جميعاً : ﴿ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ﴾ الاحزاب/ ٤٥ ، ٤٦ .

وهو ليس غريباً عن حاملى ومبلغى رسل الله جميعاً ، ممن سبقه : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾ الأحقاف/ ٩ .

فهو إنسان التقت فى شخصه أمجاد النبوات جميعها ، وجهودها المباركة ، لتزكية البشر ، وقيادتهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، بما أوحاه الله إليه ، وأمره بتبليغه ، يقول سبحانه :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ الشورى/ ٥٢ ، ٥٣ .

د ـ المسلمون حملة رسالة كبرى وعليهم تبليغها :

أتم الله سبحانه النعمة على المسلمين ، بإكمال الدين ، وإتمام النعمة ، وارتضاء الإسلام دينا لهم ، ووكل إليهم أمر الدعوة إلى الحق ولن يقوم بذلك عنهم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ التوبة/ ١٢٢ . ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ .

والناس محتاجون لرزق الله لبقاء أجسامهم ، ومحتاجون إلى هداية الله لتزكية أرواحهم ، ومهما كانوا علماء ، وأذكياء ، وعباقرة فهم بحاجة إلى وحى الله الذى ﴿ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ـ الملك/ ١٤ فهم بحاجة إلى الدين حاجتهم إلى ما يحفظ حياتهم ، بحاجة إلى حاجات الجسد ، وتلبية أشواق الروح ، وقد وازن الدين بين الجسد ومطالب الروح ، ولم تطغ فيه ناحية على أخرى ، وما جنى العالم بانفصاله وبعده عن الدين قرابة قرن الآن إلا القلق والحروب والدمار ، وخواء الروح ، وجلب الشر على انفسهم وعلى غيرهم .

والحضارة المادية بطغيانها وعدم بصيرتها اشقت العالم ، وقطعت أواصره وروابطه ، وعاشت شطر الحقيقة ، وأكمل الشيطان الشطر الثانى : فالحرية فى الغرب سادت وزادت ، وضمان ضروريات الحياة فى الشرق كُفلت ، وأشواق الروح تكمن فى بلاد الإسلام الذى تخلف أهله .. والإسلام جامع لذلك كله ، ولكن اهمله اهله وتركوه .

● والآن علينا أن نعرف دعوة الإسلام كدعوة

حق فى طبيعته ، ونعرف - بالتالى - واجبات الداعى إليه وصفاته من ثنايا القرآن الكريم . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ق/٣٧ .

ثانياً : صفات الداعى إلى الإسلام فى ضوء القرآن الكريم :

١ - الداعى إلى الإسلام إنسان :

الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو صاحب دعوة إلى الحق ، أعلن أنه بشر ، وأنه لا يرتقى فوق مستوى الإنسان ، ورسالته أن يبلغ عن الله تعالى ما يوحيه إليه بأمانة وإخلاص ودقة ، يقول الله سبحانه :

﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ الأنعام/ ٥٠ .

ومعنى هذا أنه قد تجرد من كل العواطف الذاتية والأهواء والميول ، من زينة الدنيا وجاهها - وهو بذلك يكون قد تفوق فى مستوى الإنسانية ، وأصبح ذا شأن عظيم فيه ، ولكنه لا يخرج بهذا التفوق عن طبيعة الإنسان .

فتميز الداعى على غيره ، إنما فى أنه له من الخصائص والصفات أكثر من غيره ، بما يهيىء لدعوته النجاح بسبب الصبر ، والإيمان ، والتضحية ، والثبات .. وليس هو فوق مستوى الإنسان ، ولا يُطلب منه أوله أن يكون فوق مستوى الإنسان ، لأنه إنسان فيه روح وله بدن ، فإذا ادعى اعتبارا لنفسه زائداً فى التقدير أو الاحترام أو التقديس ، أو أنه يملك الأرزاق ، ويعلم الغيب ، ويغفر الذنوب ، ويمنح الغفران .. فإنه يسقط وتسقط دعوته معه .

فالإنسان دائماً إنسان يرتفع فى مستوى الإنسانية ، وينخفض فى مستواها ، ولكنه لا ينتقل إلى طبيعة أخرى . وتطوره ذاتى - أى داخل الذات البشرية - وتقديره إنما يحصل عليه فى المستوى الإنسانى فقط .

٢ - الداعى إلى الإسلام يلتزم بدعوته :

لابد أن تتوافر فى الداعى إلى الحق مجاهدة نفسية ، وترويض لسلوكه ومبادئه ، وضبط النفس ليكون القدوة الحسنة ، لتكون فيه طبيعة ، حتى ترى القيم العليا والمبادىء الرفيعة التى تشكل كيان الدعوة إلى الحق فيه سلوكاً وأخلاقاً ومعاملة .

وقد تتبع القرآن الكريم ميول الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومواقفه ، وعواطفه الداخلية ، ويطلب منه إعلان ما يؤخذ عليه منها ، فالقرآن يعلن - فى عتاب - ميول الرسول والمؤمنين معه للمعارضين لدعوة الإسلام إلى درجة الكفر ، واليأس من إيمانهم ، ويسجل الوحى ذلك فى قوله تعالى : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ التوبة/ ١١٣

ويعترض القرآن على أصحاب الدعوة الركون إلى المعارضين لقوتهم ، أو لصلتهم بهم ، لأن الدعوة حينئذ لا تكون غاية وقد يشك الناس فى الإيمان بها ، ويؤدى ذلك إلى فشلها ، يقول القرآن الكريم :

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ المجادلة / ٢٢ .

فأصحاب الدعوة يؤاخذون ويوجهون إلى الصواب والأولى ؛ إن هم مالوا عنها ولو متأولين . فلا مجال للميول والعواطف الشخصية فى الدعوة إلى الحق ، حتى يستقيم أمرها .

فلابد إذن من أن يروض الداعى إلى الحق نفسه على سلوك الطريق السوى والتزامه وحده ، وأن يصارح المؤمنين بالأخطاء التى تقع ، وتجنب وقوعها مستقبلاً ، وتوفير الثقة فيما بينهم ، وللحيلولة دون الظنون والشائعات ، فيسلم المجتمع ، وتنجح الدعوة إلى الحق ، فضلاً عن كونه قدوة حسنة ، يقول الله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف/٢ ، ٣ .

٣ - الوقوف بجانب المخلص للدعوة :

فعلى الداعى أن يلتزم الوقوف جنباً إلى جنب مع المخلصين فى إيمانهم بالحق ، ولا يقف مع آخرين يعارضون الدعوة ويتبعون أهواءهم ، ويغلقون قلوبهم دون الإيمان بالله تعالى ، يقول القرآن الكريم :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا.وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الكهف/٢٨ ، ٢٩ .

فمن شأن الداعى التودد إلى المخلصين ، واحتمال حتى ما يكون جارحاً للإحساس والشعور منهم ، وأن يشاركهم سراءهم وضراءهم ، لأنهم مع الله ، ومشغولون بذكره ، ويريدون ثوابه ووجهه ، ولا يريدون زينة الحياة الدنيا ، وإنما أن تسرى هداية الله ورسالته فى حياتهم وحياة الآخرين معهم من إخوانهم .

وحين يقف الداعية هذا الموقف يكتسب قوة من اتباعه إلى الله ، ويتحقق أن دعوته ليست إكراها وإلزاماً ، وأن القرآن ، إنما يقنن للمجتمع الإنسانى فى المستوى الرفيع .

ومن هنا نفهم سر معاتبة القرآن الكريم للرسول - صلى الله عليه وسلم - فى شأن الصحابى الكفيف عبد الله بن أم مكتوم ، حين جاء يطلب التفقه فى العلم ، فأعرض عنه الرسول ، لإنشغاله بأشراف قريش المشركين ، وكان النبى يحدثهم رجاء أن يؤمنوا فيكسب الإسلام انصارا أقوياء ، وكان عبد الله بن أم مكتوم أولى بالترحيب به والعناية به ، لقوة إيمانه وإخلاصه ، وكان الشك والضعف الذى تملك اشراف قريش فكان من حقهم الإهمال ، ولذا جاء العتاب فى قوله تعالى :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى.وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى.أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى.أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى.وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى.وَهُوَ يَخْشَى.فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى.كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ عبس/١ - ١١ .

٤ - المحن تزيد الداعى إلى الحق ثباتاً وصبرا :

طريق الدعوة غير مفروش بالورود ، وعلى الداعى إلى الحق أن يتحمل الشدائد ويثبت فى مواجهة المحن ، وأن يعلم يقينا أن دعوة الحق قوية بنفسها ، وعليه - بالتالى - أن يثبت ويقوى هو ومن معه صابرين ، معتمدين على الله القوى

←

القادر ، وستكون النصرة لهم ـ بفضل الله تعالى ـ مهما كانوا ضعفاء ، ومهما كان خصوم الدعوة إلى الحق أقوياء ، ولنأخذ مثلاً من الماضى ليكون عبرة للحاضر والمستقبل .

تجمع كفار مكة وأحزابهم حول المدينة ـ فى غزوة الخندق ـ فى الخارج لحصار المسلمين ، ويهود المدينة ـ من داخلها ـ شائعات السوء ، لتحطيم المجتمع الإسلامى فى أول نشأته مع ضعفه وقلة إمكاناته ، وتحصن المسلمون داخل المدينة بحفر الخندق ، وتحملوا الجوع ، وواجهوا التهديد ، وقابلوا التحدى .. وفى نفس الوقت ظلوا مستمرين على الحفاظ على إيمانهم ، وعدم الاستسلام للأعداء ، والسير فى طريق دعوة الحق ، مع الاعتماد على الله سبحانه وطلب المعونة منه ، والدفاع الذاتى بالاستعداد وحفر الخندق حول المدينة ..

وزادت هذه الشدة المؤمنين إيماناً وتسليماً ، وأظهرت حقيقة النفاق والخداع ، وطردت يهود المدينة ، وأورثت المؤمنين أرض خيبر ، بفضل الله تعالى ، وبسبب صبرهم وثباتهم كدعاة حق له قوته فى ذاتيته ، ولهم قوة فى أنفسهم .

وعاشت الدعوة ، وأصبح لها تاريخ وأمة ولم تمت ولن تموت بعد ذلك أبداً إن شاء الله ، (راجع سورة الأحزاب ٩ ـ ٢٧) .

فرسالة الإسلام يجب أن تكون هدفاً فى الحياة وغاية ، والقائمون بها لا تهن عزائمهم ولا تضعف نفوسهم ، ولا يستسلمون فى مواطن الشك ، ويجب أن يكون إيمانهم بالرسالة لذاتها ، وتقديراً للمبادىء التى تمثلها وتحملها .

وفضل الدعوة على الداعى ، إلى الحق خلود ذكره بعد موته خلود ذكرى ونموذج ومثال يقتدى به ، وله فى حياته التوقير والاحترام ، وفضل الداعى إلى دعوة الحق هو فى الإيمان بها ، والعمل على نشرها ، وتحمل الأذى فى سبيلها .

يقول القرآن الكريم :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ.وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران ١٤٦ ، ١٤٧ .

٥ ـ الداعى إلى دعوة الحق : عالم يحتاج إلى مزيد من العلم والثقافة والمعرفة :

على الداعية إلى الإسلام أن يفهم تعاليم الإسلام وروحه فهما صحيحاً عميقاً من منابعه الأولى : القرآن والسنة المطهرة ، والسيرة النبوية ، والمؤلفات الإسلامية القيمة والمسئولة حتى تتكون الفكرة السليمة عن التصور الصحيح للإسلام وعقائده وتشريعاته وأخلاقه وأهدافه .. وبذلك يتأثر الداعية ويؤثر فى الناس .

وهذا يتطلب إعداد برامج مدروسة واعية ، ومعاهد على مستوى رفيع لإعداد الداعية فى صغره وشبابه ، مع رعاية وعناية فائقة : ليؤتى الثمرة المرجوة على اتجاه سليم ، وإحاطة شمولية .

يقول القرآن الكريم : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ طه/١١٤ . ويقول سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ البقرة/٢٨٢ . ويقول سبحانه : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ يوسف/٧٦ .

وما لم يكن الداعية مثقفاً ثقافة شاملة ، ومتنوعة ، فلن يكون موصلاً جيداً ، ولا مؤثراً فى سامعيه وقارئيه ، ومهما فهم التلميذ واستوعب ما قاله أستاذه ، فقد بقيت للأستاذ شمولية الفهم ، وبعد الرؤية ، والمعرفة العميقة بأصول المدروس .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

من تاريخ الأزهر - بقية

تعمل لمدة سنة كاملة تقريبا فى ثلاثين جلسة حتى تم وضع قانون جديد لاصلاح الأزهر .. لكن الشيخ المراغى اعلن استقالته عندما قدم مشروعه للحكومة وتباطأت فى تنفيذه .. ولو قدر لهذا المشروع النجاح الذى تعلقت به الآمال لكان الأزهر بصفة خاصة وللتعليم بصفة عامة وجه غير هذا الوجه ، وحال غير هذه الحال .

وقد عثرنا على نسخة خطية من مذكرة الشيخ المراغى بـ (الكوبيا) وقد نشرت بالأهرام فى شهر أغسطس سنة ١٩٢٨ م ونظرا لأهميتها فى بحثنا سنقتطف منها بعض الفقرات التى تفيد الباحث .

جاء فيها :

«إن الأمة المصرية - وهى تريد النهوض والمجد وتتطلع إلى حياة سياسية راقية - يجب أن يكون عليها أن تتذكر دينها وتلتفت إلى حملة ذلك الدين فتصلح شـأنهم ، وترقى تعليمهم ، وتضعهم فى المكانة اللائقة بالمرشدين ، والتى يجب أن يكون عليها حملة الدين . أما إهمال هذه الناحية والسعى إلى ترقية النواحى الأخرى من حياة الأمة ، فلا أرى أنه يوصل إلى الغرض المقصود فالخلق هو العمود الفقرى للأمم ، لا يمكنها أن تنهض بغيره ، وأسهل طريق لتكوينه هو طريق الدين إذا أصلح تعليمه وهذب دعاته . وقد كان الأزهر مصدر اشعة نور العلوم الدينية والعربية وغيرها إلى البلاد الإسلامية .

وبعد ذلك بين الشيخ المراغى ضرورة إصلاح الأزهر فقال :

« يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة ، وأن تدرس السنة دراسة جيدة ، وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وآدابها من المعانى ، وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يبتعد فى تفسيرهما عن كل ما أظهرالعلم بطلانه ، وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة .. «يجب أن تهذب العقائد والعبادات ، وتنقى مما جد فيها وابتدع ، وتهذب العادات الإسلامية بحيث تتفق وقواعد الإسلام الصحيحة ..

«يجب أن يدرس الفقه الإسلامى دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب ، وأن تدرس قواعده مرتبطة بأصولها من الأدلة ، وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالاحكام المنصوص عنها فى الكتاب والسنة ، والأحكام المجمع عليها ،

يجب أن تدرس الأديان ليقابل ما فيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود فى الدين الإسلامى ، ليظهر للناس يسره وقدسه وامتيازه عن غيره فى مواطن الاختلاف

«يجب أن تدرس أصول المذاهب فى العالم قديمها وحديثها ، وكل المسائل العلمية فى النظام الشمسى ، مما يتوقف عليه فهم القرآن فى الآيات التى أشارت إلى ذلك .

«يجب أن توجد كتب قيمة فى جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة ، وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة فى عصور الإسلام الزاهرة والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية . وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين ، وكل ما هو قطعى فيه محافظة تامة ، وأن تهذب الأساليب ويهذب كل ما حدث بالاجتهاد .. بحيث لا يبقى منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل وكل ما هو موافق لمصلحة العباد» .

« يجب أن يفعل هذا لاعداد رجال الدين ، لأن رسالة النبى ﷺ عامة ودينه عام ويجب أن يطبق بحيث يـلائم العصور المختلفـة والأمكنـة المختلفة .. وإن لم يفعل هذا يكون عرضة للنفور منه ، والابتعاد عنه ، كما فعلت بعض الأمم الإسلامية

يتبع

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالجامع الأزهر

الاجبار على الزواج

س : هل يجوز أن يجبر الأب ابنته على الزواج من رجل لا ترغب الزواج منه . وما الدليل على ذلك .

احمد عبدالله حساب - برخيل - البلينا

جـ : لا يجوز للأب أن يجبر ابنته البالغ على الزواج من غير من تريده فإن وقع ذلك كان الزواج غير صحيح بناء على مذهب الحنفية ، وبه أخذ قانون الأحوال الشخصية لحديث «البنت تستأمر فى زواجها» .

البناء على ملك الغير

س : رجل بنى شقتين إحداهما لسكنه ، والأخرى لابنته على أرض يملكها اخوه . فما الحكم .

م ص - روز اليوسف

جـ : إن كان ذلك بإذن من أخيه كانت الأرض هبة ، وهى تثبت بوضع اليد على الأرض فى حياة أخيه .

أما إذا شرط لأخيه حق الانتفاع فقط مع بقاء الرقبة (أى الأرض) ملكا له - كان لورثته الحق فى قيمة الأرض وأخذها من البانى إن كان الانتفاع لمدة محدودة ، أو مدة حياته ثم تعود ملكية الأرض لورثة صاحب الأرض .

إذا تحققت المصلحة وامتنع الضرر

س : ما حكم الشرع فى تشريح جثث الأموات للبحث والدراسة ونقل الأعضاء من حىّ إلى حىّ ومن ميت إلى حى . أفيدونا .

ع . م - القاهرة

جـ : إن فقهاء المذهبين الحنفى والشافعى قد أجازوا تشريح الميت لمصلحة راجحة ، مثل استخراج مال ابتلعه إنسان ثم مات ، أو تشريح جسد امرأة ميتة لاستخراج جنينها الذى ثبت بيقين للأطباء المختصين انه مازال حيا فى بطنها .

وكذلك أجازوا التشريح لإثبات جناية ليتحقق بها وجه العدالة .. كما أجازوا ذلك للتعليم من باب الوجوب الكفائى (بمعنى أن ذلك الأمر واجب على فريق من أبناء الأمة فإذا قام به البعض سقط عن الجميع) وذلك من قبيل المصلحة العامة .

كما أن نقل الأعضاء البشرية من حى إلى حى أو من ميت إلى حى جائز شرعا والأصل فى ذلك كله الإباحة .. وليس واحد مما سبق حراما لأن الحرام ثلاثة أقسام ليس هذا منها ، هى :

إعداد/عبد الحميد شاهين
على حامد

أولا : حرام لذاته وهو ما ورد النص القرآنى الصريح قطعى الثبوت والدلالة بِحُرْمَتِهِ مثل قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ . . . ﴾ الخ .

ثانيا : محرم لغيره .. وهو ما لم يرد به نص صريح قاطع بحرمته وذلك مثل المخدرات والإتجار فيها - لأن ذلك يؤدى إلى إتلاف النفس والمال والعقل وهذه من الكليات الخمس التى أوجب الله الحفاظ عليها وحرم إتلافها والتعدى عليها .

ثالثا : محرم حُرْمَتُهُ عارضة مثل العقود التى وثقت أركانها وشروط صحتها ، ولكنها اشتملت على غش أو تدليس وذلك لقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ . . ﴾ الخ .. والله أعلم .

متى تجب الزكاة

س : بعض الجهات تقول : إن الزكاة واجبة فى راتب الموظف يخرجها كل شهر ، إذا بلغ مجموع راتبه فى السنة (٣٠٠) ثلاثمائة جنيه .

سيد محمود - القاهرة

جـ : لم يرد فى كتب الفقه عن الأئمة وجوب الزكاة فى راتب العامل الموظف ، ولو بلغ مقداره ثلثمائة أو أكثر .

وقد اشترط الأئمة لوجوب الزكاة «النصاب» و«حولان الحول» ، ومرتب العامل لم يحل عليه الحول ، لأنه يقبضه على شهور ، وينفق منه على أهله ، ولا حكم بالإيجاب أو التحريم إلا بنص صريح قاطع .

نقل الميت

س : بعد دفن والدتى - علمت أنها كانت لها رغبة فى الدفن فى مكان آخر هل يجوز لى نقلها ، مع أنها لم توص بذلك .

سمير عبدالعزيز - بنك الأسكندرية

جـ : إذا أمكن دفنها فى المكان الذى رغبت فيه يجوز إذا لم يوجد مانع .

وإذا بقيت فى المكان الذى دفنت فيه فلا إثم على الورثة .

السؤال من السيد/ عاطف عبدالعاطى

توفيت امرأة عن اختين شقيقتين ، أولاد أخوة أشقاء ذكور وإناث ، أولاد أخوات شقيقات/ فمن يرث وما نصيبه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فنفيد بأن للاختين الشقيقتين الثلثين فرضاً لعدم من يعصبهما أو يحجبهما يقسم بينهما بالتساوى والباقى للذكور من أولاد الأخوة الأشقاء تعصيباً يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أولاد رجل واحد ولا شىء للإناث من أولاد الأخوة ولا لأولاد الأخوات لأنهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهر

الشيخ أحمد عبد الجواد الدومي

كان الشيخ احمد عبد الجواد الدومى ـ رحمه الله ـ من العلماء المتمسكين بدينهم ، الهادين بسلوكهم الطيب إلى ربهم ، العاملين على هدى وبصيرة بعلمهم .

قضى حياته العامرة بالإيمان فى الاخذ بايدى الناس من الظلمات إلى النور ، حتى اهتدى على يديه الكثيرون ، وانتفع بعلمه المتعلمون ، واقبل على درسه ومجالس وعظه الشباب والشيوخ فى مصر وغيرها من اقطار العالم الإسلامى الكبير ..

عرفته فى الأربعينيات طالبا فى معهد أسيوط الدينى ، وكنت أسبقه فى طلب العلم بسنتين أو ثلاث ، ولكنه كان يستذكر دروسه مع زملاء يسكنون معنا فى منزل واحد ، بعضهم الآن فى ذمة الله ، وبعضهم لايزال ـ نرجو الله له الصحة ـ يشغل بعض المناصب القيادية فى وزارة التعليم وغيرها .

وكانوا يجتمعون فلا نرى منه إلا الجد والوقار والبحث والرغبة فى الاستفادة من العلم والتعمق فيه ، وكان موضع ثناء من أساتذته وزملائه جميعا ـ وافترقت بنا وبهم الطرق بعد الشهادة الثانوية ..

فمن هؤلاء الزملاء من التحق بكليات الأزهر ، ومنهم من التحق بدار العلوم ، ومنهم من اختصر الطريق .

والتحق الشيخ احمد بكلية أصول الدين التى وجد فيها طلبته ، وفى ظلها روى ظمأه العلمى .. ونال إجازتها العالية ثم إجازة التدريس بعد ذلك .

وضربت الأيام بيننا ، فلم ألقه لفترة طويلة ، إلى ما قبل وفاته بقليل ـ رحمه الله ـ ولكنه كان يكتب ويؤلف فقرات له ، ونشأ لقاء فكرى بيننا .

قرأت له يوماً كتاباً من أوائل تأليفه فى مكتبة المدرسة التى كنت أعمل بها عنوانه : «الدين والحياة» ومنه أدركت ما وصل إليه من فكر ثاقب منظم ، وفهم عميق لتاريخ المسلمين النابض بالحياة والمثل العليا ، وتنبيه لما فيه من ذخائر حتى يعود للمسلمين مجدهم ، واستعرض فى هذا الكتاب عدة مواقف تهم الناس ، منها مسألة الزهد ، وكيف يلتقى الزهد مع قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . . ﴾ ـ الأعراف ٣٢ .

وبيَّن أن الزاهد لا يحرم الطيبات ولكنه يؤجل الاستمتاع بها ، إنه يريد أن يدخرها عند الله كما

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

فعل عمر رضى الله عنه ـ حين طلب منه أن يوسع على نفسه فقال : إنى قرأت قول الله تعالى عن قوم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ فأردت أن أستبقى طيباتى للآخرة ..

والزهد بهذه الصورة ليس ضعفاً وليس ذلاً وليس هدماً .. ولكنه قوة وتحرر وبناء . هو ذلك الزهد الذى نراه فى صورة الفاتحين الأقوياء الذين بنوا الدولة الإسلامية . قال فى كتابه المذكور :

«ولننظر سويا إلى عبادة ابن الصامت وهو يدخل على المقوقس حاكم مصر ، ولنسمع إليه وهو يقول : لا يبالى أحدنا إن كان له قناطير من ذهب أو كان لا يملك إلا درهما ، فإن غاية أحدنا اكلة يأكلها فيسد بها جوعته ليله ونهاره ، وشملة يلتحفها ، فنعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاؤها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة ، فيغلب عبادة بذلك المقوقس ويفحمه» .

وعلى الرغم من أن كلينا من سكان شبرا فقد ضنت الأيام علينا باللقاء فترة طويلة ، شغلتنا الحياة بما تشغل به الناس ، وإن كان شغله ـ والحق يقال ـ فى سبيل الله ، فقد كانت الدعوة إلى الله شغله الشاغل .

وكان عمله الرسمى فى حقلها ، وأعطاها وجدانه كله فأعطاه الله الرضا والقبول .

كان لكلامه صولة فى نفوس الناس ، يتخذ من الأمثلة المحسوسة مادة لأحاديثه التى يصدرها دائما بالآية الكريمة : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ـ البقرة ٣٢ .

وبهذه الأمثلة كان يقرع عقول مستمعيه ونفوسهم فيستيقظون على الواقع الملموس ،

الشيخ احمد عبد الجواد الدومى

ويدركون أنهم غارقون فى الوهم فلماذا لا يسبحون إلى شاطىء الحقيقة ويلقون بأنفسهم فى قوارب النجاة ؟

ويحرك الشيخ خواطر الناس ، وينفذ إلى أعماقهم قائلا لهم : إن الله ينظر إلى القلوب ويعرف المخلصين من عباده فيستجيب لهم ، إن الرجل البسيط المخلص ليقسم على الله فيبر قسمه مصداقاًللحديث الشريف : « رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره» ـ رواه مسلم وغيره عن أبى هريرة ، وفى جمع الجوامع جـ ٢ ص ٢١٣٢ بروايات متعددة .

رحلاتـــــــه :

ومن أجل هذه الدعوة رحل إلى كثير من البلاد العربية والإسلامية .

وقد حدثنى عن رحلته إلى (اليمن) وعلى

من أعلام الأزهر

الرغم مما لقيه من جهد فقد التقى بكثير من محبى الخير والصلاح الذين أعانوه على مهمته ، ورحل إلى (لبنان) و(الصومال) وغيرهما من البلاد الإسلامية ، وفى كل مكان كان يذهب إليه يتحلق حوله المخلصون وطلاب المعرفة الذين يجد صدى دعوته فى نفوسهم سريعاً ..

ثقافتـــــه :

كانت القراءة المستنيرة طريقه إلى المعرفة ، يقبل عليها فى نهم وشوق ، وكانت تستولى عليه أحيانا كثيرة حتى سرقت منه ضوء عينيه ، ولكنها عوضته عن ذلك نوراً لا ينطفىء وثروة علمية سخية فى مختلف جوانب المعرفة ، وكان الجانب الإسلامى منها لا ينضب معينه ، غذاء الصلاح والتقوى ، وقد صدق الله إذ يقول : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ - البقرة ٢٨٢ .

إن من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم .

وكان قد اتصل فى صدر شبابه وقبل أن يُختار فى مجال الدعوة بالكاتب الدكتور أحمد أمين ، وعمل معه فترة طويلة كان لها أثر فى تعميق دائرة فكره وثقافته واتساع معلوماته ، ولم يترك العمل معه إلا قبيل وفاة الكاتب بأيام معدودة وذلك حين صدر إليه خطاب التعيين بالأزهر الشريف ، وقد وافق الدكتور أحمد أمين - رحمه الله - على طلبه ترك العمل معه بأسف شديد .

مؤلفاتـــــه :

وللشيخ أحمد مؤلفات عدة ، ولقاءات فكرية متعددة ، ومقالات صحفية لا تحصى ، وأحاديث فى الإذاعة المسموعة والمرئية وفيرة ، وقد كان أستاذاً فى معهد الدراسات الإسلامية ، تتلمذ على يديه فيه المئات من أبناء مصر والبلاد الإسلامية ، وكان خطيباً فى مسجد الفتح بشبرا .. وله من وراء ذلك كله حصيلة علمية زاخرة ما بين مطبوع ومسجل .

ومن أهم مؤلفاته كتاب :

«أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا» .

وكتاب : «أضواء على السنة» .

وسلسلة كتب بعنوان «مسلمون خالدون ومسلمات خالدات» ، ترجم فيها لكثير من الشخصيات الإسلامية .

وكتاب : «الإتحافات الربانية فى شرح الشمائل المحمدية» .

وكتاب : «السعادة الزوجية فى الإسلام» .

وكتاب : «الناصر لدين الله صلاح الدين الأيوبى» ، وغيرها .

ويقوم تلاميذه حالياً بإعادة طبع هذه الكتب ونشرها لينتفع المسلمون بها ..

ومن هذه الكتب التى أعيد طبعها أخيراً كتاب : «الإسلام منهاج وسلوك» .

ومما جاء فى هذا الكتاب ويدل على عمق فكره وإخلاصه لدينه قوله بعنوان : «ذلك الدين القيم» :

« إن الإسلام كلمة الله إلى أبناء هذه الأرض ، أراده الله سبحانه منذ أن نشأ أبوهم آدم وإلى أن يذهب آخر حفيد فى دنيا الناس ، وأوقف الله على هذا التشريع الإلهى عدداً كبيراً من الرسل ، وعددا أكبر من الأنبياء ، وجيشاً مجيشاً من دعاة الإصلاح والهدى والإرشاد ، وجعل فى الإنسان جهاز استقبال كاملاً بجميع معداته وأسلاكه ليكون مستعداً لالتقاط الصور

البقية ص ٩٢٧

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

يا نفس

أزهر النور

زهور الربا

يا نفس

للشاعر
عبد الوهاب الشامي

يانفسُ كفى عن هواك وتوبى وكفاك لهواً . حان وقت غروبى
وَتَلَمَّسِى غفران رب عادل رَحْمَنُ لو ثقلت عليك ذنوبى
وتقمصى ثوب التقى .. وتورعى وترفقى ، هلا سترت عيوبى !
وتذكرى ان الحياة .. قصيرة بالباقيات الصالحات تطيبى

●

وتطهرى مما جنيت بتوبة وإلى حمى رب السماء أنيبى
فلقد رايتِ العود أيام الصبا والآن تلك نحافتى وشحوبى
ذهب الشباب وتلك سنة كوننا افلا رحمت كهولتى ومشيبى

●

ماذا اقول إذا بُعِثْتُ بامره ماذا وقد افرغتُ كل جيوبى
يوم الحساب سَتُسْأَلِين فحاسبى لِمَ قد أمرتِ بما يَسُوء ؟ أجيبى
لو جَلَّ وزرى وارتحلت لبارئى ماذا يفيد على الصراط نحيبى

●

يارب انت خلقتنى ورزقتنى فى كل واد اخضر وخصيب
فإذا ظَمِئْتُ سقيتنى ورويتنى وإذا مرضت فانت خير طبيب
فاقبل وانت الحق صادق توبتى وَأَضِىءْ بنورك ياكريم دروبى

●

أزهرُ النور

رشاد محمد يوسف

ياشامخ الهام والكرامة ... ياصاحب الجاه والإمامة
ياازهر النور سوف تبقى ... موطَّدَ الراى والزعامة
تبقى على الدهر فى امانٍ ... تبقى لركن الهدى دِعامة

ياحارس الدينْ قد دهتنا ... مواكبُ الإفكِ والجَهَامة
«مسيلم» عاد فى اليمامة ... يبُثُّ بين الورى ظلامه
ورِدَّةٌ جاوزت مداها ... وما تصدى لها «اسامة»
وجِدَّةٌ لا تعى خطاها ... تقيم من طيشها القيامة
قد اقرعت فى الحمى حمامه ... واقلقت فى الدجى نيامه
والفُ مفتٍ بلا دليلٍ ... «ومالكٌ» يطلبُ السلامه
ونحن فى امرنا يتامى ... قد اسلموا امرهم لِئَامَه
وقُدْسُنَا فى الدجى اسيرٌ ... فى عالم مارعى ذمامه

كاننا لم نرث جدوداً ... كانوا بتاريخينا علامه
كانوا هداة الورى زماناً ... وحققوا بالتقى مرامه
وحكمُّوا العدل والتساوى ... فليس فى حكمهم ظُلامه
وجسدوا دولة ودينا ... وجردوا للوغى حسامه
كاننا لم نرث جنوداً ... كانت لهم رايةُ الزعامة
ياازهر النور عش مناراً ... يهدى إلى الخير والسلامة
حرر من الوهم كل عقل ... اعِدْ لنا المجد والكرامة
بقيت حصناً لنا حصيناً ... ياشامخ الهام والعمامه

زهور الربا

للشاعرة نعمت عامر

زهور الربى جادت ثراكِ غيوم ... ورؤاك من فيض السحاب عميمُ
لقد كان فيك العيش فينان مورقاً ... تلوح عليه نضرةٌ ونعيمُ
وكان لنا فى ظل واديك مرتعٌ ... فسيح وملهى للفؤاد كريم
وكان جبين الدهر بالعز زاهراً ... فارداه حزنٌ ، بالهوان يسومُ
زهورُ الربي ، للعمر ابهج مطلع ... وبين اعاصير الحياة نسيم
تبيت نجوم الافق ترقص حولنا ... على صوت ، قمرى هواه مُقيم
ويرنو لنا ، البدر المنير وثغرهُ ... من الصفو الأق ، الضياء بسيمُ
واسحارها فيها تهبُ جوانحى ... تحيى طيور النور ، وهى تحومُ
واصالها راقت ، ورق نسيمها ... ففيها جمال . رائع ، ووسيمُ
فواحسرتا لما ، تداعى بهاؤها ... وخيم فيها بالعفاء ، وجومُ
زهور الربا والدهر ، جارت صروفهُ ... عليك كلانا ، جار فيه ، ظلومُ
بكيتك بالدمع ، الغزير وليته ... يبلغنى ما ابتغى ، واروم
لئن هدّمت ، منك الليالى مفاتناً ... فإن فؤادى .. فيه منك رسومُ
ومنكِ رسوم ، يذكر الفكرُ شكلها ... وإن إلهى - وحده لعليم
بكعبته ، عُوّضت اسنى مواقعا ... وقبر رسول ، المسلمين عظيم
وفاق غراما - كل شىء - محبةً ... وباعثه الهادى الشفيع رحيم
وقد قمت فى الماضى القريب بعمرة ... وبالحج عزمى - يرتجى ويروم
فيارب حقق ما ارومُ وارتجى ... وهب لى رضاً لى فى حماه نعيم

والإرشادات ، وأحاط هذا الجهاز بأجهزة أخرى وقائية كالعقل الحكيم والفكر السليم ، ذلك أن الإنسان عَالَمٌ كامل مهم يتركز عليه بناء البشرية وإسعادها وعمران الوجود وصلاحه ، والإنسان لا ينفصل عن الوجود لأن الإسلام ربط بينهما رباطاً محكماً يستحيل انفصامه ، فالإسلام دين الوحدة الكبرى فى هذا الكون الكبير ..» .

وتراه يحسن الاستشهاد على صدق كلامه بما يدخره فى ذهنه من مأثور المفكرين السابقين ، فحين أراد أن يتحدث عن أن الدين الإسلامى متى تغلغل فى قلب المسلم استطاع أن يفعل به الأعاجيب ، لم يكن حديثه مجرد رأى يرتئيه أو مذهباً يميل إليه ، ولكنه وجدان المسلم وروحه وكيانه .. استشهد بما كتبه الدكتور أحمد أمين فى فيض الخاطر عن الرأى والعقيدة .. حيث قال :

«فرق كبير بين أن ترى الرأى وأن تعتقده ، فإذا رأيت الرأى فقد أدخلته فى دائرة معلوماتك ، وإذا اعتقدته جرى فى دمك وسرى فى مخ عظامك وتغلغل فى أعماق قلبك ، ذو الرأى فيلسوف يرى الرأى صواباً وقد يكون باطلاً ، وقد تقوم الأدلة على عكس ذلك غداً ، أما ذو العقيدة فجازم باتٌ لاشك عنده ولا ظن ، عقيدته هى الحق لا محالة ، هى الحق اليوم وهى الحق غداً ، خرجت على أن تكون مجالاً للدليل وسمت عن معترك الشكوك والظنون ..» .

مـــن مقالاتـــه :

وإنه ليستنبط من محكم الكتاب ومفهوم السنة ما يهدى به الحائر ويعالج به الخواطر ، ويضع بلسماً للنفوس المحزونة والقلوب المكلومة .. ومن ذلك ما كتب فى صحيفة الأخبار ذات يوم بعنوان : ثلاثة أدوية للاكتئاب النفسى . قال :

«يتحدث الناس فى هذه الأيام كثيراً عن الاكتئاب النفسى ، وعن ضيق الصدر وحرج النفوس ، ويتناولون الحبوب المهدئة بنسب مختلفة فى أوقات متعددة ، فتعالوا بنا ياأيها القراء الأعزاء نبحث عن الأشفية الربانية الثلاثة التى ذكرها الله لضيق الصدور .

يقول الله - تبارك اسمه - مخاطباً نبيه محمدا - ﷺ - فى سورة الحجر :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ . (الآيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩)

ياسبحان الله ! ما العلاقة بين الاكتئاب وضيق الصدر وبين هذه الأدوية الثلاثة : التسبيح والسجود والعبادة ؟

إن الجواب يتذوقه من سلم يقينه وكمل إيمانه ، فإن العلاج هنا لم يقل به طبيب بشرى ، وإنما أنزله رب السموات ورب الأرض ورب الكائنات كلها ..

والاكتئاب وضيق الصدر وحرج النفس ليست أمراضاً عضوية ، وإنما هى حالات تنتاب الإنسان بين الحين والحين ، ومن هنا ينبغى أن يكون العلاج دقيقاً ومريحاً ، والتسبيح بأى صيغة هو تقديس الله وتنزيهه ، والإكثار منه يوصل إلى انشراح الصدر وانبساط النفس بنور الحق ، وارتياح الروح بكمال اليقين ..

وبالسجود يقترب الإنسان من ربه ويرتفع عن عالم الأحقاد والحزازات .

وفى ميدان العبادة الفسيح يجد العابد الجو النقى الطهور . هذا هو دواء النفس والروح .

رحم الله شيخنا أحمد عبدالجواد الدومى الذى لحق بربه فى الثالث من رجب سنة ١٤٠٦ هـ الموافق ١٥ من مارس ١٩٨٦ م .. وطيب الله ثراه وجزاه عما قدم لدينه وأمته خير الجزاء .

عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

طرائف

«من أدب الاستماع»

سكون الجوارح ، وغض البصر والإصغاء بالسمع ، وحضور العقل والعزم على العمل .

«فى معصية الخالق»

قلة التوفيق ، وفساد الرأى ، وخفاء الحق ، وفساد القلب ، وإضاعة الوقت،ونفرة الخلق ، والوحشة من الرب ، وعدم إجابة الدعاء ، وقسوةالقلب ، ومحق البركة فى الرزق والعمر ، ولباس الذل وضيق الصدر .

هذا فى الدنيا ،

فكيف يكون الحال فى الآخرة ؟

«هؤلاء لا ينامون»

مدنف لا طبيب له ، وكثير مال يخاف على ماله ، والهام بدم يسفكه ، ومتمنى الشر للناس ، والغارم لامال عنده ، والمطلع على سوء من أهله ، والمغصوب ماله .

«قبل فوات الأوان»

قدم لنفسك خيراً
وأنت مالك مالك
من قبل تصبح فرداً
ولون حالك حالك
ولست والله تدرى
أى المسالك سالك
إما لجنة عدن
أو فى المهالك هالك

الشح أم الفقر

قال كسرى لجلسائه : أى شىء أضر ؟ فأجمعوا على أنه الفقر .

قال : بل الشح لأن الفقر قد ينفرج ولكن الشح لا يفارق .

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

مواقف

«ثقيل»

أطال ثقيل جلوسه عند رجل ، فلما أمسى وأظلم البيت لم يأت بسراج
فقال الثقيل : أين السراج ؟
قال صاحب البيت : إن الله ـ تعالى ـ يقول :
﴿ وإذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوا ﴾ .

«من حكم العرب»

كان أعرابى فى سفر ، ومعه جارية حسناء ، فتركها سافرة واكتفى بأن عصب عينيها .

فلما سئل عن ذلك ،

قال : إنما أخاف عليها من عينيْها لا من عيون الناس .

«طبع إنسانى»

قال حكيم : من غريب طبع الإنسان أنه يحب العدالة مظلوما ، ويكرهها ظالما .

ويطلب الحرية مرءوسا ، ويُنكِرُهَا رَئيسا .

«دعاء»

يارب : إنك أمرتنا فلم نأتمر وزَجرتنا فلم نَنْزَجِر .

وإنا لا نعتذر ولكن نستغفر .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

أدب الجدل

فى القرآن الكريم

الجدل ـ والمناقشة وإيراد الحجج . وإبراز الأدلة . عناصر قديمة قدم العالم نفسه ، وستظل باقية إلى يوم الدين .

فمادام هناك عقل فلابد أن يجادل ويناقش ويحاور .

ومادام هناك مجتمعات ومعتقدات وقضايا وتباين فى الميول والأهداف فإن الجدل سيظل عاملاً من عوامل إثبات الوجود الإنسانى ، وقد جاء القرآن الكريم حافلاً بشتى الأساليب الجدلية التى كانت سائدة فى الأمم الغابرة وفى ذات الوقت جاء محدداً أسلوب الجدل المؤدب المهذب الذى لا يخدش أو يهين .

الجدل الهادف الذى لا يرجى من ورائه إلا الوصول إلى الحق والحقيقة .

قال الأستاذ :

مادمنا فى هذه الحياة فالمنازعات بين الناس باقية لا تزول ، وما دام الملوان يتعاقبان فقانون تنازع البقاء سرمدى خالد يخضع الناس له ، ويذودون عنه باليد واللسان والفكر والجنان .

فالجدال شأن اجتماعى لا يمكن أن تخلو منه أمة أو يتخلى عنه شعب : ذلك لأن الناس مختلفون فى المعتقدات والآراء ، متباينون فى الأغراض والميول ؛ وما الحروب الطاحنة بين الأمم فى العصر إلا وليدة اختلاف الآراء ، ونتيجة تشعب الأفكار .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة الطبيعية فى سورة «هود» بقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ .

وليس كل خلاف فى هذه الحياة شراً محضاً ، فكثير من أفراده وسيلة للخير ومرقاة للنفع العام ، إذا كان الغرض به الوصول إلى الحق وتمحيص وجه الصواب انظر إلى الشورى والمجالس النيابية ، فإن الخلاف فى الفكر فيها دعامة الإصلاح الاجتماعى ، وأس العمران فى هذه الحياة .

للأستاذ الشيخ

عبد الرحيم العدوى

إعداد وتقديم

عبد الفتاح حسين الزيات

والجدل والمناظرة كغيرهما من الشئون الاجتماعية ، إذا لم تحط بقيود انفرط عقدها ، وإذا لم تصحبها التحفظات ضاعت ثمرتها .

وكما أن للقرآن الكريم طريقته الخاصة فى إقامة الحجة والبرهان ، وله أسلوبه الخاص فى طريقة الاستدلال ، فله أيضاً مسلكه الخاص فى أدب الجدل ومراعاة شعور الخصوم ؛ أدب يتفق مع مكانته السامية ، ومراعاة تتناسب مع الرسول الكريم الذى بلغه إلى الناس .

وقد علم الله خطر الجدل إذا لم يقصد به الوصول إلى الحق ، فذكر لنا فى كتابه الكريم الأصل العام الذى يجب أن يكون عليه الحجاج ، والأساس الذى يبنى عليه المؤمن جدله ومناظرته ، من حسن الأسلوب ولين الجانب ؛ وعف القول ، والإغضاء عن الهفوات ، والصفح عن الزلات ؛ اقرأ إن شئت قوله تعالى فى سورة «النحل» :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ . وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ، وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ .

تجده قد رسم فيه العلى القدير لرسوله الكريم الدستور الذى يجب أن يترسم خطاه فى دعوته ، فأمره بأن يقيم الدعوة على الحكمة والمواعظ الآخذة بالقلوب لحسنها ، ويخاصم ويجادل ولكن بالطريقة التى تضم الخصم إلى ساحته وتقربه من مبادئه . ثم حبب إليه طريقة العفو والصفح ، وبصره بمكانة الصبر بقوله : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ . وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ .

ثم استمع إلى قول الله عز وجل فى سورة «العنكبوت» : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

وقوله تعالى فى سورة «فصلت» : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ . ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وقوله تعالى لموسى وهارون : ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ .

استمع إلى كل ذلك تعرف كيف دعا القرآن المؤمنين إلى سلوك طريق الحسنى فى حجاجهم ، وبين لهم ثمراته الدانية من أنه يقلب العدو صديقاً ، والخصم الألد أخاً حميماً وولياً ونصيراً .

وقد حذر القرآن المؤمنين من السب والشتم والخوض فى الباطل والتلفظ بساقط القول ، ولو كان ذلك فى أصنام المشركين التى لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ، سداً للذرائع ، ووقاية

من روائع الماضى

من سوء أدب المشركين .

فقال : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ .

ونص القرآن على من يجادل بالباطل ليدحض به الحق ، ليلفت الناس إلى أن الغاية التى يجب أن تقصد من الجدل هى ظهور الحق الذى ينتفع الناس به ، والذى يعود خيره على الجماعة الإنسانية كافة .

كما حط من شأن الذين يتكبرون فى جدالهم ويسخرون من خصومهم ، ويعتقدون بما لهم من مكانة مزيفة وسلطان مؤقت أنهم أصحاب القول الذى لايرفض والرأى الذى لايمانع وفى ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ ويقول : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ . كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ .

المثل العليا للجدل :

وقد قص الله علينا من باب الذكرى والاعتبار المثل العليا للخصوم الشرفاء ، ووضع بين أيدينا صورة واضحة للمجادلين بالحق المعتدلين فى خصومتهم المؤدبين فى جدالهم .

فقص علينا جدال إبراهيم عليه السلام مع أبيه .

فقال : ﴿ وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنْكَ شَيْئًا . يَاأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا . يَاأَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ .

هذا الأسلوب المؤدب هو أسلوب النبوة المخلصة ، يفيض عطفاً ، ويسيل رقة وحناناً ، يحذر فى لطف ، وينذر فى لين ، ويعرف مكانة الأبوة فيعطيها ما لها من حقوق ، ويهب لها ما تستحقه من رفعة واحترام .

فليت شعرى ماذا كان جواب الأبوة ، وهى فى العادة موطن الرحمة والشفقة ، ومحل العطف والحدب ؟ إنها انقلبت شواظاً من نار وتحولت لظى من جحيم ، وانفرط منها عقد الرحمة فعاد قسوة فى فظاظة ، وغلظة فى جفاء !

وإن أردت البرهان فاستمع إلى قول تلك الأبوة الظالمة ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِى يَاإِبْرَاهِيمُ . لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾

فيقابل إبراهيم عليه السلام هذه الشدة باللين والإحسان ، فيقول : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ . سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ فأى نفس تلك التى صدر عنها هذا التواضع ، وأى فم ذلك الذى نطق بالآيات البينات فى مقابلة الإساءة بالإحسان ؟ إنها نفس إبراهيم عليه السلام ، وإنه فم خليل الرحمن وكفى .

وقص القرآن علينا أيضاً جدال نوح عليه السلام مع قومه ، فقال :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ . فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا

﴿الذين هم أراذلنا بادي الرأي . وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾ .

هذا أحسن تخاطب من قوم نوح لنوح . وهو كما نرى ينم عن الكبرياء والغطرسة ، ويفيض بالسخرية والاستهزاء ، ويرمى البرآء بأخس الأوصاف وأرذل الألقاب ، ويسم نوحا ومن اتبعه بالكذب والزور .

فانظر كيف كان رد نوح على هذه البذاءة وذلك الكبرياء ؛ قال :

﴿ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون . ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون . ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون . . ولا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إني ملك ، ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً . الله أعلم بما في أنفسهم . إني إذاً لمن الظالمين﴾ .

ألم تر إلى نوح عليه السلام كيف رد على فظاظتهم وغلظتهم بأبلغ ما فى الكلام من ألفاظ اللين ، وصار يضع بين أيديهم القوانين الاجتماعية والمبادىء الدينية فى أخصر لفظ وأرق معنى ، ويصور كل ذلك أبلغ تصوير ، ويكشف عنه الغطاء ويجليه لكل ذى بصيرة ، فبين لهم أن رحمة الله بعباده قد تخفى على من لم يستعد لفهمها والاستفادة منها ، وأن عقائد الدين لا تلقن تلقيناً ولا تملى على الناس إملاء ولو مع كره ؛ بل هى سهلة جذابة تصل إلى القلوب السليمة لا حجاب يمنعها ، ولا حاجز يعوق سيرها إليها : وأن الأنبياء سفراء عن ربهم يبلغون عباده أوامره ، وهو وحده الذى يعطيهم الأجر ويقدر لهم الجزاء ، فليس على العباد ضرائب مالية ولا تبعات مادية ؛ وأن من لجأ إلى حظيرة الإيمان كيف يطرد ، وكيف ينتقص قدره ، وقد يكون له عند الله الزلفى وحسن المآب .

فهو كما ترى أسلوب تواضع ولين ، وأسلوب وعظ حسن وتذكير ؛ وما كان هود عليه السلام بأسعد حظا من إخوانه الرسل السابقين ؛ فقد قال له قومه ﴿ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾ .

أما صالح فى قومه ثمود ، فكان غريباً بين أمة ، ووحيداً فى شعب .

وكم لقى شعيب عليه السلام وهو خطيب الأنبياء من أهل مدين من الشدة ، وكم قوبل بسوء ! نهاهم عن نقص المكاييل والموازين وكانوا على ذلك مكبين ، وذكرهم بما لقى قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من العذاب المهين . فاستمع لردهم عليه ﴿قالوا ياشعيب ما نفقه كثيراً مما تقول . وإنا لنراك فينا ضعيفاً . ولولا رهطك لرجمناك . وما أنت علينا بعزيز﴾ .

فيقول شعيب : ﴿أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط﴾ .

أما موسى مع فرعون ففى جدالهما العجب العجاب : لين ورقة من موسى ، وكبرياء وصلف من فرعون ؛ إذ يقول لموسى : ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ .

فيقول موسى متلطفاً ﴿أو لو جئتك بشيء مبين﴾ ؟

من روائع الماضي

هذه هي المثل العليا في أدب الجدل ، فجدير بكل من يتصدى للجدل العلمي أن يترسم خطاها في الذود عن الحق ، ويتخذها إماماً له في حماية المبادىء ، فلا ينبغي أن يشتط الإنسان مع أخيه الإنسان ، ولا أن يواجهه بسقط القول وبذاءة اللسان ؛ ولا ينبغي للمرء أن يعتد بمكانته في المجتمع فيغضي عن رأي خصمه لأنه أقل منه مكانة وأضعف جنداً ، فإن الرأي بقيمته لا بقيمة صاحبه ؛ ولا ينبغي لإنسان كائناً من كان أن يفرض على الناس رأيه ، فإن الحق مشاع والحقيقة مطلب الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا تتعلم العلم لثلاث ، ولا تتركه لثلاث ؛ لا تتعلمه لتماري به وتجادل ، ولا لترائي به ، ولا لتباهي به ؛ ولا تتركه حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضا بالجهل» .

وقال علماء الأخلاق : إن الباعث على الجدال هو الترفع بإظهار العلم والفضل ، والتهجم على الغير بإظهار نقصه ، وهما شهوتان باطنتان للنفس ، فإظهار الفضل من قبيل تزكية النفس ، وتنقيص الغير من مقتضيات طبع السبعية الكامن في نفس الإنسان ، وكل ذلك من الصفات المذمومة التي يقويها الجدال ، وينميها غمط الحقوق .

وأكثر ما يكون الجدال بالباطل في العقائد والمذاهب .

وقد ذكر الإمام الغزالي في كتابه «الإحياء» إن من أدب المجادل الذي يقصد بجداله وجه الله وإحقاق الحق ، أن يكون جداله مع خصمه في خلوة لا في حفل جامع ، فإن الخلوة أجمع للفهم ، وأحرى بصفاء الذهن ودرك الحق ، وفي حضور الجمع الكثير ما يحرك دواعي الرياء ، ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أم مبطلاً ، فحرصهم إذاً على المحافل والمجامع ليس لله ولا لوجه الحق .

فقد يخلو الواحد منهم بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه ، وربما اقترح عليه صاحبه بعض الأمور فلا يجيب . فإذا انتظم مجمع أو تكامل عقد محفل ، لم يغادر في قوس الاحتيال منزعاً حتى يكون هو المختص بالكلام وفارس الميدان .

ومن أدب المجادل أيضاً أن يكون في طلب الحق كناشد الضالة ؛ سواء لديه أن تظهر الضالة على يديه أو على يد من يعاونه ، فيرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له طريق المحجة .

فقد اعترضت امرأة من قريش عمر بن الخطاب وهو على المنبر ينهى الناس عن التغالي في مهور الناس .

فقالت له : أيعطينا الله ويمنعنا عمر ! يقول الله تعالى : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾ فقال عمر : «اللهم غفراً ! كل الناس أفقه من عمر» .

البرق والرعد

وفيزياء السحاب ٢

أ. د. أحمد فؤاد باشا

فيزياء السحاب :

ربما لا يتسع المجال هنا للاستطراد فى الحديث عن مختلف مجالات البحث والدراسة التى يعنى بها علم فيزياء السحاب ، ولكننا سنقتصر على تناول ما يتصل منها بحدوث البرق والرعد ، وخاصة ذلك النوع من السحاب الذى ينمو رأسيا حتى يبلغ خمسة عشر كيلومتراً أو أكثر ، متجاوزاً مستوى التجمد بقدر يكفى لأن تتراكم قمته على هيئة كتل جبلية تحوى كميات هائلة من بللورات الثلج وحبات البرد ، وهو ما يطلق عليه اسم «المزن الركامى» Cumulonim-bus والموضوع فى أساسه مرتبط بظاهرة الكهربية عموماً ، والكهربية الجوية على وجه الخصوص .

الكهربية الجوية :

تعزى جميع الظواهر الكهربية إلى خاصية أساسية لجسيمات المادة يطلق عليها اسم «الشحنة الكهربية» Electric charge ، وهى كالكتلة ، من حيث الأهمية فى التعرف على الخواص الجوهرية للمادة ، ولا يمكن تفهم طبيعتها إلا فى ضوء الظواهر المرتبطة بها .
ويرجع تاريخ اكتشاف آثار الشحنة الكهربية إلى العصور القديمة ، عندما لوحظ أن «الكهرمان» عند دلكه بالصوف يكتسب خاصية جذب الأجسام الخفيفة إليه . ونحن نصف هذه الظاهرة الآن بأن «الكهرمان» قد «تكهرب» ، أى «شُحن بشحنة كهربية» . والواقع أن هذه الظاهرة لا تقتصر على «الكهرمان» فقط ، بل إنه يمكن شحن أى مادة كهربياً إذا ما حدث احتكاك بينها وبين مادة أخرى مناسبة ، كأن يُشحن جسم السيارة بفعل حركتها خلال الهواء ، وأن يشحن المشط عند إمراره خلال شعر جاف ، إلى غير ذلك .

ويعنى مبحث الكهربية الساكنة أو «الكهروستاتيكا» Electrostatics بدراسة كل ما يترتب على وجود الشحنة الكهربية وهى فى حالة السكون ، أما مبحث الكهربية الديناميكية

أو «الكهروديناميكا» Electrodynamics فيعنى بدراسة كل ما يترتب على تحرك الشحنة الكهربية .

وقد أدت التجارب العملية التى أجريت لدراسة الشحنات الكهربية الساكنة إلى التعرف على وجود نوعين فقط للشحنة هما : الشحنة الموجبة (+) والشحنة السالبة (−) ، ولوحظ أن الشحنات المتماثلة تتنافر والشحنات المختلفة تتجاذب . وتوصل العالم الفرنسى شارل كولوم فى عام ١٧٨٥ م إلى قانون يقضى بأن (قوة التجاذب أو التنافر بين شحنتين تتناسب طرديا مع حاصل ضرب مقداريهما ، وعكسيا مع مربع المسافة بينهما) . وتقدر كمية الكهربية ، أو الشحنات الكهربية ، بوحدات «الكولوم» ، تخليداً لذكرى هذا العالم الفرنسى(*) . ويتم الكشف عن الشحنات الكهربية وتحديد نوعها باستخدام جهاز بسيط يسمى الكشاف الكهربى Electroscope .

التفسير العلمى لعملية «التكهرب» :

معروف من التركيب الذرى للمادة أن الذرة ، من وجهة النظر الكهربية ، تتكون من نواة دقيقة موجبة الشحنة يدور حولها الكترونات تحمل الشحنة السالبة وتتوزع فى مدارات دائرية أو بيضاوية على أبعاد مختلفة من النواة . وتعتبر ذرات المادة الموجودة فى الطبيعة متعادلة كهربياً لأن كمية الشحنات الموجبة على نواة أى ذرة تكون مساوية تماماً لمجموع شحنات الالكترونات السالبة التى تطوف حول النواة . ويبدو أن الكون كله متعادل تقريبا ، إن لم يكن تماماً ، من الناحية الكهربية ، وحين توجد فى الطبيعة شحنات طليقة فإنها تكون نتيجة انتزاع الكترونات من ذرات معينة . ذلك أنه يمكن بوسائل مختلفة إحداث خلل فى التوازن الكهربى للذرة ، فتفقد الكتروناً أو أكثر لتصبح الغلبة فيها للشحنة الموجبة وتسمى عندئذ «أيون موجب» Positive ion أما إذا اكتسبت الذرة الكترونا زائداً أو أكثر فإنها تصبح سالبة التكهرب وتتحول عندئذ إلى «أيون سالب» Negative ion ويطلق على عملية الإخلال بالتوازن الكهربى للذرة اسم «التأيّن» Ionization .

وما يحدث عند دلك مادة بأخرى هو أن بعض الالكترونات الأقل ترابطا بذراتها تنتقل إلى المادة الأخرى ، وبذلك يزداد عدد الكترونات إحدى المادتين وتُشحن بشحنة سالبة ، بينما يقل عدد الكترونات المادة الأخرى وتصبح ذات شحنة موجبة . أى أن الشحن الكهربى يحدث نتيجة انتقال بعض الالكترونات من مادة إلى أخرى ، حيث تكون إحدى المادتين أشدّ ميلاً من الأخرى إلى التخلى عن الكتروناتها . والواقع أن التلامس الجيّد بين مادتين يكفى لإحداث الشحن كهربياً ، إذ ليس الغرض من الدلك أو الاحتكاك إلا تقريب المادتين حتى يتلاصق أكبر عدد ممكن من جزيئات سطحيهما .

وفى حالة التوصيل بسلك معدنى بين جسم ذى شحنة موجبة وجسم آخر ذى شحنة سالبة فإن الضغط الكهربى الذى يحدثه فرق الجهد

(*) من لطائف العلم التى نشير إليها فى هذا الشأن ما نلاحظه من تشابه بين نواميس القوى الطبيعية الناتجة عن خصائص المادة الجوهرية ، على نحو ما يبدو من تقارب فى المفاهيم بين قانون كولوم للتجاذب أو التنافر الكهربى وقانون الجذب العام لإسحق نيوتن الذى يقضى بأن أى جسمين فى الكون يجذب أحدهما الآخر بقوة تتناسب طرديا مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسيا مع مربع المسافة بينهما . وقد شرع العلماء حديثا فى البحث عن صيغة توحد بين مختلف أنواع القوى الموجودة فى الطبيعة . ترى علام يدل هذا ؟!

بين الجسمين (وهو يقدر بوحدات الڤولت) يعمل على انتقال الشحنة خلال سلك التوصيل فى صورة تيار كهربى Current تقاس شدته بوحدات «الأمبير»(**) . وتكتسب الشحنات الكهربية المتحركة بين فرق جهد معين طاقة كهربية ، تُقدَّر بوحدات (الچول) وتساوى حاصل ضرب كمية الشحنة بالكولوم فى فرق الجهد بالڤولت . أما المجال الكهربى فهو اصطلاح يطلق على الحيز المحيط بالشحنة الكهربية وتظهر فيه آثار الكهربية ، وذلك على غرار مجال الجاذبية التثاقلية (نسبة إلى الثقل) المحيط بكتلة مادية كالأرض والشمس والقمر وبقية الكواكب . وإذا مانهارت مقاومة موصل بين شحنات موجبة وشحنات سالبة حدث ما يسمى بالتفريغ الكهربى Electric discharge وظهر فى صورة شرارة أو شرارات متتابعة .

التفسير العلمى لظاهرتى البرق والرعد :

أدت دراسة ظاهرتى البرق والرعد إلى اكتشاف وجود شحنات كهربية فى جو الأرض ، وأصبح معروفاً من تجارب عديدة فى ميدان الكهربية الجوية Atmospheric electricity أنه فى الجو الصحو المعتدل يكون سطح الأرض مشحونا بشحنة كهربية سالبة ، ويتولد فى الجو مجال كهربى متجه من أعلى إلى أسفل بشدة تبلغ حوالى مائة ڤولت لكل متر . وهذه القيمة تتغير لعدة أسباب من مكان إلى آخر ومن ساعة لأخرى على مدار اليوم .

وقد دلّت أرصاد توزيع الشحنات الكهربية فى المزن الركامى على انها تتخذ فى توزيعها ترتيباً خاصاً ، تغلب فيه الشحنات السالبة فى جزء كبير من السحاب فوق مستوى الصفر المئوى ، فى حين تغلب الشحنات الموجبة فى المناطق العليا من السحاب فوق مستوى الجليد ، بينما يوجد مركز صغير لشحنات موجبة عند قاعدة السحاب فى الجزء الذى يسقط منه أغزر نسبة من المطر .

وعندما يتزايد تراكم الشحنات الكهربية إلى درجة تنهار معها مقاومة الهواء العازل فإن تفريغ الشحنات الكهربية غير المتجانسة يحدث بين الأجزاء العليا والأجزاء السفلى من سحابة واحدة ، أو بين سحابتين قريبتين من بعضهما ، ويظهر التفريغ على صورة شرارات هائلة ذات وميض ، تعرف بالبرق ، وتستنفد فى ذلك كميات ضخمة من الطاقة الكهربية . وينجم عن التسخين الشديد المفاجىء الذى يحدثه البرق فى منطقة انبعاثه أن يتمدد الهواء فجأة ويزداد حجمه ويتمزق محدثاً تفريغاً جزئياً فى المكان ، أى

(**) من المفيد أن ننبه هنا ـ على سبيل التوعية ـ إلى أن التحكم فى التيار الكهربى هو أهم عناصر الأمان لمنع خطر الصعق بالكهرباء . اما الجهد فأهميته ترجع إلى انه هو الذى يسبب سريان التيار الكهربى فمثلا إذا لمس إنسان سلكاً مكشوفاً اثناء وقوفه على الأرض بأقدام مبتلة فإن الموقف يكون اخطر بكثير مما لو كان يقف على سطح جاف معزول ، ذلك لأن الدائرة الكهربائية خلال جسده إلى الأرض تكون مقاومتها لمرور التيار كبيرة جداً عند الوقوف على عازل . وللأمان لا يجب لمس أى جزء معدنى مكشوف من دائرة كهربية تغذى بأكثر من ٥٠ فولت . كما يمكن تحاشى خطر الصدمة الكهربائية بتجنب مرور التيار الكهربى خلال الجسد . اى أن الجسد لا يكون حلقة اتصال بين نقطتين بينهما فرق جهد عال .

البـــرق والرعـــد

تخلخلاً . ولذا سرعان ما يندفع الهواء من كل صوب ليملأ موضع الفراغات ، وتتولد بذلك سلسلة من أمواج التضاغط والتخلخل فى الجو ، هى صوت الرعد . وما دَوِىُّ الرعد المعروف إلا سلسلة الانعكاسات التى تحدث لموجات صوت الرعد الأصلى من قواعد السحب وقمم المرتفعات ونحوها .

أما إذا حدث التفريغ الكهربى بين سحابة وسطح الأرض أو أى جسم مرتفع عليها فإنه يسمى صاعقة ، وهى تؤدى إلى كثير من التدمير والتخريب فى المبانى والأشجار والسفن ، وإذا ما صادفت إنساناً أو حيواناً قتلته . وإن كان يُنصح بالمبادرة إلى إجراء تنفس صناعى لمدة طويلة لمن تصيبه صاعقة ، فربما يكون هناك بعض الأمل فى إنقاذ حياته إذا ما كان المسُّ ضعيفاً . وتزود المبانى العالية عادة بمانعة الصواعق ، وهى عبارة عن ساق من الحديد تنتهى بطرف مدبب ، تثبت فى أعلى المبنى ويتصل أسفلها بباطن الأرض ، وفى حالة حدوث تفريغ كهربى فإنه يتسرب إلى الأرض مباشرة خلال مانعة الصواعق دون أدنى ضرر بالمبنى .

والسؤال الذى لم يستطع العلم أن يتوصل إلى إجابة حاسمة عليه حتى الآن هو : **كيف يتم الفصل بين نوعى الشحنات الكهربية بحيث يأخذ توزيعها ترتيباً معيناً فى السحاب** ؟ وقد وضعت عدة آراء ونظريات تعزى السبب إلى عوامل مختلفة منها ما يحمله رذاذ الماء المتناثر فى الجو نتيجة تلاطم أمواج البحار والمحيطات ، ومنها تأين الهواء الجوى بالتأثير المباشر للأشعة الكونية الآتية من الفضاء الخارجى ، أو بفعل حركة تيارات الهواء العنيفة فى مراكز العواصف وما ينجم عنها من توليد شحنات كهربية مختلفة على جزيئات الهواء وقطيرات الماء ، ومنها تأثير مجال الأرض الكهربى على قطرات المطر الساقطة داخل السحاب ، أو تجزؤ القطرات ذاتها بالتصادم دون الحاجة إلى وجود مجال كهربى . وترجع أحدث النظريات السبب فى انفصال شحنات كهربية عظمى إلى عملية نمو حبات البرد وذوبانها بعد أن تبلغ حجما معينا(***) . إلا أنه لايزال هناك الكثير مما يقتضى الدراسة فيما يتعلق بكهربية السحاب وعملية الهطول ، خاصة بعد تقدم أبحاث الفضاء وتطوير أجهزة القياس والرصد الجوى فى المعامل (المختبرات) الفضائية والأقمار الصناعية .

(***) هناك من يتخذ من هذه النظرية دليلاً علمياً على الإعجاز القرآنى فى قوله تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (النور : ٤٣) ، أى سنابرق البرد لأن البرد هو أقرب مذكور للضمير ، ومن ثم يجزم بأن النظرية تتفق مع القرآن فى أن البرد هو الذى يولد البرق (راجع : د . محمد جمال الدين الفندى ، الله والكون ، ص ١٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٨٧) . ونحن نرى أن التدليل على الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم بنظريات لم ترق بعد إلى مستوى الحقيقة العلمية المؤكدة أمر لا يتفق مع جلال القرآن وغايته . ترى كيف يكون الحال عندما تظهر نظرية أحدث تنسخ النظرية القائمة أو تضفى تعديلاً عليها ؟!

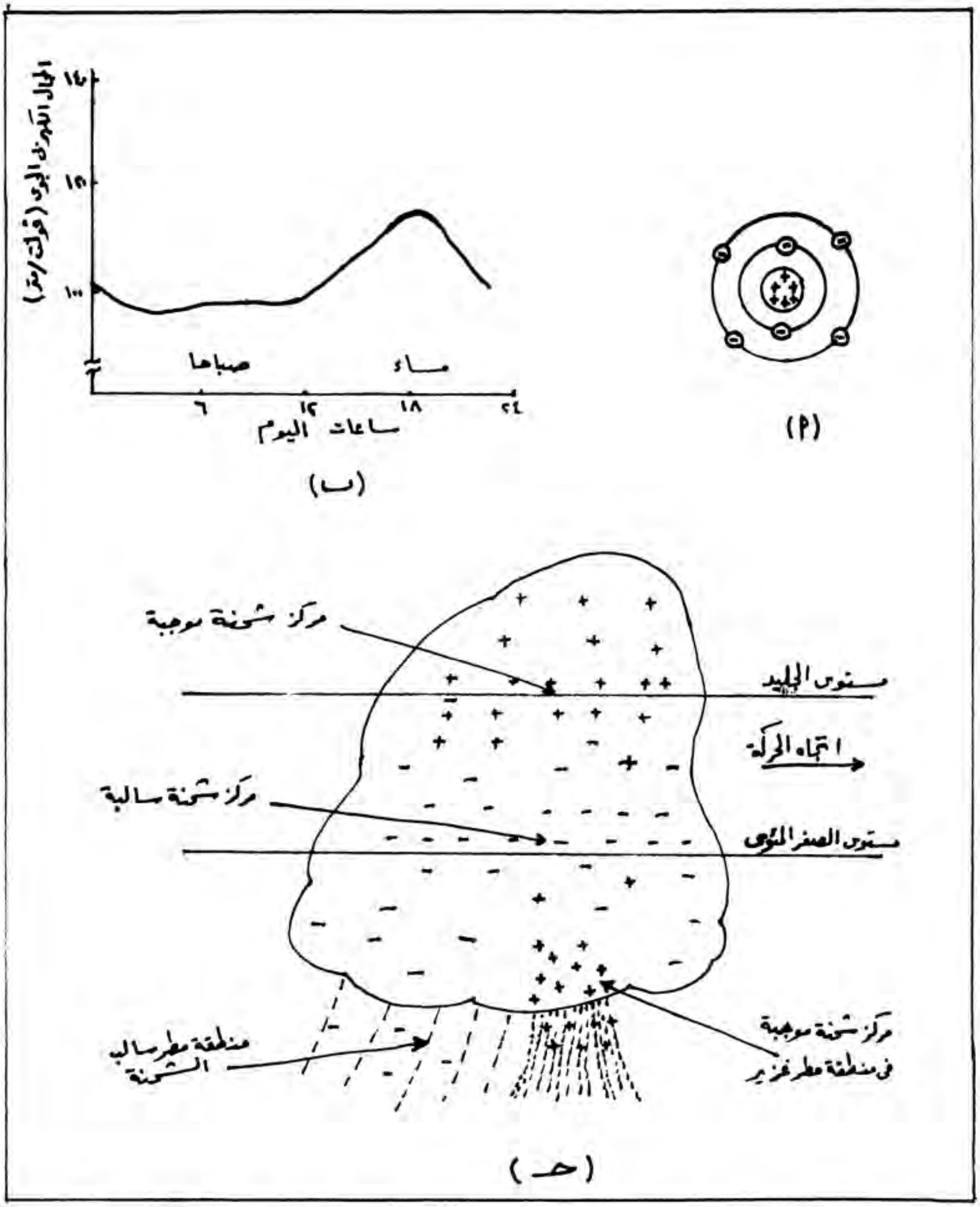

رسم يوضح : (أ) توازن الشحنات السالبة للالكترونيات مع الشحنة الموجبة للنواة فى ذرة كربون .
(ب) متوسط تغير المجال الكهربى الجوى مع تغير ساعات اليوم .
(جـ) توزيع الشحنات الكهربية فى المزن الركامى .

البرق والرعد

عَوْدٌ على بَدْء :

نعود الآن إلى ما بدأنا به هذا المقال[1] ، حيث كان الحديث متعلقاً بما جاء فى كتاب مدرسى عن ظاهرتى البرق والرعد كمثال توضيحى لتنوع واختلاف أساليب التفكير . وبعد أن عرضنا ـ فى إيجاز وتبسيط تمشياً مع طبيعة المقال ـ جانباً من التصور الإسلامى والتفسير العلمى لهاتين الظاهرتين ، يمكن أن نخلص إلى عدة آراء نوجزها فيما يلى :

اولا : الجملة الواردة بالكتاب المدرسى لتفسير حدوث البرق والرعد بأنه نتيجة «التقاء الموجات الكهربائية بعضها مع البعض الآخر فى الجو» ، هى جملة غير مفيدة علميا ولا تعبّر عن قانون علمى .

ثانيا : طبيعة العلاقة بين العلم والفلسفة تتغير بتغير الحالة التى يصل إليها كل منهما فى مراحل تطوره . ولما كانت النظرية الفلسفية بصورة عامة تقوم على فروض ذاتية قوامها التأمل العقلى الخالص ، فإنها سرعان ما تنتقل إلى مجال العلم إذا ما تم التأكد من حقيقتها وفق منهج علمى سليم . ولهذا نلاحظ أن الفلسفة قد تراجعت وتخلت عن كثير من موضوعاتها بعد أن تدخل العلم وتوصل بشأنها إلى نظريات وحقائق . ولنا من ظواهر البرق والرعد والسحاب خير شاهد على ذلك .

ثالثا : التفكير العلمى مطلب إسلامى تتغياه التربية الإسلامية ، باعتباره الأساس فى بناء الإنسان المسلم وتكوين العقل الإسلامى ، حثت عليه آيات القرآن الكريم ، ودعت إليه الأحاديث النبوية الشريفة ، ومارسه المسلمون الأوائل فى كنف الإيمان الخالص ، فصنعوا به ومنه حضارة زاهرة تزهو على كل الحضارات[2] . لهذا نرى أهمية تأصيل الثقافة الإسلامية فى مختلف المناهج المدرسية ، وتأكيد الصلة الوثيقة بين العلم والإسلام ، حتى يتم القضاء على ما يشيع لظروف تاريخية معينة من أنهما ضدان لا يلتقيان . كما أن وصل أو ربط الناشئة بنصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ومصادر التشريع الإسلامى ، كلما ظهرت الحاجة إلى ذلك ، من شأنه أن يعمر قلوب الأجيال المثقفة بالعاطفة الإسلامية القوية ، ويملأ نفوسهم بالأمل فى المستقبل ، ويثرى عقولهم بمنهجية التفكير السليم ، ويلهب حماستهم فى التسابق نحو الإعمار والبناء تحقيقاً لمشيئة الخالق الحق جل وعلا بما جاء فى كتابه الكريم : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ . . صدق الله العظيم (البقرة : ٣٠) ـ وصلى وسلم على نبيه الأمى الصادق الأمين .

أ.د. احمد فؤاد باشا

(١) راجع العدد السابق من مجلة الأزهر .

(٢) لمزيد من التفصيل انظر مؤلفنا : «التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ودراستنا عن «خصائص المنهج العلمى فى التراث الإسلامى» مجلة الأزهر ، الأعداد من يونيو إلى سبتمبر ١٩٨٨ ، ودراسة أخرى بعنوان «نحو صياغة إسلامية لنظرية العلم والتقنية» ، مجلة المسلم المعاصر ، قيد النشر .

اللغة والأدب والنقد

من تمام الحديث عن الأستاذ كامل شاهين

ديوان جابر بن حيي

الإسلام والاتجاهات العلمية

الأستاذ كامل السيد شاهين

من تمام الحديث عن الرائد الحديث وتعريف الأفعال

السيد المحترم د/ على احمد الخطيب رئيس تحرير «مجلة الازهر»
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد:
فدائما اسعد بقراءة «مجلة الازهر» الغراء والتى تجعلنا نعيش ايامنا الخوالى - ايام دراستنا فى الازهر الشريف الذى نعمنا فيها بالدراسة على يد نخبة من العمالقة الافذاذ، ومن بينهم المرحوم الأستاذ «كامل السيد احمد شاهين». رحمه الله.

أستاذنا رئيس التحرير قرأت فى عدد ربيع الأول ١٤٠٩ هـ أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٨ البحث القيم الذى كتبه الأستاذ/ محمود عبدالرازق عقباوى عن المرحوم كامل السيد أحمد شاهين فى باب «من أعلام الأزهر»، وكانت كتابة ممتعة ذكرتنا بعالم فاضل راغب فى كل جديد، باحث عن كل تطور ومتطور، وعندما تحدث الأستاذ محمود عن مؤلفات الأستاذ كامل قال: «له كتاب فى علم الصرف لم أعثر عليه» وليسمح لى الأستاذ رئيس التحرير والأستاذ الكاتب أن أعرض لهذا الكتاب فى علم الصرف للمرحوم «كامل شاهين» حيث إن هذا الكتاب كان مقررا علينا فى الصف الأول الثانوى من الأزهر وهو عندى واسمه «الرائد الحديث فى تصريف الأفعال» الطبعة الثانية (١٣٧٥ هـ ١٩٥٦ م).

والكتاب نموذج رائع للتجديد والتطوير فى دراسة اللغة وتدريسها بعرض الأمثلة أولا ثم يستنبط منها القاعدة بعد مناقشة الظواهر اللغوية للكلمة، ولندع عالمنا الراحل يتحدث بنفسه عن سبب تأليفه لهذا السفر الممتع، فشعوره بذلك أعمق، وروايته له أدق.

نهـــج الكتـــــاب:

قال رحمه الله:

« بعثنى إلى إخراج هذا الكتاب ما رأيته من ابتئاس الطلاب بمادة الصرف، واستعانتهم على جواز الامتحانات فيها بالاستظهار الذى يقتل الملكة، ويجمّد القريحة.

أ. عبد المنعم عبد الخالق على

ومبعث هذا الابتئاس ـ فى ظنى ـ هو الطريق الذى سلكه المؤلفون واعتادوه ، من سرد القواعد محررة ، وليس وراءها تدريب يثبتها ، أو إجالة للفكر ترسخها ، وتخرجها من دائرة التذكر إلى دائرة الوعى ، ثم إلى دائرة الانطباع والرسوخ .

ولقد نجح الأسلاف كل النجاح فى ضبط القواعد وتحريرها ، وكان هذا هينا عليهم ـ وهم القادة القارحون ، والفهمة المجربون وفاتهم أن يبسطوا التدريبات منوعة مختلفة الشعاب ، ولكنهم رحمهم الله ـ لم ينهجوا هذا النهج .

ولو أنهم فعلوا لما تركوا وراءهم نظرا لناظر أو دركا لمستدرك ، فكان اكتفاؤهم بتحرير القواعد باعثا لمثلى أن يجيل النظر ، ويدير الفكرة ، كى يثبت هذه القواعد بالتطبيقات التى لا تكتفى بالنظرة العابرة ، واللمح الخاطف ، بل إلى كد ، وتمام إدراك ، وحسن بصر .

والمؤلف ـ رحمه الله ـ لم يبخس السابقين فى التطوير والتجديد حقهم فها هو يقول : «ولست الأول فى هذا المسلك ؛ فقد سلكه قبل صاحبا (النحو الواضح) ولكنهما رحمة الله عليهما ـ لم يطرقا إلا قليلا من الأبواب التى طرقها كتابى هذا ، وعلى نحو من الوجازة يتفق وطاقة التلميذ فى المدارس الثانوية على أنى لم أستعن بكتابهما فى شىء أصلا ، وان كان الفضل راجعا إليهما ، ثم يشير المرحوم عالمنا إلى كتاب «تهذيب التوضيح» فيقول : «أما كتاب (تهذيب التوضيح) فهو كتاب جدير بالتقدير ، تجد أن اتجاه المؤلفين المرحومين إلى ضغط القواعد ، يوحى للطلاب بالاستظهار ، ويُعَنّى المدرس عناء لا داعى له ، فضلا عن قلة التدريبات ، وعدم استيعابها .

«وكتاب (شذا العرف) كتاب جامع ، ولكن فقد التمرينات ، وتشويش القواعد ، وتشتيتها فى بعض الأبواب ، وإدماجها فى بعض آخر يقلل من قيمته بعض الشىء» . ثم يعرض المؤلف لطريقة تناوله الموضوع فيقول : «وقد درجت على أن أثبت الأمثلة طوائف ، ثم أعقب عليها بالارشاد والبحث ، وأتبع ذلك القواعد مجملة ، وآتى بكثير من التطبيقات لتكون نبراسا للمدرس ، وتهدّيا للممتحن ، وتعويدا للطالب على البحث والفهم ، وصرفا له عن الحفظ ، وتهيئة لبروز الملكة المستورة .

وتبرز روح التواضع عند المؤلف حيث لم يدّع أن كتابه قد قارب الكمال وإن كان قد قارب فعلا ـ فنراه يقول : «فإن كنت قد وفقت لما قصدت فذلك الفضل من الله ، وإن تكن الأخرى فحسبى أنى بذلت الجهد والله الموفق الهادى إلى سواء الصراط» .

مباحث الكتاب :

تناول المؤلف فى بداية كتابه **تعريف علم الصرف** والغرض منه ، والفرق بينه وبين النحو و«متن اللغة» و«فقه اللغة» ثم شرح فائدة علم «الصرف» وما يتناوله هذا العلم ، والحاجة إليه ، وأشار إلى رأى السيوطى الذى يجعل واضع علم الصرف هو «معاذ بن مسلم الهراء» ولم يرتض هذا الرأى وعلق على قول السيوطى «ومن هنا لمحت أن أول من وضع علم التصريف معاذ» فقال «يريد أن معاذ الهراء لما عرف انه خلص مسائل الصرف من مسائل النحو ، وأكثر من صياغة

من تمام الحديث

الأبنية الاختراعية وألف كتابا مُخْلَصاً للصرف غير مشوب بمسائل النحو ـ لما ثبت هذا «لمعاذ» لمح السيوطى أنه واضع علم الصرف ، وجاء من بعده فجزم به ، وليس على لمح السيوطى مُعَوّل ، لأنه يثبت أن الصرف كان معروفا قبل الهراء ، وكل ما فعله هو تخليصه وإفراده بالتأليف ..

والثابت أن بذور الصرف نبتت مختلطة ببذور النحو .. ولذا فليس وراء هذا البحث من طائل إلا معرفة الروايات وما نقل نقلا لا يستند لتاريخ محقق (الرائد الحديث ص ٩ ، ١٠) .

ثم تحدث الكاتب عن «الميزان الصرفى» وتناول أوزان المجرد وأوزان المزيد والقلب المكانى وتعرض بعد ذلك للصحيح والمعتل والمجرد والمزيد .. إلى آخر ما جاء بخصوص تصريف الأفعال .

والجميل فى الكتاب حقا الإكثار من التطبيقات الرائعة والتى أتبع كل موضوع بها ، وأخيرا «دليل الرائد» وهو إجابة لبعض هذه التطبيقات إجابة نموذجية ونختم حديثنا عن المؤلف القيم بذكر أحد هذه التطبيقات مشفوعا بإجابته كما ذكرها العالم الراحل .

قال شوقى على لسان عنترة : ص ١٧

سلى الصبح عنى كيف ـ ياعبل ـ أصبح
وأين يـرانى نجمــه حـين يلمــح
أرى بــوقــوف فى ديــارك راحــة
كما يستريح ابن السبيل المطرّح(١)

(أ) زن الأفعال التى اشتمل عليها البيتان

(ب) وازن بين الفعلين (سلى) و(يستريح) من حيث مطابقة صورة كل منهما لميزانه ، مبينا السبب .

(جـ) هات ماضى الفعلين فى البيت الثانى ثم زنهما .

الإجابة ص ١٢٧

أ ـ سَلِى بزنة (فَلِى) أُصبح بزنة (أُفعِل) يرانى بزنة (يَفَلنى) يلمح بزنة (يَفعَل) أرى بزنة (أَفَل) يستريح بزنة (يستفعِل) .

ب ـ فى الفعل (سلى) تطابقت صورتا الميزان والموزون ، لأن التغيير الذى لحقه تغيير بالحذف . وفى الفعل (يستريح) تخالفت صورتا الموزون والميزان ، لأن التغيير الذى لحقه تغيير بالنقل والقلب ، فاصل (يستريح) هو (يستروح) نقلت حركة الواو إلى الساكن الصحيح قبلها ، ثم قلبت الواو ياء لسكونها اثر كسر .

ج ـ رأى وزنتها (فَعَل) استـراح وزنتها (استفعل) .

وفى النهاية لا نملك إلا الدعاء لهذا العالم الجليل لما قدمه للمكتبة العربية فى علمى الصرف والعروض سائلين الله النفع راجين من الأزهر إعادة طبعهما للإفادة منهما إنه سميع مجيب .

عبدالمنعم عبدالخالق على
موجه لغة عربية بإدارة الإبراهيمية شرقية

---

(١) المطرّح : المتعب ـ المجهود

ديوان شعر
جابر بن حُنَىّ التغلبى

٢

جمع وتحقيــق
أيمن محـمد على ميدان

وقال جابر بن حنى التغلبى : «الطويل»

أَلاَ يَـا لَقَـوْمِى لِلْجَـدِيـدِ الْمُصَـرَّمِ وَلِلْحِلْمِ بَعْـدَ الـزَّلَّـةِ الْمُتَـوَهَّـمِ [1]

(١) الجديد : قال ثعلب الجديد الشباب ، وقال المرزوقى .. الجديد يجوز أن يكون من الجَدُّ : القطع ، ويجوز أن يكون من الجِدَّة ، والمراد : العهد الذى كان مراعى لوصال بينه وبين حبيبته فتقطع وتصرم . وإن جعلته من الجِدَّة يكون المعنى أنه كان غير متقادم الميلاد إذ كان تسبب عن اجتماع النجعَة ، فلمازال الوقت انقطع ، شرح المفضليات للتبريزى ص ٥٠٦ المصرم : مقطع .

ورد البيت بالرواية السابقة فى المفضليات ص ٢٠٩ ، وشرحها الأنبارى ٤٢١ ومنتهى الطلب ٣٠٦ ، وأشار الأنبارى إلى رواية ثانية : «وللأمر بعد الزَّلَّة» وورد البيت برواية ثالثة فى :

شرح المفضليات للتبريزى ص ٥٠٦ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٨ .

ــ يَالقَوْم ــــــــــــ ــــــــــــ

ويعلق التبريزى قائلا : إنما نكَّر لأنه لم يقصد قوما معلومين ، إنما دعا على طريق التعجب مستغيثا بمن يغيثه كائنا من كان ، فكل من اغاثه ونصره فى شكواه فهو المراد .

وبرواية رابعة فى الاختيارين :

ــ بِالَقَوْم ــــــــــــ لِلشُّبابِ ــــــــــــ

وبرواية خامسة فى معجم البلدان :

ــــــــــــ وَلِلْحُلْمِ ــــــــــــ

بضم حاء «الحلم» .

وَلِلْمَرْءِ يَعْتَادُ الصَّبَـابَةَ بَعْـدَمَا
أَتى دُوَنَها مَا فَرْطُ حَوْلٍ مُجَرَّمِ (٢)

فَيَادَارَ سَلْمى بِالصَّرِيمَةِ فَاللِّوى
إلىٰ مَـدْفَعِ الْقِيقَـاءِ فالْمُتَثَلَّمِ (٣)

ظَلِلْتُ عَلىٰ عُرفَانِها ضَيْفَ قَفْرَةٍ
لِأقضِي مِنْهَـا حَاجَـةَ الْمُتَلَوِّمِ (٤)

أقَامَتْ بِهَا بِالصيفِ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ
مَصَائِرَهَا بَيْنَ الْجَوَاءِ فَعَيْهَمِ (٥)

---

(٢) المرء : عنى نفسه . يعتاد : يتعاهد ويراجع . الفرط : الحين . الصبابة : رقة الشوق . (ما) زائده : المجرّم : التام الكامل ، ويعلق التبريزى قائلا : «عنى بالمرء نفسه ؛ لأنه عاود صبابة قد درست أياتها وأتى دونها حول تام .. كأنه يتعجب من تقدم الشباب ، ومن حلمه بعد الزّلّة . وكان ينبغى للحلم ان يكون قبل الزلة ؛ لأنه إذا حلم بعدما زل لم يكن حلما ..» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢٠٩ وشرحها للانبارى ٤٢٢ وشرح المفضليات للتبريزى ص ٥٠٦ ومنتهى الطلب ص ٣٠٦ .

واشار الأنبارى إلى رواية ثانية :

ـــــــــــــــــــ ـــ من فَرْطِ ـــــــــــــــــــ

وورد برواية ثالثة فى «معجم البلدان» :

ـــــــــــــــــــ ما فَرْطَ ـــــــــــــــــــ

(٣) الصريمة : الرُملْ . اللوى : مسترقه . القيقاء : ما غلظ من الأرض فى ارتفاع . ومدافع القيقاء : مسايل الماء . المتثلم : موضع. والمراد من تعداد محالها أن يجعلها فسيحة الاكناف ، واسعة الأرجاء ليعلم جلالة اهلها .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٩ ، وشرحها للانبارى ٤٢٢ ومنتهى الطلب ٣٠٦ ، وشعراء النصرانية ١٨٨/١ ، واشار إلى رواية «القَيْقاء» وهى الأرض المستوية .

وبرواية ثالثة فى «شرح المفضليات» للتبريزى ٥٠٧ .

ـــــــــــــــــــ ـــــــــــــــــــ فَالمُتَثَلَّم

واشار المحقق إلى رواية رابعة وردت بإحدى النسخ الخطية التى اعتمد عليها فى تحقيقه وهى «فالصريمة فاللِّوى» .

وورد برواية خامسة فى الاختيارين :

ـــــــــــــــــــ فَاسْلمَى ـــــــــــــــــــ

(٤) عِرْفَانها : «يقول الانبارى ما عَرَف منها» . والعُرَف : الحدود ، واحدها عُرْفَة . ويقول التبريزى : ويكون المعنى : ظللت على ما عرفت من حدودها ضائفا بقفرة .. لاقضى حاجة المستعجل الذى لا يقدر على المقام .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢٠٩ ، وشرحها للانبارى ٤٢٢ وشرحها للتبريزى ٥٠٧ ، وشعراء النصرانية ١٨٨/١ . وبرواية ثانية فى : منتهى الطلب ٣٠٦ :

ـــــــــــــــــــ عُرْفَانِهَا ـــــــــــــــــــ ـــــــــــــــــــ بضم العين .

(٥) مصائرها : مواضعها التى تصير إليها فى الشتاء . وعلّق محققا المفضليات : والقياس فى هذا الجمع عند البصريين ترك الهمزة لان الياء اصلية ، وقد ثبت الهمز بالسماع تشبيها بالزائدة . «الجواء : من قرى من نواحى اليمن» معجم البلدان ١٥٤/٢ . «وعَيْهَم : جبل بنجد على طريق اليمامة إلى مكة» معجم البلدان ٢٥٩/٦ . ويعلق التبريزى قائلا : «ذكر مصيفها وَمَشْتَاهَا حنينا إليها وتوجعا لبعده عنها ..» .

ورد البيت السابق برواية المتن فى : المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للأنبارى ص ٤٢٢ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

وورد برواية ثانية فى شرح المفضليات للانبارى ٤٢٣ ، وشعراء النصرانية ١٨٨/١ :

ـــــــــــــــــــ مصايرها ـــــــــــــــــــ

واشار الانبارى إلى روايتين : «أقامت به» و«فجيهم»

وبرواية خامسة فى «معجم البلدان» :

ـــــــــــــــــــ مَنَازِلَهَا ـــــــــــــــــــ

تُعَوِّجُ رَهْباً فى الزِّمام وَتَنْثَنى
إلى مُهْذِبَاتٍ فى وَشِيجٍ مُقَوَّمِ (٦)

انافَتْ وزَافَتْ فى الزِّمَامِ كَأَنَّهَا
إلى غَرْضِهَا أَجْلادُ هِرٍّ مُؤَوَّمِ (٧)

إذا زَالَ رَعْنٌ عَنْ يَدَيْهَا وَنَحْرِهَا
بَدَا رَأْسُ رَعْنٍ وَارِدٍ مُتَقَدِّمِ (٨)

وَصَدَّتْ عَنِ المَاءِ الرَّوَاءِ لِجَوْفِهَا
دَوِىٌّ كَـدُفِّ القَيْنَةِ المُتَهَزِّمِ (٩)

تَصَعَّدُ فى بَطحَاءِ عِرْقٍ كَأَنَّمَـا
تَرَقَّى إلى أَعْلَى أَرِيكٍ بِسُلَّمِ (١٠)

(٦) تُعَوِّجُ : اى تعطف وتنثنى . الرَّهْب من الإبل : الدقيقة المهزولة . المهذبات : النساء اللواتى يُهْذِبن اى يسرعن السير . والإهذاب : شدة السير . الوشيج : الرماح يتشج بعضها ببعض اى يشتبك .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للانبارى ٤٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٨ . واشار الانبارى إلى رواية ثانية : «تُعَرِّج رَهْباً» ، ورواية ثالثة «وتَنْتَشى..» .

واشار محقق شرح المفضليات للتبريزى إلى رواية الاختيارين :

ــــ رَهْنى ــــــــــ ــــــــــ

وعلق «لعلها من رهنت الدابة إذا هزلت ، أو لعلها تصحيف «رَهْنى» وهى الناقة المهزولة التى استعملت فى السفر فَكَلَّتْ» .

(٧) انافت : اشرفت فى سيرها . زافت : خطرت واختالت . اجلاد الشىء : شخصه بكماله . المؤوم : القبيح الخلقة العظيم الهامة . الغُرضة بضم الغين : حزام الرحل، يقول : كأن هرا فى غُرْضَتها انشب أظفاره ، فهى تسرع .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٠ وشرحها للانبارى ٤٢٣ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٨ . واشار الانبارى إلى رواية : «أشلاء هِرّ» .

وبرواية ثالثة وبلا نسبة فى خلق الإنسان ١٧٠ :

تَرىٰ أوْ تَرَاءى عَنْ مَعقد غُرْزِها ... تَهَاوِيل مِنْ أَجْلادِ هِرٍّ مُؤَوَّمِ

(٨) رَعْن : انف الجبل . يقول : إذا قطعت رَعْنا وقعت فى مثله ، يريد انها تُخَلِّفُ شيئاً ، وتستقبل غيره ، تطوى الأرض طيا من سرعتها .

ورد البيت بالرواية السابقة فى :

المفضليات ٢١٠ ، وشرح المفضليات للانبارى ٤٢٢ ، وشرح المفضليات ، للتبريزى ٥٠٩ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٩ .

(٩) ماء رواء وروى : كثير . الدوِىّ : صوت الجوف . الدف : الذى يلعب به . القينة : الامة مُغنية كانت أو غير مغنية . المتَهزِّم : المشقَّق . ويجوز أن يكون الدوى صوت الحنين .

ويعلق التبريزى فى شرحه للمفضليات ٥٠٩ على البيت قائلا : «رجعت عن الماء الكثير وهو مُعَرَّضٌ لها ، ولكنها لا تستوفيه لنجائها وحرصها على الانصراف إلى أوطانها ، والحنين إليها ..» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للانبارى ٤٢٤ . وبرواية ثانية فى : شرح المفضليات للتبريزى ٥٠٩ ، وشعراء النصرانية ١/١٨٩ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

ــــــــــ ــــ كَدُفِّ ــــــــــ

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

ــــ الرُّوَاء ــــــ ــــــــــ

وأشار الانبارى إلى رواية «لصدرها دَوِى» .

(١٠) تصَعَّدُ : ترتفع . البطحاء : مسيل فيه دقاق الحصى . عِرْق : موضع والعِرْق : جبل صغير . أريك : «قال الأخنس : إنما سمى أريكا لانه جبل كثير الاراك» معجم ما استعجم ١/١٤٥ . «أريك بفتح أوله وكسر ثانيه وبالكاف على وزن فعيل موضع فى ديار غنى بن يعصر .. وقال أبو عبيدة : أريك فى بلاد ذبيان .. والأريك : الجبل الصغير .. ويدلك على أن أريكا جبل مُشْرِف قول جابر بن حنى يصف ناقة .. البيت» . السابق ١/١٤٤ .

ورد البيت بالرواية السابقة فى المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للانبارى ٤٢٤ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٩ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، ومعجم ما استعجم ١/١٤٤ . وبرواية ثانية فى شعراء النصرانية ١/١٨٩ .

ــــــــــ كَأَنَّها ــــــــــ

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

تَصَاعَدُ فى بطحاءِ عَرْىٍ كَـأَنَّمَا ــــــــــ

لِتَغْلِبَ أَبْكِي إِذْ أَثَارَتْ رِمَاحُهَا
غَـوَائِـلَ شَرٍّ بَيْنَهَـا مُتَثَلِّمِ (١١)
وَكَانُوا هُمُ البَانِينَ قَبْلَ اخْتِلَافِهِمْ
وَمَنْ لا يَشِدْ بُنْيَانَهُ يَتَهَدَّمِ (١٢)

بِحَيٍّ كَكَوْثَلِ السَّفِينَـةِ أَمْـرُهُمْ
إِلَىٰ سَلَفٍ عَادٍ إِذَا احْتَلَّ مُرْزِمِ (١٣)

إِذَا نَزَلُوا الثَّغْرَ المَخُوفَ تَوَاضَعَتْ
مَخَارِمُهُ وَاحْتَلَّـهُ ذُو المُقَدَّمِ (١٤)

أَنِفْتُ لَهُمْ مِنْ عَقْلِ قَيْسٍ وَمَرْثَدٍ
إِذَا وَرَدُوا مَاءً وَرُمْحُ بن مَرْثَمِ (١٥)

(١١) الغوائل : ما يغول حلومها اى يذهب بها . متثلم : لا تنسد ولا تلتئم . يعلق التبريزى قائلا : يرق قلبى لهذه القبيلة لما اختلفت اهواءهم تَثَلَّمَتْ جوانبها فلا تنسد ولا تلتئم» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى المفضليات ٢١٠ ، وشرحها للأنبارى ٤٢٤ ، وشرحها للتبريزى ٥٠٩ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، واشار الأنبارى إلى رواية ثانية للبيت : «لتغلب فابكِي ...» .

(١٢) شاد بُنْيَانَه : زينه وطوله . ويقول التبريزى : « اى كانت تغلب قبل وقوع الخلاف بينهم يَبْتَنُونَ المكارم ، ويتعاونون على اكتساب المعالى ، ولا يتضاغنون » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى المفضليات ٢١٠ وشرحها للأنبارى ٤٢٤ وشرحها للتبريزى ٥١٠ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ واشار الأنبارى إلى رواية ثانية :

ـــــــــــــــ وَمَن لَايَذُدْ عَن حَوضِـهِ يَتَهدَّمِ

(١٣) كَوْثَلٌ : سكانها . السلف : واحد وجمع ، ما تقدم منهم ، عاد : يريد متجاوز ، اى عدا كل حد فى الارتفاع ، إذا احتل : إذا نزل لم يقلعه شىء لأنه لا يخاف . مُرْزِم : له رزمة لطول إقامته ، والرزمة : الصوت والجلبة . ويعلق التبريزى بقوله : «والمعنى انهم كانوا يقومون بأمر الحى ويقوّمون ما أعوج منها ، وكانوا يقومون شئون الناس فى إصلاح فاسدها وضبط ما تخلل من اركانها كالسكان من السفينه» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٠ وشرحها للأنبارى ٤٢٤ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء الجاهلية ١٨٩/١ ، واشار التبريزى إلى هذه الرواية . وورد برواية ثانية فى : شرح المفضليات للتبريزى ٥١٠ . •

لِحَيٍّ ـــــــــــــــ ـــــــــــــــ

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

ـــــــــــــــ أَمْرُهَا ـــــــــــــــ

(١٤) المخارم : واحدها مَخْرِم وهو الطريق فى الغلظ وأنف الجبل . احتله : رحَّلَه . ذو المُقْدُم : يعنى التقدم . «وهذا مثل لعزتهم ومنعتهم ، وأنه يلين لهم كل مستصعب» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١١ ، وشرحها للأنبارى ٤٢٥ وشرحها للتبريزى ٥١٠ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ ، والذى أشار بدوره إلى رواية ثانية للبيت :

ـــــــــــــــ ـــــــــــــــ ذو تَقَدُّم

(١٥) عقل : دِيَّة . رُمْح بن هَرْثَم : رجل . أراد : أَنِفْتُ لهم أن يأخذوا بعقل من قتل منهم فينظر الناظر إلى إبلهم إذا وردت فيقول هذه إبل اخذوها من عقل فلان وفلان فَيُعَيِّرُون بذلك .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١١ وشرحها للأنبارى ٤٢٥ ، وشعراء النصرانية ١٨٩/١ . وبرواية ثانية فى : منتهى الطلب ٣٠٧ .

ـــــــــــــــ ـــــــــــــــ هَرْثَمِ

وبرواية ثالثة فى شرح المفضليات للتبريزى ٥١٠ .

ـــــــــــــــ ـــــــــــــــ ابنِ هَرْثَمِ

وبروايه رابعة فى معجم الشعراء ٣٠٧

ـ من عقـل عمـرو بن مـرثـد ـــــــــــــــ ابْنِ هَرْثَم

وأشار الأنبارى إلى رواية خامسة :

أَنِفْتُ لهم من عقل عمرو بن مرثد إذا وردت ماء ورمح ابن هرثم

واشار ايضاً إلى رواية سادسة : «إِذَا وَرَدا ماء» .

وَيَوْمًا لَدَى الحَشَّارِ مَنْ يَلْوِ حَقَّهُ
يُبَذْبَزْ وَيُنْزَعْ ثَوْبُهُ وَيُلَطَّمِ (١٦)
وَفِى كُلِّ أَسْوَاقِ الْعِرَاقِ إِتَاوَةٌ
وَفِى كُلِّ مَا بَاعَ امْرُؤٌ مَكْسُ دِرْهَمِ (١٧)

وَقَيْظُ العِرَاقِ مِنْ أَفَاعٍ وَغُدَّةٍ
وَرِعْيٍ إِذَا مَا أَكْلَؤُوا مُتَوخِّمِ (١٨)
أَلَا تَسْتَحِى مِنَّا مُلُوكٌ وَتَتَّقِى
محارمنا لا يَبُوُؤُ الدَّمُ بالدَّمِ (١٩)

(١٦) الحشّار : الحاشر وهو الجابى يجمع المال . ويضيف التبريزى قائلا : وحكى انه سُمّى حشارا لأنه كان مجمع القوم الذين تتابعوا فى الشر وتآمروا فى القطيعة والفساد ..» . يلو : يمطل . يبزبز : يسلب . ومعنى ينزع ثوبه : أى يهتضم ويؤخذ سلبه .

ورد البيت بالرواية السابقة فى :

المفضليات ص ٢١١ ، وشرحها للانبارى ٤٢٥ وشعراء النصرانية ١/١٨٩ .

وبرواية ثانية فى : شرح المفضليات للتبريزى ٥١١، ومنتهى الطلب ٣٠٧ :

ـــــــــــ وَيُظلَّمِ

وأشار الانبارى فى شرح المفضليات ص ٤٢٥ إلى رواية ثالثة ، هى رواية الأصمعى :

ـــــــــــ يُتَرتَرِ وُينزع ثَوبُه وُيلَطَّمِ

وأشار التبريزى فى شرحه للمفضليات إليها ايضا . والترترة : العجلة .

وأشار ايضاً التبريزى إلى روايتى :

«يُبَزْبِز» ومَنْ يُلْوَ حقه» اى من استضعف ومنع حقه .

(١٧) الإتاوة : الخراج . وقيل : إنها الرشوة . وقيل : كل ما أخذ بكره . والمكس : دراهم كانت تؤخذمن بائع السلع فى الأسواق فى الجاهلية . وفى قوله «مكس درهم» أى نقصان درهم بعد وجوبه . ويعلق الجاحظ على هذا البيت بقوله : «إن ملوك العرب كانت تأخذ من التجار فى البر والبحر وفى أسواقهم المكس ، وهى ضريبة كانت تؤخذ منهم ، وكانوا يظلمونهم فى ذلك ، ولذلك قال التغلبى وهو يشكو ذاك فى الجاهلية ويتوعد .. البيت» .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١١ ، وشرحها للانبارى ص ٤٢٦ ، وشرحها للتبريزى ٥١٢ ، والحيوان ٦/١٥٦ ، الجمهرة ٣/٤٦ وشعراء النصرانية ١/١٨٩ .

وبرواية ثانية فى الحيوان ٦/١٤٨ ، ومقاييس اللغة ١/٥٠ غيرمنسوب لشاعر :

ـــــــــــ أتاوة ـــــــــــ

وبرواية ثالثة فى : منتهى الطلب ص ٣٠٧ .

ـــــــــــ الحِجَاز ـــــــــــ

وبرواية رابعة فى : اللسان (مكس) ،منسوباً لجابر بن حنى التغلبى :

أفى ـــــــــــ

وبرواية خامسة فى اللسان (اتى) ، منسوباً لجنى بن جابر التغلبى

ففى ـــــــــــ

وأشار التبريزى فى شرح المفضليات إلى رواية سادسة : «وَكْس» ، ورواية سابعة : «فى كُلِّ اسْوَاق الحجاز» .

(١٨) القيظ : شدة الحر . الغُدّة : طاعون الإبل . الرعى : الكلا يرعى . أكلؤوا : كثر كلؤهم . متوخم : وبيل غير مرىء .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١١ وعلق محققا المفضليات فى هامش الصفحة أن «هذا البيت زيادة من نسخة المتحف البريطانى» وشعراء النصرانية ١/١٨٩ .

(١٩) لا يبوء : يقال فلان بواء بفلان إذا قيد به فكان كذواله . ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١١ وشرحها للانبارى ٤٢٦ والحيوان ٦/١٤٨ للتغلبى ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١/١٩٠ .

وبرواية ثانية فى شرح المفضليات للتبريزى ص٥١٢ .

ـــــــــــ لايَبُوءِ ـــــــــــ

وأشار المحقق إلى رواية ثالثة وردت فى إحدى النسخ الخطية التى اعتمد عليها فى تحقيق الكتاب «يَبُوءِ» .

وبرواية رابعة فى شرح أبيات سيبويه للنحاس ٣١١ بلا نسبة .

الا تنتهى عنا ـــــــــــ لايُبَاءِ ـــــــــــ

وبرواية خامسة فى اللسان (مكس) :

الا ينتهى عنا ـــــــــــ لا يَبُوءِ ـــــــــــ

وبرواية سادسة فى اللسان (بوا) ، للتغلبى .

الا تنتهى عنا ـــــــــــ لا يُبَاءُ ـــــــــــ

الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة

٢

يقول الدكتور علم الدين كمال الأستاذ بكلية العلوم جامعة القاهرة فى بحثه عن التطور فى الكائنات الحية : (إن علماء التطور لا يقولون إن الإنسان انحدر من القرد ، وإنما يعتقدون أن الإنسان والقرد كان لهما سلف مشترك) وهناك مجموعة من الأدلة الأخرى مستمدة من علوم مختلفة مثل علم التوزيع الجغرافى للكائنات الحية ، علم وظائف الأعضاء ، وعلم الوراثة .

نشأة الحياة : ذلك الموضوع العويص ، **الذى قدم له المؤلف بعرض لبعض الاعتقادات القديمة عن كيفية نشأة المادة الحية وظهور الأنواع المختلفة ، كما كان عند قدماء المصريين والهنود والأغريق . يرى (افلوطين) مؤسس الافلاطونية الحديثة أن جميع الكائنات الحية نشأت نتيجة لتسامى المادة بواسطة روح تهب الحياة . ثم عرض للاعتقاد عن نشأة الحياة إبان القرون الوسطى ، فالقرن الماضى ، حتى وصل إلى أحدث الاعتقادات ، وهى التى أبَانَ عنها العالم السوفييتى الكسندر إيفانوفيتش أوبارين فى كتابه (نشأة الحياة على الأرض) فى الخمسينيات من القرن الحالى .**

نظرية اوبارين : فى نشأة الحياة على الأرض **تتلخص فى أن الحياة حالة من أحوال المادة وأنها نشأت على الأرض وفقا للخطوات التالية :**

تطور المواد غير العضوية إلى مواد عضوية أولية ←

تطور المواد العضوية إلى البروتينات ← النقاط التجمعية (التجمعات أو الأكوام من المواد العضوية المعقدة) ← نشأة البروتوبلازم الحى ← ظهور الخلية الحية .

بعد أن عرض المؤلف باختصار لكل واحدة من هذه الخطوات التى فصلها أوبارين صاحب النظرية ، قدم للقارىء رأى نفس العالم فى المدى الزمنى (أو عمر) هذا التطور ، حيث يعتقد أن الأرض ظلت أربعة أخماس عمرها (٤٠٠٠ مليون سنة تقريبا) خامدة ، وكان تطور المادة خلال هذه المدة المذكورة بعمليات غير حيوية بطيئا للغاية . ثم ظهرت بعد ذلك «النقاط التجمعية» ، ثم انقضت ملايين السنين بعد ذلك حتى ظهرت الكائنات الحية الأولية . ثم ظهرت عملية البناء الكلوروفيلى . ثم فى المليون سنة الأخيرة ظهر الإنسان ، وظل بدائياً لمدة طويلة . وفى خلال عشرات القرون الأخيرة فقط ظهر التطور الاجتماعى للإنسان .

التطورية الداروينية والدين : بالنسبة لإنكار الألوهية ، فإن من أشهر منكريها كان لا بلاس ، ففى عام ١٧٩٩ م ـ حينما قدم نظريته عن التطور فى النظام الشمسى من السديم ـ سأله

تأليف
أ.د. يحيى هاشم حسن
عرض وتحليل
د. كارم السيد غنيم

نابليون عن مكان الخالق فى هذه النظرية ، فأجاب فى خيلاء : (ياصاحب الجلالة لست بحاجة إلى تلك الفرضية) . وهكذا أخذ الأمر يجرى فى نظرية التطور عند داروين ، ومهما يكن موقف داروين من الدين ، فإن الحوار الذى جرى حول نظريته وجه الأذهان إلى ضرورة إعادة النظر إلى «الكتاب المقدس» ، وبالذات إلى سفر التكوين فى ضوء النتائج العلمية الحديثة . ويقول بعض العلماء : لو كانت نظرية النشوء والارتقاء صحيحة ، لكان معناها رفض قصة الخلق التى وردت فى الكتاب المقدس . ولذا اعتبرت الكنيسة فى الحال عند ظهور النظرية الداروينية أن هناك خطراً يهدد الدين . ثم عرض المؤلف لدفاع **الأستاذ إسماعيل مظهر** عن داروين وأبعاد شبهة إنكار الألوهية عنه ، وكذلك فإن الأستاذ **عباس العقاد** يرى أن والاس وداروين لم يكونا ملحدين أو معطلين ، وإنما غاية ما ذهب إليه داروين هو أن التطور يفسر تعدد الأنواع الحيوانية والنباتية ، ولم يقل بأنه يفسر خلق الحياة . كما قدم **الأستاذ يوسف كرم** دفاعه عن دارون ، ثم أنهى مؤلفنا هذه المناقشة بتبيان مسألة هامة وهى أن الماديين الملحدين استغلوا هذه النظرية واغتصبوها لحساب الإلحاد وإنكار وجود الإله .

نقد نظرية التطور الداروينى : يفرغ مؤلفنا الآن لتفنيد ونقد هذه النظرية ، ويتوجه فى هذا إلى ناحيتين : ناحية عامة ثم ناحية خاصة .

الناحية العامة : هى التى يشترك فيها ما يشاع عن النظرية مع النظريات الأخرى التى تحاول أن تتخذ من العلم التجريبى سنداً لرفض المعرفة الإلهية أو الميتافيزيقية ، وذلك حيث تقوم على «الاعتقاد» بأن المادة أصل الأشياء . وقام المؤلف بنقد النظرية من هذه الناحية فى كتب سابقة له ثم أكمله فى هذا الكتاب فى مبحث (حتمية القانون لا تلغى الإرادة الإلهية) وهو آت بعد .

أما نقد النظرية من **الناحية الخاصة** فهو يدور فى خمس نقاط ، صال مؤلفنا فيها وجال عبر اثنتين وعشرين صفحة فى هذا الفصل ، نلخصها كما يلى :

أولا : نقد النظرية فى الأوساط العلمية .
ثانيا : قيام النظرية على جملة افتراضات أو اعتقادات غير ملزمة .
ثالثا : اعتماد النظرية على مبدأ «الصدفة» .
رابعا : اقتصار النظرية على مبدأ «التشابه والترتيب» .
خامسا : افتراض صحة النظرية لا يلزم بإلغاء الألوهية أو إبطال الإرادة الالهية .

أخذ المؤلف يبين **الحتمية الإسلامية فى إخراج آدم من نظرية التطور الداروينى** على أساس ما جاء به القرآن الكريم ، مستدلا

←

بالنصوص القرآنية التالية : الحجر/ ٢٨ ـ ٣١ ، البقرة/ ١١ ـ ٣٤ ، الإسراء/ ٦٠ وما بعدها ، الكهف/ ٤٩ وما بعدها ، طه/ ١١٥ . وكلها توضح أن آدم خلق مستقلا وليس على مراحل من التدرج غير الملحوظ فى مدارج الأنواع المختلفة .

كما تدل الآيات ٣٠ ـ ٣٣ من سورة البقرة على أن آدم حينما ظهر ، ظهر وهو فى أعلى مراحل النضج البشرى . وتؤكد الآيات ٥٩ ، ٦٠ من سورة آل عمران على أن خلق آدم لم يتفق مع السنن العادية ، كما تقضى بذلك نظرية التطور إن صحت ، وإنما على نحو خارق لهذه السنن .

وفى ختام الفصل يعرض مؤلفنا لآراء علماء السوسيوبيولوجى (علم الأحياء الاجتماعى) ، وعلماء البيولوجيا ، وعلماء الاجتماع الوضعيين والتاريخيين ، وعلماء الأنثروبولوجى والتى تقضى كلها بما قرره الإسلام من قبل حول (أصل الإنسان) ـ برغم أنف السطحيين من أذناب الداروينية .

كان موضوع الفصل الثالث فى الكتاب محل العرض والتحليل هو **(مذهب التطور الاجتماعى)** ، حيث استهله صاحبه بتقديم لمحة عن نشأة هذا المذهب ، حيث يقول : يرجع التفكير التطورى فى عمومه إلى زمن أبعد من ظهور دارون ، كذلك فإنَّ فكرة التطور بمعنى التقدم والارتقاء من مرحلة دنيا ومستوى متخلف إلى مرحلة الحضارة الحديثة ، ظهرت فى كتابات عدد من علماء الانثربولوجيا والثقافة والاجتماع قبل أن تظهر نظرية دارون بقرن كامل على الأقل . ثم أورد مؤلفنا أقوالاً لبعض علماء الانثروبولوچيا منهم جوستاف كلم (١٨٠٢ ـ ١٨٦٧) الذى قسَّم الجنس البشرى إلى قسمين (ثنائية السلالات البشرية) ، شعوب سلبية مقلدة غير مبتكرة ، شعوب فعالة مؤثرة خلاقة ، وأخذ يوضح عملية الانتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية .

ما هى نظرية سبنسر فى التطور الاجتماعى ؟

ما هى المزالق التى وقع فيها أشياع نظرية التطور الداروينى من المسلمين المعاصرين ؟

(يقول إسماعيل مظهر مدافعاً ومؤيداً للذين قالوا بتطور الدين من مراحل دنيا إلى مراحل عليا : علمتنا هذه الأبحاث أن مثل الأديان كمثل الأنواع الحية فى الطبيعة ، لم تُخْلَقْ فجأة ، بل إنها قد مضت متطورة فى خُطاً نشوئية تدريجية ، حتى أن الديانات التى أتى بها مبشرون من أكبر من يذكرهم التاريخ قدراً ، قد كونت على أساس كان بذاته نتاجا لِخُطاً من النشوء والتدرج المستمر) ..

ويقول مؤلفنا مفنداً آراء هرمان راندال فى كتابه (تكوين العقل الحديث) : إن تطبيق فكرة التطور على «الدين» تؤدى منطقياً إلى ما ذهب إليه فويرباخ من الاعتراف بالدين على أنه من صنع الإنسان .

والقول بأن فكرة «الله» نفسها ليست سوى مَثَل أعلى متغير وضعه الناس لأنفسهم سداً لحاجات ما يسميه «التجربة الدينية» ، وهى عند من لا يكشفون عن وجوههم تؤدى بالضرورة إلى تكوين النصوص الدينية التى تقرر سمو التصور الدينى عند سيدنا آدم عليه السلام ، وتقرر استحالة قبول تعدد الآلهة فى أى عصر من عصور النبوة كما تقرر وحدة الدين عند الله .

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾ . وقد تنطبق هذه النظرية ـ أو لاتنطبق ـ على الأديان الوضعية ، أما الدين الذى هدى الله إليه

الإنسانية منذ آدم ، فلا يقبل هذه النظرية على أى حال من الأحوال .

نقد نظرية التطور الاجتماعي : أخذ مؤلفنا يدحض هذه النظرية ويبطل مزاعمها وينقض أركانها ركناً بعد الآخر ، وهى على التوالى :

١ ـ ادعاء المماثلة بين النوعين من التطور ، البيولوجى والاجتماعى (أو بمعنى آخر : قياس التطور الاجتماعى على التطور البيولوجى) .

٢ ـ ادعاء التلازم بين التطور والتقدم .

٣ ـ ادعاء القدرة على تفسير التاريخ والحضارة .

٤ ـ الاعتماد على نذر قليل من المعلومات .

٥ ـ الاكتفاء بالتأملات الافتراضية والأحكام الاعتقادية .

ثم ختم المؤلف فصله الثالث بشرح التطور الأخير لعلم الاجتماع المعاصر ، وأخذ يبين الفروق بين التطورية المعاصرة وبين التطورية القديمة . وكانت آخر كلماته : إن النتيجة التى نخرج بها من هذا المبحث هى أن التطور والتقدم كليهما لا يفسر لنا «الدين» ، بل على العكس من ذلك فإن الدين هو وحده الذى يمكنه أن يقدم تفسيراً للتطور والتقدم .

ما المقصود بـ **(حتمية القوانين الطبيعية)** ؟

وكيف يتبين لنا أنه لا حتمية لهذه القوانين هذا هو موضوع الفصل الحالى .

يقول علماء الطبيعة والفلاسفة بادعاء الحتمية ، فما هى الحتمية المقصودة ؟

يقدم مؤلفنا تعريفا لها هو : أن المغالطة الكبرى التى يروج لها أذناب المادية باسم المنهج العلمى التجريبى هى أن **العلم المادى الحديث** ينتقل بنا من حضيض الأوهام والظنون التى يورطنا فيها الفكر الأسطورى أو الميتافيزيقى ، ويرتفع بنا إلى مستوى القوانين الحتمية ، أى القول بأن لكل ظاهرة طبيعية علة طبيعية توجب وقوعها ، ولكل علة معلول ينشأ عنها ، فالظواهر يتحتم وقوعها متى توافرت أسبابها ، ويستحيل أن تقع مع غياب هذه الأسباب ، وهذه الاستحالة هى ما يسمى بـ «الضرورة» أو «الحتمية» ويوضح «لويس دى بولى» أن نجاح فرض «الحتمية العامة» يشكل أحد المبادىء الراسخة فى الفكر العلمى .

انبرى مؤلفنا لفضح هذه الفرية ، وإثبات أنه لا حتمية للقوانين الطبيعية ، وقد استغرقت مساحة هذه المباراة الثقافية العلمية خمسة وعشرين صفحة من الكتاب تضمنت فقراتها ما يلى :

١ ـ اكتشاف اللاحتمية فى تاريخ العلم الإسلامى (أو فى ميدان الفكر الإسلامى) .

٢ ـ وفى ميدان العقيدة والفلسفة الإسلامية .

٣ ـ وفى ميدان الفلسفة الحديثة والمعاصرة .

٤ ـ وفى ميدان العلم التجريبى .

وهنا أوضح المؤلف أن مشاكل عويصة تعترض «الحتمية» التى يدّعيها الفلاسفة والعلماء الماديون ، تلك هى : المفاهيم الغامضة ، احصائية القوانين ، تضارب بعض القوانين المعتمدة (قانون الضغط الهوائى ـ قانون الجاذبية والتنافر الكونى ـ تفسير ظاهرة الضوء) .

٥ ـ وضوح اللاحتمية فى العلوم الإنسانية .

٦ ـ اللاحتمية فى علم الوراثة .

٧ ـ اللاحتمية فى التفسير الاقتصادى للتاريخ .

وينتهى إلى القول بأنه بانهيار حتمية القوانين الطبيعية ينهار أساس هام من أسس الإلحاد المادى المعاصر الذى يشوش بهذه الحتمية الطبيعية على الاعتقاد بخضوع الكائنات للإرادة

الإلهية . وامتداداً لهذه المناقشة يأتى موضوع الفصل التالى .

هل هناك تعارض بين «الحتمية» وبين «الألوهية» أو «الإرادة الإلهية» ؟

نعم ،
فما دواعى هذا التعارض ؟

وهل يوجد مثل هذا التعارض بين حتمية القوانين الطبيعية وبين الإرادة الإلهية فى الجو الإسلامى ؟

يقول المؤلف فى هذا الصدد : إن افتراض حتمية القانون لا يلغى الإرادة الإلهية إلا عند أولئك الذين يتصورون الألوهية تصوراً بشرياً ، منشؤه استمدادهم هذا التصور من الأساطير الشرقية أو الأغريقية ، وهؤلاء لا مجال لهم فى الجو الإسلامى ، إننا نجدهم فى البيئة التى نشأ فيها رُسِل وأمثاله . يقول أندرو ديكسون وايت فى التصور الذى كان يسود أوروبا عن «الله» : (من بين مجموعة النقوش الكاتدرائية التى تعبر عن كثير من حقائق اللاهوت فى العصور الوسطى ، نقش يمتاز بالتعبير عن مذهب لاهوتى فى أصل الكون ظل موضع الاحترام والإجلال أزماناً طوالاً : الواحد القهار فى صورة بشرية ، جالس بوداعة ولين ، يصنع الشمس والقمر والنجوم ، ويعلقها فى القبة الصلبة التى تحمل من فوقها السموات العلى ، وتظلل الأرض السفلى . أما علائم التفكير الظاهرة فى تَقَطُّبِ جبينه فتنم عن أنه أجهد نفسه إمعاناً فى التدبير ، كما يدل انتفاخ عضلات ذراعيه على أنه قد اضطر إلى أن يكد وينصب . ومن الطبيعى أن يكون المثَّالُون والمصورون خلال القرون الوسطى وفى بدء العصور الحديثة قد عمدوا إلى تمثيله على مقتضى ما تصوره كُتَّاب ذلك العصر ، إذ كانوا يقولون بأنه استراح فى اليوم السابع . ومن هنا حق للعلماء التجريبيين فى أوروبا أن يقعوا فى وهم التناقض بين النظام الطبيعى وبين الألوهية .

بَيَّنَ مؤلفنا أن البيئة الدينية فى أوروبا القرون الوسطى كانت كلها خرافات وأساطير تتنافى مع العقل الواعى والفكر المستنير ، وهو ماأدى إلى ظهور «الفلسفة المادية الحديثة» كرد فعل آنذاك . ثم استعرض أفكار بعض الفلاسفة والعلماء حول السبب والنتيجة «أو العلة والمعلول» فى العلوم الطبيعية ، وهى الأفكار التى توصل بها أصحابها إلى أن إحكام القوانين الطبيعية أو ثبوتها يفيد عدم الحاجة إلى «الله» أو بمعنى «الإرادة الإلهية» فى إدارة أعمال الحياة .

وفى تفنيد مؤلفنا لهذه الآراء الضالة ونقده لها ، بَيَّن الفرق بين السبب الحقيقى.وبين السبب العلمى ، وما هو الشرط الكافى وما هو الشرط الضرورى ، ومتى يكتفى العلماء بالشروط الضرورية ومتى يكتفون بالشروط الكافية ، ثم تحديد اصطلاح «السبب» ، وبيان أن السببية العلمية ليست سببية حقيقية ، وتوضيح كيف أن السببية تقتضى التسليم بالألوهية ، ثم بيان الفرق بين العدمية وعدمية التصور أى الفرق بين عدم وجود الله وبين عدم القدرة على تصور ذاته وصفاته ، وتحديد موقف الإنسان من «الْمَالاَ يُعْرَفُ» .

وفى سبيل إثبات ضرورة البحث عن «السبب الأول» يقول مؤلفنا : ... ومن هنا فإنه لابد لنا من استنتاج وجود الإرادة الإلهية وراء الأسباب الظاهرية على نسق ما ندركه من وجود إرادة لذواتنا وراء أحداثنا للظواهر الحسية .

ثم يرد على المنكرين للإرادتين (الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية) ، ويبين أن «الوعى» لا يمكن تفسيره ماديا .

ثم ينبرى لفضح فكر الملحدين ، فهم يبدأون من «الإيمان بالمادة» وينتهون إلى إنكار المادة او التشكيك فيها . الجزئيتان التاليتان اللاتان شرحهما المؤلف هما : إثبات الإرادة الإلهية ضرورة عقلية ، وإثبات الإرادة الإلهية ضرورة علمية .

قبل أن يحدد المؤلف «الإرادة الإلهية» فى التصور الإسلامى يمر على أينشتاين ليعرض للقارىء من أقواله وآرائه ما يوضح تردده فى الاستدلال على وجود الإرادة الإلهية وراء القوانين الطبيعية ، ثم يقول : ....

وأينشتاين طبقا لهذا التحليل يرى أن رجال الدين يخاطرون عندما يجعلون بقاء الدين مرهوناً بقصور العلم ، ومن هنا يقول : (إن العقيدة التى تقوى على البقاء فى الظلام ، ولا تبقى عليه فى وضح النهار ، لابد أن تفقد تأثيرها فى الناس) . ويصل أينشتاين بعد ذلك إلى النصيحة التالية التى يقدمها لرجال الدين (لابد لعلماء الدين أن يتخلوا عن مبدأ العقيدة فى إله له صفة الأشخاص) يعنى ذلك الإله البشرى الذى نجده فى التصور المسيحى ، أو التصورات الوثنية .

ونحن نقول : إن المشكلة التى أحس بها اينشتاين لا وجود لها فى العقيدة الإسلامية ، ذلك : اولا : لان الإله الذى له صفة الأشخاص مرفوض تماماً فى الإسلام ، فهو ـ تعالى ـ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ ﴾ .

ثانيا : لأن القواعد والقوانين الكونية التى يكشفها العلم ، لا تطارد الدين فى ظل المفهوم الإسلامى ، بل تؤكده ، ذلك لان هذه القواعد كائنة وباقية ومستمرة بضمان إلهى ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ . فمن مبدأ الأمر لا تناقض بين الدين والعلم ولا يضطر العلم الدين الإسلامى إلى التراجع إلى منطقة الظلام .. وهكذا يصبح من الجلى اننا لا نرضى فى عقولنا فكرة التسلسل السببى التى قد يأخذ بها العلم الحديث ـ إلا بالاعتقاد فى أن الأشياء لابد أن ترجع فى النهاية إلى علة اولى .. وهذا بدوره يلزمنا الاعتقاد بوجود إرادة عاقلة وراء الظواهر الطبيعية ..

إن الله سبحانه له الكمال المطلق ، فهو أيضاً له الإرادة المطلقة ﴿ إِنَّ اللهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وهذه الإرادة المطلقة تفسرها لنا القوانين الطبيعية ، ولا تتعارض معها . .

يتبع .

كارم السيد غنيم

من خير ما نشر

● نشرت الأهرام صباح الأحد ٢٠ من رجب ١٤٠٩ / ١٩٨٩/٢/٢٦ الكلمة التالية للسيد المستشار محمد عزت الطهطاوى بالعنوان التالى :

أصداء :

مجلة الأزهر والصحافة الأدبية

طالعتنا جريدة الأهرام فى صفحة الأدب بمقال للدكتور عبد العزيز شرف يفهم من مضمونه أن الساحة الثقافية المصرية تكاد تكون خالية من المجلات الأدبية والثقافية اعتماداً على ما سجلته المجالس القومية المتخصصة عن حاجتنا إلى وجود مجلات أدبية وثقافية تستطيع أن تقوم بالدور الذى كانت تقوم به هذه المجلات منذ أربعين أو خمسين عاماً حتى أن بعض الناشرين اتجه إلى إعادة تصوير وطبع ونشر مجلة الرسالة التى كانت تصدر منذ نصف قرن .

وأنوه هنا بمجلة أدبية عريقة جامعة هى مجلة الأزهر التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

فهذه المجلة بالإضافة إلى ما تحويه من تفسير للقرآن الكريم وشرح للسنة النبوية المطهرة تتضمن الكثير من المقالات الدينية والعلمية والعلوم الكونية ، كما تحوى بابا مستقبلاً عن الشعر يشرف عليه عالم أصيل وأديب مطبوع هو الدكتور حسن جاد ، فضلاً عن باب اللغة والأدب والنقد يسهم فيه القمم من العلماء والأدباء والبلغاء وعلماء اللغة .

وغيرهم كثير مما جعل«مجلة الأزهر بحق تسد فراغ المجلات الأدبية والدينية ولا أدل على ذلك من سعة انتشارها والإقبال عليها فى داخل بلادنا المصرية وخارجها من البلاد العربية والإسلامية ، ومن نافلة القول أن نشير أن المرحوم الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الأدبية فى أواخر سنى حياته كان رئيساً لتحرير مجلة الأزهر .

حكم القانون فى تعويضات طابا

د . جمال مرسى بدر

جاء تعنت الجانب الإسرائيلى فى موضوع التعويضات عن الفندق والمنشآت السياحية فى طابا . والوضع القانونى واضح كل الوضوح لكون طابا أرضاً مصرية قبل قرار التحكيم وبعده فإن القانون الذى يطبق فى هذا النزاع ـ بلا مناقشة ـ القانون المصرى .

والمادة ٩٢٤ من القانون المدنى المصرى تنص صراحة على أنه فى حالة إقامة بناء فى

تقديم : صفوت عبد الجواد
عادل رفاعى خفاجة

« ملك الغير » فإن لصاحب الأرض أن يطلب أحد أمرين : إما إزالة المبانى على نفقة من أقامها عالماً أنه لا يملك الأرض مع التعويض لمالك الأرض إن كان له محل ، وإما الاحتفاظ بالمبانى مقابل دفع قيمتها لمن أقامها مستحقة الهدم » . أى ليس لإسرائيل سوى قيمة أنقاض تلك المبانى طبقا للقانون .

كـل يـوم

الأستاذ : محمد عبد المقصود

فشل(مؤتمر داكار) الذى جمع بين الدول الأفريقية والدول الأوروبية لمناقشة مشاكل دفن النفايات السامة . ويبرز فشل المؤتمر قضية خطيرة وهى أن الدول الكبرى فى بحثها عن التخلص من نفاياتها الصناعية والكيماوية لايهمها سوى حماية مجتمعاتها فقط ، وهذه الصفقات القذرة تتم فى الخفاء ولايمكن اكتشافها إلا بعد أن يموت الزرع ويجف الضرع ويصاب الآلاف بالسرطان ، وعندها يكون قد فات الأوان .

أقوى من التحديات

الأستاذ : صلاح منتصر

مهما اختلفت الطرق فالاتفاق بين جميع المدخنين السابقين على ضرورة أن يكون لديك فى داخل نفسك رغبة قوية بالامتناع عن التدخين . إنك تسير خطوة إلى كل أنواع السرطانات المختلفة المعروفة والمجهولة مع كل سيجارة تشعلها ... وإنك تزيد فرص الإصابة بالقلب والضغط والسكر ... حتى لو لم تكن فى حاجة الى هذه (الفلوس) التى تحرقها مع السجاير فما أسعد أن تغدق بها على الآخرين وتسعدهم وتعتبرها (زكاة) صحة .

« مدمنو » الطريق السريع والعقوبة الرادعة !

الأستاذ : سعيد ابو العينين

لقد اعلن فضيلة المفتى منذ أيام أنه يرى إعدام المدمنين أيضا وليس فقط تجار المخدرات ومهربوها ومروجوها ، باعتبار أن هؤلاء جميعا هم من المفسدين فى المجتمع ..

والمدمنون من السائقين هم أخطر أنواع المدمنين ، فهم الذين أحالوا الطريق السريع إلى طريق للموت ، وكل الكوارث التى وقعت تشهد بذلك ، ومثل هؤلاء لاينبغى أن تأخذنا بهم شفقة ولارحمة .

نحن .. واعصار المخدرات : الاعدام .. وفورا .. هو الحل

الأستاذ : حلمى سلام

لكى ندرك مدى شراسة ذلك الإعصار ـ يكون مهماً جداً ـ وإن يكن مفزعا ومحزنا جداً .. أن نعلم ان ابحاثا علمية أجريت على شباب

من خير ما نشر

الجامعات أثبتت أن حوالى ٢٠ فى المائة من طلبة إحدى الجامعات من المدمنين وأن ٥٢ فى المائة من مجموع المدمنين فى بلدنا من الطلبة . وأن ٤٨ فى المائة من هؤلاء المدمنين فتيات .

ولسوف يظل شعبنا مستهدفا ما لم يرتفع (سيف الإعدام) ليجز عنق كل من يشارك فى عملية تخريب الشعب .

فكــــرة
الأستاذ : مصطفى أمين

أنا لا ازال أعتقد أن دولة أجنبية هى التى تتولى تهريب المخدرات إلى بلادنا . ولازلت أشك أننا نحارب عصابة دولية تستخدم « الكمبيوتر » و« التلكس » و« الطائرات » والأجهزة الحديثة لتقوم بعمليات التهريب الواسعة .

وأطالب بتأليف فرق للمقاومة فى النوادى والمدارس والكليات فإن كل بيت من بيوتنا مهدد . فلنفتح عيوننا جيداً للجريمة التى تهدد كل بيت .

علامة استفهام
الأستاذ : عبد السلام داود

هل حقا أنه ليس لأبناء مصر عمل فى مصر ؟

هل صحيح أن إسرافهم فى النسل قد سد الأبواب فى وجوههم طلباً للرزق ؟

هل صحيح أن الشريط الضيق الذى يتزاحمون فيه هو وحده الذى يضم خيرات مصر ؟

وإذا كان الواقع والعلم والدراسات تقول : إن مصر غنية بفرص العمل وبالمشروعات الاستثمارية ، أفلا يجدر بنا أن نتلفت حولنا لنرى هذه الكنوز التى يراها المستثمرون من كل جنس ولون ونطلق هذه الجيوش من الشرفاء الكادحين ليعملوا بها ؟

لهفى على أبناء بلدى الذين أرغمناهم على أن يتركوا بلادهم ليرووا أرض غيرهم بالعرق !

المدعو سلمان رشدى
للأستاذ محمود مهدى

مازال الحديث مثاراً حول « المدعو » سلمان رشدى ذلك الهندى الأصل الانجليزى الجنسية صاحب كتاب « آيات شيطانية » ...

والحقيقة أننى أعجب كل العجب من أمر هؤلاء الذين يتحدثون عن حرية الرأى والفكر فى موضوع هذا الرجل المارق الضال الذى طلع علينا أخيراً بآياته الشيطانية ليقف صاغراً خاسئاً فى طابور الحاقدين على الإسلام ورسوله ﷺ بعد أن أشرقت الأرض بنور ربها وطلع البدر على البشرية ليخرجها من الظلمات إلى النور ، ظلمات الجهل إلى نور العلم والعدل .

إن الهجوم على الإسلام ورسوله من إنسان محسوب على المسلمين ، ليس من الفكر أو الرأى فى شىء ، ولعل بعض الكتاب والروائيين الذين دافعوا عنه وفزعوا من حكم الخومينى[1] عليه قد غاب عنهم أن من دخل الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا يجوز له أن يهاجم الإسلام ولا تصل منه أن يعتدى بالقول أو بالفعل على رسول الإسلام ﷺ ...

---

(١) هؤلاء الذين فعلوا نفس الفعلة ، وأكرموا بسببها .. مجلة الأزهر

أنباء وآراء

إعداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح
عبد المنعم فـــوده

● مفتريات البريطانى الهندى .

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بيانا بشأن رواية سلمان رشدى وما فيها من إلحاد وإساءة للإسلام ورسول الله - ﷺ - نشرته مجلة الأزهر فى عددها الصادر فى جمادى الأولى ١٤٠٩ - ديسمبر ١٩٨٨ - وفيه بين فضيلة الإمام :

أن هذا الكتاب بأكاذيبه يتعرض بالتجريح لسيد الخلق سيدنا محمد - ﷺ - ويسىء إلى زوجاته - رضوان الله عليهن - بما فيه من اكاذيب وافتراءات دفعه إليها حنقه وإلحاده ورغبته فى الارتزاق من أيدى أعداء الدين الحنيف ، وأثار ذلك حنق المسلمين جميعا فى العالم أجمع .

ودعا فضيلته الهيئات الإسلامية والمؤسسات فى بريطانيا إلى التضامن نحو اتخاذ الإجراءات القانونية لمنع تداول الكتاب ، ودعا البلاد الإسلامية والعربية قاطبة إلى منع دخوله أراضيها .

وطالب - فى حينه - منظمة « المؤتمر الإسلامى » إلى أخذ دورها فى مواجهة هذا التزييف لخطورة ما فى الكتاب من أكاذيب وأضاليل وأباطيل .

● وفى اجتماع لمجمع الفقه الإسلامى برابطة العالم الإسلامى بمكة فى الثلث الأول من رجب ١٤٠٩ صدر استنكاره لما جاء فى الكتاب والإتفاق على أن صاحبه مرتدٌ .

اجتماعات الدورة الثالثة عشرة للمجلس الأعلى العالمى للمساجد

عاد إلى القاهرة يوم الثلاثاء ١٥ من رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٢ من فبراير ١٩٨٩ م فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق قادماً من المملكة العربية السعودية بعد حضوره اجتماعات الدورة الثالثة عشرة للمجلس الأعلى العالمى للمساجد الذى انعقد بمكة المكرمة فى الفترة من الحادى عشر إلى السادس عشر من شهر فبراير الحالى وذلك تلبية للدعوة التى وجهت إلى فضيلة الإمام الأكبر من الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى .

يستمر المجلس بدراسة التقارير المقدمة من المجالس القارية عن أحوال مساجد كل قارة

←

أنبــــاء وآراء

والوقوف على سير العمل بها ومعالجة المعوقات التى تعترض رسالتها بالإضافة إلى مناقشة بعض قضايا المسلمين المعاصرة .

وقد حضر فضيلة الإمام الأكبر الاجتماع الدورى للجنة المعلومات المنبثقة عن المجلس العالمى للدعوة والإغاثة الذى عقد بجدة فى ٦ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٨٩ م

تطبيق الشريعة الاسلامية

قرر الرئيس الباكستانى غلام اسحاق خان وضع القرار الجمهورى الخاص بتطبيق الشريعة الإسلامية لعام ١٩٨٨ بعد تعديله موضع التنفيذ فوراً .

وينص القرار الجمهورى على أن تكون الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للقوانين فى البلاد وتحويل المحاكم الأقليمية بأن تعتبر أى قانون يتعارض مع القرآن الكريم والسنة باطلاً وكأنه لم يكن .

خطة للأزهر تستهدف إنشاء ٢٣٣ معهداً فى الريف

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر على اعتماد أربعة ملايين جنيه لإنشاء ٢٣٣ معهداً دينياً فى قرى الريف المصرى . وقد ساهم الأهالى بجزء كبير من المبالغ المخصصة لبناء هذه المعاهد وذلك ضمن خطة الأزهر لإنشاء معهد دينى فى كل قرية .

تحريم إقامة التماثيل

انتقد فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر قرار فاروق حسنى وزير الثقافة بإقامة تمثال ضخم للكاتب نجيب محفوظ من البرونز لوضعه على مدخل مكتبة القاهرة الجديدة بالزمالك ، قال الشيخ المشد : إن الدعوة إلى إقامة تمثال لمحفوظ أو غيره هى دعوة إلى إتلاف المال العام حيث أنها لا تحقق أى فائدة للمتبرع ، ولا للمتبرع له ، ولا للشعب المدين المطحون . أضاف : أن علماء الإسلام أجمعوا على تحريم إقامة التماثيل ، وقد نهى الإسلام عنها نهياً صريحاً .

لابد من تطبيق الشريعة

انتقد الدكتور محمود نجيب حسنى رئيس جامعة القاهرة العمل بالقانون الوضعى وطالب بسرعة تطبيق الشريعة الإسلامية . وأشار فى الندوة التى نظمتها جامعة القاهرة فى الرابع والعشرين من جمادى الأخرة ١٤٠٩ هـ حول « القيم الخلقية الإسلامية ودورها فى بناء الفرد والمجتمع » إلى أن هذا القانون الوضعى يتسم بالمادية المفرطة ولابد من سرعة تطبيق الشريعة الإسلامية لحاجة الناس إليها .

قبيلة تركية تشهر إسلامها

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية : أن قبيلة كاملة بجنوب شرقى كينيا شهرت إسلامها . أضافت الوكالة : أن زعيم هذه القبيلة ـ وتدعى قبيلة « جلو » ـ شهر إسلامه بعد أن اطلع على بعض الكتب الإسلامية ، واتصل ببعض أصدقائه المسلمين . وأكد : أن الله فتح قلبه

للإسلام . فأسلم واقنع أفراد قبيلته بالإسلام ، وتم بناء مسجد للقبيلة تحت إشراف مكتب الدعوة الإسلامية فى نيروبى .

أبناء نيريرى المسيحى يدخلون الإسلام

أشهرت إبنة الرئيس التنزانى السابق جوليوس نيريرى إسلامها مؤخراً ، وذلك بعد ترددها على أحد المراكز الإسلامية فى كندا أثناء دراستها هناك . وبهذا يكون جميع أبناء نيريرى الرئيس الحالى للحزب الحاكم فى تنزانيا قد أسلموا . من المعروف أن نيريرى من أشد المتعصبين للنصرانية فى تنزانيا .

الأوروبيون يدخلون فى الإسلام

على مدى الخمسين عاما الماضية نجح أحد الدعاة المسلمين بألمانيا فى إقناع ٢٦٥٠ أوروبيا باعتناق الإسلام . فقد استطاع هذا الداعية المسلم المهندس محمد توفيق أحمد أن يؤسس دار تبليغ الإسلام فى ألمانيا وأخذ على نفسه تقديم دعوةالإسلام لكل البشر وتصحيح مفهوم الأوروبيين عن الإسلام . وكانت النتيجة أن أشهر قرابة ثلاثة آلاف أوروبى إسلامهم من فرنسا والسويد والنمسا والنرويج وألمانيا .

أسقف الفاتيكان يطالب بوقف المد الإسلامى

ذكرت وكالة الأنباء الإسلامية الدولية : أن الأسقف يوحنا بولس الثانى أسقف الفاتيكان الأكبر طالب خلال جولته الأخيرة فى أفريقيا بتعاون العالم المسيحى لوقف المد الإسلامى .

أشارت الوكالة إلى أن الأسقف شارك فى مؤتمر أخير نوقشت فيه أربعون دراسة عن أحوال المسلمين فى العالم مقارنة بأوضاع النصارى .

إسرائيل تشعر بالفزع من تطور البحرية الإسلامية

حذر الميجور جنرال أبراهام بن شوشان قائد سلاح البحرية الإسرائيلية من الإمكانيات العسكرية المتعلقة بسلاح البحرية فى الدول الإسلامية والتى اتضحت صورتها الخطيرة أثناء الحرب العراقية الإيرانية . أكد بن شوشان أنه على الرغم من أن حقائق الإمكانيات البحرية المتوافرة لدى العراق وإيران قد أكدت أن إسرائيل فى خطر حقيقى .

جامعة القرن الخامس عشر الإسلامية

وجه مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية بالعاصمة الأردنية عمان رسالة إلى ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية . ووزراء التربية والتعليم ورؤساء الجامعات والمؤسسات التعليمية والثقافية ، يدعوهم فيها إلى تأسيس جامعة كبرى باسم « جامعة القرن الخامس عشر » تضم جميع الكليات لجميع العلوم والمعارف التى تدرس فى الجامعات العلمية العريقة فى العالم ، وتتسع لمائتى ألف طالب على أسس العقيدة الإسلامية التى تعنى بصلاح الفرد والمجتمع . واقترح المجلس أن تقوم منظمة المؤتمر

←

الإسلامى الدوليه فى جدة بتشكيل لجنة من كبار العلماء المسلمين المتخصصين لبحث الموضوع من جميع جوانبه ، وبخاصة من حيث المكان والتمويل والمناهج وهيئة التدريس .

مركز للدراسات الإسلامية بالدار البيضاء

شيدت السلطات المغربية مركزاً للدراسات الإسلامية فى مدينة الدار البيضاء بالمغرب بهدف تزويد الباحثين والدارسين بمختلف المؤلفات العلمية والإسلامية وتوفير المراجع لهم .

تدريس مادة الثقافة الإسلامية

أوصى مجلس الخدمات التابع للمجالس القومية المتخصصة بتدريس مادة الثقافة الإسلامية والآداب الشرعيه ضمن المناهج الدراسية بكليات الطب المختلفة واعتبارها مادة أساسية على الطلاب .

كان المجلس قد اجتمع مؤخراً برئاسة الدكتور محمد عبد القادر حاتم المشرف على المجالس القومية المتخصصة لبحث كيفية التزام الطبيب بالسلوك المرضى الإسلامى الملتزم بشريعة الإسلام وقواعده الأساسية وضرورة توصيل ذلك لطلاب الطب فى جميع كلياتها حتى تعود لمهنة الطب أخلاقياتها .

اعدام تجار و مروجى المخدرات

طالبت لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب بإعدام تجار ومروجى المخدرات علناً بعد مناقشة قضية انتشار المخدرات وآثارها على المجتمع مساء الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩ م بعدما طُرح فى هذا الاجتماع ما يعانيه شباب المدارس والجامعات من أخطار الحقن والحبوب المخدرة .

وانتهى رأى أعضاء اللجنة إلى القرار المتقدم .

والمعروف أن لجنتى الاقتراحات والشكاوى والشئون التشريعية بالمجلس تقومان الآن بإعداد مشروع متكامل لمعاقبة تجار ومدمنى المخدرات .

فهـــرس العـــــدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	
د . على أحمد الخطيب	٨٦٥
● بيان شيخ الأزهر	٨٧١
● من صفات المؤمنين	
للأستاذ محمد عبد المنعم القيعى	٨٧٢
● خلق الإنسان ومبعثه	
د . محمود محمد رسلان	٨٧٥
● فى رياض السنة المطهرة	
د . رءوف شلبى	٨٧٩
● القيم الدينية للمقدسات الإسلامية	
د . عبد الفتاح بركة	٨٨٥
● من حديث الإسلام فى جنوب افريقيا	
د . عبد الجليل شلبى	٨٩٤
● الانتفاضة وإعلان قيام الدولة الفلسطينية	
للأستاذ السيد حسن قرون	٨٩٧
● من تاريخ .. ومدرسة القضاء إلى عهد الإمام المراغى	
د . مجاهد توفيق الجندى	٩٠٠
● إعداد الأمة للدفاع	
لواء ا . ح محمد جمال الدين محفوظ	٩٠٥
● الدعوة إلى الإسلام	
د . توفيق محمد شاهين	٩١١
● الفتـــاوى	
إعداد الأستاذ على حامد	٩١٨
● من اعلام الأزهر	
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٩٢٠
الشعر والشعراء	
إشراف د . حسن جاد	
● يانفس	
للشاعر عبد الوهاب الشامى	٩٢٤
● ازهـــر النـــور	
رشاد محمد يوسف	٩٢٥
● زهـــور الـرُبـــا	
نعمت عامر	٩٢٦
● طرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٩٢٨
● من روائع الماضى	
« ادب الجدل فى القرآن الكريم »	
إعداد : عبد الفتاح حسين الزيات	٩٣٠
● البرق والرعد وفيزياء السحاب	
ا . د أحمد فؤاد باشا	٩٣٥
باب اللغة والأدب والنقد	
● من تمام الحديث عن الاستاذ كامل السيد شاهين	
ا . عبد المنعم عبد الخالق	٩٤٢
● ديوان شعر جابر بن حُنى	
تحقيق : أيمن محمد على ميدان	٩٤٥
● الإسلام والاتجاهات العلمية	
عرض كارم السيد غنيم	٩٥٠
● من خير ما نشر	
للأستاذ عبد الفتاح السيد عبد السلام	
عادل رفاعى خفاجة	٩٥٦
● انبـــاء وآراء	
د . أحمد عبد الرحيم السايح	
الأستاذ عبد المنعم فودة	٩٥٩
القسم الإنجليزى	
إشراف د . انس النجار	
● المقالة الثانية	
للأستاذ عبد الحكيم أحمد طه	٩٦٨
● المقالة الاولى	
د . أنس مصطفى النجار	٩٧٤

this section have the license to fast and the licence not to fast. However, every individual of this category must balance the situation, considering that the main criteria is protection and preservation without body harm to the self or fetus or infant, or another individual or loss of money or property. The probability of any such harm occuring, the individual must not fast, and must* compensate later by fasting for days missed, and or pay the expiation depending on the situation that necessitated not fasting.

The third class are those who do not fast without excuse or exemption, those who intentionally do not observe the fasting. Such individuals are violating and disobedient to the decree of Allah. These persons should perform an atonement and penance in compensating by fasting for the days lost, day for day' and they should recompense in expiation by one of the following means. To free a slave, a matter not possible in current times. To fast sixty consecutive days uninterrupted; and if that is not possible; to feed sixty poor people three meals, in a whole day; or one poor person for sixty days, or any alternative of that summation.

The Fast Breaking Acts (Muftirat) are the following:

1. Permitting any material to pass through the throat, or the nose. Smoking, sniffing, or an enema are therefore not permitted. Injections given for medical purposes should be under strict limitation and on the recommendation of a physician.
2. Vomiting deliberately provoked. However, indeliberate vomiting is excused, with no swallowing of any traces.
3. All acts of sexual desire or intercourse should be prohibited.
4. All major hadath (ejaculation during sleep) should be removed by complete washing before dawntime.

The recommended ats during the fasting day are the following:

1. Eating a light meal before dawn which is called the SAHUR.
2. Breaking the fast with a few dates and some water soon after sunset. This is called IFTAR. This is followed by the Maghreb prayer and then complete meal.
3. Muslims are urged to be generous and charitable during the month of Ramadan and engage themselves in Quranic recitation, and remembrance of Allah.
4. Muslims are urged to control themselves from all anger and dispute with others, to be truthful, honest and to practice these virtuous deeds as a means of self conduct through their lives.
5. Muslims are urged to join in the TARAWIH prayers after the Isha prayer. These consist of twenty Rakaas in pairs performed in congregation.
6. To pay the Zakat of Al Fitre. (Breaking Fast at the end of the month and the onset of the Eid.

tenth lunar month). The fourth is the discommended fasting, which is fasting single day on Friday alone, or Saturday alone, or Sunday alone. Also, fasting a whole year. The fifth is the Forbidden Fast, which are specifically five days. The first day of Eid Al-Fitre, the first day of Eid Al-Adha, and the consecutive threee days that follow. The sixth is the Permitted Fast, which is the fasting of any day other than those mentioned.

The practice of fasting in Ramadan is conditioned in five qualifications; namely, Islam, adulthood, sanity, ability to fast, presence of no legal reason to prevent fasting as the menstrual and post natal periods in woman. According to these qualifications, fasting in Ramadan is not a duty on non-Muslims, and is not accepted from them. The insane and mentally unbalanced should not fast; the abstention and intention required for the act of fasting, necessitate stability and balance of the mind. Allah lifted the obligation of all types of worship from the insane. Also, women during menstration, and post natal period are exempted from fasting during those periods, but they have to fast number of days outside Ramadan equivalent to the days they missed.

Another class of people may practice fasting and if they prefer may not fast for some accepted legitimate cause. These either compensate by fasting the missed days outside Ramadan, or pay an expiation for each day missed, or both recompenses. These include invalids who expect to recover before the onset of the following Ramadan. These do not fast during the illness, compensate after recovery by fasting for the days missed; and if they die before they compensate, their heirs should pay an expiation for each day missed. Invalids with chronic illness who are not expected to recover before the onset of the following Ramadan should not fast and should pay an expiation. This expiation is the cost of one day's food sufficient for one person, for each fasting day missed. Elderly men and women are exempt from fasting if they so choose, but should pay the expiation. Pregnant women and women who breast feed their infants may postpone fasting during those periods. They should then compensate by fasting the days they missed; and also pay an expiation for each day they did not fast. This double recompense is because two persons are involved in the benefit of not fasting. The traveller is also exempt from fasting during Ramadan, however, this is conditioned by a long journey of more than ninety kilometers measured from the last inhabited suburb of his town; that the journey starts before dawn during the eating hours; that the individual is not a traveller by profession. Such traveller should then compensate for the days missed after Ramadan. He should fast if he settles in a place for three days. This class of individuals mentioned in

relationship, for certain time period of the day and night, and for the whole complete month of Ramadan.

This act of worship is ordained by Allah in the Holy Quran in such a phrasing as to indicate the seriousness and importance of fasting; and also to indicate that fasting is a strenuous act, fit for those equipped with the reality of obedience and willing subordination. Such phrasing has been used only in decrees requiring tolerance for hardship and genuine faith. The act of worship was not new to mankind, and was not novel to Islam, but an act of worship that had previously been decreed upon mankind at previous times, as an abstention in some form or another. Even non-Divine creeds have prescribed for themselves some forms of abstention in order to develop self restraint, self control and similar characteristics.

The real philosophy of fasting is not really precisely known; several understandings, concepts, suggestions and postulations have been introduced and propagated. However, none really seem to fully satisfy the real purpose and wisdom of the act. The Quranic text states "... that ye may learn piety and self-restraint". Piety of mankind is devoutness, purity of belief, and reverence to Allah. Mankind will remain in search for the purpose and wisdom of fasting. The Quranic text clearly states that fasting is better; this indicates an unquestioned benefit from fasting, that the human mind remains in search of. It certainly involves the many several aspects of the life of mankind and his existance. Above all, the decree of fasting is a test of true self submission and obedience to the Divine Ordinance.

In Islamic Sharia, Fasting "Siyam" is defined as the abstention from eating, drinking and sexual activities of all nature from dawn to sunset, with the intention of worship in obedience and resignation to the ordination of Allah. Therefore, fasting has two essential requirements, namely, the intention "Niyyah", and the Abstention "Imsak". Fasting is a practice of precision; the exact daily period of fasting should be strictly observed, any negligance renders the fast incorrect, and has to be restituted. Fasting is classified essentially into six types. The first is the obligatory fast of the month of Ramadan which is the observance of the Fardh; and this category also includes the restitution of missed days. The second is the Dutiful fast which is that promised by the individual to perform as a voluntary act. The third is the Sunnah fast, which adopts the tradition of the Prophet. This includes fasting on Mondays and Thursdays of every week, the nineth and tenth days of Muharam (the first lunar Month) and the fasting of six days in Shawal, (the

rulings, and measures of enactment that pertain to fasting of Ramadan as an ordinance of worship in Islam.

> "O ye who believe, fasting has been ordained upon you, as it was ordained upon those before you, that ye may learn piety and self-restraint".
>
> "Fasting for a fixed number of days; but if any of you is ill or on travel; the prescribed number should be made up from days later. And for those who can keep it with hardship, the redemption is the feeding of a poor person; but he that will give more of his free will, it will be better for him. And that you fast is better for you, if ye only knew".
>
> "The month of Ramadan, in it, the Quran was sent down as guidance to mankind and evidences of guidance and distinction (between right and wrong). So whoso of you witnesses the month, he shall fast it. And whoso is ill or on travel, the prescribed number of days should be made up from days later. Allah desires for you ease and does not intend hardshipo. You shall complete the prescribed perid, and shall glorify Allah for His having guided you, and perchance ye shall be gratefull".
>
> "Permitted to you, on the night of the fasts is consorting with your wives, they are a garment for you and you are a garment for them. Allah knew that you have been defrauding yourselves, so He has relented towards you and pardoned you. So, now associate with them and seek what Allah has ordained for you. And eat and drink until the white thread becomes manifest to you from the black thread of the dawn. Then complete your fast till night fall. And do not associate with your wives while you are in retreat in the mosques. These are the bounds of Allah, so do not approach them. Thus, Allah expounds His signs to mankind that they may learn piety."
>
> (Surat Al-Baqara, II, 183, 184, 185, 187)

This compilation of the precepts and working principles of the decree of fasting of Ramadan, aims at giving and attributing to fasting a distinction and precision of quality and importance. The act of fasting is in its reality an orduous strenuous process of worship. It constitutes the absolute rigid total abstention from food, drink, and sexual

THE PILLARS OF ISLAM

« Fasting During the Month Of Ramadan

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith ? Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angles, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam ?; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection), Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will th Hour be established ?; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXI, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith).

The fourth pillar of Islam is the observance of Fasting during the month of Ramadan. This particular decree of Islamic ordinances of worship was distinctly sanctioned in the Holy Quran in integrated complete and continuous verses. These verses constituted all the canon laws, legislations,

the two territories themselves. This political unity was essentially based on the religious unity which became established by the rapid widespread of Islam among the tribes of both countries. Very few years later, tribes from Iraq and Syria were carrying the emblems and teachings of Islam to crusade into Persia, Egypt and other territories. Such self determined conduct was the outcome of a well established theo-political unity among these tribes of Syria, Iraq, and the Arab Peninsula. The regime of administration and implementation of Islamic concepts of governments that were closely observed by Abu Bakre, were certainly the elements responsible for the rapid development of a concrete theo-political unity. The credit and attributions of such optimal achievement are fully ascribed to the precise and wise function of Abu Bakre in his office as Khalifah of Rassul Allah.

The short reign of Abu Bakre and the very crucial issues that burdened his responsibility, did not leave time to establish a precise structure or system of state and government. His reign was more or less a transitional phase between the period of Prophethood, the establishment of a new creed; and that of a developing empire encompassing extensive territories. The system of state and government during the reign of Abu Bakre was very primitive: and Abu Bakre conducted himself in the best manner possible and with utmost distinction as Khalifah of Rassul Allah. Everything that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had left behind of the Holy Revelation and the Prophet's traditions had to be very well preserved, rooted in the hearts of people, implemented in practice, propogated and expounded to others. This was what precisely Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rassul Allah carried out in his reign of office.

Iraq and Syria was trifold. First, to safeguard the strategic security of the growing Muslim Community and unity in the Arab Peninsula. Second, to advance and introduce Islam to human societies resident in new territories, and to expose them to the teachings of a Divine Revelation to emancipate their minds to freedom to recognize the transcendant truth of Belief. Third, was to relieve these societies from the yoke and confines of occupation of the superpowers of Persians in Iraq, and Romans in Syria; and to summon them to decide their own destiny and self determination.

The ultimate purpose of Muslim theism is human freedom and emancipation from all forms of bondage, fear, tyranny and subjugation of man, mind and self. This liberation is attained only by true resignation to the Creator in absolute self determined deliverance, true equality prevails with love, respect, justice and preservation of individual and social human rights and values. Such fundamental themes of human life are intrinsic in the basic teachings of Islam; they serve to optimize the balance between the governor and the governed; and establishes the proper values of human life, and individual integrity of mankind. With this understanding, the system of administration during the reign of Abu Bakre was based on councilling (Shurah) with the close companions of the Prophet. This concept of government and administration was introduced to public and social understanding only through Islamic teachings. The exact duties, responsibilities, prerogatives and conduct of the head of state, became well observed in Muslim belief.

The regime of Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rassul Allah certainly regained the dominance and religious unity of Islam all over the Arab Peninsula after the wars against the apostates. This religious unity was precursor to a strong pan-tribal theo-political unity which became highly manifested and concrete during the Iraq and Syrian crusades. Worriors from all tribes of the east, south, west, and north of the peninsula rallyed and assembled at Al-Madinah, to take part in the crusades of Iraq and Syria. The call was not to colonize and subjugate: the call was to free and liberate the mind by introducing and propagating the teachings and doctrines of Islam in the new territories. Islam declares freedom of belief, and Abu Bakre was very observing and assiduous in preserving this doctrine of Islam. Christians in Iraq and Syria were left in peace to function their own worship similar to those Christians of Negran of the Arab Peninsula. With the defeat of the Persian force in Iraq, and the Roman forces in Syria, the development of a political unity followed among the tribes of each territory and between

the education and experience, and his own coherent uniformity of character and esoteric nature; placed him in a position of distinction among the companions, and the closest companion to the Prophet. Such combined optimal conditions provided Abu Bakre with a comprehensive intelligent ecumenical understanding of Islamic doctrines and teachings. He learned well that Islam has a universality of nature, and the Muslim societies and Ummah are the ultimate authority of rule, government and administration. Human rights and freedom, respect and dignity, were all Divine gifts to mankind. The man elected to govern and administer, was to serve the needs of people and their welfare through the implementation of the doctrines and teachings of Islam. The man in government had no prerogative rights above any individual: the authority invested in him is the authority of the people. He was the instrument to enforce certain legislative doctrines in which they all believed in, respected, and accepted to be their system of government. The man in government had exactly similar rights as any other, and was subject to the same judgement and penalty. Such basic concepts of Islamic government were very well coneived by Abu Bakre and fully developed and structured in his mind. He completely understood the true functions of his office as Khalifah of Rassul Allah, in charge of the administration and government of Muslims. He realized the heavy burden, feared the responsibility, and always supplicated to Allah with humble approach of a true believer, to give him the faith, the strength, the knowledge and the ability to face the challenge. That was the man, Abu Bakre Al-Siddiq, Khalifah of Rassul-Allah. He knew well that the basic issue of Islam was to emancipate mankind from any form of fear, tyranny, and oppresion. The mind of mankind must be liberated from falseness and errors of concepts. With that mental freedom of man, the mind grows, elevates, and develops values in truth, and human refinement in belief.

The Muslim crusades in Iraq and Syria did not compel the inhabitans of these countries into Islam; but proclaimed and fully observed the freedom of belief. Who embraced Islam had the same rights as other Muslims, and who rejected payed the "jizyah" the tax for defence and protectorship of self and property and freedom of worship. The social administration was left to the inhabitants of the locality, and the Muslim crusaders only introduced Islam into these territories as a doctrine of belief. The armed confrontations and the fierce battles were against the Persian forces of occupation in Iraq, and the Roman legions resident in Syria, who were socially and economically colonizing these territories. The fundamental aim of Abu Bakre by sending Muslim worriors into

rejected absolute power, refuted religious hierarchy and class mastery; instead he was humble, patient, modest in poverty, and passed all decisions of state issues after extensive councilling (Shurah) with advisors and people of knowledge, age, wisdom, experience, and piety. Abu Bakre accepted, respected, and encouraged public opinion as long as that conformed with the teachings of Islam as dictated by Divine doctrines and the traditions of the Prophet. Abu Bakre refuted the splendor of authority and exclusive power of office; he promoted social justice, human respect to values, and interests of public concerns. He advanced the development of social and political unity between Muslims of different ethnic origins, to coincide with their religious unity. The sagacity and wisdom of Abu Bakre were very fundamental factors in the process of this political unity among territories outside the Arab Peninsula; and the social justice and equality promoted by Abu Bakre, supported this political unity, and advanced it.

The rapid development of this political unity between the tribes of the Arab Peninsula including Yaman, and those in Syria and Iraq was inevitable, because the religious unity formed the roots of the political structure. This is because Islam is essentially universal in its basic concepts; and because the fundamental precepts of Islam fully optimize the safeguards of individual and social human rights and freedom of the Muslim "Ummah". These criteria were adopted as the social policy implemented in the new territories which were expanded after the wars against the apostates, and after the Iraq and Syrian crusades. The implementations of Islamic jurisdiction, and jurisprudence in the new territories as well as in the Arab Peninsula, were organized and closely supervised by Abu Bakre himself. He considered his function as Khalifah of Rassul Allah, a responsibility to guarantee that the mandates, decrees and social injunctions were exactly in accordance with the intrinsic spirit, character and substance of the teachings of Islam. Abu Bakre with his genuine deep piety and distinctive knowledge of Islam conceived that the most efficient instrument to the spread and propagation of Islam, was by the implementation of Islamic teachings in the administration and governance of people and human societies. He was gifted with the faculty of diplomatic skill and mastery of proficiency; he was great in his true humbleness, and humble in his greatness. He was adamant and intellectually prudent to the doctrines of Islam as indicated by the Holy Revelation and the traditions of the Prophet.

The life of Abu Bakre with the Prophet provided him with

Abu Bakre Al-Siddiq had to device and scheme a system of government. The Holy Revelation contained basic ordinances of Islamic social and economic considerations, however, it did not dictate detailed administrative structures of government.

The creedal religious unity became the roots of Muslim administration among the Arab tribes of the peninsula at the time of the Prophet, and also later during the reign of Abu Bakre. However, after Muslim expansion in Yaman, Syria and Iraq, a composite system of governmental administration became imperative. Certainly, the creedal religious system of government was always at the root of any development of political and social unity of tribes and countries; and also at the root of any development of a more elaborate system of government and administration. The loyalty and obedience given to the Prophet by the tribes during his lifetime as Messenger of Allah, were denied to Abu Bakre after the Prophet's death. This was the socio-political rejection by those tribes to the authority invested in Abu Bakre; which indicated a socio-political unity under the banner of Islam as a regime of religious unity. After the wars against apostates, this regime of religious unity regained its dominance; and the function invested in Abu Bakre as Khalifah of Rassul Allah, established the socio-political unity of these tribes. Such political unity required a corresponding development of administration and governmental system.

Abu Bakre acted in his function as Khalifah by the authority commissioned to him by unanimous consensus of the Muhagereen and the Ansars. He did not draw this authority from Divine power. This Divine power was only to the Prophet through the Holy Revelation. The Prophet had died, and the Holy Revelation remained preserving the doctrines of Islam as the basic constitution of the social, economic and political system of government and the regime to which every man in authority must adhere. The Muslim populous should be guardians of their political system of government, in virtue of the fact that they believe and practice the doctrines of Islam. In consequence, the man they chose to govern their system, should function his office within the jurisprudence of Islamic Law. This implementation of Muslim regime fully enstates and ensures public involvement in the process of administrative and governmental functions and authority of decision. The ultimate control and power remains invested in the Muslim Ummah as protectors of their creed and the elements of government inherent in that creed.

Abu Bakre Al-Siddiq as Khalifah of Rassul Allah fully understood his position as the man whom the Muslims authorized to govern and administer their affairs. He

ABU BAKRE AL- SIDDIQ

« THE KHALIFAH OF RASSUL ALLAH »

By : Dr . Anas Moustafa El- Naggar, M.D., Ph.D

The concept of government and administration was very clear and well understood in the mind of Abu Bakre. His basic character of humbleness and truthfull evaluation of issues made him recognize the fundamental requirements of governments. Abu Bakre succeeded the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) after being publicly and unanimously chosen to become Khalifah of Rassul Allah. Abu Bakre was not ordained by Divine selection, he was not an apostle, and did not carry the commandments of a Divine Revelation. Abu Bakre was a true Muslim, honest to himself and his faith, a very close companion to the Prophet, and very much mature in mind and thought. Such characteristics added to the inherent qualities of Abu Bakre, gave him a unique distinction of functional capacity and potentialities. Abu Bakre despised the arrogance of authority, and pontificate spectacle of government. His new function to govern the affairs of Muslims as Khalifah of Rassul Allah after the death of the Prophet, made him identify the graveness of the responsibility entrusted to him. He fully conceived that the reality of governance was to serve in honesty and sincerity for the welfare of those who are governed. Abu Bakre with lucid simplicity of clarity and coherence would govern the affairs of Muslims according to the jurisprudence of the Divine Revelation, and the traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu Bakre declared his understanding of government on the day of his proclamation as successor to the Prophet. He said "I have been appointed for that function against my desire; I wished someone else would have releaved me from the burden. I am but human, none better than any of you. Follow me if I am on the right path, and put me straight if I go wrong". Abu Bakre knew that as Khalifah of Rassul Allah, he must govern Muslims by the authority and scepter of the Divine Commandments of the Holy Revelation and the traditions of the Prophet. He announced "obey me as long as I obey Allah and the Messenger. If I disobey, you have no allegiance to me".

· AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, Part VIII

SHABAAN, 1409, Hijrah

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.

The Khalifah of Rassul Allah.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.

The Fasting of the Month of Ramadan.

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
الجزء التاسع
السنة الحادية والستون
رمضان ١٤٠٩ هـ
ابريل ١٩٨٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

شيخ الأزهر

إلى المسلمين في مستهل شهر رمضان

هذا موسم الإصلاح والصلح مع الله فاقبلوا :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

افتتح الله آيات الصوم (١٨٣ ـ ١٨٥) من سورة البقرة بهذه الآية يمهد بها نفوس المسلمين لفريضة الصوم ، ويدعوهم إلى الإقبال على ادائها باعتبار أن الصوم اقوى العبادات تاثيراً على الإنسان قلبه وقالبه ومعلناً لهم أن تقرير هذه الفريضة عليهم ليس بدعاً أو امراً خاصا بهم ، وإنما هي ركن من اركان كل دين ، وذلك ادعى للإذعان .

والصوم فى اللغة الإمساك والكف عن الشيء ، أو هو الإمساك عما تنزع إليه النفس ، وفى الشرع الامتناع عن الأكل والشرب وعن المخالطة الزوجية من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس احتسابا لله تعالى وإعدادا للنفس وإمداداً لها . بما يعينها على تقوى الله ومراقبته وتربية إرادة الصائم ليقوى بذلك على ترك المحرمات وكبح الشهوات .

﴿ لعلكم تتقون ﴾ بيان وتعليل لفرض الصوم وإبراز للغاية من فرضه وتحريض على الإقدام على أدائه ، حتى يعد الصائم نفسه لتقوى الله ورضوانه بترك المباح من الشهوات الميسورة امتثالا لأمر الله . واحتسابا للأجر عنده ، ومتى درب المسلم النفس وكفها عن المباحات ملك زمامها وحال بينها وبين المحرمات ، وتربت عنده ملكة الصبر على مايشير إليه قول الرسول ﷺ (الصيام نصف الصبر) .

(ولعل) فى تلك الآية للترجي ، والرجاء إنما يكون فيما وقعت أسبابه ، وموضعه هنا المؤمنون المخاطبون بالآية ، ومن ثم كان من لم يصم بالنية وقصد التقرب إلى الله بعيداً عن أن تتربى عنده ملكة ترك المحرمات ، ولم ترج له ومنه التقوى ، فليس الصيام فى الإسلام لتعذيب النفس ، بل لتربيتها وتزكيتها ..

ثم إن إعداد الصيام نفوس الصائمين ، وتوجيهها إلى تقوى الله يظهر من وجوه ، أعظمها أنه أمر موكول إلى ذات الصائم ، فالصوم سر بين العبد الصائم وبين ربه لا يطّلع عليه إلا الله سبحانه « إذ لولا إخلاصه ومراقبته لله ومعرفته اطلاع ربه عليه لما كان له اصطبار عن تناول ماصام عنه ، وفى تكرار الصوم تنمية وتقوية لملكة المراقبة لله والحياء منه أن يراه حيث نهاه ، وهذه الملكة هى التى استبدلنا بها ما شاع على الألسنة فى عصرنا وسميناه (الضمير) ..

هذه المراقبة لله وخشيته وحده متى استقرت عليها الأنفس الصائمة لله ترقباً لسعادة الآخرة ، تؤهل أيضا لسعادة الدنيا ، فمن راقب الله وصام إيماناً واحتساباً عمر قلبه بخشية ربه ، فلم يقدم على غش الناس وخداعهم ، ولم يأكل الأموال بالباطل ، ولم يحتل على الله لمنع الزكاة أو لأكل الربا ، وأموال اليتامى ، ولم يقترف المنكرات سراً وعلانية وبالجملة اكتسب صفات الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم .

إن صاحب هذه المراقبة لا يسترسل فى المعاصي ، ولا تطول غفلته عن الله وطاعته وإذا نسى أو استهواه الشيطان فاقترف السيئات ، كان سريع التذكر والرجوع بالتوبة إلى ربه .

﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ فالصيام سر بين الصائم وربه ، وأعظم مرب لملكة المراقبة والإرادة واقوم طريق للتقوى ..

والصوم يجعل الصائم رءوفاً رحيماً بالفقراء ، سخياً بالصدقات مؤدياً للزكوات ، إذ عندما يجوع يتذكر من لايجد القوت .

ثم أليس من الصفات المحمودة للمسلمين أن يكونوا رحماء بينهم ؟
لقد وصف الله بهذا السابقين الأولين إلى الإسلام ، ونحن من هذه الأمة ينبغى الا ينفك عنا هذا الوصف الربانى المحمود ..

ولابد للصائم أن يحفظ جوارحه عن الآثام فلا غيبة ولا نميمة ولاغضب ولا قول زور وإلا كان بهذه المعاصى ، وهو صائم كمن يبنى قصراً ويهدم مصراً ..

إن على المسلمين أن يتخذوا من صوم رمضان زاداً للتقوى ، والتقرب إلى الله ، وإلا يصوموا جوعاً وعطشاً ، ثم هم من وراء ذلك لايرعون الله فى أعمالهم وتجاراتهم وذوى أرحامهم وجيرانهم وأوطانهم ، بل عليهم أن يصوموا لله قانتين ، حتى لايدخلوا فى نطاق ما حذر منه رسول الله ﷺ : (كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش) ..

فلنلتزم بالصوم الموصل إلى التقوى إيماناً واحتساباً لربنا ولنلجأ إليه فى شهرنا المبارك أملاً فى معونة الله ومدده لأمة القرآن حتى تكون خير أمة أخرجت للناس ..

ولاينبغى أن ننتقم بالليل من النهار فنقضى نهارنا نعد لموائد الليل الطعام والشراب ونتمادى فى الإسراف غافلين عن حكمة الصوم وفوائده ، وعن قول الله فى محكم كتابه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ..
إنه شهر فى العام ـ ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ .. ﴾ أقام الله فيه مدرسة للصوم ، فيها نعتاد الطاعة لربنا ، وبه تقوى عزائمنا ونراقب الله ونخشاه ، ونرجو ثوابه ، فيه تصح أجسادنا ، كما تطهر قلوبنا . بهذا أخبر الصادق الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : (صوموا تصحوا) وقوله : (من لم يغفر له فى رمضان فمتى ؟) هذا الصوم متى التزمناه صحيحاً كان الوازع الدينى، وكانت الأمانة . وفى الحديث الشريف : (إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته) ..

إن مدرسة الصوم مدرسة إصلاح نفسى وجسدى واقتصادى أستاذها الوازع الدينى ، ودوام المراقبة لله سبحانه ، والامتثال لأمره ، به ترقى الأخلاق إذا اصطلحنا فيها مع الله ، فأعلنا التوبة إليه والأوبة إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ ، نحتكم إليهما فى كل أمورنا دون أن نلتفت إلى أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، يضلون الناس ، ومايضلون إلا أنفسهم تخلوا عن أمانة الكلمة فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

تعالوا أيها المسلمون نتخذ شهر رمضان موسماً نتخفف فيه من أعبائنا الاقتصادية التى أثقلت كواهلنا أفراداً وجماعات وحكومات .

تعالوا إلى صوم نتقرب به إلى الله ، لا رياضة نفسدها بالليل بكثرة ما نعد من ألوان الطعام والشراب واللهو ، جربوا أيها المسلمون الاعتدال فى أموركم ، والاستغناء عما لا ضرورة له ، خذوا من مدرسة الصوم ما تستطيعون من فضل وفضائل ، أقيموا حلقات القرآن التى استبدلتم بها ندوات الشيطان ، فنزع الله البركة من أموالكم بالرغم من كثرتها ووفرتها ، وبخلتم وأمسكتم عن أداء مافرض الله عليكم

←

فكانت الآفات والأمراض والأوجاع التى لم تكن فيمن كانوا قبلكم ، كان سلفنا يتجمعون فى القرى والأمصار حول القراء يتلون عليهم القرآن ، ومع العلماء يجلون لهم آيات الله ، فكانت البركات والرحمات ونعمة الرضا تحوطهم فضلا من الله ونعمة ، وكانت القلوب مطمئنة ، والنفوس راضية مرضية ، والرحمة بينهم سائدة والمودة غامرة ، والتعاون على البر شعارهم ودثارهم ، فلما صرفكم عن القرآن الصارفون واستجبتم لهم وانصرفتم عن كتاب ربكم ، انساكم الشيطان صالحكم واضلكم عن سبيل الله ، وتفرقت بكم السبل ، حتى صرتم شيعاً يقاتل بعضكم بعضا .

اقول واكرر : ايها المسلمون إن سلفكم الصالح ماعالجوا ضائقة اقتصادية ألمت بهم بالإغداق والإسراف والاستدانة ومزيد من إنفاق الأموال فى غير محلها ، وإنما بالاقتصاد وبالاستغناء عما فى أيدى الغير والعمل الجاد مع الالتجاء إلى خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم .

فلنحزم أمرنا ، ولنجرب مانجح به سلفنا ، ولنتخذ من شهر رمضان مدرسة نعدل بها عاداتنا التى اسرعت بنا إلى هذا الغلاء الذى ناءت به دخولنا ، والتى أثقلت كاهل الدولة بالاستدانة والقروض بالربا ، الذى مادخل فى تعامل إلا كان معه الخراب والدمار ونزع البركة ذلك وعيد الله وقوله فى شأن تحريم الربا ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَابَقِىَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ .

هذا موسم الطاعة لله فاقبلوا عليه ، واصطلحوا مع ربكم يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم اعقدوا فيه ندوات القرآن والسنة ، واغلقوا مزامير الشيطان ووسائل الفساد . أولى بالمؤمنين أن يكونوا مع الله فى شهر رمضان فإنه سبحانه قال على لسان رسوله ﷺ : (الصوم لى وأنا أجزى به) .

اصطلحوا مع الله بطاعته فى رمضان ، لتصير الطاعة لكم عادة تستقيم عليها حياتكم ، اصطلحوا مع انفسكم ، مع الوالدين مع الجيران مع المجتمع كله . إن كل اب وكل أم وكل رئيس فى عمل مسئول عما ولاه الله عليه فاحملوا المسئولية وأحسنوا القيام بها وخذوا من الصوم حكمته ، ولتكن مصاحبة لكم فى سركم وعلنكم ، وخذوا على ايدى المجاهرين بالفطر فى نهار رمضان حتى لايزيد المجتمع فساداً واستهتاراً ، وعلى اصحاب الاعذار ان يستتروا حتى لا يساء الظن بهم واعلموا أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع .

اصطلحوا مع الله يصلح لكم نفوسكم ويغفر لكم ذنوبكم ويرفع عنكم إصركم والتزموا الطاعة فى شهر رمضان تتغير به عاداتكم وتقلعوا عن أهوائكم ويكن الوسيلة إلى تغيير الحال وصدق الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ .

ايها المسلمونَ :

اهنئكم ببدء الصوم فى شهر رمضان حكاما ومحكومين وادعو الله ان يصلح به نفوسنا ويجمع بيه كلمتنا ، ويرفع الخُلف من بيننا وتوبوا إلى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون .

قصة الإيلاف

عصر هاشم بن عبد مناف

نستطيع ـ بمشيئة الله تعالى ـ ان نعبر إلى عصر الشريف هاشم بن عبد مناف الجد الثانى لرسول الله ﷺ على جسر زمنى امين متين ، هو اشد امانة واوفر متانة من تقدير تاريخى لم يقم بين يديه «موازنة» لبعض الروايات التى صدرت من قائليها مرسلة على بداهة تمنع عنها غبار الاختلاق وغيم الكذب ؛ فكانت ـ فى ذاتها محل الصدق والإنصاف .

هذا الجسر الزمنى يمثله عُمُرُ وَلَدِه «عبدالمطلب» والد «عبدالله» والد «رسول الله» ﷺ هذا العمر هو الذى يؤدى بنا مباشرة إلى عصر هاشم بن عبد مناف ، فإن «عبدالمطلب» آخِرُ وَلَدِه ، حَمَلَتْ به «سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية الخزرجية» فاصطحبها هاشم معه ـ وهو فى طريقه إلى الشام فانزلها بدار والدِيها بالمدينة لتلد هناك ، ثم مضى إلى «غَزَّة» فمات بها ، فسنة موته هى عام ولادة عبدالمطلب ، او الذى يليه مباشرة .

عاش «عبدالمطلب» مائة وعشرين عاما ، يرفعها بعضهم إلى مائة وأربعين ، ويهبط بها البعض إلى ثمانية وثمانين ، وعن الواقدى ـ رحمه الله ، وقد وَثَّقَهُ بتأكيد الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ قال الواقدى : وسمعت من يحدث عن مصعب بن عبدالله «أن عبيد بن الأبرص كان تِرْبَ عبدالمطلب ، وبلغ عبيد مائة وعشرين سنة ، وبقى عبدالمطلب بعده عشرين سنة أو أكثر » وهذه الرواية حجة بين يدى من يرفع عُمْرَ «عبدالمطلب» إلى مائة وأربعين سنة . وهذا ما ذهب إليه برهان الدين الحلبى صاحب السيرة الحلبية ـ رضوان الله تعالى عليه .

وأَقْوَمُ ذلك وأحوطه أن نمضى مع عُمُر «عبدالمطلب» المتمثل فى ثمان وثمانين سنة قمرية ، لا يفوتنا ما أحدث فيها العرب قبل الإسلام من «نَسِىءٍ وكَبْس» عملوا بهما بإرشاد من اليهود ؛ فزادوا شهراً كل ثلاث سنوات قبل الشهر السابع مما يؤدى إلى أن يتأخر السابع إلى ما بعده فتصير السنة كبيسة مقدارُها ثلاثة عشر شهرا ؛ فتأخير السابع «نسىء» ، وزيادة شهر قبله «كبس»[1] .

وهذا يعنى أن هذه السنوات .. «سنوات حياة عبدالمطلب» لن تفترق فى مجموعها من حيث العدد عن السنوات الميلادية فى التقويم الشمسى فيكون ميلاد «عبدالمطلب» عام (٤٩٠) ميلادية ، إذ كانت وفاته عام (٥٧٨) ميلادية ، وبالتالى يكون عام ٤٩٠ م أو ٤٩١ م هو عام وفاة «هاشم بن عبد مناف» .

وعمر «هاشم» المتفق عليه فى مراجعنا لا يزيد بإجماع عن خمس وعشرين سنة ، وهو عُمْر لا يقال فيه «تقدمت به السن» كما يذكر بعض مؤرخينا المعاصرين ، حتى لو ذهبنا معه إلى ما افترضوا له من سن لا تتجاوز السادسة والأربعين ، إذ جعلوا وفاته عام ٥١٠ م .

فأما ما نذهب إليه ونعتمده فهو أن حياته كانت الفترة «٤٦٥ م ـ ٤٩٠ م» أو تزيد سنة فى كل منهما فتكون الفترة «٤٦٦ م ـ ٤٩١ م» ، وذلك حسب احتياطنا بصدد وفاة هاشم : هل هى نفس سنة ميلاد عبدالمطلب أو التالية لها .؟

د. على أحمد الخطيب

---

(١) انظر مجلة الثقافة الصادرة بمصر العدد ٨٨ ص ٢٥ السنة الثانية .

(٢) انظر للأستاذ محمد مبروك نافع ـ تاريخ العرب ، عصر ما قبل الإسلام ص ١٧٣ ط ٢ مطبعة السعادة ١٩٥٢ .

مابعد الإيمان

قال الله تعالى من سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

للتفسير طريقتان : إحداهما : إقناع العقل وإفحامه . والأخرى : فتح مغاليق القلب وإرشاده . والطريقة المثلى خطابهما معاً بأسلوب متحد اللفظ ، حمّال لمعان .

وتصدير الآية الأولى بحرف التوكيد مراعاة لإزالة الشكوك . وقد دخل حرف التوكيد على الاسم الموصول للإشارة إلى ثلاثة أمور : العلة ، والخبر ، والحكم .

الأمر الأول : العلة وهى هنا الكفر . وهكذا فإن صلة الموصول علة للحكم الذى سيُحكم به .

فإذا قال سبحانه من سورة فصلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ .. ﴾ الآية كان القول والاستقامة ـ هما السبب والعلة لما تقوله الملائكة .

والكفر من الألفاظ التى تقال على التشكيك ـ فهى تدل على قدر مشترك فى النوع مختلف فى الدرجة كما قال ابن عباس : « كفر دون كفر » .

وأفحش ما يدل عليه الكفر هو جحود ما عُلم من الدين واشتهر بين الناس ، وهو ما يعبر عنه بضرورات الدين من وجوب المحافظة على ما يحتاج إليه الإنسان من دين هو حياة روحه وبدنه ، وحياة نفسه واستمرار بقائها ، وما يتمتع به من مال وعقل وعرض .

ويلى أفحش الكفر عدم الإذعان لتعاليم الله بالتشكك فى عدم جدواها مثل : تحذلق المتحذلقين فى إدعائهم أن صوم رمضان لا جدوى من ورائه . ولما كنا فى شهر الصوم ـ كان من المناسب أن نربط ما يُفترى على الصوم بالكفر ونحن نتحدث عنه فى تفسير الآية .

ومن المسلّم لدى العقلاء أن زمام الروح مرهون بزمام الجسد ، وأن الفكرة التى تكسر الشره وتقمع الشهوة ضرورة لازمة لتمهيد سبيل الاعتقاد ، وتغليب العزيمة على وساوس الشك والغواية . وأن القدرة الروحية إذا عرف بها الإنسان مزايا الخير والجمال ، وتذوق بها محاسن الحياة الفكرية

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

والعاطفية كانت أشبه بقوة سماوية ، تمد صاحبها بالطاقات الخلاقة ، والقوة الهائلة فى الإبداع والإحكام . وهى تتوقف على الشخصية التى تستطيعها ولا تصنعها لها شخصية أخرى .

والآداب الدينية تسبق التحقيق العلمى إلى خلق العادات الصالحة ، واشتراع الآداب الضرورية لمطالب الجسد والروح فى الجانب الخاص أو الجانب العام فى حياة الإنسان .

وقد أدركت الإنسانية أخيراً ما للصيام من قيمه ، وباشرته فى حياتها - فهناك :

١ - صيام التطهير كما يشير به بعض الأطباء للتخلص مما علق بالجسم وأثقل المعدة .

٢ - صيام العطف كالذين يشاركون غيرهم أحزانهم . وقد قيل : المشاركة فى الحزن يجعله نصف حزن .

٣ - صيام التفكير . ومن المعلوم أن الذهن لا يصفو إلا بمقدار ما يتخلص من شوائب المادة .، وما حياة الفلاسفة المؤمنين إلا اختيار للموت . فهم يميتون فى أنفسهم كل سبب إلى الشهوة ، وكل داعية إلى اللذة ، يحيون بالقسم الأعلى وتبقى مادة الأرض فيهم كأنها أرض بور لا تخصب ولا تُنبت .

٤ - صيام الاحتجاج . وأمثلة المضربين عن الطعام تمتلىء بها الصحف ، ويدعها التاريخ فى ذاكرته .

٥ - صيام الرياضة النفسية والبدنية . ونراه ماثلاً فى المحافظين على قوامهم ، والمحافظات على رشاقتهن ، والمربين لأنفسهم على الجلد والصبر . وما صوم شهر رمضان - تجويعاً وحرماناً - إن هو إلا تنظيم للوجبات الغذائية . تُقَدّم فيه وجبة الصباح ، وتؤخر وجبة الظهيرة للتحكم فى مطالب البدن ، وترقيق الشعور ، وتهذيب الضمائر . فمن نفس الإنسان يكون الوازع ، وبإحساس الضمير تكون المراقبة ، فتعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

الأمر الثانى : الخير . وهو « استواء الإنذار عليهم وعدمه » .

أما أنت أيها الداعى - فلك أجر الإنذار وإن لم يُمْتَثَل ، ولم يقل : سواء عليك ، بل قال : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيهِمْ ﴾ فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم . وقال سبحانه ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلينا الحِسَاب ﴾ .

والإنذار هو : التخويف من سوء العاقبة وإن اجتناب بعض المحظورات - لا يكفى لترويض وظائف البدن وتغليب حكم الإرادة عليها .

● فالرياضة على الطاعة لسلطان الدين تُشبع الرغبات المستقلة فى طبائع الأفراد المختلفة . وفرق بين إخفاء الإفطار رياء وإخفائه لعذر حياء . وفى الحديث : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين » البخارى .

←

الأمر الثالث : الحكم . وجاء عن طريق الإخبار بنفى الإيمان عنهم من علام الغيوب فقال : ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وليس لأحد أن يحكم على أحد بهذا الحكم إلا هو سبحانه .

وكان عن طريق الإخبار ، لأنه مستقر باستقرار سببه وهو الكفر . وهم الذين كفروا بسوء اختيارهم لا أن الله أجبرهم على ما ارتكبوه . فقد منح سبحانه المكلفين حرية الاختيار فيما كُلّفوا به .

ثم قال سبحانه : ﴿ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

الختم والطبع قريبان فى المعنى . ويلتقيان فى الحيلولة بين من يأبى الانتفاع وبين المنفعة . وكان الختم على القلب لأنه الجامع بين الإدراك والوعى . وإذا كان العلم الحديث يرى أن المخ هو آلة الإدراك والعقل يُقَرُّ فيه ونحن لا ننازع فى ذلك ، إلا أن القرآن عبّر عن ذلك بالقلب فقال : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ .

ونحن نرى أن التعبير عن العقل بالقلب يعنى إدراكاً وعاطفة ، روحاً وبدناً . وكثيراً ما نرى قلباً بلا مخ ولا يمكن أن يوجد مخ بلا قلب . وفى هذا من المشاكلة ما يؤكد لنا أن البدن مركب الروح ومكان استقرارها .

فالعناية بالبدن مطلوبة كالعناية بالروح ، وقد جعل الأسماع بين القلوب المختوم عليها وبين الأبصار التى عليها غشاوة ، ليبين أن أى القرآن يرتبط بعضها ببعض . فالسمع مختوم عليه حيث قال ـ سبحانه ـ فى آية اخرى : ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾[1] .

والعذاب العظيم يناقضه الحقير ، والكبير يناقضه الصغير . فالعظيم أكبر من الكبير ، والحقير اقل من الصغير وهكذا تُعرف الأشياء بالمقابلة كما قيل : وبضدها تتميز الأشياء .

وإن أداة الإدراك فى مجال العلوم إيجاداً وتطبيقاً هى العقل بأجهزته القادرة على التحليل والاستدلال . والخلط شائع بين معنى التحرر من القيود على اختلاف انواعها وبين معنى الحرية التى لا تكون شيئاً ، إذا هى لم تكن قدرة الإنسان الحر على أن يملك زمام نفسه .

فالتحرر من جميع القيود محال . أما حرية الإرادة والقدرة فلازمة لجواز التكليف ، وقد تساءل البعض : أين حرية الإنسان وهو مختوم على قلبه وسمعه ؟ والإجابة المزيلة لأى إشكال فى رأينا هى أن الله سبحانه ربط المسبب بسببه . وهذا هو القضاء الأول الذى كلمح البصر أو هو أقرب ولا مرد له . وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب هو القدر الذى قال عنه عمر ابن الخطاب حينما دعا إلى الفرار من مرض الطاعون قال : نفرّ من قدر الله إلى قدر الله . وفى الحديث : « أرأيت رُقًى نسترقى بها ، وأدوية نتداوى بها : أترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : هى من قدر الله »[2] .

(١) الجاثية .

(٢) مسند أحمد .

فنحن قبل مباشرة الأسباب مختارون ، وبين الأسباب والمسببات مجبرون . فأنت أيها المؤمن مختار فى مس النار التى هى سبب الإحراق أو مس الماء البارد الذى هو سبب التبريد . فإذا مسست النار فأنت مجبر على الاحتراق لا محالة . وإن اغتسلت بالماء البارد أصابك التبريد لا محالة . وقد ختم الله على قلوبهم بعد كفرهم واستعدادهم له : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ .

ولذا قد تجد فى الآية الواحدة جبراً واختياراً كما قال : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ . فالاختيار أولاً ، والجبر ثانياً : فأنت مخير قبل مباشرة الأسباب . وقد بين الله لك سبيل الخير وسبيل الشر . وأنت حر مختار لأيهما . فإذا اخترت السبب جرك إلى المسبب لا محالة وَتَلَقَّى نتيجة عملك والجزاء عليها .

أما الغشاوة ـ فإنها تساوى الغطاء الذى يحجب العين عن الرؤية . ويمكن أن تحتمل الآية معنى الدعاء عليهم أو منع اللطف بهم لسوء اختيارهم ، أو وسمها بعلامة دالة على سبب حرمانهم .

قال ابن تيمية[٣] : « الالتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد . ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغير فى وجه العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع ، والله خلق الأسباب والمسببات ، وجعل هذا سبباً لذاك » .

وقال ابن عطاءِ الله فى الحكم ما يشير إلى ذلك . وقال شارحه[٤] : فلابد من الأسباب وجوداً ، والغيبة عنها شهوداً . فأثبتها حيث أثبتها بحكمته ، ولا تستند إليها لعلمك بأحديته ..اهـ .

والاعتماد على القضاء والقدر ينافى المسئولية ، وإن حرية الإرادة لهى من أجل نعم الله على الإنسان ، ولا تتحقق إلا فى عالم فيه الخير والشر لتوجد القيمة على اجتهاد الروح ، فالمشكلات الفكرية تجيء نابضة بالحياة حين تنبت فى تربة الحياة العملية نفسها كما نكابدها ونعايشها . والإنسان خالج بنواياه وميوله وخوالجه .. والنفس طيارة متقلبة تعشق الإباحة وتغرم بالإطلاق : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ .

واعلم أن العمل بغير نية عناء ، والنية بغير إخلاص رياء ، والإخلاص بغير صدق وتحقق هباء ، وهو للنفاق كفاء ، ومع العصيان سواء .
والله يهدينا سواء السبيل .

---

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية جـ ٥ ص ٢٣٤ .

(٤) الحكم لابن عطاء ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

قضية من يوجسلافيا

ماذا يجرى فى كوسوفو الإسلامية ؟!

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه - بادىء ذى بدء أستميح قراء مجلة الأزهر الغراء ان يمنحونى دقائق من وقتهم لأشرح لهم باختصار عنوان هذا المقال ؛ لذا اعود قليلاً إلى أوائل العقد الثانى من القرن العشرين حيث كانت العلاقات بين كثير من الشعوب قد ساءت لاختلاف مصالحها ، فقامت حرب محدودة فى « البلقان » وهى المعروفة بالحرب البلقانية التى استمرت اكثر من سنة . وبعد شهور من نهايتها أعقبتها حرب عالمية كبرى ، هى المعروفة بالحرب العالمية الأولى التى نشبت فى منتصف العام الرابع عشر من القرن العشرين .

كان « الصرب » هم الذين أشعلوا فتيلة هذه الحرب الضروس بإقدام واحد منهم على قتل « الأرشيدوق » ولى عهد النمسا فى « سراييفو » يوم ٢٨ من يونيه سنة ١٩١٤ م . هذه الحرب الضروس التى نشبت ببارود الصرب جعلت العالم يقاسى من أهوالها وفظائعها ما تعجز الأقلام عن وصفه ، وقاسى الشعب الصربى نفسه من أهوال هذه الحرب كما قاسى الآلاف المؤلفة منهم وعلى رأسهم ملكهم والوزراء وكبار رجال الدولة ثلاث سنوات عجاف فى البلاد التى لجأوا إليها بعد أن احتلت النمسا مملكتهم .

هذه الأهوال القاسية جعلت الشعوب المتحضرة ترفض الحروب إلا إذا كانت دفاعاً عن النفس - لا للتوسع - ضد من يعتدى عليها . وما أقدم عليه الصرب فى الحرب العالمية الأولى إنما كان نتيجة اندفاع من تأثير خارجى يهيج أحاسيس الإنسان ويثير مشاعره فيقدم على عمل بطولى فى ظنه ، دون التفطن إلى ما يقصده هذا المؤثر من مكاسب خاصة به .

ترى هل يعيد التاريخ نفسه ، ويكون الصرب هم الذين يشعلون فتيلة الحرب العالمية الثالثة النووية التى ستأتى على الحرث والنسل ؟

ما يحدث فى « كوسوفو » منذ عام تقريباً من مؤامرات « الصرب » للسيطرة عليها .

ومن التدخل فى الجمهوريات الأخرى : « بوسنه » و « كرواتيا » و « سلوفيينا » .

كل ذلك قد يؤدى فعلاً إلى نشوب الحرب العالمية الثالثة .

وسيطلع القارىء بعد قليل ، على الأسباب التى سنذكرها بالتفصيل . وأرجو من صميم فؤادى أن يعود « الصرب » إلى رشدهم فيقلعوا عن مؤامراتهم لئلا يسجل التاريخ العالمى عليهم أنهم أسباب الكوارث ضد البشرية .

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

حقيقة إقليم « كوسوفو »

إقليم « كوسوفو » - (قوصووة) كما هو الرسم الصحيح - جزء من الأراضى الألبانية فى البلقان . وكان الألبانيون أول شعب نزح قبل الميلاد بقرون إلى أرض البلقان الواسعة حيث تفرقت القبائل الألبانية القليلة العدد فى أرجائها[1] .

ولقد أجمع المؤرخون على هذا وإن كانوا قد عجزوا عن تحديد مبدأ نزوحهم .

بعد الميلاد بقرون بدأ « الصرب » يهاجرون من الشمال إلى الجنوب فاصطدموا بالقبائل الألبانية القليلة العدد المنتشرة فى البلقان فاضطرت القبائل الألبانية قبيلة وراء أخرى إلى الانسحاب شيئاً فشيئاً حيث تجمعت كلها فى الأرض المعروفة الآن وهى المنقسمة إلى ثلاثة أقسام :

قسم كبير فى « كوسوفو » و « ماكيدونيا » والجبل الأسود .

وقسم هو ولاية « يانينا » الألبانية الشهيرة وقد ضمت إلى اليونان .

وثالث الأقسام ألبانيا الرسمية المعترف بها دولياً .

كيف نشأت الأقلية الصِّربية فى « كوسوفو »

من المعروف أن « الصرب » بعد اصطدامهم بالقبائل الألبانية وانسحابها ليجتمع شملها فيما بين « كوسوفو » إلى بحر الأدرياتيك استقر الصرب فى منطقتهم المعروفة الآن . وكان يحدث بين وقت وآخر تصادم بينهم وبين الألبانيين بقصد وصولهم إلى بحر الأدرياتيك ، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك .

ولما تعرض البلقان للفتح العثمانى اجتمع زعماء المنطقة من « الصرب » و « الألبان » والفلاح وغيرهم[2] وعقدوا حلفاً للدفاع عن البلقان ، واشتركت جيوش المنطقة تحت قيادة واحدة فى معارك كثيرة ، لكن النصر كان دائماً حليف العثمانيين الذين فتحوا المنطقة الألبانية أولاً ، واعتنق ٩٥٪ من الألبانيين الإسلام وحسن إسلامهم .

بعد ذلك فتح العثمانيون بلاد « الصرب » الذين أصبحوا بموجب الفتح رعايا عثمانيين . ولم يسلم - على ما نعلم - أحد من الصرب طوال قرنين من الزمن ، لأن الدولة العثمانية طبقاً للتعاليم الإسلامية ، لم تكن تُكْرِهُ أحداً من رعاياها على اعتناق الإسلام[3] ؛ وكان لكل من أصبح من رعايا الدولة حق مثل حق العثمانى المسلم ، لذلك فتحت مدارس الدولة أبوابها لكل الرعايا على حد سواء .

وبمرور الزمن بدأ بعض « الصربيين » يرسلون أولادهم إلى هذه المدارس . وعند تخرجهم يعينون فى وظائف الدولة وينتقلون فى بلادها . فكان يحدث أن يحضر بعض هؤلاء الموظفين الصربيين إلى المنطقة الألبانية . منهم من

←

١ - لمزيد من المعلومات يراجع العدد الرابع من السنة الستين لمجلة الأزهر الصادر فى ربيع الآخر سنة ١٤٠٨ هـ صـ ٤٦٤ .
٢ - راجع العدد الرابع من مجلة الأزهر الصادر فى ربيع الآخر سنة ١٤٠٨ صـ ٤٦٦ .
٣ - انظر نفس المرجع .

كان يعود إلى بلده بعد الإحالة إلى المعاش ، ومنهم من كان يفضل البقاء مع الألبانيين حيث إنهم رعايا دولة واحدة .

من هنا نشأت الأقلية الصربية فى « كوسوفو » التى لم يزد عددها على ١٪ ـ واحد فى المائة ـ وعاشوا مع المسلمين الألبانيين قرنين أو أكثر محتفظين بلغتهم ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ولم يذكر التاريخ شيئاً عن وقوع حوادث بينهم وبين الألبانيين طوال هذه المدة ، فقد كانوا آمنين جميعاً ، وبعد الحرب العالمية الأولى احتلت الدولة الصربية المنطقة[٤] الألبانية فحضر عدد كبير منهم لتولى شئون الإدارات والمصالح . وأكثرهم عاد إلى بلاده عند نشوب الحرب العالمية الثانية .

أما مواطنو الجبل الأسود فلم يكن لهم وجود فى هذه المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها جلبت الحكومة اليوغوسلافية الملكية عدداً كبيراً منهم . وملّكتهم الأراضى الزراعية الخصبة المملوكة للألبانيين بقصد حملهم على ترك البلاد للصربيين[٥] .

وعند نشوب الحرب العالمية الثانية فر هؤلاء جميعاً إلى بلادهم ، لأن الفلاح الألبانى لم يكن ليسمح لهذا الدخيل الغريب أن يستمر فى الاستيلاء على أرضه ظلماً وعدواناً . وبعد انتهاء الحرب عاد كثير منهم إلى المنطقة محاولين الاستيلاء على ممتلكات الألبانيين فلم يتمكنوا ، لأن الحكم الذاتى حال بينهم وبين ما أرادوا فانضموا إلى الأقلية الصربية لإحداث الفتن .

هذه هى قصة الأقلية الصربية فى أقليم « كوسوفو » ومما يجدر ذكره هنا أن أحفاد الضربيين الذين فضلوا البقاء مع الألبانيين بعد إحالتهم إلى المعاش كما سبق ذكره لزموا الحياد ، ولم ينضم منهم إلى الصربيين الجدد إلا عدد قليل لا يذكر . ورفضوا الاستيلاء على الأرض المملوكة للألبانيين رغم إلحاح الإدارة الصربية مكتفين بما كانوا يقومون به من أعمال ومهن لكسب أرزاقهم .

عداوة الصرب للألبانيين قديمة ومستمرة

استمرت عداوة الصرب للألبانيين بعد استيلائهم على أراضيهم واستقرارهم فيها . وكانوا يقومون بين وقت وآخر بغارات واسعة ضد الألبانيين بغية وصولهم إلى بحر الأدرياتيك كما سبق ذكره ولم يكونوا يتمكنون من ذلك .

وبعد الفتح العثمانى كانوا يقومون بحركات ضد الدولة العثمانية ، لكن الألبانيين الذين اعتنقوا الإسلام كانوا لهم بالمرصاد مما كان سبباً دائماً فى إعادة الانضباط والأمن إلى البلاد . وظهرت عداوتهم بجلاء بعد أن احتلوا المنطقة الألبانية عقب الحرب العالمية الأولى وقاموا بفظائع ضد الألبانيين لحملهم على الهجرة إلى ألبانيا أو تركيا[٦] ، لكنهم عجزوا لصلابة عود الألبانيين وصمودهم إلى أن ينجلى الموقف . ومما يجدر ذكره أنه يوجد بالمنطقة عدد لا بأس به من الكاثوليك ، وهم ألبانيون أبا عن جد ، لكنهم بعد الفتح العثمانى لم يعتنقوا الإسلام ، والدولة احترمت حريتهم الدينية وتركتهم على ما يدينون به . وعلاقتهم بالمسلمين الألبانيين علاقة طيبة هى علاقة عرق ولغة وعادات

---

٤ ـ راجع العدد السادس من مجلة الأزهر الصادر فى جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ صـ ٧٢٥ .

٥ ـ راجع العدد السادس من مجلة الأزهر الصادر فى جمادى الآخرة سنة ١٤٠٨ صـ ٧٢٧ .

٦ ـ راجع نفس المرجع .

وتقاليد . وحاول الصرب كثيراً إحداث فتن وقلاقل بينهم وبين المسلمين الألبانيين فكانوا ينجحون مرة ويفشلون مرات .

كيف نشأت فكرة
الاتحاد اليوغوسلافي

كانت قوات المقاومة التى تحارب الجيشين النازى والفاشستى تضم كثيراً من زعماء الشعوب التى تعيش فى يوغوسلافيا ، كان من بينهم - إن لم تخنى ذاكرتى - زعيم « كوسوفو » ، « فاضل خوجة » ، أولئك الزعماء كانوا « رفاق السلاح » فى المقاومة فوحّد الهدف صفوفهم ، وجمع كلمتهم ، وطهّر نفوسهم ، وربط قلوبهم على المحبة والوفاء فتعاهدوا - وهم فى خنادقهم - على إنشاء يوغوسلافيا بعد النصر على أسس جديدة بحيث ينعم جميع شعوبها بالحرية والعدالة والمساواة .

أجرى رفاق السلاح - وهم فى خنادقهم دفاعاً عن حرية شعوبهم - حواراً طويلا عن « كيفية تشكيل مؤسسات الدولة » بعد النصر بحيث لا تتكرر المآسى والفظائع التى ابتلى بها بعض الشعوب اليوغوسلافية ومنها الشعب الألبانى بين الحربين بسبب طغيان شروط « معاهدة فرساى » التى فصّلها « ترزية الاستعمار[7] » لويد جورج وكلمنصو وغيرهما طبقا لأهوائهم الاستعمارية ، فلم يعطوا كل شعب حقه فى تقرير مصيره ، بل وزعوا الشعب الواحد بين عدة دول ليستمر النزاع بينها حتى لا تجتمع على كلمة واحدة قد تضر فى المستقبل بمصالح « ترزية الاستعمار » .

وحيث إنهم كانوا ساسة نشطين جهلاء لم يَدُرْ بخلدهم أن سياستهم هذه ستكون يوما ما ضد مصالحهم . ويوم وقعت الواقعة وهجم النازيون على يوغوسلافيا اقتحم القطار النازى المسلح حدود يوغوسلافيا ووصل إلى « زغرب » « عاصمة الكروات » دون إطلاق رصاصة واحدة . وهكذا استولى الألمان على يوغوسلافيا فى أربع وعشرين ساعة دون مقاومة تذكر ، لأن الشعوب التى ظلمتها معاهدة فرساى بتمزيقها اعتبرت الجيش النازى جيش إنقاذ وخلاص من نار شروط معاهدة فرساى .

نعم ، ظنت الشعوب المظلومة فى أول الأمر أن الجيش النازى جيش إنقاذ وخلاص ، لكن قبل مرور عام تبين للزعماء بالاحتكاك بالألمان أن باطنهم خلاف ظاهرهم ، فقاموا بحمل السلاح وإنشاء كتائب قوات المقاومة والاحتماء بالجبال ذات الأشجار الكثيفة للانقضاض على الجيش النازى دفاعاً عن حرية شعوبهم . ولو كان « ترزية معاهدة فرساى » ساسة عقلاء وخبراء بعواقب الأمور لأعطوا كل شعب حقه ، ومكنوه من إقامة دولته بدل تمزيقه بين عدة دول . وفى هذه الحالة لم تكن ألمانيا النازية تستطيع أن تستولى على البلقان إلا بعد مقاومة شعوبها الحرة مقاومتها الشديدة ، وكان طول مدة المقاومة فى صالح الحلفاء حيث ثبت أن مقاومة الشعوب للجيش النازى أضر أبلغ الضرر بالتكتيك الحربى الألمانى .

وضع رفاق السلاح هذه الاعتبارات أمام أعينهم فقرروا بالإجماع تلافيها بعد انتصارهم . وبعد مشاورات ومحاورات

←

---

٧ - تعبير مصرى يقصد به « خيّاطو الملابس » .

قضيــة من يوغوســلافيــا

ظهرت امامهم فكرة الاتحاد اليوغوسلافى لممارسة القضايا الكلية . اما الأمور الداخلية فلكل شعب حريته المطلقة فى تشكيل نظامه الداخلى طبقا للغته وعرقه وعاداته وتقاليده .

من هذا المنطلق قرر رفاق السلاح بالإجماع ان ينشىء كل شعب من الشعوب التى تعيش فى يوغوسلافيا جمهوريته المستقلة مرتبطة بالاتحاد العام الممارس للقضايا الكلية .

لماذا لم تنشا جمهورية « كوسوفو » السابعة

انشا كل شعب من الشعوب الستة التى كانت تعيش فى يوغوسلافيا جمهوريته ، وهى شعوب « سلوفينيا » و« كرواتيا » و« بوسنة » و« صربيا » و« ماكيدونيا » و« الجبل الأسود » ، اما شعب « كوسوفو » فلم يكن فى استطاعته إنشاء جمهوريته لعدم تملكه مقومات تاسيس جمهوريته ، وأهم هذه المقومات هى اللغة التى لابد منها لإدارة شئون البلاد ، واللغة الالبانية ـ لغة الام ـ كانت بدائية جداً فى المنطقة كلها ، لان ٩٩٪ من الالبانيين لم يكونوا يعرفون كتابة اللغة الالبانية ولا قراءتها حيث حرّمت حكومة الصرب الملكية المستبدة بين الحربين الالبانيين من كل حقوقهم المدنية حتى الانتقال من بلد إلى أخر بينهما بمسافة اكثر من ثلاثين كيلو مترا كان ممنوعا إلا بتصريح خاص . والتعليم المتوسط كان باللغة الصربية وهى لغة أجنبية بالنسبة للالبانيين . وكانت الحكومة المذكورة تحاربُ حرباً شعواء تَعَلُّمَ اللغة الالبانية سراً فى البيوت لدرجة أن رجال الشرطة كانوا يقتحمون البيوت لتفتيشها حسبما يحلو لهم طبقا لقانون الغابة . ولو وجدوا كتاب لغة البانية فى بيت من البيوت هدموه على من فيه .

لذلك كان كثير من شباب المنطقة يجتازون الحدود سراً إلى البانيا الرسمية حيث يجدون فيها أبواب المدارس المتوسطة والعالية مفتوحة امامهم .

لهذه الأسباب كان من المستحيل فى هذا الوقت إنشاء جمهورية « كوسوفو » السابعة طبقا لقرار رفاق السلاح فى خنادقهم ، فتقرر إنشاء حكم ذاتى فى إقليم « كوسوفو » يرتبط بنظام جمهورية الصرب المجاورة .

نهوض « كوسوفو » فى مدى عشرين عاماً نهوضاً اثار إعجاب الجميع

حقا لكل ضارة نافعة . ومن منافع الاتحاد العام أنه سمح لكل شعب ان يتعلم لغة أمه ، فسرعان ما عاد أبناء المنطقة الذين كانوا قد فروا إلى البانيا أيام طغيان الصرب بين الحربين ففتحوا المدارس على اختلاف انواعها . وقاموا بتدريس اللغة الالبانية . وقواعدها وأدابها وتدريس بقية العلوم باللغة الالبانية بالإضافة إلى تدريس لغة اجنبية . وانشئت جامعة « كوسوفو » لتستقبل خريجى التعليم المتوسط . وكانت الجامعة قد استكملت فى مدة قليلة الكليات المختلفة ومنها كلية للاستشراق . وكان يقوم بتدريس المواد باللغة الالبانية فى الكليات المتنوعة أساتذة البانيون فلم تمض عشرون سنة حتى عمت الحضارة جميع نواحى الحياة فى « كوسوفو » من علم وأدب وثقافة عامة وجامعة تخرج كُتّابا وادباء وأطباء ومهندسين وقضاة ومحامين وصيادلة ومحاسبين واقتصاديين وكيمائيين وغيرهم .

وظهرت فى الوجود المطابع التى قامت بطبع الجرائد والمجلات والكتب العلمية

المختلفة ، وكَمُلت وسائل الإعلام كلها المقروءة والمسموعة والمرئية . وبذلك استكملت « كوسوفو » جميع المقومات التى جعلتها فى مستوى الجمهوريات الست ، وأصبح من حقها إنشاء الجمهورية السابعة طبقا لقرار رفاق السلاح .

« كوسوفو » تطالب بتشكيل الجمهورية السابعة

فى أوائل الثمانينيات قام طلاب « كوسوفو » والشعب من ورائهم يطالبون بتشكيل الجمهورية بعد أن استكملوا كل الوسائل وحققوا جميع المقومات اللازمة لذلك أسوة بالشعوب الستة وطبقا لقرار رفاق السلاح ، فَقَدَ زعماء الصرب فى « بلغراد » حينما بلغهم ذلك أعصابهم وهاجوا وقاموا - بحكم ارتباط « كوسوفو » بنظام حكمهم - باستخدام القوة الغاشمة ضد الشباب الأحرار المطالبين بحقوق شعبهم . وكانت نتيجة تصدى القوات الصربية لهم مئات من الشهداء الأبرار من الطلاب وغيرهم واعتقال آلاف آخرين .

عرف شعب « كوسوفو » أن عداوة الصرب لهم منذ أكثر من عشرة قرون مازالت دفينة فى قرارة أنفسهم ، وأن اشتراكهم معا فى الخنادق دفاعاً عن حرياتهم لم تصفّ ما بداخل قلوبهم . فاستمروا فى الاستعداد لنيل حقوقهم بالطرق السلمية حفاظاً على الاتحاد ، وأملاً فى عودة زعماء الصرب إلى رشدهم لصالح الشعب الصربى وبقية شعوب المنطقة .

لكن الصرب من ناحيتهم بدأوا يدبرون المؤامرات ضد شعب « كوسوفو » فأخذوا يرسلون مزيداً من الصرب إلى منطقة « كوسوفو » وتمنحهم ميزات خاصة من حيث الإسكان ووسائل المعيشة وليس يفوتنا أن أمور الإدارة بيد الصرب ثم أوعزت إليهم أن يقوموا بالمظاهرات ضد الأغلبية الألبانية مدعين كذبا أن الأغلبية الألبانية تضطهدهم ، وطلبوا من فلاحى الجبل الأسود الذين لم يكن لهم وجود فى المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى - كما سبق ذكر ذلك بالتفصيل - أن يشتركوا فى المظاهرات مع الأقلية الصربية ضد الألبانيين . وأدى ذلك إلى سوء الأحوال الاقتصادية والمدنية التى لازالت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم .

كان لابد للألبانيين أن يتخذوا جميع الاستعدادات السلمية اللازمة من مظاهرات وإضراب عن العمل واعتصام بالمناجم للدفاع عن حقوقهم وللرد على الأقلية الصربية وحلفائها الجبليين ، وإثبات كذبهم فيما يدعون .

بيد أن بلغت الاضطرابات ذروتها وساءت الأحوال وتعطلت الأعمال اجتمع أعضاء رابطة الشيوعية العامة على هيئة مؤتمر ببلغراد فى الربع الأخير من العام الماضى . وحضر المؤتمر زعماء « كوسوفو » المسلمين بحكم عضويتهم فيها فقاموا بتفنيد كل الأدلة التى تمسك بها زعماء الصرب وأثبتوا أمام المؤتمر أن زعيم الصرب يحاول قلب الحقائق ، وأنه هو الذى يدبر المؤامرات ضد الأغلبية الألبانية . وبعد مداولات استمرت ثلاثة أيام فاز زعماء « كوسوفو » بآراء أغلبية الأعضاء ، ولم ينضم إلى زعيم الصرب إلا أعضاء الجبل الأسود .

يتبع

في رياض السنة النبوية المطهرة

فتح مكة ومكارم الأخلاق

روى البخارى بسنده قال : حدثنى عبيد ابن إسماعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام عن ابيه قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً ، خرج ابو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُديل بن ورقاء ، يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقبلوا يسيرون حتى اتوا مرّ الظهران ، فإذا هم بنيران كانها نيران عرفة ، فقال ابو سفيان : ما هذه ؟ لكانها نيران عرفة ؟ فقال بُديل بن ورقاء : نيران بنى عمرو ، فقال ابو سفيان : عمرو اقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوهم فاخذوهم ، فاتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاسلم ابو سفيان .. فلما سار قال للعباس : احبس ابا سفيان عند خَطْم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبى صلى الله عليه وسلم : تمر كتيبة كتيبة على ابى سفيان.مرت كتيبة فقال : ياعباس من هذه ؟ فقال : هذه غفار ، قال : مالى ولغفار .

ثم مرت جهينة ، قال مثل ذلك ، ثم مرت سعدبن هُذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك .

حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة : ياأبا سفيان « اليوم يوم الملحمة»اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان ، ياعباس حبذا يوم الزمار .

ثم جاءت كتيبة - وهى أقل الكتائب - فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وراية النبى صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال : ما قال ؟ قال كذا وكذا فقال:كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ، قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون ، قال عروة : واخبرنى نافع بن جبير بن مطعم قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوام : ياأبا عبد الله ، هاهنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية ؟ قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كَداء،ودخل النبى صلى الله عليه وسلم من كُدى فقتل من خيل خالد بن الوليد رضى الله عنه يومئذ رجلان : حبش بن الأشعر وكرز ابن جابر الفهرى .

« رواه البخارى فى كتاب المغازى »

أ.د. رءوف شلبي

المفردات :

خَطْم الجبل : يعنى أنف الجبل وفى رواية الواقدى : احبسه بمضيق الوادى إلى خطم الجبل ، وكذلك فى المواهب اللدنية والمقصود : حبس « أبى سفيان » فى مكان ييسر له رؤية موكب الكتائب .

يوم الملحمة : يوم قَتْلٍ وحرب لا يوجد مَخْلَص منها يقال: لحم فلان فلاناً إذا قتله .

حبذا يوم الزمار : يعنى الهلاك للخصم تمنى أبو سفيان أن تكون له يد وقوة ليحمى قومه ويدفع عنهم، ويستخدم اللفظ فى الدفاع عن الحريم والأهل والانتصار للقبيلة .

وقيل: المراد من يوم الزمار يوم الحماية والحفظ والرعاية من كل مكروه .

كَداء : بالمد جبل من جبال مكة وهو أحد أطرافها العليا .

كُدى : بالقصر : جبل من جبال مكة وهو أحد طرق مكة أيضاً .

شـــرح الحديث

١ ـ المرحلة الأولى ـ الأسباب والأحداث :

الروايات المتعلقة بفتح مكة فى كتب السنة متعددة العناوين والطول والقصر والأسانيد وأتم الروايات تسلسلاً هى الروايات التى جاءت فى كتاب المصنف من الجزء الرابع عشر:حديث فتح مكة من ص ٤٧١ إلى ص ٥٠٧ فقد ذكر الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبى شيبة كل ما يتعلق بفتح مكة من هذا الحديث ، وأما ما جاء فى صحيح مسلم فهو يعتبر لقطات لوقائع الفتح العظيم ، والرواية التى معنا هى رواية الإمام البخارى،وهى تصور الأجزاء التى وقعت فى جوار البيت العتيق،وتشير إلى أحداث كان لها مقدمات انطوت داخل الرواية ، وعبر عنها المحدثون فى روايات أُخَر .

وقصة فتح مكة ترجع إلى صلح الحديبية ذلكم الفتح السياسى والدبلوماسى الذى ظفر به الإسلام على مشركى العرب ، فقد منعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين من أداء العمرة ضنا منها أن ترى المسلمين وقد عادوا فى كثرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،فرؤية المسلمين على هذا النحو تؤذى مشاعر كفار العرب ورؤسائهم فى مكة فحبسوا المسلمين عن أداء النسك .. وانتهى الأمر بعقد صلح بين الإسلام وبين قريش الجاهلية ، وكان من لواحق هذا الصلح أن دخلت خُزاعة فى حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلت بكر فى حلف قريش،وعلة دخول خزاعة فى حلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفسرها الواقدى بقوله :

فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده،وكانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب،وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم عارفاً[1] ولقد جاءته خزاعة بكتاب

←

١ ـ معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على علم بهذا العهد بين خزاعة وجده عبد المطلب .

فتح مكة

عبد المطلب فقرأه قال ابن واقد : وهو « باسمك اللهم ، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة .. إلخ»ولم يستقر الأمر على هذا النحو اكثر من اثنين وعشرين شهراً حتى هجا « أنس بن زنيم الديلى » رسولَ الله-صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين بكر حليفة قريش والتى منها الشاعر الهجاء « أنس بن زنيم » ، وبين خزاعة التى منها الغلام الذى انتصر لرسول الله-صلى الله عليه وسلم فكلمتْ بنو نفاثة من بكر أشرافَ قريش ليعينوهم بالرجال والسلاح على حرب خُزاعة فأمدوهم بذلك وخرج إليهم صفوان بن امية،وعكرمة بن أبى جهل،ومكرز بن حفص بن الأخيف،وحويطب بن عبد العزى ، وشيبة بن عثمان ، وأجلبوا معهم أرقاءهم واغاروا عليهم وهم آمنون فقتلوهم على ماء يقال له « الوتير » قريباً من مكة ، وكان عامة القتلى من النساء وضعفة الرجال والصبية، تقول الروايات : .... فبيتوا خزاعة ليلاً وهم غارون آمنون من عدوهم،ولو كانوا يخافون هذا لكانوا على حذر وعدة،فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم ... ودخلت قريش فى منازلهم وهم يظنون الا يُعرَفُوا وألا يُبلَّغ هذا محمداً صلى الله عليه وسلم(٢) .

هكذا نقضت قريش عهد الحديبية وهكذا ظنت أن أمرها لن يبلغ النبى-صلى الله عليه وسلم - وهنا يظهر عنصر واحد من عناصر الأخلاق فى احترام العهد ، وفى نصرة الحليف الصادق الذى حفظ العهد تقول الروايات : إنه لما قدم ركب خزاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بمن قتل منهم .... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:فمن تهمتكم وظنتكم ؟

قالوا : بنو بكر ، قال : كلها ؟ قالوا : لا ، ولكن تهمتنا « بنو نفاثة » ورأس القوم « نوفل بن معاوية » ، قال : هذا بطن من بنى بكر،وأنا باعث إلى أهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر ، ومخيرهم فى خصال : بين أن يبروا خزاعة أو يبرأوا من حلف نفاثة ، أو تنبذ إليهم على سواء،فأتاهم ضمرة سفيرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وخبرهم بالذى أُرسِل به فقال قُرَطَة بن عبد عمرو الأعجمى .. هم حلفاؤنا فلا نبرأ من حلفهم ما بقى لنا سَبَد - وهو الشعر - ولا لبد - وهو الصوف ، إننا ننبذ إليه على سواء(٣) .

وعندئذ احست قريش بأنها وقعت فى حرج فندمت، وعرفوا أنهم صنعوا نقضاً للعهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبوا إلى أبى سفيان بن حرب أن يصلح الذى افسده الناس وأقبل أبو سُفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنى كنت غائباً فى صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا فى المدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان فيكم حدث ؟ قال : معاذ الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل . ثم قام أبو سفيان فدخل عند ابنته أم حبيبة فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله-صلى الله عليه وسلم-طوته دونه : فقال :أرغبت بهذا الفراش عنى ؟ أوبى عنه ؟ قالت : بل هو فراش النبى-صلى الله عليه وسلم-وأنت أمرؤ نجس مشرك ، فقال : يابنية : لقد أصابك شر !! قالت : هدانى الله للإسلام

---

٢ - المغازى للواقدى جـ٢ ص ٧٨٣/٧٨٤ إمتاع الأسماع للمقريزى جـ١ ص ٣٥٧/٣٥٨ .
٣ - المغازى للواقدى جـ٢ ص ٧٨٦ .

وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول فى الإسلام ؟؟ وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ؟

قال : ياعجباه وهذا منك ايضاً ؟ أاترك ما كان يعبد آبائى واتبع دين محمد ؟ ثم قام من عندها وقد فقد توازنه فلم يراجع حساباته ولم يراجع براهينه لا سياسياً ولا دينياً، ولقى أبا بكر رضى الله عنه فقال له : جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ثم لقى عمر رضى الله عنه فقال له عمر : والله لو وجدت الذر تقاتلكم لاعنتها عليكم ، وتوجه إلى عثمان بن عفان وهو اقرب الناس رحماً بابى سفيان فقال له : جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب إلى السيدة فاطمة رضى الله عنها وإلى سيدنا على رضى الله عنه واستعطف واسترحم ليجيره أحد فلم يجره احد ابداً ، ذلك لان الوعى فى الأمة والانضباط فى فهم الأمور قد بلغ مبلغه الراقى الحضارى فلا يفتى فى أمر من أمور الدولة العليا واحد من الناس مهما كانت منزلته وقرابته من رئيس الدولة او تضحية فى سبيل الوطن والرعية .. فقد أجمع الكل على أنه لا جوار لأحد إلا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده دون سواه .

ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم حلفه مع خزاعة موضع التنفيذ فذاك أمر تقره مكارم الأخلاق التى بعث صلى الله عليه وسلم ليتممها تقول الروايات : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهو مغضب فدعا بماء فدخل يغتسل قالت عائشة : فأسمعه يقول ـ وهو يصب الماء عليه :

لا نُصِرْتُ إن لم انصر بنى كعب(٤)

يقول المقريزى : ولما ولى أبو سفيان راجعاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها : جهزينا واقضى أمرك ، وقال صلى الله عليه وسلم : اللهم خذ من قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة ، وأخذ صلى الله عليه وسلم بالأنقاب ـ وهى الطرق التى تكون بين جبلين ولا يسلكها عادة المارة من الناس ـ وجعل على الأنقاب حرساً فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف عليها ويقول : لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه ، وكانت الأنقاب مسلمة وهكذا بدات العسكرية الإسلامية تستعد فى حزم وانضباط وكتمان وسرية وهى إحدى مميزات الإسلام فى الحرب : أن لا يفصح واحد عن مسيره ، ولا يحرك عُدَّةً إلا بأمر القائد الأعلى فليحذر المعاصرون من الإسراف فى استخدام الفاظ الجهاد بأسلوب الشهرة والتصرف غير المسئول ، ولا أدل على ذلك من أن أبا بكر رضى الله عنه فيما يرويه الكاتبون دخل على السيدة عائشة رضى الله عنها ، وهى تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياعائشة أهمَّ رسول الله بغزو ؟ قالت : ما أدرى ، وهى تعلم من هو والدها سابقة فى الإسلام وسابقة فى التضحية ، وقرب منزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبوها ، ولكن كل ذلك شىء وطاعة رئيس الدولة فى أمر يخص المصالح العليا شىء آخر ، يقول الواقدى :

فدخل أبو بكر على عائشة وهى تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم تعمل قمحاً سويقاً ودقيقاً وتمراً ، فدخل عليها أبو بكر فقال : ياعائشة : أهمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو ؟ قالت : ما أدرى ، قال : إن كان رسول

←

٤ ـ المغازى للواقدى ص ٧٩١ جـ ٢ .

الله.هَمّ بسفر فآذنينا فنهيأ له ؟ قالت : ما أدرى لعله يريد بنى سليم لعله يريد ثقيفاً . لعله يريد هوازن ؟ فاستعجمت عليه حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر : يارسول الله أردت سفراً ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:نعم قال : أفأتجهز ؟ قال : نعم قال : وأين تريد يارسول الله ؟ قال : قريشا وأخف ذلك ياأبا بكر ؟!(٥) .

وهكذا يفهم معنى الجهاد ، وهكذا تكون قواعده وانضباطاته وإخفاء للوجهة التى يريدها الجيش الإسلامى فقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية بقيادة أبى قتادة إلى بطن إضَم على ثلاثة بُرُد من المدينة ليظن الناس أن توجه المسلمين إلى تلك الناحية،وشاء الله أن يقع حدث يفسر لشبابنا المعاصر انه ليس من حق أحد أن يحكم على أحد بالكفر نتيجة فهمه أو حدسه أو اجتهاده،وأن المنكر الذى يظنه ظان أنه منكر لا يزال بالعشوائية وفوضى القوى الذاتية فقد لقى السرية(٦) رجل مسلم يسمى : عامر بن الأخبط الأشجعى فسلم عليهم بتحية الإسلام فعدا عليه محلِّم بن جثامة الليثى فقتله،وأخذ بعيره وسَلَبَهُ ومتاعاً له وَوَطْبًا-وهو سقاء اللبن الخاص به-فلما لحقوا بعد ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فى شأنهم قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ « النساء ٩٤ » .

يقول الفخر الرازى : اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة فى تحريم قتل المؤمنين وأمر المجاهدين بالتثبت لئلاَّ يسفكوا دماً حراماً بتأويل ضعيف(٧) .

ولا أدرى لمن يبيحون دم المسلمين فى العصر الحاضر،من أين لهم هذا الاجتهاد والنصوص تضافرت على منعه وتحريمه وتجريمه ؟!

وتنتهى بذلك المرحلة الأولى من أحداث الفتح التى لم يرد بشأنها ذكر فى الحديث الذى رواه البخارى .

المرحلة الثانية :

(الأسرار والمحن)

تبدأ المرحلة الثانية من حادثة حاطب بن أبى بلتعة-رضى الله عنه-عندما شاع فى الناس أن النبى-صلى الله عليه وسلم-قرر السير إلى قريش فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأعطى الكتاب امرأة من مزينة وجعل لها جُعْلاً على أن توصله قريشاً ، فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها فخرجت لغايتها،وجاء الوحى إلى سيدنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم بأمرها فأرسل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-على بن أبى طالب،والزبير بن العوام فى طلبها فلما لحقا بها التمسا الخبر فى رحلها فلم يجدا شيئاً فقالا لها : إنا نحلف بالله ما كُذِّبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم-ولا كُذِّبنا .. فلما رأت منهما الجد قالت : أعرضا عنى ؟ فأعرضا عنها فحلت قرون

٥ ـ المغازى جـ ١ ص ٧٩٦ راجع إمتاع الأسماع للمقريزى جـ ١ ص ٣٦١ .
٦ ـ راجع الواقدى كتاب المغازى جـ ٢ ص ٧٩٧ إمتاع الأسماع للمقريزى جـ ١ ص ٣٥٦ .
٧ ـ الفخر الرازى جـ ١١ ص ٣/٢ .

رأسها فاستخرجت الكتاب فدفعته إليهما فجاءا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حاطبا فقال : ماحملك على هذا ؟ فقال يارسول الله إنى لمؤمن بالله ورسوله وما غيرت ولا بدلت ، ولكنى امرؤ ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قاتلك الله ترى رسول الله يأخذ بالأنقاب ـ الطرق الوعرة بين الجبال ـ وتكتب الكتب إلى قريش تحذرهم ؟ دعنى يارسول الله أضرب عنقه فإنه قد نافق ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:وما يدريك ياعمر ؟ لعل الله قد اطلع يوم بدر على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وأنزل الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ « الممتحنة ـ ١ » .

يقول الرازى تكملة لرواية الواقدى : ففاضت عينا عمر .[8] .

وتلك واحدة من مكرمات الأخلاق التى بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليتممها.وابتدا النفير للمعركة فقد اتفق الكاتبون على أن رسول الله ـصلى الله عليه وسلم أرسل إلى أهل البادية: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة"وبعث رسلاً فى كل ناحية حتى قدموا : فقدمت أسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأشجع،ولحقت بنو سليم بالطريق عند قُدَيد ... إلخ[9] .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر وكانوا عشرة آلاف رجل،وقَدَّم صلى الله عليه وسلم أمامه الزبير بن العوام-رضى الله عنه-فى مائتين،وصام الجيش حتى مكان العَرْج صب رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء على رأسه ووجهه من العطش،فلما كان بالكديد بين الظهر والعصر أخذ إناء من ماء فى يده حتى رآه المسلمون ثم أفطر تلك الساعة[10] .

ولما بلغ النبىَّ-صلى الله عليه وسلم-أن بعض الناس قد استمر فى الصيام قال : أولئك العصاة وقال-وهو فى مر الظهران : إنكم مصبحو عدوكم والفطرُ أقوى منكم[11] .

وهنا أيضاً يظهر معنى معانى مكارم الأخلاق التى بعث ليتممها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أن التكليف على قدر الطاقة،وأن الالتزام بالتوجيه النبوى هو الإسلام المطلوب،وأن الغلو هو فى الزيادة على ما أمر به الله ورسوله.فهل لشبابنا المعاصر أن يدرك هذه الخصائص للإسلام الحنيف ، ولشريعة النبى الكريم ؟؟

ومن خصائص الإسلام فى تصوراته لمدى العطف أن يرحم كل ذى كبد رطبة؛فقد ذكر الكاتبون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار من العَرْج وكان فيما بين العرج والطلوب نظر إلى كلبة تهر على أولادها وهم حولها

البقيــة ص ١٠٥٨

٨ ـ راجع المغازى للواقدى جـ ٢ ص ٧٩٨ والفخر الرازى جـ ٢٩ ص ٢٩٧ الإمتاع للمقريزى جـ ١ ص ٣٦٢ .

٩ ـ الإمتاع جـ ١ ص ٣٦٤ الواقدى جـ ٢ ص ٧٩٩ .

١٠ ـ المغازى للواقدى جـ ٢ ص ٨٠٢ الإمتاع للمقريزى جـ ١ ص ٣٦٥ .

١١ ـ نفس المرجع .

الصوم في السفر

عن حمزة بن عمر الاسلمي ــ رضى الله عنه ــ قال للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : يا رسول الله : اجد بى قوةً على الصِّيَام فى السفر ، فهل عَلَىَّ جُنَاحٌ ؟ فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (هى رخصة من الله تعالى . فمن اخذ بها فحسنٌ ، ومن احب ان يصوم فلا جُنَاحَ عليه) « رواه البخارى ومسلم » .

اللغـــة :

١ ـ أجد بى قوة : أى أعلم من نفسى قدرة .

٢ ـ جُنَاحَ : أى إثم وميل أو : حرج .

٣ ـ هى رخصة : تخفيف وتسهيل ومنحة من الله تعالى .

(١) شهر الصيام جامع لابناء الأمة :

تتوالى الأيام ، وتختلف الأوضاع والأحوال وشهر رمضان كما اراده الله لأمة الإسلام ، شهر الخير والبـركة ، عطـاؤه لا ينقطع ، وفيـوضاتـه لا تنحصر .

هـو شهر الـذكر والعبـادة ، والتعبئـة والمجاهدة .

هو الموسم السوى الجامع لأمة الإسلام ، على الطهر والنقاء والحب والوفاء ، والعامل القوى لتمحيص الإيمان ، والباعث على امتحان النفس ورياضتها على الحرمان ، كى تقوى عند الحاجة على الظروف الصعبة ، وتتمكن عند الضرورة على ضواغط العسر ، وتصبر على الأزمات ، وتنتصر على جواذب الإغراء ، فلا تتخاذل ، ولا تذل ولا تهون .

إن فريضة الصيام غير منظور فيها إلى الغنى والفقير ، بل إلى محض الإيمان والقدرة على مشاق التكليف ، يستوى فى ذلك الموسر يمسك عن الطعام والشراب طاعة وتقوى ، والفقير المعسر يجوع ويعطش قياماً لفريضة الصوم .

ويستويان ايضاً فى رخص الإفطار الشرعية ، فكلاهما يرخص له فى الفطر إذا كان مريضاً أو على سفر ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ـ سورة البقرة آية رقم ١٨٤ ـ .

وهما فى الأجر والجزاء سواء لمن اخلص منهما فى الصوم ، ففى الحديث القدسى عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ انه قال : (قال الله عز وجل ـ كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لى وانا أجزى به) .

ـ متفق عليه ـ واللفظ من صحيح مسلم ـ .

وفى الحديث فى رواية الصحيحين :

(يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى . الصيام لى وأنا أجزى به ، والحسنة بعشر امثالها) .

(٢) الصوم فرض على المقيم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ـ سورة البقرة آية رقم ١٨٣ ـ .

للأستاذ محمد صابر البرديسي

بين الله للمسلمين فى هذه الآية أن تشريع الصوم ليس جديداً فى الشريعة الخاتمة ، وإنما هو تشريع قديم ، شرع للأمم السابقة أيضا ولا شك أن هذا تستريح له النفوس ، ويدعو إلى القبول والطاعة وعدم الشعور بالحرج ، لأنهم ليسوا بمنفردين بما يطالبون به من صيام .

وقد أجمعت الأمة على وجوب صوم شهر رمضان ولم يخالف فيه أحد من المسلمين ، فمنكر فريضة الصيام كافر يعاقب بأحكام الإسلام .

والفطر رخصة للمسافر لقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الحديث الذى بدأنا به ، حينما سأل حمزة بن عمر الأسلمى رسول الله فقال له : إنى أجد بى قوة على الصيام فى السفر ، فهل على جناح فقال : (هى رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه) .

فقول حمزة هل علىّ جناح ، كأنه فهم أن الإفطار فى السفر عزيمة فأجابه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن الإفطار فى السفر رخصة ومنحة من الله تعالى ، والرخصة إنما تكون فى الفرض ، فحمزة رضى الله عنه كان يسأل عن صوم رمضان فى السفر فقال له « هى رخصة » أى أن الإفطار فى رمضان رخصة ، لا تسقط الفرض فمن أخذ بها ، فَحَسنٌ ، ومن تركها ولم يأخذ بها وأحب أن يصوم فلا جناح عليه ، ولم يقل فحسن لأن السائل قال : فهل علىّ جناح ، فأراد أن يطابق الجواب سؤاله .

والسفر الذى يباح فيه الفطر هو السفر الذى يباح فيه القصر للصلاة .

واعتمد العلماء المسافة التى يباح للمسافر فيها الإفطار مسيرة يوم وليلة بِسَيْرٍ متوسط وهو سير الإبل ، وسير الأقدام ، وتقدر هذه المسافة بنحو ٨٦,٥ « ست وثمانين كيلو مترا ونصفاً » ، فمن قطع هذه المسافة فى يوم وليلة أو ساعة كان له أن يفطر ثم يقضى حين يتيسر له القضاء ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ سورة البقرة ١٨٤ . وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ سورة البقرة ١٨٥ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل حمزةَ بن عمر الأسلمى ــ رضى الله عنه ــ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن الصوم فى السفر (وكان كثير الصيام) فقال : « إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر » ـ أخرجه مالك والشيخان ـ .

من هذه الأحاديث وأحاديث غيرها وردت فى هذا الشأن يستفاد منها أنه كان هناك مراعاة لحالات واقعية تقتضى أحكاما شرعية .

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يُرَبِّى ، وكان يواجه حالات حية بروح رحيمة ، وتوجيه حكيم ، ورغبة صادقة فى تنفيذ ما يأمره به الله بياناً لشريعته .

وما ذكر هنا من أحاديث فى أمر الصوم فى السفر هو استحباب الفطر دون تقيد بحصول المشقة بالفعل ، فمن سافر مسافة القصر للصلاة استحب له أن يفطر ، والله يحب أن تُؤْتَى رُخَصُهُ كما يحب أن تؤتى عزائمه . وعليه قضاء كل يوم يفطر فيه بعد رمضان .

←

الصـــــوم فـــى الســـفر

والله سبحانه وتعالى يقول :
﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .

فظاهر الآية جواز الإفطار فى المرض والسفر بإطلاق ولم تحدد ، فأى مرض وأى سفر يسوغ الفطر ، على أن يقضى المريض حين يصح والمسافر حين يقيم يوماً بيوم ، فى المرض والسفر من غير موالاة فى أيام القضاء على الرأى الراجح .

وهذا هو الأَوْلَى فى فهم النص القرآنى المطلق والأقرب إلى المفهوم الإسلامى فى رفع الحرج ومنع الضرر ، ونحن لا ندرى حكمة الله كلها فى تعليقه بمطلق المرض ومطلق السفر ، فقد تكون هناك اعتبارات أخرى يعلمها الله ويجهلها البشر فى المرض والسفر .

وبعض الفقهاء يتشددون ولا يرخصون الإفطار فى السفر .

إن الدين لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات وإنما يقودهم بالتقوى التى هى الغاية من الصيام كما قال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة آية رقم ١٨٣ .

ومن هنا أمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يأخذ المسلمون برخص الله التى رخصها لهم .

وهذه بعض الأحاديث النبوية التى رُوِيَتْ فى حالات من حالات السفر وهى تصور ما كان عليه السلف الصالح من الأخذ بالرخصة فى السفر .

عن عمرو بن أمية الضمرى ــ رضى الله عنه ــ قال : قدمت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من سفر فقال : (انتظر الغداء يا أبا أمية ، قلت : يا رسول الله إنى صائم ، قال : إذاً أُخْبِرُكَ عن المسافر ، إن الله تعالى وضع عنه الصيام ونصف الصلاة) أخرجه النسائى .

وعن عبيد بن جبير قال :
كنت مع أبى بصرة الغفارى ـ رضى الله عنه ـ صاحب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سفينة من الفسطاط فى رمضان . فدفع فَقَرَّبَ غداءه ، فقال : اقترب ، قلتُ : ألستَ ترى البيوت ؟ قال : أترغب عن سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ؟ فأكل وأكلت .. ــ أخرجه أبو داود .

فهذه الأحاديث فى جملتها تشير إلى تَقَبُّلِ رخصة الإفطار فى السفر فى سماحة ويسر وترجح الأخذ بها ، ولا تشترط وقوع المشقة للأخذ بها كما تشير إلى ذلك بعض الأحاديث القليلة التى كانت من خصوصيات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى العبادة ويعفى منها أصحابه .

وثبت فى بعض الأحاديث أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ افطر فى السفر وقال ــ عن الذين لم يفطروا : (أولئك العصاة) وهذا الحديث متأخر فى سنة الفتح ، وهو أحدث من الأحاديث الأخرى وأكثر دلالة على الاتجاه المختار .

(٣) فضل الإفطار فى رمضان للمسافر إذا اشتد عليه السفر أو لزم منه نفع :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال :

سافرنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى مكة ونحن صيام قال : فنزلنا منزلاً ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم) .

فكانت رخصة ، ثم قال ، فمنا من صام ، ومنا من أفطر ثم نزلنا منزلاً آخر فقال ــ صلى الله عليه وسلم :

(إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا) .

ـ فكانت عزمة ، فأفطرنا ـ ثم قال أبو سعيد لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد ذلك في السفر .

(أخرجه الإمام مسلم) .

كانت مقالة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « إنكم دنوتم .... » [الحديث] ، كانت هذه رخصة مبيحة للفطر ، فلذلك أفطر بعضهم وصام آخرون ، ولم يعب على واحد منهم .

وكانت مقالة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « إنكم مصبحو عدوكم » [الحديث] عزمة وأمراً واجباً ، والمعنى : إنكم ستلقون عدوكم غداً أول النهار فيجب الاستعداد للقاء العدو ، وجمع القوة له .

والفطر أجمع لقوتكم فأفطروا ، وكان الأمر بالفطر أمراً حتما لازما لارخصة فيه ، فأفطروا .

وعزيمة الإفطار ووجوبه في هذا السفر ، إنما كان للقاء العدو ، وجمع القوة له ، والصوم يؤدى إلى ضياع واجب الجهاد ، وهو متعين الوقت بلقاء العدو ، بخلاف الصوم فيتدارك بالقضاء .

وبعد ذلك كانوا يسافرون مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويصومون معه لعدم وجود ما يقتضى لزوم الفطر .

وهذا يدل على وجوب ترك الصوم في رمضان إذا كان الصوم يُحْدِثُ ضرراً أو يُفَوِّتُ أمراً واجباً ، ويؤكد ذلك ما روى عن جابر بن عبد الله ــ رضى الله تعالى عنهما ــ قال : خرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ « كراع الغميم » فصام فبلغه أن الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح من الماء بعد العصر فشرب ، والناس ينظرون ، فأفطر بعض الناس ، وصام بعض ، فبلغه أن ناسا صاموا فقال : « أولئك العصاة » . ـ أخرجه مسلم والنسائى ـ ..

(وكراع الغميم) على سبع مراحل من المدينه تقريبا ، أى ما يقارب ٣١٥ « ثلاثمائة وخمسة عشر كيلو مترا » .

وحين علم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأن الناس شق عليهم الصيام شرب والناس ينظرون ، وذلك لِيُبْعِدَ عنهم الشك في جواز الإفطار للمسافر سيما بعد العصر ، وقد مضى معظم النهار ، ولكن بعض الناس استمروا في صيامهم فلما بلغ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فعلهم قال عنهم : « أولئك العصاة » وإنما سماهم عصاة ، لأنه رأى أن الصوم قد شق عليهم ، وقد حصل لهم منه ضرر شديد ، ورأوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يفطر فلم يمتثلوا أمره ، وكأنهم أبوا الرخصة ، والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : ــ عليكم بـرخصـة الله التى رخص لكم فاقبلوها ــ رواه مسلم عن جابر بن عبد الله.

وكل من يحصل له بالصوم ضرر شديد ، يجب عليه الإفطار وخاصة إذا كان يفوِّت عليه واجباً كالاستعداد للجهاد ، ويكون الصوم حينئذ محرماً ، أما في غير هذه المواضع فيكون الإفطار مستحباً فيما جازت فيه الرخصة ، فالله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه .

فعلينا أن نمتثل أوامر الله ونعمل بسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأن نلتزم بتعاليم الإسلام . والله الموفق ..

الخير في الصيام

لأسباب علمية وطبية

قال تعالى : ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾ سورة البقرة (١٨٥) .

الصوم امتناع بالاختيار .. وتنفيذ لأمر الله العزيز الجبار .. يرينا كم تهون الدينا وهى حلال على قلب المؤمن الممتثل لأمر الله .. فها هى ملك يمينه يجوز نعمها طول يومه .. ولكنه بأمر الله وحكمه .. لا يستطيع الاستفادة منها بطعام أو شراب أو ممارسة لشهوة حلال

وفى الحق أن الصوم قد كتب علينا لعلة وأسباب .

أما العلة : فهى تقوى الله جلت قدرته .

وأما أسبابه : فهى الحاجة إليه كى تتوازن دوافعنا وقوانا النفسية والجسمية .. ونتخلص من شوائب أعمالنا حتى ما كان منها من حلال لا يتطرق إليه شبهة من حرام .

فإذا جعل الله للحياة قانوننا هو « أنه لا طاقة بدون طعام » - فإن الإنسان يخضع بالضرورة لهذا القانون - فإذا أراد الحصول على طاقة كافية لاستمرار حياته ونموه وتكاثره فلابد له من تناول الغذاء ، ثم إن الطعام يتحول إلى مواد أولية بالهضم ، ومن ثم تحترق هذه المواد بصورة تفاعلية داخل خلايا جسده .. وتمده بالطاقة والمواد الأولية اللازمة لبناء جسده وباقى عملياته الحيوية .. ولا يصلح للإنسان أن نضعه فوق موقد بحجة أننا نمده بالطاقة اللازمة لحياته ، أو أن نحاول معه أية طريقة للإمداد بالطاقة مهما كانت فليس إلا الطعام هو اللازم لتكوين الجسد للإنسان نفسه ..فهذا ما يصلحه .. وهذا ما شاء الله أن يكون .. وبدونه يموت الإنسان ويستحيل عليه العيش بالصورة التى نعرفها .

وهذه العملية الحيوية من أخذ الطعام وهضمه وحرقه واستخدامه لبناء الجسد مثلها مثل أية عملية حيوية أخرى تتم على ظهر الأرض لها من النتائج الثانوية والجانبية ما يجب على الإنسان أن يتخلص منها ، ولست أقصد بها النفايات التى يتخلص منها الإنسان بسهولة .. بل إن العمليات الحيوية داخل الخلية نفسها لها منتجات ثانوية فى صور شتى لابد من التخلص منها أولا بأول :

منها ما هو قابل للتراكم فى الجسد .

ومنها ما هو مهلك لوقته .

---

* الموسوعة العلمية [وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه] .
د . أحمد زكى . الكويت (مجموعة مقالات) .

دراسة : د . أحمد عبد المؤمن بركات

ومنها ما هو ضار على المدى البعيد .

وقد جعل الله تعالت عزته وقدته ـ لكل حالة من هذه الحالات من خصائص اجسادنا ما يقابلها بالإصلاح والتقويم :

فما هو ضار لوقته مثل الأحماض الامينية والدهنية والمواد العضوية المعدنية والفسفورية جعل الله للجسم امكانيات تحويلها إلى مواد نافعة للجسم يستغلها لإمدادات الطاقة داخل الخلية أو لإنتاج (بطاريات) الشحن التى تختزل هذه الطاقات المنتجة إلى حين استخدامها فى عمليات (الأيض) الغذائية .. أو تحويلها إلى مواد قابلة للتخزين فى صورة من الصور ..

ولقد اكتشف العلماء ان كل هذه العمليات وغيرها ذات كفاءة وإن بدت كبيرة إلا انها محددة بحدود .. فالخمائر والجسيمات (الخلوية) تصاب بالإجهاد إذا زادت المواد المطلوب التعامل معها عن الحدود المعقولة ، فعلى سبيل المثال : إذا طلب من البنكرياس أن يفرز (هورمون الانسولين) اللازم لحرق مائة جرام سكر نتجت على مدى يوم كامل من طعام متناول أو (جليكوجين) كبدى أو عضلى تم تحليله واستدعاؤه من داخل الجسم أو من أى مصدر .. فإنه يستطيع ان يقوم بذلك الأمر بكفاءة مدهشة .

أما أن يتناول الإنسان هذه المائة جرام من السكر دفعة واحدة معتمدا على كفاءة (البنكرياس) فإن ذلك يعتبر طبيا ضربا من الجنون .

ولكن من يهتم !!

أن الناس يتناولون طعامهم وكأنهم يلقونه فى آبار لا قرار لها .. ناسين أن الله سبحانه وتعالى جعل من قوانين الحياة : أن يكون كل شيء بمقدار .. إنه لا شك أن الإنسان إذا تعامل مع السكريات فى الحدود الأولى فإن صلاح أحوالها يستمر .. أما إذا تجاوز الأمر حدود الاحتمال ..

فإن حال الجسد يؤول إلى مرض وفساد فيعانى الإنسان من مشقات لم يكن يحلم بها .. لذا جاء الصوم لاختبار قدرات الإنسان وإصلاح ما يفسد بداخله من التراكم الذى لا يعرف الإنسان الأضرار التى تنتج عنه إلا بالوقوع فيه .. وكم من مريض جاء إلى طبيب يشكو له انه تناول طعاما دسما ذات يوم وبعده مباشرة أصيب بمرض البول السكرى .. أو حتى الذبحة الصدرية .. ناسيا أو متناسيا أن هذه كانت القشة التى قصمت ظهر البعير ..

إن الحياة فى صورها المتعددة وقوانينها المتناسبة مع قدرات الكائن الحى جعلها الله ذات قدرات محدودة .. ولكنها فى نفس الوقت لا تفسد بسهولة ، بل إنها ـ بما أعطاها الله من قوانين وقدرات ـ تكافح .. وتستبسل فى كفاحها ضد الغزوات الجرثومية .. والأمراض مختلفة النوع والمصدر بطريقة تدعو إلى الإعجاب .. حتى إن علماء الغرب فى بداية اكتشافاتهم العلمية جعلوا لهذا الكفاح المشرف لجسد الإنسان ضد الأمراض مدارس وجامعات متخصصة وعلماء أسموه (علم المناعة والحصانة ضد الأمراض) ويكفينا أن نذكر مثالين لهذا الاستبسال الدفاعى فى جسم الإنسان .

أولهما : أن مدة الحضانة فى الأمراض

←

الخير فى الصيام

الجرثومية مثل (الدفتريا) و (التيفود) وغيرهما .. ما هى فى الحقيقة إلا المدة بين دخول العدوى .. وظهور الأعراض .. وهذه المدة تستمر فى الواقع ما بين أسبوع إلى ثلاثة أسابيع حسب القدرة المناعية للجسم .

وثانيهما : انه ما من مرض غير جرثومى مثل (السكر) أو (الروماتويد) أو حتى (السرطان) يظهر فى الجسم هكذا فجأة .. أبدا .. إنه يبدأ فى الظهور تدريجيا .. ويأخذ مدة طويلة قد تعد بالسنين حتى يأخذ شكل المرض ويشعر به المريض .. وهذه المدة طالت أم قصرت تسمى بالتمهيد أو الكمون **Lalentberiod** وفى هذه المدة تحدث بين الجسم وأسباب المرض مقاومة عنيفة .. اكتشف العلماء ـ ولدهشتهم ـ أن الصوم الذى نعرفه نحن المسلمين هو أنجح الأنظمة فى القضاء على مسببات الأمراض : حميدها وخبيثها على سواء ..

إن الإنسان مهما صام فإنه لن يستطيع أن يصوم مثل الدب القطبى أو حتى الأرنب الذى يعيش فى الأصقاع الشمالية الباردة .. فهذه الحيوانات أعطاها الله القدرة على الامتناع عن الطعام والدخول فى سبات عميق طوال مدة الشتاء القطبى الذى يستمر طيلة ستة أشهر كاملة .. ولقد وجد العلماء من أمر هذه الحيوانات التى تدخل فى البيات الشتوى أمورا عجيبة ، فإن دقات قلبها تستطيع أن تتباطأ إلى حدود غير مسبوقة تبعا لتغير البيئه من حول الحيوان النائم فهى فى بعض أوقات السُّبَاتِ تصل إلى دقة واحدة كل سبع دقائق بالنسبة للضفدعة المختبئة داخل الطين ، فى حين تصل إلى دقة كل أربع دقائق بالنسبة للدب القطبى الذى يحتضن الثلج فى نومه فلا تنخفض درجة حرارة جلده عن الصفر المئوى .. وهى درجة حرارة عالية نسبيا لهذه الأجواء المتطرفة فى برودتها والتى تصل فيها درجة الحرارة إلى سبعين درجة تحت الصفر أو ما هو أدنى .. وفى هذه الدرجات المتدنية يكون للجليد صلابة الماس ـ يفرى الجلود ويفتك بالحياة ويهشم العظام .. ولكن الحق ـ جلت قدرته ـ جعل الصوم والسبات لهذه الكائنات غريزة ووسيلة للبقاء .. يصل فيها الحيوان إلى معدلات لو تعرض إليها الإنسان لمات من فوره ..

إذاً فلابد للإنسان من لحظات يحاسب فيها الجسد طبقا لقوانين حياته .. ووقت الحساب هذا لازم لحياته .. ويعلم الله انه كذلك لازم لاصلاح أحوال الإنسان وعلاج أمراضه .

أليس الله هو الذى خلق الإنسان وكونه .. يعلم ما يضره وما ينفعه يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ . سورة الانفطار ٦ ـ ٨ .

لذا جاء الصيام هديا من الحق سبحانه وتعالى بقوانين وأسباب تصلح من امورنا ما فسد .. ومن أمراضنا ما تراكم واتحد ..

تصويب

فى عدد شعبان ١٤٠٩ ص ٨٨٦ ذكرت الآية الكريمة رقم (٤٥) من سورة (الزخرف) وهى قوله تعالى : « وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا اجعلنا من دون الرحمن ءالهة يُعْبَدُونَ » هكذا : « وَسْئَلْ من ارسلنا قَبْلَكَ ... » فلتصحح .

وفى نفس العدد ص ٨٨٢ ، وفى وسط النهر الأيمن انعكس ترتيب سطرين فجاءت كلمة الزاوية الثانية بعد « طردهم من الوظيفة ... الخ » والعكس هو الصحيح .

ثبوت رؤية الهلال

يوجب العمل بلا معارضة

لسماحة الشيخ
عبد العزيز بن باز
مفتي المملكة السعودية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله واصحابه ومن اهتدى بهداه . اما بعد : فقد اطلعت على ما نشرته صحيفة « الرياض » في عددها ٦٨٨٥ في ١٤٠٧/٩/٣ هـ بقلم الدكتور احمد بن عبد العزيز اللهيب - عفى الله عنا وعنه - من جزمه باستحالة ان يكون يوم الاثنين اول يوم من شعبان بناء على ما وقع في ليلته من الكسوف ، وبناء على ما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم - رحمة الله عليهما - ، وجزمه بان يوم الاثنين هو تمام الثلاثين لشهر رجب وان يوم الثلاثاء هو اول يوم من شعبان بشكل قطعي ، وعليه يستحيل - ما ذكره ان يكون يوم الثلاثاء هو اول يوم من رمضان .

وبناء على ذلك رأيت أن اوضح للقراء ما في هذا الكلام من الخطر العظيم والجرأة على دين الله ورسوله ، ونبذ ما صحت به السنة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وراء الظهر ، وتقديم أقوال الحسابين على ما دل عليه كتاب الله - عز وجل - ، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - من تعليق إثبات دخول الشهر وخروجه برؤية الهلال أو إكمال العدة .

وحكمه - صلى الله عليه وسلم - يعم زمانه وما بعده إلى يوم القيامة لأن الله - عز وجل - بعثه إلى العالمين بشريعة كاملة لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه كما قال الله سبحانه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ .

وهو سبحانه يعلم ما يقع من الكسوف في كل

* أرسل سماحة المفتى بهذا البيان للنشر في مجلة الأزهر .

زمن ولم يخبر عباده بما يجب عليهم اعتباره وقت الكسوف من جهة إثبات الأهلة مع أنه سبحانه أخبرهم على لسان رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما يشرع لهم وقت الكسوف من صلاة وغيرها .

أما قول الفلكيين : إن كسوف الشمس لا يكون إلا فى آخر الشهر فى ليالى استسرار القمر ، فليس عليه دليل يعتمد عليه ويسوغ من أجله أن تخالف الأحاديث الثابتة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو أيده شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم ـ عفى الله عنهما ـ ، فإنهما ليسا معصومين ويجوز عليهما الخطأ فى بعض أقوالهما ، كما يجوز على غيرهما من أهل العلم .

وقد أمر الله عباده عند التنازع أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى كتابه وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأن يردوا ما اختلفوا فيه إلى حكمه وحكم رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

فقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية ..

وقال سبحانه : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ .

وقد صرح جمع من أهل العلم بأن كسوف الشمس يمكن وقوعه فى غير آخر الشهر وهكذا خسوف القمر يمكن وقوعه فى غير ليالى الإبدار والله سبحانه على كل شيء قدير .

وكون العادة الغالبة وقوع كسوف الشمس فى آخر الشهر لا يمنع وقوعه فى غيره .

وقد صحت الأحاديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بوجوب اعتماد الرؤية فى إثبات الأهلة أو إكمال العدد وهى أحاديث مشهورة مستفيضة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الصحيحين وغيرهما ، وحكمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يختص بزمانه فقط بل يعم زمانه وما يأتى بعده إلى يوم القيامة لأنه رسول الله إلى الجميع . .

والله سبحانه أرسله إلى الناس كافة وأمره أن يبلغهم ما شرعه لهم فى إثبات هلال رمضان وغيره وهو العالم بغيب السموات والأرض والعالم بما سيحدث بعد زمانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المراصد وغيرها ويعلم سبحانه ما يقع من الكسوفات .

ولم يثبت عن رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قيد العمل بالرؤية بموافقة مرصد أو عدم وجود كسوف وهو سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه شيء فى الأرض ولا فى السماء لا فيما سبق من الزمان ولا فيما يأتى إلى يوم القيامة .

وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب : الشهر هكذا وهكذا وهكذا وخنس إبهامه فى الثالثة ، والشهر هكذا وهكذا وهكذا وأشار بأصابعه العشر) .

يرشد بذلك أمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى أن الشهر تارة يكون تسعاً وعشرين وتارة يكون ثلاثين وصح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة) .

ولم يأمر بالرجوع إلى الحساب ولم يأذن فى إثبات الشهور بذلك .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى رسالة صنفها فى هذه المسألة كما فى المجلد ٢٥ من « الفتاوى » صفحة ١٣٢ إجماع العلماء وأنه لا يجوز العمل بالحساب فى إثبات الأهلة وهو ـ رحمه الله ـ من أعلم الناس بمسائل الإجماع والخلاف .

والأحاديث الصحيحة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلها تدل على ما دل عليه الإجماع المذكور .

ولست أقصد من هذا منع الاستعانة بالمراصد والنظارات على رؤية الهلال ، ولكنى أقصد منع الاعتماد عليها أو جعلها معياراً للرؤية لا تثبت إلا إذا شهدت لها المراصد بالصحة أو بأن الهلال قد ولد ، فهذا كله باطل ، ولا يخفى على كل من له معرفة بأحوال الحاسبين من أهل الفلك ما يقع بينهم من الاختلاف فى كثير من الأحيان فى إثبات ولادة الهلال أو عدمها وفى إمكان رؤيته أو عدمها .

ولو فرضنا إجماعهم فى وقت من الأوقات على ولادته أو عدم ولادته لم يكن إجماعهم حجة لأنهم ليسوا معصومين بل يجوز عليهم الخطأ جميعاً .

وإنما الإجماع المعصوم الذى يحتج به هو إجماع سلف الأمة فى المسائل الشرعية لأنهم إذا اجمعوا دخلت فيهم الطائفة المنصورة التى شهد لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنها لا تزال على الحق إلى يوم القيامة .

وأما الاحتجاج بالكسوف فمن أضعف الحجج لأنه لا يوجد نص من كتاب الله ـ عز وجل ـ ولا من سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدل على أن الخسوف للقمر لا يقع إلا فى ليالى الإبدار وأن الكسوف للشمس لا يكون إلا أيام الاستسرار كما يقوله بعض العلماء .

بل قد صرح جمع من أهل العلم بأنه يجوز أن يقع فى كل وقت كما تقدم ، وذكر غير واحد منهم أنه يمكن وقوعه فى يوم عيد الفطر وعيد النحر ، وهذان اليومان ليسا من أيام الإبدار ولا من أيام الاستسرار فنقابل قول من قال : إنه لا يقع الخسوف إلا فى ليالى الإبدار ولا كسوف الشمس إلا فى أيام الاستسرار .

بقول من قال : إنه يمكن وقوع ذلك فى كل وقت وليس قول أحدهما بأولى من الآخر ، وتسلم لنا الأدلة الشرعية ليس لها معارض ؛ وليس فى شرع الله سبحانه ولا فى قدرته فيما نعلم ما يمنع وقوع الخسوف والكسوف فى كل وقت لأن الله ـ عز وجل ـ له القدرة الكاملة على كل شيء وله الحكمة البالغة فى جميع ما يقدره ويشرعه لعباده .

وقد أخبر نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن كسوف الشمس وخسوف القمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده ، والعباد فى أشد الحاجة إلى التخويف والإنذار من أسباب العذاب فى كل وقت .

وهذا المعنى نفسه من الأدلة الدالة على صحة قول من قال من العلماء بجواز وقوع الخسوف والكسوف فى جميع الأوقات والرؤية لهلال رمضان هذا العام أعنى عام ١٤٠٧ هـ ليلة الثلاثاء قد ثبتت لدى مجلس القضاء الأعلى فى « المملكة العربية السعودية » بهيئته الدائمة فهى رؤية شرعية يجب الاعتماد عليها لموافقتها للأدلة الشرعية وبطلان ما يعارضها وبموجبها يكون يوم الثلاثاء أول يوم من رمضان للأحاديث السابقة

ثبوت رؤية الهلال

ولقوله ـ صلى الله عليه وسلم : (الصوم يوم تصومون والفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون) أخرجه الترمذى وغيره بإسناد حسن .

ولو فرضنا أن المسلمين أخطأوا فى إثبات الهلال دخولاً أو خروجاً وهم معتمدون فى إثباته على ما صحت به سنة نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن عليهم فى ذلك بأس بل كانوا مأجورين ومشكورين من أجل اعتمادهم على ما شرعه الله لهم وصحت به الأخبار عن نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولو تركوا ذلك من أجل قول الحاسبين أو من أجل وقوع الكسوفات مع قيام البينة الشرعية برؤية الهلال دخولاً وخروجاً لكانوا آثمين وعلى خطر عظيم من عقوبة الله ـ عز وجل ـ لمخالفتهم مارسمه لهم نبيهم وإمامهم محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك العقوبة التى حذر الله منها فى قوله عز وجل :

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

وفى قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وقوله سبحانه :﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

وأرجو أن يكون فيما ذكرته مقنع لطالب الحق وكشف للشبهة التى ذكرها الدكتور أحمد بن عبد العزيز اللهيب وغيره ممن يعتمد على أقوال الحاسبين .

والله سبحانه المسئول أن يوفقنا والدكتور أحمد وجميع المسلمين لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد والتمسك بشرع الله المطهر ، وأن يعيذنا وجميع المسلمين من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن القول على الله سبحانه وعلى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغير علم إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم على رسوله نبينا محمد وآله وصحبه ومن عظم سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

حرر فى ١٤٠٧/٩/٧ هـ

دراسات فى بدر

بدر وفداء الأسرى

د. محمود محمد رسلان

قال العليم الخبير :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُم مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ « ٧٠ ، ٧١ الأنفال » .

هاتان الآيتان الكريمتان من تمام الحديث فى اسرى بدر ..

روى أبو الشيخ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهم : « أن العباس وأصحابه ، [وكانوا من اسرى بدر] قالوا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : آمنا بما جئت به ، ونشهد انك رسول الله » ، فنزل قوله ـ تعالى :

﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً ﴾ : أى إيماناً وتصديقاً وإخلاصاً ..

فإذا كانت قلوبكم ـ فِعْلًا ـ عمرت بالايمان ، أولديكم استعداد لاظهاره فى إبانه ، أو كما يدعى بعضكم بلسانه ـ والله أعلم بما فى قلوبكم ، فإن الله يعطيكم ـ إذ تسلمون ـ وتشاركون إخوانكم فى جهادهم ـ خيراً كثيراً مما اديتم فداء اسركم .

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ما كنتم عليه من الشرك ، وما ترتب عليه من السيئات .

قال سيدنا العباس ـ رضى الله عنه ـ :

« ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا ، وأن لى ما فى الدنيا من شىء ، فلقد أعطانى الله خيراً مما اخذ منى مائة ضعف ، وأرجو أن يكون الله غفر لى » .

وقد اخذ العباس هذا من قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

فالخير حاصل لا محالة :

إما بأن يخلفهم فى الدنيا خيراً منه ، أو يثبهم فى الآخرة ، أو هما معا .

فهؤلاء القوم قد أخذوا اسرى ، وكانوا مشركين ، قد جاءوا لمحاربة المؤمنين ، فأحل الله

←

بدر وفداء الأسرى

ـ جل جلاله ـ للمؤمنين أن يـأخذوا من « أموالهم » فدية مقابل حريتهم ، ثم بشر الله ـ عز وجل ـ هؤلاء الأسرى بالخير إن آمنوا .

ويعنى ذلك أن من يأخذ أموال المؤمنين بغير حق فقد تعرض لنكال الله العادل وسعى إلى الخزى والاثم بيده ، والبشارة للمؤمنين ـ حينئذ أولى إن يعلم الله فى قلوبهم خيراً .

قال العباس ـ كما روت كتب السير ـ بصدد مشاركته كفار قريش فى الحرب :

كنت مسلماً لكنهم استكرهونى !

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن يكن ما تذكره حقاً فالله يجزيك بذلك ، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، فافد نفسك » .

قال العباس ـ رضى الله عنه ـ : فأعطانى الله خيراً مما أخذ منى كما قال :عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كبير مكان العشرين أوقية وأنا أرجو المغفرة من ربى [1].

وروى الطبرانى ـ فى الأوسط ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال العباس : فىَّ ـ والله ـ أنزلت حين أخبرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بإسلامى ، فسألته أن يحاسبنى بالعشرين أوقية التى وجدت معى ، فأعطانى عشرين عبداً كلهم تاجر بمالى فى يده مع ما أرجو من مغفرة ربى » .

وحتى نحيط بإسلام العباس ـ رضى الله عنه ـ نخصه بالكلمة التالية :

إسلام العباس : كانت الآية الكريمة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ . . ﴾ الخ سبباً فى إسلام العباس بن عبدالمطلب ، وعقيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحرث ، وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس ، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر ، ولم يكن بلغته النَّوْبَةُ ، أى الدور فى الإطعام حتى أُسِر فأخذت معه ، وأخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه ، وقال : فكلمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجعل لى العشرين الأوقية الذهب التى أخذها منى من فدائى فأبى علىّ ، وقال : أما شىء خرجت تستعين به علينا فلا ، وكفلنى فداء ابن أخى عقيل بن أبى طالب عشرين أوقية من فضة ، فقلت له : تركتنى والله أسأل قريشاً بكفى والناس ما بقيت ، قال : فأين الذهب الذى دفعته إلى أم الفضل مخرجك إلى بدر ، وقلت لها : إن حدث بى حدث فى وجهى هذا فهولك ، ولعبد الله ، والفضل ، وقُثَم ؟ قال : وما يدريك ؟ قال : أخبرنى الله بذلك ، قال : أشهد أنك لصادق ، وأنى قد دفعتإليها ذهباً ، ولم يطلع عليه أحد إلا الله ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله .

إنه ليس من شك فى أن القلوب الخاشعة التى تقنت لربها فى إخبات يستجيب ـ عز وجل ـ لها ، وهو ـ سبحانه ـ الرزاق ذو القوة المتين ، وهو ـ سبحانه القائل : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ النحل ٩٦ .

ولقد أقام العباس ـ رضى الله تعالى عنه ـ على خير فصدقت فيه الآية : ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ .

●● ●● ●●

وقوله ـ سبحانه : ﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ

(١) أسباب النزول للواحدى ، وتفسير القرطبى .

خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

والآية الكريمة تعنى : إن يُرد هؤلاء القوم خيانتك بما يظهر بعضهم من الميل إلى الإسلام ، أو الرغبة عن قتال المسلمين من بعد ، وهذا مما أعتيد من البشر في مثل تلك الحال فلا تخف ما عسى أن يكون من خيانتهم وعودتهم إلى القتال ، فقد خانوا الله - عز وجل - من قبل باتخاذ الانداد والشركاء من دون الله ، وبغير ذلك من الوان الكفر بنعمه - تعالى - ثم برسوله - صلى الله عليه وسلم - .

فأمكن منهم فنصركم عليهم وأوقعهم أسرى بين يديك وأيدى المؤمنين والله عليم بفعله ، حكيم فيه .

وفي الآية توجيه للمؤمنين بترغيب الأسرى في الإيمان وانذارهم بما في خيانتهم إذا ثبتوا على الكفر والطغيان وعادوا إلى البغى والعدوان ، كذلك تحمل بشارة للمؤمنين باستمرار النصر وحسن العاقبة في كل قتال يقع بينهم وبين المشركين[٢] مادام المسلمون يأخذون بأسباب النصر المادية والمعنوية والعلمية ، وهو سبحانه قادر على تعويضهم عن كل خسارة .

كما يؤخذ من التفسير بالمأثور الذى ورد من سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مسألة فداء الأسرى مارواه البخارى في مواضع من صحيحه عن انس أن رجالاً من الانصار استأذنوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ترك فداء عمه العباس رضى الله عنه ، وكان في أسرى المشركين يوم بدر ، فقالوا : ائذن لنا فلنترك لابن اختنا العباس فداءه ؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « والله لا تذرون درهماً » .

وقد عنوا بقولهم : (ابن اختنا العباس) : جدته أم عبدالمطلب فهى أنصارية ، من بنى النجار لا أم العباس نفسه ؛ فإنها ليست من الانصار ، وإنما وصفوه بكونه ابن اختهم ولم يصفوه بكونه (عمه صلى الله عليه وسلم) ؛ لئلا يكون في هذا الوصف رائحة منه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يأذن لهم - صلى الله عليه وسلم - في محاباته لانه عمه ، بل ساوى بينه وبين سائر الاسرى ، بل ورد انه اخذ منه اكثر مما اخذ من غيره ، وانه أمره بفداء ابنى أخويه : عقيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث لفناه . وفقرهما .[٣]

وروى الإمام أبو داود في سننه بسنده عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر اربعمائة ، وقد استمر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء عَلَى أن الإمام مخير فيهم إن شاء قتل كما فعل ببنى قريظة .

وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر ، أو بمن أسر من المسلمين كما فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تلك الجارية وابنها اللتين كانتا في سبى سلمة بن الاكوع حيث ردهما ، وأخذ مقابلهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين .

وإن شاء استرق من اسر .[٤]

والله تعالى أعلم ..

د . محمود محمد رسلان

السورة آية : ٧٠ .

(٢) راجع تفسير المنار : ١٠ / ٩٠ .

(٣) تفسير المنار : سورة الأنفال ، وتفسير القرطبى نفس

(٤) انظر المرجع السابق .

دروس فى إدارة الصراع من غزوة بدر الكبرى

● **يقول مونتجمرى[1] : « إن القيمة الحقيقية للحرب الطويلة فى الماضى هى الخروج بالحقائق واستخلاص العبر والدروس المفيدة ، وهناك قدر كبير من الخبرة العظيمة والتجارب الكثيرة مدفونة تحت انقاض الماضى السحيق والعصور المتعاقبة للحروب ، ولن يستطيع القادة الاستفادة منها إلا بوجود المؤرخين العسكريين الذين يخرجونها من تحت انقاض الماضى » .**

● والحق أن التاريخ العسكرى الإسلامى حافل بالدروس التى تستحق أن نستفيد منها ونسترشد بها والله تعالى يقول : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾ (الحشر ـ ٢) .

ولقد حرص المسلمون الأوائل على دراسة التاريخ وتعليمه لأبنائهم .

قال زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم : « كنا نعلم مغازى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما نعلم السور من القرآن » .

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم : « كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا . ويقول : يابنى إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها » ، (أحمد زينى دحلان : السيرة النبوية ص ٣٦٠) .

● ولقد حفلت غزوة بدر الكبرى ـ أولى صفحات التاريخ العسكرى الإسلامى ـ بدروس نافعة سوف نتناول منها ما يتعلق بإدارة الصراعات .

الدرس الأول : الإعلام بحقائق الموقف :

● كان تفوق المشركين على المسلمين تفوقاً كبيراً بلغت نسبته ثلاثة إلى واحد ، فماذا فعل الرسول القائد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى مواجهة هذا الموقف من زاوية الإعلام ؟ وخاصة إذا نظرنا إلى الاعتبارات الآتية : ـ

(١) فهذه « أول مواجهة عسكرية حاسمة » بين المسلمين والمشركين .

(٢) وفى خروج المشركين وقتالهم للمسلمين تهديد خطير للدين فى موطنه الجديد بعد فشل

---

(١) مارشال مونتجمرى من اكبر قادة جيش الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ، وعلى يديه أراد الله ـ تعالى نصر الحلفاء فى معركة « العلمين » الشهيرة .

للـــواء :
أ.ح محمد جمال الدين محفوظ

المشركين في القضاء عليه بمكة هذا فضلاً عن تفوقهم الظاهر .

(٣) والنتائج التي سوف تسفر عنها المعركة ، سوف يكون لها آثار بعيدة المدى على الدعوة ومستقبلها وعلى هيبة المسلمين ، فذلك ما عبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عنه حين دعا ربه قبل المعركة : « اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، لا تُعبد في الأرض » . (رواه مسلم) .

● هنا يعلمنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن القيادة الرشيدة هي التي تبصر شعبها بـ « حجم التحدى » الذي يواجهه ، وشدة الخطر الذي يتهدده ، ثم تتخذ - في الوقت نفسه - من التدابير ما يمكنها من مواجهة الخطر بثبات واقتدار ، ومن التغلب على تفوق العدو أو تجريده من فاعليته :

(١) فحين علم - عليه الصلاة والسلام - بخروج قريش عن بكرة أبيها للقتال قال : « هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها » .

(٢) وحين استطاع - من استجواب الرجلين اللذين أسرهم رجال الاستطلاع - أن يستنبط القوة العددية لقريش ، قال : « القوم بين التسعمائة والألف » ، وقد أعلن ذلك وهو يعلم بأن قوة المسلمين ثلث هذا العدد .

(٣) وحين عرف من وسائل الاستطلاع أن العدو أصبح قريباً جداً من بدر أعلن أنه « وراء الكثيب بالعدوة القصوى »[٢] (أى حافة الوادى وضفته الأبعد عن المدينة) .

● والرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الدرس يكشف لنا الخطأ الفاحش الذي يقع فيه الذين يخفون الحقائق في مثل هذا الموقف عن رجالهم ، فلا يعلنون شيئاً عن تفوق العدو عليهم بحجة أنهم يخشون أن تهبط روحهم المعنوية ، دون أن يدركوا أن تلك السياسة الإعلامية القاصرة ، سرعان ما تصبح وبالاً عليهم عندما يدخل الرجال المعركة ، فينكشف المستور ، ويفاجأون بتفوق عدوهم ، فيكون وقع المفاجأة أشد تدميراً لمعنوياتهم من « موضوع » التفوق ذاته ، ثم يدركون - ولكن بعد فوات الأوان - أن إعلان الحقائق مع الإعداد والاستعداد واتخاذ التدابير المناسبة ، يجعل الرجال يعرفون مواقع أقدامهم ، ولا يضربون في المجهول : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك - ٢٢) .

الدرس الثاني : حشد الموارد المتاحة وحسن استغلالها :

● واتخذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الوقت نفسه - كل التدابير التي تمكنه من القضاء على مزية التفوق لدى عدوه ، وكان على رأس هذه التدابير حشد موارده المتاحة من الرجال والسلاح واستثمارها « بأعلى درجات

←

(٢) الأحاديث الشريفة الواردة بهذا المقال مصدرها مراجع السيرة النبوية الشريفة وما كان منها من مصادر أُخر نبه عليه الكاتب .. مجلة الأزهر .

التنظيم والإدارة والاقتصاد فى القوى » ، وهذه من أهم المبادىء التى يقوم عليها علم الإدارة الحديثة لتحقيق الأهداف بكفاءة ، وقد ظهر ذلك فيما يلى :

إحكام السيطرة على الموارد :

إن السيطرة المحكمة على الموارد « المحدودة » هى أول ما يؤدى ويساعد على استغلالها على النحو الذى لايدع شيئا منها يضيع هباء ، ولقد كانت سيطرة الرسول ﷺ على موارده فى بدر فى غاية الإحكام :

(١) فقد اتخذ لنفسه مركز قيادة يشرف منه على المعركة بصفته القائد العام .

(٢) ونظم الجيش فى كتيبتيه : الأولى كتيبة المهاجرين بقيادة على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ، والثانية كتيبة الأنصار بقيادة ـ سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ وهذا التقسيم يزيد من إحكام السيطرة .

(٣) ونظم الجيش فى صفوف منتظمة حرص على تسويتها بنفسه ، وواضح أن تشكيل الصف أفضل ـ من حيث سيطرة القائد ـ من تشكيل « الكر والفر » الذى جرت عليه عادة العرب فى القتال .

(٤) ثم أكمل عليه الصلاة والسلام سيطرته على الجيش بأن أصدر تعليمات للقتال تضمن له أن تكون مراحل المعركة وأعمال المقاتلين تحت إشرافه المباشر ووفق أمره وإذنه .

الحشد والاقتصاد فى القوى :

● بعد أن نظم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصفوف أصدر الأمر التالى :

« إذا أكثبـوكم (أى اقتربـوا منكم) فارموهم ، واستبقوا نبلكم (أى سهامكم) » .

(البخارى جـ ٥/٩٩) وفى رواية أخرى : « لا تقاتلوا حتى أوذنكم ، وإن اكتنفـوكم فارموهم ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » (الواقدى : مغازى رسول الله ﷺ ص ٤٨) .

● وبمقتضى هذه التعليمات يبدأ المسلمون ـ بأمر الرسول ـ بقذف السهام (فارموهم) والسهام هى « السلاح بعيد المدى » .. فإذا ما أصبح العدو قريباً إلى حد الالتحام ، يتحولون إلى « السيف » وهو سلاح الالتحام (ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) .. إنه تنظيم دقيق يكفل استغلال طاقات السلاح بعيد المدى « بأكبر حشد » أولاً ، ثم ينتقل إلى السلاح قصير المدى بأكبر حشد أيضاً ، وفى الوقت المناسب تماماً ، وبذلك تتحقق أكبر النتائج ، ولا يحدث « الخلط » الذى تذهب معه طاقات كل من السلاحين سدى .

● أما عن تطبيق مبدأ الاقتصاد فى القوى ، فلقد كانت ذخيرة المسلمين فى بدر (السهام) محدودة للغاية بالنسبة إلى قوة عدوهم المتفوقة ، فكان لابد من « ترشيد استهلاكها » بطريقة اقتصادية ، وذلك ما ينطوى عليه قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا اكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم » ، فهو يعنى أمرين :

الأمر الأول : تأخير قذف السهام حتى يقترب الأعداء ، فلا يرميها المسلمون على العدو وهو بعيد ، وذلك ما يطلق عليه « كبت النيران » فى الدفاع .

والأمر الثانى : الاقتصاد فى استهلاك السهام (واستبقوا نبلكم) .

فتكون نتيجة ذلك ضمان دقة التصويب ، وتحقيق أكبر قدر من الخسائر فى العدو بأقل التكاليف أى بأقل قدر من السهام .

الدرس الثالث : الإخلال بالتوازن النفسى والمادى للعدو :

● يجمع رجال الاستراتيجية العسكرية على أن :

« الاخلال بالتوازن النفسى والمادى للعدو من اقوى أسباب النصر » ، وفى ذلك يقول ليدل هارت - فى كتابه عن استراتيجية الاقتراب غير المباشر : « ينبئنا التاريخ العسكرى فى جميع العصور لا فى عصر واحد ، وفى جميع الحروب الحاسمة على التقريب ، أن الإخلال بتوازن العدو نفسياً ومادياً هو المقدمة التى لا محيص عنها للقضاء عليه » .

● هذا المبدأ يقترب مما حققه الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - فى بدر كما يلى :

(١) كانت قريش - بطبيعة الحال - تشعر بتفوقها الساحق (٣ : ١) وتملؤها الثقة فى الانتصار على المسلمين .

(٢) ومن طبيعة الأعراب أن « للضربة الأولى » أثراً كبيراً وحاسماً على نفسيتهم ، فليس من شك فى أن تساقط قتلاهم « بأعداد كبيرة وفى وقت قصير » بفعل سهام المسلمين « المصوبة بدقة والمنطلقة بأكبر حشد » ، كأنها صادرة عن قوس واحد ، سوف يصيبهم بصدمة نفسية مدمرة لمعنوياتهم .

يقول شارنهورست فى كتابه (التكتيك) : « إن عشرة رجال يسقطون معاً فى ميدان المعركة يُجبرون فوجاً (حوالى ١٠٠٠ رجل) على التراجع بصورة مؤكدة ، اكثر من خمسين جريحاً يسقطون تدريجياً فى أماكن مختلفة » .

(٣) أضف إلى ذلك أن الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - حرص عند تعيينه لمن يخرج للمبارزة التى سبقت القتال العام ، على أن يختار ذوى الكفاءة العالية فى القتال ومن يتصفون بالشجاعة الفائقة ، وذلك لكى يكون نجاحهم على رجالات قريش مضموناً ، فيهز بذلك معنويات المشركين ويضعفها ، ويرفع فى الوقت نفسه معنويات المسلمين من قبل أن تبدأ المعركة ، وقد تحقق للرسول - صلى الله عليه وسلم - ما أراد ، فقد قُتل مُبارزو قريش جميعاً ، فكان ذلك بالنسبة إليها بداية سيئة كان لها انعكاسها ولا شك على كفاءتها القتالية فى المعركة .

الدرس الرابع : ثقل وحدة الصف فى ميزان القوى :

● لقد كان هناك خلل واضح فى ميزان القوى بين الطرفين فى بدر لصالح المسلمين من حيث وحدة الصف والهدف من قبل أن تبدأ المعركة ، فالمتأمل فى أحوال قريش قبل القتال يكتشف انها خرجت لقتال المسلمين « تحمل معها » عاملاً من اهم عوامل الهزيمة وهو « تضارب الآراء وتفرق الصفوف » برغم تفوقها الظاهر عليهم فى العدد والسلاح .

● فقد أرسلت قريش قبل المعركة من يستطلع لها قوة المسلمين ، فرجع ليخبرهم انهم « ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون ، ولا كمين لهم ولا مدداً ، ولكنهم قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، فلا يموت منهم رجل قبل أن يقتل رجلاً مثله » .

● وتضاربت آراء قريش :

(١) فمنهم من أراد الرجوع ومن هؤلاء بنو زهرة الذين رجعوا فعلاً .

(٢) ومنهم من أراد البقاء لقتال المسلمين وكان على رأس هؤلاء أبوجهل فقال :

« والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، فنقيم عليه ثلاثة ، ننحر الجذور ، ونطعم الطعام ونسقى

الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها » .

(٣) ومنهم من أصابه التردد مثل عتبة بن ربيعة ، إذ أنه مال إلى الأخذ بما نصحه به قومه أن يرجع بالناس ، فرماه أبو جهل بالجبن ، فأخذته الحمية ، وقرر البقاء للقتال من قبيل التحدى .

(٤) ثم إن قريشاً ذكرت ما كان بينها وبين بنى كنانة من الحرب والحزازات ، فخشوا أن تضربهم كنانة من الخلف ، وكاد هذا المحذور يقعدهم عن الخروج لولا أن جاء مالك بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة فقال : « أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه » .

● كان هذا حال قريش ، بينما كان حال المسلمين يختلف عن ذلك تماماً :

فقد اتحدت كلمة المسلمين مهاجرين وأنصاراً على الخروج وعلى مواجهة قريش ، فحينما شاور الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه ، قال المقداد بن عمرو عن المهاجرين :

« يارسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » ، وقال سعد بن معاذ عن الأنصار : « امض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر فى الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يُريك منا ما تَقرُّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله » .

● ولابد أن نذكر هنا أن اتحاد كلمة المهاجرين والأنصار فى الصف والهدف فى مواجهة الخطر ، لم يكن وليد ساعته ، ولكنه كان ثمرة للمؤاخاة التى حققها بينهما الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة إلى المدينة ، ومن قبل ذلك كان اتحاد كلمة الأنصار من أوس وخزرج ثمرة لتوحيد صفوفهما فى ظل الإسلام بعد صراع طويل بينهما فى الجاهلية .

● وإذا كانت قريش قبل خروجها تخشى أن تأتيها ضربة من خلف ، فإن المسلمين خرجوا ، وابتعدوا عن المدينة حوالى (١٦٠) كيلو مترا « دون أن يخشوا أن تأتيهم ضربة من خلف » ؛ لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بسياسته الرشيدة ومداركه السياسية والإدارية والعسكرية الفذة جعل من المدينة بعد الهجرة « قاعدة وطيدة صلبة » ، وجبهة موحدة ، ونظم لأهلها جميعاً أمور حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية بمقتضى ميثاق المدينة .

الدرس الخامس : المجاهدون الصادقون لا يقهرون :

● وصف مونتجمرى - وهو يؤرخ للحروب عبر التاريخ - المسلمين بأنهم « قوم لا يقهرون » ، ونوه بشجاعتهم وإقدامهم وحشدهم لقواتهم ، ولم يفته - وهو الباحث الخبير - أن يكشف عن السر وراء ذلك كله فقال :

- « كان العرب يندفعون نحو القتال تحركهم أقوى دوافع الحرب ألا وهى العقيدة والإيمان ، ومثل هذه النبضات المتلاحقة لم يكن من السهل أن تخبو سريعاً ، فالكثيرون منهم وخاصة فى المراحل الأولى للفتوحات الإسلامية كانوا يؤمنون إيماناً راسخاً بالدعوة الإسلامية ، ويتحمسون لها ويغارون عليها ، وأدى هذا إلى اعتناقهم مبدأ

صلباً هو الجهاد فى سبيل الله ، وقد تغلغل هذا المبدأ فى قلوب أتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - » .

● ولقد حفلت غزوة بدر بصور رائعة لقوة الإيمان ورسوخ العقيدة التى ملأت قلوب المسلمين ثباتاً واستبسالاً فى لقاء عدوهم المتفوق عليهم ، فقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة » ، وقد ألهب هذا الحديث حماسة المسلمين للقتال وزاد فى قوتهم المعنوية حتى إن (عمير بن الحمام) - رضى الله عنه - حين سمع حديث النبى - صلى الله عليه وسلم - وكانت فى يده بعض التمرات يأكلها - قال : « أما بينى وبين أن أدخل الجَنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ » .. وقذف بالتمرات من يده وأخذ سيفه ، ومازال يقاتل حتى استشهد - رضى الله عنه - ، وكان عبدالرحمن بن أبى بكر من المشركين ، فقال لأبيه أبى بكر الصديق بعد إسلامه : « لقد صدفت لى يوم بدر فلم أقتلك » ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : « والله لو صدفت لى لقتلتك !! » .. فما الذى يدعو إلى أن يقتل الابن أباه ، والأب ابنه غير قوة الإيمان والعقيدة الراسخة ؟

● إن قوة الإيمان والعقيدة تملأ قلب المسلم بأقوى الدوافع النفسية نحو الاستبسال فى قتال العدو الذى ليس له من تلك الدوافع دافع واحد يستند إليه ويقاتل من أجله ..

ولا شك فى أن هذا مما ترجح به موازين المجاهدين فى مواجهة الأعداء ، فإن الدوافع النفسية الصادقة « تحارب إلى جانب أصحابها » ، كما يحارب الجندى إلى جانب صاحبه ، ولهذا كان الإسلام حريصاً على أن يزود المسلمين بتلك الدوافع التى تملأ نفوسهم حمية واستبسالاً .

● ولهذا كان تقييم المسلم فى الحرب مُقدراً بما فى نفسه من مبادىء يحارب عنها ، وأسباب تدعوه إلى خوض هذه الحرب ، وهذا ما تجده فى قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال - ٦٥) .

فالذين كفروا قد خلت نفوسهم من المبادىء الكريمة والدوافع الصادقة ، ولهذا حُرموا الفقه الذى كان من شأنه أن يبصرهم بالمبادىء التى يقاتلون عليها ، والمثل التى يدافعون عنها ، ومن حرم هذا الفقه فى مجال الحروب ، فقد تعرَّى من كل سلاح يدافع به ، وكانت عاقبته الهزيمة والبوار .

الدرس السادس : شجاعة القيادة فى مواجهة الخطر :

● ولقد قدم الرسول القائد - صلى الله عليه وسلم - المثل الرفيع على شجاعة القيادة والقائد فى مواجهة الخطر وقهره :

(١) فقد واجه فى (بدر) معركة يطلق عليها « معركة غير متكافئة » ، وقد يتخلى كثير من القادة عن فكرة القتال فيها ، لكنه - صلى الله عليه وسلم - يُعلم المسلمين أن المجاهد الصادق « الذى يعد العدة الكافية » ، لا يمكن أن يقهر ، لأن الله تعالى يكون معه ، ولأنه وعده بالنصر : ﴿ وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم - ٤٧) .

(٢) وفى المعركة كان - صلى الله عليه وسلم - مثالاً لشجاعة القائد ، فوصفه على - رضى الله عنه - بقوله : « كنا إذا اشتد الخطب واحمرت الحدق ، التقينا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أقربنا إلى العدو » (رواه أحمد والنسائى) .

القيم الدينية للمقدسات الإسلامية

٣

تخليص بيت المقدس وفلسطين :

ولقد وعى صحابة رسول الله ﷺ - والمسلمون من بعدهم - هذه المعانى ، وأدركوا أن المسجد الأقصى والأرض المباركة حوله من أرض فلسطين تراث إسلامى ، لا يمكن التفريط فيه ، لذلك كان من أول ما اتجهوا إليه أن يستنقذوه من أيدى الرومان ، وأن يعيدوا هذه الأرض حرة لأهلها تحت راية الإسلام ، وأحكامه العادلة ، وبنوده الخفاقة .

ولقد ذكرت كتب التاريخ المختلفة قصة فتح إيلياء « بيت المقدس » على يد عمر بن الخطاب بعد حصار استمر أمدا ، وكيف أشار بعض علمائها من الأحبار والبطارقة إلى أنها لا تفتح على يد عمرو بن العاص ، وإنما على يد عمر بن الخطاب ، ولما ضاق بهم الحصار وأجهدهم ، طلبوا أن يكون صلحهم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ونحن لن نذكر هنا تفاصيل هذا التاريخ ، وإنما نأخذ منه بعض الصور واللمحات التى قد تعنينا فى بحثنا هذا .

فقد كتب عمرو إلى عمر بهذا المعنى ، ففهمه عمر رضى الله عنه ، وتوجه بنفسه حقنا لدماء المسلمين ، واستجابة لنداء السلام ، وسار بنفسه إلى الشام ليتسلم بيده مفاتيح المسجد الأقصى .

بيان كرامة المدينة وأنها لم تسلم إلا إلى الخليفة .

وقيل إن الذى كتب إليه بذلك هو أبو عبيدة بن الجراح حين أجابوه إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاب لذلك رغبة فى إقرار السلام فى الأرض المقدسة ، وكتب إلى أمراء الأجناد فى نواحى الشام وما حولها أن يستخلفوا على ما بأيديهم وأن يجتمعوا به بالجابية ، وهناك جاءت رسل أهل إيلياء يطلبون الصلح وكتب لهم عهده المشهور أعطاهم فيه من الأمان مالم يتوقعوه ، يقول هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها وبريئها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من

صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منها فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصليبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيعهم وصليبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وكتب وحضر سنة ١٥ هـ .

وبعد أن أعطاهم الأمان دخل في أربعة آلاف من الصحابة ، وسار حتى دخل كنيسة القيامة ، ولما حان وقت الصلاة قال للبطريق : أريد الصلاة ، فقال : صل موضعك فامتنع ، وصلى على الدرجة التى على باب الكنيسة مفردا فلما قضى صلاته قال للبطريق : لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون من بعدى ، وقالوا : ههنا صلى عمر .

ثم قال عمر : أرنى موضعا ابنى فيه مسجدا ، فقال : على الصخرة التى كلم الله عليها يعقوب !

ويروى انه قال لكعب : يا أبا إسحق أتعرف موضع الصخرة ، فقال : أذرع من الحائط الذى يلى وادى جهنم « مكان هناك » كذا وكذا ذراعا ثم احفر فإنك تجدها ، وكانت يومئذ مزبلة ، فحفروا فظهرت لهم ، وكان الرومان والنصارى جعلوها مزبلة في مقابل ما فعله اليهود من قبل بكنيستهم حتى جعلوها مقرا للقمامة وسميت الكنيسة منذ ذلك الوقت هى ومنطقتها بالقمامة فلما تمكن الرومان والنصارى ، جعلوا الصخرة مكان قمامتهم نكاية في اليهود ، وهكذا وجدها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ، فشرع بإزالته ، وتناوله بيده ، يرفعه بثوبه ، وتابعه المسلمون حتى أزالوا القمامة والزبالة .

ثم قال عمر لكعب أين ترى نجعل المصلى ؟ قال : إلى الصخرة ، فقال : ضاهيت والله ياكعب اليهودية ، بل نجعل قبلته صدره ، وأمر ببنائه في مقدم بيت المقدس .

وهكذا سلمت هذه المواريث الدينية إلى سدنتها ، وأعيدت المقدسات إلى مكانها ، وعرف المسلمون لهذه الأماكن حرمتها فصانوا وحفظوا على طول الزمن تلك العهدة العمرية الكريمة .(١) .

(١) انظر كتب التاريخ المختلفة « كالبداية والنهاية » لابن كثير جـ ٧ ص ٥٥ ومابعدها ، و« تاريخ الطبرى » ط دار المعارف جـ ٣ ص ٦٠٧ وما بعدها .
و« الانس الجليل » لمجير الدين الحنبلى جـ ١ ص ٢١٨ وما بعدها . و« تاريخ القدس » لعارف العارف ط دار المعارف ص ٤٤ وما بعدها

القيـــــــم الدينيـــة

تشييد المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة :

عندما نزل قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ اول سورة الإسراء ـ لم يكن المسجد الاقصى مبنيا .

ولقد فسره اهل التفسير بأنه ليس المقصود به المسجد المعروف فى الإسلام ، ولكن المقصود مكان العبادة ، إلا أن تسميته بالمسجد ذات دلالة لا تخفى ، وعدم وجود بناء له ذلك الوقت ، لا يمنع بقعته من اسمها ، لأنها كذلك كانت فى حكم الله وامره ، وقد تداول على بنائه انبياء سابقون ، وتناولته يد العدوان والتخريب فى كثير من الأحيان ، وعندما استنقذه المسلمون كان مكانه مزبلةً رومانية فامر عمر فور دخوله بيت المقدس أن يبنى هناك مسجد ، فبنى المسجد وكان من خشب .[٢] .

ويقال إنه لبى حين دخل بيت المقدس ، ودخل المسجد من الباب الذى دخل منه رسول الله ـ ﷺ ليلة الإسراء ، وصلى تحية المسجد بمحراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد ، فقرأ فى الأولى بسورة « ص » وسجد فيها المسلمون ـ سجدة التلاوة ـ معه ، وفى الثانية بسورة « بنى إسرائيل » ـ وهى سورة الإسراء ـ ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار ، وجعل المسجد فى قبلى بيت المقدس[٣] .

تعمير بيت المقدس وتشييد المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة :

تروى كتب التاريخ أن عمر ـ رضى الله عنه ـ بعد أن انتهى من زيارة كنيسة القيامة ، وزيارة الصخرة المشرفة جعل يتجول فى شوارع المدينة ويغشى أسواقها . وكانت هذه لا تزال تئن من الخراب الذى أحدثه الغزو الفارسى (٦١٤ م) فرأى بعين ثاقبة أن يبدأ التنظيم الإدارى والقضائى أولا ، فلم يتوان ، ففرض للمسلمين الفروض ، وأعطى العطايا .

وقسم البلاد إلى مناطق ، وعين لكل منطقة اميراً ، ثم رتب البريد ليؤمن الاتصال بين هذه المناطق ، وأقام العيون « الاستخبارات » ، وعين قاضيا « مفتشا » يطوف على المامورين ، ويحقق الشكايات ، وأسس الحسبة « البلدية » لمشارفة الموازين والمكاييل ومراقبتها ، ولمنع الغش وتنظيف الأزقة ، والرفق بالحيوان ، وهدم البناء المحدث فى وسط السوق ، وحظر على الناس الازدحام فى الطرق ، وحضهم على التجارة .

وبعد أن رتب عمر الأمور ، ووضع كل شىء فى نصابه أقام على بيت المقدس « يزيد بن أبى سفيان » على أن يأتمر بأوامر أبى عبيدة ، وانتدب للصلاة من بعده سلامة بن قيصر ، وأمر على فلسطين رجلين ، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها الشمالى ، وأنزله الرملة ، وعلقمة بن مجزر على نصفها الجنوبى وأنزله إيلياء ، فنزل كل منهما فى عمله مع جنده ، ثم عاد إلى الحجاز[٤] .

وبدأت المدينة تشهد تطورا كبيرا فى عمرانها والعناية بها ، وساد السلام بين سكانها وروادها

---

(٢) عارف العارف : « تاريخ القدس » ص ٤٩ .
(٣) « ابن كثير » : البداية والنهاية جـ ٧ ص ٥٥ ـ ٥٦ .
(٤) عارف العارف : « تاريخ القدس » ص ٤٩ ـ ٥٠ بشىء من التصرف .

وحجاجها من المسلمين وغير المسلمين ، وغلب على المدينة اسم المقدس ، أو بيت المقدس ، مما يعكس نظرة المسلمين إلى هذه المدينة ، ورغبتهم في أن يجعلوها خالصة لله تعالى ، مجردة للعبادة والطهارة .

وعندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان من خلفاء بنى أمية اراد أن يبنى على صخرة بيت المقدس قبة تقى روادها من الحر والبرد ، وأن يشيد المسجد فكتب إلى الأمصار يطلب رأيهم ، فوافقوه ورأوا رأيه رشيداً ، فوجه إليه الأموال والعمال ويقال إنه رصد لعمارته خراج مصر سبع سنين ، ووكل بالعمل رجاء بن حياة الكندى ، وكان من العلماء الاعلام ، وضم إليه مولاه يزيد بن سلام من اهل بيت المقدس ، وأمرهما أن يفرغا الأموال إفراغا ولا يتوقفا فيه ، فبثوا النفقات واكثروا وبنوا القبة والمسجد الأقصى أحسن البناء ، وبقى من النفقة عليه بعد أن فرغ البناء وأحكم مائة الف دينار ، فسبكت وأفرغت على القبة ، فما كان أحد يستطيع أن يتأملها مما عليها من الذهب ، وقد انتفع بهذا الذهب فيما بعد في تعمير ما هدمته الزلازل من المسجد ، وكان رجاء بن حياة ويزيد بن سلام قد حفا الصخرة والقبة بأنواع من الستور ، واقاما لها سدنة وخداما بأنواع الطيب والمسك والعنبر والماورد والزعفران ، وجعلا فيها من قناديل الذهب والفضة والسلاسل الذهب والفضة ، وفرشاها والمسجد بأنواع البسط الملونة ، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس .

ويعتبر هذان البناءان من أعظم آثار بنى أمية في فلسطين ، بل إنه من مفاخر العرب والمسلمين في الشرق كله[٥] ، وكانا من أجمل ما خلده الفن المعمارى من آثار العالم .

ولقد هم بعض خلفاء بنى أمية أن يتخذوا من بيت المقدس عاصمة لخلافتهم ، ولما ولى سليمان ابن عبد الملك الأموى الخلافة بعد أخيه الوليد سنة ست وتسعين من الهجرة ، أتى بيت المقدس ، وأتته الوفود بالبيعة ، فلم ير وفادة كانت أهنى من الوفادة إليه .

فكان يجلس في قبة صحن مسجد بيت المقدس مما يلى الصخرة ، ولعلها القبة المعروفة بقبة سليمان ، ويبسط البسط بين يدى قبته عليها النمارق والكراسى ، فيجلس ، ويأذن للناس فيجلسون على الكراسى والوسائد ، وإلى جانبه الأموال وكتاب الدواوين ، وَقَدْ هَمَّ بالإقامة ببيت المقدس واتخاذها منزلا ، وجمع الأموال والناس[٦] بها .

وقد تسابق الناس في خدمة المسجدين وعمارة المدينة ، فأوقفوا عليها معظم الأراضى المحيطة ببيت المقدس ، وتقرب الخلفاء والأمراء والصالحون إلى الله تعالى بتعمير هذين المسجدين وخدمتهما ، وإضافة العديد من المساجد والمحاريب والأروقة والمدارس .

واتخذ المسلمون من ساحة الحرم القدسى وأروقته مدارس يدرسون فيها العلوم ، وقصد معظم الحجيج بيت المقدس عند ذهابهم إلى حج بيت الله الحرام ، وعند عودتهم منه واستحبوا أن يحرموا منه لحجهم أو لعمرتهم ، وظل الأمر على ذلك ما عدا فترات من الظلام خيمت على المدينة عندما يعتدى عليها الغرباء من غير أهلها ودينها .

←

(٥) ابن كثير : « البداية والنهاية » جـ ٨ ص ٢٨٠ ، ومجير الدين الحنبلى : « تاريخ الأنس الجليل » جـ ١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣ ، وغيرهما من كتب التاريخ .

(٦) مجير الدين الحنبلى : « تاريخ الأنس الجليل » ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

القيم الدينية

فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى :

هناك روايات وآثار كثيرة تتحدث عن فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى يرتفع بعضها ليكون حديثا ، ويبقى بعضها الآخر فى مستوى الآثار التى تروى عن الصحابة أو التابعين ، أو حتى عن أهل الكتاب ، وهى بهذه الكثرة الكثيرة - بصرف النظر عن ضعفها وصحتها - تدل دلالة كبيرة على ما لهذه المدينة ومسجدها الأقصى من مكانة متميزة واعتبار خاص ، ومع ذلك فالآيات القرآنية ، والأحاديث الصحيحة الموثقة تظاهر هذا الشعور الدينى الرفيع ، والنظرة التقديرية الراقية التى يحملها المسلمون تجاه القدس والمسجد الأقصى .

ولقد صنفت فى فضائل بيت المقدس والمسجد الأقصى مصنفات كثيرة تدل على شدة الاهتمام ، منها « فضائل القدس » لابن الجوزى .

و « الأنس فى فضائل القدس » لابن هبة الله الشافعى .

و« مثير الغرام بفضائل القدس والشام » لابن سرور المقدسى .

و« إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى » للسيوطى .

و« الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لمجير الدين الحنبلى . وغير ذلك من التصانيف* .

ولقد أشرنا فى الحديث عن مكانة القدس فى الإسلام إلى عدة معالم ، منها حادثة الإسراء والمعراج ، الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والمعراج من المسجد الأقصى إلى السموات العلى ، وقوله تعالى فى ذلك : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الإسراء - ١ .

وكذلك صلاته - ﷺ - إماما بالأنبياء فى المسجد الأقصى .

ونضيف هنا إلى ذلك ما رواه أحمد فى مسنده ، والبخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وأبو داود والنسائى وابن ماجه فى السنن عن أبى هريرة ، وما رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى وما رواه ابن ماجه عن ابن عمرو أن رسول الله - ﷺ - قال : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » .

وفى رواية عبد الله بن عمرو أن رسول الله - ﷺ - قال : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، إلى المسجد الحرام ، وإلى المسجد الأقصى ، وإلى مسجدى هذا[7] » .

وما رواه البيهقى فى شعب الإيمان عن جابر أن رسول الله - ﷺ - قال : « صلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة ، وصلاة فى مسجدى ألف صلاة ، وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة[8] » ، وهو حديث حسن .

وما أخرجه البزار فى مسنده بإسناد حسن

* ومثل : « الجامع المستقصى فى فضائل المسجد الأقصى » لابن عساكر ، و« فضائل القدس » للشريف عز الدين حمزة ، و« باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس » لابن قاضى الصلت ، و« فضائل بيت المقدس » لأبى المعالى المشرف بن المرجى -المقدسى ، « وتحصيل الأنس » لزائر القدس لعبد الله بن هشام .. الخ .

(٧) الجامع الصغير للسيوطى جـ ٢ ص ٤٠ .

(٨) « الجامع الصغير » للسيوطى جـ ٢ ص ١٩٠ .

عن أبى الدرداء عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفى مسجدى ألف صلاة ، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة[9] » .

ومن تتبع هذه النصوص يتبين أن هذه البقاع الثلاث مقدسات دينية إسلامية لا فرق بينها فى أصل القداسة ، وإن اختلفت فى درجة الفضل ، أن إسراء الرسول ـ ﷺ ـ إلى المسجد الأقصى ، واتخاذه مرتكزاً فى عروجه إلى السماء عند الذهاب ، وعند العودة وجعلها قبلة للمسلمين فى صلاتهم فترة طويلة من الزمان لا تفسير له إلا تأكيد الصلة الدينية القائمة أساسا بين أنبياء الله ، وتأكيد ما كان لهذه البقعة المباركة عند الأنبياء السابقين باسم آخر الرسل وخاتمهم عليه الصلاة والسلام .

ولهذا نجد الله يذكرها فى سورة الإسراء بأنه بارك حولها وهو نفس الوصف الذى وصفها به عند أنبياء سابقين فى مثل قوله تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ . الأنبياء ٧١ .

وفى مثل قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَالِمِينَ ﴾ الأنبياء ٨١ .

ووصفها بالقداسة صراحة فى قول موسى لقومه : ﴿ يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ المائدة ـ ٢١ .

وقوله عن هذه الأرض وجعلها متاحة لبنى إسرائيل حين يطيعون رسولهم كما فى الآية السابقة : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ الأعراف ١٣٧ ـ فقد بقيت لها قداستها فى الإسلام كما كانت لها عند الأنبياء السابقين ، وقد تأكد هذا المعنى باستقبال الرسول ـ ﷺ ـ لها والمسلمون معه فى صلاتهم ردحاً من الزمن استمر إلى مابعد الهجرة بنحو ستة عشر شهرا ، ولهذا يذكرها المسلمون دائماً بأنها أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين .

وقد استتبع هذا الوضع المتميز الخاص أن تكون لها فى الإسلام أحكام خاصة ذكرها صاحب كتاب « إعلام الساجد بأحكام المساجد » كما ذكرت فى كتب أخرى كالأنس الجليل لمجير الدين الحنبلى ، وقد استدلوا على ذلك بأحاديث وآثار متعددة ، من هذه الأحكام :

١ ـ مضاعفة أجر الصلاة فيه ، ومن ثم استحباب الصلاة فى المسجد الأقصى .

٢ ـ استحباب شد الرحال إليه وتحمل المشقة فى السفر إليه .

وقد سبق ذكر ما يدل عليهما من أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ .

٣ ـ كما يستحب لمن لا يستطيع الرحلة إليه أن يرسل إليه بزيت يسرج فيه وفى معناه جميع ما يدخل فى عمارته وخدمته .

فقد روى عن ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله ـ ﷺ ـ أنها قالت : يارسول الله أفتنا فى بيت المقدس ، فقال :

« أرض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه فإن كل صلاة فيه كألف صلاة ، قلنا يارسول الله ، فمن لم يستطع أن يصل إليه ، قال : فمن لم يستطع أن يأتيه فليهد له زيتا يسرج فى قناديله ، فإن من أهدى إليه زيتا كان كمن أتاه » .

←

(٩) « إعلام الساجد » للزركشى ص ١١٧ .

القيم الدينية

٤ - استحبوا أن يقرأ فيه القرآن وأن يختم فيه مثله فى ذلك مثل المسجد الحرام والمسجد النبوى الشريف .

٥ - كما استحبوا الصيام فيه .

٦ - يستحب الإحرام بالحج والعمرة منه ، ففى سنن أبى داود من حديث أم سلمة قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه[١٠] » .

وقد أحرم منه جماعة من السلف ، وكان الأمر على ذلك إلى قبيل الاحتلال السرطانى الصهيونى ، فقد كان آباؤنا حين يقتدرون يجعلون رحلتهم إلى بيت المقدس ضمن رحلتهم إلى حج بيت الله الحرام .

٧ - تغليظ عقوبة الذنب الذى يرتكب فيه .

ولذلك حذروا من اليمين الفاجرة فيه ، وقد رووا أن عمر بن عبد العزيز أمر بحمل عمال سليمان بن عبد الملك إلى الصخرة ليحلفوا عندها ، فحلفوا إلا واحداً فدى يمينه بألف دينار ، فما حال الحول على واحد منهم ، بل ماتوا كلهم[١١] .

إلى غير ذلك من الأحكام التابعة لحرمة هذه البقعة المباركة ، وقداسة المسجد الأقصى .

وقد أفتى علماء المسلمين وقضاتهم ومفتوهم فى الضفة الغربية بالأردن بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢٢ من أغسطس سنة ١٩٦٧ م أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن ، ومسجد الصخرة المشرفة ، والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب .

وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكا لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداء على قدسيته ، وأن الحرم الإبراهيمى فى الخليل مسجد إسلامى مقدس ، وكل اعتداء على أى جزء منه يعتبر انتهاكاً لحرمته وقدسيته .

وقد أيد مجمع البحوث الإسلامية فى عدة مؤتمرات منها مؤتمره الأخير الحادى عشر والذى عقد فى القاهرة فى الفترة من ١٥ إلى ١٩ من رجب ١٤٠٨ هـ الموافق من ٤ إلى ٨ من مارس ١٩٨٨ م هذه الفتوى فى الفصل الخاص بقدسية الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلا لاسترداد بيته المبارك المسجد الأقصى واسترداد الأرض التى بارك فيها من حوله ، قياماً بحقها وحمايتها ، ورعاية لقداستها الدينية التى أكدتها رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وبالله التوفيق .

. عبد الفتاح بركة

---

(١٠) « إعلام الساجد » للزركشى ص ٢٨٩ .

(١١) « إعلام الساجد » للزركشى ص ٢٩٥ .

الفتاوى

إعداد : عبد الحميد السيد شاهين
على حامد عبد الرحيم

صائم تارك للصلاة

س : هل يصح الصوم من تارك الصلاة : محمود حسن ـ الدقى .

جـ : المسلم مطالب من قبل دينه أن يؤدى كل الفرائض التى فرضها الله تبارك وتعالى عليه : من صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج إلى بيت الله الحرام متى استطاع إلى ذلك سبيلا .

فمن ترك واحدة من هذه الفرائض : فإما أن يترك هذا الفرض جحوداً وإنكاراً لفرضيته : فيكون هذا الجاحد كافراً .. والعياذ بالله .

والكافر لا تقبل منه عبادة أصلاً : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » ، وإما أن يكون تركه لهذا الفرض كسلاً من غير إنكار ولا استهزاء فيكون ناقص الإسلام ، ضعيف الإيمان ، ويخشى على إيمانه إذا استمر على هذا الترك .

ومع هذا فإن الله عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، وله ثواب ما أدى ، وعليه وزر ما فرط فيه .

قال الله عز وجل ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ .

أكل الصائم أو شربه ناسيا

س ـ كثيراً ما ينسى الصائم ، فياكل او يشرب ثم يتذكر انه صائم فما الحكم ؟

جـ ـ جاء فى الصحيحين : « البخارى ومسلم » من حديث أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « .. من نسى وهو صائم فأكل وشرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » .

وفى لفظ للدارقطنى بإسناد صحيح « فإنما هو رزق ساقه الله إليه ولا قضاء عليه .. » .

وفى هذا دلالة صريحة على عدم تأثير الاكل والشرب فى حالة النسيان ـ على صحة الصيام : لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ . وقد ثبت أن الله أجاب هذا الدعاء .

وكما جاء فى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله وضع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وعلى ضوء ما تقدم فإن على الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً أن يكمل صيام يومه ، ولا يجهز له الفطر ولا قضاء عليه .

البقيـة ص ١٠٦٣

من أعلام الأزهر

عبد الرحمن البرقوقى

صاحب مجلة البيان ومحقق التراث

يُذْكَر الأستاذ أحمد حسن الزيات بمجلة الرسالة والدكتور أحمد أمين بمجلة الثقافة والدكتور محمد حسين هيكل بمجلة السياسة الأسبوعية ولا يُذْكَر الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى بمجلة « البيان » وقد كان أسبقهم جميعاً إلى ريادة الصحافة الأدبية الممتازة فى وقت كان فيه صاحب المجلة الأدبية ذات الهدف العلمى البحت مستشهداً يبذل جهده وماله وأجمل سنوات عمره فيما يعود على الأدب والأدباء بالنفع ، وعليه بالضر ، لقد أشرقت مجلة البيان فى مفتتح العقد الثانى من القرن العشرين لتؤدى رسالة لا تؤديها مجلتا المقتطف والهلال ، إذ اختصت الأولى ببحوث العلوم العملية ، وترجمة ما ذاع منها على وجه التيسير ، واهتمت الثانية ببحوث التاريخ وما يدور حوله من نقاش ، أمّا التجديد الأدبى المشرئب إلى آفاق واسعة فى اكتمال الفنون الأدبية من مقالة وقصة ونقد وسير ذاتية وتعريب لطرائف الأدب الأوروبى ، ومحاولة تقديمه على أيدى صفوة مختارة من أدباء الشباب يتقدمهم العقاد والمازنى وشكرى وعباس حافظ ومحمد السباعى ومحمد حسين هيكل وأضرابهم ممن تسنموا فيما بعد قيادة الفكر المصرى ! هذا التجديد المتطور الذى قفزت به مجلة البيان قفزات فسيحة يجب أن يكون موضع الدراسة التحليلية ، إذا أردنا أن نتبين خطوات النهضة الأدبية على وجهها الصحيح ، وأنا فى حيرة كبرى لإهمال دور البيان فى قيادة النهضة الفكرية ، فلم نعرف رسالة جامعية تخصصت فى إيضاح دورها البناء ، كما رأينا رسائل شتى صرفت إلى دراسة مجلات لا تبلغ معشار معشار ما بلغته البيان ، وليس دور « البيان » بمنكور المحل لدى أعلام الفكر المعاصر فقد أشاد به العقاد والمازنى والزيات فى مناسبات مختلفة ، وهؤلاء من اليقظة الواعية بحيث لا يسكتون عن تقدير المناضلين ، وننقل هنا بعض ما قاله الزيات والمازنى ليعرف الدارسون أى تاريخ كاد يغمره النسيان .

يقول الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى[1] :

« كان البرقوقى واسع الاطلاع على الأدب العربى حسن الفهم له ، وقد درسه على الشيخ المرصفى بالأزهر ، واستفاد من دروس الشيخ محمد عبده ، وعنايته بدلائل الإعجاز ، وأسرار

(١) من مقال منشور بجريدة البلاغ ٤٤/٦/٤ وأعيد نشره فى مقدمة كتاب (دولة النساء) للبرقوقى .

أ. د. محمد رجب البيومى

البلاغة للجرجانى ، ثم توسع بعد ذلك فى التحصيل والدرس ، ولكن الأدب الغربى كان يخايله قيودٌ لو تيسر له أن يطلع عليه ولا يجد إلا ما نقل عنه إلى اللغة العربية ، وما أقل ذلك ، وكان يعرف للمذهب الجديد فى الأدب العربى بمصر حقه وفضله ، ويكبره ولا يغمطه ، وكان رجلاً أوتى حسن الفهم ، وصحة الإدراك وسعة الصدر التى تدفع إلى سرعة الإقرار لكل ذى فضل بفضله .

كان يرجو أن يكون (بيانه) خلفاً لبيان اليازجى ، ولكنه أراد شيئاً ، وأراد اللّه خلافه ، فصارت مجلة « البيان » صحيفة لأهل المذهب الجديد فى الأدب ، العقاد وشكرى والسباعى وهيكل وكاتب هذه السطور وغيرهم ، ولم يكن ذلك التحول برغمه وعلى غير هداه ، ولا كان بادى الزهادة فيه ، فما كان له مذهب خاص فى الأدب يدعو له ، ولا كان له هم إلا جودة العبارة ، وجزالة الأسلوب ، ومن حسن الاتفاق أن دعاة المذهب الجديد ، يعنون بإحكام الأداء ودقته ووفائه كعنايتهم بالإخلاص وصدق السريرة ، وصحة النظر ، واستقامة الفكر ، والتنزه عن التقليد والمحاكاة !

هذا بعض ما قاله المازنى ، نضيف إليه بعض ما قال الأستاذ أحمد حسن الزيات حين نعى البرقوقى يوم وفاته بمجلة الرسالة . فقال(٢) .

انتقل إلى جوار الله شيخ من شيوخ الأدب ، وعلم من أعلام الصحافة هو الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى ، منشىء مجلة البيان

الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

وصاحب المؤلفات القيمة فى الأدب والتاريخ ، فجأته المنِّية وهو مشغول بإعداد الجزء الثانى [يريد الثالث] من كتابه الذخائر فأسكتت قلباً كان ينبض بأنواع المعرفة ، وأسكتت قلماً كان يجرى بمعانى الجمال ، والأستاذ البرقوقى كان ثمرة من ثمار الشيخ محمد عبده تأثر به فى الناحية الأدبية ، فكتب فى علوم البلاغة ، وشرح بعض كتب الأدب ، وكان من خير أعماله إصداره مجلة البيان فى عهد لم يكن فيه للأدب نفاق ، فلقى فى سبيل ذلك ما يلقى المجاهدون الأولون من الجهد والمشقة فى تذليل مصاعب الطريق ، وارتياد مجاهل الأرض ، جزاه الله على اجتهاده

(٢) مجلة الرسالة العدد ٥٧١ ـ ١٢/٦/١٩٤٤ م .

وجهاده خير الجزاء ، وعوض أمته وأسرته من فقده أحسن العوض » .

فإذا أردنا أن نفهم رسالة مجلة « البيان » فإننا نذكر أنها فاجأت القراء بضرب من الأدب القوى ذى التأثير الهادف ، والبيان الناصع ، فى عهد انتشر به دعاة اللغة العامية يرومون أن تحل محل الفصحى ، لأمور يدركون مغزاها الاستعمارى والدينى ، وطبيعى أن يضيق هؤلاء بمنحى البيان ، وأن يشنوا عليه الحملات مؤكدين أن الرجوع إلى أسلوب القرآن مما يصعّب مهمة التفهيم فى عصر لا يدرى أبناؤه شيئاً عن بلاغة العرب .

كان البرقوقى شديد التتبع لما يوجه للبيان من نقد على مدى عام كامل ، حتى إذا افتتح العام الثانى واثقاً من عون الله ، وقدرته على المسير فى طريقه المرسوم ، رأى أن يبسط فى مقدمة العدد الأول من السنة الثانية (نوفمبر سنة ١٩١٢) رسالة البيان كما اعتزم أن يتمها ، فذكر أنه يبغى تربية الأمة عن طريق لغتها وآدابها ، لأنه يجدها الآن تكاد أن تتحلل من تاريخها ، ذاهبة فى غير طريقها ، سادرة فى الضلال ، إذ وجد بينها من سدرت أبصارهم وسحرهم زخرف الغرب ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وهم على ذلك بيننا نحوطهم بالرعاية فلا يرتدعون ، إذ صاروا رُقَعاً فى ثوب الأمة تترك فلا تروق ، وتُنزع فلا تكشف إلا عن خروق .

لقد أحكم البيان خطته فى اختيار أبوابه التى تعنى باللغة والتاريخ والأدب والتعريب ، وهى أبواب تجمع بيننا وبين مدنيتنا ، ثم تصلنا بمدنيات الأمم .

يقول الأستاذ البرقوقى[٣] :

« يؤثر البيان كل أسلوب فصيح ، ويقدمه ويحرص عليه الحرص كله ، ولا يبالى فيه اعتراض فئة هى خاصة العوام ، وعامة الخواص ، فإنه [illegible] أبعده ، ولم نبتغ بهذا البيان أن يكون وسيلة من وسائل العيش التى لا يقدرها أهلها بالأسباب ، ولا بالنتائج ، ولا بالمنافع ، ولا بالمضار ، ولكن بشىء واحد ، هو مقدار الثمن والفائدة » .

وقد عاشت مجلة (البيان) ما بين سنة ١٩١١ ـ ١٩٢١ ، وعانت الأهوال فى سنوات الحرب العالمية[٤] ، فاضطر صاحبها إلى أن يبيع أرضه الزراعية على سعتها ، وبعض العقار المنزلى ليضمن توالى الصدور دون نظر إلى العواقب ، فإذا رأينا اليوم من حققوا الأرباح الطائلة من مجلاتهم الدورية ، فلنذكر هؤلاء المستشهدين الذين أنشئوا الصحف ، لتخرب الجيوب وتعمر العقول ! وإلا فكيف استطاع الرجل الباسل أن يستمر فى إصدار البيان أكثر من عشرة أعوام ، دون معونة من حكومة ، أو استنادٍ إلى جاه زعيم ، أو تعضيد من ثرى ذى عطاء ، لذلك أخذت « البيان » تصدر شهرية تارة ، ونصف شهرية تارة أخرى ، وفى حجم هزيل مرة ، وأخرى فى حجم مقبول وفق ما يتيسر لصاحبها من المال ، وليته اكتفى بأعباء « البيان » وحدها ، فقد طمحت به همته لأن يطبع عشرات الكتب الأدبية ما بين مترجمة ومؤلفة ، وأن يتحمل نفقاتها لتكون خسارتها المادية عبئاً يضاف إلى عبء المجلة ، لأن

(٣) البيان المجلد الثانى نوفمبر سنة ١٩١٢ .

(٤) العالمية الأولى .

المترجمات التى قامت بنشرها مثل كتاب « الأبطال » لكارليل ، و « الواجب » لجـول سيمون ، و « حديث المائدة » لأوليفاروند لهوفر ، و « الحكمة الشرقية » من آداب الفرس ، و « قصة المدينتين » لشارلز دكنز و « جمال الطبيعة » لللورد فبرى ، هذه المترجمات وأمثالها لم تجد القارىء المشجع على نفاستها الغالية ، ولكنها وجدت الفدائى المستبسل فى شخص البرقوقى ، ولا انكر أن من هذه المترجمات ما تداول الآن على أبعد نطاق ككتاب الابطال ، وقصة مدينتين ، وجمال الطبيعة ، ولكن صدورها لأول مرة فى زمان البيان لم يجد رواجاً يحفظ من الخسارة ، ولا اقول يجلب الكسب ، فإذا كانت « البيان » بطولة نادرة فقد ضم البرقوقى إليها بطولة اخرى بهذه الروائع من المترجمات ، ولك أن تعجب بعد ذلك ممن ينتقد « صاحب البيان » فيرى أنه يعيش فى افكار الجاحظ وابن المقفع ! على حين يرى مجلته ومطبوعاته تُزاوج بين التراث وأدب الغرب ، ولكنه يبغض التراث لحاجة فى نفسه !

وماذا تقول فيمن يعد آثار الجاحظ ذات تخلف ، لينكر على صاحب البيان أسلوبه البيانى وهو شعاع من شمس أبى عثمان !

لقد تحمل البرقوقى تكاليف « البيان » ، ومطبوعات إدارته ، دون أن ينبس بشكوى ، حتى إذا اضطر إلى إغلاقه بعد أن أكل اللحم والعظم وشرب الدم وَمَصّ النخاع ، نَفّس عن صدره فى المقدمة الرائعة التى افتتح بها كتابه (حضارة العرب فى الأندلس) حين ذكر(٥) أن « البيان » قد استأثر بنفسه ، وتدفق فى أذانه ، وألح فى سطواته ، حتى أنه بعد أن التهم الوفر اكلاً وشُرْباً ، ألوى بنفسه قلباً ولباً ، إذ أن هذا ـ كما يقول البرقوقى ـ : مصير كل من يمتهن الأدب فى الصحف ، وبخاصة إذا كان هو صاحب تلك الصحيفة ، له غنمها ، وعليه غُرمها ، ببلد سقط فيه نجم الآداب الرفيعة وطاش سهمها » .

ولا نستطيع أن نلم بموضوعات البيان فى عمره السعيد ، ولكننا نذكر أن كتباً كاملة للعقاد والمازنى وشكرى والسباعى وعلى أدهم والرافعى قد نشرت تباعاً فى البيان ثم جُمعت بعد أن تمت فى حلقات متصلة ، ومن هذه المقالات ما كان له ضجيج فى زمنه مثل مقالات « حديث القمر » للـرافعى ، و « مذكـرات إبليس » للعقاد ، و « رسائل الفيلسوف سنيكا » التى ترجمها الأستاذ صالح حمدى حماد ، وكرواية « وليم تل » بطل جهاد سويسرة ، واعترافات الفريد دى موسيه مع ترجمة وافية له ، وكتاب « البيت والحيـاة المنزليـة » لأمرش . و « العـزوبـة والزواج » لباكون و « فردريك غليوم » لللورد ماكولى ، وعشرات من أمثال هذه الروائع .

ولكى نعرف ضحالة التفكير الأدبى لدى العامة من القراء فى عهد البيان ، فإننا نذكر أن نفراً من القراء لم يعجبهم ما ينشر البيان من الروايات المترجمة ، وظنـوا ذلك انحـداراً بالمستوى الأدبى للمجلة ، فكتبوا للبرقوقى يتعجبون من الاهتمام بالقصص الأوروبى ، عقب نشر البيان لقصة « نشيد الميلاد » التى ألفها شارلز دكنز وترجمها محمد السباعى ، وفى العدد الثانى من المجلد الثانى سنة ١٩١٢ ص ١٢٥ جاء هذا السؤال اللائم : كيف يعنى البيان هذه العناية بالروايات على قلة جدواها ، وهناك من الموضوعات الأدبية ما هو أجل وأفخم ، وأولى بعناية مجلة رصدت نفسها للأدب العربى ؟

فجاء رد البرقوقى قائلاً : هذه الروايات هى

←

(٥) حضارة العرب فى الأندلس للبرقوقى المقدمة ص « و » .

آخر ما وصل إليه الأدب عند الغربيين ، وهى الحلقة الأخيرة التى ارتقت إليها آدابهم ، حتى إن الأديب الغربى الذى لا ينشىء الرواية بالفعل أو القوة لا يؤبه له ، وهذه الروايات وضعها واضعوها لغرض أنبل وأعظم ، وهو بث فكرة صالحة فى الأخلاق أو الاجتماع ، أو التاريخ ، مما حقه أن تنشأ له المقالات الحافلة والأسفار الطويلة ، ولكنهم آثروا هذا النوع من القول ، لما يمتاز به من معانى التشويق والاستهواء ، حتى يكون ذلك أدعى إلى استمكان ما يقصدون إليه من نفوس القارئين » .

وقول صاحب البيان إن واضعى الروايات الأوروبية ينشدون هدفاً أنبل وأعظم ، وهو بث فكرة صالحة فى الأخلاق أو الاجتماع أو التاريخ ، يدلنا على أنه يختار من القصص الأوروبى ما يقدم النفع الخلقى ، والإصلاح الاجتماعى ، أما القصص الهابط فبعيد عن مختارات صاحب البيان ، لا سيما أن القائمين على الترجمة من ذوى المثل الهادفة كالمازنى وعباس حافظ وعلى أدهم ومحمد السباعى ، وأذكر أن الأخير قد نشرت له مجموعة قصصه التى ترجمها للبيان تحت عنوان (مائة قصة) فجاءت فى سفر حافل يقرأه الأديب فلا يجد غير الرائع المستطاب ، ولا يؤخذ عليه فى رأيى غير الاستشهاد بالشعر العربى لمثل البحترى وابن الرومى وأبى العلاء المعرى أفتكون المعانى التى عناها الأديب الأوروبى هى عين ما عناه الشاعر العربى دون اختلاف ؟

أكبر الظن أن التشابه فى بعض الخلجات كان السر فى الاستشهاد ، وهو ما كان موضع نظر لدى ! لأن ذلك يوحى للقارىء أن المترجم ينقل بالفحوى العام دون التزام بالنص الدقيق !

وقد أشار الأستاذ المازنى إشارة مقتضبة إلى أثر الإمام محمد عبده فى تلميذه البرقوقى ، والحقّ أن صاحب البيان ظل طيلة حياته يباهى بأثر الإمام فى تكوينه ، ويعد اتجاهه إلى الأدب ثمرة من ثمار الإمام ، وقد ظهر العدد الأول من البيان وبه حديث عن الإمام علق بذهن تلميذه ، فعدّهُ براعة استهلال للصحيفة الناشئة ، وقد ذكر الأستاذ محمد سعيد العريان فى كتاب (حياة الرافعى) أن الحديث لم يكن من خواطر الإمام ولكن الرافعى كتبه من تلقاء نفسه وعزاه[٦] للإمام كى تكتسب مجلة البيان قبولا لدى القراء ! هذا ما قاله العريان ناقلاً عن الرافعى فى زعمه ، وزاد فذكر أن السيد رشيد رضا صاحب المنار ذكر أنه حضر حديث الإمام مع البرقوقى ، ولم يجد له أهمية تجعله يسارع بنشره من قبل ، باعتباره أثراً من آثار الإمام !! وتلك غفلة منه فى رأى الرافعى وتلميذه ، وذلك كله وهم باطل ، كشف عنه صديق للرافعى بمجلة الرسالة منتقداً ما جاء فى حياة الرافعى[٧] ، ومؤكداً أنه إذا ثبت أن البيان من وضع الرافعى لكان قد أحل لنفسه أن ينسب إلى الإمام ما لم يقل ، وهذا مما يطعن فى خلقه ، ولكن الحقيقة أن مجلة « المنار » الصادرة بتاريخ ١٩١١/١١/٢١ قابلت ظهور مجلة البيان بالترحيب ، ولم يقل الشيخ رشيد إنه حضر مجلس الإمام مع البرقوقى ، وإنما قال إنه نقل كلام الأستاذ الإمام بمعناه لا بحروفه قطعاً . وهذا هو المعقول ، ونخلُصُ من هذا إلى تخطئة كل ما ذكره الأستاذ العريان خاصاً بهذا الموقف .

(٦) حياة الرافعى للعريان ص ٣٢٤ .
(٧) مجلة الرسالة العدد ٣١٥ - ١٩٣٩/٧/١٧ .

البقية ص ١٠٥٩

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

أنوار رمضان

من أناشيد التوحيد

إلى أطفال الانتفاضة

أنوار رمضان

للشاعر رشاد محمد يوسف

تَعالَوْا خِيرةَ الصحْبِ ... إلى الإيمان والحبِ
إلى القرآن والرضوانْ ... والغفران والتَّوْبِ
تعالَوْا للهدى والنور ... نُسْقَى من رضا ربى

فشهر الصوم بالأنوار ... يكشف ظلمةَ الدرب
تعالَوْا نغترف منه ... رحيق الكوثر العذب
ونزرع احرفَ القرآن ... بين مشارف القلب

ونغسل بالتقى الوجدان ... من إثم ومن ذنب
وفيه الخلد فى الجنات ... بين حدائق غلب
لمن صلوا ومن صاموا ... ومن قاموا بلا ريب

• •

تعالوا إخوةَ الايمانِ ... من عُجم ومن عُرب
نصون محارم الإسلام ... من غصب ومن سلب
ونحفظ شِرْعَةَ المختار ... فى أثوابها القشب

نقدمها لكل الناس ... من شرق ومن غرب
شفاء من لظى الأيام ... من كرب ومن جدب
به يَتَقَاسمون الخير ... من ماء ومن عشب

• •

سالت الله تفريجا ... لما نلقى من الكرب
ولطفا بالذى سُطرَ ... او قدر فى الغيب

من أناشيد التوحيد

للشيخ محمد زكى إبراهيم

الأَوَّلُ مـــن ؟ الأول هـــو الآخِرُ مـــن ؟ الآخـــر هـــو
الظـاهر مـن ؟ الظـاهـــر هـــو البـاطـن مـن ؟ البـاطـن هـو
اللهُ ، فقل : جَلَّ اللهُ

قم نـادِ وقل : يـاهو يـاهو وتجنّبْ قومـا قـد تـاهـوا
عبـد يستـعطـــف مـــولاه هـل ثَـمَّ إلـٰهٌ إلا هـــو
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

ادركـتُ بـه علمَ يقينى وشـهـدت بـه حـق يقينى
وغـدوت بـه عيـنَ يقينـى فـهـو يقينى وهـو يقينـى
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

ايـن استخفى المـعنى الحقّ فى الجمـع تـرى او فى الفـرق ؟
الـعجـز هـنـا شـان النطـق والحكـم لشـوق او ذوق
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

اذكُرْ واستـغفِـرْ مـن ذِكـرك وَاشْكـر وتبـرا مـن شكـرك
لا انـت ولا انـا لـو تُـدرِكْ هُـوْ هُـوْ هـو هـو قـم فـاسـتدرك
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

اسـرارٌ مـن نـور الـرب تنقدح بِـعِلْـمٍ فـى القلبِ
فيحـدثـــك الكـون الـغيبـى حبـا عـن حـب فـى حـب
اللهُ ، فقل : جل اللهُ

إلى أبطال الانتفاضة

للشاعر أحمد المنشاوى الوردانى

رميتم فكان السهم سهما مسددا ... وصُغْتُم من الأحجار ما روّع العدا
واسمعتم الدنيا زئير انتفاضة ... ومن قبل لم تسمع لأصواتكم صدى
هبطتم على الأعداء شهبا صواعقا ... لكى ترجعوا حقا وعزا وسؤددا
هزئتم بنيران العدو وكيده ... وما هدّم البنيان فيكم وشرّدا
بطشتم بأفّاقى الشعوب بعَزْمَةٍ ... هى السيف بتّارا.هى السيل مزبدا
لقد حسبوا ان الطريقَ ممهدً ... فضلوا وما كان الطريق ممهدا
احاط بهم والجوّ جَوْن ملبد ... وأظْلِمْ به جوًّا عليهم تلبدا
فطاشت بهم احلامهم وعقولهم ... وطارت شَعاعا كل أمالهم سدى
فاهلا بكم فى ساحة الحق فتية ... رأوا فى سبيل الموت للمجد موردا
هو الحق ناداكم فلبّاه جَمْعُكم ... ولم تُخلفوا للحق وَالمَجْد موعدا
هو الوطن المسلوب ضج من الجوى ... ومن فئة شَقَّتْ قلوبا واكْبُدا
كتبتم من التاريخ أروع صفحة ... سيبقى لها التاريخ فى الكون منشدا
وغيّرتُم وجه الحياة بوقفة ... تصون على الحر المجادة سرمدا
فلسطين أرض الخير والسلم والهدى ... فقد عانقت موسى وعيسى وأحمدا
فلا تتركوها للطغام فريسة ... يُقَسِّمُها نهبا ، ولو ذقتم الردى
هو الموت احلى من حياة ذليلة ... ومن لم يعش حرا فلا عاش سيدا

الحب بين العباد والرب

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد محمد المدنى

تقديم :
عبد الفتاح حسين الزيات

الحب ، سمو ، أراد الله ـ سبحانه ـ له الا يشاب ، فإن شابه شىء فلياخذ اسما آخر غير الذى أراد الله له ـ سبحانه ـ من منزلة .. وتجده فى الكتاب العزيز والسنة الشريفة ، وإليك بيان فضيلة الدكتور :

لفظ « الحب » وما تصرف منه ، من الألفاظ الكثيرة الدوران فى الكتاب العزيز ؛ فقد جاء فى أكثر من ثمانين موضعا منه على أساليب شتى ، إثباتا ونفيا ، وهو أيضامن الألفاظ التى وردت فى السنة المطهرة على نحو ما وردت فى القرآن الكريم .

و « الحب » فيما جاء من هذا وذاك نوعان :

(١) حب العبد لله .

(٢) وحب الله للعبد .

ولكل واحد من هذين النوعين ظاهرة جديرة بالنظر والدرس :

فأما حب العبد لله فهو منزلة ترتفع بصاحبها إلى أعلى درجات السمو والكمال والتنزه ، وهذه المنزلة تستدعى من صاحبها أن يؤثر محبوبه ـ كما هو الشأن فى كل محب ـ بكل شِعْب من شعاب قلبه وفكره ، وأن يضحى فى سبيله بكل رغبة من رغباته ، وأن يتحمل فى رضاه كل عناء ، ويصبر على كل بلاء ، ذلك أن الحب ـ كما يعهده الناس بين بعضهم وبعض ـ هو علاقة فوق المعرفة ، وميل وانعطاف فوق الإرادة والرغبة ؛ فكل واحد منا يعلم من نفسه أنه يعرف فلانا من الناس ، أو يعرف كذا من الأشياء معرفة رضا وقبول دون نبوٍّ عنه أو نفور منه ، ولكننا لا نسمى هذا حبا ، لأن الحب أعمق فى نفس المحب أثرا ، وأكثر لفراغ القلب شغلا ، بل الحب الحقيقى هو

الذى لا يترك فى القلب فراغا ، ولايدع للنفس سبيلاً للتوجه إلى ما سوى الحبيب .

وإذا كان الأمر بهذه المثابة ، فحب العبد لله هو الإيمان الحق ، وليس الإيمان الحق مجرد المعرفة وإذعان النفس ، وبعبارة أخرى : الإيمان الحق هو إيمان المحب لله المنفعل به الذى يؤثره على نفسه ، وتبدو آثار حبه إياه فى جميع أقواله وأفعاله وتصرفاته ؛ أما الإيمان الجاف الصامت السلبى الذى لا يعدو الإذعان النفسى ، والإقرار القلبى ، ولا تظهر آثاره فى مظهر من المظاهر العملية الإيجابية ، فليس هو الإيمان الذى يريده الله من عباده .

إن المؤمن الحق هو الذى أدرك جمال الله وجلاله ، وأدرك لطفه وإحسانه ، وعلم علم اليقين أنه هو المنعم المفيض الذى لا إنعام إلا به ، ولا فيض إلا منه ، ثم انفعل بهذا الإدراك فأحبه ، فأصبح قلبه مشغولاً به ، وعمله موجها إليه ، ولذته وارتياحه فى طاعته وعدم المخالفة عن أمره ، يتحمل فى ذلك ما يتحمل راضيا مغتبطا قرير العين مطمئن القلب ثابت القدم ؛ فإذا أحسن إليه حبيبه تلقى هذا الإحسان شاكراً بلسانه وقلبه وفعله ؛ وإذا ناله شىء فى سبيل مرضاته تلقاه صابراً عليه ، غير متبرم به ، ولا ضائق به صدرا .

ذلك هو المحب ، وذلك هو المؤمن ؛ وآية ذلك أن الله ذكر الكافرين والمؤمنين فجعل حبه هو العلامة المميزة بين هؤلاء وهؤلاء إذ يقول : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ . وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ . وذكر الذين يتبدلون بدين الحق ما سواه فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ . فقد وضع الحب فى موضع الإيمان . وقد نعى الله على الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة فوصفهم بأنهم ﴿ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ . وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً ﴾ أى أنهم أحبوها فآثروها ، ولو أحبوا الله لآثروه . ﴿ كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ ﴾ . وقد نفى الإيمان عمن يوادون أعداء الله فقال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾وذلك لأن عدو المحبوب عدو للمحب ، كما أوجب على المؤمنين حب رسوله وحب أوليائه « لأن محبوب المحبوب محبوب ، ورسول المحبوب محبوب » وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » . « وما تحاب اثنان فى الله إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه » ، ويقول الله عز وجل : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ . وهكذا نرى حب الله وإيثاره على كل ما سواه هو الإيمان الحق فى كل ما جاء على لسان الشرع . والدستور الجامع فى ذلك هو قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ . وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ . وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

وأما حب الله للعبد فلم يثبته القرآن الكريم إلا لذوى الأعمال العظيمة التى تفوق فى قيمتها ومنزلة العاملين بها ماسواها من جنسها ، ولم ينفه إلا عن ذوى الصفات السيئة الموغلة فى السوء التى من شأنها أن تشيع الضرر والفساد .

بيان ذلك أن الآيات التى أثبتت حب الله للعباد تصف هؤلاء العباد المحبوبين بأوصاف هى امهات الأخلاق ومنابع الفضائل النفسية ، ولها من السمو عما يشاركها فى أصل معناها مايجعلها جديرة بالحب الذى هو فوق مجرد القبول والرضا .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ والإحسان صالح لأن يراد به الإنعام على الغير ، وأن يراد به الاتقان والتبريز فى كل شىء ، فإذا أريد به الإنعام فهو منزلة فوق الإعطاء لأن الإعطاء قد يشاب بشائبة من المن أو الأذى أو اختيار الأدنى تخلصا منه ، ولا يكون العطاء إحساناً حتى ينزه عن ذلك كله ، ويسمو صاحبه فيه إلى الدرجة التى يصفها الله ورسوله فى مثل : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ و ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماأنفقت يمينه » و ﴿ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ﴾ ، من كل ما يدل على تحرى الحالة الفضلى ، والصورة المثلى فى كل جانب من الجوانب .

وإذا أريد بالإحسان إتقان العمل عامة والاحتفال له والتبريز فيه ، فليس كل من أدى عملا يكون محسناً بمجرد ادائه ، فالأداء قد يكون مجرد تخفف وإبراء ذمة ، أما إحسان العمل وأداؤه كاملا متقنا فهذا شىء آخر ؛ وإنهم ليقولون : إن الإحسان فوق العدل إذ العدل هو التسوية ، والإحسان معنى زائد عليها ، فمن ادى الحق وأخذ الحق فهو عادل ، ومن تجاوز عن بعض حقه مسامحة منه وكرماً ، وأعطى اكثر مما عليه تلطفاً منه وتفضلاً ، فهو محسن ؛ ولذلك يقول الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ فيطلب المعروف فى الاتباع والمطالبة ، والإحسان فى الاداء ، ويقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ فلا يكتفى بالعدل الذى هو المساواة ولكن يأمر بما فوقه وهو الاحسان ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

بهذا يتبين أن الله جلت حكمته لم يمنح حبه لمجرد الإنفاق أو الاداء على ماجرت به العادة ، وإن كان يرضى عن ذلك ويقبله ، ولكنه منح هذا الحب الذى هو فوق الرضا والقبول لما يناسبه .

ولما كان المحب يعامل حبيبه بمنتهى الكرم ، ويتلطف معه أعظم التلطف ، فإن الله جل علاه يعامل المحسنين الذين يحبهم هذه المعاملة ، فيقول : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وكما يقال هذا فى الإحسان يقال أيضا فى الصبر ، إذ الصبر منزلة فوق الاحتمال ، لأنه مجاهدة وحبس للنفس عن كل ضجراو تبرم ؛ وهو أساس كثير من الفضائل ، وإن اختلفت أسماؤها ؛ فالشجاعة هى الصبر على مكاره الجهاد ؛ والجود هو الصبر على بذل المال والمعروف ؛ والكتمان هو الصبر على شهوة الإفاضة والكلام ؛ والعفاف هو الصبر على نوازع النفوس والشهوات ؛ ورحابة الصدر هى الصبر على المثيرات والمحفظات ، وهكذا ؛ ولذلك يعلن الله انه ﴿ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ ويذكر الصبر فى خصال البر ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ ويجعل الصابرين هم أصحاب الحظ العظيم ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ويعلن أنه سيغمر الصابرين بمزيد من الفضل الذى يعادل هذا الحب فيقول : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ ﴿ وَجَزَاهُمْ بِمَا

صَبَرُوا جَنَّةً ﴾ ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ .

وقل مثل هذا فى بقية المواضع التى اثبت الله فيها حبه لعباده ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ و﴿ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ و ﴿ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ و ﴿ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .. **الخ .**

وقد جاء الحديث الشريف مؤيداً لهذا المعنى القرآنى إذ يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه عن ربه « قال الله تعالى : لايزال عبدى يتقرب إلىّ **بالنوافل حتى أحبه ، فإذا** أحببته كنت سمعه **الذى يسمع به ،** وبصره الذى يبصر به ».

وليست النوافل فى الحديث هى صلاة ركعتين **أو ركعات بين يدى الفريضة أو بعدها** فحسب ، **ولكنها كل زيادة وفضيلة فوق** ماهو مطلوب فى **العادة ، وذلك يشمل كل ناحية** من نواحى **الحياة ،** كالإحسان والصبر والتقوى والتطهر ... **الخ .**

ومعنى قوله : « كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى **يبصر به** » هو التوفيق والهداية **والرعاية فى كل حال ، نتيجة** للحب الذى منحه **إياه ؛ ولاشك ان الذى يسمع بالله** ، ويبصر بالله **لا يضل ولايشقى ، وذلك أيضا** هو معنى قوله **تعالى :** ﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ و ﴿ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ **إذ يلزم هذه المصاحبة كل توفيق وسداد .**

بقى بعد ذلك الآيات التى نفى فيها الله حبه **عن عباده ، مثل قوله تعالى :** ﴿ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ و ﴿ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، ولا شك أن

الفساد إجرام فوق العادة ، وان المفسدين أعداء المجتمع والعاملون على تقويض بنيانه ، وزعزعة أمنه واطمئنانه ، فإن الشخص الذى يذنب ذنبا عاديا يكون جرمه على نفسه ، أما الذى يعيث فى الارض الفساد فجرمه على المجتمع كله ، ولذلك قد يتوب الله على الأول أى يوفقه للتوبة والرجوع ويغفر له ، أما الثانى فقلما يوفق للتوبة لأن قلبه مظلم ، ونفسه فى ضراوة الوحوش الكاسرة .

وحسبنا ان الله جل علاه يذكر الفساد والمفسدين فى اخطر المناسبات ، إذ يقول : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ .

ونتيجة هذا المقت للفساد والمفسدين هى ما ذكره الله عز وجل فى مثل قوله : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

وكذلك يقال فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ ، وفى القرآن الكريم بيان عاقبة هذا المقت وعدم الحب ، مثل قوله : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ﴾ .

وأحسب أنه لا يصعب بعد هذا البيان على من شاء من القراء ، أن يتتبع الفكرة على هذا النحو فى مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ و ﴿ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ و ﴿ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾ و ﴿ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴾ .

وخير ما أختم به هذا الحديث دعاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى كان يدعو به ربه « اللهم ارزقنى حبك ، وحب من أحبك ، وحب ما يقربنى إلى حبك » .

العلوم الكونية

قراءة إسلامية في كتاب الكون

اللبح

قراءة إسلامية

في كتاب الكون

الإسلام ومنهج النظر العلمي :

سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن اعجب ما رأته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت : كل أمره كان عجباً ، أتانى فى ليلتى حتى مسَّ جلده جلدى ثم قال : « ذرينى اتعبّد لربى عز وجل » فقلت : والله إنى لأحب قربك ، وإنى أحب أن تعبد ربك ، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صبّ الماء ، ثم قام يصلى فبكى حتى بلّ لحيته ، ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا اتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال : يارسول الله ما يبكيك ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « ويحك يابلال ، وما يمنعنى ان أبكى وقد انزل الله علىّ فى هذه الليلة ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ . رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ . رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ ثم قال : « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها »[1] . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج ذات ليلة بعد ما مَضَى ليلٌ فنظر إلى السماء ، وتلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ إلى آخر السورة ، ثم قال : « اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً ، وعن يمينى نوراً ، وعن شمالى نوراً ، ومن بين يدى نوراً ، ومن خلفى نوراً ، ومن فوقى نوراً ، ومن تحتى نوراً ، وأعظم لى نوراً يوم القيامة »[2] .

هكذا يرفع الإسلام من شأن العلم ، ويجعله الأساس فى فهم العلاقة بين الله والكون والإنسان ، بل إنه طالب من أول لحظة أن يمتثل المسلمون للأمر الإلهى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[3] بكل دلالاته ومعانيه الإسلامية ، لا فرق فى ذلك بين قراءة كلمات الله القرآنية فى كتابه المسطور ، وقراءة كلماته الكونية فى كتابه

● الكاتب : استاذ الفيزياء ـ كلية العلوم جامعة القاهرة .

١ ـ الآيات من سورة آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩٤ ، والحديث أخرجه ابن مردويه ، وانظر ابن كثير ج ١ ص ٣٤٨ ، وصفوة التفاسير ، القسم الأول ص ٧٦ .

٢ ـ رواه ابن مردويه عن ابن عباس . نفس المرجع .

٣ ـ سورة العلق : ١

أ . د . أحمد فؤاد باشا

المنظور ، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٤) .

فالقرآن الكريم لا يكاد يدع موطناً فى الكون دون أن يطوف بالإنسان خلاله ، ويستثير فيه النظرة المتأملة المستقصية ، ويلفت أصحاب العقول الراجحة وذوى القلوب المؤمنة إلى المنهج الصحيح فى التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشاراته ، باعتباره كتاب معرفة للإنسان المؤمن الموصول بالله ، وبما تبدعه يد الله . قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(٥) .

وقراءة الآيات المنبثة فى جنبات الكون وظواهره تتم بالاستخدام الأمثل لملكات الإدراك والعلم التى وهبها الله للإنسان لتلمس الحقائق الكونية بالاختيار والرصد والقياس والاستدلال ، مستعيناً فى ذلك بحواسه أو ما يرقى إلى مستوى الحس ويُعمِّقُه من أجهزة وآلات . وقد فطن المسلمون الأوائل إلى حقيقة الدعوة القرآنية إلى القراءة والعلم وإمعان النظر فى ملكوت السموات والأرض سعياً إلى الهداية واليقين . فهذا أبو عبد الله القزوينى الذى ينتهى نسبه إلى أنس بن مالك ، كان شغوفاً بعلوم الفلك والفيزياء والنبات والحيوان والـچيولوچيا ، وكان يدون كل ما يقع عليه سمعه وبصره وكل ما يهتدى إليه عقله وفكره من حكم عجيبة وخواص غريبة مخافة أن تفلت أو تشرد .

وأوصى فى كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » بإعادة النظر فى ظواهر الكون والبحث عن حكمتها وتصاريفها لتظهر لنا حقائقها وتنفتح لنا عين البصيرة ، ونزداد من الله هداية ويقيناً ، فليس المراد بالنظر تقليب الحدقة نحو السماء ، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه ، ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ، ومن الأرض إلا غبرتها ، فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى حالاً منها واشد غفلة كما قال تعالى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾(٦) .

المسلمون وعلم المناظر (البصريات) :

بهذه الروح الإيمانية الخلاقة اندفع المسلمون فى مطلع عصر الرسالة الإسلامية إلى الأخذ بمنهج النظر والبحث العميقين فى مختلف مجالات العلوم وقدموا للحضارة الحديثة رصيداً هائلاً من كتب وأبحاث واكتشافات ، لولاها لما وصل الإنسان إلى حضارة التقنية المعاصرة ، أو لتأخر سير المدنية عدة قرون . وفى مقدمة هذه العلوم يأتى علم المناظر (أو البصريات) الذى ينسب بأكمله إلى الحسن بن الهيثم . ويعنى هذا العلم بدراسة نظرية الضوء وخواصه وظواهره وتطبيقاته بما فيها الأجهزة البصرية بمختلف

٤ ـ سورة يس : ٨٢

٥ ـ سورة فصلت : ٥٣

٦ ـ سورة الأعراف : ١٧٩

أنواعها . وأهمية علم المناظر تكمن فى أن أى تقدم يحرزه المتخصصون فيه ينعكس مباشرة على باقى فروع العلوم الكونية ، وهل تقدمت علوم الفلك والفضاء والكيمياء والطب والصيدلة والچيولوجيا والنبات والحيوان وغيرها إلا بتقدم علم « المناظر » وأبحاث الضوء والأجهـزة البصرية . ويسجل تاريخ العلم أن كتاب « المناظر » للحسن بن الهيثم يعتبر أول كتاب يحدث انقلاباً فى نظرية الإبصار ويضع الأساس السليم لعلم مستقل له أصوله وقوانينه . وقد نشرت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة اللاتينية عدة مرات ، واعتمدته جامعات أوروبا مرجعاً أساسيا لعدة قرون ، ولا يزال المنصفون من علماء الغرب يشيرون إليه كلما تحدثوا عن علم البصريات أو صنفوا فيه الكتب والمراجع .

ومع تقدم المعرفة البشرية عن تركيب المادة وبناء الذرة من جهة ، واكتشاف المزيد من الكواكب والنجوم والمجرات فى الكون من جهة أخرى ، دخل العلم الحديث مرحلة العوالم الثلاثة المعروفة بعالم الخلية والذرة والنواة متناهى الصغر وعالم المجرات والمسافات الفلكية متناهى الكبر وعالم المقاييس البشرية العادية . ومن ثم لم تعد العين المجردة وبقية الحواس قادرة على مواصلة القراءة والبحث فى المخلوقات الدقيقة أو البعيدة التى يجاوز بعدها وحجمها حدود الحس البشرى . وكان اختراع المجاهر البصرية هو الدفعة القوية لمواصلة البحث فى أعماق الفضاء وسبر أغوار المادة والخلايا الحية .

المجهر (الميكروسكوب) :

المجهر هو جهاز لتكبير الدقائق الصغيرة ، يتكون من مجموعة من العدسات الشيئية (أى التى تواجه الشىء المراد تكبيره) والعينية (أى التى ينظر المشاهد خلالها بعينيه ليرى الشىء مكبّرا) ، ويسمى المجهر الضوئى المركب ، وهو ماتراه عادة فى معامل البحوث العلمية والتحاليل الطبية والطبيعية . وقد أمكن تطوير هذا المجهر وزيادة قدرته على التكبير إلى أكثر من ألف مرة . وأفاد ذلك علماء البيولوجيا ومهندسى التعدين وعلماء الأراضى والمياه الجوفية والأحياء المائية فى تكبير الميكروبات وتفاصيل المقاطع والعينات .

وبعد أن طبقت العلوم الحديثة خصائص الالكترونات فى الأجهزة البصرية توصل العلماء إلى المجهر (الميكروسكوب) الالكترونى الذى تبلغ درجة تكبيره ربع مليون مرة ، ويتم فيه تكثيف شعاع الالكترونات بواسطة عدسات مغناطيسية أو كهروستاتيكية وتظهر الصور المكبرة واضحة على شاشة عرض كمثل التى تستخدم فى أجهزة التليفزيون . وقد تمكن الباحثون بـواسطته من اكتشـاف أضأل الفيروسات وفحص تفاصيل أدق فى الخلايا والجراثيم ودراسة العوامل الوراثية .

ومن المعروف أن رؤية الأجسام تتم إذا كانت أبعادها وأحجامها تقع فى حدود الطول الموجى للأشعة المستخدمة فى رؤيتها . لهذا كانت المجاهر الضوئية المركبة محدودة القدرة على التكبير عن المجاهر الالكترونية ، لأن الأخيرة يمكن التحكم فى قصر الطول الموجى للالكترونات بزيادة سرعاتها . وقد بذل العلماء حديثا جهوداً مضنية لتطوير المجهر الالكترونى ، وتمكنت بعض الدول الكبرى

من زيادة قدرته على التكبير إلى مليون مرة بعد أن غذته بجهود كهربية فائقة الارتفاع تبلغ مايقرب من المليون فولت ، فانفتح بذلك مجال أكبر للرؤية والقراءة فى دقائق الكون المتناهية فى الصغر .

المقراب (التلسكوب) :

المقراب (التلسكوب) هو جهاز تكبير الأجسام البعيدة ، ويتكون من عدسة شيئية كبيرة تجمع أكبر قدر ممكن من الضوء الصادر عن الجسم المراد رصده ، وعدسة عينية للنظر من خلالها إلى الصورة المكبرة للجسم . ولما كان من الصعب عمل عدسات كبيرة كاملة فإن كثيرا من التلسكوبات الفلكية تستخدم مرآة مقعرة مكان العدسة الشيئية . وتقاس قدرة المقراب الفلكى بأقطار عدساته أو مراياه التى تبلغ عدة مئات من الأمتار . ويمكن أن نتصور مدى التقدم الهائل الذى طرأ على أجهزة البصريات الفلكية إذا علمنا أن مقراب « جاليليو » الذى وجهه نحو السماء منذ حوالى أربعة قرون كان ذا تكبير يزيد على مقدرة تمييز العين البشرية عشرين ضعفا ، وقد مكنها حينذاك من رؤية أوجه كوكب الزهرة ، والأطواق المحيطة بكوكب زحل ، والأقمار الأربعة المنيرة حول كوكب المشترى ، وجبال قمر الأرض ووهاده ، والنجوم الكثيرة فى درب التبانة . أما اليوم فإن المقراب الفلكى العملاق القابع فوق جبل « بالومار » بأمريكا قد كشف عن أجسام يقل ضياؤها مليون مرة عن تلك التى أمكن لجاليليو أن يراها . لكن القيود التى تفرضها ظروف الغلاف الجوى وأحواله تحول دون تمييز معالم هذه الأجسام البعيدة أو الصغيرة . وقد ساعدت أجهزة الرصد الفلكية عبر هذه القرون على كشف الكثير من الأسرار الكونية المتعلقة بحركة الأجرام وطبيعة النجوم .

ومع تقدم أبحاث الفضاء خلال العقدين الأخيرين بدأ تصميم المراصد الفلكية التى تعمل فوق متن المعامل الفضائية ، فقد حمل معمل الفضاء الأمريكى « سكاى لاب » أول مقراب فلكى معلق فى الفضاء لالتقاط صور الشمس والنجوم والمذنبات من مدار عال على ارتفاع ٤٣٥ كيلو مترا ، دون أى تعويق من الغلاف الجوى للأرض أو للسحب المحيطة بها . وكان للمقراب أربعة أذرع وضع عليها (٣١٢) ألف خلية كهروضوئية تعمل على تشغيل أجهزته عن طريق تحويل الطاقة الشمسية الساقطة عليها إلى طاقة كهربية . ومن المنتظر أن تطلق الولايات المتحدة الأمريكية هذا العام (١٩٨٩م) مقرابا فضائياً من فوق متن المكوك ، يسبح فى الفضاء لمدة عشر سنوات متحررا من كل العوائق التى تعوق عمل التلسكوبات الأرضية .

المقراب الإشعاعى (الراديوى) :

ظلت التلسكوبات الضوئية حتى عهد قريب وسيلة النظر الوحيدة إلى أعماق الفضاء ، وقدرة تمييزها محدودة بالأطوال الموجية للضوء الذى يمكّن العين من رؤية الأجسام أوتصويرها . ومدى هذه الأطوال الموجية يشكل جزءا صغيراً من الطيف الكهرومغناطيسى الكلى ، ومن ثم فإن هذا النوع من التلسكوبات يمكنه فقط رصد الأجسام التى تكون مُحَمَّاة لدرجة الابيضاض حتى تظهر مضيئة ويصدر عنها ضوء قوى ، كما هو الحال بالنسبة للشموس والأجرام المتوهجة والأقمار المنيرة الساطعة .

أما الأجرام الباردة أو النجوم الأقل توهجاً

فيلزم لكشفها رؤية أطوال موجية أكبر من الضوء المرئى ، وهى أمواج (الراديو) أو (اللاسلكى) التى تستخدم فى المقراب (الراديوى أو الإشعاعى) . وقد ساعد هذا النوع من المراصد الراديوية على تقدم علم الفلك الإشعاعى واكتشاف عالم جديد فى أعماق الكون لم يكن معروفا للإنسان من قبل ، قوامه نبضات راديوية شمسية أو كوكبية ، ونجوم نابضة (Pulsars) كان العلم قد تنبأ بها نظرياً فى أول الأمر ، وأشباه نجوم (Quasars) ومجرات وغيوم عملاقة من الجزيئات . كذلك تم اكتشاف مجموعة من النجوم الثنائية التى يبدو أحدها كثقب أو فجوة سوداء لأن كثافته تكون عالية جداً لدرجة أن جاذبيته تعمل على إعادة الضوء الصادر منه إليه ولا تسمح لأشعته الضوئية بالهروب منه على الإطلاق . ولا تقتصر أهمية الموجات الراديوية على أنها تكشف عن عالم جديد من الظواهر الفلكية فحسب ، بل إنها تتميز بمقاومتها لأى تشوه ينتج عن اضطرابات الغلاف الجوى أو العيوب الصغيرة فى المقراب لكونها أطول بكثير من الموجات الضوئية .

ويقوم علماء الفلك الراديوى حالياً فى أمريكا بتصميم مقراب راديوى بمساعدة عشرة هوائيات على شكل شبكة تمتد مسافة ثمانية آلاف كيلو متر ، أى ما يقرب من قطر الأرض ، وستبلغ قدرة تمييزه قدراً أفضل ألف مرة من قدرة تمييز أضخم التلسكوبات الضوئية الأرضية التقليدية ، وينتظر لهذا المرصد الفلكى الذى يكتمل بناؤه فى أوائل العقد القادم أن يبين صوراً واضحة لقلوب (الكوازارات) ونوى المجرات ، وأن يبين تفاصيل العمليات الدافعة لها ، والتى يعتقد بأنها تستمد طاقتها من الثقوب السوداء .

وهكذا نرى أن قراءتنا فى كتاب الكون تزداد مع التطور اتساعاً وعمقاً ، ليظل وعد الحق قائماً بقوله تعالى فى كتابه المسطور : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٧) صدق الله العظيم .

أ . د . أحمد فؤاد باشا

(٧) سورة الإسراء ـ ٨٥ .

اللبــن ومكوناته

للأستاذ: أحمد حلمى عزت*

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ النحل - ٦٦

قال رسول الله ﷺ :

" من أطعمه الله طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وارزقنا خيراً منه ، ومن سقاه الله لبناً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه : فإنى لا أعلم مايجزىء من الطعام والشراب إلا اللبن . "

« رواه ابن ماجه
كتاب الاطعمة باب اللبن »

اللبن مادة معقدة التركيب ، وينتج فى أحسن صفاته من الإفراز الطبيعى للغدد اللبنية فى الحيوانات الثديية الخالية من الأمراض ، وترجع اهمية دراسة تركيبه إلى نواحٍ متعددة من حيث إن :

١ - اللبن غذاء يحتوى على جميع العناصر اللازمة لبناء جسم الإنسان وتجديد نشاطه .

٢ - اللبن مادة سريعة التغير ولذلك فهو عرضة للتلف ، فمثلاً إختلاف (الإنزيمات) الموجودة فى اللبن يؤدى إلى تباين فى مدد حفظه .

٣ - كذلك تتوقف صفات منتجات الألبان على نوع اللبن المستعمل فى الصناعة فمثلا إختلاف نسبة الأصباغ فى اللبن تؤدى إلى اختلاف لون الزبد الناتج ، كما هو الحال بالنسبة للزبد البقرى الأصفر والزبد الجاموسى الأبيض .

٤ - يتوقف صافى المنتجات على تركيب اللبن المستعمل ، فيتأثر صافى الزبد بنسبة الدهن الموجودة فى اللبن ، وارتفاع نسبة الدهن والمواد الصلبة اللادهنية باللبن يزيد من صافى الجبن .

* الكاتب : مهندس زراعى .

اللبن

تكوين اللبن إجمالاً :

وعموما يبنى تكوين اللبن على شقين رئيسيين هما :-

(أ) المـــاء :

وهو الجزء الغالب فى اللبن ؛ إذ تبلغ نسبته فى اللبن البقرى حوالى ٨٧٪ والجاموسى ٨٥٪ .

(ب) الجوامد الكلية :

وهذه تكون الجزء الباقى ، وتنقسم بدورها إلى :

١ - دهن .

٢ - جوامد لا دهنية وتشمل :

البروتينات - اللاكتوز (سكر اللبن) - الرماد ؛ بالإضافة إلى احتواء اللبن على نسبة من الصبغات والفيتامينات والغازات كالاكسجين وثانى اكسيد الكربون .

ويعمل مقارنة بين اللبن الجاموسى والبقرى نجد أن :

	الجاموسى	البقرى
نسبة الدهن	٧٪	٤٪
نسبة البروتين	٤٫٢٪	٣٫٦٪
نسبة سكر اللبن	٤٫٩٪	٤٫٧٪

وجدير بالذكر أنه يمكن تعديل اللبن الجاموسى بحيث يقارب مثيله فى لبن السيدة المرضعة ، وذلك بتخفيف اللبن الجاموسى بإضافة مثل حجمه من الماء ثم إضافة ٤٫٥٪ من السكر إلى المخلوط** .

مكونات اللبن بالتفصيل :

اولا : الماء

تتراوح نسبة الرطوبة فى اللبن البقرى بين ٨٨٫٧٢ - ٨٢٫٢١٪ وفى الجاموسى بين ٨٥٫٨٦ - ٧٩٫١٣٪ وتوجد معظم هذه الكمية من الماء فى حالة حرة[1] والباقى على صورة مرتبطة [2] إما مع بروتينات اللبن أو « الفوسفوليبيدات » أو ملتصقة على أسطح كريات الدهن . وترجع أهمية ماء اللبن أنه يعطى اللبن مظهره السائل ، فهو الوسط الذى يوجد به الدهن على حالة تعلق ، كما أن له دوراً اساسياً فى معظم التفاعلات الكيماوية والتخمرات فى اللبن .

ثانيا : المواد الدهنية فى اللبن :

توجد المواد الدهنية فى اللبن بنسبة تتراوح بين ١ - ٢٠٪ فى الحيوانات الثديية البرية بينما ترتفع فى الحيوانات المائية إلى ٥٠٪ كالحوت وتنتشر المادة الدهنية فى اللبن على هيئة صبغات دقيقة (ميكروسكوبية) تختلف اقطارها تبعاً لعدة عوامل منها : نوع الحيوان - سلالته غذاؤه - عمره .

ويبلغ متوسط حبيبات الدهن فى اللبن الجاموسى ٤٫٤ (ميكرون)[3] والبقرى (٣٫٢) ميكرون .

البقيـة ص ٢٠٧٢

** هناك اعتراضات علمية على هذه العملية من اهمها أن نسبة الدهن والفيتامينات تنخفض كثيراً عما هى فى لبن الأم المرضعة ، وأن تقارب الصفات الغذائية لسكر اللبن والسكر العادى لايعنى الجزم بتساوى كفاءتيهما الغذائية فى تغذية الرضيع . (مجلة الأزهر) .

(١) الماء فى حالة حرة : هو الماء غير المرتبط بأى عنصر آخر كالماء الذى نحصل عليه من البخار المتصاعد من عملية الغليان ، ويمكن التخلص من وجوده فى اللبن بالتسخين إلى درجة ١٠٥°م لمدة ٢ : ٣ ساعة تحت الضغط العادى .

(٢) الماء فى صورة مرتبطة : يعنى الحالة المقابلة للماء فى حالة حرة ويقصد بها : الماء حالة كونه مرتبطا بعناصر أخرى يصعب إنفصاله عنها بالغليان ولا تظهر له الخواص المعروفة للماء .

(٣) الميكرون : وحدة قياس مقدارها جزء من مليون من المتر .

اللغة والأدب والنقد

ديوان شعر جابر بن حني التغلبي

للاحتباك

ديوان شعر جابر بن حُنَىّ التغلبى

الجزء الأخير

وقال جابر بن حُنَىَ التغلبى* :

نُعَاطى المُلوكَ السِّلم مَا قَصَدُوا بِنَا   وَلَيسَ عَلَينـا قَتلُهم بِمُحـرَّمِ (٢٠)

وَكَـائِن أَزَرنَا المـوتَ من ذِي تَحيَّةٍ   إذا مَاازدرانَا أَوْ اَسَفَّ لِمأْثَمِ (٢١)

---

* الأبيات تتمة القصيدة السابقة .

(٢٠) نعاطى : نمنح . ماقصدوا بنا : اي مدّة قصدهم . ويعلق التبريزي : أي نسالم الملوك ماداموا يسيرون فينا بالسيرة المثلى ، فإذا عدلوا بنا عن منهج الحق قاتلناهم ، وخرجنا عليهم » . نُعاطى : نفاعل من العطية . والسلم : الصلح .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص٢١٠ ، وشرحها للانبارى ٤٢٦ ، وشرحها للتبريزي ٥١٢ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشعراء النصرانية ١/ ١٩٠ .

وبرواية ثانية فى « معجم الشعراء » ص٢٠٧ ، والنقائض ٨٨٧ :

_______ الحقَّ _______   ______________

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

______________ ماقصدوا له   ______________

وبرواية رابعة فى : اللسان (مكس) :

تعاطى الملوكُ ______________   ______________

واشار الانباري إلى رواية خامسة وهى رواية الاصمعى « ماقصدوا لنا » وفى شرح المفضلبات للتبريزي ص٥١٢ : « ... قال أبو عمرو بن العلاء خرجت انا والفرزدق من عند الوليد بن عبد الملك وهو متكىء على يدى فأنشدته قول التغلبي :

نـعـاطـى المـلـوك النصـف مـاقصـدوا بنـا   ______________

فقال لى الفرزدق : ارشدك ام ادعك فى ضلالتك ؟ فقلت : لا بل أرشدنى ، فقال انشد إذاً :

نُـعَـاطـى المُـلوكَ النصـف مَـاقَصـدوا لنـا   ______________

(٢١) ازدرانا : حَقَّرنا ، والازدراء : الاحتقار والانتقاص والعيب . الإسفاف : الدنو .

ورد البيت السابق بروايته السالفه فى : المفضّليات ـ ٢١١ ، وشرحها للانبارى ـ ٤٢٧ ، وشرحها للتبريزي ـ ٥١٣ ، ومنتهى الطلب ص ٣٠٧ وشعراء النصرانية ١/ ١٨٩ .

واشار التبريزي إلى رواية ثانية :

______________   عَـدَا طَـوْرَهُ لـمـا أَسَـفَّ لِـمأْثـمِ

واشار محقق شرح المفضليات للتبريزي إلى رواية ثالثة فى إحدى النسخ الخطية التى اعتمد عليها فى تحقيق الشرح :

______________   ______________ لمأثم

وورد برواية رابعة فى الاختيارين :

وَكَائِن رَأَينَا ______________   ______________ أَصَرَّ لِمأْثمِ

واشار الانبارى إلى رواية خامسة :

______________   عَـدَا طَـوْرَهُ لـمـا أَزَارَ لِـمأْثـمِ

وقوله : عدا طوره اي جاوز ماتناوله يده . واشار إلى رواية سادسة ايضاً :

وَكَـائـن ارينـا المـوت مـن ذى مـهـابـةٍ   إذَا مـاازدرانـا أوْ أَصَرَّ لِـمـأثـمِ

جمع وتحقيق
الأستاذ/أيمن محمد على ميدان

وقد زعمت بهراءُ أنّ رِمَاحنا … رِماحُ نصارى لاتخوض إلى دَمِ (٢٢)

فيَومِ الكُلاب قد أزالت رماحُنَا … شُرحبيلَ إذ آلى اليَّة مُقسمِ (٢٣)

---

(٢٢) بهراء : بطن من قضاعة من القحطانية . وهم بنو بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . كانت منازلهم شمالى منازل بلى من الينبع إلى عقبة ايلة ، ثم جاوروا بحر القلزم ... معجم قبائل العرب ص ١١٠ . رماح نصارى : يريد انها ضعيفة فيها خور .
ولقد دلل الأب لويس شيخو بهذا البيت على نصرانية جابر . وعلّق محققاً المفضليات على قول لويس شيخو بقولهما : « وهو بهذا البيت ابعد مايكون عن النصرانية » .
ويعلق التبريزي قائلاً : « ادّعت علينا هذه القبيلة انّا لا نرى القتل فرماحنا كرماح النصارى لا نغمسها فى الدماء . وإنما قال هذا لأن من دين النصارى الصبر على الظلم رغبة فى الأجر المكتسب ، ومن وصاياهم : إذا لطم أحدهم على الخدّ الايمن أن يبذل خدّه الأيسر ولا يتأبى » .
ففى الآية ٢٩ من الإصحاح السادس . إنجيل لوقا ص ١٠٢ تقرأ : « من ضربك على خدّك فأعرض له الآخر ايضاً . ومن اخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك ايضاً » .
ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١١ ، وشرحها للانباري ص ٤٢٧ وشرحها للتبريزي ٥١٣ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشرح أبيات المغنى اللبيب ٢٨٧٤ ، وشعراء النصرانية ١/ ١٩٠ .
وورد برواية ثانية فى الاختيارين :

…… رماح يهود ……

(٢٣) الكُلاب : موضع أو ماء بين الدهناء واليمامة ، كان به وقعتان عظيمتان للعرب ، إحداهما بين ملوك كندة الأخوة وانضمام بعض القبائل العربية لكل ، وكان فى الجاهلية . والثانى : كان لبنى سعد والرِّباب وكان رئيسهم فى هذا اليوم قيس بن عاصم . وكان فى الإسلام .
وبيان يوم الكلاب الاول فى موضعه من الدراسة . وهو يوم لتغلب على بكر وبنى يربوع قتل فيه أبو حنش التغلبي شرحبيل بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندى وهو عم امرىء القيس .... فى حديث طويل . آلى : حلف . الألية : مصدره . ومقسم : أسم فاعل بمعنى حالف .
ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٢ ، وشرحها للانباري ٤٢٧ وشرحها للتبريزي ٥١٣ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ ، وشرح أبيات مغنى اللبيب ٤/٣٨٧ ، وشعراء النصرانية ١/ ١٩٠ .
وبرواية ثانية فى النقائض ٨٨٧ ، وشرح ديوان المتنبى للعكبري ٢/ ٣٦٤ :

ويوم الكلاب استنزلت اسلاتنا … ……

قال أبو حنيفة : « الأسل : عيدان تنبت طوالاً دقاقاً مستوية لا ورق لها ، يعمل منها الحصر » . والأسل : الرماح على التشبيه به فى اعتداله ، وطوله واستوائه ودقة أطرافه . والأسل : النبل ... والأسلة : طرف السنان . وقد جمع جابر الأسل : الرماح على أسلات كالفرزدق :

قد مات فى اسلاتنا إذ عضه … غَضْبٌ برونقه الملوك تُقَتَّلُ

وبرواية ثالثة فى الاختيارين :

فيوم كُلاب …… ……

لينتزعن أرْمَاحَنَا فأزالهُ
ابو حنشٍ عن ظهر شَقَّاء صِلْدِمِ (٢٤)

تناولهُ بالرمح ثم اثّنى لهُ
فخرَّ صريعاً لليدين وللفم (٢٥)

وَكَانَ مُعَادِينا تَهِرُّ كِلَابُهُ
مَخَافَةَ جَيْشٍ ذى زُهاءٍ عَرَمرمِ (٢٦)

(٢٤) لينتزعن : جواب القسم الذي تقدم ذكره فى البيت السابق « الى » . ارماح : جمع جمع . ازاله : اطاح به . ابو حنش : عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم قاتل شرحبيل الكندى يوم الكلاب الاول ... فى حديث طويل . الشقاء : الطويلة من الخيل . الصلدم : الصلبة . ويطق التبريزي فى شرحه للمفضليات قائلاً : « كأنه كان حلف انه يزيل ما فى اخلاقنا من الإباء وجعل نزع الرماح كناية عن هذا المعنى » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١٢ ، وشرحها للانباري ٤٤١ وشرحها للتبريزي ٥١٢ ، وشرح ديوان المتنبي للعكبري ٣٦٤/٢ ، وشرح ابيات المغنى ٢٨٧/٤ ، وشعراء النصرانية ١٩٠/١ .

وبرواية ثانية فى : النقائض ٤٥٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

ليستلبن ادراعنا ______ ______

ادراع : واحدها درع وهى لبوس الحديد تذكر وتؤنث ، والجمع فى القليل ادرع وادراع .

وبرواية ثالثة فى : النقائض ٨٨٧ .

ليستلبن افراسنا فاستلهُ ______ سَرْجِ ______

وبرواية رابعة فى : الاختيارين

______ أدراعَنَا ______ ______

وبرواية خامسة فى : ديوان الادب ١٥٧٢ للتفليي :

______ ______ سَرْجِ ______

السَّرْج : رحل الدابة .

(٢٥) تناوله : طعنه . اثنى له : اي انثنى له . خر : سقط . صريعاً : طريحاً . ويطق التبريزي : « وقوله لليدين وللفم إن شئت جعلته من تمام خر . وإن شئت نويت به الاستئناف ، ويصير لليدين وللفم كلام مُقْتَضَب شامت » .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ٢١٢ ، وشرحها للانبارى ٢١٢ وشرحها للتبريزي ص ٥١٤ ، وشرح ابيات المغنى ٢٨٧/٤ ، وشعراء النصرانية ١٩٠/١ .

وبرواية ثانية فى : النقائض ص ٨٨٧ .

______ حتى ثنى له ______ ______

وبرواية ثالثة فى : النقائض ص ٤٥٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

______ ثم ثنى له ______ ______

وبرواية رابعة لابن الكلبى اوردها الانباري فى شرحه للمفضليات ص ٤٣٤ :

______ بالسيف ______ ______

واشار الانباري فى شرحه إلى رواية اخرى « ثمّ انثنى له » .

(٢٦) تَهِرُّ : تصدر صوتاً دون النباح . ذى زهاء : اي كثير العدد والعدة . عرمرم : كثير .. شديد .. والمعنى : ان معاديهم يكون ابداً مذعوراً غير آمن .

ورد البيت بالرواية السابقة فى : المفضليات ص ٢١٢ ، وشرحها للانباري ٤٤١ وص ٤٣٤ برواية ابن الكلبى ، وشرحها للتبريزي ص ٥١٤ ، وشعراء النصرانية ١٩٠/١ .

وبرواية ثانية فى : النقائض ص ٤٥٨ ، ومنتهى الطلب ٣٠٧ .

______ ______ جمع ______

وعمـــرو بن هَمَّـام صَقَفْنَـا جَبِينَـهُ   بِشَنعاء تَشفى صَورَةَ المِتظَلِّمِ (٢٧)

يَرَى الناسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِخٍ   وَفَرْوَةَ ضِرْغَامٍ مِنَ الأُسدِ ضَيْغَمِ (٢٨)

---

(٢٧) عمرو بن همام هذا لم اعرفه ، وربما قصد عمرو بن هند وهذا زعم تدعمه رواية النقائض ص ٨٨٧ ، صقعه : علا رأسه ، الشنعاء : الضربة المقطعة . الصَّورة : الميل عن الحق والعدول عن الصواب . المتظلم : الظالم .

ورد البيت بالرواية السابقة في : المفضليات ص ٢١٢ ، وشرحها للانباري ص ٤٤١ .

وبرواية ثانية في النقائض ص ٨٨٧ .

وعمـرو بـن هنـد قـد صَقَـعْنَـا جبينَـهُ   ـــــــــــــــــــــــــــــ

عمرو بن هند : ملك الحيرة قتله عمرو بن كلثوم التغلبي ، وبه أطلقت العرب عليه أحد فتاك العرب ، وقالت في أمثالها « افتك من عمرو » .

وورد برواية ثالثة في : لسان العرب (صقع) .

وعمـرو بـن همـام صقـعنـا جبينـه   بِشَنْـعَـاء تَنْـهَـى نَخْـوَةَ المتظلـم

النخوة : العظمة والكبر والفخر .

وورد برواية رابعة في : شعراء النصرانية ١/١٩٠ .

وعمـرو بـن همـام صفقنـا جبينـه   ـــــــــــــــــــــــــــــ

الصفق : الضرب الذى يسمع له صوت .

(٢٨) الاسود : العظيم من الحيات ، وينعت بسالخ ؛ لانه يسلخ جلده كل عام . الفروة : أعلى الرأس . الضرغام : الضارى المقدام . الضيغم : الاسد الشديد العض ، الواسع الشدق . يريد أن الناس تخشى جانبهم خشيتهم من الافعى والاسد .

ورد البيت بالرواية السابقة في : المفضليات ص ٢١٢ ، وشرحها للانباري ٤٤١ وشرحها للتبريزي ص ٥١٤ ، والبيان والتبيين ٣/٢٢٤ ، ومنتهى الطلب ص ٣٠٨ وشعراء النصرانية ١/١٩٠ .

وبرواية ثانية في الحيوان ٦/٣٧٨ للتغلبي :

تَرَى ــــــــــــــــــــــــــ   ـــــــــــــــــــــــــــــ

وبرواية ثالثة في ديوان العجاج ص ٤١٤ :

لَبِسْنَـا لَـهُ مـن جِلـدِ اسْـوَدَ سَـالِـخٍ   ـــــــــــــــــــــــــــــ

وقبله :

• وكنـا إذا الجبـار صَـعَّـرَ خَـدَّهُ   أقمنـا لَـهُ مِـن مَيْلِـهِ المُتَقَـعِّـمِ

والبيت الثانى رواه المرزبانى في معجم الشعراء ص ٢٠٧ ثالث بيتين هما :

تُـعـاطـى الملـوك الحـق مـاقصـدوا بنـا   وليس علينـا قتلُـهُـم بُمحَـرَّمِ

الفـتُ لـهـم مـن عقـل عمـرو بـن مـرثـد   إذا وردوا مـاء ورمـح ابـن هـرثـم

• وهذا البيت يروى للمتلمس من قصيدة له اولها :

يُـعَـيِّـرُنـى امـى رجـال ولـن تـرى   أخَـا كَـرَمٍ إلا بِـأن يتكـرَّمـا

ويروى البيت برواية رابعة في مجموعة المعانى ٣٦ .

يـرى النـاسُ منـا جلـد أرقـم سـالـخ   وفـروة ضِرْغـامٍ مـن الأُسْـدِ ضَيْـغَـم

من صور الحذف البليغ
الاحتباك

هو نوع من انواع الحذف المدلول عليه بدليل يصححه ، والذى يقع فى الكلام البليغ لسر يرجحه ، حتى ترى فيه ترك الذكر ، افصح من الذكر والصمت عن الإفادة ازيد للإفادة كما ذكر الإمام عبد القاهر فى اسرار الحذف البلاغى بعامة[1] . والحذف على الإطلاق صورة من صور شجاعة العربية ، كما عبر عن ذلك ابن جنى[2] ، وهو فى هذا اللون بخاصة ادق واعمق فى هذه الشجاعة لانه يقع فى متقابلين حذف من كل منهما ما ذكر مقابله فى الجانب الآخر ، وبذا تميز عن غيره من صور الحذف ، فصار لوناً مفرداً ، ونسيجاً غريباً فى بنائه ، وفى دلالته ، وفيما يتضمن من اسرار ولطائف معنوية ، لا يهتدى إليها إلا النقاب المبرز ، والباحث المدقق .

إهمال البلاغيين لهذا اللون :

بمراجعة كتب البلاغة التى خصصت لهذا العلم من علوم العربية ، والتى انتهت إلى تقسيم الفنون البلاغية وتوزيعها على ثلاثة علوم (المعانى والبيان والبديع) لم أجد ذكراً لهذا اللون من الحذف ، ولا وضعا لمصطلح يميزه عن غيره من الفنون .

فهذا هو الخطيب القزوينى يذكر صور الإيجاز بالحذف ، ويذكر أن المحذوف إما جزء جملة ، أو جملة ، أو أكثر من جملة ، ولا يذكر من أمثلة هذا اللون البلاغى شيئاً[3] ، مع أن صور الاحتباك تدخل تحت اللونين الأولين من الحذف ـ أعنى حذف جزء الجملة وحذف الجملة ـ كذلك لا نراه قد ذكره بين ألوان البديع سواء ما يعود منها إلى التحسين المعنوى وما يعود منها إلى التحسين اللفظى .

وقبله السكاكى ذكر شاهداً من شواهد الاحتباك من غير أن ينص على اسمه أو يذكر سره البلاغى ، وذلك حينما قال : « ومن الإيجاز قوله : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً ﴾ ـ « التوبة : ١٠٢ » أصل الكلام خلطوا عملاً صالحاً بسىء وآخر سيئاً بصالح ، لأن الخلط يستدعى مخلوطاً ومخلوطاً به : أى تارة أطاعوا وأحبطوا الطاعة بكبيرة ،

(١ ، ٢) راجع دلائل الإعجاز ١٧٨ طبعة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، والخصائص ٢/٣٦٠ وما بعدها . طبعة دار الهدى لبنان .

(٣) راجع الإيضاح : ٢/١٢٢ ـ ١٣٠ طبعة الشيخ عبد المتعال الصعيدى الثامنة .

وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة »[٤] .

فتراه يركز على أن هذه صورة من صور الإيجاز ، ويذكر أصل الكلام ، دون بيان المرجحات هذا الحذف .

وعلى ذلك مضى كل شراح التلخيص ومن نحا نحوهم ، فلم يذكروا هذا اللون البلاغى ضمن صور الإيجاز بالحذف ، ولا ضمن ألوان البديع التى اقتصر عليها الخطيب فى التلخيص الإيضاح .

المسيرة التاريخية لهذا اللون البلاغى :

- بالبحث والتنقيب فى علوم العربية وعلوم القرآن عثرت على أول تنبيه يلفت إلى هذه الصورة الخاصة من الحذف فى الأساليب العربية عند سيبويه (ت ١٨١) وذلك عندما ذكره فى « باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى لاتساعهم فى الكلام والإيجاز والاختصار » فقد ذكر صوراً من الاتساع فى الكلام والإيجاز والاختصار ، وذكر من الاتساع والإيجاز قوله عز وجل : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ . « البقرة : ١٧١ » ، وقال : « فلم يشبهوا بما ينعق ، وإنما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذى لا يسمع ، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى »[٥] .

فترى سيبويه يذكر أن هذه صوره من صور الاتساع والإيجاز ، ويقدر المحذوف فى كل طرف من طرفى هذا التمثيل تقديراً يبرز المعنى المراد ، ويذكر مصحح هذا الحذف وهو أن المخاطب العربى الذى يفهم مرامى الكلام الفصيح يعلم المعنى المراد ويقدر فى نفسه المحذوف لقوة الدلالة التركيبية عليه .

وقد عقب الزجاج على كلام سيبويه بقوله : « ولأن الله تعالى أراد أن يشبه شيئين بشيئين : الداعى والكفار بالراعى والغنم فاختصره ، ولكنه اكتفى بذكر الكفار من المشبه والراعى من المشبه به ، فدل ما أبقى على ما ألقى ، وهذا معنى كلام سيبويه »[٦] .

- فإذا انتقلنا إلى ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) وجدناه يذكر فى « باب المقلوب » ما قلب على الغلط ، كقول حداش بن زهير :

وتركب خيل لا هوادة بينها
وتعصى الرماح بالضباطرة الحمر[٧]

أى تعصى الضباطرة بالرماح ، وهذا ما لا يقع فيه التأويل ، لأن الرماح لا تعصى بالضباطرة وإنما يعصى الرجال بها ، أى : يطعنون ، ومنه قول الآخر (عبيد الله بن قيس الرقيات) :

* الكاتب : مدرس البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية . الزقازيق .

(٤) مفتاح العلوم : ١٣٥ الطبعة الأولى لمصطفى الحلبى .

(٥) الكتاب لسيبويه : ٢١٢/١ . الطبعة الثانية للهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٦) إعراب القرآن المنسوب للزجاج : ٤٧/١ - المؤسسة المصريه للتاليف والترجمة والنشر ١٩٦٣ م .

(٧) الضيطر : اللئيم الضخم .

أسلمته في دمشق كما
أسلمت وحشية وهقا[٨]

أراد : كما أسلم وحشيةً وهقٌ . وقال آخر (نسب في لسان العرب للنابغة الجعدى) :

كانت فريضة ما تقول كما
كان الزناء فريضة الرجم

أراد : كما كان الرجم فريضة الزناء[٩] .

ثم يقول ابن قتيبة : (وكان بعض أصحاب اللغة يذهب في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعَقُ بِمَا لَا يسمع إلاَّ دُعاءً وَنِدَاءً ﴾ إلى مثل هذا في القلب ويقول : وقع التشبيه بالراعى في ظاهر الكلام والمعنى للمنعوق به وهو الغنم »[١٠] .

ولا يرضى ابن قتيبة عن هذا التنظير في تفسيره الآية الكريمة قياساً على ما يقع عند الشعراء ويعلل لرفضه بقوله : « لأن الشعراء تقلب اللفظ وتزيل الكلام على الغلط أو على طريق الضرورة للقافية أو لاستقامة وزن البيت .. والله تعالى لا يغلط ولا يضطر ، وإنما أراد : ومثل الذين كفروا ومثلنا في وعظهم كمثل الناعق بما لا يسمع ، فاقتصر على قوله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وحذف ومثلنا لأن الكلام يدل عليه[١١] فهو يرفض أن يكون في الآية قلب ما دام لها مخرج صحيح ، لأن القلب في النظم البشرى يمليه الغلط ، أو الإضطرار ، أو تسامح الشعراء في التعبير ، ومثل هذا يجب أن ينزه عنه القرآن الكريم ، وإذا كان المقلوب مما يفهم ثقة بعلم السامع لغرض القائل والضرورة التى أملته فإنه لا يزال مقلوباً أملاه الغلط أو الضرورة ، والله تعالى لا يغلط ولا يضطر .

على أننا نلحظ أن ابن قتيبة يقدر المحذوف في جانب المشبه فقط ، بينما كان تفسير الزجاج لمراد سيبويه يبين أن الحذف وقع في الطرفين ، ولعله نظر إلى أن (مَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاء ونداء) يفهم منه الغنم بدلالة (الَّذِى يَنْعَقُ) حيث ورد في لسان العرب في مادة « نعق » النعيق : دعاء الراعى الشاء ، يقال : انعق بضأنك ، أى : ادعها ، وانه يكون في الضأن والمعز ، وأما في صوت الغراب فالغين فيه أحسن كما نبه عليه الثقات من أئمة اللغة .

والمهم فيما سبق أن ابن قتيبة لا يرى في الآية قلباً ، وإنما يرى فيها تقديراً وحذفاً يدل عليه الكلام بتركيبه وفحواه ، ولكنه أيضاً لا ينبه على مزية هذا الحذف التى ترجحه على الذكر ، كما لا يضع له اسماً خاصاً ، وإنما هو لون من الوان الحذف الذى يشيع في أساليب العربية وفي سنامها القرآن الكريم اعتماداً على فهم السامع للمراد من قوة دلالة الكلام على المحذوف .

- ويظل أمر هذا النوع من الحذف على هذا المنوال في كتب أئمة اللغة والمفسرين يقدرون المحذوف في الآية ومصحح الحذف وأنه قوة دلالة الكلام على المحذوف حتى نصل إلى الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) فنراه يوسع دائرة التأويل في الآية الكريمة السابقة ، فيذكر أنه لابد من مضاف محذوف تقديره : ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق ، أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق ، والمعنى : ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوى الصوت من غير إلقاء أذهان

---

(٨) الوهق بفتحتين : حبل في طرفيه انشوطة تصاد به الدابة .

(٩) راجع تأويل مشكل القرآن : ١٩٨ ، ١٩٩ شرح السيد أحمد صقر . الطبعة الثانية . دار التراث بالقاهرة .

(١٠) المصدر السابق : ١٩٩ .

(١١) المصدر السابق : ٢٠٠ - ٢٠٣ .

ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجر لها ، ولا تفقه شيئاً آخر ، ولا تعى كما يفهم العقلاء ويعون .

ويجوز أن يراد بما لا يسمع الأصم الأصلخ الذى لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير ، ومن غير فهم للحروف[12] .

فعلى التقدير الأول يكون الحذف فى أحد طرفى التمثيل المركب لا فى كليهما ، وأن المراد بما لا يسمع البهائم كما هو الظاهر من لفظ « ما » ولكن الزمخشرى بعد ذلك يخصصه بالضأن عندما يذكر أن النعيق : التصويت ، يقال : نعق المؤذن ، ونعق الراعى بالضأن ، كما قال الأخطل :

فانعق بضأنك ياجرير فإنما
منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

وأما نغق الغراب فبالغين المعجمة[13] .

وعلى الوجه الثانى يكون تقدير الحذف فى المشبه فقط ، ولكن يضعفه أنه خلاف الظاهر من كلمة « ما » وذكر النعيق بدلالته الماضية .

ثم يذكر وجهاً ثالثاً بلا حذف ولا تقدير ، وهو أن يكون المعنى : ومثلهم فى اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التى لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته ، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ، ولا يفقهون : أهم على حق أم باطل[14] .

وهذا التقدير منظور فيه إلى ربط هذا التمثيل بإجابة الكفار المقلدين فى الآية السابقة عليه فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . . . ﴾

وهذا الوجه وإن سلم من الحذف والتقدير لا يلائم مجموع الآية السابقة من بدايتها ، لأن فيها داعياً ومدعواً ودعاءً ، كلها صريح ، كما أن آية التمثيل معطوفة بجملتها على الجملة الشرطية بتمامها ، لتقرير ما ذمهم به من التقليد وعدم استماعهم سماع تدبر وفهم للرسول صلى الله عليه وسلم المد من عند الله بالتأييد .

ثم يذكر الزمخشرى وجهاً رابعاً لا حذف فيه أيضاً ولا تقدير بأن يكون المعنى : ومثلهم فى دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع ، لكن ضعف هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾ والأصنام لا تسمع شيئاً[15] ، ومعنى ذلك أنه لابد من مراعاة أن ما يذكر فى أحد الطرفين لابد أن يكون له دخل فى انتزاع وجه الشبه المركب ما دام داخلاً فى جملته .

وهكذا ترى الزمخشرى قد ذكر عدة تأويلات فى الآية قوى بعضها بذكره أولاً وضعف البعض الآخر بتأخيره ، أو بتصريحه بعدم الملاءمة لما ذكر فى الآية ، لكنه ابتعد عن تقدير سيبويه الذى يدل على وجود حذف فى طرفى التمثيل يدل عليه ما ذكر فى كل منهما ، ولعل ذلك إنما كان لما فيه من كثرة الحذف على ما قالوا .

- فإذا تقدمنا إلى القرنين السابع والثامن الهجريين وجدنا أباً حبان (٦٥٤ - ٧٥٤ هـ) يذكر فى الآية آراء عديدة بحذف وتقدير ، وبدونهما ، ويذكر أن العلماء قد اختلفوا فى تفسير سيبويه للآية السابقة ، فقيل : هو تفسير معنى لا تفسير إعراب ، وقيل : هو تفسير إعراب ، وأن فى الكلام حذفين : حذف من الأول ، وهو حذف داعيهم ، وقد أثبت نظيره فى الثانى ، وحذف من الثانى ، وهو حذف المنعوق

←

(١٢) راجع الكشاف : ٣٢٨/١ . طبعة مصطفى الحلبى .
(١٣ ، ١٤) راجع الكشاف : ٣٢٨/١ . مطبعة مصطفى الحلبى .
(١٥) راجع الكشاف : ٣٢٨/١ . طبعة مصطفى الحلبى .

به ، وقد أثبت نظيره في الأول ، فشبه داعي الكفار براعي الغنم في مخاطبته من لا يفهم عنه ، وشبه الكفار بالغنم في كونهم لا يسمعون مما دعوا إليه إلا أصواتاً ، ولا يعرفون ما وراءها وفي هذا الوجه حذف كثير ، إذ فيه حذف معطوفين ، لأن التقدير الصناعي : ومثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الذي ينعق والمنعوق به .

وعلى الرغم من ذلك فإن أبا حبان يذكر أن هذا الوجه قد قرره جماعة من النحاة منهم : أبو بكر بن طاهر وتلميذه ابن خروف ، وأبو علي الشلوبين ، وقالوا : إن العرب تستحسنه وإنه من بديع كلامها ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ « النمل : ١٢ » ، والتقدير : وأدخل يدك في جيبك تدخل وأخرجها تخرج بيضاء ، فحذف تدخل لدلالة تخرج ، وحذف وأخرجها لدلالة وأدخل .

قالوا : ومثل ذلك قول الشاعر (أبو صخر الهذلي) :

وانى لتعـروني لـذكـراك فتـرة
كما انتفض العصفور بلله القطر(١٦)

لم يرد أن يشبه فترته بانتفاض العصفور حين يبله القطر ، لكونهما حركة وسكوناً ، فهما ضدان ، ولكن تقديره : أني إذا ذكرتك عراني انتفاض ثم أفتر ، كما أن العصفور إذا بلله القطر عراه فترة ثم ينتفض ، غير أن وجيب قلبه واضطرابه قبل الفترة ، وفترة العصفور قبل انتفاضه .

ثم يذكر أبو حبان أن الأقوال التي حكاها في الآية الكريمة إنما هي على مراعاة تشبيه مفرد بمفرد ، ومقابلة جزء من المشبه بجزء من المشبه به ، وأما إذا كان التشبيه من باب تشبيه الجملة بالجملة فلا يراعى في ذلك مقابلة الألفاظ المفردة ، بل ينظر فيه إلى المعنى ، وعلى هذا الضرب من التشبيه حمل الآية أبو القاسم الراغب فقال : فلما شبه قصة الكافرين في إعراضهم عن الداعي لهم إلى الحق بقصة الناعق قدم ذكر الناعق ليبنى عليه ما يكون منه ومن المنعوق به(١٧) .

والذي يؤخذ من كلام أبي حبان وما نقله عن غيره عدة أمور :

أولاً : أن الوجه الذي ذكره سيبويه في تفسير الآية ـ على الرغم مما فيه من كثرة الحذف وجه مستحسن عند العلماء وعند العرب ، وهو من الألوان الغريبة البديعة للحذف وله نظائر في كلام العرب ، وإن كان من تعرضوا لهذا النوع من الحذف لم يذكروا إلا هذا الشاهد السابق من كلام العرب على اختلاف في روايته ، وعلى ما سيتضح فيما بعد .

ثانياً : أن أبا حبان ينقل طريقة هذا الحذف ، وهو حذف جزء من الأول أثبت ما يدل عليه في الثاني والعكس ، وهذا ما سوف نراه عند تعريف الاحتباك فيما يأتي من أطوار البحث في هذه الظاهرة البلاغية ، فأبو حبان ـ كمن سبقوه ـ يذكر تعريف الاحتباك لكنه لا يضع مصطلحه ، ولا مصطلحاً آخر قريباً منه .

ثالثاً : أن أبا حبان ومن نقل عنهم لا يذكرون سوى تقدير المحذوف الذي دعت إليه المناسبة بين طرفي التشبيه ، حتى يتواءم ظاهر الكلام مع دلالته المرادة ، ولا يذكرون مرجحات هذا الحذف وأسراره البلاغية .

---

(١٦) نسب إليه في أمالي القالي : ١/١٨٧ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والرواية : هزة مكان فترة التي أثبتها أبو حبان .

(١٧) راجع تفسير البحر المحيط لأبي حبان : ١/٤٨٢ الطبعة الثانية . دار الفكر ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

رابعاً : أن تقدير سيبويه إنما هو تحليل لجزئيات الأسلوب فى مراحلها الأولى قبل أن تتكون منها الصورة الكاملة للتمثيل ، وآية ذلك أنه قال : والمعنى كذا .... وسأزيد ذلك إيضاحاً فيما بعد .

ويبقى لى أن أذكر بأن الآية الكريمة من التمثيل المركب قطعاً ، كما ينبىء عنه لفظ المثل ، ولا حاجة إلى ادعاء أنها من قبيل التشبيه المفرق ، حتى يكون الداعى فى مقابلة الناعق والكفرة فى مقابلة المنعوق به والدعاء فى مقابلة النعيق ، فذلك ما لا يساعد عليه لفظ (مثل) ، ولا بناء الأسلوب فى جانب الممثل به الذى هو الصورة الموضحة والمقررة للمُمثَّل .

وخلاصة ما تقدم أننا لم نعثر فيما مضى إلا على التنبيه لهذا اللون من الحذف ، ووصف كيفيته ، واستحسانه دون ذكر سر هـذا الاستحسان ، أو وضع هذا الصنف تحت اسم يخصه ويتميز به عن سائر ألوان الحذف ، مع أنه لون عزيز لطيف فيه إبداع وغرابة مما كان يؤهله لأن يوضع تحت عنوان مستقل ، وإذا كان اللغويون والمفسرون حتى القرن السابع لم يسموا الظاهرة ، ولم يبينوا أسرارها المعنوية ، فإننا نعثر فى هذا القرن على أول محاولة لوضع مصطلح لها واستكناه بعض أسرارها التى لا تؤدى بغير هذا الحذف .

ـ فهذا ابن أبى الأصبع (ت ٦٥٤) فى بديع القرآن » يذكر هذا النوع من الإيجاز باعتباره قسما من أقسام باب التوهيم الأربعة ، وذكر الآية الماضية فى مثل الكفار على أنها من القسم الذى يوهم ظاهره أن الكلام قلب فيه عن وجهه لغير فائدة ، وأنها عند التحقيق تفيد فائدة لا يفيدها الكلام لو جاء على أصله[١٨] .

ونرجىء الآن بيان هذه الفائدة إلى المبحث الذى نخصصه لذكر أمثلة الظاهرة وأسرارها البلاغية ، لكننا نركز الآن على التقدير الذى قدره حين قال : ولو جاء الكلام على وجهه لقيل : ومثل الذى يدعو الذين كفروا كمثل الذى ينعق ، أو يقال : ومثل الذين كفروا كمثل الضأن ، ومثل الذى يدعوهم كمثل الذى ينعق ، فيقال : ما الفائدة فى قلب هذا الكلام عن وجهه ؟[١٩] .

ومن الواضح أن المراد بالقلب هو عدم المواءمة فى الذكر بين جزئى المشبه وجزئى المشبه به حيث جاء فى مقابلة الجزء الأول وهو الذين كفروا الذى ينعق وهو الثالث وفى مقابلة الجزء الثانى وهو الذى يدعوهم الضأنُ غير المصرح بها وهو الرابع ، وهذا قلب للكلام عن وجهه .

ومن الواضح أيضاً أن هذا التقدير ليس بلازم ما دام قد ارتضى الحذف والتقدير ، وأن التقدير يمكن أن يكون على طريقة سيبويه التى فسرها الزجاج ، وبذا تتواءم جزئيات المشبه مع جزئيات المشبه به فى الترتيب ، وإن كان العلماء المدققون قد ذكروا أنه ما دام المقصود تشبيه حالة بحالة أو قصة بقصة فليس من الضرورى مراعاة الترتيب بين مكونات الطرفين فى الذكر ، فالمراد هنا بناء على ذلك تشبيه حال هذا الداعى مع من دعاه فى أنهم يسمعون قوله ولا يفهمونه بحال الراعى الصائح بغنمه ، وسواء فى ذلك أن يقدر الداعى مقدماً أو مؤخراً ، وأن يقدر الناعق مقدماً أم مؤخراً ، لكننا إذا ما أمكننا أن نراعى الترتيب فى المقابلة من غير إخلال بشىء من قواعد العربية فى التقدير فإنه يكون أولى وأليق .

←

(١٨) راجع بديع القرآن : ١٣٦ وما بعدها تحقيق الدكتور حفنى شرف ط . الثانية دار نهضة مصر .

(١٩) المصدر السابق .

الاحتباك

وبعد أن يشرح ابن أبى الأصبع أسرار هذا القلب ـ الذى وعدنا أن نتعرض له من بعد ـ يقول مرة ثانية : « فحذف من كل من الجملتين شيء ، فحذف المشبه من الجملة الأولى ، وحذف المشبه به من الجملة الثانية فكان تقدير الكلام قبل الحذف : ومثل الذين كفروا والداعى لهم كمثل الضأن المنعوق بها وكمثل الذى ينعق بها ، فبقى بعد الحذف : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ لدلالة الناعق على المنعوق بها[٢٠] .

والحاصل أن ابن أبى الأصبع ينتهى إلى أن فى الآية حذفين فى الطرفين ، ذكر دليل كل منهما فى الطرف الآخر ، وإن كان قد خالف ترتيب التقدير الذى ذهب إليه سيبويه ، والذى هو أولى واليق ، ووضع له مصطلحاً هو التوهيم يشمل هذا اللون من الأساليب وغيره ، وبين أسرار الحذف فى كل من الطرفين على ما سيأتى بعد أن بين مصححه ، وراعى فى إطلاق المصطلح ما يتوهمه القارىء أو السامع من ظاهر اللفظ .

وفى بداية النظر ، فكأن الأسلوب بظاهره قد وهمهما ، أى : أوقع فى نفسيهما الوهم بالفساد ، بينما الحقيقة غير ذلك ، وهذا بخلاف إيهام التورية فإنه مما يتعمده الناظم حين يستخدم اللفظ المشترك بين معنيين صحيحين : قريب وبعيد ويريد البعيد منهما ، وأما التوهيم فإنه يوهم فاسداً وصحيحاً والمراد الصحيح منهما[٢١] .

ooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooooo

فتح مكة ـ بقية ـ

يرضعونها فأمر رجلاً من أصحابه يقال له جعيل بن سراقة أن يقوم حذاءها لا يعرض لها أحد من الجيش ولا لأولادها[١٢] .

واجتمع المسلمون بمر الظهران وقريش لم يبلغها حرف واحد من مسيرة الفتح العظيم فقد اغتموا لأوبة أبى سفيان بن حرب دون خبر معلوم أو فهم محدود لمآلهم على ما فعلوه بخزاعة فقد ذكر الكاتبون : أن أبا سفيان طالت غيبته حتى اتهمته قريش بأنه قد صبأ وكتم إسلامه فلما دخل على هند ليلاً قالت : حبست حتى اتهمك قومك فإن كنت مع طول الإقامة قد جئتهم بِنُجْح فأنت الرجل ، فلما دنا منها وأخبرها الخبر ضربته برجلها فى صدره وقالت:قبحت من رسول قدم ، فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند أساف ونائلة ، وذبح لهما ، وجعل يمسح بالدم رءوسهما ويقول : لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبى ؟ أبرأ لقريش مما اتهمونى ولقد صدقت فيهم دعوة النبى-صلى الله عليه وسلم:اللهم خذ على قريش أبصارهم فلا يرونى إلا بغتة ولا يسمعون بى إلا فجأة[١٢] .

(ا . د . رءوف شلبى)
وكيل الأزهر

---

(٢٠) المصدر السابق : ١٣٧ .

١٢ ـ المغازى للواقدى .

من أعلام الأزهر

- بقية -

ونزيد عليه بان نؤكد ان البرقوقى حين اصدر « البيان » اراد ان يجعل منها منبراً للادب ، كما اراد السيد رشيد ان يجعل من المنار منبراً للدين وكلاهما يصدر عن وحى محمد عبده فى العمل على تجديد البحوث الدينية ، والاساليب الادبية تفكيراً وتعبيراً ، وفهماً واستدلالاً .

وفى حسب (الفردوس) الذى طبعه البرقوقى بآخرة ثناء حفيل على أستاذه الإمام ، ونظر سام إلى مقامه الأعلى فى الدنيا كما رأى ، وفى الفردوس كما تخيل ، أما (حضارة العرب فى الأندلس للبرقوقى) فقد جاء إهداؤه إلى روح الأستاذ الإمام ، الرجل الذى لم يفزع إليه فازع ولم يستصرخه مستصرخ إلا كان الصراخ له إنجاز ما أمّله ، والذى ثقف البرقوقى ورباه فكان غرس يده ، وقد طلع الإمام على الناس بعامة وأهل الأزهر بخاصة كما يطلع البدر فى الدجنة ليمحو الظلام ، ويهدى من الضلالة ! هذا أثر محمد عبده فى البرقوقى كما ردده ، فإذا انتهجت البيان منهج الرصانة فى التعبير والقوة فى التصوير والحجة فى الجدال فذلك بعض ما مكّنه الأستاذ فى نفوس تلاميذه حين شرح لهم كتابَىْ عبد القاهر عن أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز !

ولكن ، أيقف تأثير الإمام عند الناحية الفكرية فى نفس تلميذه أم يتعداها إلى الناحية السلوكية ؟

إن الذين تحدثوا عن البرقوقى من عارفيه ذكروا عن سماحة نفسه وبسطة كفه ، ورقة قلبه ما يجعله رجل نبل وشهامة ، إذ كان يعطى المحتاجين عن نفس راضية ، وقد أقرض نفراً من عارفيه أموالاً طائلة ، وتأخروا عن سدادها ، وحكمت المحكمة بالإلزام ، ولكن البرقوقى تنازل متسامحاً إذ صدَّق عُسر المدين .

وكان « للبيان » وكلاء فى بعض عواصم المديريات يجمعون الاشتراكات ، وفيهم من نهب ما جمع ، واضطر البرقوقى للمحكمة فأصدرت أمرها الملزم ، ثم جاء الغاصب الناهب باكياً يتشفع للبرقوقى ببطاقة عاطفة كتبها الأديب الكبير مصطفى لطفى المنفلوطى ! فتنازل البرقوقى عن حقه مسرعاً ، والمجلة فى أشد الاحتياج .

وأنا أؤكد هذه النوادر فيما أكتب من تاريخ الرجل لاعلن أن سمو الخلق لدى النقاد يرتفع عن سمو الإبداع العلمى ، وصاحب الخلق النبيل كتابٌ « حَىٌّ » يتحرك بين الناس فيلقى بمواقفه العبرة الواعظة ، ويعطى القدوة المثلى ، أما من اقتصر على التفوق الأدبى وحده ! فقد يُعَدُّ له ذلك فى مضمار النتاج الفنى ، ولكنه لن يبلغ مبلغ من اتسع صدره للأخطاء الفادحة فيسحب عليها ذيل المغفرة إذ ما يُلَقَّاها إلا ذو حظ عظيم .

حدثنى الأستاذ الكبير على أدهم أنه فى مرحلة التعليم الثانوى بإحدى مدارس الاسكندرية ، ترجم رواية (رينيه) للكاتب الفرنسى الكبير شاتوبريان وعز على الطالب الناشىء أن يجد ناشراً ، إذا كان الكبار من المؤلفين لا يجدون ، ثم رأى أن يبعث بالترجمة إلى الأستاذ البرقوقى ، وعوامل اليأس لديه أقوى من دوافع الرجاء ، ولكن البرقوقى استقبله مشجعاً ملاطفا ، وقال له إن تشجيع النشء فريضة على صاحب البيان ، ثم بادر بطبع الرواية فكانت أول أثر أدبى يُحسب له ، وبه ابتدأ المسير فى طريقه المديد .

ولم يكن على أدهم وحده ، بل شاركه الكثيرون فى احتفاء البرقوقى بهم وتشجيعهم ، حتى أصبحوا من حملة الأقلام عن ثقة واعتزاز .

(محمد رجب البيومى)

نموذج القدوة

دراسة تحليلية للدكتورة سامية أحمد على

● **اطفالنا هم ثمار قلوبنا وآمال مستقبلنا . لذا يجب أن نوليهم عناية فائقة من الأسرة والمسجد والمدرسة واجهزة الإعلام التى تستهوى عدداً كبيراً من الأطفال خصوصاً التليفزيون لما يقدمه من صور ورسوم متحركة وبذلك يتفوق على غيره من وسائل الإعلام فى تأثيره على الأطفال نظراً لارتباط الصورة بالصوت وعدم الحاجة إلى إتقان القراءة والكتابة إضافة إلى سهولة التعرض له وإمكان مشاهدته ـ غالبا ـ فى جو اسرى حين تلتف الأسرة حوله .**

ومع كل ذلك فمن المعلوم أن الأطفال الذين يجلسون أمامه يكونون على استعداد للتقبل .

وقد أفادت بعض التقارير أن بعض الأطفال فى أوروبا وأمريكا يقضون من الوقت فى مشاهدة التليفزيون أكثر مما يقضون فى المدرسة بل ، وأكثر مما يمضون فى التحدث مع والديهم وأفراد عائلاتهم .

ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة على صغر حجمها (٨٠ صفحة من القطع الصغير) فقد اتجهت لدراسة برامج الأطفال التى يقدمها التليفزيون المصرى واختارت من بينها ما يحاول تقديم نماذج القدوة لهم . لأن هذا اللون من البرامج من أهم الصور الذهنية التى يمكن تقديمها للطفل عبر هذا الجهاز ، ومن هذا المنطلق وجبت العناية بهذا اللون وذلك بحسن اختيار النماذج التى تقدم من خلاله حتى تتحقق الآثار الايجابية المطلوبة إذ تؤدى هذه البرامج دورها فى الإقناع الفنى لجمهور ليس من اليسير إقناعه بالنصح المباشر .

واختارت الباحثة برنامج (كانوا فى طفولتهم) فأجرت عليه دراسة تحليلية حول ما قدمه خلال عشر سنوات (ديسمبر ١٩٧٧ ـ سبتمبر ١٩٨٧) باعتبار أن هذا البرنامج يعتمد على اختيار شخصيات من عظماء التاريخ فى شتى المجالات لتقديمها للأطفال باعتبارها نماذج للقدوة .

وقسمت الباحثة دراستها إلى قسمين : خصصت الأول منهما للحديث عن التنشئة الاجتماعية للطفل ، والثانى للدراسة التحليلية التى قامت بها عن البرنامج ، ثم ختمت الدراسة بالنتائج التى توصلت إليها والتوصيات التى تقترحها فى مجال خدمة الطفولة عن طريق «التليفزيون» .

التنشئة الاجتماعية للطفل :

على أجهزة الإعلام أن تعمل جاهدة على تقديم نماذج قدوة للطفل ذات دور إيجابى فعال وبارز فى العلم والاكتشافات والآداب وحركات التحرر .. إلى غير ذلك آملين أن يسعى الأطفال لاتخاذ مثل عليا من بعض هذه النماذج التى تأثروا بها فى مجال من المجالات .

عرض : عاطف شحاته زهران

وحاولت الباحثة فى بداية كتابها تقريب مفهوم التنشئة الاجتماعية فقالت : التنشئة الاجتماعية تشير فى علم النفس الاجتماعى إلى العملية التى يتعلم عن طريقها الفرد كيف يتكيف مع الجماعة عند اكتسابه للسلوك الاجتماعى الذى توافق عليه . ص ٩ .

وتعتبر عملية التنشئة الاجتماعية ضرورية لتكوين «ذات» الطفل وتطوير مفهومه عن ذاته كشخص وخاصة من خلال سلوك الآخرين واتجاهاتهم نحوه ، وكذلك عن طريق كيفية أداء الأدوار الاجتماعية المختلفة الذى يؤدى بدوره إلى ظهور الذات المتميزة بالنمو السليم[1] ..

ومادامت نماذج القدوة تؤدى دوراً هاماً فى التنشئة الاجتماعية فإن دور «التليفزيون» يتقدم على ما سواه بما يقدمه من نماذج وبرامج للأطفال الذين لا تقتصر مشاهدتهم على ما يخصص لهم من برامج بل تتجاوز ذلك إلى مواد لم تعد لهم أصلا مما يمثل بعض المخاطر عليهم ، ويلقى تبعات كبيرة على الموجهين لهذا الجهاز .

فالطفل يتعلم من هذه النماذج الأفكار والقيم وغيرهما وما يقدمه التليفزيون من نماذج للقدوة خاصة للأطفال يعتمد على أساس ان السلوك الإنسانى سلوك مكتسب يتعلمه الطفل بتعامله مع أفراد المجتمع وهيئاته .

وللبيت دوره فى هذه التنشئة ، كما أن للمدرسة دورها لأنها تنقل الطفل إلى آفاق أوسع من المعرفة وتنقل إليه ثقافة المجتمع ككل . ولكن تأثير وسائل الإعلام يفوق على ما سبق ، فوسائل الإعلام تنقل إليهم العالم الخارجى وتزيد من قدرتهم على التحرك النفسى وتخيل أنفسهم فى

مواقف لم يجربوها بعد . كما تعود أذهانهم على تصور تجارب أوسع من تجاربهم المباشرة المحدودة وعلى تخيل مناطق لم يشاهدوها .. ص ٢٦ .

ثم تختم الباحثة القسم الأول من دراستها بكلمة توجهها للتليفزيون تتصل بما يقدمه من مواد قد تتنافى مع عقيدة المجتمع وقيمه .. فقد يقدم أحيانا العنف بصورة مبهرة ويغرس قيماً مادية لا تتناسب مع روح المجتمع .. وذلك يتطلب من القائمين على أجهزة الإعلام عامة وعلى التليفزيون خاصة أن يتقوا الله فى أبنائنا ولا يقدموا لهم إلا ما يهديهم ويدعم العقيدة ومكارم الأخلاق ويدعو إلى تنمية الجانب الروحى والعمل والرقى فى إطار ديننا ومثلنا وتاريخنا وحضارتنا .

●● تحليل المضمون :

يقوم أسلوب تحليل المضمون على أساس نظرية ملخصها : ان لكل إنسان بصمة فكرية ـ كما أن له بصمة إبهامية ـ تميز شخصيته

(١) محمد عاطف غيث . قاموس علم الاجتماع ص ٤٥٠ .

وتكشف عن هويته ، فلكل شخص سلوكه اللغوى يفصح عن حقيقة شخصيته ويفضح اتجاهاته ومعتقداته ..

وتحليل المضمون يعرفه (كربندورف) قائلا : «تحليل المضمون هو أحد الأساليب البحثية التى تستخدم فى تحليل المواد الإعلامية بهدف التوصل إلى استدلالات واستنتاجات صحيحة ومطابقة فى حالة إعادة البحث أو التحليل[٢] .

وقد اختارت الباحثة هذا الأسلوب وحددت فئات التحليل للنماذج التى قدمها البرنامج فكان منها : الشاعر والقصاص والمفكر والزعيم والمكتشف والفنان .. إلى غير ذلك لتتوصل إلى النتائج التى اثبتتها فى خاتمة كتابها .

●● النتائج والتوصيات :

توصلت الباحثة إلى نتائج هامة نذكر منها :

١ ـ قدم البرنامج (كانوا فى طفولتهم) نماذج متنوعة للقدوة احتل نموذج الأديب المرتبة الأولى ٤٣,٤٪ والعالم والمكتشف ٢٣,٩٪ ثم نموذج الزعيم بمجالات الزعامة المختلفة [السياسى والعسكرى والدينى[٣] والاجتماعى والاقتصادى] ١٥,٩٦٪ والفنان ١٥,١٪ وأخيرا الرياضى ١,٥٧٪ .

٢ ـ بالنسبة للبيئة المكانية (الجنسية) فقد احتلت مصر المرتبة الأولى بنسبة ٥٣٪ ثم البيئة الأوروبية ٢٣٪ فالبيئة العربية والتراثية ١٨٪ والآسيوية ٤٪ وأخيرا أمريكا الشمالية ٢٪ .

٣ ـ بالنسبة لمستوى الأداء اللغوى جاءت نسبة العامية ٨٥٪ بينما كانت نسبة الفصحى ١٥٪[٤] .

٤ ـ أما عن القيم التى تضمنها البرنامج فانحصرت فى عشر قيم جاء حب الاستطلاع فى المرتبة الأولى ٣١٪ ثم الصدق ٢٢٪ فالتنشئة الدينية ١٠٪ وإتقان العمل ٩٪ والطموح ٨٪ وطاعة الوالدين ٧٪ وحب القراءة ٦٪ والأمانة ٢٪ والمثابرة ٠,٨٥٪ وأخيرا احترام الكبار ٠,٧١٪ .

ثم أوصت الكاتبة بتقديم البرنامج فى وقت مناسب للأطفال ، ودعم ميزانيته وتقديم مسلسلات لهم حول بعض النماذج التى لم تقدم بشكل وافٍ فى البرنامج .

●● كلمـــــة اخيـــــرة :

الطفل أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ، فإن عود الخير وعُلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة وشاركه فى ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب ، وإن عود الشر وأهمل شقى وهلك وكان الوزر فى رقبة القيم عليه والوالى له[٥] .

وقد حاولت الباحثة أن تضع يدها على الجرح باختيارها نماذج القدوة بالذات . ولكننا نعلم أن الطفل ليس عقلا آليا نفتحه إذا شئنا أو نغلقه فهو يجلس مع الأسرة فيشاركهم مايرونه من مشاهد عنف وجريمة ومسلسلات بوليسية أو عاطفية وإعلانات خادعة ـ تساق فى كلمات قليلة

(٢) د . سمير حسين . تحليل المضمون ص ١٩ .

(٣) ولنا تحفظ على النموذج الدينى المقدم ، فإنه لا ينبغى أن يكون مطلقاً إلى درجة قد تهز العقيدة الأصلية للطفل المسلم .... مجلة الازهر .

(٤) وليس يبدو مطلقاً أن التليفزيون على استعداد لمعالجة العيب اللغوى مطلقاً .

(٥) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى جـ ٣ ص ٧٢ .

يسيرة الحفظ فيرددها تلقائياً لكثرة ما سمعها وأفلام قد تخلو مما يفيدهم في هذه السن .. إنهم يرون ما يصادفهم لا ما يُعَدُّ لهم .

لقد انتشرت الكهرباء وغزا التليفزيون الريف والبوادى فلا يكاد يخلو منه بيت . ومن هنا أصبح صغارنا يعرفون عن لاعبى الكرة والفنانين أكثر مما يعرفونه عن رجال الإسلام : خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبى ... وغيرهما إن صحت المقارنة وأظنها لا تصح !

فمن المسئول الأول عن ذلك غير التليفزيون الذى يحرص على تقديم هذه النماذج بإلحاح وتركيز بحجة أن الجمهور يريد ذلك .

وإنك لتعجب وأنت تشاهد أحداث (فيلم) أو مسرحية ومعك أطفالك حين تجد البطل في ذروة المأساة أو حين يتعرض لأزمة ما تؤرقه يسرع إلى سيجارته فيشعلها ثم يستغرق في تفكير عميق ، ولا يلبث أن يخرج بحل لأزمته ، وكأن لهذه السيجارة مفعول السحر في حل المعضلات .. وهذا المشهد سيستقر في عقل الطفل ، وقد يقلده أولا وبعد حين يصبح مدمنا للتدخين لما رأى قدرته الفائقة في التغلب على المصاعب . ثم نحاول بعد ذلك أن نقنعه بضرر التدخين على الصحة .. بلا جدوى .

وأعتقد أن ثمة صحوة لمعالجة مثل هذه الأمور بعد أن تأكد لنا خطرها .

فاللهم أهدنا لما فيه خيرنا وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين .

عاطف شحاتة زهران

الفتـــاوى - بقيـة -

متى تباح جراحة التجميل

س - هل تباح في الإسلام جراحة التجميل لإزالة بعض التشوهات في الوجه أم لا ؟ .. س . ع . ح .

جـ - جراحة التجميل بأيدى المختصين من الأطباء . تباح شرعاً إذا كانت لتلافي تشويه ناتج عن بعض الحوادث - كحريق وغيره .

وخصوصاً إذا أدى ذلك إلى عدم الرغبة في الزواج من المصاب أو تنفير أحد الزوجين من الآخر .

فإذا زال التنفير ، وتحققت الرغبة بعملية التجميل ، كان ذلك من العلاج المشروع .

روى الترمذى عن عرفجة بن أسعد قال : أصيب أنفى يوم الكلاب فاتخذت أنفاً من ورق « أى فضة » فأنتن فأمرنى النبى - صلى الله عليه وسلم - : أن اتخذ أنفاً من ذهب فما أنتن .. والله أعلم

في الميراث

س - توفيت عن ابن ، وبنتين ، وأولاد ابن أوصت لهم بستة قراريط من الأرض ، وأولاد ابن آخر ، فما نصيب كل وارث علماً بأن التركة : ٣٦ قيراطاً . ص . سنوسى .

جـ - توزع التركة على الوجه الآتى :

أولاً : لأولاد الابنين الثلث كوصية - أخذ أولاد أحد الابنين نصيبهم ستة قراريط ويأخذ أولاد الابن الآخرستة قراريط مثلهم ، والباقى بين الابن واختيه للذكر مثل حظ الأنثيين ، فيكون للابن اثنا عشر قيراطاً ولكل واحدة من البنتين ستة قراريط .

طرائف

« بخل وذكاء »

قال رجل لثمامة بن أشرس : إن لى إليك حاجة .

قال : وأنا لى إليك حاجة .

قال : وما حاجتك إلىّ ؟

قال : لا أذكرها حتى تضمن قضاءها .

قال : قد فعلت .

قال : فإن حاجتى إليك ، ألا تسألنى حاجة فانصرف الرجل عنه .

« نعم .. العزاء »

رثى متمم بن نويرة مالكا أخاه بالمسجد واقفا بحذاء الصديق ــ رضى الله عنهما ــ فلما انتهى إلى قوله :

لايمسك الفَحشاء تحت ثيابه
حلـو شمائلـه عفيف المئزر

قام إليه عمر وقال : لوددت أن رثيت أخى زيدا . بمثل ما رثيت به مالكا أخاك !!

فقال له : يا أبا حفص ، والله لو علمت أن أخى صار بحيث صار أخوك ما رثيته !

فقال عمر ــ رضى الله عنه ــ : ما عزانى أحد بمثل تعزيتك .

« قالوا ... »

- أحسن المكارم عفو المقتدر ، وجود المفتقر .
- أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعا لك .
- القريب بعداوته بعيد ، والبعيد بمودته قريب .
- كم من ذليل أعزه علمه ، ومن عزيز أذله جهله .
- إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا صنع إليك فانشره .
- لا يفسدك الظن على صديق أصلحك اليقين له .

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

● غضب الجاهل فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله .

● من ذكر المنية نسى الأمنية .

« حقا »

قيل لبعض الصالحين : من أسعد أصحابك بصحبتك ؟

فقال : أعظمهم لحرمات الله ، وألهجهم بذكر الله ، وأقومهم بحق الله ، وأسرعهم مبادرة فى مرضاة الله ، وأعرفهم بنقصانه ، وأكثرهم تعظيما لما عظم الله من حرمة عباده .

« أسماء الأطعمة »

طعام الضيف : القرى
طعام الدعوة : المأدبة
طعام العرس : الوليمة
طعام المأتم : الوضيمة
طعام القادم من السفر : النقيعة
طعام المتعجل قبل الغداء : العجالة

« محبة »

قال رجل لعبد الله بن جعفر : إن فلانا يقول : إنه يحبنى ، فبماذا أعلم صدقه ؟

قال : امتحن قلبه بقلبك ، فإن كنت توده فإنه يودك .

« مجالسة الملوك »

قال أبو يزيد البسطامى — رضى الله عنه — :

مددت رجلى ليلة فى الظلام فى محرابى ، فهتف بى هاتف : من يجالس الملوك لا يجالسهم إلا بأدب .

« دعاء »

اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفرلى ، ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهى لا إله إلا أنت .

من خير ما نشر

أسعدني حقا مثل كل مصرى ، ما اعلنه د . عاطف صدقى رئيس الوزراء من أنه تم إعداد مشروع قانون لمكافحة المخدرات للقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة ، ومن إعداد مشروع قانون لمواجهة جرائم الاغتصاب .

وإذا كانت ملامح تعديلات قانون مكافحة المخدرات قد لاقت رضا شعبياً عارماً لما تضمنته من تنفيذ عقوبة الإعدام لكل من ساهم فى جلب المخدرات أو زراعتها أو تقديمها إلى المتعاطين فى مصر باعتبارها تمثل ردعاً لمواجهة هذه الجريمة التى تهدد الإنسان المصرى والمجتمع كله . فإننا نرجو أن يكون قانون مواجهة الاغتصاب بمثل هذه العقوبات الغليظة . إنه لا بديل أمامنا لمحاصرة هذه الجريمة البشعة إلا إعدام مرتكبيها وعلانية .. حيث يكون الردع لهم والأمان لسيداتنا وبناتنا وحماية لمجتمعنا وقيمه ، وأولا وأخيراً تنفيذاً لحكم الشريعة .

كلمات

الأستاذ : محمود عبدالمنعم مراد

لن نكف عن القول بأن حلول مشاكلنا يجب أن تبدأ أولا من أيدينا ورءوسنا وعملنا وصبرنا واحتمالنا ، ولا أن أستفيض فى ذكر ما يمكننا عمله من جانبنا فى تحسين أحوالنا فكل حديث عن التقشف والاقتصاد وتجنب الاستهلاك الزائد ، يقابل من القراء بكثير من الرفض أو الامتعاض . وأغلب الناس لهم حق فى ذلك ، فهم يتحملون من شظف العيش ما ينوء بحمله الصابرون الأقوياء ، فالحلول ليست فى أيدى الفقراء ومحدودى الدخل بقدر ماهى فى يد بعض المسئولين من رجال الدولة ، وبعض ذوى المواقع الهامة فى مجال التنمية من كبار العاملين فى كلا المجالين القطاع العام والخاص .

الحـــــب

الأستاذ : أحمد بهجت

يتصور كثير من الناس أن الحب أمر سهل .. بمعنى أن كل إنسان يستطيع أن يحب .. وأن الحب فى ذاته لا يحتاج إلى مجهود أو موهبة ، وهذه فكرة خطأ . ذلك أن الحب يترجم عن نفسه بالعمل ، وهذه هى صورة الحب الحقيقية ، ولهذا السبب يمكن اعتبار الحب مسألة صعبة ، أو لنقل إنه أصعب من الكراهية . إن الكراهية لا تستلزم منك غير الرفض .. والتعالى ..

إعداد: صفوت عبد الجواد
عادل خفاجة

والاحتقار وهذه كلها مشاعر يسهل على المرء أن تجيش في صدره ، وهي لا تكلفه عملاً أو تعباً أو مجهوداً .. بعكس الحب .. من هنا نرى كثيراً من الناس في الدنيا يلجأون إلى الأسهل ويقعون في دائرة الكراهية ، على حين نرى قلة من الناس هم القادرون على الحب .. صحيح أن عدد المتكلمين في الحب كثير ، لكنها كثرة كغثاء السيل لا قيمة لها ، لأن الكلمات قد تكون تعبيراً عن الحب ، ولكنها لا تصلح للجلوس في كرسيه ، وما أكثر الشعراء الذين غنوا للحب ولم يبذلوا في سبيله أكثر من مجرد الكلمات .

تحت عنوان «تعليم اللغات الأجنبية غاية أم وسيلة ؟»

كتب الأستاذ : حسنى عبدالرحيم قنديل بمجلة الشرق - الصادرة في ٢٥ مارس ١٩٨٩ كتب يقول :

من الظواهر التى شاعت في مجتمعاتنا العربية ظاهرة تعليم أبنائنا اللغات الأجنبية سواء أكان ذلك التعليم ضمن برامج دراسية في مراحل التعليم المختلفة أم كان من خلال برامج خاصة داخل البلاد وخارجها .

ومن أبرز القضايا التى يجب مناقشتها هى : لماذا نعلم أبناءنا اللغات الأجنبية ؟ لذلك نتساءل : هل تعليم اللغة الأجنبية لأبنائنا وسيلة إلى غايات واضحة أو هو غاية في حد ذاته ؟

والواقع الذى نعيشه يبين أن الناس في هذا الأمر ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

الأول : نوع يسعى لتعليم اللغات الأجنبية لأبنائه لتكون لغته الرئيسية في التفكير ويعتقد أن اللغة الأجنبية وسيلة التقدم والسير في ركب الحضارة المعاصرة ، وأنه بدونها سوف يكون من سقط المتاع .

الثانى : نوع ليس له هدف محدد ، والمهم أن يعرف أبناؤهم اللغة الأجنبية تشبها بغيرهم أو استكمالا لوجاهة .

الثالث : نوع يرى أن اللغات الأجنبية عبارة عن نوافذ للاطلاع على الفكر العالمى .

ويمكننا القول بأن تعليم اللغات الأجنبية لأبنائنا أصبح ضرورة من ضرورات الحياة ، ولكن يجب أن يكون الهدف واضحا في أذهان الجميع أن الهدف الحقيقى من تعليم أبنائنا اللغات الأجنبية هو تمكينهم من الاطلاع على فكر الآخرين ومتابعة حركة التطور العالمى والاستفادة مما يحقق النفع لأمتنا ويتلاءم مع قيمنا ولا يتعارض مع عقيدتنا ، ومن الأمور التى يجب التنبيه إليها أن الإنسان مهما تعلم من لغات أجنبية ومهما كانت درجة إجادته لها لن يستطيع أن يحقق شيئا ذا قيمة في أى مجال من مجالات الحياة إلا إذا كان متقناً للغته الأم ، لأنها أداة تفكيره الرئيسية .

أنباء وآراء

المجلس الاسلامى العالمى للدعوة

اجتمعت هيئة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى دور انعقادها الثانى يوم الخميس ٨ شعبان ١٤٠٩ هـ الموافق ١٦ مارس ١٩٨٩ م برياسة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر.

وقد بحثت الهيئة الخطوات التى اتخذت للتنسيق بين الهيئات الإسلامية العاملة فى حقل الدعوة والإغاثة، ودرست تقريراً شاملاً للأمين العام للمجلس حول اتصالاته مع الهيئات المختصة بالإغاثة وخاصة بالنسبة للاجئين الأفغان، كذلك بحثت اللجنة أوضاع المتضررين من الفيضانات بالسودان، وناقشت الأوضاع المتردية لبعض الأقليات المسلمة.

حضر الاجتماع المشير/ عبد الرحمن سوار الذهب نائب الرئيس والدكتور / عبد الله عمر نصيف رئيس لجنة التمويل والاستثمار، والدكتور / بشار عواد معروف رئيس لجنة النشر والإعلان، والدكتور / فريد ياسين قرشى رئيس لجنة الإغاثة العامة والدكتور / عبد الفتاح بركة رئيس لجنة التعليم والدعوة بالمجلس والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والأستاذ / كامل الشريف الأمين العام.

اصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ/ جاد الحق على جاد الحق قراراً برقم ١٥٩ لسنة ١٩٨٩ بالموافقة على سفر السادة الوعاظ الآتى اسماؤهم بعد للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية طوال شهر رمضان المعظم ١٤٠٩ هـ وهم :

١ ـ **الشيخ/ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح** المدير العام للوعظ سابقا سدنى (استراليا).
٢ ـ **الشيخ/ احمد عبدالرحمن راضى** المدير العام للدعوة والإعلام الدينى **هيوستن** (أمريكا).
٣ ـ **الشيخ/ السيد محمد القصبى** وكيل معهد المحلة الكبرى هيوستن (أمريكا).
٤ ـ **الدكتور/ مصطفى السيد احمد غلوش** جامعة الأزهر الماليديف.
٥ ـ **الشيخ/ محمد فكرى محمد فايد** مدير منطقة وعظ القاهرة سان فرانسيسكو.
٦ ـ **الشيخ/ عبدالله حسين محمد صالح** مدير منطقة وعظ الأسكندرية لاجوس (نيجيريا).
٧ ـ **الشيخ/ عبدالصبور إبراهيم شلبى** مفتش أول وعظ القاهرة ساحل العاج.
٨ ـ **الشيخ/ السيد عبدالمقصود عسكر** مفتش أول وعظ الغربية أنديانا (أمريكا).

إعـداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح
عبد المنعم فـــودة

٩ ـ الشيخ / فهمى القطب الخولى مفتش أول وعظ القناة كوناكرى (غينيا) .

١٠ ـ الشيخ رمضان احمود ابو راس مفتش وعظ القوات المسلحة كوبنهاجن (الدانمارك) .

١١ ـ الشيخ / عبدالفتاح عبدالمعطى إبراهيم مفتش وعظ الدقهلية ملاوى .

١٢ ـ الشيخ / الحسينى محمد إسماعيل منصور واعظ أول بلقاس ملاوى .

١٣ ـ الشيخ / صابر محمود محمد محمود مدير تفتيش وعظ المنوفية دكا (بنجلاديش) .

١٤ ـ الشيخ / مهدى عبدالحميد مصطفى مدير الإعلام بالأزهر قطر على نفقتها .

١٥ ـ الشيخ / عبدالفتاح عبدالحميد الشاعر مدير التوجيه بمنطقة وعظ القاهرة قطر على نفقتها .

قرار بمراجعة كتب المناهج الدينية العربية

اصدر الأستاذ الدكتور فتحى سرور وزير التعليم قراراً بتشكيل لجنة علمية لمراجعة كتب القراءة العربية وما تتضمنه من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

وتضم اللجنة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية والأستاذ الدكتور شوقى ضيف وفضيلة الأستاذ الدكتور عبدالمنعم النمر رئيس اللجنة الدينية بالحزب الوطنى .

الاسلام أكثر الديانات انتشارا

نشرت مجلة ديلى تلجراف الأسبوعية اللندنية تحقيقاً مصوراً عن انتشار الإسلام فى آسيا وافريقيا واوروبا فقالت فيه إنه أصبح أكثر الديانات انتشاراً فى العالم .

وأوضحت أن عدد المسلمين فى العالم بلغ فى الوقت الحاضر حوالى مليار مسلم ، ونسبة الزيادة السنوية تبلغ ٥٠ مليون نسمة ، ورشحت المجلة الإسلام ليصبح القوة المؤثرة فى الأحداث خلال السنين القليلة القادمة بمشيئة الله .

● هذا الخبر لا تنشره الصحف البريطانية لمجرد الإعلام أو حباً فى انتماء جماعة إلى دين سماوى هو خاتم الأديان ، بل تنشره للتحذير والتنبيه إلى ما يجب اتخاذه من تدابير ضد هذا الانتشـار ، فقد سبق أن قـالت صحيفة « الأبزرفر » قبل سقوط رئيس الفلبين بأيام ، وأذاعته لندن :

إن الرئيس ماركوس أصبح شخصاً مكروهاً لدى فئات الشعب الفلبينى ، وأن ثورة عارمة توشك أن تطيح به فى الفلبين . وعلى الرئيس الأمريكى « رونالد ريجان » أن يقنع حليفة ماركوس بالتخلى عن الرياسة قبل أن تقوم تلك الثورة فتكون ضد ماركوس والولايات المتحدة معاً . وقد تعم الفوضى وتكون هناك فرصة كبيرة لأعدائنا المسلمين والشيوعيين للاستيلاء على

←

أنباء وآراء

الحكم فى الفلبين ، وطرد الغرب منها فنفقد موقعاً استراتيجياً هاماً » .

وإتماماً لهذا الخبر كانت حكومة الفلبين التالية لماركوس قد أقرت للمسلمين بـ « الحكم الذاتى » ثم تراجعت فيه .

مركز اسلامى بتَفَهْنا الأشراف ميت غمر ـ دقهلية

تم بحمد الله تبارك وتعالى إنشاء المركز الإسلامى بهدف رفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

الموقع : تَفَهْنَا الأشراف/ ميت غمر/ دقهلية .

المساحة : ١٠٫٠٠٠ متر مربع كاملة المرافق (مياه ـ صرف صحى ـ كهرباء) .

التكاليف حتى الآن : تزيد على مليون ونصف مليون جنيه مصرى .

مؤسساته :

أولاً : مدرسة تحفيظ القرآن الكريم وتسع اكثر من (٢٠٠) تلميذ وتلميذة .

ثانياً : المعهد الإبتدائى وعدد فصوله ٤٤ فصلاً ويسع (١٨٠٠) تلميذ .

ثالثاً : المعهد الإعدادى بنين ويسع ٤٨٠ طالبا .

رابعاً : المعهد الإعدادى فتيات ويسع ٤٨٠ طالبة .

خامساً : المعهد الثانوى بنين ويسع ٤٨٠ طالبا تحت الإنشاء .

سادساً : المعهد الثانوى فتيات ويسع ٤٨٠ طالبة يتم إنشاؤه الآن .

سابعاً : المكتبة الإسلامية وتحوى المراجع الإسلامية .

ثامناً : إدارة شئون القرآن الكريم للإشراف والمتابعة(لكتاتيب) مركز ميت غمر وتضم اكثر من (٦٠٠٠) تلميذ وتلميذة بالإضافة إلى المحفظين .

تاسعاً : مسجداً كبيراً يسع حوالى ٦٠٠ مصل .

عاشراً : لجنة بالمركز لفض المنازعات بما يرضى الله تعالى تحوى كل طوائف الناس (فلاحين ـ عمال ـ أساتذة ـ مهندسين ـ علماء افاضل) .

حادى عشر : مستشفى إسلامى وملحق به « صيدلية كبرى » تحت الإنشاء .

ثانى عشر : قاعة مؤتمرات .

ثالث عشر : العمل على إنشاء ثلاث كليات تابعة لجامعة الأزهر [أصول الدين ـ الدعوة الإسلامية ـ الدراسات الإسلامية] .

رابع عشر : بيت الطالبات المغتربات مستقبلاً إن شاء الله .

هذا والدارسون بهذا المركز لابد أن يرتدوا الزى الإسلامى ، وتوفر سيارات لنقلهم ولهم منح وجوائز من إدارة المركز .

مركز اسلامى فى المالديف

تم إنشاء أضخم مركز إسلامى فى دولة المالديف ، وقد ساهمت فى إنشائه كل من سلطنة بروناى وماليزيا والكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة ومصر وباكستان .

الاسلام دين المستقبل

أعلن جاك بيرك المستشرق الفرنسى أن الدين الإسلامى سوف يصبح دين المستقبل فى العالم وأن الزعم بتعارضه مع العلم مهزلة لأن الإسلام استطاع استيعاب الحضارات السابقة عليه ، وصنع حضارته الخاصة ، وفرق جاك بيرك بين

ما يعرف من آلات ـ تكنولوجية حديثة وبين الحضارة بأن هذه الآلات تعتبر ثورة تكنولوجية وليست حضارة .

جاء هذا فى محاضرة ألقاها چاك بيرك فى الكويت بعنوان « الخلط بين الاختراعات الحديثة والحضارة » ، وجاء فيها أن المسلمين مؤهلون أن يكونوا أصحاب حضارة لأنهم يملكون قوة روحية وتراثاً عريقاً .

لا خوف من النهضة الاسلامية

أعلن ريتشارد ميرفى مساعد وزير الخارجية الأمريكى السابق أن خوف بعض الأمريكيين من النهضة الإسلامية التى تشهدها دول العالم الإسلامى فى غير محله .

قال ميرفى فى كلمة ألقاها فى اجتماع لجنة « سيراكوز » للتعاون بين الأديان أن النهضة الإسلامية واحدة من أقوى القوى السياسية فى العالم وأوسعها انتشاراً .

أضاف ميرفى : أن كره الأمريكيين لفكرة الدولة الدينية يشوه فهمهم لمطالب المسلمين فى إقامة نظم إسلامية فى بلادهم ويدفعهم إلى النظر إلى الحركات الأصولية الإسلامية على أنها حركات متطرفة .

طالب ميرفى الأمريكيين ببذل مزيد من الجهد لفهم طبيعة الحركات الإسلامية التى تختلف كثيراً عن الصورة السيئة التى رسموها لهذه الحركات فى أذهانهم .

انتشار الاسلام فى أمريكا

● أبدت مصادر أمريكية خاصة دهشتها لانتشار الإسلام بالولايات المتحدة الأمريكية حيث بلغ عدد المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية خمسة ملايين نسمة ، ويعتبر أرقى علماء الولايات المتحدة من المسلمين .

ترجمة تفسير القران للمودودى

قام المجاهدون الأفغان بترجمة تفسير القرآن الكريم وهو تفسير للقرآن الكريم وضعه العلامة أبو الأعلى المودودى رحمه الله إلى اللغة الروسية فى ستة مجلدات .

﴿ والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾

موسوعة اسلامية

تقوم وزارة التخطيط الكويتية حالياً بإعداد موسوعة إسلامية تحتوى على معلومات خاصة بالأوضاع السكانية والغذائية والصحية والتعليمية والتاريخية والجغرافية ، لكل الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى . ومن المقرر أن تصدر الموسوعة التى سيتم الانتهاء منها فى شهر أكتوبر القادم باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية .

المخطوطات العربية

تم تنظيم معرض للمخطوطات العربية الإسلامية فى فيينا نظمته المكتبة الوطنية فى النمسا . يضم المعرض الذى استغرق سبعة عشر يوماً حوالى ثلاثمائة مخطوطة نادرة ، حقق المعرض هدفه فى التعريف بعلاقة أوروبا بالحضارة العربية فى العصور الوسطى ، حيث استمرت قروناً طويلة وشملت النواحى الثقافية والحضارية والاقتصادية والفنية .

والمواد الدهنية فى اللبن تعتبر خليطاً من عدة دهون حقيقية [جلسريدات ـ احماض دهنية] ، ودهـون غـير حقيقيـة [فوسفولبيدات ـ سترولات ـ كاروتيدات ـ فيتامينات] .

وهى توجد بنسبة قليلة على حالة ذائبة أو ممتصة على أسطحها .

ثالثا : المواد الآزوتية فى اللبن :ـ

يحتوى اللبن على ٥ر٪ من وزنه نيتروجين يوجد فى اللبن على صور مختلفة ، منها البسيط ومنها المعقد وهذا هو توزيع الآزوت فى اللبن البقرى .

آزوت كلى
١٠٠جـزء منها :

(غير بروتينى ٥ أجـزاء)
بريتوزويتون

(بروتينى ٩٥ جزءا)
جلبيولين — البيـومـين — كيزين

رابعا : سكر اللبن :

سكر اللبن أو (اللاكتوز) سكر ثنائى ينتج عند تحلله مائيا نوعين من السكر الأحادى هما : (الجلوكوز) و (الجالكتوز) ، ويستعمل سكر اللبن فى الأغراض الطبية كتحضير البنسلين .

خامسا : رماد اللبن :

بحرق اللبن يتخلف خليط من الأملاح لونه أبيض يسمى (رماد اللبن) أو (أملاح اللبن المعدنية) وتبلغ نسبته فى اللبن البقرى ٧ر٪ والجاموسى ٨ر٪ . وهذه النسبة برغم قلتها إلا انهـا مصدر ممتـاز لعناصر كثـيرة منها (الكالسيوم) و (الفوسفور) و (الكلـور) و (الصوديوم) و (البوتاسيوم) .

سادسا : إنزيمات اللبن : ـ

يوجد باللبن عدة إنزيمات تصل إليه عن طريق الدم ، وهى متخصصة فى عملها وغير ثابتة فتتأثر بالحرارة المرتفعة حيث يتلف الكثير منها لو تم غَلْىُ اللبن على حرارة أقل من ١٠٠°م ، وتنقسم الإنزيمات إلى : ـ

١ ـ إنزيمات محللة للبروتين .
٢ ـ إنزيمات محللة للكربوهيدرات .
٣ ـ إنزيمات محللة للدهون .
٤ ـ إنزيمات خاصة بعمليات التأكسد والاختزال الحيوية .
٥ ـ إنزيمات أخرى .

سابعا : الفيتامينات :ـ

يحتوى اللبن على جميع الفيتامينات المعروفة ويعتبر اللبن من أحسن الأغذية كمصدر لفيتامينى A ، B_2 ، وتنقسم الفيتامينات الموجودة فى اللبن إلى : ـ

١ ـ فيتامينات ذائبة فى الدهون وهى A ، D ، E ، K

٢ ـ فيتامينات ذائبة فى الماء وهى مجموعة فيتامينات B ، C

ثامنا : المواد الأخرى الموجودة فى اللبن :

١ ـ الصبغات : ومنها الذائب فى الدهن مثل [الكاروتين ـ الزانثوفيل]

ومنها الذائب فى الماء مثل [الريبوفلافين]

٢ ـ الغازات : يحتوى اللبن بعد حلبه على حوالى ٨ ـ ١٠٪ من حجمه غازات أهمها ثانى اكسيد الكربون بنسبة حوالى ٧٪ والآزوت ٢ر١٪ والاكسجين ٠٩ر٪ .

٣ ـ مواد أخرى : مثل اللاكتنينين : ١ ، ٢ .

فهـــرس

● الافتتـــاحية :
« كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين فى مستهل شهر رمضان ٩٧٧

● قصـة الإيلاف :
د . على أحمد الخطيب ٩٨١

● مابعد الإيمان :
د . محمد عبد المنعم القيعي ٩٨٣

● قضية من يوغوسلافيا :
للشيخ توفيق إسلام يحيى ٩٨٦

● فى رياض السنة النبوية « فتح مكة ومكارم الأخلاق » :
د . رءوف شلبى ٩٩٢

● الصــوم فى السفر :
للأستاذ محمد صابر البرديسي ٩٩٨

● الخير فى الصيام لأسباب علمية وطبية :
د . أحمد عبد المؤمن بركات ١٠٠٢

● ثبوت رؤية الهلال يوجب العمل بلا معارضة :
للشيخ عبد العزيز بن باز ١٠٠٥

● دراسات فى بدر « بدر وفداء الأسرى » :
د . محمود محمد رسلان ١٠٠٩

● دروس فى إدارة الصراع من غزوة بدر الكبرى :
لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ١٠١٢

● القيم الدينية للمقدسات الإسلامية :
د . عبد الفتاح بركة ١٠١٨

● الفتــــاوى :
إعداد : عبد الحميد السيد شاهين
علـى حـامد ١٠٢٥

● من أعلام الأزهر « عبد الرحمن البرقوقي » :
د . محمد رجب البيومي ١٠٢٦

الشعـر والشـعراء
اشراف : د . حســن جـاد

● أنوار رمضان :
للشـاعر رشـاد محمد يوسف ١٠٣٢

● من أناشيد التوحيد :
للشيخ محمد زكى إبراهيم ١٠٣٣

● إلى أبطال الانتفاضة :
للشاعر أحمد المنشاوى الوردانى ١٠٣٤

● من روائع الماضي لمجلة الأزهر :
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ١٠٣٥

العلـوم الكـونية

● قراءة إسلامية فى كتاب الكون :
أ . د . أحمد فؤاد باشا ١٠٤٠

● اللبن ومكوناته :
للأستاذ أحمد حلمى عزت ١٠٤٥

● ديوان شعر لجابر بن حنى التغلبي :
للأستاذ أيمن محمد على ميدان ١٠٤٨

● من صور الحذف البليغ :
د . عبد الحميد محمد العيسوي ١٠٥٢

● نمـــوذج القـــدوة :
عرض عاطف شحاته زهران ١٠٦٠

● طـرائف ومواقف :
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٠٦٤

● من خير مانشر :
إعداد : صفوت عبد الجواد
عادل خفاجة ١٠٦٦

● أنبـاء وآراء :
إعداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح
عبد المنعم فودة ١٠٦٨

القســم الانجـليزي
اشراف د . أنس النجـار

● المقالة الثانية :
عبد الحكيم أحمد طه ١٠٨١

● المقـالة الأولى :
د . أنس مصطفى النجار ١٠٨٦

1. The Ihram and the Niyyah of pilgrimage.
2. Tawaf Al Qudum.
3. The Saay between Safa and Marwa.
4. The day at the Mount of Arafat
5. The Hair cutting, the sacrifice and the throwing of pebbles.
6. Tawaf Al Ifadah.

All pilgrims have a deep sympathy and ambition to visit the burrial site of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) at Al Madinah. This visit may take place before the days of Hajj and can be performed after the Hajj is completed. All muslims are eager to pay the hommage to visit the burrial site of their beloved Prophet and all pilgrims spent few days at Al Madinah before they return home. There is nothing so enchanting to the spirit cooling to the heart and comforting to the mind,as standing by the Holy Grave that contains the noble remains of the most notable creature, Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), the man who changed the face of the earth for the elevation of mankind and yet he was often seen patching his garments, mending his shoes, sweeping his house and playing with children, and kind to the weak.

On the eighth day of the month of Zu Al Hijjah, all pilgrims should depart from Macca to Mina, where they spent the rest of the day and spend the night. Early on the ninth day, all pilgrims should depart from Mina to go to the mount of Arafat. There, they remain the whole day till sunset. During their stay on the mount, they should occupy themselves in continuous prayer, supplication and recitation of the Holy Quran. This is one of the most essential acts of pilgrmage, one should dissociate himself from all material and worldly thoughts and should be in total submission and accordance with Allah. During the stay on the mount of Arafat, the Zuhr and Asr prayers are performed combined each of them preceeded by an Adhan and Iqamah. The Imam should deliver a short cermon before the prayer. Shortly, after sunset, all the pilgrims at Arafat in their total assembly leave the Holy site of Arafat and travel on foot or by transport to Muzdalifah on the way back to Mina. At Muzdalifah, they pray Maghrib and Isha prayers. All pilgrims rest at Muzdalifah, wait till they perform dawn prayers, near the Al-Mash'ar Al-Haram. They depart from Muzdalifah to Mina.

On the morning of the tenth day of Zu Al Hijjah, they reach Mina. The first act they should perform is the pebble throwing of Al Aqabah Al Kubrah. The pebbles used were collected at Muzdalifah. After that, the offering of blood sacrifice should be performed and the meat distributed to the poor. This is symbolic of the sacrifice sent to Ibrahim in ransome of his son Ismail. Then, pilgrims proceed to shave or shorten their hair, and female pilgrims have a small flock of their hair cut. When these observances are completed, the pilgrim is said to be in the state of the First Tahallul or rather the First Stage of Relase of his Ihram commitment.

The pilgrim should proceed to Macca to circumbulate around the Kaabah seven times. This is called Tawaf Al Ifadah, which is the final essential part of pilgrimage. When this is completed, the pilgrim is in a state of Final Tahalul or rather the Last Stage of Release of his Ihram commitment. All pilgrims should remain for the following one or two days at Mina and throw pebbles at the three Aqabas (the big, middle and small). During these two days, the pilgrims are associated and communicated together by the act of pilgrimage and the occasion of Eid Al Adha. Before departure to their various countries, pilgrims are encouraged to visit the Kaabah as the last stage of their pilgrimage. This is called Tawaf Al Wadaa, in respect, honour and sanctity of the Holy Kaabah.

It must be remembered that the essential parts of pilgrimage (rukns) are the following:

way to Muzdalifah; reaching Mina and pebble throwing of the Al-Aqabah; Tawaf Al-Ifadah; back at Mina, the final duties; Tawaf Al-Wada "farewell Tawaf". This is followed by a visit to Al-Madinah were the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) is burried.

Before leaving home, all debts should be settled; and seek forgiveness from Allah for all previous transgressions. On departure from the house,perform two rakats and supplicate to Allah in total submission and subordination to accept the worship of Hajj. During the journey, the pilgrim will pass by a special station " The Miqat "at which the status of pilgrimage is assumed, and the sanctity of "Ihram "must be fully observed. At the Miqat, the whole body should have been washed and ablution performed before reaching or at the Miqat depending on convenience. All clothes must be discarded, and replaced by the " Ihram " which is composed of two pieces of white cloth for the male pilgrim. One covers the lower part of the body, and the other covers the trunk and the shoulders. Female pilgrims wear long garments covering all their body. Male pilgrims should not cover their heads, and females should not cover their faces. To sunnah rakaats are performed with the Niyyah of Ihram and Hajj. The forbidden acts during Ihram are the wearing of any clothes other than Ihram, use of perfume, clipping the nails, pulling of cutting the hair, hunting of animals, or cutting plants in the sacred territories, sexual relations, and conducting a marriage ceremony. The life of a pilgrim during Ihram is devoted towards worship and contemplation.

On reaching Macca, the pilgrim is ready to visit the Sacred Mosque (Al Masjid Al Haram). He must be washed with ablution and ready to make Tawaf around the Kaaba. This is called Tawaf Al Qudum, which consists of circumambulation around the Kaaba seven times, during which the recitation of verses from the Quran and supplication to Allah must be performed. Touching the Black Stone situated at the south-east corner of Al Kaaba is a Sunnah. If that is not possible, just raise your hand as you pass it. After completing the Tawaf, perform the Tawaf prayer of two rakaats in the position of Ibrahim.

The pilgrim then proceeds to go to make "Saay" between Safa and Marwa. Seven journies are performed between these two sacred places. During the Saay, supplication to Allah and prayers and verses from the Holy Quran should be recited. This is symbolic of the efforts made by Hagar, mother of Ismail, during her search for water. Pilgrims are particularly encouraged to drink as much water as they can from the Well of Zamzam.

-4-

sexes, all ranges of poverty and richness, all spectrums of rank, knowledge, wealth, education and illiteracy. This spectacular congruity of performing the formalities of Hajj is programmed in exactness and precision in sequential acts of movements and halts. The whole human mass with its composite individuals must be present at certain places, at certain times and for certain duration. During the repeated acts of movements and halts, certain formalities have to be observed. The assembly at Al-Hajj becomes a conglomerate exhibit of languages, races, colour, cultures; Mulsims from every corner of the earth gather during the season in intimate coherent rythm of performance in action, prayer, and supplication to Allah. The garment of Hajj the "Ihram" is synonymous of the shroud, man becomes devoid or all material belongings and all worldly commitments and attachments. The whole procession of Hajj is in its totality symbolic of the procession of mankind in the Hereafter on the day of judgement. After the completion of the formalities of Hajj as a ritual of worship, the consortium of Hajj becomes the most expandid international convention between Muslim societies of many nations to discuss matters of mutual interest and importance. It may also be regarded as an international market and trade centre to promote the commercial interelations between Muslim countries.

The process of Al-Hajj is very strenous, and is a worship demanded only from the able Muslim to be performed once in a lifetime. The ability of a Muslim to perform Hajj is collective including both physical and financial. Hajj is a worship of complete wordly disconnection and sublimation. It approxiamtes life to death, this world to the hereafter, richness to poverty, the society to the individual, and the individual to the society.

The formalities of the Hajj are sequential processes of actions and rituals that the pilgrim should perform at specific times in specific places, and lasts for a period of four days with a maximum of five. The details of these formalities are well documented in all books on the subject, however, the main actions and rituals are briefly discussed in this treatise.

The qualifications to perform Hajj are Islam, adulthood, sanity, financial and physical ability, facility of transportation, and safety of the road. The main proceedings of Al-Hajj are the Ihram at the Miqat with the intention (Niyyah) of performing Hajj; Tawaf Al-Qudum on entering the sacred mosque in Macca; the walk from Safa to Marwah (Al Saay); the stay and supplication at the mount of Arafat; the

Prophet Ibrahim and his son Ismail only raised the building of the House on the already existing foundations; after having been given the site of the House by Divine instruction. This indicates that the original foundations of the House already existed at the time of Ibrahim. Several postulations are presented as to who originally built the House of Allah; the most popular is that the House of Allah was built by Angels according to Divine instructions as to the site and the dimensions.

With the coming of Islam and the Revelation of the Message of the Holy Quran to the Prophet Muhammad (prayers and peace from Allah upon him), the practice of pilgrimage continued. However, all idolatrous vistages were removed totally from the interior and from around the Kabaah, and the true formula of proper worship was reinstated, and true worship was to Allah. When Islam dominated, the correct practice of pilgrimage was taught to Muslims by the Prophet, himself during the "Farewell Pigrimage" where thousands of Muslims accompanied the Prophet, to learn, record, and teach the subsequent generations of Muslims. For this reason, the rituals and formalities of the process of Hajj find little differences in the patterns of excusion among the various authorities of opinion. Al-Hajj similar to all other disciplines of worship is essentially an act of accordance and observance in conformity with commitment to the qualification of Islam. The purpose and objectives of Hajj are not always tangible to the human mind; however, mankind through the repeated generations of Muslims will continue to find deep realities of purpose and objectiveness in the act of Hajj. Islam made Al-Hajj an obligation on all Muslims men and women who are capable of making the journey both physically and financially, at least once in a lifetime. Islam is a symbolised as a mighty flowing river, which enriches all generations with the fertility of its doctorines. In the Holy Quran, it is stated:

"And proclaim the Pilgrimage among men, they will come to thee on foot and (mounted) on every kind of camel, lean an account of journey through deep and distant mountain highways"

"That they may witness the benefits provided for them; and celebrate the name of Allah, though the days appointed ..."

(Surat Al-Haj, XXII, 27, 28)

Al-Hajj is by far the largest human consortium assembly in the history of mankind; constituting all age groups, both

that I offer thee in sacrifice. Now see what is thy view'. The son said: "O my father, Do as thou art commanded". Thou will find me if Allah wills, one who is patient and with constancy".
"So when they both submitted - their wills (to Allah) and he had laid him prostrate on his forhead (for sacrifice).
"We called out to him O Ibrahim".
"Thou hast already fulfilled the vision - thus indeed do We reward those who do right".
"For this was obviously a trial".
"And We ransomed him with a great sacrifice".
(Surat Al-Safaat, XXXVII, 102 - 107).

"Peace and salutation be upon Ibrahim".
"Thus indeed do We reward those who do right"
"For he was one of our believing subjects"
"And We gave him the good news of Ishaq - a prophet, one of righteous."
(Surat Al-Safaat, XXXVII, (109 - 112)

The whole story of sacrifice is symbolic. Allah does not require the flesh and blood of animals, much less of human beings. Allah requires the submission of our whole being in readiness to sacrifice when duty requires.

During a later visit, Ibrahim and Ismail were commanded by Allah to built the House of Allah on the same foundation indicated. This House of Allah is the Holy Shrine, the Kabaah in Macca; where Allah is to be worshiped by making pilgrimage to that place of security and blessedness. This practice is called Hajj. Although succeeding generations corrupted the religion of Ibrahim and Ismail over the year, and resorted to idolatry; they retained the custom of pilgrimage for prestigeous and economic advantages. In the Holy Quran, it is stated:

"And remember, Ibrahim and Ismail raised the foundations of the House. "Our lord-accept this service from us, for Thou art the All-Hearing - All knowing".

(Surat Al-Baqara, II, 127)

"Behold We gave the site to Ibrahim of the House. Associate not anything in worship with Me. And sanctify My House for those who compass it round, or stand up or bow, or prostrate themselves (in prayer).

(Surat Al-Hajj, XXII, 26)

month of the Lunar year. During the journey, certain rituals of worship are performed in and around the precincts of Macca. Hajj is the duty of every adult Muslim who possesses the means and ability to undertake it. It is considered as the fifth pillar of Islam. In the Holy Quran, it is clearly stated:

"The first House (of worship) appointed for mankind was that at Bakka (Macca), full of blessing and of guidance for all the worlds".
"In it are Signs manifest, the Station of Ibrahim. Whoever enters it attains security. Pilgrimage to the House is a duty that Men owe to Allah, those who possess the means. If any deny faith, Allah stands not in need of all creatures.
(Surat Al-Imran, III, 96, 97)

An appraisal of the background of Pilgrimage, dates back to the story of the Prophet Ibrahim and his two righteous sons Isamil and Ishaq. Ismail was old and his mother was Hagar. Ishaq's mother was Sarah. On the birth of Ismail, Sarah as the first wife, thought that she was barren, and became jealous. To avoid misunderstanding in the household, Ibrahim by Divine command took Hagar and her son Ismail to a distant empty place in the desert. Seeking for water, Hagar searched frantically running between and climbing two high spots called Safa and Marwah from where she could look around. Becoming exhausted, Hagar returned to her child, and near where the child lay, she discovered a water well; which has remained until now known by the name of "Zamzam". The well attracted nomad Arab tribes to settle around the well and live with Hagar and her son Ismail. The town of Macca began to grow and develop. In the Holy Quran, it is indicated:

"Behold Safa and Marwah are among the symbols of Allah. So, if those who visit the House in the season of Hajj, or at an Umrah; should composs them round, it is no sin; and if any one obeyeth his own intention to good, Allah is thankful, and knowing
(Surat Al-Baqara, II, 158).

The Prophet Ibrahim did not forget his son, and visited him from time to time. During one of his visits, Ibrahim had a vision to offer his son Ismail as a sacrifice to Allah. Making sure that the vision was a Divine Command, both father and son resigned themselves to the command of Allah, however, Allah substituted a ram as the sacrifice instead of Ismail. In the Holy Quran, it is stated:

"Then when (the son) reached the age of (serious) work with him; He said 'O my son I see in dream

THE PILARS OF ISLAM

AL-HAJJ

By : ABDEL HAKIM AHMAD TAHA

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith; Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith? Allah's Apostle replied "Faith is to belive in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam? ; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "what is Ihsan (perfection)? , Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established? ; Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - when the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXl, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion."

(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)
In Sahih Muslim, this honourable Hadith adds "and to perform Pilgrimage when one is able to do that". Sahih Muslim, Vol. 1, Book of Faith, Page 59. (Narrated by Abdulah ibn Omar). It is accepted by all authorities of Islamic jurisprudence that the fifth pillar of Islam is the performance of Hajj for those who are able to undertake it.

Al-Hajj "pilgrimage" is defined as a special journey to the sacred shrine in Macca, known as the "House of Allah" or the "Kabaah". This journey is once a year at a special season during the eighth to the twelveth day of the twelveth

man who established the doctrines of Islam to grow, flourish and give fruit. The man whose extreme piety and faith gave him the strength and solidity to secure the unity of the Muslim Ummah amidst the trepidations and turmoil that supervened after the Prophet's death. The man whose basic characters were justice, mercy, piety, self deprivation, support of truth, and elevation of the word of Allah. The whole Muslim Ummah will continue to pay hommage, tribute, honour, praise and applaud to the great man, Abu Bakre Al-Siddiq, the Khalifah of Rassul Allah.

Al-Khattab as successor to Abu Bakre Al-Siddiq. After that, Abu Bakre summoned Omar ibn Al-Khattab and adviced him with emphasis to the purpose and grave responsibility of his function. After Omar left, Abu Bakre lifted his hands and appealed to Allah in pleading supplication to support Omar with Divine strength, wisdom, patience and vigilant prudence for the cause and purpose of Islam and Muslims.

The illness of Abu Bakre that confined him to rest lasted for fifteen days; during which period he was visited by close companions. The most important issue he settled was the choice of Omar ibn Al-Khattab as his successor and obtaining unanimous consensus in a public assembly at the Masjid after careful deliberation and congruent consultation with the companions of the Prophet. The second issue of importance in the mind of Abu Bakre was to settle all private fiscal and property matters. Everything that he owned which was in itself very little, was returned to the treasury house of Muslims, and he did not leave anything behind, except an orderly, a mule, and a piece of cloth costing five dirhams, which he ordered to be handed to Omar. Abu Bakre on his death bed was very anxious to depart from life innocent from all material gains and belongings. During the last hours, Al-Muthanna ibn Harithah arrived at Al-Madinah to convene with Abu Bakre explaining the situation in Iraq, and requesting Muslim reinforcements. Abu Bakre immediately summoned Omar ibn Al-Khattab and instructed him to prepare the immediate recruitment of Muslim worriors from all over the Arab Peninsula to support the Iraq campaign. The hour of departure from life came after sunset on the Eleventh of Jummadah Al-Akhirah of the year Thirteen after Hijrah (August 22nd, 634 AD). Abu Bakre was sixty three years old at the time of his death. He was washed and shrouded by his wife Asmaa bint Umays and his son Abdel-Rahman. He was burried during the night and placed in the grave besides the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). His burial was carried out by Omar, Osman, Talha, and Abdel-Rahman ibn Abu Bakre.

The news of Abu Bakre's death spread throughout the whole Arab Peninsula, Syria, Iraq and neighbouring territories. The whole Muslim Ummah was solmn with deep grieve for the departure of the great man. Abu Bakre Al-Siddiq, the close companion, the champion, the victor, the man of deep wisdom, devotion and intuitive sagacity. The man that established the fundamental roots of stability, theopolitical unity of the Muslim Ummah and its territorial expansion in Syria and Iraq. The man who engineered the defeat of all apostates, the man responsible for the compilation of the Holy Revelation. The

Abu Bakre began to consult the opinions of the companions. He consulted Abdel Rahman ibn Aof, Osman ibn Affan, Assayd ibn Khudayr, and others of the Muhagereen and Ansars. The popular opinion was accepting Omar ibn Al-Khattab, yet there was a general feeling of apprehension from the firm character of Omar and his stern austere personality. Such public feeling did not change the opinion of Abu Bakre; and when faced with such matter, he answered "I have chosen whom I believe is the most suitable, and Allah is my witness that I have endevoured my best in the choice". Abu Bakre Al-Siddiq summoned Osman ibn Affan and dictated to him the proclamation of the succession of Omar ibn Al-Khattab. The proclamation stated: "In the Name of Allah Most Gracious, Most Merciful. This is what Abu Bakre ibn Kuhaffah documents in will and volition, during his last hours departing from life, and his early hours entering the domain of afterlife, where absolute Reality and truth prevail. I have chosen Omar ibn Al-Khattab to be in authority of office after my death. Listen to him, obey him and give him allegiance. Allah knows that in my choice, I was in complete devotion to my faith and belief, optimizing my choice to what is best for you and for Islam. If he is to be just that was my opinion of him; and if he changes, Allah has the ultimate authority of punishment. I endevour for what I believe is best, I do not know the unknown, Allah is the Sovereign, the Majestical, and the Vigilant. May Allah have peace and mercy upon you". Some narrative state that during the dictation of the proclamation, Abu Bakre fell into a trance of abstraction before he dictated the name of the man. Osman ibn Affan feared that Abu Bakre would die, and wrote the name of Omar ibn Al-Khattab, knowing that Omar was the man chosen by Abu Bakre. When Abu Bakre recovered and knew what Osman had done, he thanked him and blessed him with prayers. Both men were highly concerned about avoiding dispute and contrariety between Muslims after the death of Abu Bakre at that crucial stage of the early phase of Islamic development and stability.

Abou Bakre Al-Siddiq did not only satisfy and content himself with the written document. He crawled to the door of his dwelling which opened upon the Masjid where the congregation of Muslims gathered for prayers, and announced to all present "Do you accept whom I select for you as my successor, I have endevoured my best of effort, with all devotion and truth of worship to Allah, and with all honest compliance and obedience to Allah's Messenger and Prophet. I have not chosen any of my kinsmen. In this document, I have chosen Omar ibn Al-Khattab to be my successor, so listen to him, obey him, and give him allegiance." Everybody in the Masjid acclaimed with applause and unanimity the choice of Omar ibn

The major issue in the mind of Abu Bakre was the matter of his successor. He very much feared that Muslims would fall into dispute about his successor after his death. He remembered how critical the situation was after the Prophet's death. The conditions after his death would make the situation of any dispute or conflict exceedingly dangerous and detrimental to the Muslim Ummah. The whole Arab peninsula was involved in the tissue, the Muslim worriors in Syria and Iraq. The whole structure would collapse and breakdown. This particular issue was the most critical that Abu Bakre was pursuing during his illness. How can he preserve the unity of the Muslim Ummah and prevent dispute and internal conflict after his death. The matter of cardinal importance in the mind of Abu Bakre was the succession after his death. He gave that a great deal of consideration and thought. Finally, he decided to choose his successor and take the acceptance and allegiance of the Muslim Ummah to that man. The choice of Abu Bakre was totally based on the personal individual choice of Abu Bakre, his wisdom, sagacity, foresight and the acceptance of the Muslims populous.

Abu Bakre as a very early Muslim, and the closest companion to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had very optimal and precise knowledge of the companions, their characters, qualities, idiosyncrasies, and traits of behavior. During his reign as Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre gained more knowledge concerning the companions, and his rationality and criteria for selection were certainly very precise and without bias or prejudice. His rationality of choice was based on the selection of a man most suitable to administer and govern the affairs of the Muslim Ummah at that particular phase of its history. Besides the special characteristic qualities of excellence the man had to be suitable to command and to navigate the newly structured juvenile Muslim Ummah, where issues at hand were enormous and critical. The pan-tribal theopolitical unity of the peninsula with its recent healing scars of the wars against the apostates. The Muslim worriors in Syria confronting the Romans; the precarious situation of the Muslim worriors in Iraq facing the Persians; the authority of wisdom and administrative diplomacy and decision making at Al-Madinah; and above all the integrity of the creed of Islam to stand and remain preserving the doctorines of Islam as indicated in the Holy Revelation, and the Traditions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Who was the man that Abu Bakre Al-Siddiq chose to carry the burden with strength insight, devotion, honesty, and the deep piety of true belief and faith. In the mind of Abu Bakre, the man was Omar ibn Al-Khattab. However, Abu Bakre did not and could not force his opinion of choice upon the Muslim Ummah, they must accept the man he was to choose as his successor.

ABU BAKRE AL- SIDDIQ
"THE ILLNESS AND DEATH"

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

During the short period of the reign of Abu Bakre which lasted for two years and three months, several outstanding achievements were accomplished. The victory over the apostate tribes, the Persian and Syrian crusades, the compilation of the Holy Quran, the establishment of a theopolitical unity between Muslims, and the foundation of a future expansion of Islamic rule based on justice,equality, and human rights. The fundamental roots of the system of government and administration were based on "Shurah". Historians consider the reign of Abu Bakre as "miraculous"; a nation in revolt and mutiny became united, and simultaneously achieved military triumph over two superpowers. The miracle was in the underlying infrastructure that became coherent as a Muslim Ummah, because of the efforts and policy adopted by Abu Bakre Al-Siddiq. Such surging achievements were granted to Abu Bakre by Divine support, because of his piety, confidence and sincere devotion to the element of the Faith; as man, as companion to the Prophet, and as Khalifah of Rassul Allah.

At the age of sixty three, the aging process became premature due to the active and strenuous life that he experienced. However, there are two narratives for the illness and death of Abu Bakre. One was that Abu Bakre ate from some poisoned food. The poison was put in the food by the Jews, and it was the kind of poison that had a delayed effect of killing after one year. The same food was shared with Abu Bakre by Al-Harith ibn Kildah and Attab ibn Ussayd. The three men died on the same day, one year after eating the poisoned food. This narrative is incredulous and is not subject to unanimous agreement among chroniclers. The more attested narrative based on statements of Aiysha and Abd Al-Rahman, daughter and Son of Abu Bakre; was that Abu Bakre contracted a fever which remained for fifteen days and ended by his death. During his illness, Abu Bakre instructed Omar ibn Al-Khattab to lead the congregational prayers. With his deep perception and clairvoyance, Abu Bakre knew that his death was imminent. During his illness, he was very concerned in thought about the affairs of Muslims.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, PART IX

RAMADAN, 1409, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al Siddiq.

The Illness and Death.

By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.

Al Hajj.

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Preparation of Prints By: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

عيد الفطر
يوم الجائزة لانتصار الإرادة ..

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

دأبت الجماعة الإنسانية على اختلاف ألسنتها وألوانها على الاحتفال بمناسبات ذات أثر فى حياتها يسمى بعضها بالعيد ، من شأن الحفاوة به أن يوقظ لدى الجماعة الوعى بالروابط التى تجمعهم ، فيستعيدون بها مجداً مضى أو ذكرى نصر وقع فى الأيام المحتفى بها أو فيها ..

وهذا النصر أو ذاك المجد الذى كان فى التاريخ الماضى ، إنما وقع بسبب ما بين أفراد هذه الجماعة ـ شعباً ، أو أمة ـ من دوافع مشتركة تسعى إلى تحقيق هدف معين ..

وهذه الأحفال التى تقام ، إنما تمثل أسباب تواصل هذه الجماعة وتضامنها فى الأمجاد والانتصارات ، كما تشير إلى المثل العالية الرفيعة التى تصبو إلى تحقيقها ..

←

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

شوال ١٤٠٩ هـ
مايو ١٩٨٩ م
الجزء العاشر
السنة الحادية والستون

وعيد الفطر الذى تحقق بهلاله الأمة الإسلامية يصور مجداً ونصراً لإرادة المسلم الصالح وتوفيق الله له بإتمام صوم شهر رمضان . مع الالتزام بأحكام الصوم وآدابه .

كما شرع الله ورسوله ، طوال هذه الحقبة الزمنية التى استغرقها فرض الصوم ، تغلب فيها المسلم على نوازع النفس والجسد ، وقويت فيها الإرادة . فالتزمت بالخضوع لأمر الله سبحانه فى قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . . ﴾ .

إن إهلال شهر رمضان وشهوده له شأن فى تاريخ الأمة الإسلامية ، وصومه له منزلة بين الفرائض التى افترضها الله سبحانه على هذه الأمة وجعلها أصولاً وأسساً لشرعه .

وشهر رمضان بميزاته التى تحدث عنها القرآن تجعل الرغبة فى استقباله ، والرهبة من النكوص عن واجباته ملء قلوب هذه الأمة ..

ذلك لأنه الشهر الذى أنزل فيه القرآن ، أساس هداية المسلمين وإمامهم وأمانهم ، إن هم عملوا به وأحاطوا أنفسهم بما منحهم من علم وحكمة وهداية ، وهو مصدر الروابط المشتركة بين أفراد الأمة الإسلامية وشعوبها ، ومحط مثلها وأهدافها ..

وشهر رمضان مع هذا وكما سبق يعبر المسلم بصومه عن انتصار الإرادة الإنسانية السامية فى خلقها وسيطرتها على الرغبات الجانحة أيا كانت نزعتها ، تلك التى من شأنها أن تبعد الإنسان عن أن يكون سيد نفسه ، مشاركاً فى سيادة المجتمع الذى يعايشه..

ودخول عيد الفطر باليوم الأول من شهر شوال وبعد إتمام شهر رمضان صياماً وقياماً لله رب العالمين من شأنه أن يبهج المسلمين ويشرح صدورهم بهذا النصر الإنسانى بسمو الإرادة الإنسانية وتكاملها بين أفراد المجتمع التقاء على الإيمان والمساواة والتعاون على البر والتقوى حبا لله وطاعة له واقتداء برسول الله ﷺ .

ومن هذا يظهر أن هذا العيد لم يقم على روابط الدم أو النسب .. وإنما قام على أساس الإيمان والإسلام ابتغاء تحقيق الأهداف والمثل العليا التى تغياها الإسلام من هذه الفريضة ، ويكون الاحتفال بعيد الفطر تذكيراً وإحياءً للروابط الإسلامية ، والإنسانية التى جمعت هذه الأمة على أسس الإسلام وغايته ..

وتحقيقاً لإعلاء وإعلان البهجة بالعيد لدى عامة الأمة الإسلامية كان جوهر الأحفال ومظهرها معبراً عن الإيمان والخضوع لأحكام الله التى شرعت هذا العيد ورتبت جوهره ومظهره .. فكانت الدعوة إلى اجتماع المسلمين فى المسجد أو فى مكان أفسح وأرحب يشهده الناس جميعاً شيباً

وشباناً رجالاً ونساءً وصغاراً ، شعارهم في غدوهم إلى مصلاهم (الله أكبر) سرا وجهرا فرادى وجماعات حتى يصطفوا لصلاة العيد في صلاة جهرية وكان من سنن العيد لبس الجديد من الثياب أو النظيف ، إبرازاً للسرور والابتهاج وتعميماً لمظاهر الفرحة ونعمة التوفيق .

ومع هذا يستحب ـ كوجه آخر للإعلان عن العيد والبهجة بقدومه ـ أن يكون الذهاب إلى صلاة العيد من طريق والرجوع من طريق آخر حيث روى البخارى أن النبى ﷺ كان إذا خرج يوم العيد في طريق رجع من غيره ..

وسمة هذا اليوم في الإسلام التعبير عن الشعور النفسى بالفرح والسرور بالتقاء أفراد الشعب المسلم على المثل التى جمعت بينهم ..

ولا حرج في الإسلام أن تطفو دواعى السرور والفرح على نفس المسلم فتمارس اللهو المباح في غير إسراف ولا مخيلة وأن يأكل الناس ويشربوا الطيب الحلال دون إسراف أو إتلاف .

ولعل من أبرز ما شرعه الإسلام في هذا اليوم ـ عيد الفطر ـ إظهار المودة والتزاور بين الأقارب والجيران ، وبين الأقوياء والضعفاء ، والمشاركة في المسرات والمواساة في الضراء ورعاية اليتامى والفقراء ، والمحافظة على حرمات الله في الأنفس والأعراض والأموال ..

إن الاحتفال بعيد الفطر هو احتفاء بالنجاح في جهاد النفس والقيام بالصوم في شهر رمضان كله ، صوما عن الدنايا والخطايا مع الصوم الحسى عن الطعام والشراب وسائر المفطرات ، وهو احتفاء بقوة العزم واستدامة الصبر والتغلب على الصعاب والمغريات وبمضى شهر رمضان على هذه الحال ، تتبدل العادات إلى الأحسن والأوفق مع شرع الله الإسلام ، ومن ثم تكون الاستقامة والتقوى التى هى الهدف الأسمى من الصوم كما قال الله في سورة البقرة : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ..

روى الطبرانى في الكبير عن سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا : اغدوا يامعشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلوا نادى مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة".

وإذا كان صوم شهر رمضان قد استوثقت به القلوب والنفوس عزماً وحزماً طاعة لله ولرسوله وطلباً لصلاح الحال ودفع البلاء فلماذا إذاً لا نستمر ـ بعد رمضان ـ في الصيام عن الآثام الظاهرة والباطنة ، فنصون الألسنة عن الكذب والافتراء وأحاديث الإفك ؟ ولماذا لا نطهر القلوب من الرجس وننزه المكاسب عن الحرام ، ونبرىء الأعمال من الغش ، ونغل الأيدى والجوارح عن الأذى ؟.

كلمة شيخ الأزهر

إن صوم شهر رمضان كان رياضة وموسم استشفاء فلسنتثمر ما تعودناه فى هذا الشهر من نظام وتنظيم ودأب على طاعة الله ورسوله ، وحفظ للحرمات وهجر للمحرمات . لنواصل السير على هذا النهج القويم ..

إن واجب المسلمين وهم يستقبلون أول أيام عيد الفطر المبارك أن يَسْتَبقُوا صلتهم بالله وبدينه ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ، وإن عليهم أن يتراحموا فيما بينهم .. وأن يواجهوا مصاعب الحياة ومتاعبها بما شرع الإسلام ، لا بالمزيد من الآثام والعصيان ، والإسراف والإتلاف ، إن عليهم أن يتآلفوا ويتصالحوا ولا يبغى بعضهم على بعض وأن يكونوا يداً واحدة وصفاً مترابطاً فى مواجهة أنواء هذا العصر التى تحتاج إلى قوة الوحدة وعز الجماعة ..

على الأمة الإسلامية أن تذكر فى يوم عيد الفطر هذه الشعوب الإسلامية التى تكافح عن حقوقها المسلوبة فتساندها وتمدها بما يزيد من قوتها حتى تصل إلى غايتها ، وأن ترعى بلاد المسلمين التى منيت بالقحط والسيول فتمدهم بما أفاء الله عليهم من نعم وتخفف من ويلاتهم .. وأن تؤيد المجاهدين والمناضلين فى القدس وفلسطين وفى أفغانستان وتشد من أزرهم ..

وباسم الأزهر الشريف أهنىء الأمة الإسلامية على اختلاف ألسنتها وألوانها وموطنها بأداء فرض الصوم فى شهر رمضان وبحلول عيد الفطر عيد النصر لإرادة المسلم فى طاعة الله ورسوله ، وأهنىء أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الشعوب الإسلامية ، وأدعو الجميع إلى مزيد من التآخى والتشاور لصالح الإسلام والمسلمين .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ . .

شيخ الازهر
جاد الحق على جاد الحق

قصة الإيلاف

عصر هاشم بن عبد مناف

٢

للدكتور: على أحمد الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان أجمعين ، وبعد

فقد ذهبنا إلى أن « عصر » هاشم بن عبد مناف يهدى إليه ويحدده عُمُرُ ولده عبد المطلب الذى توفى عام (٥٧٨م) ، وأن هذا العام يمضى بنا إلى هذا العصر :

فإذا نحن سلفنا هذا العام بثمان وثمانين سنة كنا فى نهاية ، عصر هاشم فى « التقدير الأحوط » ، فإذا هذا العصر - وقوامه خمس وعشرون سنة - يبدأ بعام (٤٦٥ م) ، وينتهى بعام (٤٩٠ م) وقد تزيد سنة فى كُلٍّ ، فإذا نحن مع العقود : السابع والثامن والتاسع من القرن الخامس الميلادى .

وإذا نحن سلفناه بمائة وعشرين عاما فى « التقدير الأوسط » كنا مع عصر يبدأ بعام (٤٣٣ م) وينتهى بعام (٤٥٨ م) وقد نزيد سنة فى كُلٍّ ؛ فإذا نحن مع العقود : الرابع والخامس والسادس من هذا القرن .

وعلى أى التقديرين لن يكون عصر هاشم قبل العقد الرابع إلا لدى من يرى أن عُمُرَ عبد المطلب مائة وأربعين عاما ، وليس ثمة إجماع بين المؤرخين على ذلك ، أو اتفاق بين أكثرهم .

وإذا كان عصر هاشم لن يستبطن التاريخ من قبل العقد الرابع ؛ فإنه كذلك لن يستظهره بحال إلى العقد العاشر ؛ فأولى بنا - والحال هذا - أن نُقدم دراستنا عن هذه العقود الستة ، والله المستعان .

وليس يفوتنا أن نسجل أن طريقنا التاريخى إلى هذه العقود ليس سهلا سمحا معطاء بما نريد ، وليس هو الذى يوضح لنا الأوضاع والأحوال ، أو يتحدث عن الملوك والحكام إبان تلك الفترة بما ييسر سبيل المعرفة لدراسة العصر ، والإلمام بما هناك من علاقات وشئون سياسية واقتصاديه واجتماعية فى وضوح مبسوط فهى فترة (غَسَقٍ) تاريخى وَقَبَتْ على الجزيرة فألقت بالظلال أكثر مما ارسلت بالإشعاع .

على أن هناك أكثر من حقيقة بارزة عن هذه الفترة يمكن أن تهدينا إلى إلمام طيب بشأن ما نريد

● فمن المؤكد أن هذه الفترة من تاريخ الجزيرة كانت جزءا من زمن يُعتَبر عصر استقطاب للجزيرة يحاول فيه كل من « الفرس » و« الروم » و« الحبشة » السيطرة على الجزيرة من أطرافها شمالاً وجنوبا ، وإذ أدرك الفرس والدولة البيزنطية أن الامر أعسر عليهم مما يظنون أنْشَئُوا فى الشمال دولتين : « دولة الحِيرة » التى اشتهرت بدولة المناذرة ، وكانت تتبع فارس ، و« دولة لخم » التى عرفت بدولة الغساسنة وكانت تتبع الروم ، أى الدولة البيزنطية ، فمثلت كلتا الدولتين حجابا حاجزا .. «buffer state» يصد غارات البدو عن كلتا الدولتين ، كما تكون كل منهما فى المقدمة لتتلقى الضربة الأولى عن الفرس أو الروم إذا هاجمت إحداهما الأخرى ، وحاولت الحبشة ـ بدورها ـ أن تقوم بالدور نفسه فى الجنوب فتعاورها الفشل تارة والنجاح أخرى حتى تمكنت من حكم الجنوب أكثر من فترة . وإذا كان الفرس ، ومثل الفرس الدولة البيزنطية ، تقوم بممارسة هذه السياسة متمثلة فى ذلك مصالح بلدها ، فإن الحبشة كانت فى بعض محاولاتها استعمار جنوب الجزيرة عميلاً للدولة البيزنطية ؛ فكانت عميلاً يريد إنشاء دولة عميلة .

● وفى الحق أن سياسة الدُّوَل الصانعة الثلاث لم تكن قانعة بقصر نفوذها على ما أنشأت كل منها من دولة صنيعة جعلتها رِدْءاً لها وخط دفاع عنها ؛ بل تطاولت أطماعها إلى ماهو أبعد .. إلى السيطرة على داخل الجزيرة نفسها ؛ فإن لم يكن ذلك ممكنا ـ وهو ماكان عليه الحال ـ فلا أقل من سياسة طويلة المدى تشعل الحرب بين سكانها فدارت بين القبائل ـ داخل الجزيرة حتى مشارفها ـ معارك عنيفة عُرفت بـ « أيام العرب » أتت على خير شبابها ؛ فبئس ماكانت ، وبئس الحمق الذى استخدم التفاهة شعلة أوقدت معظم هذه الحروب كقتل ناقة ،أو إعاقة فرس. أحداث كان هناك غيرها أعمق ضررا ، وأشد أذى ، وأقوم ـ فى إشعال الحرب ـ سببا ، لكنه مضى بحُلم وَقُور عالج أمره بحكمة صَدَّتْ عن قبائل يدّ الفناء ، بينما تلك الأحداث التافهة جال ـ حيالها ـ المناذرة أو الغساسنة ـ فأوقدت الحروب وصدت عن الفرس والروم غارات القوم ، ووجدت ـ بها ـ الدولتان يدا على الأعراب .

● وليس يَلفِتُنا ـ عن هذه الحقيقة ـ المجدُ الأدبى للجزيرة إبان هذه الأيام ؛ فقد ازدهرت

ـ بحق ـ القصيدة الجاهلية ، واستوت على أعلى قممها الفنية : صياغة بلا خلل ، وقافية يندر فيها الأقواء* وعمقا فى المعانى ، وافتنانا فى إبداعها ، وسعة فى الأغراض ، وتسجيلاً لكل مظاهر الحياة بين أبنائها ، وتعريفا بجبالها ووديانها وطرقها وحيوانها ووحشها ونباتها ، ثم طرقا إلى دِينِها ودروب الحكمة فى شيوخها ، والغزل فى شبابها وشاباتها ، وما كان من حب ينال الرضا أو يبعث السخط ،.. إلى ماكان فى حياة الأسرة إذا طرقها الخلاف فالطلاق ، والوان هذاالطلاق وشرائعه وَعضله** أو التساهل فى أمره ...

كُلٌ قرأناه فى القصيدة العربية حينئذ : فإذا الصحراء صفحة من كتاب مفتوح لا عسر فيها ولا غموض .

« مجد » له قَبَسُه الفذ الفريد يندر أن يكون له مثيل بجانب « سياسة » من شؤم منقطع النظير .

وليس يختلف النقاد ـ قديماً وحديثاً على أن هاشم بن عبد مناف عاش جو هذا المجد الذى يحصره « ابن سلام الجمحى » فى عصر « هاشم وعبد المطلب » ويخالفه النقاد والمحدثون فيرون أنه متقدم شيئاً ما على عصرهما ؛ فإن ازدهار القصيدة وكمالها على هذا الشكل لابد أن تتقدمه محاولات ونقد فمحاولات ، فبناء يستقيم شيئا فشيئا حتى يكون صرحا رفيع الذروة قوى السناد ، وليس من شك أن هذا هو السَّنَن فى طبيعة الأشياء .

● كانت الدول الصنائع متعادية بطبيعتها ، وهدفِ إنشائها ، تديرها عقول ليست من أرضها ، فمثلها لا يمكن أن يفكر فى إقامة « وحدة » تأخذ الأمور بعنان الثقة فيما بينها لتمضى قدما فى النهوض باقتصاد الجزيرة ، والعناية بطرق القوافل ، وتمهيد سبلها ، وإنشاء « محطاتها » على ما كان عليه الحال حين كانت* "سبأ" وانعكس هذا الوضع على حياة البشر بالجزيرة ليخنقها اقتصاديا ، فلا يخرج من ربقته إلا أفراد من كل قبيلة ، إن لم يكن أفراد بين كل عدة قبائل .

وماذا ننتظر من « الطواعية » العمياء لاستعمار ذى قيد ذهبى إلا أن تأتى على آمال الأمة فتذروها مع الرياح .

● كذلك من حقائق هذا العصر البارزة أن « مشيخة » واحدة فى الجزيرة كلها أبت على نفسها أن تكون صنيعة لأية دولة : كبرى كانت أم صغرى ، تلك هى مشيخة مكة ، البلد الحرام . فقد وقفت شامخة أمام هذه الأحداث فلم تنلها فتنتُها ، كما أبت أن تستتشيط لوقيعة تبث فى تاريخها (أياما) كتلك الأيام البائسة التى أكلت غضارة العرب إذ ذاك .

←

كان هَمُّ المشيخة صيانة البيت ، وإعداده لإستقبال القبائل جميعاً على كَرَمٍ سواء متنزهين عن كل خصومة ، آنفين من أية تبعية ، متفضلين على زائرى البيت بما استطاعوا من طعام وشراب ، فعرف العرب لهذا البيت الهاشمى فضله ، وكَنُّواله كل تقدير ، وذلك من فضل إرادة الله لهذا البيت تكريما لدوحته الزكية فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

كان« هاشم بن عبد مناف » على وعى بعصره ، ملم بمشاكل الجزيرة ودارس لها وعالم بحلولها يجتمع ـ إليه فى ذلك كله ـ معرفةٌ بالقبائل ومواطنها ، وطرح الثقة فيما بينه وبينها ، وقد وفر له هذا الأمر الأخير « حج القبائل البيت الحرام » ثم أسفاره المختلفة فيما بينها إلى شخصية الفذة التى جمعت إلى كرم الشمائل أريحية الفضل الجميل .

ونحن إذا استعرضنا حياته بتَقْدِيرَيْها الأحوط والأوسط نجد « فارس » على مدى هذه العقود قد حكمها على التوالى : « بهرام جور » (٤٢١م ـ ٤٣٨م) ، فـ« يزدجرد الثانى » (٤٣٨ ـ ٤٥٧م) فـ « هرمز الثالث » (٤٥٧م ـ ٤٥٩م) ، وفى أثناء ذلك تكون حياة هاشم فى تقديرها الأوسط من عام (٤٣٣م) إلى عام (٤٥٨م) .

وفى التقدير الأحوط فهو معاصر لكل من « فيروز » (٤٥٩ ـ ٤٨٤م) فـ « بلاش » (٤٨٤ ـ ٤٨٨م) فسنتين من حكم « قباد الأول » (٤٨٨ ـ ٥٣١م) ، وجميع ملوك الفترتين من الأسرة الساسانية .

وهذه الفترة تركت بصماتها على فارس فى الدين والاجتماع والسياسة ، فقد تركزت النصرانية لدى بعض مواطنيها إلى جانب الزرادشتية التى توثقت صلتها مع الزمن بتطور المجوسية ، وليس غريباً أن تمتد النصرانية إلى دولة الحيرة التابعة لفارس فيذكـر المؤرخـون بها « ديراً » بنته هند أم عمرو ، يرى بعضهم أنها ابنة الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار ، كذلك تعرضت فارس إبان حكم فيروز لسنوات قحط وجوع تلتها حروب كادت تفقد البلاد استقلالها إلا أنها كانت صامدة إلى حد ما أمام الرومان ، وفى آخر هذه الفترة ، وإبان حكم « قباد الأول » كانت كارثة شملت فارس باعتناق « قباد » للمزدكية ، وهى مذهب « مزدك » المعاصر له الذى نادى بشيوعة النساء والمال فاستحل المحارم والأملاك والمنكرات وأعجب بمذهبه رعاع الناس فكثر السفلة من أتباعه ، وألم بالناس شر مستطير .

على أن هاشما ـ على أى حال لم يمتد به الأجل إبان حكم هذا الملك على أية تقدير .

●● ●● ●●

فإذا خلفنا فارس والحِيرة ، وتوسطنا الجزيرة نجد حكومة "كِنْدَة" ، التى لُقِّبَ حكّامُها بالملوك ، ولم تكن دولة بالمعنى الذى يطرح مفهومه فى أذهاننا : رياسة وسلطة وأمنا ودفاعا ، بل كانت تحالفا جمع عدة قبائل رضيت بزعامة حُجْر بن عمرو .آكل المرّار مَلِكًا فتولى زعامتها لتدفع عن أنفسها شر الفرقة والضياع . ففرق أبناءه زعماء على هذه القبائل ، وانتظمت تلك الدولة بلاد نجد مما يلى الحجاز شرقا ، وامتدت إلى طرف الشام والعراق شمالا ، ومارست شيئا من النفوذ على قبائل من « عمان » جنوبا ولسنا نجد لها تاريخا يمتد من قبل « حجر آكل المرار » وتكاد المراجع تقطع بأنه منشئوها وأنه بدأ حكمه عام (٤٨٠م) تقريبا ، فإذا نحن افترضنا حياة هاشم فى تقديرها المتوسط الذى ينتهى بعام (٤٥٨م) ؛ فهاشم لم يدرك هذه الدولة ، إذ لم يكن لها وجود ، وإنما كانت القبائل مشيخات مستقلة لكل منها عدتها وعاداتها ؛ ولا يكون أدركها إلا إذا كانت حياته هى الفترة (٤٦٥ ـ ٤٩٠م) فيكون أدرك حكم مؤسسها « حجر » فولده « عمرو » الذى عرف بـ« عمرو المقصور » لخموله ، ويعتبر أقوى ملوك هذه الأسرة « الحارث بن عمرو المقصور » الذى يرجح د شوقى ضيف أنه ملك عام ٤٩٠م وهو عام وفاة هاشم فى هذه الفترة الأحوط .

وتعتبر حكومة كندة هذه خاضعة بالولاء لحكومة اليمن فى الجنوب ، ولم تخرج على هذا الولاء إلا حين رأى « الحارث » هذا أن اليمن معرض لهزيمة أمام الحبشة فاعتنق المزدكية وتقرب بها إلى « قباد الأول » فعينه ملكا على الحيرة ، وطرد عنها « المنذر الثالث » ، وهى أحداث لم يدركها هاشم ، ولا تُسَجَّل فى تاريخه ، ولا نرى فيما عاصره هاشم من زمن لتلك الدولة ـ إن كان إلا هذه السنوات العشر المؤسسة التى كان حجر ينظم فيها أمر القبائل دون أثر ما على الجزيرة جميعا .

●● ●● ●●

وننتقل جنوبا فنجد حياة هاشم فى كلا تقديريها تقع إبان حكم الدولة الحِمْيَرِية الثانية (٣٠٠م ـ ٥٢٥م) المعروفة لدى المؤرخين العرب بدولة التتابعة فى اليمن .

كشفت النقوش عن تسعة ملوك لهذه الدولة تبدأ بـ(ملكيكرب) وتنتهى بـ (ذى نواس) أو (ديمانوس) كما عرفه الرومان . وعلى الرغم من هذا الكشف فإنه يعسر ـ حتى الآن ـ تدوين تاريخ مستقل لكل منهم . وكانت الحبشة قد جعلت من اليمن شغلها الشاغل ، ورأتْ قياداتُها وجوبَ احتلال اليمن ، فلم تترك لتلك الدولة هوادة ، فاحتلتها عام (٣٤٠م) وظلت تحكمها حتى عام (٣٧٨م) أى قرابة أربعين عاما حمل ملك الحبشة أثناءها لقب (ملك أكسوم وحِمْيَر وريدان وحبشة[1] وسلح وتهامة) وهذه الغزوة سُبِقَت باثنتين وقعت أولاهما فى القرن الثانى ، والثانية فى القرن الثالث ، وأعقب تلك الحملة الثالثة حملة رابعة أتت بنهاية هذه الدولة ، وزال بها ملك ذى نواس .

وأقوى الملوك التسعة هو (أبو كرب أسعد كامل) الذى حكم الفترة التالية لجلاء الحبشة ، أى من عام (٣٨٥م) ـ إلى عام (٤٢٠م) تقريبا ؛ فقد تمكنت اليمن حينئذ من جمع شملها وتقوية سلطانها وعدتها ، ولم يعاصر هاشم حياة هذا الملك فى أى تقدير .

وقد استغلت الحبشة ، ومن ورائها الدولة البيزنطية ، وجود المسيحية الأولى باليمن لتجعل من أمرها سبيلاً إلى صراعها مع اليمن بدعوى حماية هذه المسيحية مما أوغر صدر الحكام اليمنيين من بعد "أسعد كامل" على النصرانية الأولى ؛ فكان ضيق أفق منهم أن يقيموا أُخْدُوداً لحرق المؤمنين الذين ورد ذكرهم فى (سورة البروج) وكان طمعا من الرومان والحبشة معا فى اليمن أكثر منه بكثير دعوى حماية المسيحيين .

وجزءاً من هذا الصراع هو الذى أدركَ هاشمٌ قبل أن تكون الخاتمة الأليمة لهؤلاء المؤمنين ، وحين كانت القلاقل قد بدأت رويداً رويداً تجتاح اليمن من جراء أطماع بيزنطة والحبشة معا حتى إن دولة كِنْدة صنيعة اليمن بوسط الجزيرة رأت خيراً لها أن تستبدل سيداً من فارس بسيد من اليمن .

وتعنى الأحداث أن اليمن لم يكن الدولة التى يمكن أن يتهيأ لها ، كما تهيأ لها عصر القوة ، أن تعيد مجد الجزيرة الاقتصادى .

●● ●● ●●

وإذا تركنا هذه الدول الصنائع إلى بيزنطة عاصمة الدولة الرومانية الشرقية لنبحث عن الامبراطور أو الأباطرة الذين عاصرهم **هاشم** وكانت له صلة شخصية ببعضهم يستقبل من أجلها فى فى بلاطهم بالتفخيم والإجلال . عاصر هاشم بيزنطة بعد أن أفل نجم الرومانية الغربية بنقل قسطنطين عاصمة الدولة إلى الشرق عام (٣٣٧م) ، وليس يهمنا من أمر هذه الدولة إلا معاصرة هاشم لها إبان فترة حياته ، وقد علمنا شيئا من أحوالها بالنسبة لليمن ، وفارس من قبل ؛ فإذا كانت حياة هاشم هى الفترة (٤٢٣م ـ ٤٥٨م) فقد عاصر من الأباطرة :

« ثيودوسيوس الثانى » جامع القانون الرومانى الذى حكم بيزنطة الفترة (٤٠٨ ـ ٤٥٠م) وهى أطولها فترة فـ « ماركيان » (٤٥٠م ـ ٤٥٧م) ؛ فسنة أو اثنتين من حكم « ليو الأول » (٤٥٧ ـ ٤٧٤م) .

فأما الفترة الأحوط لحياة هاشم (٤٦٥ ـ ٤٩٠م) فيكون معاصراً لـ « ليو الأول » ثم الأمبراطور : « زينون » (٤٧٤م ـ ٤٩١م) .

كانت املاك الرومانية الشرقية عصر هاشم ـ فى أى من الفترتين ـ تشمل بلاد اليونان وآسيا الصغرى ثم ما تاخم الجزيرة شمالاً كسوريا ولبنان وفلسطين والأردن ، ثم مصر غرب الجزيرة .

وفى تلك العقود التى تمثل عصرى هاشم كان نمو الرومانية الشرقية الذى استحكم عصر ثيودوسيوس الثانى ، وما انتهى عصر « ثيودوسيوس » حتى كانت غارات البربر على الأمبراطورية الشرقية فى أوربا ، فقام بالدفاع عنها جيشها من الجند المرتزقة حتى تمكن « ليو الاول » من تحرير بلاده منهم .

ويعتبر هاشم معاصرا فى أحد فترتيه لسقوط روما عام ٤٧٦م وقضاء البربر نهائيا على الامبراطورية الرومانية الغربية .

على أن متاعب الرومانية الشرقية داخليا ، والتى عاصرها هاشم كاملة ـ أو عاصر بدء اشتعالها ـ كانت تتمثل فى الصراع الكنسى الذى اشتدت فيه المنافسة بين كراسى البطارقة فى كل من الاسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية ، والتى راح ضحيتها المؤمنون بالمسيحية الأولى ، وانعقد لها مجامع منها مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ .

وفى كلمة جامعة ذَكَرَ د / جوزيف نسيم يوسف فى كتابه « تاريخ الدولة البيزنطية » طابع تلك الدولة فقال ص ٣١ : « كانت القسطنطينية هى روما الجديدة ، وكانت الدولة البيزنطية هى وريثة الامبراطورية الرومانية القديمة ، وكانت الامبراطورية الرومانية بيروقراطية الصبغة والطابع مركزية الحكم والإدارة » وهو يعنى بذلك البيزنطية أيضا ، قالها صراحة ص ٧ .

على انها لا تقارن بحال بفارس فى هذا العصر سواء فى نظام الملك أو عمق الحضارة ، ومن عجب أن كلتا الدولتين انعكس حالهما على الدولة الصنيعة ، فبينما نجد « الحيرة » صنيعة الفرس على شيء من الحضارة وتسجيل التاريخ نفقد ذلك فى دولة الغساسنة صنيعة الروم ذات التاريخ الغامض الذى لا نستبين منه شيئا إلا ابتداء من عام ٢٣٩م حين يكون هاشم قد استودع الحياة ، وقد أدى أكثر من واجب .

د. علي أحمد الخطيب

---

* الاقراء : اختلاف حركة الروى القافية
** العضل : منع المراة الزواج ظلماً او رجوعها إلى مطلقها إذا أرادا ..
(١) يقصد اللفظ هنا : حضرموت .

المنافقون

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ذكر الله المتقين فى أربع آيات ، وذكر الكافرين فى آيتين ، وذكر المنافقين مُتعددى الأوصاف ، تحذيراً منهم ، ولكثرة تواجدهم فى ثلاث عشرة آية .

والنفاق من أكثر الخصال شيوعاً فى الناس ، وخلاصته : مخالفة الظاهر للباطن والعلانية للخفاء .

وتارةً يأتى فى القرآن بعد وصف أصحابه بالإيمان أوّلًا كما قال تعالى من سورة التوبة :

﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ . الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾ .

وتارة أخرى يصف بالنفاق بعد الإسلام كما قال من سورة التوبة أيضا : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ .

واختلاف التعبير كما رأيت يجدر بنا معه أن نعقد المقارنة بين الإيمان وبين النفاق ، وذلك أن للإنسان وسيلتين يُفصح بهما عما ينطوى عليه كيانه وهما : لسانه وقلبه .

وأحوال القلب : إما علم باعتقاد جازم مطابق للواقع ناشىء عن دليل ، وإما تقليد باعتقاد خالٍ عن الدليل ، وإما بجهل وهو اعتقاد مُخالف للواقع ، وإما بخلو من كل هذا ، فتلك أربع أحوال للقلب .

أما أحوال اللسان فلا تخلو إما عن اعتراف ، أو إنكار ، أو سكوت فتلك ثلاثة فى أربعة فالمجموع اثنتا عشرة حالة ، وكل حالة إما عن اضطرار أو اختيار فتلك أربع وعشرون حالة .

وضبط كل هذا : أن الإيمان موافقة صحيحة من الظاهر والباطن ، وأن الكفر الصريح مُخالفة من الظاهر والباطن للواقع والدليل ، وأن الإكراه على الشىء لا ثواب فيه ولا عقاب عليه ، وينحصر النفاق بين الظاهر والباطن .

والذين نزل فيهم القرآن : إما قوم أعلنوا أنهم مسلمون ، وادعوا الإيمان فقال لهم الله : ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ .

وإما قوم ارتدوا ، حيث أعلنوا إيمانهم ولم تخالط قلوبهم بشاشته فارتدوا .

وأيا ما كان الأمر ، فالإيمان والإسلام إذا اجتمعا فى مكان واحد ، كان لكل منهما معنى ، مثل : ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ .

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

أما إذا تفرقا ، حلّ كلٌ منهما مكان الآخر وكان الإيمان الشرعى هو الإسلام الشرعى ، والإسلام هو الإيمان ، لا فرق بينهما فى لسان الشرع ، فقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ اى المؤمنون والمسلمون وقوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ فالإسلام هو الإيمان .

أما المعانى اللغوية ، فتفرق بينهما ، إذ الايمان : تصديق قلبى ، والإسلام انقياد ظاهرى ، ومالم يوافق الظاهر الباطن فى الدليل والواقع ، فليس ذلك بإيمان شرعى ولا إسلام شرعى .

وأنت ترى من هذه التقسيمات ، وتلك التفريعات ، أن النفاق دركات كما أن الإيمان درجات ، لكن لابد فيه من موافقة الظاهر للباطن .

أما قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ فـ (مِنْ) على أرجح الأقوال تبعيضية ، فليس كل الناس منافقين ، ويجوز فى رأينا أن تكون ابتدائية بمعنى : أن الناس قد فُطروا على الخير والمعانى الإنسانية ، ثم خرج بعضهم عن الفطرة السليمة إلى النفاق ، وقد خُلِقَ الناس حنفاء فاجتالتهم الشياطين .

وكلمة (الناس) تعنى البشر إن كان أصل اشتقاقها الأُنس والظهور ، وتعنى البشر والجن إن كان أصل الاشتقاق النوس وهو سرعة الانتقال على انه لايلزم أن يؤخذ كل اسم من أصل اشتقاقه ، لكن هناك قدر يجب أن يتوافر فيما يُعد إنساناً ، وهو قابليته للانتفاع ، وإلا كان إنساناً فى صورته ، وحقيقته تشبه الانعام كما قال : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

أما (مَنْ) الإسمية فهى صادقة على الواحد ، وعلى الأكثر نظراً لواحدية اللفظ وتعدد المعنى ، وقد لاحظ القرآن اللفظ عندما قال : ﴿ يَقُولُ ﴾ ولاحظ المعنى عندما قال : ﴿ وَمَاهُمْ ﴾ ، وفى القرآن الكريم : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾[٢] وفيه ايضاً : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ، هذا ادعاء المنافقين ولم يَعْدُ أن يكون هذا الادعاء إلا باللسان فقط ، وهم كَذَبَةٌ ، إذ الإيمان بالله يقتضى التسليم له ، والإذعان لكل ما شرع ، ولو على الأقل بالنية والاعتقاد القلبى . أما التقصير فى العمل فذلك شىء آخر ، يؤاخذ عليه الإنسان بقدر تقصيره فيه ، **وادعاء بعض الناس انهم آمنوا بالله على خلاف ما يليق به ، كالتجسيم والتشبيه وتصوير الخالق كالمخلوق ، ادعاء فاسد ، فإنه سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[٤] فمن اين وجدوا له مثالاً ؟ وقد قال سبحانه : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥]**

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة الأنعام .
(٣) سورة يونس .
(٤) سورة الشورى .
(٥) سورة النحل .

المنافقون

ومن خبث هؤلاء انهم ادعوا الإيمان بالله وباليوم الآخر ، ولم يذكروا الإيمان بالرسالة التى ارشدتنا إلى صحيح الإيمان ، ولذا كذبهم الله بقوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وانظر إلى حُسْن التكذيب لهم فى دعواهم ، فهم قالوا : امنا فلم يقل رداً عليهم : (وما آمنوا) مطابقة لدعواهم ، لانه سبحانه اراد نفى إيمانهم نفياً قاطعاً ، كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ﴾ ، فالباء لتوكيد النفى ، فالمنافق فى الحقيقة لم يؤمن بشىء ، لا بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا بشىء سواهما ، وعلينا ان نتدبر هذا النص الكريم لنزداد عمقاً فى فهم معناه ، فالقرآن لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، وهل يؤذى مجتمعاتنا مثل النفاق والمنافقين .

وحسبهم قول الله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ .

والنفس الإنسانية لا تتهالك على اللذة العاجلة إلا إذا اقفرت من المبادىء الباقية ، وخلت من العقيدة الصحيحة التى تقاوم إغراء الساعة ، ومن الإفراط فى الرجاء أن نرجو من الناس جميعاً قداسة الملائكة ، وهم يعيشون فى غمار الفتن والضرورات ، ولكن نطالبهم بالتزام القيم والمبادىء حتى لا تعصف بهم مغريات الحياة التى تريدان تاخذ من دينهم اكثر مما تعطيهم ، ولله در من قال :

نرقـع دنيـانـا بتمـزيق ديننـا
فـلا ديننـا يبقى ولا مـا نـرقـع

وإن تقاليد العقيدة ليست من قبيل الدراسات العلمية التى تعرض على المعمل ، وإنما هى ذخيرة شعورية تصهر الضمير فتعينه على مراس الحياة ، وتلهمه حسن المعاملة ومكارم الاخلاق ، وعناصر الإيمان : تاثير نفسى بليغ يظهر اثره فى نفس صاحبه ، وعقيدة وافية لا تناقض المُحسات .

والإنسان يستقبل الميلاد ، مغمض العينين ، مفتوح الغريزة ، معمور البديهة ، مهدى الجنان . وتلك علامات الخير ، فالخير أصيل ، والشر طارىء يكتسبه الإنسان بسوء اختياره ، والبنية الحية علامتها أن تستجيب للمؤثرات ، وان تعالجها بما يُصلح ويُجدى ، وقد عمل الإسلام بكل وسائله للقضاء على نفاق البشر ما يستطيعون ، فانكر المديح والثناء حتى لا يفتر الممدوح ، والسلوك الحسن لايُمليه العقل ، بل تمليه بداهة إلهية فوق حجم العقول ، وإن سعادة الضمير تُكتسب بثروة الروح لا بثروة المال . ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

وبعد أن كذبهم الله فى دعواهم ، ذكر شيئا من حيلهم ، والشىء الفادح فيه ، انهم لا يشعرون ، ولا يحسون ، إذ ليست المسالة هى معرفة الإنسان بما هو عليه ، إنما العبرة بانطباع ذلك فى كيانه وحسه ، فالمؤمن يرى ذنوبه كانها جبل ينقض عليه ، والفاجر يراها كذباب وقع على فيه ، فقال به ، هكذا وهكذا فطار .

وخداع الله على الحقيقة محال ؛ بل المراد حق الجماعة ، وذكر المؤمنين معه ، تغليظ لسوء ماهم عليه ، فهم يخدعون المؤمنين ، واضاف الله نفسه إليهم ، وهو لا يُخدَع ، إذ هو علام الغيوب ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ .
وكلما غلبت المادة وصفائحها وآلاتها ،

تحسس الإنسان مكان روحه ، وارتد إلى قرارة عواطفه ووجدانه ، ليطمئن على نفسه ، الا يزال إنساناً بعد ، أو هو قد فقد الإنسانية فى كيانه ، وصار مع الصاروخ وأخواته آلة من الآلات ؟ ، وإن الحياة تنطوى على كثير من الأسرار ، وإن العالم نور وظلام وجهر وخفاء ، وأنه يفاجئنا أحيانا بمعان لا تترجم عنها الألفاظ ، ولا غنى فيها عن الإشارة والاستعارة ، أو عن تمثيل الظل بالظل والحجاب بالحجاب .

والمنافق له علامات يُعرَف بها ، وقد وردت بها الأحاديث ، فمنها : إذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر ، وتلك الخصال تفتك بالمجتمعات والأفراد .

ومن الخطأ أن تُلقى المسئولية على المجتمع وحده ، وهل المجتمعات إلا عدد من الأفراد ؟ تكون إنسانيتهم بقدر ماهم عليه من إيمان أو نفاق ، وفى عصرنا الحاضر تحلل من كثير من القيم ، ولا صلاح بغير القيم الراسخة فى الضمائر وبالإيمان الصحيح الذى يأبى على صاحبه أن يكذب أو يخون ، وليس من فضيلة إلا هى قائمة على أنقاض رذيلة ، وقد ابتليت المجتمعات بالمنافقين منذ القدم ، وهم فى حاجة إلى علاج نفسى ، وموقف من المجتمع يرد عليهم حيلهم ، ويكافئوهم بما يستحقون ، وحين يسمح لهؤلاء بالتصدى فهو فى الحقيقة يقضى على نفسه بنفسه ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ .

والعقيدة ضرورة كونية ، وإن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور بأوهام المفكرين فيها ، وإنها لذخيرة من القوة وحوافز للحياة ، تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمده من غيرها ،

أ . د / محمد عبد المنعم القيعى

فتح مكة ومكارم الأخلاق

٢

روى البخارى بسنده قال : حدثنى عبيد بن إسماعيل حدثنا ابو اسامة عن هشام عن أبيه قال : لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً ، خرج ابو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُديل بن ورقاء ، يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ ، فاقبلوا يسيرون حتى أتوا مرّ الظهران ، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال ابو سفيان : ما هذه ؟ لكانها نيران عرفة ؟ فقال بُديل بن ورقاء : نيران بنى عمرو ، فقال أبو سفيان : عمرو اقل من ذلك ، فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فادركوهم فاخذوهم ، فَأتَوْا بهم رسولَ الله ﷺ : فاسلم أبو سفيان .. فلما سار قال للعباس : احبس أبا سفيان عند خَطْم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبى ﷺ : تمر كتيبة كتيبة على ابى سفيان.مرت كتيبة فقال : ياعباس من هذه ؟ فقال : هذه غفار ، قال : مالى ولغفار .

ثم مرت جهينة ، قال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك .

حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة : ياأبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان ، ياعباس حبذا يوم الزمار .

ثم جاءت كتيبة ـ وهى أقل الكتائب ـ فيهم رسول الله ﷺ واصحابه ، وراية النبى ﷺ مع الزبير بن العوام فلما مر رسول الله ﷺ بأبى سفيان قال : ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال : ما قال ؟ قال كذا وكذا فقال : كذب سعد ، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة ، قال : وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون ، قال عروة : وأخبرنى نافع بن جبير بن مطعم قال : سمعت العباس يقول للزبير بن العوم : ياأبا عبدالله ، هاهنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية ؟ قال : وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء ، ودخل النبى ﷺ من كدى فقتل من خيل خالد بن الوليد رضى الله عنه يومئذ رجلان : حبش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهرى .

«رواه البخارى فى كتاب المغازى»

للدكتور رءوف شلبى

المرحلة الثالثة :

(مسرح العمليات)

وهى المرحلة التى يصورهاالحديث الشريف الذى رواه البخارى وذكر فيه طرفاً من وقائعها : ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل بمر الظهران عشاء أمر أصحابه أن يوقدوا النيران فأوقدوا عشرة آلاف نار فأرسلت قريش أبا سفيان يتحسب الأخبار وحددوا سفارته بقولهم : إن لقيت محمداً فخذ لنا منه جواراً إلا أن ترى رقة من أصحابه فآذنه بالحرب تلك فلسفة الكفر دائماً الغدر والخيانة وهى أمور ينفر الإسلام منها،ويحذر من التخلق بأوصابها ، وانضم إلى أبى سفيان حكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء فلما بلغوا الأراك من مر الظهران رأوا الأبنية والعسكر والنيران وسمعوا صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ففزعوا فزعاً شديداً وظلوا يخرصون من هم القوم ؟ أهم بنو كعب أم هوازن .. الخ وضل عنهم افتراض أنه جيش المسلمين فقد حقت عليهم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم :"اللهم خذ على قريش أبصارهم فلا يرونى إلا بغتة ولا يسمعون بى إلا فجْأة » .. وبينما هم يتخرصون ويتجسسون لقومهم إذ بالعباس بن عبد المطلب يباغتهم فقد خرج رضى الله عنه وقد ركب الدُّلدل « بغلة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم » يتعسس للمسلمين فحملهم جميعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أعلن جوارَهم، وطلب إليهم السماح بأن يتشرفوا بالدخول على النبى صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فدخلوا عليه ودعاهم إلى الإسلام فأسلم حكيم وبُديل ، أما أبو سفيان فإنه شهد ألا إله إلا الله ولكنه قال فى :"أشهد أن محمداً رسول الله"إن فى النفس من هذا لشيئاً يسيراً بعد(١٤) ثم أسلم ابو سفيان بعد لأى .

وكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه يعرف أريحية الرجال فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان رجل يحب الشرف فقال صلى الله عليه وسلم : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن،وامر الا يُجهز على جريح ولا يتبع مدبر ومن كف يده وأغلق بابه فهو آمن .

وعند المقريزى أن الذى طلب هذا الشرف لأبى سفيان هو العباس

وهذه الوقائع لم يشر إليها حديث البحارى وإنما ذكرها المصنف لأبى شيبة جـ ١٤ وذكرها الإمام مسلم فى كتاب الجهاد والسير .

لقد كان إسلام أبى سفيان نتيجة لتلك الظاهرة الرضية التى رآها من الصحابة رضوان الله عليهم وهم يبتدرون وضوء النبى صلى الله عليه وسلم فقال:ما رأيت ملكاً كهذا قط : لاملك كسرى ولا ملك بنى الأصفر . فقال العباس ويحك آمِنْ قال : أدخلنى على النبى صلى الله عليه وسلم ياأبا الفضل ؟ فأدخله العباس فقال يامحمد استنصرت إلهى واستنصرت إلهك فلا والله ما لقيتك من مرة إلا ظفرت علىّ فلو كان

---

١٤ ـ الواقدى جـ ١ ص ٨١٥ تعدد الروايات فيمن حمل ابا سفيان ولا تناقض بينها فيمكن حملها على مراحل راجع فتح البارى جـ ٨ ص ٧ راجع المصنف جـ ١٤ ص ٤٧٤/٤٧٥ .

إلهى محقاً وإلهك مبطلاً غلبتك فشهد أبو سفيان أن محمداً رسول الله [15] ثم رُئى استبقاء أبى سفيان فى عسكر المسلمين حتى غداة دخول مكة وأمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقف أبو سفيان على انف الجبل حتى ينظر المسلمين وكتائبهم وجعلت الكتائب تدخل واحدة واحدة براياتها وألويتها، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال، وأمر أن يدخل الزبير بن العوام من "كُدى" جبل كجبل كَداء [16] وأمر خالد ابن الوليد أن يدخل من اللبط [17] وهذه الرواية واحدة مما جاءت فى هذه المسألة على ما ذكره العلماء فى رواياتهم، وقد ذكر أبو شيبة فى المصنف : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف بالحَجُون بأعلى مكة وبعث الزبير بن العوام فى الخيل فى أعلى الوادى، وبعث خالد بن الوليد فى الخيل أسفل الوادى، ويمكن اعتبار رواية البخارى هذه واحدة من كثير من الروايات التى تعددت نظراً لظروف اختلاف الرؤية يوم فتح مكة، فقد كانت الرؤية حسب وجود الرائى والزحمة كانت كثيفة فلا تعارض بين الروايات وإنما تعدد الروايات حصل لتعدد أماكن رؤية الراوى ولا غبار على رواية البخارى [18] .

ولما مرت القبائل والكتائب على أبى سفيان وجعل يتفحصها : هذه لا تهمه وتلك يقول لها : « وما لى بها » حتى جاءت خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بسر بن سفيان فقال أبو سفيان : من هؤلاء قال العباس : إنهم بنو كعب قال : هم هؤلاء حلفاء محمد فلما حاذوه كبروا ثلاثاً .. ثم مرت مزينة فى ألف فيها ثلاثة ألوية .. فلما حاذوه كبروا ..

ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثى فلما حاذَوْه كبروا ثلاثاً فقال: من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر قال : نعم، أهل شؤم والله، الذين غزانا محمد بسببهم فقال له العباس : قد خار الله لك فى غزو محمد صلى الله عليه وسلم ودخلتم فى الإسلام كافة وجعل الموكب يترى وأبو سفيان يتعجل ركب النبى صلى الله عليه وسلم ويقول : ما مضى بعد محمد ..؟ قال العباس : لم يمض بعد . فلما طلعت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخضراء فقال العباس: هذا رسول الله فى كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار فيها الرايات والألوية. ويقال: إن فى الكتيبة ألف دارع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى الراية لسعد بن عبادة وهو أمام الكتيبة فلما مر سعد ومعه راية النبى عليه الصلاة والسلام قال لأبى سفيان : اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة اليوم أذلَّ الله قريشاً، فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم نادى أبو سفيان : يارسول الله أمرت بقتل قومك، زعم سعد ومن معه حين مر بنا وإنى أنشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس، وأرحم الناس وأوصل الناس، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشاً قالوا : وأرسل إلى سعد ليجعل اللواء إلى قيس ولده .

أقول وليس فى رواية الواقدى ولا أبو شيبة فى

---

١٥ ـ المغازى جـ ٢ ص ٨١٦ .

١٦ ـ الكداء جبل والكدى جبل مثله ـ راجع الحلبية جـ ٣ ص ٨٥ راجع اخبار مكة للفاكهى جـ ٤ ص ١٢٨ راجع الإمتاع جـ ١ ص ٣٧٧

١٧ ـ اللبط موضع أسفل مكة .

١٨ ـ راجع فتح البارى جـ ٨ ص ١٠

المصنف لفظ « كذب سعد » التى وردت فى رواية البخارى على ان اللفظ ليس محمولاً على حقيقته من عدم مطابقة النسبة الكلامية للواقع ، بل المراد من كلمة (كذب) أخطأ خطأ تقدير لمجريات الامور مستقبلاً بمعنى ان سعد أخبر عن امر لن يقع مستقبلاً وليس الكذب على معناه المعروف من عدم صحة النسبة الكلامية للواقع ، أقول ولعلها من زيادات الراوى أو من مدرجات اهل الرواية فإنها لم ترد عند مسلم ولا فى كتاب المغازى ولا فى مصنف أبى شيبة الذى يُعنى بسرد الحوادث ..

وقد روى عن أبى سفيان بعد أن شاهد هذا العرض الطويل القوى لكتائب الجهاد ورايات الإسلام وتكبيرات المؤمنين وهى تتردد فى جنبات الوادى قال : لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً .

فقال له العباس : ياأبا سفيان ليس بملك ، ولكنه نبوة قال : فنعر : يعنى صاح وصوت من خيشومه فقال له العباس : أنْجُ ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم، فراح أبو سفيان ينادى : يامعشر قريش، ويحكم إنه قد جاء ما لا قبل لكم به، هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد فاسلموا تسلموا. وهند من خلفه تستعدى عليه أهل مكة تقول : اقتلوه ..

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو قد اجتمعوا أسفل مكة ومعهم الاحابيش يحلفون بالله لا يدخلها محمد عنوة أبداً، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية "أذاخر" نظر إلى البارقة : وهى السيوف التى تلمع سأل : ما هذه البارقة ؟ ألم أنه عن القتال ؟ فأجيب بأن خالد بن الوليد قد قوتل ولو لم يُقاتَل ما قاتل فقال صلى الله عليه وسلم : قضى الله خيراً .

وهنا نسأل التاريخ القديم والحديث: أى قائد عسكرى دخل العاصمة التى كانت تبعث عليه الحروب بشتى صنوفها العسكرية والإعلامية والنفسية والاقتصادية ثم يدخلها وقد أمر بعدم القتال فيها ؟

إن الدول الحديثة تلفق تهماً لبعض الدول لكى تبرر اعتداءها عليها ، أما فى الإسلام فلا تعرف الدول الإسلامية هذا الأسلوب القبيح البغيض .

ومن تفكه المقال فى أحداث فتح مكة أن بعضاً من فرسان قريش كان قد وعد زوجته بخادم يؤسر من المسلمين، وكان واحداً من جنود معركة اللبط « كدى » فى موقعة الخندمة فلما انهزم الجيش راح يعدو إلى بيته وهو يهذى بشعر يبرر لزوجته خلف وعده إياها .

إنك لو شهدتنا بالخندمة
إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد كالعجوز المؤتمة
لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمة
وضربتنا بالسيوف المسلمة
لهم زئير خلفنا وهمهمة [19]

معايير لمكارم الأخلاق :

إن حدث فتح مكة حدث جلل يقدم للأمة مجداً

←

١٩ ـ الواقدى جـ ٢ ص ٨٢٧/٨٢٨ فتح البارى جـ ٨ ص ١١ مع اختلاف فى رواية الشعر راجع إمتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٧٩ وفيه شعر كشعر فتح البارى .

لمعايير مكارم الأخلاق التى أرساها الإسلام الحنيف فى لحظات العسرة والحرب فهاهى المدينة المتأبية على الحق تخضع لجلال الله ويدخل قائد الجيش ورئيس الدولة وهو راكع على ناقته،يقول الواقدى : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ،وعليه عمامة سوداء،ورايته سوداء،ولواؤه أسود ، حتى وقف بذى طوى وتوسط الناس،وأن عُثنونه ليمس واسطة الرحل أو يقرب منه تواضعاً لله تعالى ثم يقول : « العيش عيش الآخرة » فلا خيلاء ولا استعلاء ، ولا تجبر ، ويكفى أن التاريخ يثبت أن المسلمين لما كبروا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجت مكة تكبيراً ..

وعندما جاءته قريش طوعاً وكرهاً على السواء وقالوا : يارسول الله اصنع بنا صنع اخ كريم فقال : أنتم الطلقاء وقال : مثلى[٢٠] ومثلكم كما قال يوسف لإخوته ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ثم اجتمعوا على مبايعته فبايعوا على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا فقال : « لا هجرة بعد فتح » ولم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لتصفية حسابات كما يفعل الفاتحون والثوار المغاوير ولا بحث عن داره وأملاك أهله بل عندما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا تنزل منزلك من الشعب ؟ فقال:وهل ترك لنا عقيل منزلاً[٢١] .

وعندما استجار حَمَوَا أم هانىء وهما : عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ، والحارث بن هشام ، وكان على بن أبى طالب أخوها يتتبعهما ليقتلهما فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظ لها جوارها وقال : قد أمنا من أمنت وأجرنا من أجرت.وأقاما عندها يومين .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو عثمان بن طلحة إلى الإسلام وكان لا يرغب فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعوه يوماً ومعه مفتاح الكعبة لعلك سترى هذا المفتاح بيدى اضعه حيث شئت . فقال عثمان : لقد هلكت إذاً قريش وذلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:بل عمرت وعزت يومئذ[٢٢]فلما كان يوم الفتح لم يكن يوم شماتة كما يفعل سياسيو العصر الحديث بل والقديم ، ولكنه كان يوم وفاء للقيم وعزة للكعبة وصدق للنبوة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن طلحة وسلمه مفتاح الكعبة وقال قولة خالدة : خذوها يابنى أبى طلحة تالدة خالدة لا ينتزعها إلا ظالم . فلم يعد فى حسبان واحد من المسلمين أن يكون سادنا للبيت سوى بنى شيبة ، وعليه فالمناداة بتدويل الحرمين ظلم عظيم وجهل كبير وضلالة عمياء .

ولقد عفا رسول الله صلى الله عليه عن هند أكلة كبد حمزة ، وعن هبار بن الأسود الذى آذى السيدة زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم كما عفا عن عكرمة وصفوان وعبد الله بن أبى سرح كاتب الوحى الذى ارتد ثم تاب وندم .

ومن مكارم الأخلاق تَطَهُّرُ الجماعة الإسلامية من مجرمى الأخلاق والحرب فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بضرب عنق عبد الله بن خطل

٢٠ ـ ٢١ ـ إمتاع الأسماع جـ ١ ص ٣٨١/٣٨٤ الواقدى جـ ١ ص ٨٢٩ .
٢٢ ـ يريد : قائداً لسَرِيَّة .

حتى ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ذلك لأنه رجل مرتد وخائن ، فقد أسلم وهاجر إلى المدينة وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم سارياً(٢٣) ومعه رجل من خزاعة فقتله ثم ارتد عن الإسلام وساق ما أخذه من الصدقة،وكانت له قَيْنَتَان : فرتا وأرنب وكانتا فاسقتين وكان رجلاً شاعراً يقول الشعر يهجو به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمرهما أن تغنيانه ، فهل مكارم الأخلاق تبقى على مثل هذا الرجل ؟ لذلك ضربت رقبته وهو معلق بأستار الكعبة بين الركن والمقام فإنه لا ينبغى لمثل هذا أن يحيا فى مجتمع الإسلام الطاهر .

ومن مثله مقيس بن صبابة وجريمته أن أخاه كان قد أسلم وشهد غزوة المريسيع فقتله رجل من بنى عمرو خطأ فظن أنه من المشركين فقضى له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية على بنى عمرو بن عوف فأخذها مقيس ثم أسلم ثم عدا على قاتل أخيه فقتله وارتد وهرب كافراً .

ومن خاتمة معايير الأخلاق التى تبوء بها أحْداث فتح مكة ذلكم الحدث العجيب وهو أن عبد الله بن أبى سرح لما ارتد ورجع إلى مكة كان لعبد الدار غلام يدعى : جبرا ، وكان شاباً يهودياً آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى مكة عندما سمعه يقرأ سورة يوسف ، وكان ذلك السر لا يعرفه إلا عبد الله بن أبى سرح فأخبر به قريشاً فجعلوا يعذبونه حتى كان الفتح الأكبر وجاء جبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما لقى فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنه وأعتقه ونكح امرأة لها شرف .

فهل لشبابنا الإسلامى المعاصر أن يعى تلك المعايير وهذه الخصائص للإسلام الحنيف ؟؟

هذا وبالله التوفيق ..

قضية من يوجسلافيا

ماذا يجرى فى كوسوفو الإسلامية؟!

٢

ملخص ما نشر فى العدد السابق :

١ ـ الصِّرْب هم الذين اشعلوا قنبلة الحرب العالمية الأولى بقتلهم ولى عهد النمسا .

٢ ـ إقليم « كوسوفو » والاقاليم المجاورة ارض البانية باتفاق المؤرخين الذين اثبتوا ان الشعب الالبانى اول من وطىء قدمه ارض البلقان .

٣ ـ الأقلية الصربية فى « كوسوفو » هم احفاد الصربيين الذين وظفتهم الدولة العثمانية وعملوا بهذه المنطقة . وبعد المعاش لم يعودوا إلى بلادهم .

٤ ـ عداوة الصرب للالبانيين قديمة بدءاً بنزوحهم إلى البلقان ونهاية بوقوف المسلمين الالبانيين لهم بالمرصاد ومنعهم من التعرض للدولة العثمانية .

٥ ـ فكرة الاتحاد اليوغوسلافى نشأت بين قيادات قوات المقاومة ضد النازى على ان يدير كل شعب شئونه طبقاً للغاته وامجاده .

٦ ـ لم تنشأ جمهورية « كوسوفو » السابعة طبقاً لقرار رفاق السلاح لعدم وجود المقومات اللازمة لذلك .

٧ ـ فى مدى عشرين عاماً استكملت « كوسوفو » المقومات اللازمة لإنشاء الجمهورية .

٨ ـ فى اوائل الثمانينيات فاهشعب « كوسوفو » يطالب بحقه فى إنشاء جمهوريته لكن جمهورية الصرب استخدمت اقسى الوسائل لإسكات صوت الشعب فاستشهد مئات من الطلاب والعمال والفلاحين .

وردت بالسطر الرابع ـ العمود الايسر ص ٩٩١ عبارة : رابس يفوتنا أن أمور الإدارة بيد الصرب . وتوضيحاً لهذه العبارة تقول : إن المقصود أن مناحى الميزان الخاصة فى جمهورية الصرب التى ترتبط بها كوسوفو .

لفضيلة الشيخ
توفيق إسلام يحيى

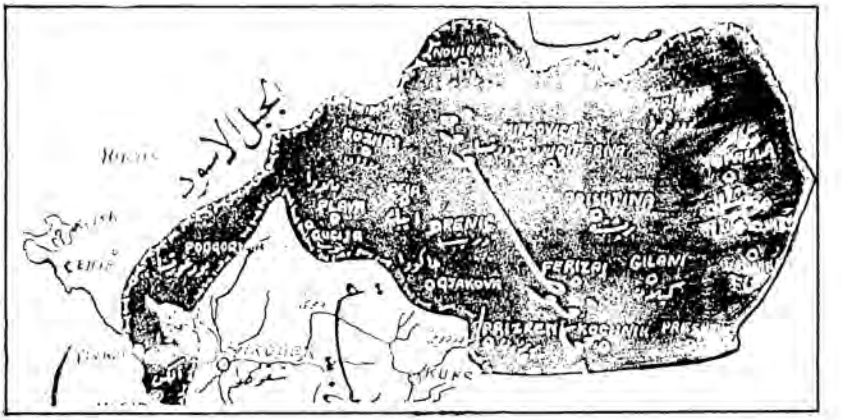

محاولة زعيم الصرب تعديل الدستور

كان تصويت أغلبية أعضاء المؤتمر ضد محاولات زعيم الصرب ومؤامراته صدمة له(١) ، أفقدته التؤدة ، فأقدم على عمل لم يتدبر عواقبه ؛ فأقال زعماء «كوسوفو» الذين دافعوا عن الإقليم أمام المؤتمر ، ثم اعتقلهم بحجة أنهم هم الذين يثيرون الشعب ويطالبونه بالقيام بالمظاهرات والاضرابات . وقدمهم للتحقيق تمهيدا لمحاكمتهم بتهمة الخيانة العظمى وعقوبتها الإعدام(٢) .

عين زعيم الصرب زعماء ألبانيين آخرين ممالئين له بدل الذين أقالهم ، قام الطلاب والعمال والشعب بالمظاهرات والإضرابات والاعتصام مطالبين بعودة الزعماء الذين أقيلوا إلى مناصبهم ، مطالبين الزعماء الجدد بتقديم استقالاتهم ؛ لأن الشعب لا يطمئن إليهم . وتحت ضغط الشعب اضطروا إلى تقديم استقالاتهم ، وأشارت وكالة رويتر - يومها - إلى أن هذه الاستقالات قد ترفضها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصربى وهو الأمر الذى سيؤدى إلى تصاعد احتجاجات الألبان ، وقد صدقت نبوءة الوكالة(٣) .

ألقى زعيم الصرب بقنبلة أخرى وهى محاولة تعديل الدستور لتقليل سلطة الحكم الذاتى فى «كوسوفو» ؛ فكان لهذه القنبلة الجديدة التى فجرّها زعيم الصرب أثر سيء فى نفوس الأغلبية الألبانية عامة فزاد فعلا - كما تنبأت وكالة رويتر - تصاعد الاحتجاجات ، وأُعلن الاضرابُ العام الذى شمل الآلاف من عمال المناجم والمصالح وطلبة المدارس والجامعة . وبدأ نحو (١٢٠٠) من عمال المناجم إضرابهم عن العمل معتصمين داخل منجمهم على عمق ألف متر تحت الأرض مصممين على عدم الخروج من المنجم إلا بعد

←

١ - راجع العدد السابق من مجلة الأزهر
٢ - راجع الأهرام الصادرة يوم ٧ من مارس سنة ١٩٨٩ .
٣ - راجع الأهرام الصادرة يوم ٢ من مارس سنة ١٩٨٩ .

قبول استقالات الزعماء المعينين الجدد ، وإعادة الزعماء الذين أقيلوا إلى مناصبهم ، لأنهم هم الممثلون الحقيقيون للشعب ، وإلا بعد العدول عن تعديل الدستور .

هكذا زادت الحالة سوءا على سوء وانتشرت الاضطرابات فى طول البلاد وعرضها ، وظن زعماء الصرب أنهم قادرون على قمع الاضرابات والمظاهرات بالقوة المسلحة فأرسلوا إلى «كوسوفو» كتائب كثيرة من الجيش الصربى مسلحة بالدبابات والمدافع والطائرات القاذفة وطائرات الهليكوبتر وغيرها من الأسلحة الحديثة ، لكن هذه القوات الحربية بدباباتها وطائراتها عجزت عن حمل المعتصمين على مغادرة مناجمهم مما أحدث قلقاً شديداً بين زعماء الاتحاد لدرجة أن رئيس الاتحاد «رائف ديزداروفيتش» حضر بنفسه إلى «كوسوفو» كما حضر رئيس الحزب الشيوعى الاتحادى ، ورئيس الحزب الشيوعى الصربى نفسه ـ وهو مدبر هذه المؤامرات(٤) ـ واتصلوا بالمعتصمين والمضربين محاولين حملهم على العدول عن الاعتصام ، ووعدوهم بالعمل على إعادة الأمور إلى نصابها ، لكنهم رفضوا ـ فى عزة وإباء ـ العدول عن اعتصامهم(٥) إلا بعد إعادة الزعماء الحقيقيين الممثلين للشعب إلى مناصبهم ، والعدول عن تعديل الدستور وإحراق ملف هذه المؤامرات إلى الأبد ، وإلا فإنهم سيبقون معتصمين مضربين داخل منجمهم إلى أن يلقوا الله «عز وجل» مسجلين على زعماء الصرب مهزلتهم البشرية إلى قيام الساعة .

اهتمام صحافة العالم بأزمة «كوسوفو»

تفاقمت أزمة «كوسوفو» واهتمت صحافة العالم بها . واستمرت على نشر أخبارها ، وحاولت التوصل إلى توقعاتها وما يمكن أن ينتج منها .

هذه الصحافة لم تكن تقتصر على ذكر الوقائع الحاصلة مجردة . بل كانت تبحث عن أسبابها ودوافعها ، وأيَّدت حقوق الأغلبية الألبانية فى إقليمهم «كوسوفو» . أما الصحافة العربية فلم تكتب عنها إلا أخباراً متقطعة بين وقت وآخر دون محاولة للبحث عن أسبابها ودوافعها ، وما يمكن أن تؤدى إليه إذا زاد تصاعدها ، وتحليل موقف الطرفين تحليلاً دقيقاً لإعطاء القارىء فكرة صحيحة عما هو حاصل هناك .

لم أطلع فى الصحافة العربية على تحليل دقيق لأزمة «كوسوفو» ، أو دراسة لبحث دوافعها الخفية وذكر خلفياتها ، وبيان أن تمادى زعماء الصرب فى محاولاتهم هذه قد يؤدى إلى أخطار جسام لا فى نفس المنطقة فحسب ، بل ربما تتعداها . نعم ، لم أطلع على تحليل قام به صحافى اللهم إلا التحليل المختصر الذى نشرته جريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٨٩/٣/٦ .

صحافة العالم ـ كما هى عادتها ـ والت ولا تزال توالى نشر أخبار أزمة «كوسوفو» بجميع خلفياتها مما كان له أثر عميق فى نفوس الذين

---

٤ ـ راجع الأهرام الصادرة يوم ٢٦ من فبراير سنة ١٩٨٩ .

٥ ـ كان المعتصمون على حق حينما لم يستجيبوا لهؤلاء الزعماء ، ليقينهم أنهم غير صادقين فيما يعدون بدليل أن الحزب الشيوعى الصربى رفض قبول استقالات الزعماء الجدد الموالين لهم ، وأن (برلمانهم) وافق على تعديل الدستور ، والقوات الصربية المسلحة المنتشرة فى المدن والقرى أحكمت قبضتها على ممثلى برلمان «كوسوفو» بواسطة هؤلاء الزعماء الجدد الموالين لهم فوافقوا مكرهين على تعديل الدستور الذى يخول الصرب الإشراف على الشرطة والقضاء والدفاع المدنى واختيار كبار الموظفين ؛ لكن الرواية لم تتم بعد فصولا .

يدافعون عن حقوق الإنسان حيث تألفت لجان كثيرة فى فرنسا وبلجيكا وبلاد اسكندناوة وأمريكا وغيرها لتأييد الأغلبية الألبانية ، وتطالب زعماء الصرب بالكف عما هم فاعلون .

فى أمريكا ذهب أعضاء هذه اللجان التى تشكلت للدفاع عن حقوق الأغلبية الألبانية إلى الكونجرس الأمريكى ، وقدموا احتجاجاتهم ضد مؤامرة الصرب ، وبينوا لأعضاء الكونجرس أن حقوق الأغلبية الألبانية واضحة ، والتعرض لها لا يتفق مع العدالة ، والتدخل سلميا لإيقاف ما هو حادث هناك مطلوب وبسرعة ، وطلبوا من أعضاء الكونجرس عرض هذا الأمر على الرئيس «بوش» ، وذكرت الجرائد أن الرئيس «بوش» قام بمساعيه الحميدة لتلافى هذه الأزمة ، وعودة الأمور إلى نصابها ، كما ذكرت الجرائد والإذاعات الخارجية أن كثيراً من الهيئات والمنظمات فى فرنسا وبلجيكا واستراليا وغيرها طالبت بمثل ذلك .

الجانى يترك وراءه ما يرشد إليه

هذا المثل السائر مأخوذ بصدق من واقع الحياة . وذلك أن زعيم الصرب يحاول اتهام الأغلبية الألبانية الإسلامية منذ سنة تقريباً بأنها تضطهد الأقلية الصربية . ولما ضاقت أمامه السبل ، وانكشفت الحيل . صرح بنفسه للصحفيين بما هو كامن فى قرارة نفسه حين رد على سؤالهم له : «إن ما تدعو إليه يتنافى مع المبادىء التى وضعها «تيتو» للمحافظة على الوحدة والاتحاد ، وتمكين الشعوب من التمتع بحقوقها» فرد عليهم قائلا : (فليذهب «تيتو» بمبادئه ، ولتعد أرضنا «كوسوفو» إلينا) . فكان رده هذا اعترافا منه بأنه هو الذى يدبر المؤامرات ضد الأغلبية الألبانية ، وهو الذى يطلب من الأقلية الصربية أن يتهموا الأغلبية الألبانية ظلما وعدوانا بأنها تضطهدهم . والحقيقة عكس ذلك تماما .

إن رد زعيم الصرب بدون تحفظ لدليل قاطع على توتر أعصاب زعماء الصرب لدرجة أن أغراضهم الدفينة فى نفوسهم تصدر عنهم وتنكشف بطريقة لا إرادية ولا يتنبهون إلى ما يقولون . حتى الدبلوماسيون الصرب حينما يدلون ببيانات رسمية حول موضوعات عامة لا علاقة لها بـ«كوسوفو» لا من قريب ولا من بعيد يدخلون «كوسوفو» فى نفس البيانات[٦] .

قطعت جهينة قول كل خطيب

هذا المثل أيضاً يبين حقيقة زعماء الصرب ، ويكشف عن دفائن أغراضهم . فقد نشرت جريدة الأهرام الصادرة يوم ٨٩/٣/٩ تحت عنوان[٧] : «احتدام الصراع فى يوغوسلافيا» زعماء الصرب يحرضون على الإطاحة بالقيادات الحزبية فى الجمهوريات الشمالية . والمقصود بها جمهورية سلوفينا وكرواتيا وبوسنة . وذكرت الأهرام نقلا عن وكالة ببلجراد : إن زعيماً صربياً ٩
يدعى «ميروسلاف سوليفيتش» يرأس لجنة غير

←

٦ ـ مثال ذلك ما ذكرته جريدة الجمهورية الصادرة يوم ٨٩/٣/١١ : عن المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية اليوغوسلافية الذى صرح قائلا : إن بلاده ترى أن اجتماع (فيينا) ومؤتمر التعاون والأمن الأوروبى الخاص بتخفيض الأسلحة التقليدية بداية طيبة . ثم أضاف : «إن تدخل ألبانيا فى شئون «كوسوفو» يتعارض مع حسن الجوار» وأنا لا أدرى ما العلاقة بين الإشادة بمؤتمر التعاون والأمن الأوروبى .. الخ وبين تدخل ألبانيا فى شئون «كوسوفو» هذا التدخل الذى يرد ذكره كثيرا على ألسنة الصرب ، ونفته دوائر ألبانيا الرسمية مراراً وتكراراً ، لكن الأعصاب المتوترة تمنع وصول هذا النفى إلى الأذهان .

٧ ـ ذكرت جريدة الأهرام بالتفصيل ما يعنيه العنوان المذكور فقالت : «وسط حالة الصراع المحتدم بين الجمهوريات اليوغوسلافية توقع أحد الزعماء النشطين فى جمهورية الصرب أن تعم يوغوسلافيا موجة من مظاهرات الاحتجاج الشعبية للإطاحة بقيادات الحزب فى جمهورية بوسنة وكرواتيا وسلوفينا .

قضيــة مـن يوغســلافيا

رسمية فى «كوسوفو» صرح «إن مجموعته تمكنت من تنظيم أكثر من مائة مسيرة شعبية ـ صربية ـ خلال العام الماضى للدعوة من أجل منح الصرب المزيد من النفوذ فى مراكز السلطة . والخطوة القادمة فى حملته ستكون جمهورية «بوسنه» ثم جمهوريتى «كرواتيا» و«سلوفينيا» .

حقا لقد (قطعت جهينة قول كل خطيب) فهاهو أحد زعماء الصرب يصرح علنا بأنهم هم الذين يدبرون المؤامرات وينظمون المسيرات بقصد تمكنهم من السيطرة على السلطة . ثم يتهمون غيرهم باضطهادهم لهم .

بعد هذا أليس من حق الأغلبية الألبانية المسلمة أن تدفع عن نفسها هذه التهمة الباطلة . وتدافع عن حقوقها بكل ما تملك ، وتنضم إليها الهيئات العامة العالمية لتأييدهم ، ودعم موقفهم إلى أن يعود الصرب إلى رشدهم . فليس بغريب إذاً أن تستعين الهيئات فى أمريكا بأعضاء الكونجرس لحمل الرئيس «بوش» على الاتصال بزعماء الصرب منعا لوقوع كارثة كبرى هدد بوقوعها زعماء الجمهوريات الثلاث حينما ردوا على زعماء الصرب : «إن ما يحاولون ـ القيام به ـ وهو الإطاحة بالقيادات الحزبية فى الجمهوريات الشمالية ـ أمر فى منتهى الخطورة ؛ لأنه يهدد الوحدة والاتحاد ، ويعرض الأمن العام للخطر ، لأن مسيراتهم هذه سوف تؤدى إلى تمزيق الاتحاد ، وإحداث الفتنة فى البلاد» .

والقارىء يفهم ـ بعد هذا التوضيح ـ أنى قصدت التلميح إلى أن مؤامرات الصرب هذه قد تؤدى إلى إشعال فتيلة الحرب العالمية الثالثة كما أدى قتلهم ولى عهد النمسا فى سراييفو يوم ٢٨ يونية سنة ١٩١٤ إلى إشعال فتيلة الحرب العالمية الأولى (٨) .

الأزمة مستمرة والأحداث تتوالى

نعم . الأزمة تتصاعد ، والأحداث تتوالى ، واعتداء القوات الصربية المسلحة البرية والجوية واعتقال كثير من أفراد الشعب الألبانى فى ازدياد ، بل الأقلية الصربية تشترك مع القوات المسلحة فى محاولة قمع الإضرابات والمظاهرات حيث ذكرت جريدة الأهرام الصادرة يوم ٨٩/٣/١ قيام ٨٠٠ عضو من الأقلية الصربية فى الإقليم باحتلال منجم للزنك للاحتجاج على استقالات الزعماء ـ تحت ضغط شعب «كوسوفو» عليهم هؤلاء الزعماء الذين عينتهم اللجنة الشيوعية الصربية بدل الزعماء الحقيقيين الممثلين للشعب الذين أقالتهم اللجنة المذكورة .

وبدأ الصربيون يقتالون الألبانيين أيضاً ، فقد ذكرت جريدة الأهرام الصادرة يوم ٨٩/٣/٣ تحت عنوان : (**فى أكبر استعراض للقوة فى «كوسوفو»**) : «تصعيد خطير للموقف بيوغوسلافيا بعد مصرع أول ضحيتين للصراع واتهام دعاة الانفصال بالتخطيط لتمرد عسكرى والخضوع لمخابرات ألبانيا» ثم ذكرت الجريدة نقلا عن التليفزيون اليوغوسلافى : «أن مسلحاً صربياً قتل سيدة وابنها من أصل ألبانى فى مدينة «قراجور جفيك» أثناء اقتحامه لمتجر لبيع الحلوى تملكه الضحيتان اللتان تعدان أول قتيلتين للصراع بين القوتين منذ بدايته فى عام ١٩٨١ م وأشار التليفزيون إلى أن القاتل اعتقل ، ويخضع لاختبارات على قواه العقلية والنفسية تماماً كما فعل المسئولون الصهيونيون بالذى اعتدى على

٨ ـ راجع العدد السابق من مجلة الأزهر ص ٩٨٦ ، ص ٩٩١ .

المسجد الأقصى بإيعاز منهم ثم عرضوه على لجنة لاختبار قواه العقلية والنفسية . وعقبت الجريدة على هذا بقولها : إن الحادث أدى إلى تصعيد التوتر فى إقليم «كوسوفو» . وأن هذا التصعيد يأتى فى الوقت الذى وجه فيه أحد زعماء الصرب اتهاما صريحاً للأغلبية الألبانية بخضوعها لنفوذ المخابرات الألبانية ، وادعى هذا الزعيم الصربى أن السلطات حصلت على وثيقة تحمل توقيعات لبعض دعاة الانفصال بأسمائهم الوهمية تثبت أنهم يخططون للقيام بتمرد عسكرى مسلح يستهدف أمن يوغوسلافيا .

ياللعجب ، إن هذا الزعيم ادعى اتهاما ، ثم أتى بدليل عليه ، وأعقبه بعد ذلك بما يبطل الدليل نفسه حيث ذكر أن الأسماء وهمية فهل بعد ذلك دلالة قاطعة على تلفيق ما يقول ؟!.

لقد ذكرنى ادعاؤه هذا الذى لا أصل له بادعاء مدعٍ عسكرى صربى فى محكمة عسكرية - ببلجراد - بعد الحرب العالمية الثانية حيث قدم الشيوعيون أمامها عالماً أزهرياً فاضلاً هو الشهيد الشيخ «شعيب عبدالعزيز» خريج كلية الشريعة سنة ١٩٣٩ م . وكان الشهيد - قبل تخرجه بسنة - قد أدى فريضة الحج مع البعثة الأزهرية ، فاتهمه المدعى العسكرى الصربى بأنه اشترك فى مؤتمر انعقد فى السعودية «بقصد نهب الشرق الأوسط ولإحداث فتنة فى البلاد» ومن عجب أن الجريدة الرسمية «بوليتكا» الصادرة فى بلجراد يوم ١٩٤٨/١/٢٤ نشرت يومها هذه التهمة الخيالية ، ونفذ فى الشهيد حكم الإعدام شنقا .

إن بذل المساعى الحميدة بين الدول لا يعتبر تدخلا فى الشئون الداخلية خلافا لما يعتقده البعض . بل ذلك أمر تفرضه الصداقة الخالصة بين الأفراد وبين الدول . ولقاءات السادة رؤساء الدول لإجراء المشاورات ، وتداول الآراء هى نفسها المساعى الحميدة لاختيار أفضل الطرق لحل المشاكل .

وإنى آمل أن يكون المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى المملكة العربية السعودية فى شهر مارس الماضى ، وحضره أكثر من أربعين وزيراً ، وكان من ضمن الموضوعات المطروحة للبحث أحوال الأقليات الإسلامية - آمل أن يكون هذا المؤتمر قد اهتم بما يجرى فى «كوسوفو» الإسلامى ، وما يدبر ضد مليونين من المسلمين الألبانيين ، وأن يكون قد اتخذ لاحتواء هذه الأزمة الحادة - التى تهدد الأمن العام فى المنطقة بل فى العالم - إجراءات سلمية مع المسئولين فى يوغوسلافيا ليعيش الصرب إخوة متحابين مع جميع الشعوب ، ومنها الشعب الألبانى المسلم فى إقليمه «كوسوفو» ؟

الإسلام في جنوب أفريقية

٣

ميدان التنافس بين التبشير والإسلام هو مقاطعات الزنوج ، وكما قلت من قبل : للمبشرين هناك مدارس ومستشفيات ، وقد بذلوا جهودا جبارة في سبيل إنجاح دعوتهم وتحويل الزنوج إلى المسيحية وقد استطاعوا ان يضعوا لبعض اللغات المحلية « ابجديات » فاصبحت لغات تكتب ، وفي كل جوانب الجمهورية تكتب اللافتات الرسمية للطيران والبنوك والمستشفيات والمدارس بلغة انجليزية واخرى محلية . هذا عدا لغات القبائل التي يتعاملون بها فيما بينهم . ورائد هذه الفكرة هو المستشرق الالماني « ماكس موللر » الذي ابتدعها وطبقها في الهند ، ثم تابعه فيها المبشرون والمستشرقون في الجهات الاخرى .

وفي « جوهانسبرج » جامعة تعتمد في دراستها على المراسلة ، ولا يحضر إليها الطلاب إلا للامتحان ، وفي برنامجها دراسة اللغة العربية ، وقد أدت للمسلمين خدمة كبيرة ، إذ أصبح المنتمون إليها قادرين على قراءة الكتب العربية وإن كان نطقهم غير جيد ، وبفضل التسجيلات الصوتية والدروس الناطقة انقاد لسانهم إلى اللغة العربية السليمة إلى درجة مقبولة يمكن التفاهم بها .. والعقدة أمام المبشرين المسيحيين أن الزنوج لا ينسون إساءات البيض . الأوروبيين ، وهم يتوارثونها ويتناقلونها ، والذين درسوا منهم شيئا من تاريخ الإسلام . وقليل ماهم ـ يذكرون فضل الإسلام وحسن تسامحه واحترامه للإنسانية . وتحدثت مع غير واحد عن هذا ، فابدوا جميعا ثناء على الإسلام وأريحيته وبعده أو كراهته للتعصب العنصري ، ولكن الذين تكلمت إليهم كانوا مسلمين . وقال واحد من هؤلاء إنه تعلم في مدرسة انجليكانية ، ودرس حظا من الكتاب المقدس . ولم تسترح نفسه إليه ، ومال إلى الإسلام ، ثم اتيحت له فرصة الدراسة في سوريا ثم في الرياض . وهو وحديثه شائق جميل .

كان صاحبي ينتمي إلى قبيلة « اوغامبوس » التي تمثل نحو ٨٪ من السكان ، وكل سكان الجمهورية ٢٢ مليونا ، وينم حديثه عما يكنه الزنوج للبيض الأوروبيين من ضغائن وإحن .

قال : نحن السود نهبنا نهبا لنعمر خرائب أمريكا يوم أن كانت أحراشا وغابات يتيه في جنباتها من سموا الهنود الحمر ، وفي سبيل نهب الأفريقيين الشباب ازهقت أرواح وأبيدت أجسام وأحرقت بيوت ! ألم تقرأ قصة « اسر قديم ، الم تقرأ قصة كوخ العم توم » ؟ قلت له ولكن هذا منذ ثلاثة قرون ، قال : وكيف حال السود في أمريكا الآن ؟ قلت : هذا في أمريكا . قال : أولا تعلم أن منطقة الكاب كانت مأهولة بقبائل البوشمان الأقزام . وقبائل الهنتوت ، وقد افنى الانجليز كلا العنصرين فلم يبق منهم أحد ، وبدأ يحتد فقال : لم تدافع عن الانجليز وأنت تعلم ما عملوا في كل مستعمراتهم ؟ قلت : لست

للدكتور عبد الجليل شلبي

مدافعا ، فالانجليز كشفوا جزيرة تسمبانيا ـ وهي منسوبة إلى البحار الانجليزي تسمان ، وجدوا بها قوما يعيشون على الفطرة . يصطادون السمك ويأكلونه نيئا ـ بينما هم يوقدون النار للاستدفاء ويستعملونها لطهو طعامهم . وقضت رحمة الانجليز أن يصطادوهم بالرصاص حتى افنوهم نهائيا ، ثم جلبوا آخرين لعمارة الأرض . وأنا أريد أن أجمع معلومات ولست مدافعا عن أحد ثم قلت : ولماذا نفرت من مدارس الانجليكان ؟ قال : هم لهم الفضل في إنارة عقلى ولهم الفضل في تغييرى من ديانتهم ؟ واستمر يقول : إنهم علمونا طريقة التفكير ولم أجد قولهم ولا عملهم يستقيم مع التفكير ومالت نفسى إلى الإسلام بعد أن درست البوذية ، وفكرت في حال الرهبان ، وقرأت عن مذاهب أخرى فراقنى الإسلام وحده ، وأحمد الله أن هدانى إليه .

قلت : وهل لك جهاد لنشر الإسلام في قبيلتك ، قال : إنه جهد محدود ، وقومى سمعوا الكثير عن تشويه الإسلام وصدقوا كثيرا من السوءات التى الصقت به ، ولذا تقبله قليل من قبيلتى .

قلت لصاحبى : وهل للمجلس الإسلامى نشاط في إدخال الزنوج الإسلام ؟

قال : إن المجلس الإسلامى بحاجة إلى دعاة ومعلمين ، إن للمسلمين في كل بلد مجلس ، وحيث إن كثرتهم في « كيب تاون » وفي « دربن » فالمجلسان فيهما أقوى المجالس . والمجلس العام يتكون من كل هذه المجالس .

قلت : إنى أعلم هذا ، وشهدت انتخاب الرئيس العام هذا العام .. ولكنى أسأل عن نشاط المجلس في نشر الإسلام بين الزنوج ؟

وتدخل أحد الرفاق فقال : نحن معاشر المسلمين ينقصنا المعلمون الفاقهون فبيننا أئمة هنود وأئمة من أفريقيا . وأئمة يمنيون وسعوديون ، وكل له مذهب يدعو إليه ويكفر الآخرين .

قلت : هذا هو الداء ، العياء !! واردف صاحبى يقول : وأنت إذا ذهبت إلى الزنوج فلا أظنك تنجو .

قال المتحدث الأول : إنه معى وهم يطمئنون إليه لمصاحبتى إياه ، وأنا أريده أن يحدثهم عن الإسلام واثقا أن حديثه سيكون ذا أثر كبير .

شكرت لصاحبى حماسه ، ولكننى علمت من الآخرين أن رحلتى معه لن تكون مأمونة ، فالانجليز من قبل بثوا جواسيس على الزنوج عرفوا مخابئهم ثم هجم الجيش الانجليزى عليهم . فهم لهذا سيتهموننى بالجاسوسية ، ولن أكون في مأمن إذا ذهبت إليهم ، قلت : وفوق هذا ، أنا أمشى على جدول مرسوم وليس فيه زيارة الزنوج ، وقد اضطررت لاختصار البرنامج ، فلا متسع لذهابى بوجه ما !

بوجه عام لمست في محيط المسلمين هناك فقرا مدقعا في التعريف بالإسلام ، وفي تعليم المسلمين ، وهناك تعطش بالغ لسماع أى شيء من الإسلام وشوق بالغ لسماع القرآن . وقد كانت المسجلات المرئية والمسموعة تعد قبل ذهابنا إلى أى جمع ، ثم لا نلبث أن نسمعه حتى ونحن في الطريق من بلد لآخر .. وهناك إلحاح بالغ لزيارة شيخ الأزهر ، لأنه سيقطع بالآراء التى يبديها خلافات الأئمة ، ويبعث في نفوس المسلمين نشاطا ، وحيث زار أسقف روما الكبير البلاد أربع مرات .. واحتفى به من أتباعه ، والمسلمون يودون أن يكون لهم مثل هذا الموقف .

جعفر الطيار

وجعفر الطيار هو جعفر بن ابى طالب واسم ابى طالب عبدمناف بن عبدالمطلب واسم عبدالمطلب شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة ابن قصى ، وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى .

وابناء ابى طالب جميعاً شخصيات تاريخية ، واكبرهم طالب وكان شاعراً فقد يوم بدر فلم يعرف مصيره ، وكان اسن من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وكان جعفر اسن من علي بعشر سنين ، وعلى كان اصغرهم سناً وأولهم إسلاماً .

وقد أسلم جعفر قبل أن يدخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دار الأرقم المخزومى ويدعو فيها ، ولم تذكر كتب السيرة وكتب التاريخ اضطهاداً وقع على جعفر بن أبى طالب يدفعه إلى الهجرة إلى الحبشة ، وأكبر الظن انه هاجر ومعه زوجه اسماء بنت عميس الخثعمية فراراً بدينه حتى يقوم بأوامره ونواهيه فى مأمن من عقابيل العداوة ، اقول هذا لان التعذيب الذى وقع على اتباع الدعوة الإسلامية فى مكة لم ينل أحداً من البيت الهاشمى .

وابن اسحاق فى السيرة يقول : لما رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبى طالب ، وانه لا يقدر أن يمنعهم بما هم فيه من البلاء قال لهم : لوخرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا ..

ولذلك اقول : إن جعفر بن ابى طالب لم يضطهد حين هاجر إلى الحبشة فى الهجرة الثانية إليها والهجرة الاولى كان عدد المهاجرين إلى الحبشة عشرة رجال هم أول من هاجر إلى الحبشة ، منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ولما وصل جعفر وزوجه إلى الحبشة كان المهاجرون قد بلغوا ثلاثة وثمانين رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم ويستثنى من المذكورين الابناء الصغار والنساء .

وكان امير القوم فى الحبشة جعفر بن ابى طالب .

فلما رات قريش ان الذين هاجروا من أبنائها قد أمنوا واطمانوا بأرض الحبشة ووجدوا بها داراً وقراراً رات أن تمكر بهم وتردهم إلى مكة ليفتنوا فى دينهم ، فبعثت رجلين جلدين : عبدالله بن ابى ربيعة المخزومى وعمرو بن

للأستاذ السيد حسن قرون

العاص السهمى ، وأرسلت معهما هدايا للنجاشى ولبطارقته .. ووصلا إلى الحبشة فكانت خطوب وخطوب ، تصدى لها جعفر بن أبى طالب بكل ما يملك من ميراث أجداده من الشجاعة والقدرة والذكاء والفصاحة .

ولقد حفلت السيرة النبوية بحكايات أم سلمة المخزومية المهاجرة مع زوجها أبى سلمة المخزومى ، فمما ذكرته فى هذه المحنة قالت : لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى أمِنَّا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى رجلين جلدين منهم وأن يبعثوا له هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكانت من أعجب ما يأتيه منها الأدم « الجلود » فجمعوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته أحداً إلا أعدوا له هدية ، وقد وقع الاختيار على عبدالله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص ، تقول : فخرجا حتى أتيا النجاشى ، وقدما الهدايا إليه وإلى بطارقته ، وقالا لكل بطريق قبل لقاء النجاشى ، إنه قد لجأ إلى بلد الملك غلمان منا سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا ببدع مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردهم إليهم ؛ فإذا كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعرف بهم فقالوا لهما نعم ، ووصلت الهدايا إلى النجاشى فقبلها منهما ثم كلماه ، وذكرا له ما ذكراه للبطارقة وطلبا إليه ردهم معهما إلى قومهم ، ولم يكن شىء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلام المهاجرين النجاشى ، وصدق البطارقة على قولهما ، وأشاروا على الملك أن يردهم إلى قومهم ، فغضب النجاشى ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكادُ قَومٌ جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ما جاورونى .

فماذا كان ؟

قالت أم سلمة : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائناً فى ذلك ما هو كائن .

فلما جاءوا وقد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟

قالت : فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ،

جعفر الطيار

وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .

قالت ـ فعدد إليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشي : هل لديك مما جاء به عن الله من شيء ؟ .. فقال جعفر له : نعم ، فقال له النجاشي فاقرأه عليّ . فقرأ عليه صدراً من « كهيعص » سورة مريم قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . ثم خاطب القرشيين : انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون .

لقد كان جعفر بن أبى طالب عند حد المسئولية واستطاع بإيمانه وفصاحة لسانه أن يضع الأمور الإسلامية أمام الحاضرين وفى مقدمتهم الملك .

فهل سكت القرشيان ؟ تقول أم سلمة : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم . فقال له زميله عبد الله بن أبى ربيعة ـ وكان أتقى الرجلين فينا ـ لا تفعل فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عَبْد .

ثم غدا عليه من الغد فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه ، فأرسل الملك إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها قط ، فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائناً فى ذلك ماهو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود . قالت : فتناخرت بطارقته حوله حين قال ماقال ، فقال وإن نخرتم والله .

ثم قال لجعفر ومن معه : إذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ـ والشيوم الآمنون ـ مَنْ سبكم غرم .. وقال فى شأن عبد الله وعمرو : ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها ، فوالله ماأخذ الله من الرشوة حين رد عليّ ملكى . قالت : فخرجا مقبوحين من عنده مردوداً عليهما ماجاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار .

وهذه الوثيقة التاريخية فيها كثير من معالم إيمان المهاجرين وفضيلة التشاور فهم يتشاورون كلما حزبهم أمر ، واختاروا أقواهم على الدفاع ومحاورة الخصوم وأبلغهم فى معرفة حسن الحوار فقد بين فى الأولى مكارم الأخلاق التى جاء

بها الدين الإسلامي ثم ذكر أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وانهى إليه أنه المختار من جميع الملوك لجواره وأرضه هى الأرض الطيبة .

وعاش فى الحبشة طويلاً ، رجع عثمان بن عفان وكثير من المهاجرين إلى مكة ، ولكنه لم يعد إلا فى السنة السابعة من الهجرة ، عاد بعد فتح خيبر ، وفى الحبشة حضر عقد زواج أم حبيبة بنت أبى سفيان لرسول الله ودفع المهر النجاشي أربعمائة دينار وكان وليها خالد بن سعيد بن العاص وهو من أسرتها وفى سنة سبع من الهجرة بعث رسول الله إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري يطلب عودة أصحابه ، فحملهم فى سفينتين فقدم بهم عليه وهو فى خيبر ، فلما التقى جعفر برسول الله قبله الرسول بين عينيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما انا أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟

لقد كانت هجرته إلى الحبشة جهاداً فى سبيل الله وآن له أن يجاهد بنفسه وماله وسلاحه فكانت غزوة مؤتة وهى قرية من أرض البلقاء بالشام ، جند النبى ﷺ لها ثلاثة آلاف مقاتل لتأديب المناوئين للدعوة ورسل النبى ﷺ إلى الملوك فى الشام وبيزنطة ، يقول العقاد عنها : كانت « حملة تأديب » عين الرسول لها قادتها ، ففى جمادى الأولى من السنة الثامنة من الهجرة كانت تلك الحملة واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال ، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة .

وخرجت الحملة ، وقد حشد لها الروم مائتى ألف ، منهم مائة ألف من العرب ، والتقى الجمعان فقتل زيد بن حارثة فحمل اللواء جعفر بن أبى طالب .

ويصف أحد المشاهدين موقف جعفر حين حمل اللواء ، يقول : والله لكأنى انظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول : ياحبذا الجنة واقترابها

طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابُها
كافرة بعيدة أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابها

ويصفون قتاله أنه أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء ، ويكادون يجمعون على القول : « إن لجعفر بن أبى طالب جناحين يطير بهما فى الجنة مع الملائكة ، وفى هذه الغزوة قتل الأمير الثالث عبد الله بن رواحة ، فاختار الجيش قائداً فكان خالد بن الوليد الذى استطاع أن ينجو بالجيش من الهلكة .

ترك جعفر بن أبى طالب أبناءه الصغار المولودين فى الحبشة وهم عبد الله ومحمد وعون ، ولما خافت أمهم أسماء بنت عُميس العيلة قال لها النبى عليه الصلاة السلام : أتخافين العيلة عليهم وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة ، ثم دعا لهم بالخير ، ومضت الأيام ، وتزوجت أسماء أبا بكر الصديق فأنجبت له محمد بن أبى بكر ، ثم مات عنها فتزوجها على بن أبى طالب ، فأنجبت له يحيى ولكنها لم تنس جعفراً رضى الله عنه .

قالوا : تزوج على بن أبى طالب أسماء بنت عميس ولها من أخيه أولاد ومن أبى بكر ولد ، فتفاخر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبى بكر قال كل واحد منهما : أنا أكرم منك وأبى خير من أبيك ، فقال لها على : اقض بينهما فقالت : مارأيت شاباً من العرب كان خيراً من جعفر ، ولا رأيت كهلاً خيراً من أبى بكر .. فقال على : ماتركت لنا شيئاً . فقالت : والله إن ثلاثة أنت أخسهم لخيار . فقال لها : لو قلت غير هذا لمقتك . رضى الله عن فتى العرب جعفر الطيار .

الردع الإسلامى

فى غزوتى بدر والفتح

دروس غالية :

تحوى غزوتا بدر الكبرى وفتح مكة دروساً غالية ، ينبغى على الأمة الإسلامية ان تتدبرها وتسترشد بها لتصحيح الخلل فى موازين القوى بينها وبين اعدائها ، والمحافظة على سلامتها وامنها .

والأمر الذى يستحق التامل والتدبر ما يلى :

١ ـ هذه الدروس الغالية تنبثق من التطبيق العملى لاستراتيجية الردع الإسلامية التى تتمثل فى قول الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الانفال ٦٠) .

وفى قول الرسول القائد ﷺ : «نصرت بالرعب مسيرة شهر» (رواه البخارى) .

٢ ـ قدم الرسول ﷺ لأمته «اكثر من طريقة» لردع الأعداء :

● ففى بدر : كان الردع «بالقتال» .. اى «باستخدام القوة» .

● وفى الفتح : كان الردع «بغير قتال» .. اى «بإظهار القوة» .

٣ ـ كان استخدام كل من هاتين الطريقتين موافقا لمقتضيات الموقف من ظروف وأحوال استراتيجية ، وظروف المكان والزمان، ومتفقا مع مفهوم الإسلام للسلام والقوة والحرب :

● فقوة الأمة الإسلامية يجب أن تكون «قادرة على إيقاع الرهبة» فى قلوب أعدائها بحيث يمتنعون عن العدوان عليها .

● فإذا لم يمتنعوا عن العدوان ، فيجب أن يقاتلهم المسلمون «مدفوعين بفكرة الإرهاب ايضاً فتكون ضربتهم للمعتدى من القوة بحيث «تفقده توازنه النفسى وتلزمه حدوده» .

٤ ـ أوضح الرسول ﷺ لأمته ـ وهو القائد والمعلم والأسوة الحسنة ـ أساليب التنفيذ ، والعوامل التى تحقق للردع أهدافه فى تأمين سلامتها ورد العدوان عليها .

٥ ـ واخيراً فإن تطبيق نظرية (الردع) فى «بداية الصراع» فى بدر ، وفى «نهاية الصراع » فى الفتح يقول للأمة : «هاأنتم ترون أنه لا سبيل امامكم للمحافظة على أمنكم ورد العدوان عنكم إلا «ببناء القوة الرادعة » وتأسيس سياستكم الدفاعية على «الردع» أولا وأخيرا ..[1] .

---

(١) الواقع ان الردع طبق فى اغلب الغزوات ، لكننا هنا نركز على ما ابرزته بدر والفتح من دروس .

للـــواء :
أ.ح محـمد جمال الديـن محفوظ

الدرس الأول :

على المسلمين ـ لكى يتغلبوا على العدو المتفوق ـ أن يستغلوا مواردهم المتاحة بأقصى قدر من الكفاية فى التنظيم والإدارة :

يذكر علماء الإدارة ـ للتعبير عن أهمية الإدارة فى تحقيق الأهداف ـ القول المشهور لروبرت مكنمارا[٢] : «إن الولايات المتحدة تمتلك (تكنولوجيا) عالية جداً ، وكذلك الاتحاد السوفييتى ، ولكن الذى سوف يحسم المعركة هو «الإدارة السليمة» .

اى أن العبرة فى التغلب على الخصم ليست بالتفوق والتقدم فى القوة البشرية والسلاح بقدر ما هى بالتفوق فى «إدارة» البشر والسلاح .

لكن الإسلام لديه ما هو أكثر من ذلك ، فالقول المذكور قد بنى على أن الإدارة السليمة هى التى تحسم الصراع بين «قوتـين متكافئتين» ، اما الإسلام فقد تجاوز هذا الحساب وقرر ان القوة المحدودة الموارد تستطيع :

بالإدارة السليمة
وبقوة الإيمان والعقيدة .
ان تقهر القوة المتفوقة عليها .

ويبرز هذا المبدا بكل وضوح فى «إدارة» الرسول ﷺ للمعركة فى بدر :

اولا : إحكام السيطرة على الموارد :

لقد كانت موارد المسلمين فى بدر محدودة للغاية إذ كان الأعداء ثلاثة أمثال المسلمين فى العدد والسلاح ، ولديهم «قوة هجومية ضاربة» تتمثل فى مائتى فرس يواجهها لدى المسلمين فرسان اثنان ، ثم إن «الذخيرة» بالقياس إلى ذلك كانت محدودة جدا عند المسلمين .

فلكى تستغل هذه الموارد المتاحة لأقصى حد فلابد من قدر كبير من المركزية فى السيطرة على استخدامها بحيث يمكن تحقيق «حشد القوة مع الاقتصاد فى إنفاقها فى الوقت نفسه» وهذا ما فعله الرسول ﷺ :

(١) باتخاذ تشكيل القتال بالصفوف ، فهو يضمن سيطرة القائد المحكمة على جيشه على نحو لا يتحقق فى أسلوب الكر والفر الذى اعتادت عليه العرب ، ففرق كبير فى مجال السيطرة بين قوة ثابتة متلاصقة ، وبين قوة تتردد فى الحركة السريعة بين الأمام والخلف ، هذا فضلا عن أن أسلوب الصفوف يؤمن للقائد احتياطيا يعالج به المواقف الطارئة .

(٢) وبرغم سهولة السيطرة على هذا الجيش القليل عدده إلا أن الرسول ﷺ ـ لتحقيق المزيد من السيطرة ـ قسمه إلى كتيبتين ، وجعل لكل منهما قائدا .

(٢) كان وزيرا للحربية للولايات المتحدة فى الخمسينيات ، ويعتبر من ابرز علماء الإدارة المعاصرين .

(٣) ثم تصل السيطرة إلى أقصى حد بأن يأمر الرسول القائد ﷺ رجاله : «لا تقاتلوا حتى أُوذِنكُم»[٣] ، فلا يبدأ القتال إلا بأمر منه .

ثانيا : استخدام الموارد بأقصى حشد مع الاقتصاد فى الانفاق :

فقد أصدر الرسول ﷺ «أمر القتال» الذى وردت فيه عدة روايات منها :

- **«إذا اكثبوكم (أى اقتربوا منكم) فارموهم ، واستبقوا نبلكم»[٤] .**
- **«إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل»[٥] .**
- **«لا تقاتلوا حتى اوذنكم» وإن اكتنفوكم فـارموهم ، ولاتَسُلُّـوا السيـوف حتى يَغْشَوْكم»[٦] .**

ويعنى هذا الأمر ما يلى :

(١) تقسيم المعركة إلى مرحلتين :

الأولى : الرمى بالسهام عند اقتراب العدو .

والثانية : القتال المتلاحم عندما يصل العدو إلى صفوف المسلمين .

هذا التقسيم غاية فى البراعة فى التنظيم والإدارة ، فهو يضمن فى المرحلة الأولى استخدام السهام ـ وهى السلاح بعيد المدى ـ «بأقصى حشد» ، كما يضمن فى المرحلة الثانية استخدام السيوف «بأقصى حشد أيضاً» وهكذا يستثمر المسلمون مواردهم بأقصى طاقاتها فى الوقت المناسب وإلى أقصى حد .

(٢) الاقتصاد الشديد فى الاستهلاك :

فالذخيرة محدودة للغاية كما قدمنا ، والاقتصاد فى استهلاكها يصبح «ضرورة حتمية» لا تفوت القيادة الإسلامية ، فقد قصد الرسول ﷺ من أمر القتال :

- ألا يبدأ الرمى إلا بإذنه (حتى أوذنكم) .
- وألا يبدأ الرمى إلا حين يقترب الأعداء (إذا اكثبوكم) .
- ثم زاد تأكيده على الاقتصاد فى الاستهلاك بقوله : «واستبقوا نبلكم» فالمسلمون إذا أطلقوا سهامهم والعدو بعيد ، فسوف يطيش منها الكثير لعدم دقة التصويب على البعد ، وعددها القليل لا يحتمل أن يضيع سهم منها بغير طائل ، فكان على المسلمين أن «يمهلوا» عدوهم الزاحف حتى يصبح «فى متناول سهامهم» ويأتى كل سهم برجل منهم[٧] .

الدرس الثانى :

على المسلمين أن يفقدوا الأعداء توازنهم النفسى وإرادتهم القتالية :

يعرف رجال العسكرية أن أكبر ما يفقد

(٣) الواقدى : مغازى رسول الله ﷺ ص ٤٨ .
(٤) البخارى : ص ٧ ، ص ٢٤٥ .
(٥) ابن هشام : جـ ٢ ص ٦٢٥ .
(٦) الواقدى : مغازى رسول الله ﷺ ص ٤٨ .

(٧) المدهش : أن هذا الأمر (واستبقوا نبلكم) هو بعينه قاعدة يتعلمها العسكريون اليوم فى الدفاع ويطلقون عليها (كبت أو حبس النيران) فرصاص البنادق اليوم يصل مداه إلى عدة مئات من الأمتار ، لكن أصول الرمى فى الدفاع تقضى بأن «يحبس» المدافعون نيران بنادقهم حتى يصل العدو المهاجم إلى مدى ١٠٠ متر أو أقل حتى يضمنوا دقة الإصابة مع الاقتصاد فى استهلاك الذخيرة فى الوقت نفسه .

الجيوش توازنها النفسى ويضعف من إرادتها القتالية ما يلى :

(١) فداحة الخسائر التى تتعرض لها ، وخاصة إذا وقعت هذه الخسائر «بحجم كبير وفى زمن قصير» وفى ذلك يقول شارنهورست فى كتابه (التكتيك) :

«إن عشرة رجال «يسقطون معا» فى ميدان المعركة ، يجبرون فوجا - حوالى ١٠٠٠ رجل على التراجع بصورة مؤكدة لا يحدثها أكثر من خمسين جريحا يسقطون تدريجيا ، فى أماكن مختلفة» .

فلو حاولنا رسم «صورة ذهنية» لما حدث لقريش نتيجة لتنفيذ المسلمين لأمر القتال فسوف نرى أعداداً كبيرة منهم تسقط صرعى فى أقصر وقت ، فذلك هو النتيجة المنطقية لرمى المسلمين سهامهم «بأكبر حشد ، وفى وقت واحد ، وبأدق تصويب» ..

أضف إلى هذا «سقوط مبارزيهم» - الذين دفعوا بهم قبل المعركة - صرعى على أيدى مبارزى المسلمين .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر كيف حرص الرسول ﷺ على أن يختار ذوى الكفاءة الفائقة فى المبارزة ليكون نجاحهم على رجالات قريش مضمونا ، ولقد كان لهذا العلم التطبيقى - بمشيئة الله - أثره فى تمكين بعض المسلمين من اصطياد زعماء قريش وساداتها واستئصالهم من بين الصفوف ، فاستطاع بلال - رضى الله عنه - أن يقتل أمية بن خلف ، وليس من شك فى أن كل هذه الأعمال قد أصابت قريشا بالصدمة النفسية فى اللحظات الأولى من المعركة .

(٢) حدوث نقص شديد فى المواد الحيوية للقتال كالذخيرة والوقود والمياه . وقد عرض المسلمون قريشا لهذا الوضع حين اتخذوا موقعهم فى بدر بحيث يسيطرون على المياه ، ويحرمون عدوهم منها ، وهو امر بالغ التاثير فى حروب الصحراء .

(٣) فقد المبادأة :

● فقد تملك المسلمون المبادأة فى بدر بسيطرتهم على الماء ، واستدرجوا عدوهم - نتيجة لذلك - إلى القتال «فى أرض من اختيارهم» ، فإن سيطرتهم على الماء حددت مكان المعركة ، واضطرت المشركين إلى أن يصلوا إلى هذا المكان لينازعوهم على الماء ، وهذا ما عبر عنه سلوك الأسود المخزومى حين صرخ بأعلى صوته : وحق اللات والعزى ، لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه !

● وتملكوا المبادأة أيضاً فى فتح مكة حين قرر الرسول ﷺ أن يتحرك ليهاجم قريشا فى عقر دارها بعد أن نقضت عهدها الذى أقرت بنوده فى هدنة الحديبية .

(٤) التعرض للمباغتة[8] :

● ففى بدر تعرضت قريش للمباغتة بسبب اتخاذ المسلمين لأسلوب جديد فى القتال وهو الصفوف ، ثم سيطرتهم على مياه بدر .

(٨) المباغتة فى العلم العسكرى هى : «إحداث موقف لا يكون العدو مستعدا له» وهى تتخذ أشكالا عدة فقد تكون فى الوقت أو المكان أو الأسلوب إلى غير ذلك .

● وفى الفتح تعرضت للمفاجأة على نحو أكبر إلى حد أنه تعذر عليها معرفة هوية الجيش الكبير الذى عسكر على اربعة فراسخ من مكة .

(٥) اهتزاز الثقة فى القضية وفى القدرة على إحراز النصر :

وهذا ما وقع لقريش فى فتح مكة :

● فزعيم قريش أبو سفيان استطاع الرسول ﷺ أن «يغزو قلبه وعقله ونفسه» حتى جرده تماماً من إرادة المقاومة والقتال إلى حد أنه دفع قومه إلى الاستسلام ، ومن ذلك أنه أوصى عمه العباس باحتجازه فى مدخل الجبل من ناحية مكة حتى يمر به جيش المسلمين ، فيحدث قومه عما رآه عن بينة ويقين بأنه لا أمل لهم فى النصر ، وأبلغ دليل على ذلك قوله لهم : «يامعشر قريش ، هذا محمد، جاءكم فيما لا قبل لكم به» .

● وقريش نفسها فقدت قدرتها على المقاومة حين رأت جيوش المسلمين تطوق مكة من جهاتها الأربع ، وأنه لا سبيل لديها لتركيز قوتها وحشدها فى جبهة واحدة ، كما أنه لا أمل فى النصر إذا شتتت قواها لكى تواجه أرتال المسلمين الاربعة .

● ثم هاهى تتعرض بعد ذلك «للضربة النفسية القاضية» التى تتمثل فى إعطاء المسلمين للأمان مقابل الاستسلام على لسان زعيمها : «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن» .

كل هذه الأعمال أحدثت خللا كبيراً فى التوازن النفسى للمشركين وأوقعتهم على وجه التأكيد تحت وطأة الضغوط النفسية التالية :

أ - الإحساس بأنهم يواجهون موقفا سيئا .

ب - التشتت الذهنى ، والتمزق النفسى ، والشعور بأنهم قد وقعوا فى «فخ» يصعب التخلص منه .

جـ - تولد الشعور بالعجز عن القيام بعمل مضاد لحركة المسلمين .

وهذا ما أكده الخبير الحربى (ليدل هارت) حين قال : «ينبئنا التاريخ العسكرى فى جميع العصور ، وفى جميع الحروب الحاسمة على التقريب ، أن الإخلال بتوازن العدو نفسيا وماديا ، هو المقدمة التى لا محيص عنها للقضاء عليه» .

الدرس الثالث :

العقيدة الراسخة ترجح كفة المسلمين فى موازين القوى :

لقد ضرب المسلمون فى هذا المجال أمثلة لا نظير لها فى تاريخ الحروب على مر العصور ، فى معركة بدر ، منها أن عبدالرحمن بن أبى بكر كان مع المشركين ، فقال لأبيه أبى بكر رضى الله عنه بعد إسلامه : «لقد صدفت لى يوم بدر فلم اقتلك فقال أبو بكر : «والله لو صدفت لى لقتلتك» ، فما الذى يدعو إلى أن يقتل الابن أباه ، والأب ابنه ، غير الإيمان والعقيدة الراسخة ؟

ولقد كان الإسلام حريصاً على أن يزود المسلمين بأقوى «الدوافع النفسية» التى تملأ نفوسهم حمية واستبسالا ، فكانت هذه الدوافع الصادقة «تحـارب» إلى جانب

أصحابها كما يحارب الجندى إلى جانب صاحبه ، ولهذا كان حساب المسلمين فى موازين القوى حساباً خاصاً لا يتسامى إليه غيرهم ؛ فلقد كان حساب المقاتل المجاهد فى الحرب مقدراً بما فى قلبه من إيمان وعقيدة ، وبما فى نفسه من مبادىء يحارب عنها ، وأسباب تدعوه إلى خوض هذه الحرب وهذا ما نجده فى قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال ٦٥) .

ذلك لأن الذين كفروا قد خلت نفوسهم من المبادىء الكريمة والدوافع الصادقة ، ولهذا حرموا «الفقه» الذى كان من شأنه أن يبصرهم بالمبادىء التى يقاتلون عليها ، والمثل التى يدافعون عنها ، ومن حرم هذا الفقه فى مجال الحرب ، فقد تعرى من كل سلاح يدافع به ، وكانت عاقبته الهزيمة والبوار .

الدرس الرابع :

على الأمة الإسلامية ان تحافظ على اسرارها لكى تنتصر على عدوها :

● ففى بدر ، انطلق الرسول ﷺ أمام جيشه وبصحبته أبو بكر رضى الله عنه للاستطلاع قبل المعركة ، فوقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . قال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن أنتما ؟ .. قال الرسول ﷺ : «إذا أخبرتنا ، أخبرناك» وعلم عليه الصلاة والسلام من رد الشيخ أن عير قريش قريبة منه ، فقال له : «نحن من ماء» .

فانظر كيف حرص الرسول ﷺ على إخفاء هويته وإخفاء أمر المسلمين عن الشيخ حتى لا تعلم قريش بهم : فهو حين التقى به ، لم يسأله عن قريش فقط ، بل سأله عن الطرفين (عن قريش وعن محمد) ، وحين طلب الشيخ أن يعرف هويته وصاحبه كشرط للإجابة ، استطاع الرسول «تأجيل» الرد حتى يقول الشيخ ما عنده أولا ، وفى النهاية حين أراد أن يجيب الشيخ عن هويته قال : نحن من ماء ، وهو رد صحيح (أى من ماء دافق) لكنه لا يكشف سر المسلمين .

● وحفلت غزوة الفتح على تدابير عدة لإخفاء أسرار حركة المسلمين ونواياهم كلها وردت فى كتب السيرة ، ونكتفى للبرهان على دقة هذه التدابير وإحكامها بأن المسلمين منعوا الرسالة التى أراد حاطب به أبى بلتعة إرسالها إلى قريش من أن تصل إليهم ، وأن السيدة عائشة رضى الله عنها أخفت أخبار الرسول ﷺ ونواياه عن أبيها أبى بكر رضى الله عنه حين سألها : ياعائشة أهم رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ فقالت : «ما أدرى ، لعله يريد بنى سليم ، لعله يريد ثقيفا ، لعله يريد هوازن» !!

وبعـــد :

● فلعلنا قد لاحظنا أن «ضعف» المسلمين فى نظر أعدائهم (فى بدر) جَعَلَهُم يستهينون بهم ، وأغراهم بالعدوان عليهم ، وأن «قوة» المسلمين فى الفتح أرهبت أعداءهم فامتنعوا عن العدوان ..

إنه درس عظيم ينبغى على الأمة أن تتدبره بكل الفهم والوعى .

● ولعلنا أدركنا تفوق الحسابات الإسلامية لوزن المسلم فى ميزان القوى مع أعدائه ، لكى ننفذ ما أراده الله بها من المؤمنين وهو أن يحققوا فى أنفسهم ما يجعلهم أهلا لتلك الغلبة الفذة والانتصار الفريد ، من التربية الخلقية والعسكرية ، والإقدام على التضحية ، وإتقان الجهاد ، والثبات فى مواطن البأس .

الخير في الصيام

لأسباب علمية وطبية

٢

منطق الأولويات :

فى الحقيقة[1] إن الجسم باسراره العميقة يمثل تحدياً للعقل البشرى أن يفهم مكنوناته وجوانبه .

﴿ وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

« ٢٢ ـ الذاريات » صدق الله العظيم

ومبدأ الأولويات يسير عليه الجسم فى تفاعلاته الحيوية ووظائفه الخلوية فإذا كان المخ اهم عضو فى الجسم (وهو كذلك بالفعل) إذاً لابد له من دورة دموية خاصة به ..

إن القلب هو الذى يدفق الدماء إليها ... ويأخذه منها ، ولكنه لا سيطرة له على (ضغط) الدماء فيها .. ففيها اودع الحق ـ جلت قدرته ـ مرونة رائعة ـ تتمدد إلى احجام لا يستطيعهاباقى اوعية الجسم فإذا ارتفع الضغط الدموى فى الجسم فإنه لا يرتفع فى شرايين المخ واوعيته اللهم إلا إذا فقد هذه الخاصية .. وهذا ما سياتى شرحه فى بند الأمراض التى يعالجها الصيام ..

والمعدة عندما تبدأ فى هضم الطعام فإنها تستطيع أن تستحوز على ثلث الدماء المارة فى الجسم كله أى حوالى (لترين) كاملين .. ومثلهما من الطحال والكبد ولتر آخر من باقى الغدد المصاحبة للهضم مثل الغدد فوق الكلوية و(البنكرياس) والباقى يتجه إلى الجسم .. وهذا الباقى ليس كثيراً[2] .. لذا فإن الجسم يضطر اضطراراً إلى الإقلال من الدم الواصل إلى المخ فيخلد الإنسان إلى النعاس ويسرى فيه الخدر الذى نتج عن عدم وصول الدماء بكمية كافية إلى المخ هذه صورة أخرى من صور الأولويات ..

اما الجلد فإنه يتنازل تنازلاً كاملاً عن نصيبه من الدماء عندما تنخفض درجة حرارة الجو إلى معدلات خطرة تؤدى إلى انخفاض درجة حرارة الدم داخل أعضاء الإنسان إلى ما دون (٢٤) درجة مئوية .. وهى درجة تميت الإنسان إذا

---

(١) فسيولوجيا الدورة الدموية بدون تاريخ [Circulation] مجموعة مؤلفين .. مطبوعات جامعة عين شمس . كلية الطب .

(٢) « حجم الدم الدائر فى الجسم يتراوح ما بين ٥ ـ ٦,٥ لتر فى حين الدم المخزون فى الاعضاء ويمكن استدعاؤه فى أى وقت يبلغ من ٣ ـ ٥ لترات . إذن يكون حجم الدم الإجمالى فى المتوسط عشرة لترات » نفس المرجع السابق .

دراســة : د . أحمد عبد المؤمــن بــركات

ما استقر الجسم عليها مدة من الزمان .. لأنها لا تصلح لإجراء العمليات الحيوية فى الخلية الجسدية ..

ربما يفيد هذا التدنى من درجات الحرارة بعض الكائنات ذات الدم البارد مثل الضفادع والسحالى .. إلا أنه ضار بالإنسان .. لذا .. فإن الجلد يكتفى بما يرد إليه من اكسچين عن طريق مسامه الهوائية .. ويمتنع عن طلب الدماء .. بل ويقوم بإغلاق شعيراته الدموية تماماً فى وجه الدم الوارد إليه مشكلاً حاجزاً ومانعاً ضد فقدان الحرارة فى هذا الجو البارد ، وهذا منطق لأولويات محددة يحافظ بها الجسم على درجة حرارته الداخلية .. الأمر الذى يتحدد طبقاً للعوامل الخارجية المحيطة بالجسد ..

ومن هنا نرى .. أن هذا المنطق لا يصلح للأجواء الحارة .. وهذا ما يحدث بالفعل .. حيث تنفتح أبواب مجارى الدم على آخرها فى الجلد ليجرى فيها الدم ويتم تبريده بتبخر العرق .. وهكذا نرى أن هناك أولويات للعمليات الحيوية التى يسير عليها الدم .. وهو جزء من الجسم .. وعضو متحرك به .. شأنه شأن أى عضو آخر فى الجسم .. حتى لو كان خلية ؛ لذا فإن منطق الأولويات هو الذى يحدد عملها .. وعلى سبيل المثال ـ لو كان هناك غذاء متوافر فإن الجسم يفضل حرق المواد السكرية والنشوية للحصول على الطاقة .. تاركاً الدهون وما تحمله من أخطار تتراكم داخل الجسم وأعضائه . فى حين أن طبيعة الحال تفرض على الجسم أن يتخلص من هذه التراكمات لأنها ضارة به ، ولكنه لا يفعل لسببين رئيسيين :

أولهما : أن الإنسان يتناول دائماً من الطعام ما هو فوق احتياجاته بكثير ..

وثانيهما : أن الجسم لا يقوم بالحركة الكافية لاستدعاء هذا المخزون الاحتياطى والتخلص منه ـ ولقد اكتشف الأطباء أن امراض ضغط الدم المرتفع الناشئة عن تراكم (الكولسترول) والدهون الثلاثية لم تكن معروفة للفلاح المصرى فى الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن .. وما ظهرت إلا عندما اختلفت العادات الغذائية له وأصبح قليل الاعتماد على يديه فى أداء ما يوكل إليه من أعمال .. وأهم سبب فى ذلك أن المجهود االذى كان يؤديه فى عمله كان يستدعى دائماً هذه الاحتياطات ويحرقها لإنتاج الطاقة اللازمة للعمل ..

ألا يبدو لنا شيء محدد من خلال هذه المناقشه .. وهو .. مادام الإنسان لا يستطيع أن يمنع مبدأ الأولويات .. فلماذا لا يستفيد منه على الأقل .. وذلك بإيجاد الظروف المناسبة لعمله ..(٣)

إن الصوم .. يحفز عمل مبدأ الأولويات فى الجسم « على شرط واحد » هو أن يبتعد الإنسان عن الإسراف فى إفطار أو سحور .. حيث تضيع الحكمة من الصيام إذا فعل ..

←

(٣) منحنى الصوم واحتراق الدهون . (د . عمر زكى . فسيولوجيا الأيض . الطبعة الثالثة ١٩٨٤) .

ارقام وابحاث :

وجد العلماء أن جسد الإنسان يعمل دائماً بجزء من طاقته فالقلب يعمل بثلث طاقته الإجمالية القصوى .. فإذا كان يضخ الدم بمعدل سبعين ضربة فى الدققيقة فإنه يستطيع فى وقت االاحتياج أن يدق بمعدل يزيد على المائتين فى الدقيقة الواحدة ، ووجد أن الأوعية الدموية تعمل فى المتوسط بعشر طاقتها .. وخاصة « الشعيرات الدموية المنتشرة فى كل الجسم » جلده وأعضائه .. يعمل منها العشر فقط والباقى مقفل للطوارىء ولحين الاحتياج ..

والكلية تعمل عادة بثلث طاقتها(٤) أى انها تستطيع أن تضاعف عملها ثلاث مرات بالنسبة للكفاءة النسيجية وعشر مرات بالنسبة للكفاءة الوظيفية ؟ ، ولتفسير ذلك يمكن القول : إن الإنسان العادى يكفيه ثلث كلية لإخراج ما فى جسمه من فضلات .. والباقى اى ما يوازى خمسة أسداس الكليتين مجتمعين يمثل مخزوناً استراتيجياً للطوارىء والملمات .. والكلية فى نفس الوقت تستطيع أن تضاعف من عملها إلى عشر مرات مثل المعدل الطبيعى ، إذ انها تستطيع أن تقوم بافراز (٣٥) مجم بولينا / ١٠٠سم (بول) فى وقت الطوارىء (بعد اكلة لحم ثقيلة) فى حين أنها تقوم بإفراز ٣,٥مجم / (بولينا) فى كل ١٠٠ سم^{٣} بول .. فى المعدل المتوسط العادى ..

أى انها تحت ظروف مشددة تستطيع أن تركز نسبة البولينا عشر مرات فى نفس الحجم من الماء .. فلا تحتاج إلى كثرة الماء كى تقوم بعملها ..

وما ذلك إلا من نعم الله على الإنسان .. ولو لم تكن هذه القدرات موجودة .. لفشلت كليات الناس بعد موجة حر واحدة دون أن يشعروا ..

هذا بعض ما ادركنا من قدرة الله فى جسم الإنسان الذى لا يكفيه أن يلتزم بالتوسط فى الأمور .. بل ينكب على طعامه وشرابه فى إسراف .. ناسياً أنه يتعامل مع ارقام فى جسده .. وقوانين تُسيِّر حياته .. فإذا تجاوزت أرقامه قدرة احتمال قانونه فإنه يضار من ذلك ويكفى للتدليل على ذلك أن نذكر أن المعدة تتسع فى المتوسط إلى ٢٥٠سم^{٣} فى حالة الشخص القنوع الذى لا يأكل إلا ما يكفيه .. أما لدى الشخص النهم الشره إلى الطعام .. فإن تجويف المعدة يتسع إلى ما يقرب من لترين ونصف أى إلى (٢٥٠٠سم) ، وبينما يصل حجم المعدة عادة إلى حجم قبضة اليد . تتمركز تحت عظمة القص أسفل الصدر وأعلى البطن فإنها تصل مع الشره فى الحجم إلى درجات مهولة حتى تسقط من مكانها المعهود وتقع فى الحوض لترتكز على عظامه .

لقد وجد العلماء أن حد الشبع فى الشخص العادى يحدث عندما يتناول من ثلاث إلى سبع تمرات وهى كافية لإعطائه سكراً لمدة نصف ساعة بمعدل يصل إلى ١٠٠مجم/١٠٠سم^{٣} من الدم(٥) ، وهذا كاف للتغلب على الشعور بالجوع . أما الشعور بالامتلاء فإنه وإن حدث بقليل من الطعام بالنسبة للشخص القانع العادى .. إلا انه لا يحدث أبداً لمن سقطت معدته إلى أسفل حوضه .. وصدق رسول الله

(٤) زولنجر وزولنجرالابن (الجراحة العامة والمسالك) ١٩٨١ ـ لندن .

(٥) (الطب النبوى) ابن قيم الجوزيه ـ انظر المراجع فى ختام المقال .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ « المؤمن يأكل فى مِعًى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » ..

صحيح مسلم

والمعدة عادة لا يولد بها الإنسان وهى كبيرة .. بل إنها تكبر وتتضخم نتيجة لعادات سلوكية خاطئة فى الطعام وتناوله .. لذا كان لابد من أن يقف الإنسان أمام عاداته وقفة حازمة .. سواء بالامتناع عن الكثير من الطعام ، أو بالتخفيف من تناوله .. وذلك بالصيام كفريضة والصيام هو الوسيلة الوحيدة التى يستطيع بها الفرد العادى أن يشعر بنفس الشعور الذى يعيشه المحروم والفقير .. وفى نفس الوقت هو الوسيلة الوحيدة لإعادة الأمور إلى نصابها ..

أمراض يعالجها الصيام :

هناك فروق جليلة بين منع المرض فى ذاته ، وعلاجه عند وقوعه .. فالأولى : وقاية ، والثانية : نظام علاجى ..

والأمراض التى يعالجها الصيام تندرج فى الناحية الأساسية تحت البند الأول .. وهو الوقاية من أمراض متعددة مثل أمراض السمنة والبدانة .. وأمراض الإفراط فى التغذية ، أو ما يقال عنها أمراض التخمة مثل القرحة المعوية .. وتمدد المعى وسقوطها والالتهاب التقرحى المتعدد للأمعاء ulcerative Colitis وأمراض القلب والكليتين والكبد الدهنى والتحورى Degenerative Disease وأمراض سوء الهضم بكافة أنواعه مثل الانتفاخ والقولون العصبى وغيرها من الأمراض التى تسىء صحة من يصاب بها وحديثاً وجد أن هناك من الأمراض ما يعالجه الصيام أو على الأقل يمثل الصيام الخطوة الأولى فى العلاج منه .

فعلى سبيل المثال لا الحصر وجد أن السكر الهرمونى المصاحب للبدانة المفرطة يستطيع الإنسان العلاج منه بل والشفاء منه تماماً باتباع الصوم المعروف عندنا إسلامياً ، وقد شرحت الدكتورة فيلبس أولمان هذه الحقيقة عندما قالت : « ثبت أن النظام الغذائى الحرمانى لفترات متقطعة قادر على تثبيط نمو الأورام فى حيوانات التجارب . كما ثبت بالتجربة الميدانية أن سرطان القولون يكثر ظهوره مع البدانة ، كما أنه يعتبر النظام الوحيد لعلاج السكر الهرمونى الناتج عن الإجهاد الذى تسببه البدانة » ..

كذلك يقول د . ملتون شاتون : « إن الامتناع التام عن الطعام ، المحدد بمدة ـ حتى ظهور الأجسام الكيتونية فى البول ـ « هكذا يقول » يساعد أو هو السبيل الوحيد لتفادى خطر فشل البنكرياس فى الشخص البدين .. وفى نفس الوقت هو السبيل الوحيد لإنقاص وزن المريض بكفاءة عالية ..

وكلتا الملاحظتين وردتا فى كتاب كارانت ١٩٨٦ الفصل ٢٠ ص ٨٠٥ و٨١٩ على التوالى .

لقد اعترف العلماء الآن أن نظام الرجيم الغذائى لم يعد كافياً لمواجهة الأخطار التى تصيب الإنسان من جراء الإفراط فى تناول الغذاء ، والسىء من عاداته الأخرى مثل التدخين ، وعدم الحركة والانفعال المستمر وغير ذلك ..

←

← الخير فى الصيام

إن الصيام يستطيع على مدى شهر كامل مع اتباع سنن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يصلح هذا الاختلال بين عناصر الغذاء وطريقة الاستفادة منها داخل الجسم ، بل وثبت علمياً بالتجربة أن حجم المعدة والأمعاء المتمدد للشخص البدين يتقلص باتباع الصيام إلى ما يقرب من الثلث ، الأمر الذى يوفر على المريض مشقة التعرض لعمليات جراحية يتم فيها استئصال جزء من المعدة أو الأمعاء .

ولقد وجدت علاقة اكيدة بين التحسن الطارىء على المرضى والصيام متمثلاً فى الحالات التالية اذكرها كمثال لا حصر .. لان ما خفى منها اكبر مما نعلم فى هذا الصدد .. واهم هذه الأمراض هى :

١ ـ أمراض القوباء الجلدية والصدفية والثآليل المزمنة والثعلبة والتهابات الملتحمة فى العين (الغير حقافية) .

٢ ـ أمراض التحور الغذائى مثل التحور الدهنى والتحور المخاطى والتقرح المعوى وتمدد المستقيم الحاد والمزمن ... الخ .

٣ ـ الازما التنفسية بأنواعها المتعددة ما لم تكن التهابية ، وتمدد الشعب المزمن والحاد والرشح البللورى الجاف والمائى والدموى (إذا خرج المريض من المرحلة الحادة) وجميع أنواع السعال المزمن (لانقطاع السبب) ما لم يكن ناتجاً عن ورم أو مرض يجب علاجه بالصورة التى يراها الطبيب المخلص الأمين .

٤ ـ الالتهابات الروماتزمية وضغط الدم المرتفع ، (غير الكلوى أو الجراحى) وضيق الشرايين وتصلبها كما يستفيد من الصوم مرضى القصور التاجى إذا وضعوا تحت إشراف طبيب متخصص ..

٥ ـ ضعف العضلات المزمن والمتزايد Chronic Progressive Myopathy وبعض انواع (الروماتويد) المفصلى الحاد والمزمن وبعض أمراض التحول الكولامينى مثل اللويس Lupus والتهاب الغضاريف التحولى Degenera Tive chondritis فى العمود الفقرى أو فى أى مكان آخر من الجسم .(٦)

وبعد .. فهذا قليل من كثير .. وغيض من فيض .. وما علينا إلا البحث وراء حكمة الصوم .. فسنجد عجباً .

وصدق الله العظيم فى قوله
﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
« صدق الله العظيم »
وفقنا الله إلى كل صواب .. وهدانا سواء السبيل .

---

(٦) دكتور ويليام .. الجرعات الغذائية . الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٥ . (عن مجلة التغذية السريرية الامريكية) عن كارانت ١٩٨٦ صـ ٨٢٣ .. الطبعة الهندية المعدلة .

جدول المراجع العربية ..
١ ـ القرآن الكريم ..
٢ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ... (طبعة مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .) محمد فؤاد عبدالباقى .
٣ ـ الطب النبوى .. ابن قيم الجوزيه تحقيق الدكتور عبدالمعطى امين قليحى دار التراث .. مصر الطبعة الأولى رمضان ١٣٩٨ ـ اغسطس ١٩٧٨ .
٤ ـ رياض الصالحين / محيى الدين النووى / توزيع دار ابن زهران القاهرة (بدون تاريخ) .
٥ ـ مجموعة مقالات للكاتب فى دراسات مشابهة قدمت فى برنامج شفاء للناس من التاريخ ١٩٧٩ / ١٩٨٤ . تسجيلات إذاعة القرآن الكريم . مصر
٦ ـ دراسات لعلماء التغذية والعلوم الحيوية والاطباء نشرت فى مجلات العرب الكويتية والدوحة القطرية وعالم المعرفة الكويتية (مراجع متعددة) ذكرت فى الهوامش .
٧ ـ دراسات رمضانية (مجموعة مقالات للأساتذة والدكاترة د . عبد المنعم النمر ، د . محمد المنسى قنديل ، وحسن فريد ابو غزالة ، والدكتور صلاح بركات) .

المراجع الأجنبية :

1 - Current Medical diagnosis treatment 13th edition- [1986] .
2 - Metabolism [physiology Post graduates] Cali Farnia) Amirica
Dr. Hasan Hamdi Ebrahim جامعة القاهرة . الطبعة الثالثة ١٩٨٤ .
3- Regional Anatomy [J.W Smith & others] نيويورك ١٩٨٣ .
4- Zollinger and son [Surgeny] الطبعة الخامسة . لندن (إعادة طبع) .
5- Chimical nutvition 1983 [Amirica] groupe writers.
6- Biochemistry department ALAZHR Faculty of Medcine [group of Doctorial studies] superision prof. Algammal & others.

- - - - - - - - - - - -

(1) Ulcerative Colitis التهاب القولون التقرحى
(2) Oegenerative deseases الأمراض التحورية
(3) Progressive myopathy
(4) Degenerative chondnitis التهاب الغضاريف التحولى

أسمـــاء المــراجع

1- Current Medical diagnosis and treatment califor nia America..
2- Metabolism.. Dr. Hasan Hamdy Cairo.
3- Regional anatomy [J.W. Smith and others] ١٩٨٣ نيويورك
4- Zollinger & Son [operative Surgery] 1984- London.
5- Clinical neutrition - 1983 - Amirica- group of writers.
6- Biochemistry - Department.
جامعة الأزهر .. كلية الطب .. مجموعة رسالات دكتوراه وماجستير .

من تاريخ الأزهر
ومدرسة القضاء
إلى عهد الإمام المراغى

هذه الدراسة شاقة وصعبة :

ويضيف الشيخ المراغى قائلاً فى مذكرته :

« لست أنسى أن هذه الدراسة التى أسلفت بيانها ، دراسة شاقة تحتاج إلى مجهود عظيم وتحتاج إلى رجال ... وتحتاج إلى مال يكافأ به العاملون .. ولكن سمو المطلب يحملنا على تذليل كل عقبة تقف فى طريقه ، ويوجب علينا السخاء والبذل ، لأننا نريد إصلاح أعز شىء على نفوس الجماهير ، ونريد بهذا الإصلاح تقويم هذه الأمة ونهوضها ، وليس من السهل أن يكلف شخص واحد بهذه الدراسة على اختلاف أنواعها ، بل من الواجب أن نفكر فى طريقة التقسيم ، وجعل الدراسة أقساماً وأنواعاً متميزة ..

ثم طالب فضيلته بإنشاء قسم للتعليم الرسمى ، وآخر للتعليم غير الرسمى عرف فيما بعد بـ « القسم العام » .

بينما الأول له نظمه الخاصة التى تتناول الطالب من بداية انتسابه إلى الأزهر حتى نهاية تعليمه العالى. ويكون الثانى مفتوحاً لكل راغب فى العلم غير مقيد بنظم فى السن أو الشهادات .

القســم الأول

ويضيف الشيخ المراغى مفصلاً القول :

« والقسم الأول تجعل درجات التعليم فيه ثلاثاً ، فيكون ثلاثة أقسام :

القسم الأوّلى : مدته خمس سنوات .

القسم الثانوى : مدته خمس سنوات .

والتعليم فى القسمين الأوّلى والثانوى يكون عاماً على مثال التعليم فى المدارس الأميرية ، ويعلم فيها كل ما يعلم فى المدارس الأميرية ما عدا اللغات . وتعلم فيهما علوم الأزهر ـ بالقدر المؤهل لدخول الأقسام العالية ـ تعليماً لا يكون قوامه حفظ الدروس ، وإنما يكون قوامه فهم العلم ، والمران على البحث والتدليل ، وتربية الملكات ...

« وقد يلاحظ أن المدة لا تحتمل تعليم علوم الأزهر ، وتعليم ما يدرس بالمدارس الأميرية . ويغلب أن يكون الطالب قد ألّم بكثير من المعلومات فى المدارس الأولية ، وأن يكون حافظاً للقرآن الكريم . فاستعداده وسنه يسمحان بأن يحتمل هذا المقدار الذى يراد أن يعلمه .. على أن الشروط التى توضع لقبول التلاميذ فى القسم

د. مجاهد توفيق الجندى

الأولى كفيلة بإبعاد من لا يقوى على احتمال هذه الدراسة ..

التعليم العالى

وقد قسم هذا التعليم إلى ثلاثة أقسام : الأول : قسم اللغة ؛ والثانى : قسم الفقه ، والثالث : قسم الإرشاد والدعوة .

« ويجب أن يلاحظ أنى حيث أعرض لهذه الأقسام ، وحيث أبين ما يدرس فيها ، فإنى أضع رسماً إجمالياً قابلاً للتهذيب ، وأترك تفصيله إلى أن يحين وقت التفصيل ، فتؤلف له لجان فنية ..

المواد الدراسية فى هذه الأقسام الثلاثة

ويضيف الشيخ المراغى قائلاً عن المواد التى ينبغى أن تدرس فى كل قسم من الأقسام الثلاثة المذكورة :

« **أما القسم الأول** » : فتدرس فيه علوم اللغة من نحو وصرف ووضع ، وعلوم البلاغة وأدب اللغة العربية ، وتاريخ الآداب ، وعلم النفس والتربية ، ويعلم التلاميذ فيه بعض اللغات التى لها اتصال وثيق باللغة العربية ، ويدرس فيه الكتاب والسنة من حيث اتصال اللغة العربية بهما ومن حيث اتصالهما بآدابها .

« **وأما القسم الثانى** » : فيدرس فيه الكتاب والسنة دراسة مفصلة ، وبخاصة من ناحية الأحكام الفقهية ، ويدرس أصول الفقه ، وتقارن المذاهب الإسلامية بعضها ببعض مع عرض الأدلة ، ومع التعرض للترجيح من جهة الدليل والعرف والعادة ومن جهة المصالح العامة ، وتقارن المذاهب الإسلامية بالقواعد العامة فى أصول القوانين ، ويدرس تاريخ التشريع الإسلامى وما يلزم للقاضى والمحامى من نظم القضاء والإدارة وقوانين المرافعات .

« **وأما القسم الثالث** » : فيدرس فيه المنطق والتوحيد الإسلامى ، والأخلاق والفلسفة قديمها وحديثها ، وتاريخ الأديان والمذاهب ، مع مقارنتها بالدين الإسلامى ، ويدرس أدب اللغة والقرآن والسنة ، وبخاصة من ناحية طرق الهداية والإرشاد ..

لماذا تتعدد هذه المدارس وهى لنوع واحد من التعليم ؟!

ويدافع الشيخ المراغى فى مذكرته عن وجهة نظره فى توحيد التعليم فيقول :

« فى الدولة الآن مدارس متعددة لنوع واحد من التعليم : فيها دار العلوم لتعليم اللغة وفيها الأزهر وكل المعاهد لعلوم اللغة .. فيها مدرسة القضاء الشرعى للفقه ونظم القضاء ، وفيها الأزهر للفقه ونظم القضاء .. وفيها تجهيزية دار العلوم وبالأزهر أقسام تماثلها » ...

« تنفق الدولة على هذه المدارس جميعها ، ومن الممكن أن تقتصد فى هذه النفقات ، ومن الممكن أن تضم هذه النفقات بعضها إلى بعض ، وتوحد جهودها لتخرج أمثلة أحسن من هذه الأمثلة » ..

من تاريخ الأزهر

ويتكلم عن المشارب المختلفة التى شرب منها العلماء فيقول :

« فى الدولة أشكال مختلفة من العلماء ، تخرجوا فى مدارس مختلفة ، يحسد بعضهم بعضاً ، وينقم بعضهم على بعض .. ولهذا أثره فى إفساد الأخلاق » ...

ثم يرى الشيخ المراغى أن الحل للإصلاح هو إلغاء تجهيزية دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى فيقول :

« لم لا يحملنا هذا كله على التفكير فى توحيد الجهود ، وتوحيد النفقات ، ونجعل قسم اللغة منبع علماء اللغة لجميع مدارس الدولة والأزهر ، وتخصص فرقة من قسم الفقهاء لتحل محل مدرسة القضاء ، فتكون ينبوعاً للقضاة والمحامين والمفتين وتلغى تجهيزية دار العلوم والقضاء » ....

اعتراض لا محل له !!

ويحاول المراغى التغلب على بعض الاعتراضات فيقول :

« أول ما يعترضنا فى هذا أن مدرسة دار العلوم أنشئت للحاجة إليها ، وقد حققت الآمال فيها ، فأخرجت للدولة علماء أحيوا اللغة العربية وآدابها بعد أن كادت تدرس ، وكانوا من أهم الأسباب لنشر تلك اللغة وتحبيبها إلى الناس .. بينما الأزهر ضعف التعليم فيه ، وأصبح محلاً لشكوى الأمة وشكوى أهله أنفسهم . وليس من الحكمة - بناء على الآمال فى الأزهر - أن نميت مدرسة محققة الفائدة ، وكذلك الحال فى مدرسة القضاء » ...

« ولكن على الرغم من قوة هذه الحجة يمكننا التغلب عليها بمراعاة ما يأتى : قد كان الأزهر منفصلاً عن الحكومة فى الماضى انفصالاً تاماً ، فلم يكن له بها علاقة إلا بمبلغ يسير فى (الرزنامة) كان حقاً له عليها ، ولم يكن للحكومة إشراف عليه . وقد تبدل الحال ، فصارت ميزانية الأزهر الضخمة أكثرها من وزارة المالية ، وبعضها من وزارة الأوقاف ، وصار لرئيس الدولة حق الإشراف عليه ، وصار مسئولاً عنه أمام البرلمان ، وأصبح من اليسير على الأمة والحكومة أن تعرفا فيم تنفق الأموال ؟! وبأى شىء تشتغل المعاهد وعلى أى نحو تسير ؟..

« ثم إن اندماج دار العلوم والقضاء سيفضى حتماً إلى إدخال أساتذة المدرستين فى الأزهر ، وإلى وجود الصلة التامة بينهم وبين العلماء ، فهذه الصلة التى من شأنها أن توجد تماس الأفكار ، ستنتج نتائجها الحسنة فى إحسان الدراسة ، وستكون هناك عناصر قوية من رجال التعليم فى مجالس الإدارة والمجلس الأعلى ، وفى التفتيش على المعاهد .. وعلى الجملة ستوجد كل الضمانات التى تطمئن النفوس إلى أن المعاهد لا ترجع القهقرى » ...

« هذا الذى قلته - مضافاً إلى توحيد التعليم ، وتوحيد النفقات ، وتجانس العلماء فى الدولة - من شأنه أن يحملنا على المضى فى هذا الطريق ..

مدرسة القضاء الشرعى قطعت الصلة ..!!

ويعلق الشيخ المراغى على نظام مدرسة القضاء وكيف قطع صلة طلابها بالكتب والمؤلفات القديمة التى مُلئت علماً غزيراً فيقول :

« ونختص مدرسة القضاء على نظامها الجديد بكلمة لابد لى من التصريح بها : لست أرجو

للقضاء الشرعى خيراً من هذه المدرسة على نظامها الجديد . وقد كان نظامها منذ انشئت إلى سنة ١٩٢٣ م خيراً من هذا النظام الجديد* ..

« ذلك أننا حتى اليوم ليس لنا مراجع فى القضاء إلا تلك الكتب المقررة فى القرون الماضية ، وهى كتب معقدة ، لها طريقة خاصة فى التأليف لا يفهمها كل من يعرف اللغة العربية . وإنما يفهمها من مارسها ، ومرن على فهمها ، وعرف اصطلاح اهلها ، وايضاً فإن العلوم الشرعية التى يحتاج إليها القاضى مشتبكة ، يستمد بعضها من بعض ، ولا غنى للفقيه عن تعرف علوم كثيرة ترتبط بالفقه » ..

« ونظام المدرسة الجديد قطع الصلة أو أضعفها بين تلاميذ مدرسة القضاء وبين الكتب القديمة ، فالتلاميذ الذين يتخرجون فى التجهيزية ، وينقلون إلى مدرسة القضاء ، ليس لهم من المؤهلات ما يعدهم لتفهم تلك الكتب ، وإلى هضم تلك المعلومات التى وضعت لهم فى البرامج » ..

رسل بين الكتب القديمة والحديثة بالأزهر

يقول الشيخ المراغى معلقاً :

« ولست أدافع الآن عن الكتب القديمة ، بل أرجو الله أن يمكننا من الاستغناء عنها بأحسن منها . وإنما أدافع عن الموجود الذى قضت الضرورة بوجوده ، فنحن بحاجة إلى رسل بين القديم والحديث ، وأولئك الرسل يجب أن نعلمهم القديم والحديث ليخرجوا للناس حديثاً جيداً . لابد لنا من علماء فيهم من القوة ما يستطيعون بها فهم تلك الكتب القديمة ، ومعرفة تلك الطرائق القديمة ، وفيهم من القوة ما يستطيعون معه تصوير ذلك فى أسلوب حديث .. ولذلك فإنه يجب أن يراعى فى النظام الجديد للأزهر عدم إهمال طرقه الأصلية فى البحث وفهم الكتاب » ..

« أما المدرسة على نظامها منذ انشئت إلى سنة ١٩٢٣ م فإنها تستحق الثناء ، ولا أجد ما أعيبها به ، ولكن استطيع ان اقول بأن تعهد الأزهر والمعاهد بالرقابة وحسن الإدارة ، يخرج للأمة مثل علماء تلك المدرسة او احسن منهم » ..

« وقد أشير فى لجنة إصلاح الأزهر سنة ١٩٢٤ إلى شىء من المقارنة بين القضاة خريجى الأزهر ، والقضاة خريجى المدرسة ، ويحسن الرجوع إليه لانه يفيد فيما نحن بصدره ..

وخلاصة القول !!

« وخلاصة ما اسلفته أن تندمج تجهيزية دار العلوم ومدرسة القضاء ومدرسة دار العلوم فى المعاهد ، على أن توضع قواعد وقتية بهذه المدارس بالنسبة لتلاميذها الموجودين فيها الآن » ...

« أما امتيازاتهم فهى كما سيأتى :
« علماء اللغة العربية : يكونون أساتذة فى الأزهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة ومجالس المديريات » ..

« علماء الفقه : يكونون أساتذة العلوم الشرعية فى الأزهر والمعاهد الدينية وجميع مدارس الحكومة » ..

« علماء الإرشاد والدعوة : يكونون أساتذة فى الأزهر والمعاهد ، ويكونون خطباء وائمة ووعاظاً ومرشدين » ..

« أما شهادة القسم الأولى فليس لها شيء من الحقوق إلا تأهيل صاحبها لدخول القسم الثانوى » ...

« أما شهادة القسم الثانوى : فتؤهل صاحبها للأقسام العالية ، وتؤهله لوظائف الكتابة فى المحاكم الشرعية والمعاهد الدينية » .

« وقد ينظر بعد فى علاقة هذا القسم وبعض الأقسام العالية بالجامعة المصرية ، إذا أراد واحد من حاملى شهاداته دخول الجامعة المصرية فى بعض أقسامها » ...

سمعة الأزهر أهم فى الداخل والخارج

ويضيف الشيخ المراغى قائلا :

« وأمر آخر هو أن سلب الامتيازات القديمة التى كانت للأزهر من تخريج القضاة والمحامين وعلماء اللغة العربية يؤثر أمام الرأى العام داخل الدولة المصرية وخارجها فى الأقطار الأخرى على سمعة الأزهر والمعاهد . ومن واجب الدولة المصرية أن تحافظ على كرامة هذا المعهد القديم ، وأن ترد إليه مجده .. فإنه واسطة اتصال وثيق بين الأمة المصرية وغيرها من الأمم . وإذا أحسن استخدام هذه الواسطة عاد بفائدة أدبية ذات قيمة على الشعب المصرى » ...

« ومتى تم تنظيم الأزهر وأخذ مكانته ، فستعود إليه ثقة الأمم الإسلامية ، وتطلب منه علماء ومرشدين ، خصوصاً إذا درست فيه اللغات التى يحتاج إليها المرشد إذا ذهب إلى بلد من البلاد الإسلامية »..

« هذا هو مجمل رأيى فى إصلاح المعاهد الدينية والتعليم ، أقدمه خالياً من التفاصيل حتى إذا ما صادف قبولاً ، واتفق على النقط الأساسية فيه .. أمكن أن نشرع فى تأليف اللجان الفنية التى تبحث أجزاء المشروع ، وأمكن بعد ذلك أن نرجع إلى القوانين لإصلاحها » ...

« **وقبل أن أختم كلمتى هذه أشير إلى أنه من** الممكن إيجاد كل الضمانات لحسن سير التعليم وذلك بتأليف مجالس الإدارة ، ومجلس الأزهر الأعلى على وجه تمثل فيه وزارة المعارف تمثيلاً قوياً ، وأن يكون قسم التفتيش على اللغة العربية **والعلوم الحديثة مشتملاً على رجال يكون لوزارة المعارف رأى فى اختيارهم** .

بل ويمكن أيضاً أن يكون لوزارة المعارف مندوبون لحضور الامتحانات .

لماذا استقال المراغى من مشيخة الأزهر ؟

يرجع بعض الباحثين استقالة الشيخ المراغى من مشيخة الأزهر إلى عدة أسباب منها : أن دوائر القصر لم ترحب بإشراف الحكومة على الأزهر .. وأن الحكومة تباطأت فى تنفيذ هذا المشروع الذى تضمنته مذكرة الشيخ المراغى التى ذكرنا بعض فقراتها ..

كذلك فإن بعض الأزهريين عارض فكرة تقسيم الدراسة العالية إلى عدة أقسام بحجة أن علوم القرآن يخدم بعضها بعضاً ، ويتمم بعضها بعضاً ، ويشترك بعضها مع بعض فى إعداد العالم الذى تتوافر فيه شروط الاجتهاد ..

وعلى كل حال فقد كانت هذه المذكرة ـ وما أثارته من ضجة كبرى فى مختلف الدوائر والأوساط ـ الأساس الذى قام عليه تنظيم الأزهر فيما بعد .

مدينة قرطبة

كيف كانت قبة الإسلام فى بلاد الأندلس

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

قرطبة مدينة عظيمة قديمة البنيان طيبة الماء والهواء احدقت بها البساتين والاشجار والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب ، وقد برزت إلى قمة الوجود فى بلاد الاندلس عصر حكم الامير « عبدالرحمن الداخل » ابن معاوية بن هشام الاموى الملقب بصقر قريش اول امراء الدولة الأموية فى بلاد الأندلس ، وهى عاصمة الولاية الاندلسية المسماة بهذا الاسم فمنها كان توجيه دفة الامور ، وشاركت عواصم العالم المتحضر ذاك الزمان فى السياسة والثقافة والعمارة وجميع مظاهر الحياة الحضارية ..

صارت مستقر الإمارة ثم مركز الخلافة وموطن الوزارة وكعبة الشعراء والأدباء وموئل أهل العلم ومقصد الطلاب ومورد العلوم والمعارف مما جعلها أعظم مدينة بالأندلس ، ولم يكن لها فى الغرب شبيه فى كثرة الأهل وسعة الرقعة وظرف اللباس ومظهر الدين والمواظبة على الصلاة .

موقــع مدينة قرطبة :

تقع هذه المدينة على نهر الوادى الكبير بجبل « شقورة » وهو أعظم أنهار الأندلس ، وبها القنطرة التى هى إحدى غرائب الأرض فى الصنعة والإحكام ، أما جبل (شقورة) فهو سلسلة من الجبال الضخمة المغطاة بالغابات والمراعى وبعض النباتات والورود ، ومن المنحدرات والسفوح الشرقية لهذه الجبال ينبع نهر شقورة أو النهر الأبيض الذي يروى مدينة (مرسية) و(اوريولة) شرقى اسبانيا ويصب فى البحر الأبيض المتوسط [1] .

←

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية الجزء الرابع الاندلس الإسلامية تاليف الدكتور احمد شلبى ط الخامسة سنة ١٩٧٩ م مكتبة النهضة المصرية ص ٩٦ ، ٩٧ .

مدينة قرطبة

كيف تكلم الواصفون عن قرطبة :

(١) يصفها الحجارى وهو أحد علماء الأندلس وقتئذ بقوله : (كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الإسلام ومجتمع علماء الأنام الأعلام ، فيها استقر سرير الخلافة المروانية ، وفيها تمخضت خلاصة القبائل المعدية واليمانية ، وإليها كانت الرحلة فى رواية الشعر والشعراء ، إذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ، ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ، ويبارى فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب ، ولم تبرح ساحاتها مجرد عوالى ومحط معالى وحمى حقائق ، وهى من بلاد الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد والزور من الأسد) (٢) .

(٢) وقال عنها ابن الشباط : (قرطبة قاعدة الأندلس وأم المدائن ومستقر الخلافة ودار الإمارة ، كان فيها يعيش الخلفاء من بنى أمية وآثارهم بها ظاهرة ، وأبنيتهم فيها وفيما جاورها بيِّنة ، كثر بها العلم والعلماء ، واستقر بها النبلاء والفضلاء ، وصارت دار الهجرة للعلم ، ومكان الرحلة لأولى الفهم وكان من بها من الخلفاء يقيمون همم العلماء ، ويكبرون من يولونه خطة القضاء ، ويختارون للخطة أهليها ويوفونهم حقوقهم فيها ، فكان للقضاء بها المنزلة العالية والرتبة السامية ، وكان الخلفاء هناك مقادين لأحكامهم ، وأما الرعية فكانت على قدر كبير من علو الهمة واجتماع الكلمة ، وتجمعهم على الحقائق ، واتباعهم لأحسن الطرائق ؛ فصارت لهم بذلك النجدة والعزة وجازوا أعلى المنازل والرفعة ، وفى قرطبة الجامع المشهور أَمْرُهُ ، الشائع ذكره من أجمل مصانع الدنيا كبر مساحة وإحكام صناعة ، وجمال هيئة تَهَمَّمَ فيه الخلفاء من بنى أمية فزادوا فيه زيادة حتى بلغ الغاية فى الاتقان ، واستولى على أمد الإحسان فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف) (٣) .

قرطبة فى السياسة زمن الخليفة عبد الرحمن الملقب بالناصر :

عندما أهل عليها عصر ذلك الحاكم الأموى ازدهرت بلاد الأندلس ونافست قرطبة فى عظمتها عظمة القيروان وبغداد والقاهرة وبخارى ودمشق ، وأصبحت قبلة العلماء والشعراء والكتاب والفنانين ، كما جعلها عاصمة لدولة قوية عزيزة الجانب حتى ليمكن أن يقال : إن قرطبة لم تكن فى عهد من عهودها أغنى ولا أكثر ازدهاراً فى أى وقت مما كانت عليه فى عهد الناصر ، فلقد كانت أشبه ما تكون بالعاصمة الكبرى فى بلاد الأندلس .

وكيف لا يكون ذلك وحاكمها المشار إليه أعلن نفسه أميراً للمؤمنين وأصدر وثيقة رسمية بذلك فى أوائل ذى الحجة سنة ٣١٦ هجرية ، ومن يومئذ تسمى (بأمير المؤمنين الناصر لدين الله) ، فكان بهذا الصنيع أول أمير من بنى أمية بالأندلس ينعت بإمارة المؤمنين ، وبدأت الدعوة بذلك ولمن أتى بعده من بنى مروان .

وغدا أمير المؤمنين القائم فى قرطبة يمثل سلطانُهُ السياسي سلطانَ المسلمين والإسلام فى الغرب الإسلامى ، فوفدت عليه السفارات

---

(٢) كتاب اقضية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تاليف الإمام المحدث ابى عبدالله محمد بن فرج المالكى المعروف بابن الطلاع ص ٥١ ط نهضة مصر سنة ١٩٧٨ م .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية الجزء الرابع المرجع السابق .

الأوروبية تلتمس المفاوضة فى شتى الشئون الثقافية والتجارية والسياسية ، وكانت الأبهة والترف تبهران سفراء الدول مما جعلهم يتحدثون بذلك وينقلونه إلى حكام بلادهم . (٤)

القوة الحربية لقرطبة :

يذكر العلامة ابن خلدون فى مقدمته : أن أسطول الأندلس فى عهد (الخليفة : عبدالرحمن الناصر) قد وصل إلى مائتى سفينة أو نحوها وقد أخذ هذا الأسطول الحربى يسدد ضرباته إلى ممتلكات الفاطميين فى بلاد المغرب رداً على غارات أساطيلهم التى كانت تعيث فساداً على سواحل الأندلس ، وعندما تولى الإمارة الخليفة الحكم الأموى أعد أسطولاً من ستمائة سفينة حاصر به حصن القَبَطَة من حصون المُرْية لما ظهر المجوس على الساحل الشرقى للأندلس وهم قوم من البلاد الاسكندنافية على شىء من التوحش لا مدنية لهم يركبون مراكب صغيرة ذات أشرعة سوداء يهجمون على السكان كالجراد يقتلون وينهبون ويحرقون المساكن .(٥)

الحالــــة الاقتصاديــة :

صارت أسبانيا الإسلامية ـ وليست قرطبة فقط ـ فى عهد بنى أمية أغنى بقعة فى أوروبا ، وأكثرها ازدحاماً بالسكان ؛ ولذلك اهتمت حكومة قرطبة بالسياسة الإنتاجية اهتمامها بالمسائل السياسية والحربية : ـ

(١) فقد عنيت بالزراعة وشقت من أجل ذلك الترع وحفرت القنوات وجلبت إلى الأندلس كثيراً من الأشجار والثمار التى لم تكن معروفة من قبل فى تلك البلاد مثل الأرز وقصب السكر والكروم . واشتهرت بذلك مدينة (مرسية) و(فالينيثيا) ، و(غرناطة) فى أماكن الخصب .

(٢) كما انتعشت الصناعة بعد أن عملت الحكومة على الكشف عن مناجم الذهب والفضة والحديد وكثير من المعادن الأخرى ، واشتهر بذلك من المدن (جيان) ، و(الجِـرْب) ، و(بأجه) ، و(مالقه) .

(٣) وعن صناعة الحرير والصوف فقد اشتُهرت بها قرطبة ومالقة و(المرية) .

(٤) أما ورق الكتابة فقد اشتهرت بصناعته مدينة (كونيكا) .

(٥) واشتهـرت مـدينـة (طليطلـة) ، و(قرطبة) بصناعة الأسلحة . (٦)

(٤) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى تأليف الدكتور جودة هلال ومحمد محمود صبح طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر أول نوفمبر سنة ١٩٦٢ م .

(٥) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية الجزء الرابع المرجع السابق .

(٦) كتاب قرطبة فى التاريخ الإسلامى . المرجع السابق .

الفتاوى

قضاء رمضان

س ١ : شخص مرض وطال به المرض لمدة عامين ، لم يصم فيهما شهر رمضان ، ثم توفى إلى رحمة الله . فهل يصوم بعض اولاده ام لا ؟
جمال محمود

جـ ١ : يجوز قضاء الصوم عنه ، عند الإمام احمد ـ خلافاً للجمهور جاء فى سنن ابن ماجه باب من مات وعليه صيام ـ عن النبى ﷺ ـ فى رده على الخثعمية فى قولها : إن اختى ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين .

قال : «أرأيت لو كان على أختك دين اكنت تقضينه .. قالت بلى . قال فحق الله أحق» .

حكم الإعلان عن الأشياء فى المسجد

س ٢ : ما حكم الإعلان فى المسجد عن محصل الكهرباء ، والاطفال الغائبين ـ والنوم فى المسجد .

س ـ غانم

جـ ٢ : الأصل الا يعلن فى المسجد عن عمل من أعمال الحياة ما لم يوجد حاجة ملحة تتعلق بمصالح المسلمين وفى أضيق الحدود .

اما النوم فى المسجد فإنه مكروه لاحتمال خروج روائح كريهة .

قيمة العقيقة ـ تعليق الصور

ذبائح اهل الكتاب

س ٣ : أ ـ شاب رزقه الله بمولود فى امريكا حيث يقيم هناك ويريد أن يعمل له عقيقة ولم يجد فقراء فى المكان الذى يقيم فيه فهل يرسل قيمتها لفقراء بلده .
ب ـ ما حكم اكل اللحوم المذبوحة فى أمريكا .
جـ ـ ما حكم تعليق الصور التذكارية على الحائط ..

احمد يوسف

جـ ٣ : أ ـ لا مانع شرعا من إرسال قيمة العقيقة إلى فقراء بلدك .
ب ـ أباح الله للمسلمين أن ياكلوا من ذبيحة اهل الكتاب (النصارى واليهود) قال تعالى : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ الآية .
جـ ـ لا مانع من تعليق الصور التذكارية بشرط الا تكون فاتنة .

إعداد: عبد الحميد السيد شاهين
علي حامد عبد الرحيم

حقوق المطلقة قبل الدخول

س ٤ : ما حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول بها ، علما بأن الزوج دفع المهر وقدم لها شبكة ذهبية قيمة . فما الحكم ؟

موسى محمد

جـ ٤ : حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول هى : نصف المهر جميعه مقدمه ومؤخره ، وكذلك نصف الشبكة لأنها جزء من المهر ، كما تستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها إلى تاريخ الطلاق .

كيفية الدعاء بعد الصلاة

س ٥ : هل كان الرسول ﷺ أو الخلفاء الراشدون يأتون بالتسبيح والدعاء بعد الانتهاء من الصلاة جهراً ، أم سراً ؟

السيد رمضان/ البياضى جرجا

جـ ٥ : قال الله تعالى : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ « ـ ٢٠٥ الأعراف » .

وروى مسلم عن أبى موسى قال : كنا مع النبى ﷺ فى سفر ـ وفى رواية فى غزاة ـ فجعل الناس يجهرون بالتكبير ـ وفى رواية ـ فجعل رجل كلما علا ثنية قال : لا إله إلا الله ـ فقال رسول الله ﷺ : «أيها الناس أربعوا على أنفسكم ، إنكم لستم تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» .

وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير .

وفى رواية لهما ـ عنه أيضاً ـ أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله ﷺ وإزاء هذه النصوص ـ فإن من العلماء من قال لا بأس بالجهر بالذكر عقب الصلوات بناء على ما رواه ابن عباس ، ومنهم من قال بكراهته بناء على الآية الكريمة وما رواه أبو موسى .

ومن العلماء من اختار للإمام والمأموم أن يذكر الله تعالى بعد الفراغ من المكتوبة ويخفيا ذلك ـ إلا أن يكون إماماً يريد أن يُتعلم منه فيجهر حتى يعلم أن المأموم قد تعلم منه ثم يُسر ، وحمل الحديث على هذا منعا للتشويش على المصلين ، وعونا على الإخلاص وعدم الرياء .

والله أعلم

من أعلام الأزهر

عبد الرحمن البرقوقي

٢

كانت بواكير النهضة الأدبية التى تزعمها الإمام محمد عبده ، تؤذن بنشاط متعدد الجبهات ، حيث انطلق تلاميذه فى توثب طافر إلى ميادين تتشعب وتختلف ، وإذا كان التخصص الدقيق مما يحدد المجرى العلمى لدى الباحث المتخصص ، فإن مرحلة هذا التخصص المثالى لم تكن آذنت بعد ، لذلك نجد أديباً مثل الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى يهيم بالبحث الدائب ، ويتطلع إلى اجتناء ثمار الثقافة من شتى الغصون ، بحيث لا يقتصر على طعامٍ واحد ، فهو يكتب المقالة الأدبية ، ويعالج القصة الفنية ، ويشرح الدواوين الشعرية ، وينشر المخطوطات المتاكلة ، وينشىء المجلة الراقية ، وهذه الاتجاهات المتشعبة ترضى حاجة القارىء فى بعضٍ دون بعض ، لأن المواهب البشرية محدودة ، ولن يدعى أحد السبق فى كل اتجاه إلا إذا أصيب بالغرور ، وأذكر أن كاتبا من كبار الكتاب ، ومن أقطاب مجلة البيان بالذات ، وهو الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، لم يفته تشتت الاتجاه الأدبى فى عهده ، ونظر إليه نظرة الناقد المتفرس ، وكان مما قال فى تعليله : « إننا وجدنا صحراء تمتد إلى آلاف الأميال ، وهى فى حاجة إلى أن نبحث عن عيونها المخبوءة فى الباطن السحيق لتمدنا بالماء ، ثم إلى أن نلقى شتى الغراس من كل صنف ، فإذا أفلح صنف على يد غارس ، فالصنف الثانى يفلح على يد سواه » هذا ما أتذكره الآن من كلام المازنى بمعناه لا بلفظه ، لأنى لم أعثر على المصدر الذى طالعته منذ مدى بعيد ، والاستئناس به ضرورى فى هذا المجال ..

أجل ، لقد كتب البرقوقى المقالة الأدبية فى اللواء والمؤيد ، ثم فى صحيفة البيان ، وللرجل طابعه الفنى الذى ينطق بخصائصه الأسلوبية ، بحيث يستطيع الدارس أن يعرف نتاجه دون توقيع ، وقد تجلى هذا الطابع بعد أن استحكم قلمه ، واستوى على سوقه لأنه قبل إنشاء مجلة البيان كان يميل إلى نهج « مدرسة عبد الله فكرى » فى اصطناع المنحى الفنى لأسلوب المقامات الذى احتذاه حفنى ناصف ، ومحمد توفيق البكرى ومحمد المويلحى ووالده إبراهيم ،

أ. د. محمد رجب البيومى

وأضرابهم من ذوى الافتنان البديعى ، فلما ظهر الإمام محمد عبده فى مرحلته الأخيرة بأسلوبه الجزل المرسل ، وبتدفقه السمح المستوعب ، كان للمقال اتجاه آخر ، لا سيما والصحف اليومية التى تطلع على القراء كل صباح لا تحتمل صراع التنميق بين المعانى والألفاظ ، وكتاب المعانى من أمثال : أحمد فتحى زغلول وعلى يوسف ومحمد مسعود يبدعون فى نسقهم المسترسل دون قيد ، فانتصر الأسلوب (الخلدونى) الذى انتحاه صاحب المقدمة على الأسلوب البيانى الذى انتحاه بديع الزمان ، وجاءت مجلة البيان بأعلامها الطامحين لتسير فى هذا المجال سير الموفق المسدد ، دون أن تهمل واجب الرصانة المتماسكة ، والوضوح الكاشف ، ومع اهتمام البرقوقى بالبيان الجاحظى ، فإنه ساير أصحابه فى الانطلاق السابح دون قيد ، أقول ذلك لأؤكد أن أكثر مقالات البيان التى تُركت دون توقيع هى من نتاج البرقوقى ، ولم يكتبها أحد سواه ، وأرد بذلك على ما ذكره الأستاذ « محمد سعيد العريان » فى كتاب (حياة الرافعى) حيث جزم بأن الرافعى هو الذى كان يكتب أكثر مالم يوقع فى مجلة البيان[1] . وقد فات الأستاذ العريان أن الرافعى هو الرافعى ، وأن أسلوبه الفذ المنقطع النظير فى فحولته الآسرة لا يمكن أن ينتسب إلى سواه ، لا فى البيان الأدبى وحده ، بل فى البحث العلمى ، فأنت تقرأ تاريخ الأدب بأجزائه الثلاثة فتعرف منحى الرافعى البيانى ، كما تعرفه فى وحى القلم بأجزائه الثلاثة ايضا ، فمن الظلم للبرقوقى أن نسلبه حقه دون دليل ، بل من

الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

الظلم كل الظلم لهذا المناضل المستشهد أن نسلبه هذا الحق مع قيام الدليل كوضح النهار !!

ولكى نوجز تراث البرقوقى فإننا نشير أول ما نشير إلى شرحه لكتاب (التلخيص) للقزوينى ، حيث حازى الإمام فى الاهتمام بكتب البلاغة ودعاه احتفاء محمد عبده بكتابى أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز أن يبحث عن سواهما ، فكان كتاب القزوينى وجهته المرموقة فاهتم بشرحه شرحاً متقنا ، وظهر عمله البارع سنة ١٩٠٤ مصدراً بكلمة قيمة للإمام محمد عبده قال فيها[2] :

شرحه [التلخيص] كثير من الناظرين فى الفن ، وتعلق الأغلب بألفاظه ، ولم ينظروا الغاية

←

١ ـ حياة الرافعى للأستاذ العريان ص ٣٢٤ .

٢ ـ التلخيص بشرح البرقوقى ص ٢٠ .

من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ، وخانتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ، فلاهم يحسنون إذا كتبوا ، ولاهم يقنعون إذا خطبوا .

ثم شرحه البرقوقى واطلعت على نموذج من شرحه فوجدته كافياً فى تبين معنى ما فى الكتاب ، موجها نظر الناظر فيه إلى ماقصد منه ، ولا حاجة بالسائر إلى الغاية من الفن إلى اكثر مما جاء فيه ، وإنما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة كلام البلغاء وأسأل الله أن ينفع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد منه مراجعه .

أما الحكم العلمى الدقيق على شرح البرقوقى للتلخيص فقد سجله « الدكتور أحمد مطلوب » فى كتابه الضخم (القزوينى وشروح التلخيص) حين قال :

وطريقة البرقوقى فى الشرح هى أن يذكر معانى المفردات الغامضة ، ويكمل بعض نصوص القزوينى فى التلخيص من كتابه الإيضاح او كتب البلاغة الأخرى ، وينقل بعض النصوص من كتابى عبد القاهر ومن الكشاف للزمخشرى ، والمثل السائر لابن الأثير ، ومفتاح العلوم للسكاكى ، وقد أجاد الشارح ، ويمكن أن يعتبر هذا الشرح وحده كتاباً فى البلاغة لما فيه من إضافات وفوائد جمة ، وقد أعيد طبع الكتاب سنة ١٩٣٢ ، ومايزال التعويل على هذه الطبعة فى دراسة التلخيص وقراءته[٣] .

وأزيد على ما ذكر الدكتور أحمد مطلوب فاقرر :

أن الكتاب تعددت طبعاته بعد الطبعة التى أشار إليها ، إذ احتكرت طبعه إحدى دور النشر بلبنان فوالت إصداره على فترات ، ولاقى من قبول الدارسين ، مالا مزيد عليه وضج ورثة البرقوقى دون أن يحصلوا على كسب ما ، وعلى الذين يؤرخون للازدهار البلاغى المعاصر أن يعرفوا للبرقوقى مكانه العلمى ، إذ لم أجد من أشار إليه فى هذا النطاق غير الدكتور أحمد مطلوب ، مع ذيوع الشرح ، وتقديمه بكلمة الأستاذ الإمام ، بل إن الأستاذ أحمد مصطفى المراغى حشد فى مؤلفه عن تاريخ البلاغة وأعلامها اناساً لم يبلغوا مبلغ البرقوقى بحيث كان تأليفهم مدرسياً هامشياً ، ثم نسى الشارح الرائد ! وكأنه لم يكن الثانى بعد الأستاذ الإمام !!

كان البرقوقى وثيق الصلة بالعالم اللغوى الكبير الشيخ إبراهيم اليازجى ، وللأخير شغف بالتراث الأدبى ، وهمة فى إحيائه وقد وقعت فى يده نسخة خطية لرسالة الغفران التى ألفها المعرى ، ولم تكن ذائعة بين الناس ، فأعجب بها ، وأشار على (أمين هندية) صاحب المطبعة الشهيرة فى عصره بضرورة نشرها ! ولكن النسخة مليئة بالأخطاء الكتابية ، وتحتاج إلى محقق يراجع النص ، ويصححه ويستقرىء دواوين الشعر ، ليمنع التحريف والتصحيف ، ويعيد النص إلى أصله قدر الإمكان ، وليس لدى اليازجى من الوقت مايتيح له تحقيق رسالة الغفران ، فأشار على البرقوقى أن ينهض بهذا العبء ، فى وقت لم يكن للمحقق فيه أدنى مغنم ، وقد صدع البرقوقى بأمر أستاذه ، وقضى بلاء كاربا فى تحقيق النسخة المتآكلة حتى استطاع أن يخرج منها شيئاً جيداً يفيد ، وأقول شيئاً جيداً يفيد ، لأن مخطوطات أخرى قد ظهرت لرسالة الغفران فأضاءت بعض الجوانب الخافية ،

٣ ـ القزوينى ، وشروح التلخيص للدكتور أحمد مطلوب ص ١٧٣ .

وتوالى المحققون بعد البرقوقى فاكملوا الشوط دون أن يشيروا إلى جهده ، وهو الذى قد مهد الأرض ونزع الشوك ، وفتت الصخر ، وسقى الماء !

وكذلك فعل البرقوقى بديوان البحترى لأن الطبعة التى قدمها أمين هندية فى جزءين كبيرين ، قد كتب فى صفحتها الأولى أن الذى أشرف على نشرها البرقوقى ! وتهيئة ديوان كبير كديوان البحترى للنشر من مخطوطة متآكلة ، عمل ممتاز يجب أن ينصب له الميزان ، فاقل تحريف فى البيت يعبث بمعناه وبمبناه ، ولابد من الرجوع إلى ما نشر من كتب التراث لمراجعة ما جاء بها من شعر البحترى ومضاهاته ! بل لابد من الاحتيال على إقامة وزن البيت ، إذا كتبه الناسخ مكسوراً ، وتعثر الحصول على نسخة أخرى تراب الصدع ! ذلك جهد فادح قام به البرقوقى ، وجاء بعده من تسلم الديوان لينقله ، ولم يزد غير ضبط بعض الكلمات ضبطا نحويا ، حتى هيأ الله للديوان محققاً ممتازاً هو المرحوم الأستاذ حسن كامل الصيرفى فاخرجه أبدع إخراج فى خمسة أجزاء كبار ! ولم ينس أن يشير إلى صنيع البرقوقى ص ٣٠ من المقدمة ، وأنه نقل عن مخطوط لا عن مطبوع سابق !

اما التحقيق العلمى والشرح الأدبى الممتازان حقا ، فقد ظهرا فيما قام به البرقوقى نحو ديوانى حسان بن ثابت وأبى الطيب المتنبى ، ولم يسبق لديوان حسان شرح ما ، فعكف البرقوقى على شرحه وتحقيقه ، وإضافة مالم يضم إلى الديوان مما عثر عليه فى كتب التراث .

وقد لاحظت ان الشارح قد عنى نفسه فى التدقيق اللغوى ، والاستطراد العلمى ، وكان فى الإيجاز مايبلغ حاجة القارىء الفاحص ، ولكن عبد الرحمن اراد ان يحاكى صنيع المرزوقى والتبريزى والعكبرى والواحدى ، من شراح الدواوين ، فيعالج شئوناً من اللغة والنحو والبيان ، تضىء مناحى الإبداع الفنى للشاعر ، وتفيد القارىء المطمئن ، وفيما ما رواه من شعر حسان ما لاير تفع فى رايى إلى طبقته ، وكان عليه أن يشير إلى أن بعض مانسب إلى حسان مما يشك فيه ، لأن بعض الأبيات الركيكة التى نسبت إليه فى رثاء محمد ﷺ يدل نظمها المتهافت على انها منحولة ، ولن يقول قائل إن العجلة قد جنت عليها ؛ لأن حساناً كان يرتجل الشعر حين يدعوه الرسول ﷺ للقول ، فلا ينخفض فى الارتجال ! وقد يكون من عذر البرقوقى انه ناشر لا دارس ، ولكل منحاه !

وإذا كان ديوان المتنبى قد حظى بشروح كثيرة ، فلماذا اقدم البرقوقى على شرحه ، ذلك سؤال استشعره الشارح الكبير فأخذ يسرد الشروح السابقة ليعلن أن المتداول منها ـ لعهده ـ ماكتبه العكبرى والواحدى واليازجى .

اما الواحدى فقد طبع شرحه باوروبا والهند ولم يسهل تداوله فى البلاد العربية ، وهو فى ترتيب الأبيات متفق مع شرح العكبرى حيث يتخلل البيت الشرح ، فلا يستطع القارىء أن يتلو القصيدة مجموعة منتظمة دون عائق مرهق ، هذا إلى التحريف الشائن فى كل صفحة ، مع قصور فى بعض المواقف عن تادية ما يجب من التوضيح .

وإذا كان اليازجى قد ذكر فى المقدمة أن شرحه سيد الشروح إذ طبق المفصل واصاب مقطع الحق ، واوفى على الغاية فإن الواقع غير ذلك ، لأن القسم الذى شرحه الشيخ ناصف قد اقتصر على شرح المفردات دون التعرض للمعنى العام ، اما القسم الذى

←

شرحه ولده إبراهيم ، فلم يسلم من الغموض ، إذ ترك من الأبيات ما ظن معناه مفهوماً ! وقد يكون مفهوماً لديه وهو عالم مكين ! ولكن اين حق القارىء ؟

هذا وقد اعترف البرقوقي أنه فحص هذه الشروح جميعها وأضاف إليها ما عثر عليه من شروح ابن جنى وابن القطاع وابن وكيع والتبريزي والعروضي والإفليلي ، وفي هؤلاء من لم يشرح الديوان كاملا ، ولكنه ألتفت إلى أبيات معينة لم يفت البرقوقي أن يقف على ما قيل بصددها ، وإذا كان قد اعترف بأن هؤلاء على فضلهم الواسع جمعوا بين الحسنات والسيئات ، وبين السداد والهفوات ، فإنه قد اعترف على نفسه اعترافا شجاعا حين قال[٤] .

« وقد وجدت ذلك من نفسي ، مع أن الطريق معبد والمادة متوافرة [في الشروح السابقة] فقد اكون في بعض الأوقات مستجماً نشيطاً مهزوزاً ، مرهف لطبع ، مصقول الذهن منبسط النفس فأشرح ما اشرح من قوافي المتنبي فأتي بما أرضى به عن نفسي ، ويعروني لـه من الطرب ما يستخفني ، وأكون في أوقات أخرى منقبض النفس ، مغلق الذهن ، فدماً بليداً ، لا أكاد اذهن شيئا ، وأكون مضطرا إلى العمل ، فاشرح وأنا على هذه الحال بعض الأبيات ، ثم أعود في وقت أكون فيه على جمام من نفسي إلى ما شرحت ، فأدهش ، كيف يكون هذا من رجل له بقية من فهم ، وأتهم نفسي ، حتى لا أكاد أصدق أن شيئا من هذا نَدَّ به القلم » .

هذا وقد أصاب البرقوقي شاكلة الصواب حين قال عن شرحه « فلا يلقين في روعك أنه بدع في الشروح ، وأنه شيء مبتكر جديد ، وهل غادر الشعراء من متردم ، وإنما مزية هذا الشرح انه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير ، وبذلك توافر فيه مالم يتوافر لأى شرح من شروح المتنبي على حدته ، فليس يغني عنه ، ولكنه بحمد الله يغني عن سائر الشروح فهو كما يقول أبو الطيب :

يدل بمعنى واحد كل فاخـر
وقد جمع الرحمن فيه المعانيا[٥]

وكان من عادته بعد أن فرغ من إصدار البيان ، أن يقضي كل يوم ساعتين في إعادة ما قرأه من كتب التراث وتصفح ما طبع معا لم يقرأه ليختار من طرائفها الأدبية ما يكون ملحاً نادرة تحفظ وتروى ، حتى اجتمع له من هذه الفرائد الأنيقة ما يملأ عدة أجزاء نشر جزءين كبيرين منها تحت عنوان (الذخائر والعبقريات) في طبع جيد مشكول ، وقد شرح غامض الفاظه بما يسفر عن وجهه ، كما قدم الجزء الثالث قبيل وفاته للطبع ، وأنا لا أدرى إذا كان قد ظهر ولم اقرأه ، أم أن يد الإهمال قد طوته ، ولهذا النوع من المختارات الأدبية رسالته في الترويح النفسي ، والإمتاع العقلي ودورانه على الألسنة في مجالس السمر ، وأذكر أن أديب العربية الكبير الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي والى نماذج منه في سنوات متتالية بأعداد مجلة الرسالة تحت عنوان (نقل الأديب) كان لها صداها الرنان لدى القراء ، وتساءل عنها الدكتور زكي مبارك مشوقا حين انقطعت بعض الوقت مستحثا صاحبها على الإتمام فاستجاب .

٤ ـ مقدمة الديوان ط ١٩٨٠ ص٩ .

٥ ـ مقدمة الديوان ط ١٩٨٠ ص ١٦ .

ومن هذا القبيل وإن انفرد بموضوع خاص ما كتبه البرقوقى فى مؤلفه الكبير « دولة النساء » حيث جمع كل ما تجمل قراءته عن المرأة فى أدب العرب من وصف لأخلاقها وأعمالها وأزيائها ، ونوادرها ، وما قيل فى التشوق لها ، وما نهضت به كبريات العقائل من أمجاد ، وما قالته ذوات الموهبة من شعر وحكم ! وما بلغته من حظوة فى المجتمع بادية « وحضراً » ، وإنما كان كتاب دولة النساء شبيهاً بمجموعة « الذخائر والعبقريات » حيث اكتفى صاحبه بالجمع والتنسيق ، دون النقد والتحليل ، إذ كان من همه أن يقدم للباحث الدارس ما يساعده على رسم الصورة الدقيقة للمرأة المسلمة ، كما تحدث عنها السابقون .

ولم نترك فى هذا المجال الإلماح إلى كتابى البرقوقى ، (رحلة الفردوس) و(حضارة العرب فى الأندلس) وقد بسطت الحديث عنهما فى كتابى (دراسات أدبية)[٦] وقلت عن الفردوس ما ملخصه : أن البرقوقى وقع تحت تأثير ما كتبه المعرى فى رسالة الغفران فأراد أن يحاكيه بتأليف رحلة مماثلة لم تبلغ فى إتقانها الفنى مبلغ سابقتها ، ومن يبلغ منا مبلغ المعرى فى غوصه وافتنانه ؟ حسب البرقوقى أن جرى فى غباره عدة أشواط ، وإذا كان أبو العلاء قد تحدث عمن سبقه من أعلام العربية فإن البرقوقى قد حادث فى الفردوس أعلام النهضة الأدبية والسياسية ممن سبق إلى دار البقاء من معاصريه ، فقدمهم لقارئه محتفيا مكرما ، وقد طال حديثه بعض الشيء عن إمام العبد الشاعر الأسود الطريف فأتى عنه بما لم يسبق تدوينه ، فكان تخليداً لذكره ، وحمداً لمآثره .

أما كتاب (حضارة العرب فى الأندلس) فاحتذاء أيضا لكتاب سابق ، خطه مؤلفه عن (حضارة الإسلام فى دار السلام) ، وقد تضمن عشر رسائل كتبها مؤلفه « الأستاذ جميل نخلة المدور » على لسان رحالة فارسى تخيله يزور بعض بلاد الشرق ليصل إلى بغداد ويعيش فى زمن المنصور والمهدى والهادى والرشيد مسجلاً روائع ما شاهد ومن شاهد ، أما البرقوقى فلم يشر إلى كتاب حضارة الإسلام فى بغداد ، ولكنه وضع كتابه على نمطه ذاكراً أنه ألهم تسجيل ما يعلم من تاريخ الأندلس على لسان رحالة مصرى يقوم من الأسكندرية وافداً إلى الأندلس فى مركب لعبد الرّحمن الناصر ، واصفاً الرحلة منذ قيامها حتى بلغت غايتها ، والبرقوقى عاشق كلف بتاريخ الأندلس ، وقد نفّس عن كَلَفه بما كتب .

وأذكر أنه نشر بمجلة الرسالة بحوثاً ممتازة حقاً عن (الفتح بن خاقان) صاحب قلائد العقيان ، وعن (ابن بسام) صاحب كتاب الذخيرة وغيرهما من أعلام الأدب الأندلسى ، وقد قال فى مقدمة حديثه عن الفتح : « إن لديه صفحات كثيرة عن أعلام الأندلس يحاول أن ينشر بعضها » ، ولا أدرى مصير هذه الصفحات حيث لم تنشر الرسالة فيها غير القليل ، ومانشر يدل على ما ترك فى غزارة مادته ، ووضوح تعبيره ، وسلامة منحاه !

هذا بعض ما يشير إلى فضل البرقوقى ، وقد اختاره سعد زغلول مراجعا أدبياً لمضابط البرلمان فى مجلسى النواب والشيوخ تقديراً لأدبه ، فقضى فى وظيفته حتى أحيل إلى المعاش ، وقد لقى ربه فى سنة ١٩٤٤ تاركاً جميل الذكر ، ونابه الأثر ، ووافر الثناء ، عند الصفوة ممن يعرفون معادن الأصلاء ، ويحفظون أقدار العاملين ..

د . محمد رجب البيومى

٦ - دراسات أدبية جـ (١) للمؤلف ص ١١٠ وما بعدها .

بطاقـــة تعـــارف

تأمل إدارة مجلة الأزهر أن يتفضل السادة كتاب المجلة ، أو من يرغب في تزويدها بمقالاته أن يتفضل بنسخ بيانات التعارف التالية، وملئها ممهورة في نهايتها بعبارة تفيد صحة البيانات ومسئولية السيد الكاتب عنها ثم توقيعه في نهايتها ، يستوى في ذلك حضرات الكتاب داخل جمهورية مصر أوخارجها .

والمجلة تود تزويدها بالمطلوب على ورقة عادية في أقرب فرصة حتى يتم للمقال فرصة نشره :

١ ـ الاسم رباعياً شاملاً للشهرة أو اللقب[١] ...

٢ ـ تاريخ الميلاد ومكانه ...

٣ ـ عنوان الكاتب (محل الإقامة) ...

٤ ـ تليفون الكاتب أو أقرب تليفون يتيسر معه الاتصال السريع به .

٥ ـ إجازات الكاتب العلمية (شهاداته)

٦ ـ تخصصه الدقيق .

٧ ـ جهة العمل وعنوان المكاتبة إليها .

٨ ـ مجال نشاطه في الكتابة ، وميدان نشره في الصحف والمجلات .

البيانات صحيحة وعلى مسئوليتى
التوقيع

---

(١) لا مانع لدى المجلة من نشر مقال الكاتب باسم الشهرة الذى يختاره مع احتفاظها ببطاقة التعريف به .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

يا قلب

في رثاء الشيخ مصطفى الطير

سوف تبقى حروفها مشرقات

ياقلب

للشاعر: مصطفى أحمد درديـر

يـاقلـب مـالـكَ بـالجمـالِ تَـهيـمُ   وهـوى الحِسـانِ النـاعمـاتِ تـرومُ
وتطـيرُ شـوقـاً لـلأحبـةِ كُلمَّـا   ذُكِـرْتَـهُـمْ ، وعـلى الـعـهـود تُقِيـمُ
وتقـومُ فى ليـل الـدُّمُـوع مُسـهَّـداً   مـاضَرَّ لـو لِلَّـهِ كنتَ تـقـومُ
اَقْصِرْ فكلُّ مَوَدَّةٍ مَقْطـوعـةٌ   ستـزولُ عنـهـا ، او يَـزولُ حَمِيـمُ
يـاقلـبٌ مـا صفـوُ الـودادِ بـدائـم   كَـلَّا ، ولا وَصْـلُ الحبيـبِ يـدومُ
كـلُّ الحيـاةِ إلى الـزوالِ وإنَّمَـاَ   امْرٌ يُـرادُ ومَـوْعـدٌ مَـعْلـومُ
يـاقلـب مـالـك لا يَـرُدُّكَ واعِظٌ   قـد جـاء بـالخبـر اليقـينِ حكيـمُ
وأراك فى سُبُـل الـغَـوايـةِ سَـادِراً   وَصِراطُ ربِّـك واضـح وقـويـمُ
مُتمـاديـاً فى كـل مُـزْدِيَـة ، أغَـرَّك انَّ رَبَّـكَ غـافـرٌ   وكـريـمُ
وَآراك تُشْقِينـى وتُـزْدِيـنـى فَيُحْـدقُ بـى شقـاء مُـهْلِـكٌ   وهمـومُ
وتَـعُبُ لـذَّاتِ الحيـاةِ وإنَّـهـا   يَـوْمَ القيـامـة لـو عَلمْـتَ سُمُـومُ
ولقـد تَـعَلَّمْـتَ الكتـابَ وسُنَّـة الـهـادِى فَـهَـلَّا يَنْفَـعُ   التـعليـمُ ؟
وَدَعَـاكَ ربُّـكَ للـهُـدَى وِالنـور فـاحْـذَرْ اَنْ يَقُـودَك للـهـلاك   رجيـمُ
واحْـذَرْ جَـهَنَّـمَ إنـهَّـا مَـرْصُـودةٌ   للمُجْـرميـنَ وظِلـهُـا يَحْمُـومُ
وطَـعَـامُـهـا ذو غُصَّـة وشَرَابُـهـا   يَشـوى الـوُجُـوهَ وطَلـعُـهُـا زَقّـومُ
واعْمَلْ لجنَّـاتِ الخُـلـوُدِ فـإنَّـهـا   دارُ المُقَـام رَحيقُـهـا مَخْتـومُ
فيـهـن خـيرات حسـان لَمْ يُمَسَّـنَّ كَـانَـهُـنَّ اللُّـؤْلُـؤُ   المنظـومُ
وَاَسـرَّةٌ مـرفوعـةٌ ونَمَـارِقٌ   مَصْفُـوفـةٌ وأَطَـايـبٌ ونَـعِيـمُ
واجْـعَـلْ هَـواكَ مـع النبـىِّ مُحَمَّـدٍ   فَـهُـوَ الحـبيـبُ الصـادِقُ المَـعْصُـومُ
وَهُـوَ الـذى تُـرْجَـى مَـوَدَّتُـهُ لنـا   وَهُـوَ الـذى بـالمـؤمنين رحيـمُ

فى رثاء

فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

رحمه الله

للشاعر
أحمد قاسم أحمد

عز فى عالَمِ الحُمَاة مثيلُهْ ذادَ عن ديننا الحنيف دليلُهْ
رب غِرٍّ أراد بالدين شراً ضَلَّلَتْهُ عن الصوابِ مُيولُهْ
عابَ ما لايُعابُ زوراً وجهلاً رام للبدر ان يحِين أفوله
هب للذود « مصطفى » فى ثبات يرتضيه إلٰهُنَا ورسوله
دك بالمنطق السديد ادِّعاءً لاذ بالخزى - بعده - من يقوله
وهْو كم صال فى النزال بقول فاق فى الوقع مايُصِمُ صليله
ذاك دين الإله .. حق وصدق عَزَّ افرادُهُ وعز قبيله

* * *

ياجليل الرجال : ذاك قليل من رثاء ، وليس يغنى قليله
إن فى القلب لوعة تتلظى اين منا اصطبارنا ، وجميله
كم تمنيتُ ان تعيش طويلا لجهاد فى الدين انت كفيله
لَكِنِ الشانُ ان يكون ممات بعد عيش ولو يَطُولُ طويلُهْ
مثلما تَمَّ مَقْدَمٌ ومجىء كان للمرء ان يتم رحيله
انت فى « الخلد » فى نعيم مقيم طاب هذا الجزا ، وطاب سبيله

سوف تبقى حروفها مشرقات

شعر: أحمد محمود مبارك

أيُّهذا الموتورُ كم تتجنَّى   وتبثُّ الحديثَ زُوراً ومَيْنا
إنما الضَّاد أحرفٌ خالدات   قد حَبَاها الرحمنُ عِزاً وأمْنا
لغة أَنزلَ الإلهُ بها القر   آنَ نوراً فزادها النورُ شأنا
سوف تبقى حروفُها مشرقات   رغم مَنْ يدَّعى ومن يَتَجَنَّى
سوف تبقى نبضاً يُضىء دمانا   لِسَنَاهُ قلوبُنا تَتَغَنَّى
سوف تبقى لسانَنا حيث كُنَّا   ورباطاً يشدُّنا إن نأَيْنا
سوف تبقى نبعَ العلوم وروضاً   لفنونِ تُزهى جمالاً وحُسْنا
مِن نداها استمدت الألسنُ الأخ   رى علوماً وفلسفات وفنا
وهْى تُعطى جُلَّ العطاءِ وليستْ   تُعقِبُ الجوُدَ والعطيَّةَ - مَنَّا

★★★

أيُّهذا الموتورُ كلُّ هجومٍ   قبلما يدنو من حِمَاها - سيفْنى
من قديمٍ والشَّرُّ يرنو إليها   بعيونٍ تمورُ حِقْداً وضِغْنا
وهْى فى حصنها الإلهىِّ تحظى   بسلام من الشرور وتَهْنا

★★★

أيهذا العميلُ . لا ، لستَ مِنَّا   أنتَ عينٌ للحاقدين علينا
قد كشفتَ القناعَ فَاجْنِ وَبالاً   واجْنِ عاراً - مدى الحياة - وشيْنا

قصة الثقوب في العُلوم الكونيّة

أ.د. أحمد فؤاد باشا

كلمة « الثُّقْب » ، وجمعها أثقب وثقوب ، وهي الترجمة العربية الشائعة للكلمة الأجنبية Hole التي اطلقها العلماء على تلك الظواهر ، وهي تعني لغة : الخرق النافذ[1] ، ولكنها تاخذ في قاموس العلم معنى اصطلاحيا مستقلا يختلف من ظاهرة لاخرى ، فهناك الثُّقب الاوزوني Ozone hole في احدى طبقات الغلاف الجوي ، والثقب الكهربي Elctirc hole في البناء الداخلي للمادة ، والثقب الاسود Black hole او الثقب الابيض white hole في اعماق الفضاء الخارجي .

وسوف نعرض تباعاً لهذه الأنواع المختلفة من الثقوب الكونية بهدف التعرف على خصائصها العلمية وآثارها المستقبلية .

أولاً : الثقب الاوزوني والكيمياء الجوية :

من المعروف أن كل جزيء من جزيئات غاز الاكسجين العادي الذي نتنفسه يتكون من ذرتي أكسجين . ويطلق عليه اسم « الاكسجين الجزيئي » Oxygen Molecular ، ويكتب رمزه الكيميائي على الصورة (أ٢) أو (O_2) . وعندما يتعرض هذا الغاز في الجو لتأثير الضوء المنبعث من الشمس فإن الأشعة فوق البنفسجية Ultraviolet radiation ذات الطول الموجي القصير « الأقل من ٢٤٢ نانومتر » تعمل على تفكيكه إلى ذرات طليقة مفردة تسمى الأكسجين الذري Atomic oxyggn ، ورمزه (أ) او (O) ويتميز بشدة فاعليته وميله الشديد للاتحاد مع جزئيات أخرى من الاكسجين العادي لتشكيل غاز الأوزون Ozone الذي يتكون كل جزء فيه من ثلاث ذرات أكسجين ، ورمزه هو (أ٣) او(O_3) .

←

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة : ثقب ، ص ٤٩١ .

(٢) النانومتر وحدة قياس أطوال تساوي جزء من ألف مليون من المتر .

قصـــة الثقـــوب

من ناحية أخرى ، يمكن لغاز الأوزون أن يمتص أشعة فوق بنفسجية ذات أطوال موجية معينة في المدى ما بين ٢٣٠ و٢٩٠ نانومتر[٢] ، ويتفكك مرة ثانية إلى مركبتيه : الأكسجين الجزيئي العادى (أ٢) والأكسجين الذرى النشط (أ) . ومن ثم يتحد الأخير مع جزئي أكسجين ليبدأ دورة جديدة من التفاعلات الكيميائية لبناء غاز الأوزون وتفككه في الجو . وعند توافر ظروف ثابتة تكون النتيجة الصافية لهذه التفاعلات تساوى سرعة بناء الأوزون وتفككه في ظروف ديناميكية مستقرة . وبهذا لا يكون تركيب غازات الجو قد تغير ، كما لايمكن لمورد الأوزون أن ينضب طالما كانت هناك شمس تشرق وكان في الجو أكسجين يملأ الأرجاء .

ويزداد تركيز الأوزون في طبقة الغلاف الجوى المسماة باسمه ، وهى « الأزونو سفير » بين ارتفاعى ١٠ ، ٥٠ كيلومترا من سطح الأرض . وتعتبر هذه الطبقة بمثابة الدرع الواقى لاستمرار الحياة على الأرض وحمايتها من أخطار الأشعة فوق البنفسجية ذات الطاقة العالية لدرجة تكفى لتحطيم الجزئيات الأساسية للحياة مثل البروتين والأحماض النووية . كذلك تمتد آثار هذه الأشعة الضارة ـ إذا ما وصلت ـ لا قدر الله إلى الأرض فتؤدى إلى زيادة في سرطان الجلد والعين ونقص المناعة ، كما يمكن أن تلحق اضراراً بالغة بالمحاصيل الزراعية والأحياء المائية . ولهذا السبب فزعت شعوب الأرض عندما كشفت الدراسات الحديثة عن وجود نقص في نسبة الأوزون المعتادة فوق منطقة القارة القطبية الجنوبية[٣] ، وبالغوا في وصف الفجوة الأوزونيةOzone hole .

ورغم أن هذه الظاهرة تعتبر موسمية ومعزولة ، فهى لا تحدث إلا خلال فصل ربيع

معادلات الكيمياء الجوية للأوزون

(أ) بناء الأوزون وتفككه في الجو :

أ٢ + اشعة فوق بنفسجية ← أ + أ

أ + أ٢ ← أ٣ « الأوزون »

أ٣ + اشعة فوق بنفسجية ← أ٢ + أ

أ٣ + أ ← أ٢ + أ٢

(ب) استنزاف الأوزون بواسطة اكاسيد النتروجين :

ن أ + أ٣ ← ن أ٢ + أ٢ ←

ن أ٢ + أ ← ن أ + أ٢ ←

أ٣ + أ ← أ٢ + أ٢ (النتيجة النهائية)

(حـ) استنزاف الأوزون بواسطة ذرات الكلور :

كل + أ٣ ← كل أ + أ٢

كل أ + أ ← كل + أ٢

أ٣ + أ ← أ٢ + أ٢ (النتيجة النهائية)

(د) معادلة الاتزان بين الأوزون والأكسجين : ٢ أ٣ ← ٣ أ٢

(٣) تمتد القارة القطبية الجنوبية التى تسمى عادة « أنتاركتيكا » Antarctica من القطب الجنوبي إلى الدائرة القطبية الجنوبية ، وهى إحدى قارات الدنيا السبع . وتدعى كثير من الدول ملكيتها لبعض أجزاء هذه القارة التى تزيد مساحتها عن مساحة أي من أوربا أو استراليا . ولا توجد حياة في معظم أجزاء هذه القارة لأن الحيوانات والنباتات تعيش حول حوافها ، ويختفى كل شيء تقريباً تحت سجادة كثيفة من الثلوج والجليد الذى يبلغ سمكه في بعض المناطق نحو كيلو مترين .

نصف الكرة الجنوبى من كل عام فوق القطب الجنوبى ، ومن ثم يمكن اعتبارها ظاهرة طبيعية عادية ، إلا ان العديد من الباحثين يؤكدون أهمية تكثيف الدراسات العلمية حول هذه الظاهرة ، وخاصة بعد ما تبين أن نسبة تدمير الأوزون فى هذه المنطقة أخذت فى الأزدياد منذ منتصف السبعينيات حتى وصلت الآن إلى حوالى ٤٠٪ . وتميل الأرصاد الحديثة وأجهزة مراقبة الفجوة الأوزونية إلى توجيه الاتهام ، ولو جزئياً ، إلى النشاط البشرى الخاص بإطلاق مركبات « كلوروفلوريد الكربون » التى تم تحضيرها لأول مرة فى عام ١٩٢٨ وأصبحت تستخدم فى عمليات التبريد فى الثلاجات ومكيفات الهواء ، وفى دفع الهواء الجوى لتنظيف القطع الالكترونية وفى صناعات مرذاذات « بخاخات » الغازات والأبخرة المضغوطة فى وعاء كما هى الحال فى بعض زجاجات العطور . كما أن هذه المركبات لا تزال لها تطبيقات واسعة فى عمل الأسفنج الصناعى وأوعية التعبئة والتغليف المصنوعة من « البوليستيرين » لحفظ الأطعمة . ومما ساعد على استخدام هذه المركبات اعتبارها من الكيميائيات الصناعية المثالية لأنها غير سامة وغير قابلة للاشتعال ولها درجة ثبات كبيرة . لكن خمولها أصبح اليوم من اهم اسباب خطورتها بالنسبة لطبقة الأوزون فى الغلاف الجوى ، حيث يمكن أن تبقى سليمة ومتماسكه لمدة تتراوح بين خمسين ومائة عام حتى تصل ببطء إلى منطقة أعلى تركيزاً لغاز الأوزون على ارتفاع يبلغ ثلاثين كيلومترا تقريباً ، وتصبح عندئذ عرضة للأشعة فوق البنفسجية التى تحطم جزئياتها المستقرة محولة إياها إلى أشكال أكثر فعالية مثل غاز « الكلور » ، ورمزه « كل » أو « CL » ، وغاز « أول اكسيد الكلور » ورمزه « كل أ » أو « CL O » اللذين يقومان بدور الوسيط فى عملية استنزاف الأوزون . وقد أظهرت الحسابات أن كل ذرة كلور تساعد على افناء مائة الف جزىء من الأوزون .

وهناك تفاعلات كيميائية اخرى يمكن ان تحدث فى الغلاف الجوى لتدمير الأوزون بصورة أكثر استمرارية ، مثل ما تقوم به « اكاسيد » النتروجين « ن أ ، ن أ٢ » .

لكن الظاهرة فى مجملها لا تزال بحاجة إلى تكثيف الدراسات والاستعانة بأحدث « التقنيات » للتأكيد من حقيقتها وتحديد الأسلوب الأمثل للتعامل معها .

أ . د أحمد فؤاد باشا

طرائف

الدنيا ثلاثة أقسام

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : الدنيا ثلاثة اقسام :

قسم للمؤمنين يتزودون به إلى الآخرة .

وقسم يتزين به المنافقون .

وقسم يتمتع به الكافرون .

هل تعلم ؟

أن للحلم خمسة أوجه :

- حلم غريزى : ـ وهو هبة من الله تعالى ـ للعبد بها يعفو عمن ظلمُه ، ويصل من قطعه ، ويعطى من حرمه ، ويحسن لمن أساء إليه .
- وحلم تحالم : يكظم غيظه جزاء الثواب ، وفى قلبه كراهية .
- وحلم كبر : لا يرى المسىء أهلا أن يجازيه .
- وحلم مذموم ورياء وسمعه : وهو حاقد ساكت يرائى الناس .
- وحلم مهانة وذلة وضعف نفس وصغر همة .

« البسمة »

إن البسمة سبيل كل خير ، وكفاية كل شر ، وإن البسمة هى الدواء إذا أحببت الحياة ، والبسمة : براعة الاستهلال عند اللقاء ، ومسك الختام عند الانصراف .

والبسمة : جواز المرور إلى الوجوه العابسة ، وإشارة الأمان إلى القلوب الخائفة .

« لأنك تابع »

عدا كلب وراء غزال ،

فقال الغزال : إنك لن تلحقنى

قال الكلب : ولم ؟

قال الغزال : لأنى أعدو لنفسى ، وانت تعدو لصاحبك .

« الأدب مع الأشياخ »

كان الإمام ابن خزيمة يضرب به المثل فى الأدب ـ لاسيما ـ مع شيخه البوشنجى وحين مات شيخه سئل عن مسألة فى أثناء جنازته فقال : لا أفتى حتى أوارى أستاذى التراب .

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

« لم يكذب قط »

يقال : إن ربعى بن خراش الكوفى العبسى لم يكذب قط وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج ، فقيل للحجاج : إن أباهما لم يكذب قط ، لو ارسلت إليه فسألته عنهما .

فأرسل إليه ، فقال : أين ابناك ؟

قال : هما فى البيت !! .

فقال الحجاج : قد عفونا عنهما لصدقك .

وكان ربعى آلى الا تفتر أسنانه بالضحك حتى يعلم أين مصيره ، فما ضحك إلا بعدموته ، رؤى ثغره مفترا على الغسل .

« بطانة الحاكم »

كان عبيد الله بن مسعود الهذلى أحد فقهاء المدينة السبعة . وكان عمر بن عبد العزيز يقول : لأن يكون لى مجلس من عبيد الله أحب إلى من الدنيا وما فيها .

وقال : إنى لأشترى ليلة من ليالى عبيد الله بألف دينار من بيت المال .

فقالوا له : ياأمير المؤمنين ، تقول هذا مع تَحَرِّيك وشدة حفظك ؟

فقال : أين يذهب بكم ؟ والله إنى لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بالوف والوف .

إن فى المحادثة تلقيحا للعقل ، وترويحا للقلب ، وتسريحا للهم ، وتنقيحا للادب .

« حقا »

قيل لأحد الصالحين : أى الأعمال أفضل ؟
قال : إدخال السرور على المؤمن .

« حب هذه الأشياء »

قال أبو الدرداء ـ رضى الله عنه ـ : أحب الموت اشتياقا إلى ربى ، وأحب المرض تكفيرا لخطيئتى ، وأحب الفقر تواضعا لربى .

« دعاء »

اللهم لك الحمد على ماأنعمت به علينا من نعمك العظيمة ، وآلائك الجسيمة ، حيث أنزلت علينا خير كتبك ، وأرسلت إلينا أفضل رسلك ، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك ، وجعلتنا خير أمة أخرجت للناس تقبل منا يامن تتقبل من المتقين .

هل يؤدى العلم إلى الإلحاد

العلماء وأنصاف العلماء

إن العلم والإيمان لا يتضادان . بل هما الجناحان اللذان بهما يعلو الإنسان فى سماء المعرفة الحقة .

إلا أن انصاف العلماء قوم ضلوا الصواب وتجاوزوا البحث عن الجوهر . وقعدوا من الباحثين مقعد المعاند المخالف . واصبحوا يهرفون بما لا يعرفون . نقاشهم سفسطة وحججهم غوغائية فضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .

قال الأستاذ :

لم يؤد العلم صاحبه إلى الإلحاد فى أى عهد من عهوده ، فإن العالم المنقب عن الحقائق يجد نفسه من الوجود فى عالم لا حد له ، حافل بالموجودات المختلفة ، والقوى الزاخرة ، والحركات الدائمة ، والتحولات المستمرة ، فلا يكاد يسبر غورا حتى تلوح له من ورائه أغوار ، ولا يقف على علة لظاهرة ، حتى تتراءى له من خلفها علل ، ولا ينتهى من تحليلاته إلى سبب ، حتى تبدو له من بعده أسباب : فهو فى خضم عطمطم من الكائنات والقوى الظاهرة والخفية ، بحيث يكاد يفقد رشده حيرة ودهشا ، يسود مجموعها نظام محكم لا تشوبه شائبة من اضطراب . وفى أثناء ذلك يرى العالم الذى نصب نفسه للاهتداء إلى أسرار الكون ، انه يصادف من آثار الحكمة العالية ، وعلامات الإرادة الراشدة ، ما لا يدرك مداه بعقله المحدود ، ويرى أن كل ما حصله من علم بالموجودات : وما كسبه من فقه بالأسباب ، لا يتعدى مدى العلاقات الظاهرة بين تلك الموجودات ، أما كنهها ، ومصدر انفعالاتها ، وترابط القوى العاملة فيها ، فتعلو عن متناول عقله ، بحيث يدرك لأول وهلة من تفكير ، أنها مما لم يخلق هذا العقل لإدراكه .

فهذا الباحث عن أسرار الخليقة ، يضطر أن يخر ساجداً للقدرة العالية التى أوجدت هذا الكون الباهر ، معترفا بأنها فوق متناول الإدراك ، وأن جهد الفيلسوف أن يخبت لها ، وأن يستمد منها نوراً يهتدى به فى ظلمات وجوده المادى .

للأستاذ: محمد فريد وجدى
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ولكن إلى جانب هذا الصنف من المنقبين عن أسرار الوجود، أصنافا أخرى ذوى عقول محدودة، وهمم قاصرة، وقابليات ضيقة، تكتفى من التعليلات بما يؤثر على مخيلتها، ومن التحليلات بما يقف عند حد إدراكها، فيخيل إليها بعد ردح من الزمن انها وقفت على أسرار الوجود، وأن ليس وراء ما وصلت إليه غاية ترتجى؛ فترى أنها وقفت من كل معلول على علته، ومن كل كائن على غايته، فما الذى يحول بينها وبين أن تزعم أنها بلغت من العلم نهايته التى ليس وراءها مرمى، وماذا عليها بعد ذلك أن تعلن أن العالم قائم بنفسه، وأنه ليس بحاجة إلى قيوم فوق مادته؟ فهذا وأمثاله أطلق عليهم الفلكى الكبير (كاميل فلامريون) فى كتابه (الله فى الطبيعة) اسم أنصاف العلماء، وسجل عليهم أنهم قصار النظر، محدودو التعقل، ضعاف التصور، يكتفون بالكلمات الفارغة، والعبارات المجوفة. هؤلاء هم الملحدون باسم العلم، وقد ظلموا العلم، وقصروه على فهمهم القاصر، وإدراكهم الهزيل.

نشر الدكتور دنيرت dennert الألمانى بحثا حلل فيه الآراء الفلسفية لأكابر العلماء الذين أناروا العقول فى الأربعة القرون الأخيرة، وتوخى أن يدقق فى تعرف عقائدهم؛ فتبين له من دراسة آراء ٢٩٠ منهم أن:

٢٨ منهم لم يصلوا إلى عقيدة ما.
و ٢٤٢ أعلنوا على رءوس الأشهاد إيمانهم بالله.
و ٢٠ فقط تبين أنهم غير مبالين بالوجهة الدينية أو ملاحدة.

فإذا اعتبرنا غير المبالين كلهم من الملاحدة، وجدنا أن ٩٢ فى المائة من كبار العلماء يعتقدون بوجود الله تعالى. فهذه النسبة الكبيرة تدل دلالة صريحة على أن التناقض بين الإيمان والعلم الذى يزعم الماديون أنه وصف مميز للعلماء، ليس له أصل، وتشير إلى أن الإيمان والعلم يتكاملان ولا يتنافيان.

قال الدكتور (ليون ووتى) الذى أخذنا عنه هذا الإحصاء:

«إن العلامة الكبير (باستور) وهو أكبر عقل ظهر فى القرن الماضى» كتب يقول:
«الإيمان لا يمنع أى ارتقاء كان، لأن كل ترق يبين ويسجل الاتساق البادى فى مخلوقات الله. وإذا كنت علمت أكثر مما أعلم اليوم، لكان إيمانى بالله أشد وأعمق مما هو عليه الآن».

هل يؤدى العلم إلى الإلحاد

وعقب على هذا بقوله:
«إن العلم الصحيح لا يمكن أن يكون ماديا، ولكنه على خلاف ذلك يؤدى إلى زيادة العلم بالله، لأنه يدل بواسطة تحليل الكون على مهارة وتبصر، وكمال عقل الحكمة التى خلقت النواميس المدبرة للوجود، كمالا لا حد له.

← من روائع الماضى

وقد ثبت أن الإيمان إنما نشأ لدى أصحاب القرائح العالية من ممارستهم للعلم .

● ● ●

إن باستور حتى فى عهد ازدهار المذهب المادى فى أوروبا ، أوتى من الشجاعة ما جعله يؤكد ما سبق للطبيعى الانجليزى المشهور (فاراديه) تأكيده قبله ، فصرح أمام جميع أعضاء الاقاديمياالفرنسية فى حفلة انتخابه لعضويتها بعقيدته قائلا :

«إن الاعتقاد فى وجود الله ووجوب احترامه قد توارد إلى عقلى من طرق ثابتة كثبوت الطريق التى تقودنا إلى حقائق النظام المادى» .

أما الدكتور (وتز) Wutz الكيمائى وعضو اقاديميا العلوم وأستاذ وعميد كلية الطب الباريزية فقد كتب يقول :

«إذا أحسست فى حين من الأحيان أن عقيدتى بالله قد تزعزت وجهت وجهى إلى اقاديميا العلوم لتثبيتها » .

وهذا الفيلسوف (ديكارت) المشهور عندما كان بسبيل بيان العلاقات بين الدين والعلم ، عرفهما بقوله :

«إن حقائق ما فوق الطبيعة هى الجذور الحقيقية لشجرة العلم ، وهى بدونها تجف وتذبل ، وتتصوح أوراقها وتسقط» .

وإليك ما قاله الطبيعى (ريومور) مؤكداً : «إن التاريخ الطبيعى هو تاريخ أعمال الخالق ، ولا يوجد دليل فى متناول عقل جميع الناس على صحة ذلك غير ما يسمح به هذا العلم» .

وقال الفلكى الكبير (فاى) Faye العضو بأقاديميا العلوم فى مؤلفه (أصل العوالم) :

«من الخطأ القول بأن العلم يفضى بصاحبه إلى نكران وجود الله» .

وقال الجيوليوجى الذائع الصيت (ادموند هربرت) المدرس بجامعة السربون :

«العلم لا يمكن أن يؤدى إلى الكفر ، ولا إلى المادية ، ولا يفضى إلى التشكيك» .

وهذا العلامة (ميلن ادواردس) العضو بأقاديميا العلوم ، ومدرس علم الحيوانات بمتحف التاريخ الطبيعى ، قال فى محاضرة له بجامعة السربون فى عرض على نظريات الفلسفة المادية :

«هذه الفروض الباطلة ، وأولى بك أن تقول هذه الضلالات العقلية التى يسمونها أحيانا باسم العلم الحسى ،يدحضها العلم الحق نفسه ؛ وعلماء التاريخ الطبيعى لا يستطيعون تصديقها اليوم ، كما كانوا لا يصدقونها على عهد ريومور ، ودولينيه ودوكوفييه ، وعدد كبير آخر من أهل الألمعية ، ولا يستطيع هؤلاء الأعلام أن يفهموا الظواهر الطبيعية ، إلا بعزو حدوثها إلى خالق الكون نفسه» .

هذه آراء بعض أقطاب العلم الطبيعى ، ولدينا منها الشىء الكثير ، وجميعهم يقررون ، كما ترى ، أن سبب إيمانهم بالخالق جل شأنه هو

البقية صفحة ١١٧٠

اللغة والأدب والنقد

من صور الحذف

ابن قتيبة وكتابه

الإسلام والاتجاهات العلمية

من صور الحذف البليغ

الاحتباك

٢

ـ وفى القرن الثامن الهجري نعثر على مصطلح الاحتباك وتعريفه وذكر بعض شواهده وما يتعلق به من احكام عند ابن يوسف الاندلسي (ت ٧٧٩ هـ) صاحب ابن جابر الاندلسي ناظم البديعية المعروفة ببديعية العميان[1] ، ففى اثناء شرح ابن يوسف لبديعية صاحبه يذكر من الوان البديع « الجمع » ويعرفه لغة واصطلاحاً ، وفى اثناء شرحه لبيت ابن جابر الذى يحتوى على مثال لهذا النوع البديعي ، وإن كان فى مدح الرسول ﷺ .

قد أحرز البأس والإحسان فى نسق
والعلم والحلم قبل الدرك للحلم

يتعرض لإعراب البيت ، فيذكر أن فيه جملتين :

الأولى : قد أحرز البأس والإحسان فى نسق وحذف منها : قبل الدرك للحلم .

الثانية : وأحرز الحلم والعلم قبل الدرك ـ للحلم وحذف منها فى نسق ، فهو من باب ما حذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى وحذف من الثانى ما أثبت نظيره فى الأول .

ثم يذكر من المحاسن البديعية فى بيت ابن جابر : المطابقة بين البأس والإحسان ـ والجناس اللاحق بين العلم والحلم وجناس التحريف بين العلم والحلم ، ثم يقول : « قلت : وفيه أيضاً لقب غريب من ألقاب البديع يقال له : الاحتباك ، وهو

ففى نسق المذكور يتعلق بأحرز المذكور ، وقبل الدرك للحلم يتعلق بأحرز المحذوف ولكل منهما متعلق آخر محذوف ، فأحرز الظاهر متعلقه المحذوف : قبل الدرك للحلم وأحرز المضمر متعلقه المحذوف فى نسق .

---

(١) راجع حاشية كتاب « تحرير التجبير » لمحققه الدكتور حفنى شرف ٣٤٩ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

عزيز عندهم ، وهو أن تحذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى ، وتحذف من الثانى ما أثبت نظيره فى الأول ... ومنه قول الشاعر :

وانى لتعـرونى لـذكـراك فتـرة
كما انتفض العصفور بلله القطر

التقدير : وانى لتعرونى لذكراك فترة وانتفاض كفترة العصفور وانتفاضه ، فحذف من الأول الانتفاض لدلالة الثانى عليه ، وحذف من الثانى الفترة لدلالة الأول عليه[٢] .

ومن الملاحظ أن تقدير ابن يوسف يختلف عن تقدير أبى حبان السابق ، وكأن الشاعر يتجلد أولاً عندما يتذكر حبيبه ثم لا يتمالك فينتفض كما أن العصفور يظل فترة ساكناً يتساقط عليه المطر ثم ينتفض فجأة ليتخلص من القطرات التى علقت بريشه ، وهذا تقدير واضح حسن ، يتيح جعل البيت من الاحتباك على معنى مقبول ، على خلاف ما ذكره أبو حبان .

ثم يذكر ابن يوسف أنه قد تتبع هذا اللون فى الكتاب العزيز فوجد منه فيه مواضع قليلة منها آية البقرة فى مَثَل الكفار ، ومنها قوله تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً ﴾ مع قوله بعد : ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً ﴾ « الكهف : ٢ ، ٤ » لأن أنذر يتعدى لمفعولين فذكر فى الآية الأولى المفعول الثانى وحذف منه المفعول الأول ، وفى الآية الثانية بالعكس .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ « النمل : ١٢ » وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ « طه : ٢٢ »[٣] .

ومن الملاحظ أن ابن يوسف يذكر هذا اللون البديعى عرضاً أثناء شرحه لبيت ابن جابر وهذا ما سوف يذكره السيوطى فيما بعد ، كما أنه يعرفه بعد ذكر مصطلحه ومعنى ذلك أنه كان معروفاً على الأقل فى عصره ، وفى النهاية يصفه بالغرابة وأنه عزيز عندهم أى قليل الوقوع فى الأسلوب العربى ، كما أنه تتبعه فى القرآن الكريم فوجده فى مواضع قليلة ذكر منها أربعة مواضع .

وسوف نرى فيما بعد أن هذا اللون كثير فى القرآن الكريم وقد أحصيت فيه ما لا يقل عن خمسة عشر موضعاً عدا ما غاب عنى منها ، ومعنى ذلك أنه ليس بقليل فيه إلا أن تكون القلة نسبية بحسب ألوان الحذف الأخرى .

- ثم نجد فى هذا القرن أيضاً الزركشى (ت ٧٩٤ هـ) فى كتابه « البرهان فى علوم القرآن » يذكر من أساليب القرآن وفنونه البلاغية : الحذف ، وبعد أن يعرفه يذكر ألواناً من الحذف وأسرارها ، كالاقتطاع والاكتفاء وغيرهما ، ثم يذكر النوع السابع ويسميه « الحذف المقابلى » وهو ما نحن فيه ، ويعرفه بقوله : « وهو أن يجتمع فى الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه » ويكثر من ذكر أمثلته فيذكر منها الآيات : (٣٥) من سورة هود ، (٥) من سورة الأنبياء ، (٢٤) من سورة الأحزاب ، (٢٢٢) من سورة البقرة ، (١٢) من سورة النمل ، (١٠٢) من سورة التوبة ، (١٢٣) من سورة

(٢) طراز الحلة وشفاء العلة لابن يوسف الأندلسى : لوحة ١٩١ ، ١٩٢ مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم ٨٣٠ .

(٣) راجع المخطوطة : لوحة : ١٩٢ .

طه ، (۱۷۱) من سورة البقرة وإن كان يعترض على تقدير سيبويه فيها وينقل كلاماً في رفضه عن بعض النحاة ، (۲۲) من سورة الملك .

وهكذا ترى الزركشي يثرى شواهد هذا اللون من الحذف بكثير من مواضعه في الآيات القرآنية ، ويذكر من شواهده الشعرية قول أبي صخر الهذلي السابق :

وانى لتعروني لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر

كما جاء في أمالي القالي لا على ما رواه أبو حبان وابن يوسف الاندلسي ، ويقدره : أى هزة بعد انتفاضة كما انتفض العصفور بلله القطر ثم اهتز[4] .

وانت ترى انه لا وجه للقول بالحذف المقابلي في هذا البيت على هذه الرواية ، لأن هذا التقدير لا يحتاج إليه البيت ، ولو قدر لكان خلفاً من القول كما حكاه الزركشي عن ابن الصائغ النحوي ، إذ ما المبرر لهذا التقدير ؟ فالهز والانتفاض من باب واحد كما ذكرت معانيهما في اللسان .

ففي مادة (نفض) : النفض والانتفاض : الحركة ، وانتفض مطاوع نفض ، وفي حديث الافك : (فأخذتها حمى بنافض) أى : برعدة شديدة كأنها نفضتها ، أى حركتها والنفضة بضم النون وفتح الفاء والضاد : الرعدة . وفي مادة (هز) : الهزة : تحريك الشيء كما تهز القناة فتضطرب وتهتز ، وفي التنزيل : ﴿ وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ أى : حركى .. فالنفض والهز على ذلك من باب الحركة والاضطراب .

وأما على رواية أبي حبان وابن يوسف فلا مناسبة بين الفترة في جانب المشبه والانتفاض في جانب المشبه به ، فاقتضى التناسب بين المعاني في الطرفين إيجاد الحذف والتقدير وإن كانت الصناعة الإعرابية الشكلية غير محتاجة إليه ، لأن المعنى هو الاهم والاولى بالنظر ما دام غير مفسد للصناعة ، فهذه الصناعة في خدمة المعنى ، ولابد من تطويعها له .

والحاصل أن الزركشي كانت له جهود بارزة في وضع مصطلح لهذا اللون البلاغي العزيز ، نظر فيه إلى التقابل بين المحذوف والمذكور في الجهتين ، وأكثر من شواهده القرآنية مما لا نلحظه عند السابقين والمعاصرين ، وقدر المحذوف بما يدل عليه السياق وناقش أسباب الحذف لكنه في النهاية لم يذكر الأسرار البلاغية للمحذوفات .

- ولكن السيوطي (ت ۹۱۱ هـ) يذكر أن مصطلح الاحتباك قد رآه في شرح بديعية ابن جابر لابن يوسف الأندلسي ، وأن الأخير قد ذكره في أثناء كلامه استطراداً ، ويذكر السيوطي شاهدين اثنين مما ذكره ابن يوسف هما مَثَل الكفار في البقرة وآية سورة النمل في شأن سيدنا موسى .

كما يذكر السيوطي أنه كان قد تأمل في قوله تعالى : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً ﴾ « الإنسان ۱۳ » ، وقولهم : إن الزمهرير هو البرد أو القمر ، فلاح له أن المراد به البرد ، واشير بالشمس إلى أنه لا حر فيها ، فحذف من الأول الحر ، ومن الثاني القمر ، والتقدير : لا شمس فيها ولا قمر ، ولا حر ولا برد ، ثم إنه قال في نفسه : هذا نوع لطيف لكنى لا أعرف من انواع البديع ما يدخل فيه ، فلما اجتمع بصاحبه العلامة برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥ هـ)

(٤) راجع في هذا الموضوع « البرهان في علوم القرآن : ٣/١٢٩ - ١٣٣ » ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .

ذكر له الأخير أن بعض شيوخه أفاده : أن من أنواع البديع ما يسمى : الاحتباك : وهو أن تذكر جملتان فى كل متقابلان ويحذف من كل ضد ما ذكر فى الأخرى ، وذكر له شاهداً هو الآية الثالثة عشرة من سورة آل عمران وقدر المحذوفين فى الجملتين وقال للسيوطى : لم أقف على من تعرض لهذا النوع ، ولم أره فى كتاب وقد ألفت فيه كراسة سميتها الإدراك(٥) .

ومعنى ذلك أن هذا المصطلح وتعريفه قد وضع فى نهاية القرن السابع الهجرى أو فى بداية القرن الثامن تقريباً ، حيث سمعه البقاعى (٨٠٩ ـ ٨٨٥ هـ) من بعض شيوخه ، دون أن يحددهم ، وحيث ذكره ابن يوسف الأندلسى (ت ٧٧٩) وإن كان قد ذكره استطراداً أثناء شرح بديعية ابن جابر ، وهذا يعنى أن ابن جابر لم يذكره فى بديعيته .

والحق أن الأمر كذلك ، إذ راجعت بديعية ابن جابر وغيرها من البديعيات ومعظم كتب البديع ، فلم أعثر فيها على أثر له سوى ما ذكره ابن يوسف فى شرحه ، وما ذكره السيوطى عنه فى أرجوزة عقود الجمان ، وفى كتاب الإتقان فى علوم القرآن .

كما أننى بالبحث فى كتب الأعلام والتراجم لم أعثر على أثر لكراسة : الإدراك التى ألفها فى هذا الفن العلامة برهان الدين البقاعى ، إذ لا يذكرها أحد من أصحاب هذه المؤلفات ، ومعنى ذلك أنها ـ للأسف ـ قد ضاعت ، أو لا تزال فى مكان ما لا يعلمه إلا الله .

وقد استمر أمر هذا المصطلح غير متداول حتى القرن التاسع الهجرى ، فأعاد إليه السيوطى الحياة مرة أخرى على أنه لون مستقل من ألوان الإيجاز بالحذف ـ كما فعل الزركشى فى البرهان وإن كان قد ذكر له مصطلحاً آخر فى كتابه « الإتقان فى علوم القرآن » وعلى أنه لون بديعى مستقل بذاته فى كتابه « شرح أرجوزة عقود الجمان » .

ففى الكتاب الأخير يذكر أن هذا النوع من زيادته ـ وهو يعنى أنه من زيادته فى علم البديع ـ ويصفه بأنه نوع لطيف لم يتنبه له أحد من أهل هذا الفن (يعنى أهل فن البلاغة) ولا ذكره أصحاب البديعيات ، ولم يقف على أحد تعرض لذكره إلا ابن يوسف الأندلسى استطراداً(٦) .

ولعل ابن يوسف قد صنع ذلك ، لأنه كان بصدد شرح البديعية فلم يرد أن يخرج عنها إلا استطراداً عندما لمح هذا النوع فى بيت البديعية الممثل للون آخر من ألوان البديع وهو « الجمع » فأراد التنبيه على هذا اللون بمصطلحه وتعريفه وبعض شواهده من القرآن الكريم ، وقد ذكر السيوطى شاهدين من شواهد ابن يوسف وأضاف إليهما آيتين آخريين .

ثم يربط السيوطى بين المعنى اللغوى للاحتباك والمعنى الاصطلاحى بقوله : « ومأخذه من الحبك الذى معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب فحبك الثوب : سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق . وبيان مأخذه منه : أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط ، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه ، الماهر فى نظمه وحبكه ، فوضع المحذوف مواضعه كان حائكاً له مانعاً من خلل يطرقه ، فسدَّ بتقديره

←

(٥) راجع شرح أرجوزة عقود الجمان للسيوطى : ١٣٧ . طبع بمصر فى ١٣٠٢ هـ .

(٦) المصدر السابق فى الصفحة نفسها .

(٧) المصدر السابق : ١٣٧ ، ١٣٨ .

من صور الحذف البليغ

ما يصلح به الخلل ، مع ما اكسبه من الحسن والرونق[7] .

ومفاد ذلك أن الصلة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى هى المشابهة فى مطلق الشد والإحكام والتحسين ، ولا عجب فى ذلك فقد كثر فى كلام المحققين ذكر الصياغة والتصوير والنسج وحبكه فى وصف الكلام المؤلف ، كما أن المعنى اللغوى للحبك يساعد على هذه المشابهة ، فقد ورد فى اللسان فى مادة « حبك » : الحبك : الشد ، واحتبك بإزاره : احتبى به وشده إلى يديه ، والاحتباك : هو شد الإزار ، والتحبيك : التوثيق ، والمحبوك ما أجيد عمله والمحكم الخلق ، من حبكت الثوب إذا أحكمت نسجه ، قال شمر : وكل شىء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته ، وحبك الثوب ـ يحبكة (بكسر الباء) ويحبكه (بضمها) حبكاً : أجاد نسجه وحسن اثر الصنعة فيه .

فالمادة فى معظم تصرفاتها تدور حول معانى الشد والتوثيق مع الإجادة والإحكام ـ والتحسين ، وهذا ما يجعل الصلة قوية واضحة جداً بين المعنيين : اللغوى والاصطلاحى .

وفى كتاب « الإتقان فى علوم القرآن » يذكره السيوطى على انه لون مستقل من الوان الإيجاز بالحذف ـ كما فعل الزركشى فى البرهان مع مخالفته فى المصطلح دون حقيقته ـ وجعله النوع الثالث من الحذف بعد الاقتطاع والاكتفاء ، ويصفه باللطف والإبداع وأنه لم يتنبه له أو ينبه إليه إلا القليل من اهل فن البلاغة ، ويحكى ما رآه منه فى شرح بديعية ابن جابر ، وأن الزركشى لم يسمه هذا الاسم ، بل سماه : الحذف المقابلى كما يحكى ما مضى من ان البقاعى أفرده بالتصنيف ، وينقل وصف ابن يوسف به بعزته أى ندرته .

وينقل عن الغرائب للكرمانى ـ شيخ الزمخشرى ـ أن التقدير فى آية البقرة : مَثَل الذين كفروا معك يامحمد كمثل الناعق مع الغنم ، فحذف من كل طرف ما يدل عليه الطرف الآخر ، وله فى القرآن نظائر ، وهو ابلغ ما يكون من الكلام ، ثم يربط فى النهاية بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى على نحو ما فعل فى شرح أرجوزة عقود الجمان[8] .

وأنت ترى أن الكرمانى فى تقديره للمحذوف قد صاغه بعبارة تدل على الترابط فى الممثل والممثل به مما يقضى على شبهة جواز التفريق فى هذا التشبيه التمثيلى المركب كما أنه لم يراع الترتيب فى التقدير بين أجزاء كل من الطرفين لما علم من ان المقصد الأصلى لهذا التمثيل تشبيه حالة بحالة ، لبيان موقف كل واحد فى الطرفين من صاحبه : فى الممثل والممثل به . والحاصل من كل ما تقدم عدة أمور :

أولاً : أن مصطلح الاحتباك قد ظهر فى نهاية القرن السابع أو بداية القرن الثامن الهجرى تقريباً ، وأن ابن أبى الاصبع قد وضع له فى القرن السابع مصطلحاً يضمه وغيره تحت اسم : التوهيم مراعياً فيه ما يوقعه ظاهر الكلام فى وهم السامع أو القارىء من الخلل والفساد ، وأن الزركشى فى القرن الثامن وضع له مصطلحاً أخر : هو الحذف المقابلى ملاحظاً فيه التقابل بين المحذوف والمذكور ، وأنه لم يطلع على ما وضع له من مصطلح الاحتباك الذى يوحى كلام ابن

(٨) راجع الإتقان فى علوم القرآن : ٢/ ٧٩ ، ٨٠ . الطبعة الرابعة . مصطفى الحلبى .

يوسف الاندلسى انه كان معروفاً على الأقل فى القرن الثامن الهجرى ، لكن ما ذكره الزركشى يوحى أن هذا المصطلح لم يشع فى كل البيئات العلمية والأدبية فى ذلك الوقت .

ثانياً : أن المؤلفين فى علوم العربية وعلوم القرآن قد أدركوا وقوع هذا اللون من إيجاز الحذف من وقت مبكر جداً ، وقدروا المحذوف مما يوحى به سياق الكلام أو توجيه خصائص الاستعمال والتراكيب ، ولكنهم لم يضعوا له مصطلحاً يخصه ، أو يذكروا ـ غالباً ـ بياناً لأسرار الحذف .

ثالثاً : أن هذا النوع من الحذف لطيف المسلك غريب فى بابه عزيز الوقوع فى الكلام ، وهذا ما يجعله من أبلغ الكلام وأولاه بالقبول والاستحسان ، لما فيه من زيادة الإفادة مع كثرة الحذف وقلة المنطوق به ، وهذا أيضاً ما يجعله حرياً بأن يفرد بعنوان مستقل ينبه إليه ويميزه عن غيره ، وتلتمس له الشواهد الكثيرة .

رابعاً : أن هذا اللون من الحذف نادر الوقوع فى كلام العرب ومن سلك سبيلهم فى التعبير والأسلوب ، وألصق فى شواهده بالقرآن الكريم لشيوعه فيه بدرجة ملحوظة فلم أعثر فى ما قرأت إلا على شاهدين اثنين من الشعر أحدهما لجاهلى والثانى لمولد ، على الرغم من أن أبا حيان قد ذكر عمن نقل عنهم من النحاة أن العرب تستحسنه وأنه من بديع كلامها ، لكن لم يستكثر أحد ممن عرضت لهم فيما مضى من الشواهد المنقولة عن العرب .

ومما يؤيد ما ذهبت إليه ـ بالإضافة لما مضى ـ أن السيوطى قال فى مقدمة الفن الثالث ، وهو علم البديع ـ بعد ما ذكر أن أول من سماه بهذا الاسم عبد الله بن المعتز ومن تابعه على ذلك ، وأنواع البديع وأعدادها حسبما وردت فى كتاب تلخيص المناخ للخطيب القزوينى ، وهى ثلاثون نوعاً من البديع المعنوى ، وسبعة من البديع اللفظى ، وأن الخطيب ذكر فى أثنائها أموراً ملحقة بها يصح أن تعد أنواعاً أخر .

قال السيوطى : « وقد زدت عليه الجم الغفير كما سيأتى مبيناً إن شاء الله تعالى وقد التزمت أن آتى فى كل نوع بمثال فأكثر من الحديث النبوى ، تمريناً وتشريفاً وتيمناً به »(٩) .

مع أنه فى الاحتباك لم يذكر شيئاً من الحديث النبوى كما التزم ، واقتصرت شواهده فيه على القرآن الكريم .

خامساً : أن الزركشى قد ذكر هذا اللون من الحذف تحت عنوان : أساليب القرآن وفنونه البلاغية ، ومعنى ذلك أنه يدخله تحت البحث فى دلالات التراكيب وخصائصها وهو مايجعله يندرج تحت مباحث علم المعانى التى تبحث فى الدلالات المعنوية للأساليب وأجزائها من خلال النظم ، ولا يجعله محسناً عرضياً يمكن الاستغناء عنه فى بناء التراكيب دون أن يتأثر جوهر المعنى بخصوصياته ، كما ذهب إليه الكثير من المتأخرين .

وحينما يذكره السيوطى مرة فى باب الإيجاز الذى هو أحد مباحث علم المعانى ومرة فى ألوان البديع فذلك لأنه لون غريب نادر متميز فيه جدة وبراعة لافتة ، فدرسه من هذه النواحى فى ألوان البديع ، ولا يعنى بذلك أنه يمكن الاستغناء عنه لأنه محسن عرضى ، فما لا تتم الخصوصية المعنوية إلا به لا يمكن عده حلية طارئة يتزين بها الكلام زينة شكلية .

سادساً : أن معظم من تعرضوا لذكر هذا اللون من الإيجاز بصورة أو بأخرى لم يتعرضوا للأسرار المعنوية التى تكمن وراء هذا اللون العجيب من الحذف ، والتى تبرره ، لأن الحذف

(٩) شرح أرجوزة عقود الجمان : ١٠٨ .

من صور الحذف البليغ

ليس هدفاً لذاته ، بل لما يومىء به من أسرار مضمرة فى الأسلوب الواقع فيه .

وإذا كان الإيجاز بالحذف فى ذاته قيمة جمالية فى التراكيب العربية ، لأن ظاهره نقص فى الإفادة ، وحقيقته زيادة فيها ، لأن فيه ترك مالا حاجة إلى ذكره لقوة دلالة المذكور على المحذوف ، وإذا كان ذكر المذكور وإيثاره على المحذوف فى النطق إنما يكون أيضاً لأسرار ولطائف فإننا سوف نتقدم خطوة وراء هذه القيمة الجمالية العامة لنبحث فى كل موطن نتعرض له عن أسرار وقيم جمالية خاصة تمليها التراكيب فى سياقاتها المتنوعة ، فندرس أسرار الحذف والذكر فى هذا اللون ، وإيثار كل منهما على الآخر فى موطنه ... وهذا هو مايستدعى أن أخصص المبحث التالى للغوص وراء هذه الأسرار حسبما تسمح به الطاقة ، وما تمليه ظروف هذا البحث ، أملاً أن ييسر لى المولى عودة أخرى ، وظروفاً أوسع لاستقصاء كثير من الشواهد الممثلة لهذا اللون البلاغي البديع .

يتبع

د . عبد الحميد محمد العيسوى

من روائع الماضى .بقية.

العلم الطبيعى نفسه ، فإذا كان انصاف العلماء وطلاب العلوم يتأدون منه إلى عكس هذه النهاية ، فليس العاب[1] فى ذلك على العلم ، ولكن على انخداعهم بنظرياته ، واعتبارها أموراً مقررة ثابتة ثبوت المحسوسات ، وهذا خطأ جسيم لم يقل به عالم يعتد برأيه إلى اليوم .

إن طالب العلوم الطبيعية ، كثيرا ما يفتتن بتعليلاتها للمشاهدات تعليلا يمكن تحقيقه بالعمل ، ولكن هذا التعليل العلمى لا يتعدى العلل القريبة من تفاعلاتها ، أما العلل البعيدة التى تتعلق بوجودها ، وبتطوراتها ، وبحركاتها الباطنة ، فتخفى على اسمى العقول ، وتدع المجال واسعاً أمام الفروض والظنون المتعاكسة .

طالب العلم ينخدع من إمكانه تعليل بعض ظواهر الطبيعة ، ويبنى على ذلك قصورا من الأوهام ؛ فإذا سألته عن سر عدم سقوط القمر على الأرض ، علله بأنه يجب أن يكون مجذوبا، بكواكب أخرى تمسكه فى مدار لا يتعداه ، ويغفل عن أن الجاذبة العامة إن عللت تجاذب الكواكب فلا تعلل حركاتها . فقد سئل نيوتن مكتشف هذا الناموس نفسه عن دليل لا يمكن دحضه يثبت به وجود الخالق ، فقال : إذا قررنا أن الكواكب لا يتساقط بعضها على بعض، لأنها متجاذبة من جميع جهاتها ، فما الذى يدفعها لتسبح فى الفضاء فى أفلاك بعضها حول بعض ؟ أليس يدل هذا دلالة قاطعة على أن يد الله هى التى تديرها ؟

محمد فريد وجدى

المجلد التاسع عشر

(١) العاب : العيب

ابن قتيبة

الشعر والشعراء

للدكتور حلمى محمد القاعود

إذا كان محمد بن سلام الجمحى البصرى يمثل بكتابه « طبقات فحول الشعراء » منهجاً واضح الملامح فى نقده للشعر ، وملمحاً بارزاً لمدرسة البصرة واهتمامها باللغة على وجه الخصوص ، فإن ابن قتيبة من خلال كتابه « الشعر والشعراء » يُمثل منهجاً آخر له سماته المميزة فى نظرته للشعر ، ونموذجاً لمدرسة الكوفة وآفاقها الرحبة .

وقد قام العلامة « أحمد محمد شاكر » بتحقيق كتاب « الشعر والشعراء » ، وهو شقيق العلامة « محمود محمد شاكر » الذى حقق كتاب « ابن سلام » ، وقد قدم لتحقيقه تقديماً مستفيضاً ضَمَّنَهُ بعض القضايا التى دارت حول الكتاب وترجم لابن قتيبة ، وأثبت مقدمة المستشرق الفرنسى « دى غويه » الذى بذل جهداً فى تحقيق الكتاب قبل ذلك .(1)

وابن قتيبة ، هو : أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفى ، ولد بالكوفة سنة ٢١٣ هـ ، وتوفى سنة ٢٧١ هـ ، على الأرجح وقد لقب بـ « الدينورى » نسبة إلى « الدينور » التى كان قاضياً عليها ، وكان ابن قتيبة يغلو فى البصريين إلا انه خلط المذهبين ، وحكى فى مذهبه عن الكوفيين ، وكان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف(2) ، وقد وصفه محقق الكتاب بأنه علم من أعلام الإسلام ،

←

(١) الكتاب طبعته دار المعارف ، والطبعة التى بين أيدينا ، هى الطبعة الثانية (بدون تاريخ) .

(٢) أورد المحقق ترجمته كما وردت فى الفهرست لابن النديم ، ثم أتبعها بترجمته كما وردت فى الخزانة للبغدادى ، انظر مقدمة المحقق فى الكتاب ص ٤٨ وما بعدها .

ابن قتيبه وكتابه

وإمام حجة من أئمة العلم ، و . بعد ذلك من أهل السنة .

وقد ترك عدداً كبيراً من الآثار الأدبية والعلمية ، وذكر له « ابن النديم » صاحب « الفهرست » ثلاثة وثلاثين كتاباً ، وأهم كتبه وأشهرها :

- عيون الأخبار .
- أدب الكُتّاب .
- كتاب الشراب (أو الأشربة) .
- كتاب المعارف .
- كتاب تأويل الرؤيا (أو تعبير الرؤيا) .
- تأويل مُختلِف الحديث .

وقد تناول المستشرق « دى غويه » كتب ابن قتيبة ، وقارن بين أسمائها كما وردت فى عدد من المصادر ، فى محاولة لتوضيح وبيان الكتب التى حملت أكثر من اسم ، والوصول إلى ما ألفه ابن قتيبة فعلاً .(٣)

تناول ابن قُتَيْبَة فى كتابه « الشعر والشعراء » ، ستة ومائتين من الشعراء ، جاهليين ومخضرمين وإسلاميين (من صدر الإسلام وأمويين وعباسيين) ، وهذا الكم الهائل ، يختلف بالطبع عن العدد الأقل الذى تناوله « ابن سلام » فى كتاب « طبقات فحول الشعراء » ، فقد انتقى مؤلفه واصطفى أبرز الشعراء فى الجاهلية والإسلام ، وفقاً لمعيار معين يعتمد على التميز أو البروز الفنى ، ورتبهم ترتيباً خاصاً (طبقات) ، وهو ما اختلف عند ابن قتيبة الذى ترجم لعدد كبير ، لم يرتب بينهم ، وإن كان اختياره لمن تناولهم من الشعراء يقوم على أساس معين أو منهج خاص سنشير إليه إن شاء الله .

ويمكن أن نقسم الكتاب إلى قسمين أولهما : المقدمة المطولة ، ثانيهما : الشعراء الذين ترجم لهم .

تتناول المقدمة ـ وهى تشبه مقدمة ابن سلام ـ ما يمكن تسميته بالرؤية النقدية أو (التنظير النقدى) لمفهوم الشعر ، والمقياس الذى يقيس به ابن قتيبة الشعراء .. فضلاً عن الخطة التى اختطها فى تأليف كتابه ، وعلى هذا ، فإننا نستطيع أن نرى المقدمة ترتكز بصورة أساسية على محورين ـ كما فى مقدمة ابن سلام ـ أحدهما : يتناول المفهوم أو التصور ، والثانى : يتحدث عن المنهج ، والخطة .

والمفهوم أو التصور : يبلور أكثر من قضية قد يتشابك بعضها مع قضايا المنهج أو الخطة ، ولكننا نستطيع بصفة عامة أن نفرق بينها إلى حد كبير ، وأهم هذه القضايا : أقسام الشعر وعيوبه ، وعموده ، والقدماء والمحدثون ، والتكلف والطبع ، وأوائل الشعراء ، وسنتوقف قليلاً عند بعض هذه القضايا لنرى بإيجاز:كيف نظر إليها ابن قتيبة ، وكيف عالجها ؟

١ ـ أقسام الشعر :

يرى ابن قتيبة أن الشعر على أربعة أضرب أو أنواع هى : ما حسن لفظه وجاد معناه ، وما حسن لفظه وتواضع معناه ، وما جاد معناه وقصر لفظه ، وما تأخر معناه وتأخر لفظه ، وكأن ابن قتيبة يشير إلى قضية أشبعها القدماء والمحدثون بحثاً ودرساً وهى ما عرف بقضية « اللفظ والمعنى » ، وإن لم يتحدث عن ذلك صراحة ، ولكنه يقدم لنا نماذج تدل على وعيه بضرورة التكامل بين اللفظ والمعنى فى الجودة ، ولذلك يضعه فى أول أقسام الشعر أو أنواعه ،

(٣) الشعر والشعراء : ١/٤٤ وما بعدها .

وهو ما يضرب عليه اكثر من مثال ، ويقدم له أكثر من نموذج ، من ذلك ماقيل فى « الهيبة » لبعض الشعراء [٤] :

فى كفـه خيـزران ريحـه عبـق
من كف أروع فى عرنينه شَمَمُ
يُغضِى حيـاء ويُغضَى من مهابتـه
فمـا يكلـم إلا حـين يبتسـم

ويعلق على ذلك : « لم يقل فى الهيبة شىء أحسن منه » .

ويضرب مثالاً على أحسن ابتداء لمرثية بقول « أوس بن حجر » :

أيتـهـا النفس أجمـلى جـزعـاً
إن الـذى تحذرين قـد وقعـا[٥]

والنوع الثانى يرى فيه « ابن قتيبة » جودة فى اللفظ وحلاوة ، ولا يجد فيه فائدة فى المعنى كقول القائل :

ولما قضينا من مِنًى كل حاجة
ومسَّحَ بالإركان من هو ماسحُ
وشُدَّتْ على حُدُبِ المهارى رحالُنا
ولا ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الأباطحُ

ويفسر ابن قتيبة وجهة نظره قائلاً : « هذه الألفاظ كما ترى ، أحسن شىء مخارج ومطالع ومقاطع ، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا أيام منى ، واستلمنا الأركان ، وعالينا إبلنا الأنضاء[٦] . ومضى الناس لا ينتظر الغادى الرائح ، ابتدأنا فى الحديث ، وسارت المطى فى الأبطح » .

ثم يضيف قائلاً : « وهذا الصنف فى الشعر كثير » . [٧]

ويبدو ابن قتيبة فى تفسيره مهتماً بالإضافة التى يضيفها الشاعر إلى الحديث أو المعنى الذى يعبر عنه ، فالشاعر هنا قد اكتفى برصد ما جرى فى أيام الحج ، ولم يلون ما جرى بعاطفته أو رؤيته كما نقول فى زماننا ؛ ومن ثم فإن حلاوة الألفاظ وجودتها لم تغن عن المعنى المفقود .

ومثل هذا الضرب أو هذا النوع من الشعر ما جاء معكوساً ، جاد معناه ، وقصرت ألفاظه كقول لبيد بن أبى ربيعة :

ما عاتب المرءَ الكريمَ كنفسه
والمرءُ يُصلحه الجليس الصالح

ويعلق عليه بقوله : « هذا وإن كان جيد المعنى والسبك ، فإنه قليل الماء والرَّونق » [٨] .

أى إن الشاعر لم يبذل فيه جهداً فى الصياغة بحيث تتحقق فيها حلاوة الألفاظ مخرجاً ومطلعاً ومقطعاً ، فجاء مستوى البيت متواضعاً .

أما الضرب الرابع أو النوع الأخير ، فهو الذى « تأخر معناه وتأخر لفظه » ، ويضرب على ذلك مثلاً بقول الأعشى فى امرأة :

وفوها كأقاحِىّ غَذَّاهُ دائمُ الْهَطْلِ
كما شيب براح بَا ردٍ من عسل النَّحْلِ[٩]

←

---

(٤) التحقيق فى البيتين أنهما للحزين الكنانى من أبيات يمدح بها عبدالله بن عبدالملك بن مروان .
(٥) الشعر والشعراء : ١/٦٤ ـ ٦٥ .
(٦) الأنضاء جمع نضو وهو الدابة التى أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها .
(٧) الشعر والشعراء : ١/٦٦ ـ ٦٧ ويلاحظ أن « عبدالقاهر الجرجانى » ، قد حاول أن يثبت تفوق هذه الأبيات بناء على رؤيته لها كصورة أدبية متكاملة ، وخصص لدفاعها عنها عدداً من الفقرات المطولة (انظر : أساس البلاغة : ١٦ ، ١٧) .
(٨) السابق : ١/٦٨ .
(٩) الشعر والشعراء : ١/٦٩ ، والأقاحى جمع أقحوان ، وهو زهر له نور أبيض كأنه ثغر جارية حدثة السن .

فهو يرى أن المعنى متواضع واللفظ متواضع ، ولذا يضعه فى المرتبة الأخيرة ، ويسلك شعراً لعلماء مثل : الخليل بن أحمد والأصمعى وابن المقفع فى هذه المرتبة ، ولعله يعتبره أقرب إلى النظم البارد الأجوف الذى لا روح فيه ، لا لفظاً ولا معنى .

٢ ـ ومن هذا المنطلق يمكن أن نفهم موقفه من قضية أخرى هامة هى قضية الطبع والتكلف .

فى الشعر أو الشاعر المطبوع والشاعر المتكلف :

ويرى ابن قتيبة أن الشاعر المطبوع هو « من سمح بالشعر، واقتدر على القوافى، وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ، وَوَشْيَ الغريزة ، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يَتَزَحَّر » .(١٠) .

ولعل ابن قتيبة يقصد بقوله : « من سمح بالشعر واقتدر على القوافى »الشاعر الذى يملك الموهبة المدربة، أو الشاعر الذى لديه استعداد لقول الشعر نماه بالقراءة والحفظ والمعرفة ، ولعل تعريفه للشاعر المطبوع بعد ذلك يعزز ما قلناه ، برصد ملامحه التى تتمثل فى إيحاء الشاعر المطبوع بعجز البيت إذا قال صدره، وبالقافية إذا أنشد الفاتحة .. كذلك فإن إحساس القارىء المتذوق للشعر برونق الطبع ووشى الغريزة يكون واضحا وقريبا لايخفى ، كذلك فإن القارىء لا يستشعر معه أثر الصنعة أو الجهد .

ويضرب ابن قتيبة مثالاً على ذلك بقصيدة للحسين بن مُطَيْر الأسدى يصف فيها المطر ، عندما طلب منه والى المدينة ذلك ، وكان المطر يهطل بالخارج ، فنظر إلى المطر ، وقال قصيدته التى فيها :

كَثُرَتْ لكثرة قَطْره أَطْبَاؤُه
فإذا تَحَلَّبَ فاضت الأطباءُ
وكجوف ضرته التى فى جوفه
جوف السماء سِبحْلَةٌ جوفاء
وله رباب هيدب ، لرفيفه
قبل التبعق دِيمةٌ وطفاء
وكأن بارقَهُ حريق ، يلتقى
ريح عليه وعرفج وألاء
وكأن ريقه ، ولمّا يحتفلْ
وَدَقُ السماء ، عجاجةٌ كدراء
مستضحك بلوامع ، مستعبر
بمدامع لم تَمْرِها الأقذاء
فله بلا، حزن ولا بمسرة
ضحك يُؤَلِّف بينه وبكاء
حيران متبع صباه تقوده
وجنوبه كِنْفٌ له ووعاء
ودنت له نكباؤه حتى إذا
من طول ما لعبت به النكباء
ذاب السحاب فهو فى بحر كله
وعلى البحور من السحاب سماء
ثَقُلَتْ كُلاه فنهرت أصلابه
وتبعجت من مائه الأحشاء
غدق يُنَبِّجُ بالأباطح فُرَّقاً
تلد السيول ومالها أسلاء
غر محجلة دوالح ضمنت
حمل اللقاح ، وكلها عذراء

(١٠) السابق : ١/ ٩٠ والزحير هو إخواج الصوت، أو النفس بأنين عند عمل أو شدة .

سحم فهن إذا كظمن فواحم
سود ، وهن إذا ضحكن وِضاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه
لم يبق من لجج السواحل ماء[11]

ويعلق ابن قتيبة على هذه القصيدة بقوله : « وهذا الشعر مع إسراعه فيه كما ترى ، كثير الوشي ، لطيف المعانى » . [12]

ثم إن ابن قتيبة يرى أن الشاعر المطبوع قد يكون مطبوعاً فى غرض من الشعر دون آخر ، فمنهم من يسهل عليه المديح ، ويعسر عليه الهجاء ، ومنهم من يتيسر له المراثى ويتعذر عليه الغزل ، ولا يأبه ابن قتيبة بتعليل العجاج حين اتهم بأنه لا يحسن الهجاء ، حيث قال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم ، وأحسابا تمنعنا من أن نظلم ، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم ؟ » . وقد رأى ابن قتيبة أن المديح بناء ، والهجاء بناء أيضاً ، وليس كل بان بضرب بانيا بغيره ، ثم يضرب أمثلة عملية على تفوق بعض الشعراء فى فنون معينة من الشعر ، وتقصيرهم فى فنون أخرى .[13]

اما الشاعر المتكلف :

فهو الذى « قوم شعره بالثِّقاف ، ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والحطيئة وأشباههما » ، ويعلل ابن قتيبة لذلك « لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين ، وكان الحطيئة يقول : خير الشعر الحولى المنقح المحكك ، وكان زهير يسمى كبر قصائده الحوليات »

« قال عدى بن الرقاع :

وقصيدة قد بتُّ أجمــع بينها
حتى أقــوم ميلهــا وسنــادهــا
نظـر المثقِفِ فى كعوب قنـاته
حتى يقيم ثقافُهُ مُنْآدها »[14]

ولا يعنى ذلك أن الشاعر المتكلف شاعر ردىء أو قليل القيمة الفنية بالضرورة ، ولكنه يعنى أن الشاعر المطبوع اكثر قبولاً لدى المتلقين ، وشعره اكثر تأثيراً فى النفوس ، وافضل من الناحية الفنية لأنه يصدر عن موهبة مدربة ، وطبع مثقف ، والشعراء المتكلفون إنما يسعون فى كلٍّ الأحوال إلى **تجويد قصائـدهم** بالتنقيـح والتحكيك .

يتبـــع

(١١) الاطباء : جمع طبى ، الذى للسباع وذوات الحوافر ، واستعارها الشاعر للمطر على التشبيه ، السبحل : الضخم العظيم ، الرباب : السحاب المتعلق الذى تراه كأنه دون السحاب ، والهيدب : السحاب الذى يتدلى ويدنو مثل هدب القطيفة ، الرفيف : التلألؤ والبريق ، التبعق : مفاجأة المطر واندفاعه ، الديمة : المطر الدائم فى سكون ، الوطفاء : الديمة السح الحثيثة ، العرفج : نوع من النبات ، الالاء : شجر حسن المنظر مرّ الطعم ، ريق المطر : افضله ، الودق : المطر ، لم تمرها : لم تسيّلها ، الكنف : وعاء للحفظ ، النكباء : الريح تكون بين ريحين من الرياح الأربع ، تبعجت : انشقت ، الغدق : المطر الكثير ، فُرَّق : جمع فارق ، وهى السحابة المنفردة لا تخلف ، الأسلاء جمع سلى وهو الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه ، الدوالح : المثقلات بالماء ، سحم : سود .

(١٢) الشعر والشعراء : ١/٩٢ .

(١٣) الشعر والشعراء : ١/٩٣ ـ ٩٤ .

(١٤) السابق : ١/٧٨ .

الإســـلام

والاتجاهات العلمية المعاصرة

الحـلقـة الأخـيرة

وكانت آخر جزئيتين او مسالتين عالجهما المؤلف هما : التطور بين الحتمية والإرادة الإلهية ، نظرة التقدمية الحقيقية نجدها في الإسلام وهو أحق بها .

حاول المؤلف في الفصل السادس أن يشرح بالتفصيل كيف أن العالم محتاج لا محالة إلى الله ، وذلك طبقاً لقوانين الفيزياء الحديثة ومعطياتها . وكانت الجوانب التي دارت فيها المناقشة هي : بيان مبدأ « عدم التحدُّد » في الفيزياء وكيف نستدل به على الإرادة الإلهية ، وقيام برتراند رسل بمعارضة هذا الاستدلال ، ومناقشة المؤلف له في معارضته هذه - استحالة توصل العلم التجريبي إلى « التحدد » في المستقبل - حدوث العالم وفناؤه : الكون مُتَنَاهٍ حَجْماً ، الكون مُتَنَاهٍ زَمَناً (في الماضي وكذلك في المستقبل) - قابلية المادة للفناء - تمدد الكون حالياً دليل على حداثته ماضياً - القانون الثاني للديناميكا الحرارية كدليل على وجود بداية زمنية للكون .

وكان أعظم ما في هذا الفصل أننا وجدنا المؤلف يصل بالإقناع العلمي إلى استنباط عدد من الأدلة على وجود الأمر الإلهي أي وجود الله وثبوت إرادته المطلقة الحكيمة ، هذه الأدلة المستنبطة هي : **الدليل الأول** : دليل القانون « غير الطبيعي » - **الدليل الثاني** : دليل الانضباط الإحصائي الواقعي للصغيرات (أي محتويات الذرة) - **الدليل الثالث** : « إمساك المادة من الفناء » .

بعد ذلك قدَّم المؤلف لبعض مشاهير العلماء التجريبيين المعاصرين الذين قادهم علمهم إلى الإيمان بالله ، وهم : د . ويلارد فرانك ليبي : عالم الذرة العملاق ، الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٦٠ ، وعضو لجنة الطاقة الذرية الأمريكية ، وكانت « رغبته الدائبة في فهم أسرار الطبيعة » هي التي قادته إلى الإيمان بالله - د . تشارلز هارد تاونز : من كبار العلماء الأمريكيين ، وهو مخترع الميزر ، وهو مجموعة من الأدوات ذات الأثر الهام في ميدان العلم والصناعة لا يقل شأناً عن الترانزستور - د . جيمس ألفرد فان

تأليف أ.د. يحيى هاشم حسن فرغل
عرض وتحليل: د. كارم السيد غنيم

الن : الحاصل على دكتوراه الفلسفة فى الطبيعة النووية ، وهو اعظم علماء الفضاء فى أمريكا ، وصاحب اكتشاف « شريط فان الن » الذى يحيط بالكرة الأرضية - ألبرت بروس سابين : عالم « الميكروبات » الشهير ، وصاحب مصل شلل الأطفال « سابين » المسمى باسمه - فيليب موريس هاوزر : أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو ، ومدير هيئتين لابحاث السكان فى نفس الجامعة - دين أفرت ولدردج : حصل عام ١٩٣٦ على دكتوراه الفلسفة فى الطبيعة من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا ، وقد شغل منصب رئيس شركة تومسون راموا ولدردج فى المدة ما بين ١٩٥٨ - ١٩٦٢ ، وهى من انشط الشركات فى امريكا والتى يعتمد نشاطها على العلوم .

هذا ، ولم نر مؤلفنا يسوق امثلة من العلماء الطبيعيين أو الفلاسفة الذين قادتهم دراساتهم وتخصصاتهم إلى الدخول فى الإسلام ، وهم جمع غفير ، فلماذا فاته هذا الأمر ؟! إننا نرى أن مرور هذا الفصل دون عرض لنماذج من هؤلاء العلماء العالميين يُعَدُّ نقصاً كبيراً فيه ، لا يجب وجوده فى هذا الكتاب القيم الذى تجشم صاحبه العثار فى سبيل جمع مادته وتقديمه بهذا الأسلوب العلمى للقارىء العربى .

نأتى إلى الفصل الأخير ، وهو الفصل الخاص ببيان (**المنهج البنائى للدين**) أو إيضاح (**الضرورة العملية**) لاستسلام الإنسان لله . ويستهله صاحبه بقوله : الإنسان لا يمكنه أن يعيش مع « الشك » ، مثلما أنه لا يمكنه أن يعيش مع « الجوع » وهو مع الجوع « يموت » ، لكنه مع الشك « يستسلم » ، يستسلم بحكم « الضرورة العملية » . والضرورة العملية أنواع ودرجات مختلفة القيمة ، وخير أنواع الضرورة العملية التى يستسلم لها الإنسان « الاستسلام » « لله » سبحانه وتعالى . كيف ؟ الإجابة هى الفصل بأكمله .

أولى جزئيات الفصل كانت فى بيان أن الضرورة العملية أساس للبحث العقلى ، وكانت جوانبها :

أ - **فى الفلسفة القديمة** : حيث أفلاطون وآراؤه فى هذه المسألة وسؤاله (من أين لنا الوصول إلى هذه المعرفة الضرورية اليقينية الأولية ؟) ، ثم أرسطو الذى كان يرى أن مصدر هذه الأوليات هو العقل ، وعموماً فقد ترك أرسطو مسألة العقل غامضة - حسب رأى د . محمود قاسم ، ثم جاء اسكندر الأفروديسى الذى ذهب إلى أن العقل الفعال عند أرسطو : (ليس جزءاً من أجزاء النفس ، أو وظيفة من وظائفها ، بل هو الإله الذى يتمثل فى نفوس البشر ، ويقوم مقامهم فى إدراك معانى الأشياء) ثم آراء إميل بوترو .

ب - **فى الفلسفة الإسلامية** : حيث أبو نصر الفارابى والإمام الغزالى .

جـ - **فى علم الكلام** : حيث أئمة المعتزلة وأئمة الأشاعرة والشيخ مصطفى صبرى . ثم

عاد المؤلف مرة أخرى إلى الفلسفة القديمة لبيان موقف الفلسفة اليقينية والثقة بالعقل . الجزئية الثانية كانت (الضرورة العملية والشك) ، وفيها ناقش مؤلفنا آراء كل من الأبيقوريين ، هلنز ريشنباخ ، سكتوس امبيريكوس ، د . سليمان دنيا ، د . عثمان أمين ، هيوم ، كانط ، أزفلد كوليه ، وليم جيمس .

ويقول المؤلف ختاماً لهذه الجزئية : وأخيراً ، فإن الضرورة العملية هى التى أوقفت سريان الشك النظرى إلى إيمان الشخص بوجود ذاته - فى غير اللحظة الراهنة ، ومن ثم رجعت به إلى إثبات وجود العالم الخارجى بنفس طريقة الاستدلال التى تم بها إثبات وجود ذاته فى غير اللحظة الراهنة .

ونضيف إلى ذلك انها ترجع به أيضاً - على نفس المنهج - إلى الإقرار بوجود الله ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ . انتقل المؤلف إلى مناقشة (**الضرورة العلمية هى الأساس فى العلم التجريبى**) ، وكانت مناقشته - كسابقاتها - ممتعة ومقنعة ، توصل فيها إلى أن الضرورة العملية هى التى ترغمنا على التسليم بما يقع فى خبرتنا مباشرة ، وهى التى جعلت علماء الذرة يقررون وجودها ، وهى التى جعلت العلم التجريبى يتمسك بقوانين الإحصاء على الرغم من يقينه بأن الأفراد لا يخضعون لما يخضع له المجموع ، وهى التى جعلت العلم يأخذ بتفسيرين لظاهرة الضوء ، وهى التى تُلْجِئُنَا إلى الأخذ بنتائج الفيزياء الحديثة على وجه العموم ، وهى التى دعت إلى افتراض بقاء الطاقة ، وهى التى جعلت برتراند رسل (يؤمن) بما يسميه « الأحداث » كنسيج محايد للعقل والمادة .

وفى النهاية يقول : .. فإنه يصبح السير وراء الضرورة العملية لازماً إذا قادتنا هذه الضرورة خطوة أخرى بعد التسليم بالأحداث أو بالأشياء أو بالقوانين ، أى إذا قادتنا إلى علة هذه الأحداث ، والأشياء والقوانين ، العلة التى لا تحتاج لعلة وراءها ، أى إلى الاستدلال على وجود الله ، وهنا يحق لنا أن نعلن أن الضرورة هى الطريق إلى معرفة الله .

الضرورة العملية مدخل إلى « الدين » ، وهنا يقوم المؤلف بإفحام الملحدين فى مسائل خطيرة كالخلود الإنسانى ، والخير الأسمى ، والعلاقة بين الروح والجسد ، والموت ، والأبدية . ثم وصل إلى بيت القصيد وهو (الضرورة العملية فى الإسلام) فأوضح أنها ليست من باب الإجبار أو القسر أو الخضوع عنوة للأمر الإلٰهى ، وإنما هى استسلام لله بمحض الاختيار ، ثم ناقش القوى : العقلية ، والحسية ، والوجدانية ، وبيَّن الفرق بين الضرورة العملية الحيوانية والضرورة العملية الإنسانية ، وعرج على كيفية إلزام الضرورة العملية للإنسان . وأخذ يفصل القول فى توضيح الضرورة العملية كما هو فى منهج الدعوة الإسلامية : (أ) فى منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - : **الإنذار** الذى جاء فى أنحاء متفرقة من القرآن (١٢٠ مرة صراحة + ٨ مرات جاءت بكلمة التبشير المراد به الإنذار) ، ثم انتقل إلى الحديث النبوى حيث يقول النبى - صلى الله عليه وسلم - : (مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوماً فقال : ياقوم إنى رأيت الجيش بعينى ، فأنا النذير العريان فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم فنجوا ، وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم) .

ثم انتقل إلى وقائع السيرة النبوية . وهو يوضح من خلال هذه المناقشات أولية الإنذار

باليوم الآخر في منهج الدخول إلى الإسلام ، ويبين لماذا تقدم الإنذار بالعذاب الأخروى على مشكلة التوحيد منهجياً ؟ أو على الاقل : لماذا صحب الإنذار طرح مشكلة الالوهية على هذا النحو القوى الرهيب ؟ ولماذا لم تنقض فترة كافية في الجدل حول مشكلة الألوهية قبل الإتيان بالإنذار من العذاب في الآخرة ؟ (ب) في الفكر الإسلامى .

وختم مؤلفنا الفصل الأخير ـ وبالتالى الكتاب كله ـ بملاحظات على ما مر في الكتاب مما يتصل بقضية « الضرورة العملية » :

أولاً : الرد على القول (لا يصح أن نسمح للدائرة العملية من العقل أن تفرض اتجاهاتها على الدائرة النظرية ، بل ينبغى أن يقف العقل موقفاً سلبياً ، وأن يبقى صحيفة بيضاء حتى تأتى الحقائق الخارجية فتسجل عليه) .

ثانياً : أن البداية من « الضرورة العملية » ، وهى من الناحية النظرية لا ترتفع فوق مستوى الظن ، ليست مخالفة للشرع ، أو بدعة من البدع ، نقحمها على المنهج الإسلامى .

ثالثاً : أن العقل الذى يدفع إلى أخذ الإنذار بالآخرة مأخذ الجد ليس هو العقل النظرى الذى لا يكف عن اختراع الاحتمالات ، وإنما هو العقل العملى ، وهو الذى وصفه متكلمو الإسلام بأنه (قوة التصرف في الموضوعات واستنباط الصناعات ، وتمييز المصالح من المفاسد لانتظام أمر المعاش والمعاد) .

رابعاً : إذا كان العلماء قد قبلوا (الظن) في العمليات ، فإننى لا أرى وجهاً للتفرقة بين الاعتقادات والعمليات حيث يجوز الأخذ بالظن في الأخيرة دون الأول .

خامساً : أن المتعرض للدعوة بعد أن يتعرض للإنذار ، يجد نفسه مضطراً عملياً إلى « التسليم » ، فينطق بالشهادتين كما طلبهما الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) ، فيكون مسلماً ، وهذا هو « التسليم » الذى يدعو الإسلام إليه الإنسان ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴾ (الزمر ٥٤)

ونحن في ختام هذا العرض والتحليل نود أن نسجل تقديرنا لهذا الكتاب لما بذله مؤلفه في سبيل الوصول إلى الهدف المحدد والمبين في مقدمته ، إلا أن هذا لا يمنع من الإشارة إلى عدد من الأخطاء المطبعية التى كان من الواجب اختفاؤها من الكتاب ، والتى بلغت نحو ٣٧ خطأ ، مثل : (نفذ) ، وموقعه س ٣ ص ١١ ، وتصحيحه (نقد) ـ ١٩٥٨ : س الأخير ص ٢٦ : ١٨٥٨ ـ الواضع : س ١٧ ص ٤٦ : الواضح ـ المادة : س ٥ ص ٣٦ : المدة السوسيون بيولوجى : س ٩ ص ٦٤ : السوسيوبيولوجى ـ ... ـ يجوزا : س ٨ ص ١٨٠ : يحوزا ـ القينية : س ١٠ ص ١٨٣ : اليقينية . ومن هذه الأخطاء عدد آخر كما هو واضح في المواقع : س ٨ ص ٢٩ ، س ٥ ص ٥٩ ، س ١٠ ص ٦٧ ، س ١٣ ص ٧٨ ، س ٥ ص ٨٦ ، س ٢٠ ص ٨٩ ، س ١٧ ص ١١٤ ، ... ، س ١٣ ص ١٦٤ ، س ٢٠ ص ١٨٠ ، وغيرها . وليس هناك مبرر لوقوع هذه الأخطاء ، إذا علمنا أن « بروفة » الكتاب ـ وهى طور من أطوار طباعته ـ كان ينبغى على المؤلف مراجعتها وتصحيح ما بها من أخطاء .

إضافة إلى الأخطاء المطبعية فإننا وجدنا مَرْجِعاً كثر اعتماد المؤلف عليه وشاع ذكره في حواشى عدد من الصفحات (وهو « الإسلام

←

ونظرية التطـور » لصاحبـه محمد أحمـد باشميل) ، إذاً يحق له أن يكون من (أهم المراجع والمصادر) التى أوردها المؤلف فى نهاية الكتاب ، لكننا لم نعثر عليه فى هذه القائمة ، ووجدناه فى الحواشى فقط ، فلماذا حدث هذا ؟!

وامتداداً للأخطاء المطبعية التى تعددت فى صفحات الكتاب يلاحظ وجود بياض فى س ٦ ص ١١١ ، فما المقصود بترك هذه المسافة فارغة ؟! ثم إنا لم نجد رقم الصفحة فى إشارته إلى مرجع بحاشية ص ١١٩ السطر الثامن ، وهناك فى صفحة ١٧٨ إشارة إلى مرجع برقم ٤٤ على الرغم من عدم ذكر المرجع فى الحاشية كما هو المعتاد !!

النقطة التالية التى يجب لفت نظر القارىء والمؤلف ـ على السواء ـ إليها ، هى كثرة النقول الآتية من مصادر متعددة وأغلبها مؤلفات مترجمة ، ونظراً لتعدد المترجمين واختلاف ثقافاتهم ، فإننا وجدنا الكلمة الأجنبية الواحدة تُرْجِمَتْ بأكثر من مقابل عربى ، بالطبع هذا لم يحدث فى كل مُؤَلَّفٍ على حِدَةٍ ، ولكن عند النقل من المؤلفات لم يراع مؤلّفنا توحيد الترجمة للفظ الواحد ، فمثلاً Genes وجدناها مترجمة فى أنحاء متفرقة من الكتاب الذى بين أيدينا ، بـ (صبغات ، صبغيات ، مورثات) وإن كان الثلاثة يمكن استعمالها لكن الاقتصار على ترجمة واحدة أفضل ، وكلمة (vertebrates) ترجمت فى مواقع هكذا : (الفقريات) ، وفى مواقع أخرى : (الفقاريات) ، والأصح من هذه وتلك أن تترجم هكذا : (الحيوانات الفقارية) .

وكم كنا نود أن ينوه مؤلفنا إلى ركاكة الأسلوب الموجود فى بعض الترجمات وتصحيحه فى مواقع تتخلله كلما أمكن . والنقطة الأخيرة هى ورود أسماء كافة العلماء والفلاسفة والكُتّاب فى هذا الكتاب مُعَرَّبَةً ، وليت كل من يقوم بذكر أسماء أجانب أن يذكر الهجاء الأفرنجى مرافقاً للتعريب الذى اجتهد فى الإتيان به ، حتى نطمئن إلى صحته أو تصحيحه إذا وجدنا به تحريفاً ما .

والله أسأل أن يبصرنا بالصواب وأن يجعل عملنا خالصاً له مقبولاً لديه .

من خير ما نشر

تقديم : صفوت عبد الجواد
عادل رفاعى خفاجة

« الصحافة والاستعمار »

للأستاذ أحمد محمد أبو زيد

إذا ما نظرنا نظرة مستقلة للصحافة عن بقية الإعلام نجد أن الاستعمار قد اعتنى بها عناية خاصة لدورها المؤثر على مستوى طبقة المثقفين فى الامة فيقول المستشرق الإنجليزى المشهور « جيب » : « إن الصحافة هى أقوى الادوات الاوروبية وأعظمها نفوذاً فى العالم الإسلامى » ومن هنا وجدنا حرص الاستعمار منذ مجيئه إلى البلاد الإسلامية على إصدار الصحف الخاصة به وتشجيع الصحافة الصفراء ، وصحف الإثارة والفن والغناء والتضييق على الصحف الإسلامية ومحاولة وضعها فى ازمات مادية حتى ينتهى بها الأمر إلى التوقف ، كما حرص على وضع المؤسسات الإعلامية والصحفية الكبرى تحت سيطرة بعض العلمانيين الذين .. يحملون من الإسلام .. اسمه وإن خالف فكرهم كل تعاليم الإسلام وشرائعه .

وهكذا يتضح لنا مدى ما فعله الاستعمار وأعداء الإسلام ويفعلونه بمؤسسات تعليمنا ووسائل إعلامنا ، ومدى تغلغل العلمانية فى هذه المؤسسات وتلك الوسائل وبعدها عن التوجه الإسلامى الصحيح فى مناهجها وبرامجها .

« عن الوعى الإسلامى »

الإعلان

للأستاذ : سلمان العمرى

أصبح عصرنا الحالى عصر الإعلان .. الصحافة يسيطر عليها الإعلان وفى التلفاز يحتل الإعلان مساحة لا يستهان بها ـ الأطفال ينتظرون الفقرة الإعلانية ليهتزوا طربا على الألحان المنبعثة المصاحبة للإعلان ، ومن إعلان

←

الأشواب إلى الأجهزة المنزلية إلى العصير والمأكولات .. إعلانات .. إعلانات . تملأ حياتنا ..

لا بأس ما دامت البضاعة وطنية ولا بأس ما دام الإعلان قد التزم عاداتنا وتقاليدنا دون إثارة أو استفزاز والإعلان فى إطار الإعلام الإسلامى له ضوابط وحدود والتزام لما للإعلان من أهمية وشدة تأثير يتم عن طريق الإلحاح والتكرار وتنطبع عن طريقه صور « تظل فى الذاكرة » وخاصة ذاكرة الطفل .

مجلة الشرق

« انقذوا الطفل العربى من الطوفان الإعلامى »

للدكتور : ناول عبد الهادى

كتب يقول : إن تعميم الإذاعة والتلفزة والسينما والآلاف من الصحف والمجلات ، وتداول الأشرطة المسجلة بالصوت والصورة .. إلخ ، كل هذا خلق قوة جهنمية تسير بأقدام فولاذية لا سبيل إلى إيقافها ، تداهم كل المجموعات البشرية فى عقر ديارها وتغطى عليهم جميع لحظات وقتهم وفراغهم ، وتنفث بدون مراقب ولا رادع ما تريد أن تنفثه فى نفوسهم .

ولكن ما العمل أمام القوة الطاغية الزاحفة ، العابثة والفاتكة أحياناً بالنفوس ؟ فلا مفر من استقبالها عن طوع أو كراهية ، ولكن بالإمكان إبطال مفعولها أو على الأقل جزء منه بأمور ثلاثة .

أ ـ وضع خطة استراتيجية إعلامية وتربوية شاملة ، والتخطيط لتطبيقها من أجل الحد من مساوىء الإهمال والارتجال ، ومواجهة جحافل الغزو الثقافى والإعلامى التى تحمل فى طياته عوامل مسخ حضارتنا وذاتيتنا .

ب ـ تقوية الأرضية الصلبة فى نفوس أطفالنا وشبابنا ، بملء فراغ تكوينهم بأكثر ما يمكن من مبادىء ومعلومات عن قيمنا بغرس الإيمان فى نفوسهم بالقيم والأخلاق الإسلامية الفاضلة والعمل على أن يمارسوها فى سلوكهم ، وظهور الآباء والمربين والمسئولين بمظاهر القدوة والمثل الصالح .

جـ ـ العمل على توجيه الإعلام المستورد باختيار ما هو صالح منه ونبذ أو مقاومة ما من شأنه أن يعبث بتلك الأرضية المحصنة .

ومن المعلوم أن هذه التدابير يكمل بعضها بعضاً ، وأن التغافل عن أمرها وبالأحرى عن اثنين منها يعرض مسيرة البلاد الثقافية إلى الخراب وهويتنا إلى المسخ والزوال .

وواضح للعيان أن بعض الأخطار قد برزت وانتشرت بوادرها مثل : ضعف القوة الروحية المحصنة ، والسلطة المعنوية للآباء والأسرة ، ومنها انتشار الفساد وتناول المخدرات .

فليتق الله أولو الحل والعقد فى أبنائنا وليأخذوا قضية الإعلام بالجدية والفعالية والحزم اللازم قبل فوات الأوان وتعسر الحلول .

مجلة « الكويت »

في التذكرة للقرطبي

ذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحبَّ أن يكون أكرم الناس فليتق الله، ومن أحبّ أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: من أكل وحده ومنع رِفْدَه وجلد عبده، أفأنبئكم بشرٍّ من هذا؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من يبغض الناس ويبغضونه. قال: أفأنبئكم بشرٍّ من هذا؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: من لا يَقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنباً. قال: أفأنبئكم بشرٍّ من هذا؟ قالوا:نعم يا رسول الله، قال: من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره، إن عيسى بن مريم قائم في بني إسرائيل خطيباً فقال: يا بني إسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها،ولا تمنعوها أهلها فتظلموها وقال: مرة فتظلموهم ولا تظلموا ظالماً،ولا تكافئوا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم يا بني إسرائيل الأمر ثلاث: أمر بيِّن رشده فاتبعوه، وأمر بيِّن غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله عز وجل».

قال أبو نعيم: وهذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق عن النبي ﷺ إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس.

أنباء وآراء

● افتتح فضيلة الامام الاكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مركزاً إسلامياً بمدينة طلخا يتكون من معهد يسع (٦٠٥) تلميذ ، ومدرسة لتحفيظ القرآن ، ومعهد إعدادى وثانوى ومكتبة إسلامية تضم أمهات الكتب الإسلامية .. وقد أنشىء المركز بالجهود الذاتية وتكلف مليونين ونصف المليون جنيه .

اذاعة للقرآن الكريم

بدأت مؤخراً إذاعة القرآن الكريم فى سيراليون فى بث برامجها الدينية بلغات : « التمنى » ، « والمندى » ، « والماند نيكا » الشائعة فى غرب أفريقيا بالإضافة إلى اللغتين الانجليزية والفرنسية . كما يتم إذاعة تسجيلات للقرآن الكريم على مدار ساعات البث . وذكرت لجنة مسلمى أفريقيا التى تمتلك الإذاعة : أن الإذاعة تسمع بوضوح فى منطقة غرب أفريقيه وأن اللجنة تسعى حالياً لجمع التبرعات لتقوية البث الإذاعى وزيادة ساعاته .

● تنظم وزارة الشئون الإسلامية الباكستانية مسابقة دينية حول مؤلفات السيرة النبوية ، وقد خصص للفائز الأول جائزة قدرها ١٠٠٠ دولار أمريكى على أن تكون المؤلفات باللغة العربية والانجليزية والفارسية والتركية والفرنسية والألمانية والأسبانية ، ولا تقل عن ٢٠٠ صفحة وترسل إلى مديرية الشئون الدينية فى إسلام آباد قبل آخر مايو ١٩٨٩ م .

المؤتمر الأسلامى لدول الكاريبى يدعو لنشر الاسلام

دعا المؤتمر الإسلامى الأول لمسلمى دول بحر الكاريبى الذى عقد فى « سورينام » إلى إنشاء مجلس شورى للتخطيط لنشر الدعوة الإسلامية فى دول المنطقة والتوسع فى تأسيس المساجد فى دول الكاريبى . وناشد المؤتمر الدول الإسلامية بضرورة دعم دول المنطقة لإنشاء المزيد من المساجد لغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة فى نفوس الشباب،والعمل على بناء أسرهم على أسس من العقيدة الصحيحة بعيداً عن الخرافات . وأكد المؤتمر على ضرورة الالتزام بالمنهج الإسلامى ، والحفاظ على الروابط الأسرية والتصدى لإساءات أجهزة الإعلام فى هذه الدول التى تعمل على تشويه الإسلام ومبادئه . ودعا المؤتمر إلى ضرورة تبصير المسلمين فى دول الكاريبى بالمخططات التى تستهدف وحدتهم وتضامنهم مع الأمة الإسلامية . وأوصى المؤتمر بالعناية بالنشء المسلم وتربية الأبناء تربية إسلامية باعتبارهم حاملى لواء الدعوة الإسلامية فى المستقبل .

« موجة جديدة من الاضطهاد ضد مسلمى يوغوسلافيا »

يتعرض المسلمون الألبان سكان إقليم كوسوفو التابع لجمهورية الصِّرْب اليوغوسلافية

إعـداد: د. أحمد عبد الرحيم السايح
عبد المنعم فـودة

لحملة اضطهاد واسعة بسبب احتجاج الأغلبية المسلمة التى تمثل ٩٠ ٪ من سكان الإقليم ضد قرار الحزب الشيوعى لسيطرة جمهورية الصرب على الإقليم الذى يتمتع بالحكم الذاتى منذ عام ١٩٧٤ م .

وقد ثار المسلمون دفاعاً عن حريتهم وعقيدتهم فردت الصرب بحملة قمع راح ضحيتها عدد كبير من المسلمين فى شوارع المدينة نتيجة نزول الدبابات وقوات الجيش .

يعد الصرب العدة للقيام بالسيطرة على الجمهوريات الإسلامية فى الشمال .. الأمر الذى يعرض استقرار يوغوسلافيا للاضطراب .

راجع مقال "قضية من يوغوسلافيا" بهذا العدد والذى قبله .

● تشارك دول إسلامية عديدة فى بذل جهود مكثفة لدى الحكومة البلغارية لتخفيف الضغط على مسلمى بلغاريا وإلغاء القوانين المقيدة لحريتهم وتحركاتهم والسماح لهم بإيفاد بعثات من أبنائهم للدراسة فى الدول الإسلامية وإعطائهم الحق فى إقامة شعائرهم كاملة واستيراد الكتب الإسلامية التى تعينهم على فهم الإسلام فهما صحيحا .

سجل تاريخى للأماكن المقدسة بمكة والمدينة

يجرى إعداد سجل تاريخى ووثائقى لمدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسة . سيقوم مركز أبحاث الحج التابع لجامعة "أم القرى" بمكة بجمع الوثائق المسجلة المكتوبة والمسموعة والمرسومة والمرئية الخاصة بالأماكن المقدسة . ويأتى هذا العمل ضمن مشروع الأبحاث التى يقوم بها المركز ، والتى تهدف إلى تيسير المعلومات لزوار مكة المكرمة والمدينة المنورة .

● أعلنت حكومة الكونغو رسميا قيام أول مجلس أعلى للمسلمين بالكونغو ، وتعتبر هذه الخطوة اعترافا شرعيا من الحكومة بحقوق الأقليات الإسلامية والتى تبلغ بالكونغو ٢٢٥ الف نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم ٣ملايين نسمة .

عائلات وثنية سودانية تدخل الاسلام

شهرت مائتان وخمسون عائلة سودانية وثنية ومسيحية بمنطقة « جبرة » بالخرطوم إسلامها . كما أسلم سلطان قبيلة « الينكاجور » ودعى إلى دخول أحد المعاهد الإسلامية لتعلم مبادىء الإسلام .

وقد قامت الاتحادات السودانية وجمعية مسلمى أفريقيا التى تتخذ من الكويت مقراً لها بإقامة مسجد ومدرسة ومستشفى ليخدم هذه العائلات .

←

أنباء وآراء

مؤتمر اسلامى لتطبيق الشريعة الاسلامية

دعت وزارة الحج والأوقاف السعودية إلى عقد مؤتمر إسلامى لوزراء الأوقاف والشئون الإسلامية بالدول الإسلامية تحت شعار « الدعوة الحق » .

يناقش المؤتمر عدداً من الموضوعات المتعلقة بالدعوة الإسلامية من أهمها تطبيق الشريعة الإسلامية بالدول الإسلامية ، وكذلك التنسيق بين الدول الإسلامية لمواجهة التيارات المعادية للإسلام ، وكذلك بحث مشاكل الأقليات الإسلامية . ومن الجدير بالذكر أن آخر مؤتمر لوزراء الأوقاف والشئون الإسلامية قد عقد فى عام ١٩٨١ .

ذكرى الامام الطبرى

تقرر إقامة احتفال عالمى بذكرى مرور أحد عشر قرنا على وفاة الإمام الطبرى مفسر القرآن الكريم الشهير .

تقيم الاحتفال المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى النهاية من ذى القعدة وأوائل يوليو القادم بالمغرب .

الهدف من الاحتفال تخليد ذكرى الإمام الطبرى أحد أئمة القرن الثالث والرابع الهجريين ، والتعريف بمؤلفاته فى مجالات التفسير والتاريخ والفقه والحديث .

سيقام لقاء فكرى عالمى بمقر المنظمة بالمغرب يخصص -لدراسة شخصية الإمام الطبرى وتحليل عطائه الفكرى . ويشارك فى اللقاء أعلام الفكر الإسلامى المتخصصون فى التفسير والتاريخ والفقه والحديث .

ودعت المنظمة الهيئات والجامعات الإسلامية لجعل يوم أول يونيو يوماً خاصا بتخليد ذكرى الإمام الطبرى الذى توفى فى عام ٢٢٤ هـ ـــ ٨٣٩ م وسبق للمنظمة أن احتفلت بذكرى وفاة الأئمة : الغزالى ومسلم وابن النفيس .

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	
بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق	١٠٨٩
● قصة الإيلاف	
للدكتور على أحمد الخطيب	١٠٩٣
● المنافقون	
للدكتور محمد عبد المنعم القيعي	١١٠٠
● فى رياض السنة النبوية المطهرة	
للدكتور رءوف شلبى	١١٠٤
● قضية من يوغسلافيا	
لفضيلة الشيخ توفيق إسلام يحيى	١١١٠
● الإسلام فى جنوب افريقية	
للدكتور عبد الجليل شلبى	١١١٦
● جعفر الطيار	
للأستاذ السيد حسن قرون	١١١٨
● الردع الإسلامي فى غزوتى : بدر والفتح	
للواء أ . ح . محمد جمال الدين محفوظ	١١٢٢
● الخير فى الصيام لأسباب علمية وطبية	
للدكتور أحمد عبد المؤمن بركات	١١٢٨
● من تاريخ الأزهر ومدرسة القضاء .. إلى عهد الإمام المراغى	
للدكتور مجاهد توفيق الجندى	١١٣٤
● مدينة قرطبة	
للمستشار محمد عزت الطهطاوى	١١٤٠
● من أعلام الأزهر	
للدكتور محمد رجب البيومى	١١٤٤
● باب الشعر والشعراء ●	
● ياقلب	١١٥٢
● فى رثاء فضيلة الشيخ مصطفى الطير	
للشاعر أحمد قاسم أحمد	١١٥٣
● سوف تبقى حروفها مشرقات	
للشاعر أحمد محمد مبارك	١١٥٤
● من العلوم الكونية ●	
● قصة القلوب فى العلوم الكونية	
للدكتور أحمد فؤاد باشا	١١٥٥
● طرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١١٥٨
● من روائع الماضي بمجلة الأزهر	
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات	٧٦٠
باب اللغة والأدب والنقد	
● من صور الحذف البليغ	
للدكتور عبد الحميد العيسوي	١١٦٤
● ابن قتيبة وكتابة الشعر والشعراء	
للدكتور حلمى محمد القاعود	١١٧٢
● الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة	
للدكتور كارم السيد غنيم	١١٧٦
● من خير مانشر	
للأستاذين صفوت عبد الجواد و عادل رفاعى خفاجى	١١٨١
● أنباء وآراء	
للدكتور أحمد عبد الرحيم السايح وللأستاذ عبد المنعم فودة	١١٨٤
القسم الانجليزي	
إشراف د . أنس النجار	
● المقالة الثانية	
عبد الحكيم أحمد طه	
● المقالة الأولى	
د . أنس مصطفى النجار	١١٩٨

reality. This is in complete harmony with the other Islamic articles of Faith. It shows that Allah does not accept lip service, and that no true believer can be indifferent as far as the practical requirement of Faith are concerned. It also shows that no one can act on behalf of another or intercede between him and Allah.

The true Muslim believes that Faith is not complete when it is followed blindly or accepted unquestioningly unless the believer is satisfied. If Faith is to inspire action, and if Faith and action are to lead to salvation, then Faith must be founded on unshakable convictions without any deception or compulsion. In other words, the person who calls himself a Muslim because of his family traditions, or accepts Islam under coercion or blind imitation is not a complete Muslim in the sight of Allah. A Muslim must build his Faith on well-grounded convictons beyond any reasonable doubt and above uncertainty.

This is why Islam demands sound convictions and opposes blind imitation. Every person who is duely qualified as a genuine and earnest thinker is enjoined by Islam to employ his faculties to the fulest extent. Islam is complete only when it is based on strong convictions and freedom of choice, it cannot be forced upon anybody, for Allah will not accept this forced faith. Nor will He consider it a true Islam if it does not develop from within or originate from free and sound convictions.

The true Muslim believes that the Qur'an is the word of Allah revealed to Muhammad through the agency of the Angel Gabriel. The Qur'an was revealed from Allah piece by piece on various occasions to answer certain questions, solve certain problems, settle certain disputes, and to be man's best guide to the truth of Allah and eternal happiness . Every letter in the Qur'an is the word of Allah, and every sound in it is the true echo of Allah. The Qur'an is the First and most authentic Source of Islam. It was revealed in Arabic. It is still and will remain in its original and complete Arabic version, because Allah has made it His concern to preserve the Qur'an.

The true Muslim believes in a clear distinction between the Qur an and the Traditions of Muhammad. The Qur'an is the word of Allah whereas the Traditions of Muhammad are the practical interpretations of the Qur'an. The role of Muhammad was to convey the Qur'an as he received it, to interpret it, and to practice it fully. His interpretations and practices produced what is known as the Traditions of Prophet . They are considered the Second Source of Islam and must be in complete harmony with the First source, namely the Qur'an, which is the Standard and the Criterion. The traditions of the Prophet are the living paradigm of the Qur'anic doctorines.

limited and our thinking is based on individual or personal considerations, whereas His knowledge is limitless and He plans on a universal basis.

The true Muslim believes that Allah's creation is meaningful and that life has a sublime purpose beyond the physical needs and material activities of man. The purpose of life is to worship Allah. This does not simply mean that we have to spend our entire lives in constant seclusion and absolute meditation. To worshipo Allah, is to know Him; to love Him; to obey His commandments; to enforce His law in every aspect of life; to serve His cause by doing the right and shunning the evil; and to be just to Him, to ourselves, and to our fellow human beings. To worship Allah is to "live" life not to run away from it. In brief, to worship Allah is to imbue ourselves with His Supreme Attributes. This is by no means a simple statement, nor is it an oversimplification of the matter.

The true Muslim believes that man enjoys an especially high ranking status in the hierarchy of all the known creatures. He occupies this distinguished position because he alone is gifted with rational faculties and spiritual aspirations as well as powers of action. However, the more his rank excels, the more his responsibility grows. He occupies the position of Allah's viceroy on earth. The person who is appointed by Allah to be His active agent, must necessarily have some power and authority, and be, at least potentially, endowed with honour and integrity. This is the status of man in Islâm; not a condemned race from birth to death, but a dignified being potentially capable of good and noble achievements. The fact that Allah chose His messengers from the human race shows that man is trustworthy and capable, and that he can acquire immense treasures of goodness.

The true Muslim believes that every person is born free from sin and all claims to inherited virtue. He is like a blank book. When the person reaches the age of maturity he becomes accountable for his deeds and intentions, if his development is normal and if he is sane. Man is not only free from sin until he commits sin, but he is also free to do things according to his plans on his own responsibility. This dual freedom: freedom from sin and freedom to do effective things, clears the Muslim's conscience from the heavy pressure of Inherited Sin. It relieves his soul and mind from the unnecessary strains of the Doctrine of Original Sin.

The true Muslim believes that man must work out his salvation through the guidance of Allah. This means that in order to attain salvation a person must combine Faith and action, belief and practice. Faith without action is as insufficient as action without Faith. In other words, no one can attain salvation until his Faith in Allah becomes dynamic in his life and his beliefs are translated into

expected. Its authenticity is beyond doubt, and no serious scholar or thinker has ventured to question its genuineness. The Qur'an was made so by Allah Who revealed it and made it incumbent upon Himself to protect it against interpolation and corruption of all kinds. Thus, it is given to the Muslims as the standard or criterion by which all the other books are judged. So, whatever agrees with the Qur'an is accepted as Divine truth, and whatever differs from the Qur'an is either rejected or suspended.

The true Muslim beleives in the angels of Allah. They are purely spiritual and splended beings whose nature requires no food or drink or sleep. They have no physical desires of any kind nor material needs. They spend their days and nights in the service of Allah. There are many of them, and each one is charged with a certain duty. If we cannot see the angles with our naked eyes, it does not necessarily deny their actual existence. There are many things in the world that are invisible to the eye or inaccessible to the senses, and yet we do believe in their existence. Belief in the angles originates from the Islamic principle that knowledge and truth are not entirely confined to the sensory knowledge or sensory perception alone.

The true Muslim believes in the Last Day of judgement. This world will come to an end some day, and the dead will rise to stand for their final and fair trial. Everything we do in this world, every intention we have, every move we make, every thought we entertain, and every word we say, all are counted and kept in accurate records.On the Day of Judgement they will be brough up. People with good records will be generously rewarded and warmly welcomed to Heavens, and those with bad records will be punished and cast into Hell. The real nature of Heaven and Hell and the exact description of them are known only to Allah The Muslim believes that there definitely will be compensation and reward for the good deeds, and punishment for the evil ones. That is the Day of Justice and final settlement of all accounts.

The true Muslim believes in the timeless knowledge of Allah and in His power to plan and execute His plans. Allah is not indifferent to this world nor is He neutral to it. His knowledge and power are in action at all times to keep order in His vast domain and maintain full command over His creation. He is Wise and Loving, and whatever He does must have a good motive and a meaningful purpose. If this is established in our minds, we should accept with good Faith all that He does, although we may fail to understand it fully, or even think it is bad. We should have strong Faith in Him and accept whatever He does because our knowledge is

→

Ramadan, and the Performance of Hajj, for those who are capable. These are the outward manifestations of the Muslim, the external features of the countenance. The reality of Islam goes very deep into the finest detailed intricacies of the human soul, self, body, and vital functions. The true faithful firm believing Muslim should by virtue of his understanding of Islam as a Theism should believe with true adherence to certain fundamental articles of faith.

The belief in One Creator (Allah), Supreme and Eternal, Infinite and Mighty, Merciful and Compassionate, Creator and Provider. This belief, in order to be effective, requires complete trust and hope in Allah, submission to His Will and reliance on His aid. It secures man's dignity and saves him from fear and despair, from guilt and confusion.

The belief in all the messengers of Allah without any discrimination among them. Every known nation had a warner of messenger from God. These messengers were great teachers of the good and true champions of the right. They were chosen by Allah to teach mankind and deliver His Divine message. They were sent at different times of history and every known nation had one Messenger or more. The Holy Quran mentions the names of twenty-five of them, and the Muslim believes in them all and accepts them as authorized messengers of Allah. They were, with the exception of Muhammad, known as "national" or local messengers. All the messengers with no exception whatsover were mortals, human beings, endowed with Divine revelations and appointed by Allah to perform certain tasks. Among them Muhammad stands as the Last Messenger and the crowning glory of the foundation of prophethood. This is not an arbitrary attitude, nor is it just a convenient belief. Like all the other Islamic beliefs, it is an authentic and logical truth.

The true Muslim believes in all the scriptures and revelations of Allah. They were the guiding light which the messengers received to show their respective peoples the Right Path of Allah. In the Qur'an a special reference is made to the books of Abraham, Moses, David and Jesus. But long before the revelation of the Qur'an to Muhammad some of those books and revelations had been lost or currupted, other forgotten, neglected, or concealed. The only authentic and complete book of Allah in existence today is the Qur'an. In principle, the Muslim believes in the previous books and revelations. The Qur'an is complete and authentic. Nothing of it is missing and no more of it is

FUNDAMENTAL ARTICLES OF FAITH IN ISLAM

By : Abdel Hakim Ahmad Taha

In Al-Bukhary and Muslim and all compilations of the Honourable Hadith: Abu Hurairah narrated "One day while the Prophet was sitting in the company of some people, The Angel Gabriel came and asked, "What is Faith?" Allah's Apostle replied "Faith is to believe in Allah, His Angels, the meeting with Him, His Apostles, and to believe in Resurrection." Then, he further asked "What is Islam?" ; Allah's Apostle replied, "To worship Allah alone and none else, to offer prayers perfectly, to pay the compulsory charity (Zakat), and to observe fasts during the month of Ramadan". Then, he further asked "What is Ihsan (perfection) ?" Allah's Apostle replied "To worship Allah as if you see Him, and if you cannot achieve this state of devotion, then you must consider that He is looking at you." Then, he further asked when will the Hour be established ?" Allah's Apostle replied "The answerer has no better knowledge than the questioner. But, I will inform you about its portents - when a slave (lady) gives birth to her master - When the shepherds of black camels start boasting and competing with others in the construction of higher buildings - and the Hour is one of five things which nobody knows except Allah. The Prophet then recited "Verily, with Allah (Alone) is the knowledge of the Hour (XXXI, 34). Then the man (Gabriel) left and the Prophet asked his companions to call him back, but they could not see him. Then, the Prophet said "That was Gabriel who came to teach the people their religion".
(Sahih Al-Bukhari, Vol. 1, Chapter 38, The Book of Faith)

According to Muslim Theism, the confession that "Allah is One, and that Muhammad is the Last Messenger"; is only the verbal statement for the entery into Islam. This necessitates the performance of the required functional duties and responsibilities of Salat (prayers), practicing Zakat, observance of Fasting (Siyam) in the month of

right and wrong, virtue and vice, lawfull and unlawfull according to Islamic jursiprudence. With these elements of highly refined characters of Abu Bakre; he functioned as the man who navigated the affairs of the Muslim Ummah amidst the very grave dangers of transition after the death of the Prophet. His accomplishments transcended all expectations at the time of his death. The most outstanding and dominant of all was the establishment of an anchored irreversible stability of the Islamic culture in the Arab Peninsula and the territories of Iraq and Syria. That was the door step to the vast spread of Muslim civilization; a civilization based on the doctrines of a Divine Message.

war machines of the Romans and Persians opened the minds to the real nature of Islamic teachings as indicated in the Holy Quran, demonstrated by a living tradition in the life of the Prophet, and implemented in total understanding by Khalifah of Rassul Allah, Abu Bakre Al-Siddiq. The conscious of human societies in the Arab Peninsula, Syria and Iraq came to recognize the underlying truth and reality of the Islamic culture; and driven by human natural forces of virtue, followed the light and adhered to its doctrines. Islamic culture and teachings did not spread by the sword, contrary to the fraudulent deceptive ideas presented by some authors who intentionally distort the truth rather than seek the reality. The propagation spread and diffusion of Islam came about as the natural realistic premise instinctively rational and predilective to the reality of human needs, goods and prosperity. The fierce battles that took place during the life of the Prophet were fought to defend the infancy of Islam, and later to defend its integrity. During the late years of the Prophet's life, all the tribes of the Arab Peninsula sent delegates and deputies to the Prophet to proclaim Islam. During the reign of Abu Bakre, the wars against the apostates were to defend Islam against antagnostic forces of heresy and idol worship. The Syrian and Iraq crusades aimed at the emancipation and liberation of their inhabitants from the yoke, oppression and despotic exploitation of the Roman and Persian occupation. The Mulsim worriors in the crusades fought the Roman and Persian military war machine. The paradigm of Muslim administration, justice, equality, self conduct, jurisdiction, and jurisprudence; were certainly very attractive and rational to the human groups resident in the liberated territories. They accepted Islam embraced the teachings, became devoted to its doctries, learned the culture, and excelled in adopting it as a way of life. This was how the Muslim civilization grew and expanded by the inertia of its Divine origin, and the profoundness of its doctrines; to achieve the aboslute dignity, the true liberation and redemption of mankind.

Abu Bakre Al-Siddiq the successor of the Prophet reached the climax of intelligence and perception to recognise the inherent qualities of the Divine Message. He learned with excellence the lessons of the Prophet, and when in office as the guardian of Muslim interests, he implemented and practiced the principles and teachings of the Message of Islam as a man who personified the paradigm of true faith. He developed a very precise distinction and discrimination between

➝

into a theopolitical unity of faith, culture and goal of achievement. A message that harnsessed and optimized the potentialities of human efficiencies and capabilities. The tribes of this Arab nation were known to the two Empires as the poor sheperds, camel drivers, the bare footed hungry naked desert rats. From among those emerged a nation to confront the two mightly powers, pound at their gates, and defeat them in conclusive triumph to reach in subsequent years the precincts of the Austrian Alps in Central Europe, and the lands beyond Central Asia, and South to the Indian Ocean.

The spectacular wonderous triumph of the Muslim nation was not the result of military power, or strength of manpower or weapon machine superiority. The very small numbers of very poorly equiped defeated the massive legions of the Romans, and the huge multitudes and hords of Persian forces, who were always exceedingly superior in numbers, war machines, and military experience. That emerging nation was strongly armed with the driving force of faith, belief, unfaultering confidence, and the zeal of spirit. They were the vanguards and the vigilants who carried the Message of Islam in genuine truth and honour, to transmit the culture of Muslim Theism to the whole world. This was the initial start of Muslim expansion beyond the confines of the Arab Peninsula. The Islamic culture and civilization that carried the banner of human freedom, equality, justice honour, goodness, virtue and prosperity for ten centuries. The culture that later spread by the inertia of its profound finesse and refinement to embrace the beliefs of the people of China, Turkestan, Egypt India, Russia, and Spain. The culture that still remains to present times inspite of all deterents, the only true lantern of belief and human liberation. The culture that every unbiassed mind seeks to understand and pursues to know and embrace to become one of its adherents.

This wonderous overpowering miracle is the actual result of the mechanism of the genuine understanding of civilization of the human society, the paradigm of true faith in the Divine Message. This was what Abu Bakre Al-Siddiq, Khalifah Rassul Allah optimized, implemented and administered as the policy during his short term of office. What happened is not a random process; it is the resultant natural outcome of the growth, expansion and dominance of a true genuine culture and civilization based on the Divine Message to Mankind. This initial victories of Muslim worriors during the wars of Apostates followed by the triumphs over the monstrous

self for its discipline and control; and strive against the enemy of the Muslim Ummah. Abu Bakre was the remarkable phenomenal extraordinary character who with extreme solidity and adamant thought and the most stoic and ecumenic understanding; achieved the expansion, stability, and unity of the Muslim Ummah. Only two years after the death of the Prophet, the culture of the Muslim Theism was heavily pounding the gates of two contemporary civilizations of the East and West, the Persian and the Roman Empires.

The Roman Empire symbolized the peak and grandeur of the Western Civilization with all the cummulative qualifications of potentialities, beliefs, administrative structure, science, knowledge, thought and art. It manifested the resultant cultures of Latin Europe, ancient Greece, Phenecians, and the Pharos. It constituted the lands extending from West Europe to the Agean Sea and expands further East to include the Middle East, North Africa, Palestine, to reach the Syrian desert. The Persian Empire represented the crescendo of pomp and magnificence, the majestic splendor of luxurious spectacle and bombastic power. It represented the collective civilizations of India, Persia, China, and the whole East. It extended geograhically from central Asia embracing its South far East, and expands West to cover Iraq and overspread to reach the Syrian desert.

The Syrian desert the dividing line between two contemporary colossals of civilization, might and power. This desert was arid desolate and barren; inhabited by nomad Arab tribes travelling north from the Peninsula and moving east into the persian empire, or west into the roman empire in search of pasture and grazing land. Both Empires were in continual dispute, hostility, perpetual enmity and display of military strength. There was no reason or logic behind this burning deadly opposition except the blind blatant display of power; and that power and might were the force of law, and by this law of force everything was justified. For seven centuries, the two mighty powers Persians and Romans were at war with even balance of victory and defeat. All other nations were silent minors and unimportant satellites, and the two powers appeared as the only prevalent in dominant existance. Amidst this exhibition of ostentatious supremacy of the two super powers; a poor nation emerges from the arid barren desolate expanse of the deserts of the Arabic Peninsula. That nation carried a Message of Divine origin, to expound to mankind; a message that united the diverse tribes of the desert

prophethood had ended. The depth of faith, the strength of belief, the optimization of piety, the adherence and observance of the teachings of the Prophet became the essential qualifications of the Muslim Ummah. Martyrdom as the symbol of sacrifice for the faith was the real source of strength and cohesion. Martyrdom was semantic of the human potentialities for human spiritual ascension and elevation, with the reward of self integrity, stability and spiritual dominance. Such were the spiritual elements of Abu Bakre that he learned from Islam, a lesson that was demonstrated by the Prophet every day of his life to all companions. Another lesson that Abu Bakre learned and fully developed its understanding and importance was that the Muslim Ummah had a message to deliver to mankind at large throughout the ages and that all humanity should listen and understand this message. The Divine Ecumenical message for the emancipation of mankind from self slavery, ego, transgression, and injustice.

These two basic pivots, the spiritual elevation at its maximum of belief and faith; and the propagation, proclamation, proliferation of the message of Islam as the most optimized culture to the social, mental, and physical health of mankind. With this understanding, Abu bakre fully conceptualized the universality of Islam, as the message not only for the Arabs; it is a cultivation, refinement, enlightment, discipline perception and education for the whole human race. With this understanding, Abu bakre developed the strength and adamant character, to confront and defeat the adverse hostile and antagonistic problems and difficulties that emerged at the early phase of his reign. With this understanding also Abu Bakre planned, engineered, promoted and fully supported the Iraq and Syrian crusades, in order to spread the Message of Islam to distant lands outside its cradle in the Arab Peninsula.

Certainly, the reign of Abu Bakre was exceptional; it was a reign of transition from prophethood and manifestations of Divine function, to the reign of establishment, ascertainment, optimization, determination, struggle and contention on the path of the Divine Message from Allah. Every individual of the Muslim Ummah was deeply invoked in carrying his share of the heavy burden and the great effort: from the Khalifah Abu Bakre himself to the last Muslim in the most remote corner of the Arab Peninsula. The strive on the path of Allah "The Jihhad Fi Sabil Allah", the most composite concept in the Muslim theism; the strive against the

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

THE PARADIGM OF TRUE FAITH

By : Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The reign of Abu Bakre was climactic in its distinction and uniqueness. The twenty seven months term of administration were significantly characterized by profound accomplishments of paramount dominance in the history of Islam. The epoch of prophetic revelation lasted for twenty three years and ended by the death of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). That period was exceptionally and distinctly singular, particularized to feature the ultimate and final Divinity and Revelation of the Holy Quran as the System of Monotheistic belief and faith. The Prophet was inspired by Divine support and power in all human functions and capabilities; and was championed by Transcendent commandments. The summons to Allah started on the tongue of one man, with an infinite potential of Reality and Belief. That man was the Messenger of the Holy Message of Allah to Mankind to remain to eternity. After twenty three years, the Message was imprinted in the hearts of thousands all over the Arab Peninsula, all in one rythm of a theo-political unity with the Master, Divinely - inspired Prophet at Al-Madinah. The total jurisdiction and jurisprudence were properties of the Prophet, being of Divine origin, were unchallenged and undisputed. The Life style, conduct and teachings of the Prophet became traditions to be understood and followed by sincere devoted Muslims as the paragon of perfection. The whole Arab nation was in unison and harmony, belonging to one belief and subject to its authority personified in the Persona Grada of the Prophet himself; the magnanimous the very much loved, the highly respected, the cherished and esteemed with grandeor and distinction, (prayers and peace from Allah upon him).

After the death of the Prophet, and the succession of Abu Bakre as Khalifah of Rassul Allah, there was no Revelation, no Divine inspiration; the epoch of

→

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, PART 10

SHAWAL, 1409, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq.

The Paradigm of True Faith.
By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Fundamental Articles of Faith in Islam.

By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

Preparation of Prints by Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

قصة الإيلاف

عصر هاشم بن عبد مناف

الجزء الأخير

ثلاث يحيا بهن ، وينتعش بوجودهن اقتصاد الجزيرة ، ويعود بهن إليها مجدها التجارى فحياتها الوارفة ، وتلك الثلاث هى - بعينها - التى توفرت لـ « سبأ » .

● حكومة قوية تمتاز بحكم الجزيرة كلها ، أو أهم أجزائها التى تسرى فيها القوافل فتحكم - فى عدل شامل : بَوَادِيَها وحواضرها ، طرقها وشعابها ، قبائلها ونزلاءها .

● اهتمام بطرق القوافل وشرايينها المنبثة بأرض الجزيرة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً من حيث متابعة العناية بها ، وإقامة النُّزُل المضيفة بين مراحلها على مثال ما كانت عليه « القرى الظاهرة » فى « سبأ » لتتوفر لقطارات[1] الإبل حاجتها من : مقيل وطعام وشراب ، أو استبدال بعير أو أكثر بغيره مما عطب فى الطريق ، أو صيانة لوديعة تترك لضرورة بواحدة من تلك المحطات .. الخ .

←

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

ذو القعدة ١٤٠٩هـ
يونيو ١٩٨٩م
الجزء الحادى عشر
السنة الحادية والستون

● بسط الأمن الحازم الذى يكفل للقوافل سلامة الأفراد والصادرات والواردات فلا تنالها غارات الأعراب ، ولا يقع عليها لصوص البر ، أو « قرصان » البحر[2] الذين اتخذوا « جيوباً » لهم على امتداد الساحل الشرقى من مطاريد الهنود بتلك البقاع .

بهذه الثلاث تمت للجزيرة زمناً نعمة الثراء وعز الترف بلا رهق فى حاجة ، أو ذل فى شظف .

وليس من شك أن رأس الثلاث أُولَاها ، فالحكومة القوية هى التى تملك بسط نفوذها ، والعناية بطرقها ، وتوفير الأمن لها .

وهذه « الحكومة » بالذات هى التى لا وجود لها عصر هاشم حيث الأمر شتات ، لكن هاشماً ـ أمير قريش وشيخها ـ عازم على المضى فى العمل لتحقيق هذا الرخاء وإحياء هذا الاقتصاد ؛ فهؤلاء قومه من قريش كادت تهلكهم السنون العجاف ، ومثلهم ـ فى ذلك ـ مثل الكثير من القبائل ، ولن يَنْبُذَ أمله ركوناً على فقدان الجزيرة لتلك الحكومة ، ويدفع إلى نفسه بعزاء كاذب يَفُضُّ من أمله لأن « الواقع » يحيله ، و« الدهر » لا ييسره .

إن ميراث الحكمة من قومه علَّمه أن « المرء يَعْجِزُ لا المحالة » .

نعم ؛ يعجز المرء لكن الحيلة مفتحة الأبواب ، ولا عليه إلا أن يعمل فكره فيمنحه الله ـ سبحانه ـ « البديل » .

وما من شك فى أن هذا « البديل » فى الجزيرة ، وعلى أرضها ، فما الأمر إلا « حكومة » و« قبائل » محكومة ؛ وإذا كان « الواقع » يرفض « الحكومة » فإنه يقدم « القبائل » فمنها ـ إذاً ـ تكون البداية .

●● ●● ●●

نعم ، من القبائل تكون البداية ، وإن لها من نخوة الشرف وعزة القِيَم ما تملك معه الوفاء **بعهدها** ووعدها إذا نجح هاشم فى إقامة « إيلاف » بينه ـ ممثلاً لقريش ، وبين كل منها على طول طرق القوافل حتى تنتهى ـ شمالاً ـ إلى البحر الأبيض رسول التجارة إلى أوروبا ، وحتى تصل ـ جنوباً ـ إلى عدن ـ فتقيم لها سوقاً بأرض الحبشة .

إنها البديل مع شىء من الدراسة :

فالقبائل صنفان :

---

(١) تعنى كلمة قطار ـ أساساً ـ فى اللغة : عدد من الإبل بعضه خلف بعض على نسق واحد ، يقال : جاءت الإبل قطاراً ، مقطورة ، واستعير اللفظ حديثاً لمركبات السكك الحديدية تجرها قاطرة .

(٢) راجع هذا الموضوع للأستاذ « قاضى أطهر مبارك » فى بحثه « من النارجيل إلى النخيل » عرّبه عن الأُردية الأستاذ « عميد الزمان القاسمى الكيرانوى » ونشر بمجلة « ثقافة الهند » التى يصدرها « مجلس الهند للروابط الثقافية بـ « آزاربهون ـ دلهى الجديدة » الأعداد الأول والثالث والرابع . يناير ، يوليو ، اكتوبر ١٩٦٥ ـ والموضوع أيضاً لدى الإمام الطبرى ـ رضى الله عنه ـ فى حروب الردة فقد كان هؤلاء من أعوانها على الإسلام .

صنف بمشارف الشام هو ومن لاذ به خاضع لتوجيه بيزنطة ، للروم عليه التزامات وحقوق ، ومثله بمشارف الشرق من الشمال يسيطر عليه الفرس، لهم عليهم بدورهم التزامات وحقوق .
وهؤلاء وهؤلاء لا يُعطُون عهودهم عن خيار ، فلابد من « جواز » لها من الفرس والروم .

ولعل قارئنا على ذكر من قبائل الشمال والتزاماتها ، وقد أسلفنا ـ فى ذلك ـ واقعة حين عرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه على بعض قبائل تتبع فارس طالباً جوارها ، فكان أن اعتذروا بـ « رَدّ » جميل ؛ فقالوا :

« إنّا نزلنا بين صَرَيَيْن : أحدهما « اليمامة » والآخر « السماوة »[٣] ، أما أحدهما فطفوف البرّ وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى : ألا نحدث حدثاً ولا نؤوى محدثاً ، ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك .
فأما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول .
وأما ما كان مما يلى فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول .
فإن أردت أن « ننصرك » و« نمنعك » مما يلى العرب فعلنا . »
وأنت ترى نفوذ الفرس واضح فى الإجابة ، وليس دونهم الروم

وصنف من القبائل لا سبيل لهؤلاء وهؤلاء عليه ، وأولئك لا يرهقهم عهد ولا وعد فأمرهم ميسور .
وَنُذَكِّرُ بأمر « الحبشة » فإن قوافل هاشم إذا أرادت أن تطرقها فلابد من « جواز » يُعطيه مَلِكُها ، فيكون له بها سوق ، لا سيما وبالحبشة جالية عربية كبيرة .
وإذاً ؛ فلن يسلم الطريق ويأمن إلا بإذن الثلاثة .
وقرر هاشم الاتصال بهم ؛ فإن له من منزلته ما ييسر ذلك .

●● ●● ●●

وتستمر رؤية « الأمير » كشفاً وتذليلاً :
فإنه فى « ميزان اقتصاد الجزيرة » ترجح كفة الروم على فارس :
فالروم ـ ومن ورائهم الغرب ـ أصحاب السوق المستهلكة الأولى من قديم لصادرات الجزيرة مما كانت تجلبه من ديار الهند مضافاً إليه عطور الجزيرة النادرة ومنتجاتها .

ثم للروم ديارهم المفتوحة على البحر الأبيض ؛ فهم سوق من ورائها سوق .
ثم للروم نفوذهم الأدبى على « الحبشة » فإذا تيسر له إذن الروم سهل عليه أمر الحبشة .
وليس لفارس من ذلك شىء ؛ بل هى عدو مناهض للحبشة ، وثغورها لا تنال أوروبا من قليل أو كثير ، وليس يعنى وضع فارس من اقتصاد الجزيرة إهمالها ، إنما يعنى أن يكون الاهتمام بأمرها مساوياً لحجم استهلاكها من السوق العربية وإفادة القبائل العربية المتاخمة لحدودها .

●● ●● ●●

طرح هاشم على إخوته : عبد شمس ونوفل والمطلب رؤيته فاستجابوا له .

←

---

(٣) الصرى : كل ماء مجتمع . راجع مجلة الأزهر شوال ١٤٠٨هـ .

وكان « الأمبراطور » ـ وهو الذى سيبدأ هاشم به ـ كثيراً ما يتردد على أملاك الدولة الرومانية بالشام، وله منازله فى الجزء الغربى منها حيث « القسطنطينية » أو « أنقرة » وعزم الأمير على لقائه.

وكان لهاشم ثقله السياسي الذى له وزن ترحب به بيزنطة التى تستقبل من العرب بعض الشعراء إلى جانب أمير غسان عميلها فى الشمال:

فهاشمٌ أميرُ مكة ورأس مشيختها، وولى أمر البيت الذين تدين له العرب فى عقيدتها وشئونها الروحية، ومن بينهم كثرة من نفس الغساسنة الذين يدينون بالولاء لبيزنطة، ولا يفتأون يحجون البيت ويعتمرون.

وإن الأمبراطور ليعلم ذلك منهم، وعن طريقهم أيضاً يعلم أن العرب تختلف ما تختلف وتفترق ما تفترق ما لم يعلق بالبيت حادث فهم رجل واحد، وقلب واحد لا يختلف على نفسه، ولا ينشق على أمره.

وذلك يعنى أن لمكة سلطانها الروحى على أتباع الأمبراطور نفسه.

وهذه تحسب لهاشم فى ميزانه السياسي.

ثم هاشم ـ من بعد ذلك ـ رأس البيت الهاشمى الذى أرسى سياسة « الحياد » لمشيخة مكة، ورفع من شأنها فأقرت بها القبائل؛ فلم تشركه فى نزاع، أو تدفع به إلى خصومة.

ولعل هذا الحياد الشريف هو الذي منع « بيزنطة » أن تمد يد التعارف إلى الأمير، فتبدأ بالخطوة الأولى؛ فـ « الديبلوماسية » عادة ما تحجم عن خطوة يترتب على رفضها مساً بالكرامة، فأما إذا لوّح الأمير بها فما أسرع ما تستجيب لأمير يفوق إمارة غسان منزلة ونفوذاً.

وسعى هاشم تسبقه أريحيته الجميلة، وتمثيله العزيز لبلده، وعرفت فيه حاشية الأمبراطور هذه الشمائل الطيبة والشمم العزيز، ونجح لقاؤه بالأمبراطور، ثم تكرر.

يقول ابن سعد ـ فى طبقاته عن رحلات الأمير التى بلغت أحياناً «أنقرة» ولم تقتصر على الشام:

« وربما بلغ أنقرة فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه » (٤).

حتى إذا تمكن من نفسه، وعزت منزلته عنده، ونال إعجابه ـ كما يقول صاحب « النوادر » وجد هاشم الفرصة لتحقيق هدفه فى الأمرين معاً، وكلل الله ـ سبحانه ـ مسعاه بالنجاح.

قال صاحب « النوادر »:

فلما رأى نفسه تمكن عنده، قال:

أيها الملك، إن قومى تُجارُ العرب؛ فإن رأيت أن تكتب لى كتاباً تُؤَمِّنُ تجارتهم؛ فَيَقْدَمُوا عليك بما يُسْتَطْرَفُ من أَدَمِ الحجاز وثيابه، فتباع عندكم فهو أرخص عليكم، فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم » (٥).

---

(٤) طبقات ابن سعد ١/٧٥ دار صادر بيروت ١٣٨٨.

(٥) ابو على القالى ـ النوادر ص ١٩٩ ط دار الكتب ١٣٤٤.

زاد صاحب الطبقات :

« وكتب إلى النجاشى أن يدخل قريشاً أرضه »(٦) .

ففاز هاشم بالأمرين جميعاً .

« فأقبل ـ والحديث للنوادر ـ بذلك الكتاب ، فجعل كلما مَرَّبحى من العرب بطريق الشام أخذ من اشرافهم (إيلافاً) .

والإيلاف : أن يَأمَنُوا عندهم ـ فى أرضهم ـ بغير حِلف ، إنما هو أمان الطريق » .

ونال الأمير بذلك عهد الإيلاف من القبائل المدينة لبيزنطة دون أن يرهقها بعهد تنال به سخط الامبراطور .

وعَقدَ « إيلافَه » مع قبائل الطريق حتى مكة .

وتجلت أريحية هاشم فى تطبيقه لإنعاش الجزيرة ، فهو ـ وقد أَمِنَ الطريق ـ وأصبحت كل قبيلة كفيلة بتوفير حاجة القوافل على شتى ضروبها ـ تَألَّفَ القبائل بأمرين :

١ ـ أن تحمل قريش إليهم بضائع فيكفونهم السعى لحملها .

٢ ـ وأن تحمل عنهم قريش ما لديهم من سلع يريدون الاتجار فيها ، ويؤدون إليهم رءوس أموالهم وربحهم ، ولاكراء على قبائل الطريق ، ويعنى ذلك أيضاً أن يشاركه العمل بعضُ ابناء هذه القبائل .

وكان لذلك فعل السحر فى تأليفها إيلافاً (٧) جميلاً فأدوا للقوافل خير الأداء ، وانتعشوا وأصابهم جزيل الثراء .

●● ●● ●●

قدم هاشم من تلك السفرة الميمونة إلى مكة ، ودخل على قومه .. « بأعظم شىء أُتُوا به بركة » ، ثم وَجَّهَ إخوته لإيلاف القبائل بمختلف أرجاء الجزيرة :

فوجه .. « عبد شمس » إلى الحبشة برسالة الامبراطور فنال عهد إيلافها من ملكها بـ « حَبَلٍ » متين ، و« عصمة » مُوَثَّقَة (٨) .

ووجه « نوفلا » إلى فارس فنجح إيلافه ، ونال حق الاختلاف بقوافله إلى العراق وأرض فارس .

ووجه « المطلب » إلى التبابعة باليمن فنال من « الحميريين » إيلافاً بالاختلاف إلى اليمن .

قال الإمام الطبرى ـ فى الإخوة الأربعة :

فَجَبَرَ اللهُ بهم قريشاً فسموا « المُجَبِّرين »(٩) .

●● ●● ●●

وبدأت قوافل قريش تمارس العمل ، وقام كل أخ من الإخوة الأربعة وبخاصة فى القافلة الأولى برياستها فى طريق إيلافه ، إذ كل منهم هو الشخصية المعروفة لدى القبائل التى نال عهدها .

قال ـ فى النوادر ـ بصدد هاشم :

« فخرجوا بتجارة عظيمة ، وخرج هاشم يُجَوِّزُهُمْ يُوَفِّيهِمْ إيلافهم الذى أخذ لهم من العرب حتى

(٦) طبقات ابن سعد ٧٨/١ .

(٧) الإيلاف : من الألفة والتألف .

(٨) « الحبل » و« العصمة » و« العهد » ألفاظ بمعنى واحد ترددت فى مختلف المراجع بصدد الإيلاف فى أخذ عهده من القبائل .

(٩) هذا اللفظ (المجبرين) محرر لدى كل من الطبرى وابن الاثير ـ رضى الله عنهما ، ووقع فيه أكثر من تصحيف لدى آخرين .

اوردهم الشام ، وَأَحَلَّهُمْ قُرَاها » .

وفى « المُحَبَّرُ » عن بقية الإخوة واتجاهاتهم :

« وكان « مَتْجَرُ » عبد شمس إلى الحبشة ....

وكان متجر المطلب إلى اليمن ....

وكان متجر نوفل إلى العراق ....

...... وكل من هؤلاء كان رئيسَ مَنْ يخرج معه ممن يتجر فى وجهه .....

فهؤلاء سادة قريش وناعشوهم » أ هـ

وتوالت الرحلات فأصبحت مكة قلب اقتصاد الجزيرة .

ذاك « إيلاف قريش » عن مراجعنا الإسلامية العربية .

●● ●● ●●

وتلك مادة الغرب عن أثره على مكة

ينقلها لنا الأستاذ محمد مبروك نافع بصدد حديثه عن « مفخرة هاشم » قال :

« وقد ازدهرت الحياة فى مكة فى عهده ازدهاراً كبيراً ، وأصبحت تعج بالتجار من الشمال والجنوب ، حتى لقد سماها بعض المستشرقين بندقية بلاد العرب (فينيسيا) .

وذكر المستشرق (أوليرى) فى كتابه : (بلاد العرب قبل الإسلام) ما خلاصته :

[أصبحت مكة مركزاً للصيرفة يمكن أن يدفع فيه التجار أثمان السلع التى ترسل إلى بلاد بعيدة ، كما كانت عملية الشحن والتفريغ لهذه التجارة الدولية تتم هناك .

كذلك كان يتم التأمين على المتاجر ، وهى تجتاز الطريق المحفوفة بالمخاطر [10]]

واستطاعت مكة أن تحتكر النقل فى الطريق الذى يصل مابين مكة والشمال وتتقاضى على ذلك أجوراً لا تقل عن أثمان المتاجر التى تحملها [11] .

وكان للدول المجاورة : بيزنطة وفارس ممثلين فى قلب مكة نفسها (ذكر ذلك الواقدى وأيده الأستاذ لامنس) ، وملأت الأعمال التجارية فراغ كل المكيين حتى لم يكن من أهل مكة من كان يرى أن ينفق وقتاً فى القيام بأعمال الشرطة والجيش ، ومن أجل ذلك كانوا يستأجرون جنداً مرتزقة ـ من أفريقيا هم الأحباش ـ للقيام بحراستهم .

« ولكثرة ما كانت تعج به مكة من أفراد من أمم مختلفة اصطبغت بصبغة دولية ، ودوليتها هذه تفسر لنا ـ إلى حد كبير ـ ما دخل لغة قريش من ألفاظ رومية أو فارسية أو حبشية أو غيرها » [12] .

ذاك إيلاف قريش كما عرفه الشرق والغرب وسجله الكتاب العزيز

د. علي أحمد الخطيب

(١٠) تفسر نصوص هؤلاء الغربيين فى ضوء ما نعرفه نحن عن الشمائل العربية وعهود العرب ، فالمخاطر هنا ليست مخاطر تقوم بها القبائل فذلك ما لا يكون كما قد عرفنا من بسطنا للإيلاف ، وإنما هى مخاطر تلف السلعة نفسها بفسادها فى الطريق .

(١١) ما تتقاضاه مكة هنا ليس من القبائل ، وإنما من الدول التى تطلب إلى مكة متاجر بعينها ؛ فقد كانت شروط هاشم مع القبائل واضحة ، فإنه لاكراء على أهل الطريق .

(١٢) محمد مبروك نافع ـ تاريخ العرب : عصر ما قبل الإسلام ص ١٧٢ نشر مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ـ ١٩٥٢ .

نص كلمة السيد رئيس الجمهورية بالمسجد الأحمدى بطنطا

ليلة السابع والعشرين من رمضان

قال السيد الرئيس محمد حسني مبارك :

الإمام الأكبر شيخ الازهر .

العلماء الأجلاء .

الأخوة الكرام ابناء مصر وسائر بلاد العروبة والإسلام .

يسعدني كل السعادة ان اشهد هذا الحفل الكريم الذي يقام في ذكرى لها في قلوبنا كل الإجلال والتعظيم وهي ذكرى بدء نزول القرآن على نبينا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التسليم ... إنها ليلة القدر التي هي خير من الف شهر لأنها الليلة التي تمثل فجر الرسالة المحمدية ومطلع المعجزة القرآنية وميلاد الدين الخالد الذي جاء منجاة للبشرية .

فتهنئة من القلب لكم ـ ولكل ابناء الوطن والعروبة والإسلام ـ بهذه المناسبة المجيدة ودعاء إلى الله سبحانه ان يرعى امتنا ويحفظ عليها سلامها وامنها وان يصون وحدتها وعزتها وان يحقق لها دوام الاستقرار والانتصار والازدهار .

وبعد ... فالاحتفال بليلة القدر يلفتنا ـ بكل التقديس والإجلال إلى الآيات المضيئات التي أشرقت بها تلك الليلة المباركة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً وهي تلك الآيات التي كانت أول ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ـ صلوات الله عليه ـ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين ... وهذه الآيات الأولى هي قوله سبحانه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾ والتفاتنا إلى هذه الآيات المطهرات أمامنا حقيقة خالدة يجب أن نتخذها دائماً هاديا ودليلاً حتى تكون مسيرتنا أبداً على هدى من دستور ربنا وعلى بصيرة من نور نبينا ، وتلك الحقيقة التي تشرق بها تلك الآيات أمامنا هي أن الرسالة المحمدية دعوة ربانية شاملة تقوم على دعامتين أساسيتين هما :

الإيمان والعلم . فالآيات الأولى من وحي الله إلى نبيه الكريم تدعوه « باسم ربه الذي خلق » وفي هذا وضع للدعامة الأولى وهي دعامة الإيمان ... والآيات تدعو الرسول الكريم إلى القراءة وتلفت النظر إلى تعليم الله للإنسان وتذكر القلم رمزاً لأدوات التعليم ... وفي هذا وضع للدعامة الثانية وهي دعامة العلم .

←

كلمة الرئيس بالمسجد الأحمدى

دعوة للإيمان والعلم :

ومع هذه البداية وما حفل به القرآن الكريم بعدها من آيات وسور يتضح أن دعوة الإسلام تقوم على الإيمان والعلم وهذا حق لامراء فيه فالإيمان الصحيح يدعو إلى العلم ويحث عليه والعلم الصحيح يدفع إلى الإيمان ويعمق الإحساس به .

وقد سار الرسول الكريم على هدى هذا التوجيه الإلهي الخالد فحرص على أن يكوّن مجتمعاً تعمر قلوب أصحابه بالإيمان وتتألق عقولهم بالعلم ، وكان يدعو إلى تنوير العقول بالمعارف القويمة في نفس الوقت الذي يدعو فيه إلى تطهير القلوب بقيم الإيمان السليمة ، ومضى المسلمون في العهود الأولى على دستور ربهم وسنة نبيهم يقيمون دولتهم على دعامتي الإيمان والعلم وبهذا استطاعوا أن يقيموا دولة كبرى وأن يصنعوا حضارة عظمى شهد لها كل المنصفين حتى من غير المسلمين ... وقد كان التفوق هو النتيجة الطبيعية لهذا الوعي الرشيد بالتوجيه الإلهي السديد فالإيمان ـ في حقيقته ـ قوة إيجابية دافعة وليس عاطفة سلبية متقوقعة ، وذلك أن الإنسان حين يؤمن أن لا إله إلا الله يتحرر من كل عوامل الضعف والخوف ويستشعر قوة الله مدداً ويحس رعاية خالقه سنداً فيقدم ولا يحجم ويمضي مقتحماً كل الصعاب وقد وضع روحه على كفه ، لا ينافق ولا يكذب ولا يداهن ولا يستكين ، لأنه يؤمن أن مصيره بيد الله وحده وأن أحدا لا يملك له ضراً ولا نفعاً ولأن ضميره عامر بقول الرسول العظيم : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ».

الإسـلام والسلوك المتحضر :

والإيمان ـ في حقيقته ـ موجه إلى التعامل الراقي والسلوك المتحضر والتمسك برفيع القيم لأن المؤمن الحق هو من أمن الناس شره ، والمسلم الحق من سلم الناس من لسانه ويده ، ولأن صادق الإيمان هو من يحب لأخيه ما يحب لنفسه كما أن أكرم الناس عند الله أتقاهم وأحسن الناس أحسنهم أخلاقاً وخير الناس أنفعهم للناس .. هذا ما يستفاد من آيات الله وأحاديث رسوله وغير هذا كثير مما يؤكد على أهمية الجانب السلوكي للإيمان .

والإيمان الصحيح ـ يـدعو إلى العمـل ولا يكتفي من المؤمن بالعبادة لأن الله قد خلق الأرض ليعمرها عباده وطلب منهم أن يمشوا في مناكبها ليأكلوا من رزقه كما طلب منهم إذا قضيت الصلاة أن ينتشروا في الأرض وأن يبتغوا من فضل الله ... وأكد النبي الكريم دعوة ربه إلى العمل فقال : « خيركم من أكل من عمل يده » وفضل الإنسان العامل الذي يكدح ليربح رزقه ورزق أخيه ، على هذا الأخ الذي آثر الانقطاع للعبادة فقال صلى الله عليه وسلم عن هذا الأخ « أخوه خير منه ».

والإيمان ـ الصحيح ـ سمـاحة ومحبـة وأخوة ، وليس عداوة ولا تفرقاً ولا كراهية .. وما أصدق قول الله سبحانه : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ وما أعظم قوله جل شأنه : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وما أدق قوله أيضاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ وما أروع الرسول الكريم ﷺ حين حدد لأصحابه من هم أحب الناس إلى قلبه ومن هم أقربهم منه مجالساً يوم القيامة فقال : « أحاسنكم أخلاقاً ،

الذين يألفون ويؤلفون »، وما أرفع إنسانيته صلوات الله عليه حين قال : « تبسمك في وجه أخيك صدقة ، أو شعبة من شعب الإيمان ».

وإذن فالإيمان - إلى جانب تحقيقه للعقيدة الصحيحة - يحرر الإنسان فكراً وضميراً ويصوبه سلوكاً وخلقاً ويدفعه إنتاجاً وعملاً ، ويربطه بأبناء أمته إحساساً وشعوراً ويجعله يفيض حباً وودأً وسماحة .

أما العلم - وهو الدعامة الثانية من دعامتي الدعوة الإسلامية - فأعتقد أنه العلم الشامل الذى يضم علوم الدنيا مع علوم الدين فبعلوم الدين يستقيم أمر الإنسان فى علاقته بخالقه وبالناس وفى كل ما يتصل بأمور دينه من عبادات ومعاملات يجب أن تكون فى إطارها الإسلامى الصحيح وبعلوم الدنيا يستقيم أمر الإنسان فى علاقته بالحياة من حوله وبكل ما يرتبط بهذه الحياة من طبيعة ومكان وزمان بحيث يسخر كل شىء من أجل حماية الإنسان وسعادته وتحقيق العمران وتقدم حضارته .

والعلم المطلوب فى كل الأحوال هو العلم النافع البناء الذى يسعى إلى سعادة الإنسان ويعمل على تقدم الحياة وهو العلم الذى يراقب أصحابه الله ويحكمون الضمير فلا يسخرون علمهم لأذى أو يوجهونه إلى ما يمس استمرار عمار الأرض وحق أبنائها فى أن يعيشوا سالمين آمنين .. وهذا العلم هو الذى قامت عليه كل حضارة راقية وخير نموذج هنا هو حضارة الإسلام الباقية .

إسلامنا وصحوتنا الكبرى

أيها الأخوة :

إننا ونحن نطالب بالصحوة الكبرى لبلادنا ولعالمنا العربى والإسلامى لا نرى طريقا أكثر استقامة من الطريق الذى رسمه ديننا الحنيف والذى وضحه القرآن الكريم ونبه إليه ربنا فى الآيات الأولى التى أضاءت بها الدنيا منذ أكثر من أربعة عشر قرنا هذا الطريق هو طريق الإيمان والعلم ، الإيمان الصحيح والعلم الصحيح .. ففى يقينى أن كل ما نشكو منه على المستوى الوطنى أو العربى أو الإسلامى إنما سببه الخلل فى تعاملنا مع إحدى هاتين الدعامتين أو مع كلتيهما أى أن السبب فيما نعانيه يكمن إما فى عدم الأخذ الدقيق بما يقتضيه الإيمان أو فى التخلف فى مجال العلم أو فى الأمرين جميعا .

فإذا أردنا أن نسير فى صحوتنا الكبرى على الطريق الصحيح فلنأخذ أنفسنا بما يقتضيه الإيمان الصحيح والعلم الصحيح ولنجعل من هذين الأمرين ركيزتين أساسيتين لنهضتنا المأمولة فإنه لن يصلح أمر أمتنا اليوم إلا بما صلح به أمرها بالأمس ولن تقوم نهضتها من بعد إلا على ما قامت عليه نهضتها من قبل يوم كانت لنا دولة تمتد من حدود الهند شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا ومن الأندلس وحدود فرنسا شمالا إلى أواسط أفريقيا جنوبا ويوم كان آباؤنا يحملون إلى كل العالم مشاعل النور ويمثلون كتائب التحرير والتحضر والتنوير ويوم كان العالم يتلقى عنهم مبادىء الدين القويم والفكر الراقى والفن الرفيع ويوم كانت أمتنا تتصدر الأمم وتعيش عصر النور الباهر والتحضر الشامل والتقدم الرائد على حين كان غيرها يتخبط فى ظلمات العصور الوسطى ويحيا فى كهوف التخلف والضياع والتردى .

تصحيح المسيرة

لقد كان لنا كل ذلك فى عهود ازدهار حضارة الإسلام لأننا كنا نفهم جيدا أن النهضة إنما

← كلمة الرئيس بالمسجد الأحمدى

تقوم على الإيمان الصحيح والعلم الصحيح .. ولذا لابد لنا من أن نعى هذه الحقيقة أو أن نأخذ أنفسنا بما تتطلبه من عمل جاد لتصحيح مسيرتنا وترشيد خطانا .. إن علينا أن نعمل بكل الجهد على أن يفهم شعبنا حقيقة ما يتطلبه الإيمان وأن يتعمق فى القلوب هذا الفهم حتى تنبعث من الإيمان طاقات خلاقة وقوى مبدعة تحقق الإنتاج الوفير وتصل بنا إلى حد الكفاية التى نستغنى بها عن الاحتياج إلى الآخرين فالإيمان يدعونا إلى العمل الجاد المجود وقبل ذلك يدعونا إلى عزة النفس والترفع عن سؤال الغير . ويدعونا إلى تحمل كل الصعوبات والصبر على كل الملمات فى سبيل الاعتماد على النفس ومن أجل صون الكرامة وحماية حرية الإرادة وهذا كله يدفع إلى مضاعفة الجهد ـ من منطلق الإيمان ـ لكى نحقق لأنفسنا الكفاية فى إباء بل لنصل إلى مجتمع الوفرة والرخاء .

والإيمان الصحيح يدعونا ابتداء إلى تقوى الله وإلى مراقبته فى كل ما نأخذ وما ندع وهذه التقوى ـ أو المراقبة ـ هى أساس الفضائل .. ولو أخذنا بها ـ من منطلق الإيمان ـ لما كان بيننا انحراف عن حق أو اقتراف لمنكر ولتحقق مجتمع الطهارة والاستقامة واستقر الأمن والسلام والإيمان الصحيح يدعونا إلى الاقتصاد وعدم الإسراف كما يدعونا إلى الأمانة ويحثنا على رعاية حقوق الآخرين ويبغض إلينا الاحتكار والاستغلال والمغالاة فى الربح ويفرض علينا الحفاظ على المال العام وكل ما من شأنه أن يمس مصالح الجماعة .. ولو أخذنا أنفسنا بهذا ـ مع وفرة الإنتاج وتجويده ـ لحلت مشكلاتنا الاقتصادية أو خفت وطأتها فى أقل تقدير .

دعوة للمحبة والتراحم

والإيمان الصحيح يدعونا إلى المحبة والتكافل بل ، يحضنا على التراحم والتآخى ويحث كلا منا على تخفيف أعباء الحياة عن الآخرين باعتبار أننا جميعا أخوة ولو أخذنا أنفسنا بهذا لاختفت من حياتنا المشكلات الطبقية أو أصبحت فى أضيق نطاق .

الإيمان الصحيح يدعونا إلى رعاية أنفسنا ويحثنا على صيانة هذا الكيان . الإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ويأمرنا بحفظه جسداً وعقلا ونفسا من كل ما يؤذيه أو يلحق الضرر به ولقد بلغ الأمر إلى حد اعتبار إساءة الإنسان إلى نفسه جرما وإدخال المنتحر فى دائرة القاتلين للنفس التى حرم الله .

ومن هنا كان تحريم المسكرات والمخدرات وكل ما يذهب العقل أو يقلل من قدرته أو حتى يصيبه بالفتور .. ولو أخذنا بهذا ـ من منطلق الإيمان الصحيح ـ لما عانينا من مشكلات التعاطى التى تهدد المجتمع فى صحة أبنائه ومستقبل شبابه والتى تدفع إلى أبشع الجرائم وتنذر بأوخم العواقب .

العلم أساسنا للحياة الكريمة :

والعلم ـ وهو الدعامة الثانية من دعامتى الدعوة المحمدية ـ لو أخذنا به على الوجه الصحيح ، لكثفنا استثمارنا للأرض ، وضاعفنا إنتاجنا فى الصناعة ولزدنا من فرص العمل للشباب ، ووفرنا المزيد من الدخل والكفاية للوطن والمواطنين ، ولحققنا ـ آخر الأمر ـ حياة أكرم لشعبنا ومستوى أرقى لأمتنا ولخرجنا من تلك الدائرة المنزوية على خريطة العالم الثالث ، ولتصدرنا ـ بجدارة ـ مع الدول الراقية ، واسترجعنا مكانتنا الكريمة التى كانت لأمتنا ذات يوم .

إنه لما يحز فى النفس أن تظل أمتنا الإسلامية ـ ومعها عالمنا العربى ـ إلى اليوم تلهث وراء العالم الأول ، وتعيش ـ فى كثير من المجالات الحيوية ـ على نتاج عقول أبنائه ـ ومكتشفات علمائه ، وقد آن الأوان لكى نصحح هذا الوضع الذى لا يليق بأمة قامت دعوة دينها أساسا على العلم إلى جانب الإيمان ، وكان علماؤها ومفكروها أساتذة للعالم ابتكارا وأقر لهم العالم بما صانوا من علوم سابقيهم ، وبما أبدعوا من ابتكاراتهم وبما مهدوا به لقيام النهضة الأوروبية على أصول من تراثهم .

ويحز فى النفس أكثر أننا فى مصر كنا قد بدأنا صحوتنا العلمية منذ أوائل القرن الماضى ، وسبقنا بذلك بعض البلاد التى أصبحت اليوم تحتل الصدارة مع المتصدرين فى مجال العلوم .. ولكننا ما لبثنا أن تثاقلت خطانا ، وعوقت ـ لكثير من الأسباب ـ مسيرتنا وقد آن الأوان لنجدد المسيرة ونسرع الخطى ، حتى نعوض مافات فلا سبيل إلى النهوض الصحيح إلا على أساس من العلم الصحيح والإيمان الصحيح .

وليس المهم أن نحشد الملايين من التلاميذ والطلاب فى المدارس والمعاهد والجامعات ، ثم نخرج آلاف كل عام دون أن يرتبطوا ـ فيما حصلوا ـ باحتياجات مجتمعهم ومتطلبات معيشتهم ودون تنمية لملكاتهم أو تسليح لكفاءتهم أو توجيه لقدراتهم إلى الطريق الصحيح ، الذى ينفعهم وينفع بلدهم .

إن العلم الذي يجب أن نعنى به ـ فى المقام الأول ـ هو العلم الذى يمنح المتعلمين القدرة على تحقيق الحياة الكريمة ، والذى يمنح الوطن مزيدا من التقدم والاكتفاء ويحقق له الازدهار والرخاء .. وليس العلم الذى يزيد عدد العاطلين السافرين ، أو المقنعين ، من المنتظرين للوظائف ، أو الموظفين الذين تضيق بهم المكاتب ، دون عمل مثمر يكافىء ما بذلوا فى التعليم من جهد ، وما بذلت الدولة لأجلهم من مال .

والعلم المطلوب هو العلم المرتبط بروح العصر ، والأخذ بمستحدثاته بل المشارك فى مسيرته والمستفيد من أرقى منجزاته .

العلم المطلوب هو العلم المحوط بالخلق المصون بالضمير الموظف لخدمة الإنسان وتقدم الحياة ، والمشارك ابتداء فى حل مشكلات الوطن ، وتحقيق انتصاراته فى كل معاركه وملاحمه وتحدياته .

نصـــر رمضـــان

وإن لنا لشاهد صدق مازال منا قريب ، بل إنه محفور فى ذاكرتنا ليؤكد لنا دائما على ما يمكن أن يصنعه العلم مع الإيمان ، فى تحقيق ما يشبه المعجزات التى لا تنسى على مر الأزمان .. هذا الشاهد هو ما تحقق فى حرب رمضان منذ ستة عشر عاما ، حيث توفر الإيمان بالله والوطن من جانب ، والأخذ بالعلم وأرقى تكنولوجيا العصر من جانب آخر ، فكانت النتيجة هذا النصر العظيم الذى نفض عن جبين أمتنا غبار الهزيمة ، ورد إلى قلبها روح العزة وشموخ الكرامة ، والذى أذاقنا نشوة النصر ، بعد سنوات من معاناة مرارة القهر ، والذى رفع ـ من جديد ـ أعلامنا عالية خفاقة على كل أرضنا ، تؤكد سيادتنا على ترابنا ، وبسالتنا فى الذود عن حمانا وعرضنا .. ولقد اجتزنا لتحقيق هذا النصر العظيم عوائق رهيبة ، كان كثيرون يعتقدون أنها لا يمكن أن تتخطى وأن التغلب عليها ضرب من المحال ، بل إن الاقتراب منها هو الانتحار والوبال .. ولكننا رغم كل شىء ـ وبفضل العلم

←

كلمة الرئيس بالمسجد الأحمدى

والإيمان ـ عبرنا أكبر مانع مائى فى تاريخ الحروب ، وهو قناة السويس .

كما أزلنا فى حرب رمضان المبارك أكبر ساتر ركامى عرفته الحروب وهو الذى قيل عنه ـ قبل ذلك ـ إنه لن تجدى فى إزالته أعتى القنابل ولكنه قد انهار ـ مع ذلك ـ أمام استخدام قواتنا المسلحة للعلم الذى يسانده الإيمان ، فشقت فيه الطرق للمدرعات والدبابات بوسائل مصرية فعلت ما عجزت عنه القنابل والكاسحات . كما تسلق جنودنا هذاالساتر فى الأماكن التى لم تدع الحاجة إلى شقها تسلقوا ومعهم معداتهم ليرفعوا علم مصر خفاقا على الأرض المستردة والحصون المتهاوية .

وكان الأداء القتالى على أروع صورة ، بعد التخطيط الدقيق والتدريب الشاق ، والتسليح الواعى والتمويه الذكى والتكامل الرائع .. وكل هذا من منطلق علمى يقوم على أحدث ما وصل إليه العلم من نظريات ، وما بلغته التكنولوجيا من منجزات ، وقبل ذلك كان الإيمان الراسخ ، الذى تعمق فى قلوب كل المقاتلين ، وجعلهم يقدمون على المعارك فى لهفة وشوق .. طالبين إحدى الحسنيين مثوبة الشهادة أو عزة النصر .

وهكذا كانت معركة رمضان ـ وما تحقق فيها من نصر عظيم ـ دليلا ساطعا ومثلا خالدا على أن أى عمل عظيم يقوم ابتداء على ما دعا إليه ربنا فى دينه القويم ، من الإيمان الصحيح والعلم الصحيح .

وهكذا نستلهم من ذكرى ليلة القدر ـ ليلة بدء الوحى بنزول القرآن وفجر الرسالة المحمدية ـ نستلهم منها الدرس الأول من دروس كتاب الله ، وهو الدعوة إلى الإيمان والعلم ونرى أنهما الركيزتان الأساسيتان لدولة الإسلام وحضاراته فى الماضى ، ونرجو أن يكونا الركيزتين الأساسيتين لدولة الإسلام وحضاراته فى الحاضر والمستقبل .. فبالإيمان والعلم كانت نهضتنا وبالإيمان والعلم سوف تكون نهضتنا من جديد فعلى بركة الله نضع هذا المنهج دليلا ، ونمضى فى طريقه سبيلا ، والله الموفق ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله .

اللقاء الصحفى

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

ومراسلة راديو الفاتيكان

استقبل فضيلة الإمام الاكبر - شيخ الأزهر - بمكتب فضيلته ظهر الخميس ١٩٨٩/٥/٢٥ مراسلة إذاعة الفاتيكان بالقاهرة « بياتريز أجير » والمصور الصحفى « أنطوان جيرارد » وذلك بناء على كتاب المركز الصحفى الموجه إلى مدير عام الإعلام لمكتب فضيلة شيخ الأزهر والذى يفيد رغبة المراسلة الإذاعية فى هذا اللقاء لإجراء حديث حول موسم الحج ، وكيفية اختيار الحجاج .

بدأ اللقاء بسؤال عن الحج والعمرة فى الإسلام .

وهل تغير معنى الحج بين القديم والحديث ، وأن المراسلة قد قرأت فى الصحف المصرية أن البعض يذهب للشراء أو للتجارة أكثر منه اهتماما بتأدية الفريضة فهل هذا صحيح ؟

فأجاب فضيلة الإمام :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحج فريضة من فرائض الإسلام بالقرآن والسنة ...

والعبادات لاتتغير فهى كما فرضها الله ، وكما بينها الرسول ﷺ بفعله فقال فى شأن الحج : « خذوا عنى مناسككم » فمناسك الحج وشعائره ثابتة لاتتغير ، ولايجوز أن تتغير ، كما أن الأماكن التى تؤدى فيها هى هى كما حددت فى فعل رسول الله ، وكما حدد بعضها فى القرآن الكريم .

أما الذى قد يطرأ عليه التغيير فهو التعمير الذى قد يحدث فى هذه الأماكن ..

فـ «مِنًى » و «المزدلفة» وأماكن رمى الجمار ليس حالها الآن كما كانت وقت نزول التشريع ، فقد صارت الآن مدنا وكانت من قبل صحراء ، وجبل عرفات الذى يتجمع عليه الحجاج فى التاسع من ذى الحجة هو هو جبل عرفات ، وإن كان قد دخل عليه التحديث بتزويده بالمرافق من مياه و مجار ووسائل اتصالات ومواصلات ، **والذى يجب أن يعلم إجمالا أن العبادات فى الإسلام التى بينها الرسول ﷺ فى قوله الشريف : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ».**

هذه العبادات لاتغيير فيها من حيث المواقيت والمناسك والشعائر وكافة الشروط التى جرت منذ أن نزل التشريع لكن كما قلت : قد يدخل على أماكنها إعمار جديد أو تنظيم حديث .

أما الذين يسافرون لأداء فريضة الحج أو

←

العمرة ويتاجرون او يشترون بضائع فهذا ليس ممنوعا فى الإسلام مادام قد سافر بنية اداء فريضة الحج او بنية اداء العمرة وقد رخص الله لهم ان يزاولوا مايشاءون من عمل مشروع اثناء اداء هذه الفريضة او تلك السنة كما جاء فى قوله تعالى : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (الحج ٢٨) وقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة ١٢٨) .

كل هذا بشرط انعقاد النية أولاً على أداء العبادات ؛ ذلك لأن العبادة مشروطة بالنية وفقا لقول النبى ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » .

وفى سؤال حول مشروعية جعل الحج أو العمرة جائزةً تُمْنَح للمسلم ؟

قال فضيلة الإمام :

هناك جهات تعلن عن مسابقات دينية كحفظ القرآن ، أو كتابة مقال أو مؤلف فى موضوع ثقافى إسلامى وتَعِدُ المُجيد بمنحه جائزة عليها ، من هذه الجوائز : الحج أو العمرة ، وأظهر مثل لهذا ما تجريه وزارة الأوقاف بمصر من مسابقات لحفظ القرآن الكريم ، ومنح جوائز على هذا ، منها الحج والعمرة ، كما حدث فى احتفال ليلة القدر فى طنطا هذا العام ..

وهذا امر جائز ، والحج بهذا الطريق جائز ، لان الوزارة فى هذه الحالة قد ملكت نفقات الحج لهذا الفائز جائزة له على ما بحث او حفظ ومن ثم صار هذا المال ملكا له وجاز الحج او العمرة به .

والاصل فى مثل هذه الجوائز انها مشروعة باعتبارها وعدا بمثوبة عن عمل مشروع وكما قيل : (وعد الحر دين عليه) يلتزم بادائه ، ثم ان الله سبحانه وتعالى ـ وعد الطائعين بالثواب ومضاعفة الحسنة بعشر امثالها ، وهذه جائزة من الجوائز .

وفى سؤال عن تحديد عدد الحجيج من كل دولة ، وعن المسئول عن تحديد هذا العدد ومدى مشروعيته ؟ قال فضيلة الإمام : قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ فمن شروط وجوب الحج الاستطاعة : من نفقات وقدرات ذاتية لأداء المناسك .

أما عن تحديد عدد الحجيج من كل دولة أو شعب فهذا أمر تحكمه ظروف الدولة التى تقع فيها أماكن الحج ، وهى السعودية . ومن حقها ـ بحكم ولايتها على هذه الأماكن ـ أن تقدر الأعداد التى تستوعبها هذه الأماكن ، وقد أخذت السعودية قراراً من منظمة المؤتمر الإسلامى فى هذا الشأن وهو قرار سيادى وسياسى جائز فى الإسلام .

وفى سؤال عن نظام تقسيم الحجاج إلى مجموعات ، وجعل أحد الشيوخ أو العلماء مسئولا عنهم قال فضيلته :

هو نظام وضعته مصر ، فهناك حجاج يخرجون عن طريق (القرعة) ويخرج معهم علماء من الأزهر . كل جماعة يرافقها عالم لتوعية الحجيج بتأدية مناسك الحج بطريقة صحيحة كذلك توجد أيضا بعثات من وزارة الأوقاف لنفس الغرض .

سؤال : هل الحجاج فى حاجة إلى التطعيم ؟

قال فضيلة الإمام : نظراً لأن موسم الحج يوجد به حجاج من أماكن مختلفة وقد تكون هناك فرص لنشر أمراض معدية ، فمن باب الاحتياط يتم تطعيم الحجيج ، وهذا أمر وقائى يؤيده الإسلام .

وحول سؤال عن حج العلماء وكيف يتم قال فضيلته :

من شاء أن يذهب من علماء الأزهر ولديه

الاستطاعة فلا حجر عليه ، ويمكن أن يتقدم مع وفود (السياحة) أو (الداخلية) أو (الأزهر) أو (الأوقاف) ثم تجرى بينهم القرعة لاختيار العدد المناسب .

وعن مشاهد الموالد وما يفعله روادها والتمسح والتبرك قال فضيلة الإمام : كل هذه المظاهر ليست من الإسلام كرفع الصوت والتمايل والرقص والتمسح بالأضرحة .

والصوفية المشروعة فى الإسلام هى الإخلاص فى العبادة ، وهذه الصور المشاهدة إنما هى عادات غير شرعية وهى أخطاء يرشد العلماء إلى الكف عنها .

وعن تطبيق أحكام الشريعة فى مصر والبلاد الإسلامية قال فضيلته :

كل المسلمين يتبعون الإسلام ، والكعبة الموجودة فى مكة هى قبلتهم للصلاة ، يتوجه إليها جميع المسلمين فى ربوع العالم ، وكل البلاد الإسلامية تطبق بها الشريعة الإسلامية ، ولكن تختلف من حيث الكم ، والكل يتفق على أن هناك أحكاما إسلامية قائمة ، وجميع الشعوب الإسلامية راغبة فى أن تكون قوانينها حسب الشريعة الإسلامية ، بيد أن هذا أمر يحتاج إلى وقت .

وحول استفسار عن اعتقالات جرت فى رمضان الماضى فى مصر كاعتقال الدكتور/ عمر عبد الرحمن أوضح فضيلة الإمام :

اعتقال الشيخ عبد الرحمن أو غيره بدعوى أنهم يتكلمون بما يخالف النظام هو أمر أمنى أكثر منه دينى .. وإذا تصدت لهم الحكومة فهى تقوم بعمل أمنى وليس عملا دينيا ، والإسلام لايقر العنف ، وإنما يحتكم إلى العقل والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ .

فإذا كان هناك من يحاول فرض الرأى بالقوة فللحكومة أن تتصدى له ، والذى أمر بحبس الشيخ عمر عبد الرحمن هو فيما أظن النيابة والقضاء ..

سجل اللقاء

احمد عبد الخالق محمد

التفسير

أمراض القلوب

قال الله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ .

بعد أن ذكر الله عن المنافقين صفتين من صفاتهما هما : الكذب فى ادعائهم الإيمان ، وفقدان الشعور بخداعهم وحيلهم التى يعود وبالها عليهم ، علل لوجود ذلك فيهم بأنهم مرضى القلوب ، وهم الذين جلبوا على انفسهم تلك الأمراض بسوء اختيارهم .

والقلب فى الإسلام : هو مستقر الحياة والعقل معا ، والتعبير به عن العقل يعنى أمراً هاما هو أن الإدراك مناط الحياة ، فإذا فقد الإنسان ذلك الإدراك فكأنه فقد الحياة ، وكان أشبه بالعجماوات والجمادات .

والعقل الذى يخاطبه الإسلام ، هو الذى يدرك الحقائق ، ويعصم الضمير ويميز المتشابهات ، ويوازن بين الأفراد ، وليس هو العقل الذى يُعد فاقده مجنوناً ، فإن الجنون يسقط التكليف ، ولا كذلك العناد والضلال .

وقد وضع الإسلام لعلاج تلك الأمراض القلبية ، العبادات التى هى تعد بحق أدوية للقلوب ، مختلفة المقادير ، شريطة أن تكون ـ تلك القلوب ـ قابلة للانتفاع والاقتناع بما يقام لها من حجج .

وإذا كنا ننصح الشباب المتدين بتعلم الدين ، فإننا نتوجه بالإرشاد لمن يجحدون الدين ، أن يناقشونا بالحجة ، وليس هناك معنى لأن تقيم على المجادل الحجج من ثلاث قضايا يطلب هو بعدها الانتقال إلى رابعة ، وسألته : هل اقتنعت ؟ قال : لا ، مع أنه هو الداعى للانتقال ولست أنا ، وكان ذلك أمام جمهور من الناس يشهدون بذلك ، وذكرت قول الله : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً ﴾ .

وأمراض القلوب متنوعة ، كما أن أمراض الأبدان عديدة ، ويمكن للباحثين أن يصلوا إلى

لفضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعى

علاجها ، أو ما يخفف من وطأتها ، أما أمراض القلوب فتلك أمراض فتاكة ، يستعصى علاجها إلا على من وفقه الله ، وكان عنده استعداد لأن يتخلص من أمراضه .

وقوله تعالى : ﴿ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً ﴾ يحتمل أن تكون الجملة دعائية ، وهذا كما يقول الإنسان لآخر : «اخزاه الله» .

ويحتمل أن تكون جملة خبرية مرتبة على ما قبلها ، فلما توطنت الأمراض فى قلوبهم زيدت عليهم ، وأسندت الزيادة إلى الله ، لأن شيئا لا يقع فى الكون إلا منه ، فهو الخالق ، والعبد هو المكتسب ، والحق أن الإنسان ـ كما قلت غير مرة ـ مُخَيرٌ قبل مباشرة الأسباب ، مسير بعد الدخول فيها ، فإنها تجبره على مسبباتها ، كالنار تجبر من يلامسها أن يحترق ، ونسبت الزيادة إلى الله لأنه واضع الأسباب ، ومرتب المسببات على أسبابها ، وخالق كل شىء ، ثم توعد المنافق بالعذاب المؤلم ، وعلل سبب العذاب بكذبهم وما افتروا به على الله .

والقاعدة : أن «ما» إذا وقعت بعد حرف الجر احتملت أن تكون مصدرية فتعنى الحديث نفسه ، وهو هنا : الكذب ، واحتملت أن تكون موصولة ، وتعنى : المكذوب . وعبر بالفعل الماضى : «كانوا» وبالفعل المضارع : «يكذبون» ليبين أن الكذب ملازم لعقلية المنافق ، وباعث لنفسيته ، ومنطبع فى خلائقه الفكرية والعاطفية .

ثم قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ الآية ، إعلم أيها القارىء ، أن الجمل الشرطية ، يقصد جزاؤها ، فإذا قلت : إن جئتنى أكرمتك ، كان المقصود هو الإكرام ، وفى هذه الآية ، المقصود : إظهار أن المنافقين ليسوا على الجادة ، فدعواهم تملأ الآفاق ، وتصدع الأدمغة بقولهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ ردا على الذين ينهونهم عن الإفساد فى الأرض .

وادعاء الناس ـ على أى عمل ـ أنه فساد ، أو إصلاح ، أمر ميسور لجميع الناس ، والحَكَم : هو الواقع الذى يحس به الناس ، ويترجمون عنه بأساليبهم ، وكل كلام نطق به اللسان عليه كسوة القلب الذى خرج منه . إن الرفض ممكن دائما ، والاستهتار بكل ما يقال ميسور لجميع الناس ، والاستسلام للعبث والمحال أمر سهل هين ، وإنما العبرة ، أن يحسن المرء الاختيار ، وأن يحاول كشف المعانى التى تكمن وراء الأحداث ، ثم يعمد إلى استخلاص العبر من خلال الحقائق الموضوعية ، أما حين يغلق المرء عينيه إغلاقا ، ويسد أذنيه عمداً ، فهنالك لن يَمْثُل أمامه إلا العدم ، ولن تصك أذنيه سوى أصوات العماء .

وتأمل رد الله عليهم ، وتكذيبه إياهم ، وتعليل ما خفى عنهم ، واشتبه عليهم ، وهو : فقدانهم للشعور ، فقال سبحانه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فاستخدم سبحانه أولا : أداة التنبيه (ألا) ، وهى مكونة من همزة الاستفهام ، و(لا) النافية ، وفيها من التنبيه والتوكيد ما لا يخفى .

والأمر الثانى : «إن» وهى للتوكيد وللتعليل أيضاً .

أمراض القلوب

والأمر الثالث : ضمير الفصل : «هم» وهو للتوكيد ويأتى للفصل فى الدعاوى الكاذبة .
وتأمل قوله : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ فلم يدع أحد انه خلق شيئا من تلقاء نفسه ، بل خلقه ربه ، ولا نزاع فى ذلك ، لكن الضحك والبكاء قد يدعيه أحد (الممثلين) أو (الممثلات) ، فجاء بضمير الفصل ليفصل بين دعواهم ، وبين حقيقة الأمر فى نفسه .

والأمر الرابع : عرف بالألف واللام الدالة على تمام الإفساد فى واقع الأمر ، وإن كابروا فى وجوده .

والأمر الخامس : الاستدراك «ولكن» وهو لرفع التوهم ، فهم يعلمون بالتجربة والملاحظة أنهم مفسدون ، والذى فقدوه عدم شعورهم بما هم عليه ، والشعور يختلف عن العلم ، فقد يعلم الإنسان بسوء حال نفسه ، ولا يغيره لأنه لم يشعر بسوء حاله .

وزعم الماديون أن المادة هى كل شىء ، وليس وراءها شىء ، فجردوا بذلك الإنسان من أهم ما يميزه عن العجماوات من فضائل ، كالشرف ، والكرامة والشعور ، والعواطف ، وما إلى ذلك .

وإذا كان الفقير يعلم أنه فقير ، ولا يشعر بسوء حاله ، فإنه لن يغير من أمره شيئا إلا إذا شعر بخطورة الفقر عليه وعاقبته الوخيمة .

والإسلام من جانبه لا يحرص على حشو البطون ، قدر ما يحرص على السمو بالأفكار ، والوصول إلى القيم العليا .
قال ابن الرومى :

فــإن الـداء أكثــر مــا تــراه
يكــون من الطعام أو الشراب

وقد لهج أدعياء الإسلام بمغالطات نقلوها من كتب التاريخ مبتورة ، وأخذوا من أكاذيبه ما يسعفهم فى تحقيق مآربهم ، مع انه لو سلم جدلا ما زعموه ، وهيهات أن يكون صحيحا ، فإن تقصير المنتسبين إلى الإسلام لا يُحسب عليه سلوكهم ، والمنافقون يمتلىء بهم كل مكان ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ الأنعام .

أرادوا أن ينالوا من علماء السلف الصالح ، واتهموهم بالتواطؤ مع غيرهم متناسين مواقفهم التى يذكرها التاريخ لهم ، كوصية الأوزاعى لأبى جعفر المنصور ، واعتراض الافذاذ على الزهرى ، وكسر ذراع مالك بن أنس وضرب أبى حنيفة ، وجهاد غيرهم ، ولكنهم لا يشعرون ، فهناك عشاق الجثث والخرائب الذين يصابون بداء ، ولا تقع أعينهم على شىء من هذه الدنيا غير العفونة والبلى والرثاثة وسائر الأعراض التى تبتعد بهم عن حياة الصحة والسلامة والجمال ، وإن القرآن الكريم يذكرنا بهؤلاء الأوغاد كلما قرأنا أو فسرنا آية تتعلق بالمنافقين وما أكثرهم فى مجتمع قلّ ما يميز بين الخير والشر ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ .

ومن لغو القول أن يتحدث المتحدث عن صيحات هؤلاء المنافقين كأنها ضرب من الشكاية الاجتماعية ، أو ضرب من الصياح فى طلب الإصلاح .

وفرق بين ما يخفيه الإنسان عن أعين الناس

ـ البقيــة ص ١٢٤٢

العِبَادَات وأثرها في السلوك

لفضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾. « سورة البينة - ٥ . » فرض الله العبادات على عباده لتكون صلة بين العباد وربهم الذى لا إله غيره ولا رب سواه فلا ملجأ إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه ، وهو الذى بيده ملكوت كل شىء وهو المعطى المانع الضار النافع ، وكل البشر محتاجون إليه يتساوى فى ذلك الضعفاء والأقوياء ، والفقراء والأغنياء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ . سورة فاطر - ١٥ .

والإسلام دين خالد قد ارتضاه لنا ربنا دينا فأكمل به الملة وأتم به النعمة ، فلا يقبل تعديلاً ولا تبديلاً ولا تعطيلاً .

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة)

وليس بعد دين الله دين ، وليس بعد رسول الله - ﷺ رسول - وليس بعد كتاب الله كتاب ، وذلك لأن عقيدة الإسلام ليست معقدة فهى تطهر الاعتقاد من الإلحاد بكلمة التوحيد وهى : « لا إله إلا الله » : وفيها تكمن القوة ، وقد جاء بها النبيون من ربهم ، وكل رسول كان يقول : « لا إله إلا الله » ليؤمن بها قومه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾« سورة الأنبياء - ٢٥ » .

ورسول الله ﷺ يقول : أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، « رواه البخارى ومسلم » .

وكلمة : « لا إله إلا الله » فيها رشد الضالين ، وهداية الحائر ، فهى طريق المهتدين ، وسبيل المتقين ، ودليل الإيمان بالله رب العالمين .

وتوحيد الله لا ينكره العقلاء الذين لم

←

تخدعهم بيئات الملاحدة ، لأن التوحيد أمر فطرى عند أولى الألباب ، ودليل ذلك أن الإنسان عندما يقع فى مأزق ويحاط به ، يعلم بفطرته حقيقة التوحيد كما جاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ « سورة لقمان ـ ٣٢ » إنهم قد دعوا الله بفطرتهم التى غرست فى طبيعتهم البشرية ، ثم جحدوا لما زال الرعب عنهم ، والله يقول : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ « سورة العنكبوت ـ ٦٥ ـ » .

وكلمة « لا إله إلا الله » تحرر البشر من عبادة البشر ، فلا تذل الرقاب إلا لله ولا تركع لأحد سواه ولا يقال لغير الله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ . . ﴾ « سورة الأنعام ـ ١٦١ ـ ١٦٢ » . ولقد جاء رسل الله عليهم السلام بكلمة التوحيد ، من أولهم لآخرهم ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ « سورة النحل ٣٦ » .

« الإيمان أولا »

والإيمان يسبق العبادات فلا عبادات بغير إيمان بالله الواحد الأحد والله يقول : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ « سورة العصر ـ ١ ـ ٣ » .

وآيات الله فى الأكوان تتلاقى مع آيات الله فى القرآن فى وضوح الأدلة وشهادة البينات على وحدانية الخالق البارىء ، ولكن طبيعة الإنسان صالحة للميل إلى الخير وإلى الشر ، والميل إلى الخير غالب دائما إذا ابتعد عنه الإغراء الضار ، والله يقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . « سورة الروم ـ ٣٠ »

والإنسان فى صراع مع الوساوس والهواجس والأهواء ليتحصن من هجمات الأعداء من الشياطين ولقد كان فضل الله عظيما على العباد إذ أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب ، وبين لهم الرشد من الغى ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ « سورة فاطر ـ ٢٤ » .

والقرآن يسوق الأدلة تلو الأدلة إلى العقول لتنظر إلى ظواهر الكون الواسع الفسيح وكلها آيات للمؤمن بربه ليزداد بها إيمانه ، والله يقول : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِى جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ « سورة النحل ـ ٧٩ » .

الإيمان يقود إلى الطاعات

والإيمان يمهد الطريق للأعمال الصالحات ليسعد بها الإنسان ويصلح بها البال ، والله يقول : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ « سورة محمد ـ ٢ » والقرآن يكرم المؤمنين فيناديهم بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وهذا يميزهم عن غيرهم تمييزا بالغ الأهمية حتى لقد نادى الله الأمة المحمدية بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تسعا وثمانين مرة : ومنها قوله الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ « سورة البقرة ـ ١٥٣ » وللصلاة جلالها فى الإسلام .

مكانة الصلاة وآثرها فى حياة المسلم

والصلاة آية الإيمان ، وصلته بالرحمن ، وهى تحفظ للإنسان نقاءه وصفاءه فتزكى نفسه ، وتطهر قلبه وحسه ، وهى التى تنهاه عن الشر والضر ، وتأمره بالبر والخير وتجعله رجلا يمشى فى الحياة إلى مرضاة الله بخطوات مسددة موفقة لا تزل ولا تضل ، ولا تشقى ، والله يقول : ﴿ أتْلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ « سورة العنكبوت ـ ٤٥ » والنهى عن الفحشاء والمنكر ـ الذى تحققه الصلاة ـ فيه التربية النفسية بالالتزام بالأخلاق الكريمة المرضية . وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : قال : « قال الله تعالى إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع نهاره فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب وذا الحاجة ، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى ، أجعل له فى الظلمة نوراً ، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » « رواه البزار » .

والله يقول : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ « سورة البقرة ـ ٢٣٨ » ، والصلاة ركن من أهم أركان الإسلام وهى عماد الدين ، من أقامها على حقيقتها فقد أقام الدين ومن ضيعها فقد هدم الدين ، وهى عبادة الأنبياء والمرسلين .

والصلاة صفة للمتقين والمخبتين والمؤمنين وأولى الألباب : والله يقول : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِى الصَّلَاةِ . . ﴾ « سورة الحج ـ ٣٥ ـ » وذلك لأن الصلاة تقى من الهلع وتصون صاحبها من الجزع إذا مسه الشر ومن المنع إذا مسه الخير ويقول عز وجل : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ « سورة المعارج ـ ١٩ ـ ٢٣ » .

المصلى موصول بالله

وذلك لأن المصلى دائم الصلة بالله ، فالعبادة الوحيدة المتكررة يوميا هى الصلاة والله يقول : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ « سورة النساء ـ ١٠٣ » فأوقات الصلاة محددة وتؤدى فى خشوع تام مع المحافظة عليها فى أوقاتها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ « سورة المؤمنون » وهى صلة بين العبد الفانى وربه الباقى ، بين العبد الضعيف وربه القوى ، بين العبد الفقير وربه الغنى ، وعجيب أمر أمرىء يرى خيراً وبراً فى إقام الصلاة فيعرض عن ذكر ربه ، فيعرِّض نفسه لمعيشة ضنكا مريرة ، لأن الصلاة ذكر وتسبيح وتحميد وتمجيد وتضرع ودعاء وخشية ورجاء ، وهى توحيد وتكبير .

الصلاة وسيلة

والاستعانة بالصلاة وبالصبر وسيلة لمواجهة المصاعب والمتاعب ولا يخفى أن الزمن مشحون بالضوائق والمكاره والله يقول : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ « سورة البقرة ـ ٤٥ » وهى وسيلة لخشوع القلب المؤدى إلى طهارة اللسان وكريم الأفعال ونقاء السريرة وحسن السيرة ليعيش المسلم

←

رحيماً كريماً ، عطوفاً عفيفاً ، عالى الهمة صادق العزيمة ، ينأى بنفسه دائما عن الجهالات والضلالات لأن الحسنات يذهبن السيئات ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ « سورة هود ـ ١١٤ » .

ومن الخير أن يأمر المسلم أهله بالصلاة عملا بقول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ « سورة طه ـ ١٣٢ » والصلاة تشعر المؤمنين بوحدة الصفوف وجمع الكلمة مهما اختلفت الألوان والأوطان .

وإذا كانت الصلاة تسبقها الطهارة التامة فى البدن والثوب والمكان ، فإن غايتها طهارة القلب والنفس فى الوجدان والسلوك . ولهذا قال رسول الله ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن : « إن أهم أمرك عندى الصلاة » وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لحكام الأقاليم : إن أهم أموركم عندى الصلاة فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة » .

ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« وما من أمرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يأت كبيرة » . « رواه مسلم » .

ولا ينبغى لذى إرادة قوية وعزيمة مخلصة أن يؤدى الصلاة جسماً بلا روح جهلاً بجوهرها وروعتها ، وليحذر المؤمنون أن يكونوا من الذين هم عن صلاتهم ساهون ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا » .

صلاة الجمعة

والإسلام يفرض على المسلمين فريضة جامعة يوم الجمعة من كل أسبوع يجتمع فيها المصلون فى بيت من بيوت الله يؤدون الصلاة فى جماعة ليتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوى ، والله يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ « سورة الجمعة ٩ ـ ١٠ » فلا انقطاع عن العمل إلا فى أثناء الصلاة وهى الصلاة الوحيدة التى أوجب الله السعى إليها عند النداء لها دون تأخير ، وهذا هو مقياس الإيمان الصادق الذى يعمل عمله فى نفوس المتقين . ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ « سورة الرعد ـ ٢٨ ـ ٢٩ » .

ومعلوم أنه لا واسطة بين العبد وربه إلا بصالح العمل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ « سورة البقرة ـ ١٨٦ » .

فليس ثمة حجاب يكون بين العبد الصالح وربه إذا أخلص دينه لله وتضرع إلى الله وحده فهو الذى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه .

الزكاة فريضة اجتماعية

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ « سورة التوبة ـ ٧١ » .

والزكاة ركن من أركان الإسلام شرعها الله لضمان حياة كريمة للمحتاجين وجعلها حقاً معلوماً للسائل والمحروم بدون من ولا استعلاء ولا أذى ولا رياء ، لأن الإسلام غايته من فريضة الزكاة صيانة الهيئة الاجتماعية وعزتها بمحاربة الشح الكريه والأنانية البغيضة : « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه » والله يقول : ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ « سورة الحشر ـ ٩ » وهذا لا يتحقق إلا بالسيطرة على النفس ليزول البخل ويحل محله البذل ، ومن ثم كانت الزكاة تطهيراً لصاحبها وتزكية لنفسه وتنمية لماله وتنقية لأخلاقه وسمواً بتصرفاته فى أمواله بأداء حق الله الذى أنعم الله عليه بالتوفيق للقيام به ابتغاء مرضاة الله ، وبهذا يزول غل الفقراء على الأغنياء وحقدهم وبغضهم ، ومن ثم كانت الزكاة إحدى دعائم الإسلام وأركانه الخمسة ومن جحدها فقد كفر ، والله يقول : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ « سورة المزمل ـ ٢٠ » . ويقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ « سورة الأعلى ـ ١٤ ـ ١٥ » والله يقول ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ « سورة آل عمران ـ ١٨٠ » .

ولقد شرع الإسلام لمحاربة الفقر زكاة الفطر وهى واجبة على رأى جمهور الفقهاء ، وهناك الكفارات فمن أفطر عامداً فى نهار رمضان كان عليه صيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكينا ، وكذلك فى كفارة الظهار ، ومن حلف على شىء ليمنع نفسه منه ورأى الخير فى الحنث كان عليه كفارة « إطعام عشرة مساكين » .

وشرع الفدية للعاجز عن الصوم وهى إطعام مسكين وجبتين كاملتين . ففدية طعام مسكين يفطر ويتغدى .

وكل هذه الكفارات شرعت لصالح الفقراء وحتى الهدى فى مناسك الحج ، لأن إطعام الفقراء كفارة للذنوب أو درء للتقصيرات ، ولقد حارب أبو بكر رضى الله عنه ما نعى الزكاة كما حارب المرتدين لما امتنعوا عن أدائها ورضوا بالصلاة دونها حيث قالوا : نقيم الصلاة ولا نؤدى الزكاة فاعتبرهم الخليفة الأول أبو بكر خارجين على الطاعة مفارقين للجماعة ، والزكاة عبادة مالية ، ومن الخير أن يعمل كل قادر ، ولا يسأل أحداً شيئا والله يقول : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً . . ﴾ « سورة البقرة ـ ٢٧٣ » .

وقد يتزيا ناس بزى الفقراء أو المساكين طمعاً فيما فى أيدى الناس ليدخل أحدهم فى دائرة المستحقين للزكاة وهذا يدل على احتراف حب التسول أو الاستجداء الرخيص مع القدرة على العمل ، وهذا ما يأباه الإسلام ويمقته ، فلا ذلة فى الإسلام باستغلال ماء الوجه فى خديعة تحجب أمرهم وتصرف النظر عن واقعهم الحقيقى والله يقول : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ « سورة المنافقون ـ ٨ » .

الصوم جنة وجزاؤه الجنة

والصوم عبادة بدنية : كالصلاة وكلاهما من أركان الإسلام .

والصوم فرضه الله ليوصل إلى التقوى . ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ « سورة

←

العبادات وأثرها فى السلوك

البقرة - ١٨٣ »وكلمة « لعل » صادرة من الله وليس معناهاالترجى فهذا لا يليق ، بل إن معناها إعداد النفوس للتقوى ، هذا ما يؤدى إليه الصوم الذى يوصل - بما يحدثه من مراقبة لله - لمرضاة الله وخشيته وبره وطاعته واستحضار عظمته ، والصوم المنبعث من الإيمان الصادق يسطع نوره فى قلوب الأبرار ، ويشرق بأشعته على الجوارح فينير البصائر ، ويطهر السرائر ، ويوقظ الضمائر ، ويطهر السيرة ، فيصحح السلوك ، ويجعل العبادات خالصة لله رب العالمين .

الصوم ليس سلبية

والصوم يتساوى فى أدائه الموسر والمعسر ولا ينبغى التحايل على ترك الصيام . بحجج واهية يصنعها أصحاب الشهوات الجسدية والأمراض النفسية لتمييع الفرائض الشرعية فى قلوب أصحاب الأهواء الشيطانية جهلا منهم بأن الله يعلم ما فى نفوسهم فلا تخفى عليه خافية .

والصوم مراقبة لله الواحد الأحد ، وهو درس تربوى يومى فى الأدب النفسى للتفلت من سلطان الشهوات والنزوات فهو أعظم مرب للإرادة ، لهذا كان فريضة محكمة تترفع به النفس عن الخضوع المذل للنزوات الطائشة ، فإذا ارتفع المسلم بعمله إلى درجة الإحسان كان عند الله وجيها ، وبذلك يطمئن قلبه وتهدأ نفسه ، وتقر عينه ويصلح باله ويستقيم حاله .

﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ .. « سورة التغابن - ١١ » وإذا كانت الصلاة معراجا روحيا وصلة بين العبد وربه فإن الصوم يمد الإيمان ويغذيه وينميه لينهى عن كل شر وضر ، فهو جنة ، ووقاية من الذنوب والعيوب والدنايا والخطايا ، وعصمة من الخبائث والنقائص ، فلا نجاح فى الدنيا ولا فلاح فى الآخرة إلا بالتقوى ..

والصوم يحقق التوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح ، وللجسد مطالبه من غذاء ودواء وهواء ليعيش صاحبه ويحيا ، ولكن حياة البدن وحدها لا تكفى لتكوين إنسان مثالى سوى لأن هذه ضرورات لكل كائن حى وللروح مطالبها التى تحيا بها من عبادات وطاعات وذكر لله ، وتلاوة لكتاب الله ، وصوم وصلاة وخشية لله الذى بيده ملكوت كل شىء ويسبح بحمده كل شىء وليس الصوم صورة سلبية جرداء ، ولكنه عبادة إيجابية تغمر الناس بالجود والإحسان ، وتغمر النفس بالحمد والثناء والتكبير والدعاء والتوحيد والتمجيد لتتحرر النفس من الظلمات إلى النور ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّور ﴾ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ يقول : قال الله تعالى : « كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة . فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل أنى أمرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه». « رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى » .

وعن سهل رضى الله عنه عن النبى ﷺ « إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ،لا يدخل منه أحد غيرهم . يقال:أين الصائمون ؟ فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » « رواه الشيخان البخارى ومسلم »

وللصوم أسرار

وللصوم أسرار لأن الله يقول : « إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » فلا يعلم إلا الله جزاءه

لأن للصائم صلة خاصة بربه فلا رياء ولا مفاخرة ولكن مراقبة لله ومحاسبة للنفس على ما قدمت وأخرت ، ويذكر الإمام الغزالى أن الصوم ثلاث درجات : صوم العموم . صوم الخصوص . صوم خصوص الخصوص . أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة . وصوم الخصوص فهو الكف المذكور مع كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام .

وصوم خصوص الخصوص : فهو صوم القلب من الهمم الدنيئة والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية .. وهذه رتبة الأنبياء والصديقين » .

وكل عمل دينى يعتبر عبادة إذا صاحبه الإخلاص الذى يوصل العبد بربه : « وأخلص العمل فإن الناقد بصير » والله يقول : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّين . أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ « سورة الزمر - ٢ - ٣ » .

الحـــــج

والحج ركن من أركان الإسلام جعله الله فرضاً على المستطيع مرة فى العمر وهو رحلة قدسية وفريضة دينية ، وفيه يحس الحاج بلمسات نورانية غير عادية ، ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف : والحج دعوة موجهة من الله لزيارة بيت الله المحرم الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وهو أول بيت وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين ، وقد ذهب الملبُّون إلى الحج بقلوب تهوى إلى الله غافر الذنب وقابل التوب عند بيته العتيق العريق والنفوس مطمئنة راضية مرضية داعية خاشعة ضارعة هاتفة بصوت جهورى قوى يصعد إلى السماء - قائلين : جئناك يارب نسعى إليك وهتفنا ضارعين مقبلين ملبين بين يديك ونحن نقول : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » .

والحج المبرور يسمو بالمسلم إلى معارج الكمال فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ولا عدوان ولا عصيان ولا بغى ولا طغيان ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ « سورة الحج - ٣٢ » . والبيت الحرام قبلة المسلمين أجمعين يتجهون إليه فى صلاتهم ويطوفون حول الكعبة بداخله فى حجهم ، وأما الصفا والمروة فمن شعائر الله ويسعون بين الصفا والمروة ، يوم الحج الأكبر والله يتقبل من المتقين ، وهو القائل فى كتابه الكريم : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود . وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق ﴾ « سورة الحج - ٢٦ - ٢٧ » .

محمد حافظ سليمان

فى رياض السنة النبوية المطهرة

المسلم السوى والتجافى عن المنكرات

روى البخارى رضى الله عنه بسنده عن سعد بن حفص حدثنا شيبان عن منصور عن المسيب عن وراد عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال : « إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعا وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » . رواه البخارى فى كتاب الأدب وكتاب الاستقراض

.. وهذا الحديث أيضا علامة من علامات صدق النبى ﷺ فكأنما يعيش معنا فى هذا القرن حيث امتلأت حياة المسلمين بهذه المنكرات التى حذر من الوقوع فيها وكرر تحذيره فى شتى صور البلاغ والتهذيب ، فقد قيلت هذه الكلمات فى عصر النبوة حيث البر بالأمهات وحيث لا وأد للبنات ، وحيث ابتعد الصحابة عن كثرة السؤال عندما نزل قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ « سورة المائدة ١٠١ »..

إن رؤية النبى ﷺ لأحوال أمته لا تنقطع فهى مكشوفة لمقامه الكريم ، كذلك فإلهامات الله له ليأخذ بحجز أمته خوفا عليها وإشفاقا وحماية لها من الوقوع فى التهلكة لعل العبرة تصل لمن له قلب أو بقية من إيمان ، والذى ذكر فى الحديث ليس هو كل المحرمات والمكروهات فهى كثيرة فقد جاء فى حديث آخر عن النبى ﷺ عن ابن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس .

« رواه البخارى فى باب اليمين الغموس من كتاب الإيمان والنذور » .

وفى رواية أخرى بزيادة : وشهادة الزور .

« رواه البخارى فى كتاب الديات » .

فالكبائر متعددة ومتنوعة والنبى - ﷺ - لم يجمعها كلها فى حديث واحد ليحيط بكل ما هو محرم أو مكروه فإنه - ﷺ - لا يعلم الناس الكبائر ولا المكروهات ، ولكنه يداوى المرضى والمدمنين ، وهذا لا يتأتى إلا بعلاجها متفرقة كلما سنحت الفرصة أو كانت الظروف مناسبة حتى لا يسأم الناس الموعظة فقد كان من منهج النبوة فى الوعظ والإرشاد أنه كان يتخول الناس بالموعظة مخافة السآمة عليهم .

عقوق الأمهات :

وهذه الكبائر تحدث فى حياتنا المعاصرة

د . رءوف شلبى

وللأسف قد تحدث باسم الدعوة من بعض الجهالات المراهقة التى تستحوذ على المنبر لبث فكرها الفقير الساذج ، فقد وقع لى أن عشت أياما مع بعض الشباب الذى خاصم أمه وعمته وكفَّرهما وجعل بينه وبين أهله حاجزاً باسم أنهم ليسوا على الإسلام الذى يدعو إليه ، وهذه صورة ممقوتة إسلاميا بالنص الواضح والصريح والعمل الملموس المحسوس .

أما النص فقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ .فلا طاعة لهما فى الدعوة إلى الكفر بالله ولكن مصاحبتهما بالمعروف أمر واجب على كل مسلم ؛ وقد دلت السنة العملية على ذلك عندما جاء أبو سفيان إلى ابنته أم حبيبة - رضى الله عنها - وهى أم المؤمنين - يطلب إليها أن تتشفع عند رسول الله - ﷺ - فى أمر خرق قريش صلح الحديبية بعد أن أغارت بكر حليفة قريش على خزاعة حليفة سيدنا رسول الله - ﷺ - فطوت حصير رسول الله - ﷺ - وقالت : إنك امرؤ مشرك لا تجلس عليها ، وكذلك جاءت إلى أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنها - والدتُها - وهى مشركة - فسألت النبى - ﷺ - أتصلها ؟ قال : نعم ، صليها ، فالعقوق للأمهات محرم على المسلم سواء كانت أمه مسلمة أم كافرة ، ذلك لأن الوفاء ذمة فى رقبة كل مسلم يجب أن يؤديه إلى أصحاب الحقوق . والوالدة سبب مباشر لوجود الولد وقد حملته كرها ووضعته كرها فلا أقل من أن يحفظ لها هذه المروءة وإلا كان جاهليا فى فهمه لمعنى الإسلام الذى جاء ليبسط على الدنيا ذمة ومعروفا ووفاء واحتراما .

وإنما خص الأمهات فى هذا الحديث لعلل منها :

أن الأم أكثر تأثرا بالعقوق لضعفها الطبيعى ، وقوة عاطفتها نحو أولادها .

ولأنها تذكر الكُرْهَ الذى حملت فيه ولدها وهى تتمناه وتريده فالعقوق يبعث فى نفسها شجونا ويذكرها بآلام عديدة أثناء الحمل .

ولأن الولد أو البنت قد تنشغل فى مستقبل حياتها بأمور بيتها وملابسات المعايش التى قد تنسى الإنسان ما عليه من حقوق وكأن النبى - ﷺ - يرى ما تعانيه الأم المعاصرة من قسوة أبنائها الذين أهملوها مع كثرة أموالهم وكثرة عددهم ، لكنهم جميعاً فى شغل شاغل وهمٌ مهموم .

أو ما تعانيه من الأطماع فى أملاكها فيؤذونها أو يعتدون عليها للتخلص منها .. الخ مانسمع عنه كل يوم من جرائم تجاه الأمهات ، ولعل اتخاذ الأم كخادمة لابنتها التى تعمل وتترك أولادها مع أمها لأكبر مهانة للأم دون شعور من أولادها بذلك فلا ينبغى أن تتحمل مسئولية الأحفاد فى الكبر بعد أن تحملت مسئولية أولادها وهى فى الشباب .

إن المعروف الذى ينبغى أن يسدى إليها أن يكرموها فى الكبر بالراحة والخدمة لها لا أن يأخذوا منها ذلك لأولادهم وهى فى هذه السن .

فانظر كم يرى رسول الله - ﷺ - أحوال أمته . وكم يحذرنا من الوقوع فى هذه الكبيرة التى تحدث دون شعور أو قصد أو تحدث مع الشعور والقصد ، وكلاهما كبيرة محرمة علينا

←

فى رياض السنة المطهرة

فمتى نفيق من الهم الذى علانا ونحن غافلون ؟

وإن عقوبة العقوق لهى فى الدنيا قبل الآخرة :

أما فى الدنيا ففى الحديث الشريف : « اثنان يعجلهما الله فى الدنيا : البغى وعقوق الوالدين » . « الطبرانى » . والمراد من البغى : الظلم والتجبر بغير وجه حق .

وأما فى الآخرة فإن الله لا ينظر إليه ففى الحديث الشريف : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر والنمام » .

فجمع الحديث بين هذه الخبائث لِيُعرفها ويساوى بينها فى حجم الكبيرة وفى العقاب المؤجل يوم القيامة .

فهل سينتهى الشباب الإسلامى الذى يعق أمه ووالده على النحو الذى شاع وذاع وليس له من الإسلام أصل ؟

ومنعاً وهات :

فى رواية البخارى فى كتاب الاستقراض : « وَمنَعَ وهات » بغير تنوين . قال ابن حجر : والمراد من النهى منع ما أمر بإعطائه وطلب مالا يستحق أخذه يعنى : النبى - ﷺ - يحرم على المسلمين الا يمنعوا ما أمر الله أن يعطى من الحقوق ، والا يطلبوا شيئا لا يحق لهم أخذه فلابد من انضباط المنع والعطاء لا يعطى أحد شيئا لا يستحقه ، ولا يمنع أحد من شىء هو حقه ولا دخل للبغضاء فى ذلك ، ولا اثر للمحبة والقرابة فيه ايضا ، فيجب أن يكون المنع قائما على أساس من توجيهات الإسلام ، وأن يكون العطاء على أساس من قواعد الإنفاق والعطاء فى الإسلام ففى الحديث الشريف :

« من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » « رواه أبو داود صحيح » .

وإنه لما يؤسف له أن كثيرا من المتصرفين فى شئون الأموال الإسلامية يبتعدون بها عن أوجه البر والمعروف ودور العلم وينفقونها فى أبواب سوف تكون عليهم حسرة يوم القيامة فبينما يتضور المسلمون جوعا فى افريقيا المسلمة وآسيا المؤمنة نجد الأغنياء ينفقون أموالهم تبرعات لمؤسسات اجنبية من أجل حيوانات أو غيرها ففى ذلك شهرة وسمعة لهم ، ومن هنا ندرك مقدار صدق النبوة فى رؤيتها للواقع الذى يعيشه المسلمون المعاصرون ، وفى الوقت الذى يتمتع فيه فرد واحد بالذهاب والإياب فى شتى بقاع العالم للنزهة باسم العمل الإسلامى نجد معاهد الأزهر الشريف فى أمس الحاجة إلى مقاعد للطلاب ، ونجد مدينة البعوث الإسلامية فى حاجة إلى تجديد مطابخها حتى تؤدى خدمة لأبناء العالم الإسلامى من كل صوب فقد أغلق المحسنون آذانهم وعيونهم عن الأزهر والدور الذى يقوم به تاريخيا نحو المسلمين وأوطان الإسلام وانصرفوا ينفقون أموالهم فى شتى صنوف « هات » التى حذر منها رسول الله - ﷺ - وصدق الله العلى العظيم : « بئر معطلة وقصر مشيد » : مال كثير ينفق ، ومؤسسات علمية للإسلام ضائعة فمتى يفيق الأغنياء ومتى يعرف المحسنون مواطن القبول للتبرعات ؟

كذلك بينما ينفق « التبشير » أمواله الطائلة ومِنَحَهُ الدراسية الكثيرة وأرزه وسكره .. و .... الخ نجد الأموال التى تصرف على بعض الشباب الإسلامى تنفق فى ملصقات على الحوائط لإحداث مظاهرة إعلامية فقط لا تسمن ولا تغنى من جوع فقد بات منهج العمل الإسلامى لدى الشباب المعاصر عبارة عن مظاهرة .. أو مسيرة أو ملصقات وحسب ، أما كيف يبنون وكيف يحيون ؟ وكيف يكون هناك رأى عام صادق نحو

الفكرة .. فهذه أمور لم يفهموها ، وإن فهموها فمن خلال منهج الملصقات والشعارات وهو أمر لم يحترمه القادة المخلصون من لدن سيدنا رسول الله - ﷺ - إلى آخر داعية حاذق حصيف .

وواد البنات :

وأد البنت . دفنها في المقبرة وهي حية وأول من فعل هذه الجريمة النكراء البشعة في أيام الجاهلية « قيس بن عاصم التميمي » ؛ وذلك بقصد الحفاظ على العرض حسب فهم العرب في الجاهلية فقد تعرض قيس بن عاصم لغارة من غارات النهب والسلب والسبي التي كانت تمارس في الجاهلية فأسرت إحدى بناته من القاصرات فاتخذها العدو لنفسه ومضت أيام ثم حصل بينهم صلح فخيرت ابنته بين أن تبقى في القبيلة التي أسرتها تحت زوجها ، أو تعود إلى أبيها فاختارت زوجها فآلى قيس بن عاصم التميمي على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حيَّة فتبعه بعض العرب في سنته السيئة حتى صارت فيهم عادة قبيحة .

واختلفت أمزجة العرب في أسباب وأد البنت .

فبعضهم كان يئدها حماية للعرض من السلب مخافة العار والسبي .

وبعضهم كان يئدها مخافة الفقر أو لوجود الفقر بالفعل وعدم قدرته على تربيتها ، وإنما تُرك الولد لأنه عصب الدفاع عن القبيلة من جانب ولأنه عنصر الإنتاج والعمل والسعي من جانب آخر .

وكان عبد المطلب جد النبي - ﷺ - ممن تحملوا مؤنة تربية الموؤدات ، كما كان صعصعة ابن ناجية التميمي جد الفرزدق يفعل ذلك ، وللفرزدق في ذلك شعر يفاخر به ومنه :

وجدى الذى منع الوائدا
ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

حتى جاء الإسلام فوضع هذه العادة السيئة في خضم هائل من أسئلة يوم القيامة ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله ﴾ يقول الله تعالى :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ . وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ . وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾(1) فيقيم المولى جل جلالة مسئولية هذه العادة الشنيعة في سياق هذا الهول الهائج المائج يوم القيامة كائنا هو حدث كوني من الأحداث العظام مع الشمس والنجوم والجبال والوحوش (2).. ليقلع من نفوس العرب بهدى هذا الإسلام تلك الجريمة الكبرى في حق النفس البشرية التي جاء الإسلام ليضعها موضع الاحترام والتكريم والأمن والأمان .

ولقد تفنن العرب في وأد البنات بأساليب ذكرها الكاتبون ، ولا نحب أن ننقلها اتباعا لمنهج الإسلام .

الا ، لا نكرر المنكر الذى جاء الإسلام ليقلعه من النفوس قلعا وتقليعا(3) .

وكره لكم قيل وقال :

جانب جديد ليس من المحرمات ، ولكنه من المكروه المعطوف على المحرمات فيكتسب بذلك ←

(1) ١ - ١٤ سورة التكوير - مكية .

(2) استوصوا بالنساء خيرا ص ١٣،١٢ الفخر الرازى جـ ٢٣ ص ٩٥ .

(3) راجع فتح البارى ص ٤٠٦ - ٤٠٧ جـ ١٨ المطبعة السلفية .

وصف كراهة التحريم ، والرسول - ﷺ - يعلم أن الأمة - من بعد - سوف لا تمسك لسانها عما تبتلى به البشرية من الشائعات والقالات والمزايدات ، وأن تلك الفرى ستكون محط الخَبل في عقل الأمة ، وعنصر الفساد في وحدتها وتقدمها ، وعاملا سيتخذه الأعداء في تخذيلها وإرهاقها بالعنت حتى تضمحل وتضعف ثم تشيخ وتموت .. فذاك هو الجدل الذى نهى رسول الله - ﷺ - أمته من أن تتخذه صنعة لها ففى الحديث الشريف : « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ».

« رواه أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم حديث حسن » .

وكلمة « قيل وقال » على ثلاثة أوجه :

الأول : أنهما مصدران للقول : تقول : قلت قولا ، وقلت : قيلا وقالا .

الثانى : المراد منهما حكاية أقاويل الناس والبحث عنها ليخبر عنها كما هو مشهور فى المجتمعات المعاصرة من حبك الشائعات ونقلها وترديدها .

الثالث : المراد منهما الكف عن الاختلاف في فروع الفقه والتمطيط فى إبراز هذا الخلاف بصور تفرق وتملأ القلوب نفرة وغلظة كالذى نجده بين الشباب المعاصر فى شكليات المظهر الإسلامى الذى انصرفوا كلية إليه وتركوا أخص خصائص الإسلام فى بناء الأمة والمجتمع والدولة .

ومهما يكن من أمر « فالقيل والقال » على أى وجه من هذه الوجوه مرفوض إسلامياً ، وقد حذر النبى - ﷺ - جملة من مغبة الوقوع فى هذه البلايا فقال فى حديث جامع :

« كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع » « رواه مسلم » .

ولعل صوت المعارك الكلامية التى يموج بها المجتمع الإسلامى المعاصر تدل على أن النبى - ﷺ - كان حريصا على أن يحذر المسلمين من هذا الوباء الخطير الذى إذا تفشى أهلك الأمة .

والظاهرة التى يراها المسلم المنصف أنك كلما ذهبت إلى مجتمع إسلامى فى أفريقيا أو آسيا أو أوروبا وجدت اللهجة واحدة ، والمنطق واحد حتى مع اختلاف الشباب فى تجمعات فهم يتخذون شعارات وعبارات ويجادلون فى أسماء تناقلوها ويتبعون شيوخا محددين قد أجمعوا على السماع لهم دون أن يفتحوا عقولهم لنداء القرآن وتحذيرات السنة النبوية مما وقعوا فيه من المخالفات ، وبينما تجد شباب الإسلام فى كل صقع على هذه الوتيرة والنغمة من الجدل والمراء والخلاف والاختلاف والعداوة تجد الشباب الآخر من اتباع كل دين آخر : بوذى أو هندوسى أو يهودى أو مسيحى بشتى الألوان يعملون فى دأب ويتحكمون فى كل شىء : اقتصادى أو اجتماعى أو سياسى أو عسكرى أو ترفيهى .. وانغمس الشباب المسلم فى « ملهاه » وبلاد الإسلام جوعى وظمأى تلفح جلود أبنائه الأمراض والأوبئة وتسوده المسغبة والفقر والجهل والأمية الواسعة ، وإذا نصحوا لا ينتصحون ، وإذا ذكرتهم لا يبالون فقد أصبح صوتهم العالى لشعارهم يعلو فوق كل نصيحة مخلصة من أجل أن يضعوا أقدامهم على السبيل السواء .

وصدق الله العلى العظيم : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ ﴾ .

وكثرة السؤال :

السؤال للعلم من أجل السلوك الفاضل أمر يقره الإسلام فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفزعون إلى سيدنا رسول الله - ﷺ -

بالسؤال إذا عنَّ لهم أمر ، ثم جاء التابعون فتأدبوا ولم يكثروا من السؤال - يروى ابن كثير فى تفسيره :

قال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا فى المعلوم من القرآن .

وقال شعبة عمرو بن مرة قال : سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال : لا تسألنى عن القرآن ، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شىء ؟؟ وقال : كنا نسأل سعيد ابن المسيب عن الحرام والحلال ، وكان أعلم الناس فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع(٤) .

واليوم نجد بعض الحرفيين اليدويين يتكلم فى الفقه وعلوم الحديث والتفسير كأنما أصبح الإسلام وعلومه كلأ مباحاً وليس للإسلام من يحميه وتلك الآفة نتيجة كثرة السؤال التى نهى عنها رسول الله - ﷺ .

والغريب فى الأمر أن عقائد الإسلام أوضح من الشمس فى رابعة النهار من حيث مفهومها والبراهين والحجة الواضحة الدالة على أحقيتها ، ومن حيث أصول العبادات والمعاملات ، وما اختلف الفقهاء إلا فى فرعيات علمونا الأدب فى فهمها ، أو فى العمل بالفتوى بأى رأى فيها .. وهناك من الأديان مالايقبل فيه أصل لا بعقل ولا بنص ومع ذلك لا تجد وسط الشباب البوذى الذى يعبد الأصنام جدلا وكثرة سؤال مثل الذى تجده داخل مجتمعات الشباب الإسلامى كأنما آفة كثرة السؤال التى حذرنا منها سيدنا رسول الله - ﷺ - قد أصابت حياتنا المعاصرة كيف وقد حذرنا منها رسول الله - ﷺ - فما بالنا إذا لم يكن النبى - ﷺ - قد حذرنا من « قيل وقال ، وكثرة السؤال » كيف يكون حالنا ؟ اللهم إنى أشهدك أن نبيك - ﷺ - قد بلغ وقد حذر ، وأننا من بعده نبلغ عن نبيك ونحذر ، فارفع - اللهم - مقتك وغضبك عنا ؛ فإن الفتنة التى نعيشها لا يصرفها أحد إلا أنت .

وإضاعة المال :

إن هذه جملة من كبرى أدلة صدق النبوة فقد قالها - ﷺ - والمسلمون من معاصريه ﷺ ليس عندهم إلا التمر والحليب وهما الأسودان اللذان كانا يشكلان مصدر القوت وعصب الاقتصاد فى الأيام الخوالى للأمة العربية فكيف يحذرنا النبى - ﷺ - من إضاعة المال والحال هذا ؟

تلك معجزة كبرى لرسول الله - ﷺ - حيث تنبأ لهذه الأمة بأموال وحذر من إضاعتها وأنذر .. وهذا هو البترول !!

كم يبلغ دَخْلُه وَكَسْبُه ؟

وكم من « بنوك » فى بلاد غير إسلامية قد أثرت ثراء باهظاً من ودائعه .

ثم انظر كم من أرض إسلامية تركت خلاء ، وكان يسيرا أن تمتد عليها شتى المصانع فتغطى حاجة المسلمين إلى الغذاء والكساء ومطالب الحياة ؟

ثم هذا الحال ، وليس فى الأمة الإسلامية أدنى عجزة .

- لا فى المال .
- ولا فى الأرض .
- ولا فى القوى العاملة .
- ولا فى العلم .

ومع كثرة المال لم تحظ قضية إسلامية دولية واحدة كفلسطين بحل تنال به سيادتها واستقلالها .

يضاف إلى هذا الإسراف الباهظ فى النفقات

←

(٤) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ص ٤، ٥، ٦ .

الفردية نتيجة إشاعة نظرية الإشباع والتفكه لوفرة المال ، ورقى عرض نتاج الصناعات الحديثة فى أوروبا وغيرها مما أوجد رواجاً باهظاً فى الصناعات الأجنبية وفتح لها أسواقا متعددة فى بلدان الأمة الإسلامية مع أننا عرفنا إسلاميا أن المبذرين كانوا إخوان الشياطين .

وعرفنا أيضا أن الإسلام قد وضع منهاجا للقوى الشرائية :

١ ـ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ « الفرقان » .

٢ ـ ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ . « الإسراء » .

٣ ـ المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء . « رواه البخارى ».

ويستفيد المسلم المعاصر من الحديث :

أولا : أن البر بالأمهات خلق ينبغى أن ينفذ فى جوه الإسلامى ، وأنه لا ينبغى أن تدفعنا الحياة الحديثة إلى تغيير قيمنا الإسلامية ، وأنه يجب أن نربط التطور للحياة المعاصرة بقيم الإسلام الحنيف حتى تحل البركة ويعم الخير والمعروف .

ثانيا : وأن نتربى على إعطاء الحق لأصحابه ، وأن نمنع غير أصحاب الحقوق من السطو على أموال الرعية فإن فعلنا حفظت الحياة من العبث وقل الخلل وعمت البركة واطمأن الناس على حقوقهم فتسير عجلة الحياة آمنة مطمئنة يأتيها رزقها مباركا بإذن الله .

ثالثا : أن نحفظ أولادنا من كل سوء وآفة ، وأن نربيهم على التقوى والصلاح والطاعة ، وأن نهيئهم لغد هم رجاله وقادته .

رابعا : أن يعف اللسان عن كل معصية وقالة وأن نحسن الظن بالمسلمين فخير أخلاق المسلم أن يحمل أمر أخيه المسلم على أفضل الأحوال وألا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا .

خامسا : ألا نسأل إلا لنتعلم لكى نسلك الطريق لا أن نسأل للمراء والجدل واللجاج .

سادسا : أن نحافظ على أملاكنا وأموالنا وأن نضع كل قرش فى بلاد المسلمين فى موضعه وأن نوسع أبواب الرزق لكل مسلم ، فذلك واجب الأمة التى آمنت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبسيدنا محمد ـ ﷺ ـ نبيا ورسولا .

والله ولى التوفيق .

أ . د رءوف شلبى
وكيل الأزهرسابقاً

مشيخة علماء الإسكندرية أو معهد الإسكندرية الديني

د. مجاهد توفيق الجندى

مقدمة

تعتبر مدينة الاسكندرية مركزا من مراكز العلم الهامة فى العصور الإسلامية المختلفة كالفسطاط ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة والقيروان والرباط وقرطبة وطليطلة وغيرها .. وكانت محطا لرحال الحجاج إلى بيت الله الحرام من افريقيا شمالها وجنوبها وغربها ذهابا وعودة يجلسون فيها مدة ـ طويلة او قصيرة ـ يتدارسون العلم ويتشاورون مع علماء الاسكندرية فيما يعن لهم وما يستجد من مشكلات علمية وغير ذلك ..

وكانت الدراسة عادة على نظام الحلقات العلمية فى مساجد وجوامع الاسكندرية قديمها وحديثها ، يجلس فيها الطلاب مع شيوخهم يتجاذبون أطراف الحديث فى العلوم الشرعية والعربية والعقلية .

وللاسكندرية تاريخ طويل عريق خاصة فى العصر الإسلامى منذ أن فتحها عمرو بن العاص نحو عام ٢٤ هـ تقريباً ، وسوف نقصر حديثنا على مشيخة علماء الأسكندرية التى وقف علماؤها صامدين امام التيارات والحملات التبشيرية الآتية إلى مصر من بلاد الافرنج .. وكما وقف علماء قبلهم فى العصر المملوكى وغيره يجهزون على نفقتهم الخاصة الحملات الحربية للقضاء على الحملات الصليبية الآتية من الغرب ، وكانوا لها بالمرصاد ..

■ **متى قامت مشيخة علماء الأسكندرية ؟ وما سبب قيامها ؟**

صدر الأمر بإنشاء مشيخة علماء الأسكندرية سنة ١٣٢١ هـ ـ ١٩٠٣ م فى عهد خديوى مصر « عباس حلمى الثانى » وقد اتجهت الرغبة فى مطلع القرن العشرين أن يكون « الأزهر » رأساً لنهضة علمية وثقافية فيدرس الآداب والرياضة والعلوم بالإضافة إلى مناهجه الدينية والعربية ، فلقد كانت مصر ـ كما كان شأنها دائماً ـ محط تفاعل علمى بين الشرق والغرب فاستقر الأمر على

إنشاء « معهد الأسكندرية » ليكون مصدر التجربة ونشرها .

وفى ضوء الاعتبارات السابقة صدر الأمر بإنشاء مشيخة « علماء الأسكندرية » فأصبح هذا اللقب درة مجيدة ، جرى العرف فى تلقيب معهد الاسكندرية بها ، وميزة امتاز بها على غيره من معاهد العلم ، وكانت كذلك الكلمة الأولى فى سطر تاريخ هذا المعهد العظيم خصيصة التشريف والتكريم .

اول شيخ لمعهد الأسكندرية الدينى

الحقيقة أن قيام معهد الاسكندرية الدينى كان حدثاً ضخماً فى التاريخ والعلم معا . وما أصدق القول : « إن الأقدار تختار للأحداث الضخام الرجال العظام » ولم يكن كفئا لذلك إلا رجل من ذوى العلم والفضل هو فضيلة الأستاذ الجليل المرحوم الشيخ محمد شاكر[1] الذى كان رئيساً لدار الإفتاء وطوف مدة غير قصيرة فى المحاكم الشرعية ، ثم صار قاضى قضاة السودان ، ثم آل إليه أمر هذه المشيخة فى أبريل سنة ١٩٠٤ م فهو بذلك أول رائد للدراسات الحديثة بالجامع الأزهر .

اختيار أعضاء هيئة التدريس

ولما كانت العلوم الحديثة ستصبح إجبارية فى التدريس والامتحان لأول مرة فى تاريخ الأزهر ـ وكانت من قبل اختيارية ـ فقد وضع الشيخ « محمد شاكر » أساس النظام فى تدريسها ، وأحسن اختيار الكتب فى المناهج جميعاً ، وأحسن أيضاً اختيار الصف الأول من أعضاء هيئة التدريس ، فكان من الرعيل الأول الشيوخ : عبد الله دراز ، إبراهيم الجبالى ، عبد الهادى مخلوف ، عبد المجيد الشاذلى الذين تضلعوا بتدريس العلوم الحديثة ، وإن لم يهيأوا لها أولاً . لأن لرجل الأزهر طاقة خاصة تتولد حرارتها من شعوره بالواجب الملقى على عاتقه ، وإيمانه بالغرض وسلامته ، وتقديره للمسئولية .

مكان الدراسة بمعهد الأسكندرية !!

لما لم يكن هناك مكان مبنى مُعَدٌّ للدراسة ، فقد تخير لها المسئولون من المساجد ما يسد الحاجة ويفى بالغرض ، واستهل المعهد عمله بخمس فرق دراسية من السنة الأولى إلى السنة الخامسة وبلغ مجموع الطلاب بهم ٤٤٠ طالباً .

وكانت الدراسة فى ثلاثة مساجد .. **أولها** : (مسجد الأرضى) بحى المنشية ، **ثانيها** : (جامع سيدى ياقوت العرشى) بميدان المساجد بجوار سيدى أبى العباس المرسى . **ثالثها** : (جامع الشيخ) الذى اسسه الشيخ إبراهيم باشا وخصصه لدراسة العلم بمدينة الأسكندرية سنة ١٢٤٧ هـ ـ ١٨٣١ م دون التقيد بسن معينة خدمة خالصة لله وكان عدد مدرسيه وطلابه سنة ١٣١٩ هـ ثلاثة وأربعون مدرساً ، وثلاثة وسبعون وسبعمائة طالب[2] ثم انشىء أول معهد رسمى بالأمر العالى عام ١٣٢٢ هـ ـ ١٩٠٢ م القسم الابتدائى منه بحى « الورديان » وهو

(١) راجع كتاب : السياسة والأزهر ص ١٣٦ من مذكرات شيخ الإسلام الظواهرى بقلم فخر الدين الأحمدى الظواهرى طبع بمطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٦٤ م ، ١٩٤٥ م .

(٢) راجع كتاب : كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر للشيخ سليمان رصد ص ٢٠٧ د . ت .

« معهد الأسكندرية الابتدائى » والقسم الثانوى منه بحى رأس التين ، ونظراً لإنشاء حوض جاف للسفن سنة ١٩٥٩ م تقريباً ، هدم المعهد الابتدائى فحولت الدراسة منه إلى قصر « المسافر خانة » الخاصة براسم باشا[٣] فى عهد شيخ المعهد الشيخ عبد الغنى محمود ، وساعده على ذلك تعيين الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوى شيخ علماء الأسكندرية السابق شيخا للأزهر ، ولما تسلمت وزارة المعارف مبناها القديم برأس التين ، نقل المعهد الثانوى إلى سراى « عمر طوسون » بحى محرم بك ، الشهير « بغيط الصعيدى » ، وذلك فى عهد الشيخ محمد الصادق عرجون شيخ المعهد وكان يوجد سكن داخلى للطلبة من أهل الريف .

ثم انتقلت الدراسة والسكن ـ بجهد المسئولين فى الأزهر ـ إلى حى سموحة[٤] سنة ١٩٦٤/١٩٦٥ م حيث مقر المعهد المعمور الكائن بها إلى الآن يؤدى رسالته فى خدمة الإسلام .

مقر الإدارة لمشيخة علماء الاسكندرية

أما إدارة مشيخة علماء الأسكندرية فقد اتخذ الشيخ محمد شاكر لها مبنى « مدرسة الجمعية الخيرية الأميرية » المواجهة لمسجد « الموازينى » ، وفى عهد الشيخ محمد أبى الفضل انتقل بإدارة المشيخة إلى سراى الخديوى محمد سعيد باشا فى نفس الجهة ، وفى سنة ١٣٧٣ هـ نقل مقر المشيخة إلى استراحة عثمان بك محرم وزير الرى ، بجوار مدرسة إبراهيم الاول وسراى الملك برأس التين .

شيوخ المعهد منذ إنشائه إلى الآن

● هم على الترتيب :

١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد شاكر من ١٩٠٤ ـ ١٩١٣ م ١٣٢٧ ـ ١٣٣١ هـ ، ثم نقل وكيلاً لمشيخة الجامع الأزهر عام فاستأنف تحقيق الرسالة فى محيط عمل أوسع ومنصب أرفع .

٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد أبو الفضل الجيزاوى إلى ١٣٣٧ هـ ، ١٩١٨ م وهو الرجل الثانى لمشيخة علماء الأسكندرية .

بدأ عمله وقد جاوزت الطليعة من طلاب المعهد مرحلة القسم الثانوى إلى مرحلة القسم العالى « السنة التاسعة » فسار بالقافلة ، واستقام بها فى أوسع دائرة ، .. ذلك أن الشيخ أبا الفضل لم يضع شخصه وجاهه العلمى فى محيط الإدارة المهيمنة على بعض مرافق الأزهر ، بل وضع نفسه حيث يضعه علمه وفهمه فى رسالة الإسلام ، وواجب الأزهر ومقدور العلماء .

وكتب الله للشيخ أبى الفضل أن يحظى بتخريج أول رعيل من علماء معهد الأسكندرية فى مدى ست سنوات من مشيخته ، ثم استمر ذلك لعامين من بعده ، ثم صدر الأمر بعد ذلك بتعيينه شيخاً للجامع الأزهر فى سنة ١٣٣٧ هـ ـ ١٩١٨ م .

←

(٣) كان مقراً للمحكمة فى العصر العثمانى ، وكان يوجد بالمسافر خانة سجن ، ومشنقة ، وبئر ، وقد استمرت الدراسة به ما يقرب من ثلاث سنوات حتى سنة ١٩٦١ م ، كما حكى لنا الشيخ السيد أحمد جمال الدين ملاحظ المعهد .

(٤) كانت الحكومة قد اعطت للأزهر قطعة من الأرض ليقام عليها المعهد بقسميه والملاعب الرياضية والمدينة السكنية وغيرها « بالرأس السوداء » بحى « فيكتوريا » ، ولكن العلماء كرهوا هذا المكان وصاروا يدعون الله فى المساجد ليل نهار الا يبنى المعهد فى هذا المكان ، ثم حدثت خلافات بين المرحوم الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف والسيد حمدى عاشور محافظ الأسكندرية فى ذلك الوقت على مكان المعهد ، واستقر الراى على أرض سموحة فوضع بها حجر الأساس سنة ١٩٦٢ واستجاب الله دعاء العلماء .

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد الغنى محمود إلى سنة ١٩٢٥ م ثم نقل شيخاً للمعهد الأحمدى بطنطا وما أن يهم الشيخ بتعليته القواعد التى أرساها سلفاه العظيمان ، حتى اشتدت الثورة الوطنية سنة ١٣٣٨ هـ ـ ١٩١٩ م واشتعل أوارها فى الاسكندرية ثأراً لمعركة الاحتلال فيها سنة ١٣٠٠ هـ ـ ١٨٨٢ م ، وما أن يمضى من عمر هذه الثورة عامان حتى يثأر الانجليز من تزعم معهد الأسكندرية لها وكان الجزاء صدور القرار المتعسف بقصر الدراسة فى القسمين الابتدائى والثانوى على معهد الأسكندرية ، وبقصر التحضير فى القسم العالى لشهادة العالمية ، على الجامع الأزهر فقط وكان ذلك سنة ١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م .

٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الفحام[٥] إلى سنة ١٩٢٨ م ثم نقل شيخاً للمعهد الأحمدى بطنطا .

٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المجيد اللبان[٦] إلى سنة ١٩٣١ م ثم نقل شيخاً لكلية أصول الدين .

٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الشافعى الظواهرى[٧] إلى سنة ١٩٣٥ م ثم أحيل إلى التقاعد حيث بلغ سن المعاش .

٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد سليمان السرتى إلى سنة ١٩٣٦ م ثم نقل شيخاً لمعهد طنطا .

٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / أحمد حميدة إلى سنة ١٩٣٧ م ثم نقل شيخاً لمعهد طنطا .

٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمود أبو العيون إلى سنة ١٩٤٦ م ثم نقل سكرتيرا عاماً للأزهر .

١٠ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد السلام العسكرى إلى ١٩٥٢ م وقد توفى فى تلك السنة رحمه الله .

١١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد البسيونى زغلول بالندب من ١١ فبراير ١٩٥٢ م إلى آخر يوليه من نفس العام ثم نقل شيخاً لمعهد الزقازيق .

١٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد التواب البربرى بالندب من ٣٠ يوليه إلى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٢ م ثم اقتصر عمله على الوكالة .

١٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ /عبد الرحمن عيسى إلى أكتوبر سنة ١٩٥٣ م ثم نقل للتفتيش .

١٤ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد البسيونى زغلول إلى مارس سنة ١٩٥٤ ثم نقل شيخاً لمعهد طنطا .

١٥ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد الصادق عرجون من مارس ١٩٥٤ م .

١٦ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ /عبد المجيد ياسين[٨] من ١٩٦٤ إلى ١٩٦٦م تقريباً .

---

(٥) عين الشيخ الفحام وكيلاً للأزهر والمعاهد الدينية بالأمر الملكى رقم ٧٤ لسنة ١٩٣٠ م فى غرة رجب سنة ١٣٤٩ هـ ، ٢٢ نوفمبر ١٩٣٠ م وكان شيخ الأزهر هو محمد الأحمدى الظواهرى فى عهد الملك فؤاد ، بسراى القبة ، وكان رئيس الديوان الملكى توفيق نسيم .

(٦) عين الشيخ اللبان شيخ القسم العالى بالجامع الأزهر ، شيخاً لمعهد الأسكندرية بالأمر الملكى رقم ٧٧ لسنة ١٩٢٩ م فى عهد الملك فؤاد بسراى عابدين فى ٢ رجب ١٣٤٨ هـ وكان رئيس الوزراء « عدلى يكن » .

(٧) عين الشيخ محمد الشافعى الظواهرى المدرس بقسم التخصص ومن هيئة كبار العلماء شيخاً لمعهد الاسكندرية بالأمر الملكى رقم ٥٥ لسنة ١٩٣١ م فى عهد الملك فؤاد بسراى عابدين فى ٧ صفر سنة ١٣٥٠ هـ ٢٣ يونيه سنة ١٩٣١ م .

(٨) من مواليد شبراخيت إحدى مدن ومراكز محافظة البحيرة .

١٧ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ /إبراهيم محمد بديوى[٩] ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨ م تقريباً .
١٨ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد عثمان اغا[١٠] من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ م تقريباً .
١٩ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد محمد أبو خوات[١١] من سنة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٩ م تقريباً .
٢٠ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / عبد العزيز أحمد عيسى[١٢] من سنة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ م تقريباً .
٢١ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / فتحى محمد عبد الوهاب سالم[١٣] من سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م تقريباً .
٢٢ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد كامل خراشى[١٤] من سنة ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ م تقريباً .
٢٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / السيد محمد محمد خليل اللامى[١٥] وهو شيخ المعهد الحالى ، بارك الله فى عمره .

اول تقرير لمشيخة علماء الأسكندرية يحض على ترقية التعليم الدينى

فى أول تقرير أصدره الشيخ محمد شاكر سنة ١٩٠٤ م ١٣٢٢ هـ .. يروعك منه منهج الشيخ الكامل وإيمانه الشامل بوجوب ربط الدين بالحياة ، وقد جاء فيه : « ومما يجب أن يتنبه له عقلاء الإسلام وعظماء الأمة أن التعليم الدينى يكاد يكون منحصرا فى طبقات الفقراء وبعض الطبقات الوسطى دون الطبقات العليا . وذلك خطر غير قليل على الجامعة الإسلامية . إذا قدّر أن ينتهى الأمر بانحصار التعليم فى تلك الطبقات ، فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم . لا يتولاها سواهم من الطبقات الأخرى ، فتكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية ، والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية ، وبين أيدينا من نتائج هذا التفريق فى القوى الفعالة ، وهذا التدلى فى التربية الدينية ، ما يصلح عبرة لخاصة المسلمين وعقلاء الأمة . فلينظروا فى موقفهم ، إذا فكروا فيه كثيرا ، يترجح عندهم أن يتربى أبناؤهم تربية دينية إسلامية محضة ، يخدمون بها أمتهم ودينهم ، ويترفعون عن الدناءة والسقوط ، ويساعدون على ترقية التعليم الدينى ، ويجعلون له المكانة العاليا فى أفئدة الناس أجمع ... » وحسب القارىء هذا ليدرك بماذا سنعقب على هذا المنطق السليم الخالص لوجه الله ولدينه وللمسلمين ولهذه الأمة .

وفى جوانب هذا التقرير أيضا ما يرد فريقا من الناس إلى سلامة القصد . حيث يدعو الشيخ الفاضل إلى إعداد الأمة جميعها ، إعدادا علميا دينيا إلزاميا فيقول : « وإن المشيخة ليسرها أن

←

(٩) من مواليد دمنهور عاصمة محافظة البحيرة بمصر ، وكان وكيلاً لمعهد طنطا وهو من الشعراء الفطاحل ، وعلماً بارزاً من أعلام البحيرة ، وقد رأيته يلقى القصائد الطويلة فى المناسبات الوطنية بمعهد طنطا .. وكان آخر منصب شرف تولاه هو رئاسته لجمعية الشبان المسلمين بمحافظة البحيرة كما حكى لى فضيله الشيخ أحمد حسن الباقورى الذى كان زميلاً له فى أول اتحاد طلاب ازهرى ، وكما حكى لنا المستشار عبد المجيد الغايش زميلهما فى هذا الاتحاد « الباحث » .

(١٠) من مواليد البرلس ـ إحدى مدن محافظة كفر الشيخ .

(١١) من مواليد بلدة « الأصيفر » التابعة لمركز سيدى سالم محافظة كفر الشيخ .

(١٢) من مواليد محافظة المنوفية .

(١٣) من مواليد « الدلنجات » إحدى مدن محافظة البحيرة .

(١٤) من مواليد دمنهور عاصمة البحيرة .

(١٥) من مواليد « جزى » إحدى مدن منوف محافظة المنوفية .

ــ صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

تقرأ لأصحاب الاقلام بحوثهم فى ترقية التعليم الدينى استنهاضا للهمم ، وترغيبا فى تربية الناشئة من الشبيبة المصرية من كل الطبقات ، تربية مؤسسة على اتباع الشريعة فتكون دعائم التعليم هى تلك الدعائم التى بنى عليها الإسلام ، حتى لا نرى فى الشبيبة المصرية ـ رجال الغد ـ من يجترىء على ترك فريضة أو سنة ، أو يستطيع الصبر على مسلم يتركها وهو على فعلها قدير !! »

من هذا الجزء من التقرير يتضح غَيْرة الشيخ رحمه الله ، حيث كان يحدوه الأمل والتفاؤل ـ فى حال عصره ـ أن يحصن رجال الأمة بدرع الإسلام وحفظه ، وكان تخوفه على رجال الغد ترك فريضة أو سنة !! ولكن حال ما بعد عصره قد انتهى لا إلى ذلك فحسب ، بل عداه إلى هتك الحرمة للفريضة والسنة ، فى غير تَحرُّجْ ولا تأثُم .. بل فى ادعاء واغتصاب وافتراء .

ومن خلال تقريرات الشيخ محمد شاكر نلمس جوانب عظيمة فى القيم المنهجية والإعدادية لطلب العلم وما يتصل به أو يتفرع عنه ، ومن هذه الجوانب :

١ ـ الكتاتيب أو المكاتب الإسلامية التى تعد الصبيان الصغار للانتساب للمعاهد الدينية بحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب مع تجويده ، ومعرفة احكامه الأولية ، ويؤكد الشيخ حرصه على ذلك فينقل عن مقدمة ابن خلدون قوله : « اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل المِلّة ودرجوا عليه » .

٢ ـ دعوة الأمة والمسئولين فيها إلى التركيز على نوع آخر من التعليم العام لا يلتقى بالمناهج والاختبارات ، أطلق عليه التعليم العام بالدراسة فى المساجد إما حسبة لوجه الله تعالى ، أو بالوظيفة الراتبة لمن يرغب فى ذلك .

وهذه الامكانيات التى اعتمد عليها المسئولون الأولون كانت بسيطة ، يقابلها مجهودات ضخمة فى تنفيذ هذه المهمة الشاقة فى العاصمة الثانية ، ومن ثم نعرف إلى أى مدى كانت النية خالصة والعمل مستقيما ، والنتيجة سارة ..

فقد كان المدرس من علماء الدرجة الأولى بالأسكندرية يتقاضى راتبا شهريا قدره ٥٠٠ قرش خمسمائة قرش ، وفى الدرجة الثانية ٤٠٠ قرش ، أربعمائة قرش ، وفى الدرجة الثالثة ٣٠٠ قرش ، ثلاثمائة قرش ، بينما كان المدرس بالجامع الأزهر فى القاهرة يتقاضى مرتبا قدره ٨٠٠ قرش ، ثمانمائة قرش ..

وهو يعطينا صورة جلية للتضحية الكبيرة فى سبيل تثقيف الناس فى مساجد وجوامع مدينة الأسكندرية ، ومعظمهم (أى العلماء) درسّ حسبة لوجه الله ، والآخرون رضوا بالقليل الذى يسد الرمق فى سبيل نشر العلم والصمود أمام الغزو الفكرى الذى يستهدف الأسكندرية بالذات باعتبارها الثغر الأقرب إلى إيطاليا وفرنسا وغيرهما ..

مكتبة ووثائق معهد الأسكندرية !!

لم نستطع ـ بكل أسف بالغ وحزن عميق ـ أن نحصل على السجلات والدفاتر القديمة والأوراق الخاصة بمشيخة كبار العلماء بالأسكندرية ، فبعد أن رقى آخر عالم كان يتولى أمانتها صارت هذه الوثائق بعيدا عن إدارة العلماء فتوالت عليها تصرفات مشينة لم ترع فيها حق الله تعالى ، ولا حرمة أمانة ، ولا اهتماما بالآثار القومية وما بها من وثائق تاريخية على جانب عزيز من الأهمية ، فبيعت بثمن بخس لشركات الورق مقابل ستة مليمات فقط لكل (كيلو) من هذه

الوثائق التى لا تقدر بمال ، وكاد يمتد التبديد الشائن إلى مكتبة المعهد ، وفعلا ضاع منها بعضها أثناء نقل المكتبة من (سراى عمر طوسون) بحى (محرم بك) الشهير بـ (غيط الصعيدى) إلى مقر المعهد الجديد بأرض (سموحة) عام ١٩٦٥ .

ومكتبة معهد الأسكندرية بها مجموعة كبيرة من الكتب ، منها مخطوطات نادرة ، وربما فريدة من نوعها فى فنون العلم المختلفة ، وبعضها نفدت طبعاته منذ مدة طويلة ، والمكتبة فى حاجة ملحة إلى رعاية سريعة لها تهتم أول ما تهتم بتصوير المخطوطات على « ميكروفيلم » بعد ترميمها وتجليدها ثم النظر فى تلفيات الرطوبة وغيرها تلك التى زحفت على الكثير من هذه المخطوطات بل الكتب المطبوعة أيضا .

تزويد المكتبة بالكتب :

وكانت المكتبة تزود بالكتب من ثلاثة مصادر :

أولها : النَسْخْ ، حيث يقوم نُسَّاخُ الكتب بكتابة عدة نُسَخْ من المخطوط الواحد ، الذى كاد يهلك ومن ثم كان للنَسْخِ أهمية كبرى لزيادة عدد النُسَخ من المخطوط الواحد ولتجديد شباب المخطوطات النادرة الفريدة من ناحية أخرى .

ثانيها : عن طريق الشراء ، حيث ترصد ميزانية لشراء الكتب ، أو يتبرع بعض الموسرين وأهل الخير من أهالى الأسكندرية بمبلغ من المال لشرائها ، أو عن طريق الوقف الخيرى لشراء الكتب وترميمها وتجليدها ، خدمة لطلاب العلم[١٦] بالمعاهد العلمية الإسلامية .

ثالثها : الإهداء ، حيث يقوم العلماء قبل وفاتهم بإهداء مكتباتهم الخاصة إلى معهد الأسكندرية أو بوصية بعد مماتهم ، فيقوم ورثتهم بإهداء مكتبة والدهم الخاصة إلى مكتبة المعهد ، ويوجد من النوْع الثانى مكتبة فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحفيظ الشناوى إمام وخطيب جامع القائد إبراهيم بالأسكندرية ، وهى المكتبة الوحيدة التى أهديت إلى المعهد من أبناء العلماء[١٧] .

أعلام معهد الأسكندرية !!

خرّج معهد الأسكندرية ومازال يخرج علماءً أعلاما خدموا الحركة العلمية فى الأسكندرية خاصة وفى مصر وغيرها من بلدان العالم عامة ، وإذ لم نستطع الحصول على السجلات والوثائق لبيعها لشركات الورق ، فإننا استطعنا بالحديث مع كل من الأستاذ عبد اللطيف العزازى والأستاذ محمد إبراهيم الشيمى وكيلى معهد الأسكندرية أن نحصل على مجموعة من الأعلام خريجى المعهد ومنهم بالإضافة إلى شيوخه الذين تحدثنا عنهم سالفا :

ـ البقيـة ص ١٢٨٣

(١٦) راجع ما كتبناه عن دراسة وثيقة علي بن سليمان الأبشادى بوقف كتب وأدوات كتابة على رواق الريافة (أهل الريف) بالجامع الأزهر ، فى مجلة الأزهر ـ عدد ربيع الأول سنة ١٤٠٣ هـ (الباحث) .

(١٧) أهديت مكتبة الشيخ عبد الحفيظ الشناوى لمعهد الأسكندرية سنة ١٩٨١ م بعد وفاته عن طريق ابنائه ، الذين اشترطوا على المعهد ان توضع فى مكان بارز داخل دواليب وكُتبيَّات ، وأن يوضع اسمه عليها بصورة مشرفة تتناسب مع كفاحه الوطنى ..

رسل الأزهر

في بلاد النيجر

أخذت مدينة نيامى زخرفها وازينت ، واعلن على الملأ نبأ اعتزام رئيس جمهورية فرنسا « چورج بومبيدو » القدوم إلى البلاد يوم ٢٤ يناير ١٩٧٢ ، فى زيارة رسمية تستغرق ٤٨ ساعة . واستعدت حكومة النيجر استعداداً خاصاً لهذه المناسبة الاستثنائية والهامة ، مناسبة زيارة اول رئيس فرنسي للبلاد منذ الاستقلال ، فاعلنت يوم وصوله عطلة رسمية فى طول البلاد وعرضها .

وينبغى ألا ننسى أن النيجر من دول (الفرنكوفون) ، وأنها برغم استقلالها عن فرنسا عام ١٩٦٠ إلا أن كل مصالحها ، سياسية كانت أم اقتصادية أم ثقافية أم عسكرية ، مازالت مرتبطة بفرنسا ارتباطاً وثيقاً ، وما يقال عن النيجر ينطبق بطبيعة الحال على جميع دول غرب أفريقيا الفرنسية (باستثناء غينيا التى اختار رئيسها أحمد سيكوتورى الاستقلال عن فرنسا منذ البداية ، فكان أن عوقب بسحب فرنسا كل معوناتها له مما أصاب بلاده بالشلل الكامل) .

فاللغة الفرنسية هى اللغة الرسمية فى البلاد ، والعملة المتداولة هى الفرنك الأفريقى المرتبط نقدياً بالفرنك الفرنسى (الفرنك الفرنسى يساوى ٥٠ فرنكاً أفريقياً) .

ثم أن ميزانية الدولة السنوية تتكفل فرنسا بموازنتها .

والسفير الفرنسى هو عميد السلك الديبلوماسى الأجنبى ، كما أن المستشارين الفرنسيين منبثون فى جميع الوزارات والمصالح .

كذلك فإن جيش النيجر مسلح بمعرفة الحامية الفرنسية ..

وهذا بالإضافة إلى أن خطوط الطيران المحلية فى غرب أفريقيا هى « اير افريك » التى تعد فرعاً من فروع شركة الطيران الفرنسية « اير فرانس » ، وكلها تصب فى باريس مباشرة ، (ولنتصور أننى أريد أن أسافر من النيجر إلى دولة مجاورة ، فلا أجد طائرة تنقلنى إلا عن طريق باريس ومنها للدولة المجاورة !!) .

كما أن السوق التجارية فى النيجر وبالأخص فى مادة اليورانيوم ، هو فى قبضة الاعتبارات الفرنسية . ففرنسا هى المصدر الأول للنيجر . وهى المستورد الأكبر منها .

وأخيراً وليس آخراً فالهلال الأحمر اسمه هناك الصليب الأحمر ..

السيد السفير
جمال الدين محمود ابو العيون

وبالجملة كانت النيجر حتى ١٩٧٢ منطقة من مناطق النفوذ الفرنسى برغم الاستقلال الرسمى الذى حصلت عليه ..

تلك هى صورة مصغرة للأوضاع فى النيجر فى ظل زيارة الرئيس بومبيدو المرتقبة ..

ولقد استعدت الجالية الفرنسية بالنيجر ـ وهى جالية قوية وتقدر بعشرات الألوف ـ للترحيب بالرئيس الفرنسى ، وبعض أفراد هذه الجالية يقيمون هناك بصفة مؤقتة ، مثل الموظفين الرسميين بالحكومة النيجرية ، ومثل الشبان المجندين الذين تخيرهم حكومة فرنسا بين أداء الخدمة العسكرية فى فرنسا أو قضاء سنوات الخدمة فى دول (الفرانكفون) حيث يمارسون مهنهم الأصلية كالطب أو الهندسية أو التدريس بأمر تكليف .. أولئك هم المستوطنون المؤقتون ..

لكن هناك نسبة كبيرة جداً من الجالية الفرنسية تقيم فى النيجر ، وفى شمال وغرب افريقيا منذ أجيال .. وكثير منهم ولدوا فى افريقيا ، ومعظمهم لم يروا فرنسا قط ، وإنما سمعوا عنها ، وهم الذين يطلق عليهم اسم « ذوى الأقدام السوداء » ، وهؤلاء هم اشرس طبقة من المستثمرين ، لأنهم يرون انهم أصحاب المصالح الحقيقية فى البلاد ، وأنهم أصحاب الفضل فى تحضرها ورقيها وازدهارها ، ويقولون متباهين فى تبجح .. انظروا إلى الشوارع الفسيحة ، وإلى الحدائق الجميلة ، وإلى الأبنية الانيقة ، وإلى الأسواق النظيفة .. وانظروا إلى المطارات والمصانع والمستشفيات والمدارس بنيناها بعرقنا وجهدنا ، ولولانا نحن لبقيت أفريقيا فى ظلام الجهل والفقر والتخلف » ناسين أو متناسين انهم إن فعلوا ذلك فلمصلحتهم الشخصية .. ولرفاهيتهم هم .. لا لمصلحة ولا لرفاهية أهل البلاد الأصليين الذين مازالوا يعيشون بسببهم فى أدنى مستوى يمكن أن يعيش فيه البشر .

ولقد تزامنت زيارة رئيس فرنسا مع افتتاح مطار نيامى الجديد الضخم الذى أنشىء على طراز أفريقى جميل ، والذى قيل فى وصفه أنه يسبق احتياجات البلاد بعشر سنين على الأقل .

كما تزامنت الزيارة كذلك مع حاجة النيجر لتمويل اتفاقياتها الاقتصاية مع فرنسا ، وبخاصة (اتفاقية اليورانيوم) المجحفة ، حيث تشتريه فرنسا من النيجر ، بفضل احتكارها لمناجمه ، بأبخس الأسعار ، فى حين تلح النيجر فى رفع سعره لسد حاجات البلاد المتزايدة ، ـ خاصة ـ وقد أصيب النيجر وجيرانها الأفريقيات بالجفاف الشديد لقلة سقوط الأمطار خلال السنوات السبع الأخيرة .

لذلك ، فإنه على الرغم من الاستقبال الحافل ، والرعاية المكثفة التى أعدتها حكومة النيجر للضيف الكبير ، فقد شابت الزيارة بعض القلاقل ، وظهرت لافتات عدائية ، وقذف البعض موكب الرئيس الفرنسى بالبيض الفاسد والطماطم ، الأمر الذى حدا بالحكومة إلى القاء القبض على أعداد من الشباب المثقف والمشتبه فى ميولهم اليسارية ، وإن سرى همس بين

رسل الأزهر

الكواليس أن هذه المظاهرات كانت من تدبير بعض غلاة المستوطنين الفرنسيين ، ممن أزعجهم احتمال تساهل الرئيس الفرنسى مع حكومة النيجر بالنسبة لبعض مطالبها .

كذلك قيل من بين ما قيل : إن إحدى السفارات التى يقلقها تقارب النيجر من فرنسا كانت وراء محاولة تشويه الزيارة .

أما من جهة السفارة المصرية فهى لم تجد غضاضة فى مجاملة حكومة النيجر ، وكذا سفارة فرنسا ، التى كانت حريصة على كسب ودها وعلى حسن التفاهم بيننابرغم اختلاف مفاهيمنا معها فى كثير من المواقف فاتفقنا مع إدارة شركة النصر على إضاءة أنوار العمارة ليلاً حتى تبدو فى أجمل زينتهاأثناء الزيارة ، فكانت مساهمة طيبة قابلتها حكومة النيجر وسفارة فرنسا والجالية الفرنسية بالتقدير والامتنان .

وعاد بومبيدو إلى بلاده ، وظلت أصداء الزيارة تتردد إلى حين ، ومعها شعار الثورة الفرنسية « الحرية والإخاء والمساواة » الذى ظل فى النيجر شعاراً معلقاً بين السماء والأرض ..

أمراض القلوب - بقية

رياء وتصنعا ، وبين ما يخفيه حياء من ضميره والمجاهرة به .

وأول مضعفات الشعور بالتبعة حديث (الدجاجلة) من سماسرة الدعوة الاجتماعية وهم فى حقيقة الأمر أعداء المجتمع .

يقولون : الحطام به فساد
وهم فسدوا وما فسد الحطام

والحق أنه يتعين على كل غيور على دينه أن يتأهب لدفع الشبهات ، وكأنى أشعر فى قرارة نفسى بتخطيط يستهدف النيل من الإسلام ، وأَنْ نُصاب ونحن متحفزون للخطوب ، متقلدون عدتنا للشدائد ، خير من أن نصاب ونحن وادعون لا نتوقع هولا من الأهوال ، ولا تخطر لنا الشدة على بال .

ومن العجيب أن نرى غوثا من العناية الإلهية يُساق إلى معترض أمين ليذكر العناية الإلهية نفسها !

ومن نكد الدنيا أنك لا تزال ترى المصلحين حيث ترى نفسك ، لا تفقدهم فى مكان ، ثم لا يزيد الأمر بهم إلا فسادا ، لأنهم مصلحون بالتشبه والتقليد ، يبحثون عن الفساد فى الأرض حتى يَجدوه أو يُوجِدُوه ، ولا يتخذون من الوقائع ما يتخذه العلماء من تجاربهم ، ينكرون الوقائع ، ويتشبثون بالأحلام والأوهام التى لا تروج إلا فى سوق المتاجرة ، ومن خسر نفسه وربح الدنيا ، فلا قيمة لكل ما جناه .

إن مهمة الفرد أن ينظر إلى حال نفسه ، فإن التطلع لما بَطَن فيه من العيوب خير من التطلع إلى ما حجب عنه من الغيوب .

ولابد للمناقش من خطوة ضرورية يدحض بها مذهب الشك الذى يتلجلج فى صدره إزاء بعض المدركات العقلية ، والحياة لا يعزيها أن تعلم أنها منتهية ، وإنما يُعزيها أن تشعر بالخلود ، وفى مفهوم العقل : ذكاء ومعرفة وإرادة ونوازع ومشاعر وإدراك بالحواس ، واستنباطات رياضية وخيال وتذكر وعشرات الجوانب الأخرى ، وفى القرآن : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

أ . د/ محمد عبدالمنعم القيعى

إنشاء الأسطول الإسلامى
لأول مرة فى التاريخ

للــواء . أ . ح
محــمـد جــمـال الدين محفوظ

● من ابرز صفحات تاريخ الامة الإسلامية أن المسلمين ـ بعد عصر النبوة ـ اقتحموا مجال الحرب البحرية وهو مجال جديد عليهم ، وادخلوا السلاح البحرى وحرب الاساطيل فى استراتيجيتهم العسكرية لاول مرة فى التاريخ .

● وليس ذلك فحسب ، بل إن المسلمين استوعبوا هذا الفن الحربى الجديد بسرعة فائقة وجودوا فيه وأضافوا إليه حتى استطاعوا أن يواجهوا أقوى أساطيل زمانهم وهو الأسطول البيزنطى فيهزموه فى معركة ذات الصوارى سنة ٣٤ هجرية ، وسجل التاريخ بذلك نهاية السيطرة البحرية البيزنطية وبداية عصر القوة فى تاريخ البحرية الإسلامية .

العرب والبحر :

● وقبل الإسلام لم يكن العرب يعرفون ركوب البحر إلا ما كان من سفائن ممالك حِمْيَر وسبأ فى أيام التبابعة لأنهم كانوا أهل تجارة فى البر والبحر[١] ، أما عرب الحجاز فكانوا يخافون ركوب البحر ، وليس ذلك بمستغرب من قوم قضوا حياتهم فى صحراء قفراء ، لا سبيل لها إلى البحر ، ولا مصلحة لهم عنده ، إذ كانوا يستغنون عن البحر بطريق البر فى التجارة والانتقال بين شبه الجزيرة والشام ومصر ، يقول ابن خلدون : « والسبب فى ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا اول الأمر مَهَرة فى ثقافته وركوبه (أى البحر) والروم الإفرنجة لممارستهم احواله ، ومَرْباهم فى التقلب على اعواده ، مرنوا عليه واحكموا الدراية بثقافته »[٢] .

←

(١) جورجي زيدان : التمدن الإسلامي جـ ١ ص ٢١٣ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٠ .

انشاء الأسطول اسلامى

● وقد كان الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ متخوفاً من البحر ، وكان يحرص على الا يفصل بينه وبين المسلمين ماء ، فبعد فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص (قائد فتح مصر) أن صِفْ لى البحر ، « فكتب إليه أن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف ، دود على عود ، فأوعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه »[٣] .

● ولما أراد عمرو بن العاص ان يجعل الأسكندرية عاصمة القطر ، كتب إلى الخليفة بذلك فسأله الخليفة : « هل يحول بينى وبين المسلمين ماء ؟» فقال : « نعم ياأمير المؤمنين إذا جرى النيل » فكتب إليه : « إنى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف ، فلا تجعلوا بينى وبينكم ماء ، وانزلوا موضعاً متى اردت أن اركب إليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت .»

● هذه الرهبة من البحار هى التى جعلت الفتوحات الإسلامية خلال السنوات العشرين الأولى (العراق والشام ومصر) تنحصر فى ميادين البر دون البحر .*

بناء الأسطول ضرورة استراتيجية :

● لكن المسلمين سرعان ما ادركوا من تطور احداث الفتوح والدروس المستفادة منها أن بناء أسطول إسلامى ضرورة استراتيجية حيوية :

(١) فخلال سنوات الفتح بين عامى ١٣ إلى ٣٠ من الهجرة (٦٣٤ ـ ٦٥٠ م) لم يجد المسلمون عدواً لهم فى معاركهم أقسى من البحر وما يأتى منه من أخطار ، فبينما كانت مدن الشام الداخلية تتساقط دون عناء كبير ، كانت موانىء الساحل تصمد طويلاً وتتحمل الحصار بسبب إمدادها المستمر عن طريق البحر ، ومن ذلك على سبيل المثال أن قيسارية لم تسقط إلا بعد حصار سبع سنوات من جمادى الأولى سنة ١٣ إلى شوال سنة ١٩ من الهجرة[٤] .

(٢) وبينما كانت مدن الداخل تخضع للمسلمين بعد فتحها وتسلم إليهم مقاليد ولائها ، كانت مدن الساحل دائمة الفتن والثورات والاضطرابات بسبب تحريض الروم (بيزنطة) ووجود اتصال بحرى بينها وبين تلك المدن ، حتى تمكنت مدن كثيرة منها أن تنشق بمعونة الأسطول البيزنطى عن الحكم الإسلامى ، ومن ذلك مدن صيدا وجبيل وعرقة فى الشام ، والأسكندرية فى مصر ، كما كانت جزر قبرص

---

(٣) نفسه : ص ٢٢٠ .

* .. وللجلة الأزهر فى هذا الأمر كلمة :
إنه لا خوف ولا رهبة عند العرب من البحر ، وأن كل هذه النصوص مجتمعة لا يؤخذ منها بحال رهبة عرب الحجاز ، أو شمال الجزيرة ـ من ارتياد البحر ، فأين غاب عنا كلمة سيدنا سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ».
إنما الأمر ـ يومئذ ـ كان حتمية طبيعة الأحداث ... هذه الأحداث التي اقتضت أن يُحَارِبَ المسلمون فى مؤتة واليرموك فلا يركبوا بحرا ، فأما إذا اقتضى الأمر عبور البحر فقد عبروه والحاكم عمر بن الخطاب ، وذلك لفتح بعض مدائن فارس ، ونحن ـ جميعاً ـ نعلم أن خالد بن الوليد خاض بجنده نهرا .
إنما كان عمر ـ رضى الله عنه ـ حريصاً على أن تكون جيوشه بعيدة عن احتمال هجوم بحري عليها ، كما كانت طبيعة الأحداث تقتضي دربة المسلمين أولاً على صناعة السفن ، ثم دربتهم على الدفاع عنها ، وممارسة آلات هذا الدفاع وإلا فإن عمر نفسه كان (غطاساً) يقول لابن عباس ـ وهو أشبُّ منه : « تعال : اباقيك فى الماء لنرى : أيُّنا أطول نفساً » ، ولابن خلدون منزلته ، وكذلك لكلامه فى العرب مقال .

* فأما كون الفتوحات الإسلامية ـ خلال السنوات العشرين ـ تنحصر فى ميادين البر ، فتلك أيضاً طبيعة الأحداث ، وإلا ، فهل كان على المسلمين أن يتركوا حرب الروم ـ فى فلسطين ـ مثلاً ثم يركبوا البحر المتوسط ليحاربوا الروم فى القسطنطينية ..؟! اللهم لا ...

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

وصقلية وسردينيا مسرحاً لحملات متواصلة بين الطرفين يتبادلونها من وقت لآخر .

(٣) وكان الأسطول البيزنطى ـ عندما يدرك استحالة المقاومة والصمود أمام الحصار الإسلامى على الموانىء فى الشام ومصر ـ يتولى إجلاء الجنود والمدنيين منها لحمايتهم من ملاحقة المسلمين ، فكان المسلمون حين يدخلونها يجدونها خالية تماماً من السكان ، ومن ذلك على سبيل المثال ما حدث فى طرابلس حين حاصرها المسلمون ، فلما اشتد الحصار على أهلها « اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم يسألونه أن يمدهم ، أن يبعث إليهم بمراكب يهربون فيها إلى ما قبله ، فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلاً وهربوا ، فلما أصبح سفيان (هو سفيان بن مجيب الأزدى قائد قوات الحصار) وكان يبيت كل ليلة فى حصنه ويحصن المسلمين فيه ثم يغدو على العدو ، وجد الحصن الذى كانوا فيه خالياً فدخله »[٥] .

(٤) ثم إن شواطىء الدولة الإسلامية امتدت من طرسوس شمالاً إلى برقة جنوباً (أكثر من ١٥٠٠ ميل) وهذه الشواطىء الطويلة تواجه تهديداً خطيراً من البيزنطيين وأساطيلهم ، فكان لابد من حمايتها والدفاع عنها ضد الغزو البحرى .

من أجل هذه الأسباب كان إنشاء الأسطول البحرى الإسلامى ضرورة استراتيجية .

مراحل إنشاء الأسطول :

● **المرحلة الأولى : استخدام غنائم المسلمين من البحرية البيزنطية .**

فقد تمكن المسلمون من إنشاء « نواة » الأسطول الإسلامى مما غنموه من السفن البيزنطية خلال فتوح الشام ومصر ، يقول أرشيبالد لويس : « كما أن العرب ، بفضل استيلائهم على دور الصناعة البيزنطية فى الأسكندرية وسورية سليمة ، استطاعوا أن يكونوا لديهم سفناً حربية إما جاهزة أو من السهل بناؤها ، وكانت تحت أيديهم ـ فضلاً عن ذلك ـ السفن التجارية التى يملكها السوريون والمصريون وهى مما يمكن استخدامه فى أغراض الحرب مع ما يكفيها من ملاحى تلك الثغور الخبيرين بشئون الملاحة »[٦] .

● **المرحلة الثانية : صناعة السفن :**

وبدأ المسلمون فى صناعة السفن فى دور الصناعة فى الشام ومصر ، يقول فيليب حِتّى : « وكان (أى معاوية بن أبى سفيان) قد ظفر فى عكا بأحواض بيزنطية لبناء السفن وافية التجهيز ، فعمد إلى تشغيلها بحيث غدت الأولى من نوعها بعد دار الصناعة فى الأسكندرية ، وكانت أحراج لبنان آنئذ غضة ، فكانت تمد هذه الصناعة بالخشب اللازم ، وقد نقل الأمويون هذه الأحواض إلى مدينة صور »[٧] .

ويقول البلاذرى : « وكانت الصناعة (صناعة السفن) بمصر فقط ، فأمر معاوية بن أبى سفيان بجمع الصناع والنجارين ، فجُمعوا ورتبهم فى السواحل وكانت الصناعة فى الأردن بعكا .. وكانت لرجل من ولد أبى معيط بعكا أرحاء (أرض واسعة) ومستغلات فأراده هشام بن عبد الملك على أن يبيعه إياها فأبى المعطى ذلك عليه ، فنقل هشام الصناعة إلى صور »[٨] .

←

(٥) نفسه : ص ١٢٩ (وكانت طرابلس تضم ثلاثة حصون مجتمعة) .
(٦) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ص ٩٠ ترجمة أحمد محمد عيسى .
(٧) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان جـ ٢ ص ٢٤
(٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٠ .

← انشاء الأسطول اسلامى

● **الإفادة من الخبرات البحرية فى الشام ومصر :**

لقد كان للشام ومصر تاريخ عريق فى ميدان البحر سواء فى التجارة أو الحرب ، فكان من الطبيعى أن يفيد المسلمون من الخبرات البحرية فى هذه البلاد وكان ذلك من أكبر العوامل التى ساعدت على بناء الأسطول الإسلامى ، وفى ذلك يقول ابن خلدون : « فلما استقر المُلك للعرب ، وشمخ سلطانهم ، وصارت أمم البحر خَوَلاً لهم (أى تابعين لهم) وتحت أيديهم ، وتقرَّب كل ذى صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية فى حاجاتهم البحرية أمماً ، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، استحدثوا بُصَراء بها (أى خبراء) فشرهوا إلى الجهاد فيه (أى البحر) ، وأنشأوا السفن فيه والشوانى[9] وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وامطوها (أى أركبوا فيها) العساكر والمقاتلة لمن وراء البحار من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب والأندلس »[10]

● **غرس « الوعى البحرى » فى نفوس المسلمين :**

وخلال خلافة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أخذ معاوية بن أبى سفيان والى الشام فى تقوية حصون الساحل الشامى ومدنه ، وإنشاء الرباطات البحرية فيها وتدعيمها ، ثم جعلها قواعد هجوم وإغارة ، بعد أن كانت أماكن حصينة للدفاع والاحتماء ، فلما تولى عثمان بن عفان رضى الله عنه الخلافة ، بدأ معاوية فى سياسته البحرية فى البحر المتوسط ، فشجع الناس على سكنى السواحل لتنمية ملكة حب البحر وركوبه لديهم ، ومما ساعده على ذلك أن عثمان بن عفان نفسه وافق على منح كل من يقيم فى السواحل قطعة أرض ليستغلها ويظفر بخيرها ، فعمرت السواحل بذلك ، ولم يعد المسلمون يخشون خطر البيزنطيين أو عدوانهم ، وهذا بفضل وجود الجيوش والحاميات بصفة دائمة فى هذه المدن أو الموانىء الساحلية للدفاع عنها ، إلى جانب قوات الهجوم والإغارة ، وكان كل من يتخلف عن غزو العدو تؤخذ منه أرضه وتعطى لغيره ممن يقيم فى السواحل[11] .

ويقول البلاذرى : « فتح عبادة بن الصامت والمسلمون معه انطرطوس ، وكان حصناً ثم جلا عنه أهله ، فبنى معاوية انطرطوس ومصّرها وأقطع بها القطائع ، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس »[12] .

قوة الأسطول الإسلامي وإنجازاته :

● ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الأسطول الإسلامي الناشيء في ممارسة العمليات البحرية التي اشتملت على نوعين من العمليات :

(١) النوع الأول عمليات الإغارة البحرية وغزو الجزر التابعة للبيزنطيين والتي تشكل تهديداً مباشراً للشام ومصر مثل قبرص وكريت

(٩) الشوانى :جمع شينى أو شانى أو شينية أو شونة ، وهي السفينة الحربية الكبيرة التي يتكون منها الأسطول الإسلامي ، ويستدل من النصوص التاريخية العديدة أن الشينى هو الأصل الذي يتفرع منه أسماء السفن الحربية الأخرى ولواحقها ، فكل سفينة حربية : « شينى » تحمل إسماً معيناً يدل على وظيفتها ، فمنها الغراب والطريدة والجفنة والحراقة .. إلخ (راجع درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ـ جامعة الاسكندرية ١٩٧٤).

(١٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢٠ .

(١١) صابر محمد دياب : دراسات في التاريخ الإسلامي ص ١٨ .

(١٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٥ .

وصقلية ومالطة وسردينية وأرواد وقد بدأت هذه العمليات في عام ٢٨ للهجرة بغزو قبرص .

(٢) والنوع الثاني ، هو المعركة البحرية ضد الأسطول البيزنطي مثل معركة ذات الصوارى التي هزم فيها الأسطول البيزنطي عام ٣٤ هـ[١٣] ، وتعد هذه المعركة مفخرة البحرية الإسلامية بكل المقاييس ، فقد غيرت مجرى تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، لأن أهم نتائجها الاستراتيجية انتهاء عصر السيادة البيزنطية في البحر المتوسط ، وبروز المسلمين كقوة مؤثرة ذات ثقل عسكري وسياسي واقتصادي في عالم هذا البحر .

● ويضيف ابن خلدون كيف كان للأسطول الإسلامي السيادة والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط وكيف أوقع الرهبة في أساطيل الأعداء وأرغمها على أن تلزم حدودها فيقول : « وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه (أي البحر المتوسط) من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية ، لا يعدونها ، وأساطيل المسلمين قد ضَرِيَت عليهم ضراء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعدداً واختلفت في طرقه سلماً وحرباً ، فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح (أي سفن)[١٤] .

الدروس المستفادة :

ولابد أن نستخلص من هذه الحقائق التاريخية الدروس التي ينبغي أن نتدبرها ونسترشد بها في سعينا نحو النهضة الحضارية المنشودة :

أولاً : التطور وبناء القوة الذاتية :

● لقد أدرك المسلمون بعد عصر النبوة أن افتقارهم إلى القوة البحرية يضعف سلطانهم على السواحل الإسلامية أمام قوة بيزنطة البحرية ، ويعيق حركتهم لنشر الدعوة ، وكانت أمامهم لتصحيح هذا الوضع تحديات جسام :

(١) فهم رجال بادية لا يعرفون ركوب البحر فضلاً عن القتال فيه .

(٢) وعدوهم الرئيسى «قوة عالمية كبرى » لديها قوة بحرية منحتها السيادة في البحر الأبيض المتوسط حتى أصبح يسمى بالبحيرة الرومانية أو البحر الرومي كما يقول ابن خلدون[١٥] .

(٣) وعنصر الزمن « ليس في صالحهم » ، فهم « في حالة حرب » مع هذا العدو ، يفتحون من الأراضي التي تحت يده أغلاها وأغناها ، فهو لابد وأن يسعى بكل ما أوتى من قوة نحو استرداد تلك الأراضي ، ومنعهم من بناء قوتهم البحرية من ناحية أخرى .

● لكن المسلمين - أمام هذه التحديات الجسام - لم يقفوا مكتوفي الأيدي ، بل « اقتحموا » مجال الحرب البحرية وبناء الأساطيل ، مدفوعين بأقوى الدوافع النفسية والمعنوية :

(١) فقد رأوا - دون انتظار لنص موجه -

←

(١٣) سوف نتناول معركة ذات الصوارى البحرية في بحث قادم إن شاء الله .

(١٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٢١ (ومعنى « ضريت عليهم ضراء الأسد على فريسته » أن أساطيل المسلمين كانت تطارد أساطيل الأعداء) .

(١٥) نفسه : ص ٢١٩ .

أن كتابهم لا يعلو في عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج .

(٢) وعملوا بأمر ربهم : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠) ، وفهموا مغزى هذا الأمر وعملوا بمقتضاه وهو ألا يدع المسلمون الفرصة لعدوهم لكي يتفوق عليهم في القوة ، وإلا أصبحت قوتهم « مفرغة من قوة الردع التي ترهب أعداءهم » فيتعرضون للهلاك .

(٣) وادركوا ـ كذلك ـ أن مقتضى هذا الأمر أن يتطوروا في بناء قوتهم وفي تركيبها وأساليب استخدامها وأسلحتها لكي تناسب روح العصر الذي تعيش فيه والظروف والأحوال الاستراتيجية التي تحيط بها .

ثانياً : ضرورة تجاوز مرحلة « نقل التكنولوجيا » :

● لم يجد المسلمون حرجاً في أن يستعينوا بغيرهم في حاجاتهم البحرية ، لكنهم لم يقفوا عند حدود « النقل » بل تجاوزوها حتى كانت لهم ـ بعد فترة قصيرة من الزمن ـ خبراتهم الخاصة في كل مجالات الحرب البحرية ، وذلك مطلب حيوى لكل أمة تقتضي ظروفها الاستراتيجية أن تأخذ عن غيرها من الأمم شيئاً من المعارف أو الخبرات بشرط ألا يكون ثمن ذلك هو « التبعية » لهذا الغير ، وذلك هو السبيل الصحيح إلى بناء « القوة الذاتية » التي ترهب الأعداء .

● ولقد حقق أجدادنا المسلمون الأوائل هذا المستوى بطرق تستحق الدراسة :

(١) السرعة الفائقة في « استيعاب » المعارف واكتساب المهارات الجديدة ، وإذا كان المسلمون في النصف الأول من القرن الأول الهجري قد فعلوا ذلك ، فإن المسلمين اليوم مطالبون بذلك بصورة أشد وأقوى ، فالتقدم والتطور في عصرنا بالغ السرعة ، وملاحقته « سباق مع الزمن » ، والنصر في الحرب لمن يسيطر « قبل » خصمه ، بل « وأكثر منه » على العلم والأساليب العلمية والعملية للقتال وإدارة الصراعات ، وقد شهد المؤرخون الأجانب لأجدادنا بسرعتهم الفائقة في الاستيعاب فيقول فلهاوزن[١٦] :

« إن العرب استبدلوا الصحراء والجمل ، بالبحر والمركب في سرعة مدهشة ».

(٢) ولم يكتف المسلمون باستيعاب المعارف البحرية بسرعة ، بل مضوا في طريق التقدم والارتقاء حتى أصبحوا « خبراء » في فنون الحرب البحرية كما يقول ابن خلدون ـ كما ذكرنا ـ : « استحدثوا بصراء بها »، وواصلوا التفكير والبحث حتى كانت لهم أساليبهم الخاصة التي استخدموها في القتال البحري فكانت من أهم عوامل انتصارهم على أعدائهم ، يقول

(١٦) علي فهمي شتا : القوة البحرية الإسلامية ص ٧٨ .

أرشيبالد لويس في معركة ذات الصواري البحـرية : « ويبـدو أن انتصـارهم (أي المسلمين) جاء نتيجة لخطط غير عادية ، إذ ربطوا سفنهم بعضها إلى بعض بسلاسل ثقيلة ، فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم ، واستخدموا في تلك المعركة خطاطيف طويلة يصيبون بها صواري وأشرعة سفن الأعداء الأمر الذي انتهى بكارثة بالنسبة للبيزنطيين »[١٧].

الشيني
سفن الأسطول الإسلامي

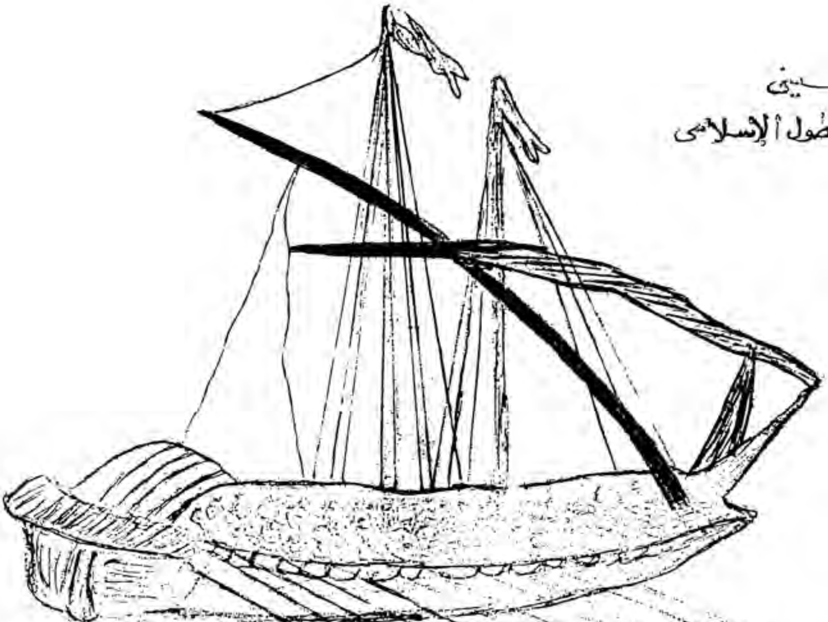

(سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية لوحة ٤٨ ص ٤٧١)

(١٧) أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ص ٩٢ .

الفتاوى

فى الحج وأركانه

س أ : ما أركان الحج ، وما الذى يفسده ؟
ب : من هم الصابئون . ؟
محمد السيد إسماعيل
المعهد التجارى بالزقازيق

جـ أ : أركان الحج أربعة عند المالكية والشافعية والحنابلة ـ وهى الإحرام والطواف للإفاضة ، والسعى بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة وزاد الشافعية ركنين على الأربعة الحلق أو التقصير ، وترتيب الأركان :

وقال الأحناف : للحج ركنان : ١ ـ الوقوف بعرفة ـ ومعظم طواف الإفاضة .

ويفسده ترك ركن من أركانه . وخاصة الوقوف بعرفة فى وقته المعين . وكذلك يفسده الجماع قبل طواف الإفاضة عند المالكية ـ وقال الأحناف : الجماع يفسد الحج إذا كان قبل الوقوف بعرفة . فإن الحج عندهم لا يكون قابلاً للفساد بعد الوقوف بعرفة ، فإذا فسد الحج كان عليه أن يستمر فى إتمامه فاسداً ـ عند الأربعة وعليه دم ـ شاة فأكثر ـ والحج فى عام قادم .

وقال الحنابلة : يفسد الحج بالجماع قبل التحلل الأول ويتحقق برمى الجمار والحلق ، وكذلك الحال عند الشافعية .

جـ ب الصابئون : هم عبدة الكواكب أو عبدة الملائكة .

تقبيل الحجر الأسود

س ٢ : ما الحكمة فى تقبيل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : الحجر الأسود ؟!
احمد محمود ـ البدارى

جـ ٢ : إن الإسلام لم يأمرنا بالتمسح بأى موضع ، بل إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يغلق كل باب يخشى منه الفتنة .

لهذا : قال عليه الصلاة والسلام : « لا تتخذوا قبرى وثناً يعبد » .

وقال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجداً » .

ولقد سار صحابة رسول الله على هذا المنهج ، فهاهو عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقطع شجرة الرضوان التى بايع المؤمنون رسول الله تحتها فى الحديبية ، تلك الشجرة التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم حيث قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

إعداد: على حامد عبد الرحيم

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ .

لقد قطعها عمر - رضى الله عنه - حين علم أن بعض الناس يذهبون إليها للتبرك .

أما تقبيل الحجر الأسود فهو أمر « تَعَبُّدِى » والأمور التعبدية امتثال محض لله ، ولا نبحث عن علتها ، ولذا قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه فى شأن الحجر الأسود : إنى لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

الفرق بين المكى والمدنى

س ٣ : ما الفرق بين الآيات المكية والآيات المدنية

احمد عبد العال - العقال البحرى - البدارى

جـ ٣ : هناك أمارات وخصائص تميز المكى من المدنى - غالباً - مايأتى :

أولاً : إن الآيات المكية تتحدث عن الآتى :

١ - الإيمان بالله واليوم الآخر ، وتصوير الجنة والنار ، والحديث عن الكون وقوانينه .

٢ - النشأة الأولى للإنسان وعن آدم وحواء - ومراحل خلق الإنسان ، وغرائزه وصفاته النفسية .

٣ - قصص الأنبياء والأمم السابقة ، وتصوير مصير الضالين المكذبين ، ومصارع الجبابرة والمتألهين : كما يغلب عليها قصر الآيات وكثرة السجع ، وكثرة التشبيه والأمثال ..

ثانياً : إن الآيات المدنية تتحدث غالباً عن :

١ - التحدث عن دقائق التشريع فى الأحكام والحدود والفرائض والجهاد والسلم والحرب - والمعاملات والعبادات ذات الطابع الاقتصادى كالزكاة والحج .

٢ - ذكر المنافقين وبيان أحوالهم وفضائحهم وسائر شئونهم .

٣ - مجادلة أهل الكتاب ومناقشتهم فى عقائدهم - كما تؤكد على إخلاص العبودية لله ، وتوضح صورة التعامل الصحيح بين المؤمنين كما يغلب عليها طول الآى والأطناب .

وهناك اصطلاحات للمكى والمدنى :

١ - إن المكى : ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، والمدنى : ما نزل بالمدينة ويدخل فى مكة ضواحيها - كالمنزل - فى بدر وأحد .

٢ - المكى ماوقع خطابا لأهل مكة وعليه يحمل ما صدر بلفظ ياأيها الناس أو يابنى آدم والمدنى : هو ما وقع خطابا لأهل المدنية وعليه يحمل ما صدر بلفظ ياأيها الذين آمنوا لأن الكفر غالب على أهل مكة كما أن الإيمان غالب على أهل المدينة .

٣ - أن المكى ما نزل قبل هجرة النبى - والمدنى ما نزل بعده هجرة النبى - وهذا هو المشهور .

حكم الاستمناء باليد

س ٤ : بعد إن انتشرت ظاهرة العادة

السرية بين الشباب ـ نرجو بيان حكم الإسلام فيها ـ وكيف الإقلاع عنها . ؟
ف . ا . ا جرجا
ا . ف ـ م ـ كلية العلوم ـ الزقازيق

جـ ٤ : أن العادة السرية ـ عادة مستهجنة ـ وقد رسم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطريق أمام الشباب الذى يخشى ثوران الغريزة ولا يجد ما يستطيع به الزواج ، فلم يصف لهم الاستمناء باليد ، وإنما : قال صراحة وهو الذى لا ينطق عن الهوى : فقال : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ـ البخارى ـ

وجاء فى جامع أحكام القرآن للقرطبى ـ عامة العلماء على تحريمه وقال بعض العلماء ـ إنه كالفاعل بنفسه ، وهى معصية أحدثها الشيطان .

ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها .. وإن قال به قائل ..

وقال ابن كثير رحمه الله : إن الشافعى ـ رحمه الله ـ ومن وافقه على تحريم الاستمناء بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين .

وقد قال : ﴿ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ .

فعلى الشاب المؤمن أن يجاهد نفسه ، ويراقب ربه ، ويكثر من الصيام الذى يقوى ملكة التقوى والمراقبة فى نفس المسلم .

اخراج الزكاة قبل موعدها

س ٥ : هل يجوز إخراج الزكاة قبل أن يحول عليها الحول . وإذا كان المال فى تجارة فما نصاب الزكاة وما مقدارها . ؟
ع . ر خفاجة

جـ ٥ : نعم يجوز إخراج الزكاة قبل حولان الحول . فقد أجازها الشافعية والأحناف والحنابلة لحديث على ـ رضى الله عنه ـ « أن العباس ابن عبد المطلب سأل النبى صلى الله عليه وسلم فى تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له فى ذلك ـ رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى .

وقال المالكية : لا يجوز تعجيل الزكاة قبل الحول .

قال ابن رشد ـ وهو من المالكية ـ وسبب الخلاف : هل هى عبادة أو حق واجب للمساكين ؟

فمن قال : إنها عبادة وشبهها بالصلاة لم يجز إخراجها قبل الوقت ، ومن شبهها بالحقوق الواجبة المؤجلة أجاز إخراها قبل الأجل على جهة التطوع .

والمال المتخذ فى التجارة تجب فيه الزكاة ـ وتسمى زكاة العروض إذا حال عليه الحول وبلغ نصاب الزكاة بعد تقويمه فيجب فيه ربع عشر قيمته ، لما رواه أبو داود والبيهقى عن سمرة بن جندب قال :

أما بعد : فإن النبى صلى الله عليه وسلم : كان يأمرنا ان نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع .

من أعلام الأزهر

الشيخ حسن خالد

الدكتور محمد أنيس عبادة

الشيخ حسن خالد

شهيد المبدأ والعقيدة

الموت حق على كل كائن .. والنهاية قدر على كل حيّ .. ولكل اجل كتاب .. مات مفتي لبنان .. ورحل الشيخ حسن خالد .. مات ليحيا .. وغاب ليبقى .. وارتقى بروحه إلى الملأ الأعلى .. لينتظم بين صفوف الصديقين والشهداء والصالحين وحُسن اولئك رفيقاً .. وليطير باجنحته في علياء المحشر ودماؤه اطيب من ريح المسك .. ولئن كان كل الخلق يحاسبون يوم القيامة فإن الشهداء لا يحاسبون بل تُفتح لهم ابواب الجنان فيدخلون من ايها شاءوا ..

﴿ ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلوا في سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِين ﴾ ..

فطوبى لهؤلاء الذين كتبوا بدمائهم الحمراء على صفحات التاريخ البيضاء .. آيات بينات .. من المجد والفخار .. والعز والإكبار .. هؤلاء الذين تظل ذكراهم باقية في مسمع الوجود .. عَبر الأزمان والقرون .. أنشودة طيبة مجيدة .. يُغنيها الدهر .. ويُفردها الزمن .. وتُرتلها الايام .. فتطرب لها الآذان .. ثم الويل لتلك الايادي الآثمة الغاشمة التي امتدت بالعدوان الظالم على النفس الطيبة الطاهرة البريئة التي كانت تفيض بالمبرات .. وتتندى بالمكرمات .

إنها الفتنة المسعورة الحاقدة لا تُبقى ولا تذر ..

إنها النار المتأججة المشتعلة تأكل اليابس والأخضر ..

إنها الجائحة الجامحة الجانحة التي تُخرِّبُ وتُبيد ..

إنها الأعاصير الهوجاء التي لم ترحم الشيخ أو الوليد ..

إنها الجهالة العمياء العوجاء التي تضرب السلام بمطارق من حديد ..

عرفتُ الشيخ حسن خالد شاباً فتياً .. يوم اتى من لبنان يحمل من وطنه رقته ووداعته .. ويعكس جماله وجلاله .. ويُترجم مجده وبهاءه .. يوم أن جاء إلى وطنه الثاني .. مصر الغالية الحبيبة ـ كما كان يسميها ـ فكان سعيداً بنهرها العظيم .. بشعبها المجيد .. بتراثها العريق ..

بقلم: جابر حمزة فراج

بأزهرها العتيق .. ذلك الصرح الشامخ الذي فتح أبوابه لكل قاصد .. وتدفقت ينابيعه لكل ظامىء .وفى ظلال هذه الدوحة الوارفة الندية .. نَمَتْ مواهبه .. ونَصَعتْ عبقريته .. وصار فريداً بين أقرانه بفهم اللغة والتمكن منها صياغة واستيعاباً .. وبحفظ القرآن تلاوة وتجويداً .. حتى كان إذا قرأ بكى وأبكي .. وكأن كل شيء حوله يبكي .. فلقد كان ـ رحمه الله ـ حسن الصوت .. عميق التأثير لدرجة تذيب القلوب .. لما فيه من وقار وخشوع ..

قضى شطراً من حياته في رحاب الأزهر .. متردداً بين أروقته العديدة .. ومكتبته الغنية العريقة .. فعكف على الكتب والمجلدات الزاخرة بأنواع المعارف والعلوم .. حتى استغرقت منه وقته وراحته .. أخذ يعب من مناهل العلم ولا يرتوى .. ويعطي من كنوز قلبه ولا ينتهي .. تفتحتْ أزاهير عبقريته في مصر .. فأشرقتْ في لبنان .. ثم تألَّقتْ في ربوع العالم ..

كان مثالاً طيباً لطالب العلم لما يتمتع به من دقة الفهم .. وسلامة الذوق .. ورفاهية الحس .. وعمق الإيمان .. وثبات اليقين .. ثم عاد إلى لبنان يحمل بين جوانحه ما تلقاه في رحاب الأزهر من علوم الدين والدنيا .. واشتغل هناك بالقضاء الشرعي قاضياً يحكم بالقسط والعدل بين الناس .. فوضع الحق في نصابه .. وصار مضرب الأمثال في الأمانة والنزاهة والنقاء .. ثم شق طريقه بقلبه المشرق .. وضميره الحي .. ووجدانه السليم .. حتى اختاره العلماء لمنصب الإفتاء .. ولريادة المسلمين السنيين في لبنان .. فظل يشيد بمصر وأزهرها في كل مكان وزمان .. وأخذ بأيدي الحيارى في متاهات الحياة إلى واحة الأمان

والإيمان .. شهدتْ له المنابر بالمواقف والمواعظ .. فنبرات صوته تخرج كالنغم الصادر من الوتر الحنون .. وحديثه يصعد من الأعماق .. ليتسلل إلى الأعماق .. وكلماته تطفر من القلب لِتصُبَّ في القلوب .. كان ـ رحمه الله ـ لا يُحمَل على الكلام حَملا .. ولا يُدفَع إليه دفعاً .. وإنما إحساس داخلي يستثيره ويثيره .. يستفزه ويستحثه .. ثم يكون العطاء تنبع الفكرة من ضميره ولا تنساق إليه من أحد .. عرفه الناس جميعاً في لبنان حراً أبياً عزيز النفس .. لا يهتم بمنكب يترنح خيلاءً .. أو رأس يشمخ كبرياءً .. أو قامة تتمطى غروراً وادعاءً .. يقول ما يمليه عليه إيمانه .. وما يقتنع به وجدانه .. مع طهارة القلب .. ونظافة اليد .. وعفة اللسان .. ليس بينه وبين الناس إلا ما يتسم الطابع الإنساني النبيل .. يقابل التحامل بالتسامح .. والتجاوز بالابتسام .. والإساءة بالصفح ..

←

الشيخ حسن خالد

لقد اهتم - رحمه الله - بالتعليم الديني اهتماماً بالغاً .. وتعهد طلاب العلم بالرعاية الكاملة والعناية الشاملة .. وأرسلهم في بعثات إلى الأزهر الشريف .. ليرتشفوا من ينابيعه الدافقة ليعودوا إلى لبنان هداة مرشدين .. كما أصدر مجلة الفكر الديني .. توجه المسلمين توجيهاً رشيداً وتعرفهم بأحكام دينهم الحنيف .. فكان لذلك أثر بالغ في التوعية والتهذيب .. كما حرص - رحمه الله - على تدريس الثقافة الإسلامية في جميع المدارس ..

عرفته وعرفه المسلم وغير المسلم بالاعتدال والاستقامة .. والتواضع والزهد .. لم تخدعه الدنيا ولم تبهره الحياة .. فلا تراه إلا عابداً يتبتل .. وداعيا يتوسل .. كان رمزاً للسلام في لبنان .. ينادي بالصلح والوفاق في كل مكان .. ويطالب دائماً بتطهير البلاد من كل الأجانب والدخلاء .. وأعطى للناس جميعاً صورة وضيئة عن الإسلام بأنه دين المحبة والإخاء .. دين الأمن والاستقرار .. دين البذل والعطاء .. إن كل الذين عرفوا الشيخ حسن خالد عرفوا فيه دماثة الخلق .. وصفاء النفس .. ويقظة الضمير ..

كان محباً لوطنه .. وحب الوطن من الإيمان .. فلقد وقف في صلابة وصمود ضد فكرة تقسيم لبنان إلى دويلات ومقاطعات حتى لا يصير نهباً للمطامع والأغراض .. كما أنه لم يلجأ إلى العنف الطائفي .. أو التعصب العقائدي .. ابتعاداً عن الحروب الطاحنة .. والمعارك الساحقة إذ كان من الممكن لديه تكوين الجيوش والميلشيات وطلب الإمدادات .. لكنه رفض بكل إباء إزهاق الأرواح وإسالة الدماء وكل مظاهر العدوان والإفساد .. ليقدم بذلك البرهان الصادق والعملي للعالم أجمع بأن الإسلام هو دين المحبة ودين الإنسانية ودين المجتمع .. فتألقتْ شخصيته في إطار من الفضيلة والسماح والوقار ..

وهذا وذاك شأن المسلم الحقيقي ..

فالمسلم الحقيقي .. لا يَحيف لأنه العدل .. لا ينحرف لأنه الإنصاف .. لا يَضعُف لأنه القوة .. لا يتذلل لأنه العزة .. لا يُهون لأنه الكرامة .. لايَخُون لأنه الأمانة .. لا يَغدُر لأنه النزاهة .. لا يكذب لأنه الصدق .. لا يظلم لأنه الحق ..

لقد ظل - رحمه الله - طوال الأحداث دامع العين .. جريح القلب .. مكلوم الفؤاد .. على لبنان الشهيد الذي اندثرت معالمه .. وضاعت ملامحه .. وسالت دماء ضحاياه على التراب .. على لبنان الذي امتلأت آفاقه بالسموم والدخان والرصاص فألحقت به الدمار والخراب .. على لبنان الذي تمزقت وحدتُه .. وتوقفت مسيرته .. لبنان الذي تغيرت أحواله .. وزال جماله .. وتشرد أبناؤه فذاقوا مرارة الحرمان والعذاب .. على لبنان الذي ذبلت وروده .. وجفت زهوره .. وناحت طيوره على أشجار طمسها الركام والضباب .. على لبنان الذي كانت تغمره البهجة .. وترفرف على أبنائه السكينة فاختنقوا بالمخالب والأنياب .. هكذا كان الشيخ الراحل .. يستعرض الصور الأليمة .. والمواقف المريرة .. والمصير المظلم .. فتتصاعد أنفاسه غصة كاوية .. وزفرةً لاهبة .. ويذوب فؤاده حسرة وأسى على تلك المأساة الدامية التي وهب حياته للقضاء عليها .. ليعود إلى لبنان رونقه وبهاؤه .. وجماله وصفاؤه .. ثم يعود فيقول :"ليس لها من دون الله كاشفة".

ولا عجب أن احتشد لبنان بكل طوائفه لتشييع جثمانه الطاهر .. وقد ذابت القلوب .. وانهمرت الدموع .. يبكون فضائله وشمائله .. يبكون سماحته ووداعته .. يبكون صفاءه ونقاءه .. يبكون جلاله ووقاره .. يبكون طهره وعفافه .. ونحن معهم .. ولا نقول إلا ما أمر به ربنا : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ..

العالم الجليل الأستاذ الدكتور

محمد أنيس عبادة

وطرف من تاريخ حياته

إعداد الأستاذ

ناصر محمود وهدان

كانت بداية الشيخ العلمية ، من وقت حصوله على شهادة « العالمية الدكتوراه » بعد مضى عشرين عاماً من التعليم والبحث المتواصل .

.. إنه الشيخ العلاّمة الدكتور / محمد أنيس عبادة .

.. التقيت به فى منزله بحى مصر القديمة فَأَمْلَى عَلَىَّ طرفاً من تاريخ حياته ، وأذن لى فى نشره ، وختمه بتوقيعه فقال عن :

* حياته | مولده ونشأته |

.. وُلِدتُ فى بلدة ، بير عمارة التابعة لمحافظة الشرقية فى أوائل عام (١٩١٢م) أى فى (١٧ يناير ١٩١٢م) وكان التعليم فى ذلك الوقت يقوم به الفقهاء فى الكتاتيب ، فقد كان للكتاتيب فى القرى دور بارز فى الاهتمام بكتاب الله الكريم حيث كان الشيوخ الذين يحضرون العلم فى الأزهر يعودون إلى بلادهم وهم على درجة من العلم والتقوى ، ويحبسون أنفسهم على تحفيظ القرآن الكريم مع ماتعلموه فى الأزهر .. وبعد بلوغى سن السادسة من عمرى أخذنى والدى محمد عبد العزيز سلامة إلى كُتَّاب الشيخ (محمد البنا) فى بلدة (السعيدية) التى تبعد عن بلدة بير عمارة بنحو كيلو تقريبا ، حيث انتظمت فى هذا الكُتَّاب ست سنوات حفظتُ فيها القرآن الكريم ، ومجموع المتون الخاصة بعلم التجويد ، والفقه والتوحيد ، وبقية المتون الجامعة لعلوم السنة الأولى بالأزهر . فقد كان هذا الجيل من بعض الشيوخ يحضر علوم الأزهر ، ويعود إلى بَلَدِه ليُحفِّظ أطفال بلده وما جاورها كتاب الله تعالى ومتون العلوم التى درسها فى الأزهر رحمهم الله تعالى .

.. وكان حظى أن اكون أحد الأولاد الذين تعلموا على أيديهم .

* تعليمه | القسم الابتدائى والثانوى |

.. وانتظمتُ فى الدراسة الأزهرية فى مسجد

الدكتور محمد أنيس عبادة

من مساجد القاهرة ، وهو مسجد (إبراهيم اغا) بجوار القلعة . وكان نظام الالتحاق بالتعليم الأزهرى يسبقه عدة أختبارات للطلاب المتقدمين .

أولها : الكشف الطبى ـ فكان يُوقَّع عليهم الكشف الطبى للتأكد من خلوهم من الأمراض المعدية .

ثم يمتحنون فيما يحفظونه من القرآن الكريم .

ومن ينجح فى الكشف الطبى ، واختبار القرآن الكريم يلتحق بالسنة الأولى من التعليم الابتدائى الأزهرى وكان على عهدنا أربع سنوات .

وتقدمت ضمن الطلاب المتقدمين للالتحاق ، وحضرت السنة الأولى بمسجد « أغا » بالقلعة ، نجحت فى السنة الأولى من القسم الابتدائى بالأزهر سنة ١٩٢٥م .

.. وكانت المعاهد الأزهرية فى ذلك الوقت محصورة فى معهد طنطا والاسكندرية ومصر ثم افتتح على عهدنا معهد الزقازيق ، الذى اختص بطلاب محافظتى الشرقية والدقهلية ، ثم جاء الملك فؤاد بعد ذلك وافتتح معهد أسيوط الذى اختص بطلاب الوجه القبلى .

.. وفى بداية السنة الثانية من القسم الابتدائى حولت أوراق الطلاب من الشرقية ـ وأنا منهم ـ والدقهلية إلى معهد الزقازيق لإتمام الدراسة حتى آخر سنين القسم الثانوى ، وكانت مدته خمس سنوات .. وفى عام ١٩٣٣م حصلت على الشهادة الثانوية الأزهرية .

فى كلية الشريعة بالقاهرة

الشهادة العالية

.. ثم التحقت بعد ذلك بكلية الشريعة

بالقاهرة ، فأتممت الدراسة بها ، وحصلت على الشهادة العالية عام ١٩٣٧م ـ وكانت قد أنشئت الكلية أولاً قبل كليتى أصول الدين ، واللغة العربية بسنة كاملة ـ .

نجحت فى هذا الامتحان المنعقد سنة ١٣٥٦ هجرية ، الموافق سنة ١٩٣٧ ميلادية ، وكان ترتيبى فيها السادس من مجموع الناجحين ، وعددهم ثمانون من المبصرين المنتسبين ، وذلك فى عهد شيخ الجامع الأزهر آنذاك فضيلة الشيخ الجليل / محمد مصطفى المراغى رحمه الله .

* شهادة العالمية

.. وقد أنشىء قسم تخصص المادة لتخريج علماء للدراسة بنفس الكلية يختار له المتقدمون من الطلاب من نفس الكلية مباشرة . وكانت مدة الدراسة فى هذا القسم ـ قسم التخصص ـ سبع سنوات متواصلة فى البحث العلمى الشاق للحصول على درجة الأستاذية (الدكتوراه) فى فرع علمى معين .

وبعد مُضى المدة المذكورة ، أُجرى الامتحان النهائى لشهادة العالمية فى سنة (١٣٦٤هـ) ، وحصلت على شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول ، فى عهد الملك فاروق ، وترى نصها :

« براءة بمنح شهادة العالمية

من درجة أستاذ فى الفقه والأصول »

من فاروق ملك مصر بعناية الله تعالى إلى حضرة الأستاذ الشيخ محمد أنيس محمد محمد عبادة سلامة الحنفى المذهب من بير عماره بمركز بلبيس بمديرية الشرقية .

رفع إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ما أقره المجلس الأعلى للأزهر فى (٢٣ صفر ١٣٦٥هـ ـ ٢٧ يناير سنة ١٩٤٦م) من نجاحكم فى امتحان شهادة العالمية من درجة أستاذ فى الفقه والأصول الذى أجرى فى سنة ١٣٦٤هـ .

لذلك أمرنا بإصدار براءتنا الملكية هذه من ديواننا بمنحكم هذه الشهادة مع حقوقها التى تخولكم إياها القوانين والأوامر المتبعة ، نفع الله الناس بعلمكم ، ووفقكم لما فيه الخير .

تحريراً بسراى القبة الملكية بالقاهرة فى اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى لسنة ألف وثلاثمائة ، وخمس وستين من هجرة خاتم المرسلين ، وفى السنة العاشرة من حكمنا .

الختم

صدر بأمر مولانا الملك المعظم(*)

وقد نجح معى فى هذا التخصص أربعة من إخوانى هم فضيلة المرحوم الشخ / محمد حسن فايد الذى تولى منصب رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، وفضيلة الشيخ / محمد مصطفى شلبى عضو مجمع البحوث الإسلامية الآن ، وفضيلة المرحوم الشيخ / زكى الدين شعبان أستاذ الفقه وأصوله بجامعتى عين شمس والكويت .. وهم من الأزهريين الذين نشروا علم الشريعة فى بلاد المسلمين .

* التدرج الوظيفى

عُيِّنْتُ مدرساً فى معهد دمياط عام (١٩٤٥م) ، ومكثتُ فيه عاماً واحداً ، نُقِلتُ بعده إلى مشيخة علماء الاسكندرية مدرساً للفقه الإسلامى سنتين هما عام ١٩٤٦م ، ١٩٤٧م ، ثم احتاجت كلية الشريعة بالقاهرة إلى أساتذة فى علم الأصول ، وكان نظام الاختيار أن يؤخذ خمسة من المتقدمين فى الشريعة فى الفقه الحنفى ، ومثلهم فى الشافعى ، وكذلك مثلهم فى الفقه الملكى ، وأيضا خمسة فى الفقه الحنبلى إذا وجدوا .

المهم نقلت من معهد الاسكندرية إلى كلية الشريعة عام ١٩٤٧م مدرساً للفقه وأصوله ، وتاريخ التشريع ، وهى العلوم التى تخصصت فيها بالكلية . وكان ذلك مع زميلى : المرحوم الشيخ محمد حسن فايد رحمه الله تعالى واشترك معنا الشيخ المرحوم زكى الدين شعبان .

ولكثرة المقبلين من الطلاب على هذه المادة قسمنا الطلاب إلى فصول ثلاثة ،وقمنا بوضع منهج موحد لهم فى علم الأصول شامل لسنى الدراسة الأربعة . واخترنا كتاب (التنقيح) وشرحه (التوضيح) لعبيد الله بن مسعود الملقب

←

* صدق على هذه البراء فضيلة الأمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى ٢٣ من صفر ١٣٦٥ هـ ـ ٢٧ يناير ١٩٤٦ م ، وسجلت فى الكلية برقم (٦)

ـــالدكتور محمد أنيس عبادة

بصدر الشريعة . وظللنا نُدرِّس هذا الكتاب للطلاب مع مواد دراسية أخرى .

وفى البداية واجهتنا مشكلة « إنخفاض نسبة النجاح الكُلِّية للطلاب ، تلك التى لم تتجاوز الـ ٢٥٪ فاجتمعنا ـ أساتذة القسم ـ سوياً وأخذنا نبحث عن الأسباب وكيفية تداركها ، فكان من أهمها : صعوبة فهم لغة الكتاب بأقسامه ، والثانية : إن الطالب حينما ينتقل من جزء من الكتاب إلى الذى يليه ينسى القسم السابق منه . واشتركنا سوياً فى وضع الحلول وكان من أهمها : تبسيط لغة الكتاب وشرحه بلغتنا مع وضع الحواشى والتعليقات اللازمة ، فكان فى ذلك تخفيف للطلاب ورفع لنسبة نجاحهم فى هذه المادة .

وبحكم عملى كأستاذ جامعى انتدبت للعديد من الكليات لتدريس الفقه وأصوله لطلاب وطالبات الدراسات العليا حتى أُحِلتُ إلى المعاش عام ١٩٧٨م . ولا زلتُ أُدَرِّس لطلاب الدراسات العليا بكلية الشريعة كأستاذ متفرغ بها حتى الآن .

* فى كلية أصول الدين

وفى أثناء فترة من عملى انتدبت لدراسة الفقه وأصوله فى كلية أصول الدين ـ قسم الدعوة ـ للأئمة الذين تنتدبهم مشيخة الأزهر للتوسع فى الدراسة حيث يؤدى هؤلاء الأئمة الفتاوى التى يستفتون فى أى بلد يعينون فيه سواء فى مصر والوطن الإسلامي .

* إعداد الرسائل الجامعية

وفى أثناء رياستى لقسم الفقه المقارن بالكلية وبعده أشرفت ـ مع زملائى الأفاضل ـ على رسائل الدراسين ـ فى سائر أبواب الفقه والأصول ، وتاريخ التشريع ، وتحقيق المخطوطات لكبار العلماء المسلمين الأوائل فى هذه العلوم ـ تَقَدَّم فيها أصحابها للحصول على الشهادة العالية « الدكتوراه » رجالاً ونساءاً بلغ عددها نحو الثلاثمائة رسالة لمتخرجين من جميع البلاد الإسلامية بمصر والسودان والسعودية ، وأندونيسيا ، وماليزيا ، والأردن ، وليبيا ، وسوريا ، والعراق ، ولبنان .

وهم الذين عَمُرَتْ بهم الكليات الإسلامية فى هذه البلاد ، وتتلمذ عليهم أساتذة هذا الجيل نفع الله بهم ، وأعانهم على نشر شريعة الله تعالى إنه سميع مجيب . وقد أودعت هذه الرسائل بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة .

* تقنين الشريعة الاسلامية

وهذه مهمة أخرى لا تقل عن سابق المهام العلمية أثراً ، وهى اشتراكى فى لجان تقنين أحكام الشريعة الإسلامية فى جميع أبواب الفقه الإسلامى فى صور مواد « قانونية » لتطبيقها على الحوادث التى تَجِدُّ وتكون المرجع الذى يرجع إليها القضاة المسلمون فى سائر البلاد الإسلامية . وهذه القوانين تعوِّض المسلمين عن القوانين المستوردة التى زُجَّ بها الاستعمار فى حياة المسلمين .

وقد أصدر هذا القرار المرحوم الأستاذ / عادل يونس(1) ، وتولى الرياسة فى هذه اللجنة السيد المستشار / جمال المرصفاوى طول مدة

(١) وزير العدل حينئذ

رياسته لمحكمة النقض ، ومن بعده المستشار / أحمد حسن هيكل رئيس محكمة النقض بعد ذلك ، مع لجنة من كبار رجال القضاة وعلماء الأزهر .

ثم واصلت المهمة لجان من مجلس الشعب برياسة الأستاذ الدكتور / صوفى أبو طالب فأتَمَّتْ اللجنة هذه المهمة الجليلة فى جميع أبواب الفقه من الجنايات (الحدود والقصاص) والمسائل المالية ، والاجتماعية ، واضعة نصب أعينها الفقه من المذاهب الأربعة وغيرها من واقع آرائهم المدونة فى المذكرات الإيضاحية التى دونها العلماء المشتركون فى هذا العمل .

ولقد ساهمت مع أعضاء اللجنة حتى أتممت مهمتها النبيلة ، نسأل الله ـ تعالى ـ قبول عملهم ابتغاء وجهه وإخلاص النوايا جل شأنه .

* الاتجاه العلمى

وقد اجتهدت أن أكتب ـ فى كل علم توليت دراسته ـ كتاباً يُسهِّلُ على طلابى فهم المقررات الدراسية نذكر منها الآتى :

١ ـ كتاب نظام الأسرة :

وهو كتاب فى أحكام الزواج والطلاق ، وبيان سمو التشريع الإسلامى .

٢ ـ أصول الفقه :

بالاشتراك مع زميلىَّ المرحوم فضيلة الشيخ / محمد حسن فايد ، وفضيلة الشيخ المرحوم زكى الدين شعبان ، وقد أَلَّف الكتاب على نظام كتاب التنقيح والتوضيح لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود .

٣ ـ السنة :

بالاشتراك مع المرحومين الشيخين / محمد عيسى الشنتلى ، ومحمد حسن فايد رحمهما الله .

٤ ـ فى علم الأصول :

وهو كتاب يبدأ بالإحكام ومباحثها .

٥ ـ فى العبادات :

وقد وضعتُه حسب المنهج الذى وضعه العلماء لطلبة السنة التأهيلية المرشحين للالتحاق بالكليات الأزهرية من طب وهندسة ، وتربية وزراعة وغيرها ، التى تقبل فيها الطلاب الحائزون على الشهادة الثانوية العامة .

٦ ـ احكام الاحتكار وآثاره :

لطلبة الدراسات الإسلامية والعربية .

٧ ـ المعاملات والبيوع ، وقد جمعتها من فقه الأئمة .

٨ ـ التشريع الإسلامى أهدافه واتجاهاته .

٩ ـ فقه الكتاب والسنة ـ قسم الجنايات .

١٠ ـ من الشمائل النبوية :

وقد جمعت فيه بعض شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم عن جلال الدين السيوطى ـ رضى الله عنه .

١١ ـ الصلاة والصوم :

وتجاوزت ذلك إلى كتابة أركان الإسلام الخمسة .

(الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج) بعبارة سهلة فيها من حكم التشريع وأسراره ، ويقع فى أكثر من (٥٠٠) خمسمائة صفحة .

١٢ ـ تاريخ التشريع الإسلامى :

« ٤ » أجزاء من أول نزول القرآن ، والأدوارُ الخمسة التى تطور فيها الفقه ، وترجمة للفقهاء فى كل دور من التشريع ، والاجتهاد والتقليد ، ومذاهب الأئمة ، وتمييز كل دور من الأدوار بمميزاته ، وبيان صلاحية الشريعة للعموم والخلود .

١٣ ـ العقـــود :

ذكرت فيه موضوع كل عقد وشروطه ، وفرض العين والكفاية ، وعلاقة القانون بالفقه

←

الإسلامى ، والقانون الفرنسى .

١٤ ـ حكم القضاء بالشاهد الواحد ، ويمين المُدَّعى عند الأئمة .

١٥ ـ مدخل لدراسة الفقه الإسلامى :

ذكرت فيه الأحكام الفقهية .

..ومن أهم الرسائل التى نشرها لى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية :

١٦ ـ من كنوز القرآن :

وهو تفسير لبعض الآيات التى تتناول أحكاما شرعية .

١٧ ـ الصوم تربية وجهاد :

وهو كتاب جامع للصوم فى كل موطن شرع فيه .

١٨ ـ عمر والتشريع الإسلامى :

وقد أوجزت فيه نظر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واجتهاداته فى الأحكام المستنبطة من الكتاب والسنة ، ثم بينت أثره فى المدرستين مدرسة أهل الحديث ، ومدرسة أهل الرأى فى كل من المدينة والعراق .

١٩ ـ ملامح العظمة فى حياة النبى ﷺ .

٢٠ ـ فى ولاية القضاء والفتوى :

وهو كتاب تحت الطبع ـ بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ حتى الآن !!

٢١ ـ ولم أنس أن أكتبُ عن أمهات المؤمنين وذكر سيرتهن ، وحكمة تعددهن لتستفيد منهن نساء المسلمين . وهن :

١ ـ خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ .

٢ ـ سودة بنت زمعة ـ رضى الله عنها ـ .

٣ ـ عائشة بنت الصديق ـ رضى الله عنهما ـ .

٤ ـ حفصة بنت الفاروق عمر ـ رضى الله عنهما ـ .

٥ ـ زينب بنت خزيمة ـ رضى الله عنها ـ .

٦ ـ زينب بنت جحش ـ رضى الله عنها ـ .

٧ ـ جويرية بنت الحارث ـ رضى الله عنها ـ .

٨ ـ صفية بنت حُيى ـ رضى الله عنها ـ .

٩ ـ رملة بنت أبى سفيان « أم حبيبة » ـ رضى الله عنهما ـ .

١٠ ـ هند بنت أبى أمية المخزومى « أم سلمة » ـ رضى الله عنها ـ .

١١ ـ ميمونة بنت الحارث الهلالية ـ رضى الله عنها ـ .

١٢ ـ أسماء بنت النعمان الكندية ـ رضى الله عنها ـ .

١٣ ـ عُمرة بنت يزيد الكُلابية ـ رضى الله عنها ـ .

١٤ ـ مريم المصرية « القبطية » ـ رضى الله عنها ـ .

٢٢ ـ وفى الإذاعة :

ألقيت مجموعة من الدراسات الإسلامية باسم « رأى الدين » تقديم كل من المرحوم الشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف ، والمرحوم السيد على السيد ، والسيدة / هاجر سعد الدين .. وكان البرنامج على هيئة سؤال وجواب لكل ما يعرض للمسلم من أسئلة واستفتاءات .

..هذا فضلاً عن المقالات والبحوث العلمية بالمجلات والصحف العربية والإسلامية .

* خاتمة

.. وبعد

هذا هو الشيخ العلاّمة الدكتور / محمد أنيس عبادة ـ مد الله فى عمره ـ وذلك طرفاً من مسيرة حياته العلمية حتى صاحب فيها طلابه وطلابهم ، وطلاب طلابهم ، واستمر ـ ولا يزال ـ فى التلقى عليه أجيال وأجيال .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُمتِّعه بالصحة والعافية والعطاء ، وسائر علماء المسلمين ، آمين .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

دمية الشيطان

أنشودة المسلم

أنا مصر

دمية الشيطان..!

سلمانُ لا سَلِمَتْ يَدَاكَ ولا سَلِمتَ من الزَّلَلْ
من أنتَ فى دنيا العقائدِ والشرائعِ والمِلَلْ؟
أوَ لستَ مُرتدا أثيماً قد تطَاولَ واختَبَلْ؟
أولَسْتَ أفّاقا تَقطّع دون فريته السبل؟
أولَستَ ذيّلا ألبسوه لكفرهم ثوبَ البَطلْ؟
وهجرتَ قومَك وانتميتَ لقاتليك ولم تزلْ
وخلعتَ جلدَك وارتديت مُنافقاً كُلَّ الحُلَل

●●

يادميةَ الشيطان أرضعَك الغوايةَ والخبلْ
ياأيها الصُّعلوكُ مهلاً لن تنَالَ من الجَبَلْ
ستظلُّ قبْضَ الريح فى كفّيك يُقْتُلُكَ الأمَلْ
كَمْ مِن مُضلٍّ حَاقِدٍ نَثر الغُبَارَ وَمَا وَصَلْ
كَم مِنْ «مُسَيلمةٍ» تبدَّدَ فى الظلامِ وكم «هُبَلْ»

●●

قُلْ مَا تَشَاءُ لِمَن تشاءُ وَلا تَمَلَّ مِنَ المَلَلْ
لَنْ يَقْتُلُوكَ فأنتَ فى أمْنِ الحَضَارة تَنْتَقِلْ
مِنْ حَوْلِك الغَرْبُ المضَلِّلُ والتَّعَصبُ والشُّلَلْ
يَستقبلونَكَ بِالوُرُودِ وبالعِنَاقِ وَبالقُبَلْ
مَادمْتَ فى آيَاتِ كفْرِكَ تَستَمِيلُ وَتَبْتَهِلْ
وتَعِيثُ فِى الإسلامِ مِنْ دُونِ العَقَائِدِ والنِّحَلْ

شعر: رشاد محمد يوسف

وتُسيءُ للقرآنِ للذِّكرِ الحكيمِ .. وترتجلْ
وتُسيءُ للمختارِ وهْوَ المُصطفى زينُ الرُّسُلْ
فلقدْ شفيتَ غليلَهُمْ أطفأتَ نيرانَ الغُلَلْ
عِشْ في ضلالِكَ آمنًا تَحْميكَ حاميةُ الدُّوَلْ !!
لا يَشْغَلنكَ ما يُثارُ وما يُقالُ وما حَصَلْ !!
وَقفُوا وراءكَ كالحصونِ يُدافِعُونَ عَنِ الخَطَلْ
قد قلدوك بلا حياء كل أوسمة البطل
يا أيُّها المُتفلسفونَ إلى مَتَى هذا الخَبَلْ ؟
أحضارةٌ سبُّ الرسولِ وصحبِهِ الغُرِّ الأُوَلْ ؟!
أحضارةٌ غسْلُ العُقولِ وحَشْوُها هذا الدجَلْ ؟!
عادَ القراصنةُ القُدامَى بالجديدِ مِنَ الحِيَلْ
يا ليتكُمْ تستيقظُونَ بلا تَراخٍ أوْ كَسَلْ

●●

سلمانُ في زمنِ الغِوايةِ لا حياءَ ولا خَجَلْ
لَنْ يَقْتُلُوكَ وإنَّما تحيَا يُطارِدُكَ الفَشَلْ
دَمُكَ المُدَنَّسُ بالضَّلالةِ والمَفاسِدِ والعِلَلْ
لَنْ يغسلَ القولُ الأثيمُ ويَمْسَحَ الأمْرَ الجَلَلْ
سَتظلُّ تَرْجُمُكَ الحقيقةُ والمَبادئُ والمُثُلْ
وتموتُ كُلَّ دقيقةٍ والرُّعبُ يَسْلُبُكَ الأَجَلْ
أمَّا عنِ الدينِ الحَنيفِ، عنِ البناءِ المُكتَمِلْ
سيظلُّ في وُجْداننا شعلاً تُواكِبُها شُعَلْ
نُورٌ على نُورٍ تُعانِقُهُ المَشاعِرُ والمُقَلْ
نَقْفُو بهِ خَطْوَ الرسولِ ومَا تَسَلْسَلَ أوْ نَزَلْ
ونعيشُ بالإسلامِ تَغْمُرُنَا الهِدايَةُ والأمَلْ

أنشودة المسلم

شعر: مصطفى أحمد دردير

فُطِمْتُ عَلَى هُدَى التَّوْحِيدِ فضلاً ... وَكُنْتُ رَضَعْتُه قَبْلَ الفِطَامِ
فَفِى أَعْمَاقِ شُرْيَانِى سَنَاهُ ... وَفى لحَمِىْ ضِيَاهُ وَفى عِظَامِى
على كَفِىِّ حَمَلْتُ القَلْبَ نُورا ... وسُقت الآىَ فَجْراً للنِّيَامِ
على دَرْبِ الهُدَى والبِرِّ رُوحى ... تُسَافِرُ بَيْنَ دَمْعِى وابْتِسَامِ
وَشَمْسُ الحقِّ تَسْطَعُ فى سَمَائى ... تَشُقُّ بنُورِهَا حَجُبَ الظَّلامِ
تَرانى سَاجِداً فى الليل أبكى ... وفى الإصباح مُمْتَشِقاً حُسَامِى
أَعَفُّ عَنِ الصَّغائِرِ والدَّنايا ... وأُحْجِمُ عَنْ مُجَالسة اللِّئام
أَجُوعُ ولا يَرانى الناسُ أحْنِى ... لغيرِ اللّه رب العرش هامى
وأَسْتَفُّ التُّرابَ أصُونُ عِرْضِى ... وَنْفِسى عَنْ مَقارَفة الحَرامِ
وَلا أَلِجُ العُلا مِنْ غَيْرِ بَابِى ... وَلاَ أُلْقِى إلَى غَيْرِى زِمَامِى
فَلاَ يَحْزُنْكَ أَمْرِى يَاابْنَ أُمِّى ... وأَنىَّ من سهامَ القوم دَامى
وَأَنىَّ قَدْ حُصِرْتُ فَلاَ وَرَائِى ... يُرَى رَهَجُ الخيولِ وَلاَ أمَامى
وَلاَ أنَّ القُصُور قَدِ اسْتُبِيحَتْ ... وقد كنتُ المُمَنَّعَ فى الخِيامِ
ولا أنَّ العِدا بِىَ قَدِ أحَاطُوا ... يُرَجُّونَ الرقىَّ على حطَامِى
فإنى لَمْ أَزَلْ حُرّاً أبِيّاً ... وعَزْمِى لا يُنَالُ أو اعْتِزَامِى
فإنىِّ فى غد سَأجِىءُ سَيْلاً ... يطمُّ فليس يُبْقِى مِنْ رُكَامِ
وخيْلُ اللّهِ سَوْفَ تكِرُّ تتْرَى ... لِتُرْجِعَ مَجْدَ أَسْلافى الكِرَامِ

أنا مصر

للشاعرة وفيقة عواد سلامة

أنـا اختُ الدهر رفيقتهُ ... مذ كنتُ منارة ازمانى
نيلى يتدفق فى يُسْرٍ ... والخيرُ يفيض بشطانى
اهرامى صرحُ لخلودىَ ... تسمو بشموخ البنيان
والمجدُ إزارى وردائى ... قد صيغ بريشة فنان
ابنائى كم ذادوا عنى ... كاسود عند العدوان
كم ذاقوا الموت بترحاب ... بإشارة طرفٍ لِبَنَان
شهدائى احياء دوما ... برحاب كريم رحمن
شهدائى خَطّوا بدماهم ... اسطورة حب وحنان
علمتُ الكون حضارته ... وسبقتُ الكون بعرفانى
والعالم يتلقى عنى ... مذ كنْت : علومى وبيانى
شرفنى الحقُّ وزكانى ... بالذكر باى القرآن
اَرضِى للغازى مقبرةٌ ... وكنانة رب الاكوان
تزهو بسماء صافية ... وبنيل زاهى الشطآن
وبساط مروج ورياض ... وربيع زاه فنّان
اتلقى القادم فى شوق ... وحنان يملا احضانى
وَاُذِيبُ الوحشة عن اتٍ ... واقدم سلوى للعانى
اسعُ الاحرار واجمعهم ... فى باقة حبٍّ وامان
عشاقى سكروا من نيلى ... فرحيقى رى الظمآن
ويغنى الحبُ بقافيتى ... وترا مصرىُّ الوجدان
قد يغفل دهرى احيانا ... ويتوه على الدرب العانى
لكنى انهضُ شامخة ... ازرى بقيود الحرمان
واحطمُ قيدى ثائرةً ... ويتيهُ بفخر إنسانى

قصة الثقوب في العلوم الكونية

٢

ثانياً : الثقوب الكهربية وفيزياء أشباه الموصلات :

تبدأ دراسة البنية الداخلية للمادة الصلبة بالتعرف على تركيب ذراتها وجزيئاتها ، ثم بتحديد النسق الذى ينتظم ترتيب هذه الذرات أو الجزيئات في وحدات بنائية متماثلة يتالف منها البناء البللورى للمادة Crystal Structure Of matter وكما هو معروف ، تتكون الذرة من نواة دقيقة موجبة الشحنة تدور حولها الكترونات تحمل كمية مساوية من الشحنات الكهربية السالبة ، ولهذا تعتبر ذرات المادة الموجودة في الطبيعة متعادلة كهربياً . ويمكن تصنيف المواد الصلبة حسب خواصها الكهربية إلى ثلاث مجموعات رئيسية هى :

١ ـ مجموعة الموصلات Conductors وهى مواد جيدة التوصيل للتيار الكهربى عن طريق الإلكترونات التى تدور في المدارات الخارجية للذرات . ذلك لأن طاقة ترابط هذه الإلكترونات بذراتها تكون ضئيلة لدرجة تكفى لجعلها حرة الحركة من ذرة إلى أخرى في درجات الحرارة العادية ، ومن ثم فإن هذه الالكترونات الحرة Free electrons تُسهم كحاملات للشحنة السالبة في توصيل التيار الكهربى بسهولة عبر هذه الموصلات[1] .

ومن أمثلة هذه المجموعة كل المعادن المعروفة تقريباً ؛ كالفضة والنحاس والألومنيوم وغيرها .

٢ ـ مجموعة العازلات Insulators وهى مواد رديئة التوصيل للتيار الكهربى نظراً لشدة ارتباط الالكترونات بذراتها ، ومن أمثلتها : الخشب والزجاج والمطاط والميْكا وغيرها .

٣ ـ مجموعة أشباه الموصلات ، أو أنصاف الموصلات ، Semiconductors وتشمل العديد من المواد التى تتوسط المعادن Metals والعازلات في خواصها الكهربية ، ومن أمثلتها عناصر الكبريت والجـرمانيـوم والسيليكون والكربون ومعظم أكاسيد المعادن ، بالإضافة إلى العديد من السبائك والمركبات البسيطة والمعقدة .

---

(١) راجع ما كتبناه عن أساسيات ظاهرة الكهربية في مقالنا بمجلة الأزهر ، الجزء الثامن ، شعبان ١٤٠٩ هـ ـ مارس ١٩٨٩ م، ص ٩٣٥ وما بعدها .

أ. د. أحمد فؤاد باشا

وقد بدأت قصة « الثقوب الكهربية » Electric holes مع بداية الاهتمام بدراسة خواص أشباه الموصلات كمجموعة مستقلة ذات خصائص متميزة ، وذلك عندما أُثبت بالتجربة العملية أن توصيل التيار الكهربى يمكن أن يتم فى بعض المواد بواسطة حاملات للشحنة الموجبة ، بالإضافة إلى الالكترونات المعروفة كحاملات للشحنة السالبة(٢) .

وبدا هذا الكشف غريباً فى بادىء الأمر لأن حاملات الشحنة الموجبة التى كانت معروفة حتى ذلك الوقت هى الأيونات المسئولة عن التوصيل الكهربى فى المحاليل الكهربية Electrolytes،(٣) وليس الحال كذلك مع المواد الصلبة التى لا تسمح حالتها بانتقال ذراتها أو أيوناتها فى عملية التوصيل الكهربى . لكن انظار العلماء اتجهت فى العقود الأخيرة إلى الدراسة المكثفة لخواص أشباه الموصلات ، نتيجة لتزايد الحاجة فى مجال الصناعة عموماً ، ومجال تطوير تقنية الأجهزة الالكترونية فى وجه الخصوص ، لمواد جديدة ذات خواص معينة . وكان إدخال مفهوم « الثقوب » إلى جانب الالكترونات أمراً ضرورياً ، وتصوراً مقبولاً من الناحية الاصطلاحية لصياغة نظرية أفضل فى فيزياء الجوامد ، على نحو ما سيتضح من المثال التالى لبللورة السيليكون (Si) .

فعندما تتكون بللورة السيليكون النقى ، تترتب الذرات بنظام معين ثابت مكونة نسقاً بللورياً محدداً(٤) . وإذا علمنا أن ذرة السيليكون تحتوى على أربعة عشر الكترونا ، منها أربعة الكترونات تدور فى الغلاف الخارجى للذرة وتعرف باسم « الكترونات التكافؤ » Valence electrons فإن هذا يعنى أن ذرة السيليكون تمتلك أربعة روابط الكترونية تهيؤها للارتباط بأربع ذرات أخرى من السيليكون فى إطار البناء البللورى الكامل . وتكون كل رابطة بين ذرتين متجاورتين ناتجة عن مشاركة الكترونية ، بواقع الكترون واحد من كل ذرة ، ولذلك توصف هذه الرابطة بأنها رابطة تساهمية Covalent bond وتصبح كل ذرة فى وضع الارتباط محاطة بثمانية الكترونات مشتركة تكفى تماماً لملء حالات الطاقة المتاحة فى الغلاف الإلكترونى الخارجى للذرة(٥)

←

---

(٢) يمكن تحديد نوع وتركيز حاملات الشحنة عملياً بطرق كثيرة من بينها تطبيق « ظاهرة هال » Hall effect التي تقضى بأنه إذا مر تيار كهربي في شريحة من مادة موصلة أو شبه موصلة عمودياً على مجال مغنطيسي ينشأ نتيجة لذلك مجال كهربي إضافي عمودي على كل من التيار والمجال المغنطيسي .

(٣) تسمى المحاليل التي تسمح بمرور التيار الكهربي خلالها بالمحاليل الكهربية ، مثل محاليل الاحماض والقواعد والاملاح في الماء ، وفيها تتحلل المادة إلى أيونات موجبة تتحرك في اتجاه القطب السالب وأيونات سالبة تتحرك في اتجاه القطب الموجب لمصدر التيار الكهربي (البطارية) . وتستخدم ظاهرة التحليل الكهربي هذه صناعيا في طلاء المعادن .

(٤) يعنى علم البللورات Crystallography بدراسة كل ما يتعلق بخصائص التركيب البللورى للمواد المختلفة وتماثل وحداته البنائية وطرائق تعيينه وتحليله عملياً ونظرياً .

(٥) تقضى قواعد النظرية الذرية بأن يتم توزيع الالكترونات حول النواة في أغلفة لا يزيد عددها على سبعة أغلفة يرمز لها بدءاً من النواة بالأحرف الاجنبية Q,P,O,N,M,L,K, ، بحيث لا يمكن أن يتسع الغلاف الاول لاكثر من الكترونين ، والغلاف الثاني لاكثر من ثمانية الكترونات ، والغلاف الثالث لاكثر من ثمانية عشر الكتروناً ، والغلاف الرابع لاكثر من اثنين وثلاثين الكتروناً . اما الاغلفة المتبقية فلا تخضع لهذه القاعدة . كما تقضى النظرية بالا يستوعب الغلاف الالكتروني الخارجي اكثر من ثمانية الكترونات . ترى كم غلافاً مملوءاً بالالكترونات في ذرة السيليكون ؟

قصة الثقوب

ومثل هذه الرابطة التساهمية الكهروستاتيكية تكون قوية إلى حدٍّ ما وتعمل على تقييد الكترونات التكافؤ ، ومن ثم تكون البللورة النقية عازلة للكهرباء في درجات الحرارة المنخفضة ولا تستطيع أن توصل التيار الكهربى إلا إذا ظهرت فيها الكترونات حرة نتيجة لتحطيم بعض الروابط بتأثير طاقة حرارية أو إشعاعية مثلاً .

عند هذه النقطة من الحديث عن اشباه الموصلات نكون قد وصلنا إلى لحظة ميلاد « الثقوب الكهربية » وبداية تسجيل في معجم المصطلحات العلمية . ذلك أن الطاقة الإضافية التي يمتصها شبه موصل سوف تكسر الروابط بين الذرات وتحرر الكتروناتها من القيود المفروضة عليها ، وتكون النتيجة أن كل الكترون يتم تحريره أو انتزاعه من رابطته يخلّف مكانه « ثقبا » Hole ، أو حيِّزا شاغراً . وعندما تفقد ذرة ما الكْترونا حاملاً لشحنة سالبة فإنها تصبح موجبة الشحنة بعد أن كانت متعادلة ، ولذا يمكن القول بأن الالكترون يحمل شحنة سالبة ، بينما يحمل الثقب شحنة موجبة . وبطبيعة الحال يمكن أن يتحرك الكترون مجاور إلى الثقب ويتبادل مكانه معه ، وبذلك تستطيع الالكترونات والثقوب أن تتحرك من ذرة إلى ذرة داخل البللورة ، وإذا ما طبق عليها جهد كهربي فإن تياراً كهربياً سالباً سوف ينشأ من حركة الالكترونات وتياراً كهربياً موجباً سوف ينشأ من حركة الثقوب في اتجاه معاكس . إن وجود الثقوب الكهربية في بللورة ما أشبه بوجود فقاعات هوائية في سائل . وتمتلك أشباه الموصلات النقية ، كما هو الحال في بللورة السيليكون ، خاصية التوصيل الذاتي بالالكترونات والثقوب معاً بأعداد متساوية . لكن الميزة الأساسية لهذه المواد تكمن في أنه يمكن التحكم بدقة في قدرتها على التوصيل الكهربي ، كما يمكن حقْنها أو تطعيمها بمقادير صغيرة من الشوائب لتغليب أحد نوعيْ التوصيل على الآخر : إما التوصيل بالالكترونات ويعرف النوع السالب (س) n-type أو التوصيل بالثقوب ويسمى النوع الموجب (م) P-type .

فعلى سبيل المثال ، عندما تُحقن بللورة من السيليكون بمقدار صغير من عنصر الزرنيخ (As) الذي تحتوي ذراته على خمسة الكترونات تكافؤ ، فإن أربعة من هذه الالكترونات ترتبط بالالكترونات الأربعة لذرات السيليكون المجاورة ، بينما يظل الالكترون الخامس حراً لأنه لا يتلاءم مع الغلاف الخارجي لأية ذرة سليكون . وتكون نتيجة إحلال بعض ذرات الزرنيخ محل بعض ذرات السيليكون في النسق البللورى أن يتوافر عدد من الالكترونات الحرة وتصبح البللورة المشوبة موصلة لتيار من النوع السالب (س) . وبصورة مماثلة ، عندما تزوَّد بللورة السيليكون بكمية صغيرة من عنصر مناسب ثلاثي التكافؤ مثل الإنديوم ، ورمزه الكيميائي In ، فإن البللورة المشوبة ستتضمّن ثقوباً حرة موجبة الشحنة وتصبح موصّلة لتيار غالب من النوع الموجب (م) . إذْ أن الكترونات التكافؤ الثلاثة لذرة الإنديوم يمكنها أن ترتبط بثلاث ذرات مجاورة فقط من ذرات السيليكون ، وبهذا تظل الرابطة الرابعة خالية ، وهو ما يعنى من الناحية الإصطلاحية ان « ثقباً » قد تكوَّن على حساب مكان شاغر لإلكترون . ويمكن لهذا الثقب أن يمتلىء بالكترون من إحدى الذرات المجاورة بعد أن يقطع رابطته بها تاركاً مكانه « فجوة » أو ثقباً جديداً يمكن أيضاً أن يُملأ بالكترون جديد على حساب ذرة أخرى مجاورة وهكذا . وبهذه العملية تكون الثقوب الناتجة عن إحلال شوائب الإنديوم محل بعض ذرات

السيليكون سبباً في غلبة التوصيل الموجب[٦] .

وهكذا يتضح أن « الثقوب الكهربية » ما هي إلا تسمية مجازية اصطلح عليها العلماء اتفاقاً لكي تعبر عن تصوّرهم لما يمكن أن يكون عليه سلوك المادة شبه الموصلة للتيار الكهربي . ومن ثم لا يصحّ أبداً أن ينصرف الذهن إلى الربط التام بين ما يعنيه لفظ « الثُّقب » هنا كمصطلح علمي ذى دلالة خاصة ، وبين ما يعنيه في لغتنا العربية من أنه « الخرق النافذ »[٧] .

أما فيما يتعلق بالثورة التي أحدثتها أشباه الموصلات وتقنياتها في مجالات أبحاث علوم الاتصالات والطاقة والفضاء والقياسات والحاسبات وغيرها فربما يكون لنا عنها حديث آخر بإذن الله .

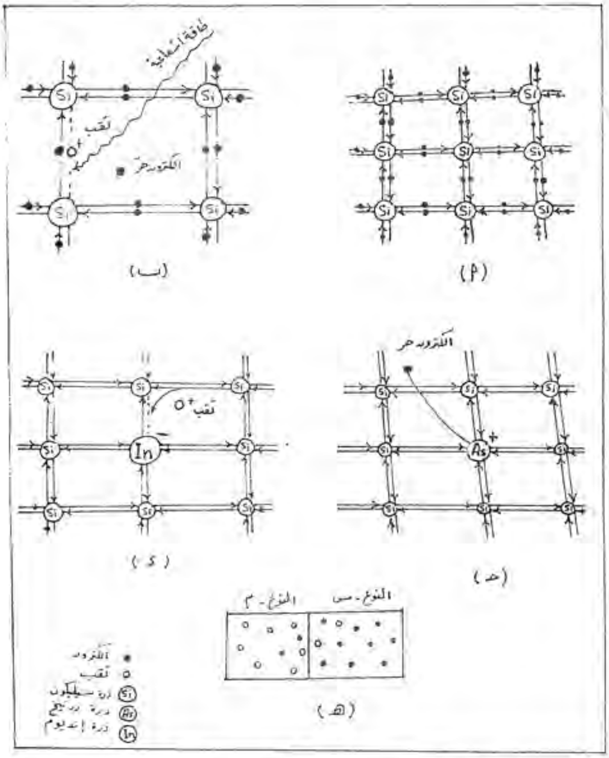

رسم يوضح : (أ) الروابط التساهمية في بللورة نقية من السيليكون .
(ب) تحطيم رابطة تساهمية بتأثير طاقة مناسبة لتحرير الكترون وتكوين ثقب .
(جـ) شبه موصل من النوع السالب (س)، تغلب فيه الالكترونات على الثقوب .
(د) شبه موصل من النوع الموجب (م)، تغلب فيه الثقوب على الالكترونات .
(هـ) وصْلة ثنائية س ـ م تستخدم كثيراً في التقنيات الحديثة .

(٦) يطلق على شوائب التوصيل السالب في أشباه الموصلات اسم « الشوائب المانحة » Donors ، لأن كلا من ذراتها تصبح « أيون موجب » بعد أن توفر الكتروناً حراً دون تكوين ثقوب ، كما في حالة الزرنيخ والسيليكون . أما شوائب التوصيل الموجب فتسمى « الشوائب المستقبلة » Acceptors ، لأن كلا من ذراتها تصبح « أيون سالب » بعد أن تأسر الكتروناً وتوفر ثقباً حرّاً لعملية التوصيل ، كما في حالة الإنديوم والسيليكون .

(٧) راجع الجزء الأول من هذا المقال في العدد السابق من مجلة الأزهر .

طرائف

« رســالة »

كتب سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى ابنه عبد الله فى غيبة غابها :

أما بعد : فإنه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى جلاء بصرك ، وعماد ظهرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسنة له ، ولا جديد لمن لا خَلَقَ له .

« طـاعة اللـه »

شتم رجل أبا ذر ـ رضى الله عنه ـ فقال لشاتمه : لا تغرق فى شتمنا ، ودع للصلح موضعاً ، فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .

« حقــا »

خــلِّ الـذنـوبَ صغـيرهـا
وكبـيرَهـا فـهـو التُّقَــى
واصنــع كمــاشٍ فــوق أر
ض الشــوك يحــذر ما يَرَى
لا تحقِــرَنَّ صــغـيرة
إن الجبـال مــن الحصــى

« كفـى بـك »

قـال ابن عباس :

كفى بك ظالماً ألا تزال مخاصماً ،
وكفى بك إثماً ألا تزال ممارياً ،
وكفى بك كاذباً ألا تزال محدثاً بغير ذكر الله .

إنما الذليل من ظلم

شكا رجل إلى جعفر الصادق أذية جاره فقال له : اصبر عليه .

فقال : ينسبنى إلى الذل .

قال له : إنما الذليل من ظَلَم .

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

« قـالوا ... »

- من جهل قدر نفسه ، كان بقدر غيره أجهل .
- لن يكمل رجل حتى يُؤْثِر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .
- كل قرين بالمقارن يقتدى .
- أهل البلاء هم أهل الغفلة عن ذكر الله .
- ما عوقب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب .
- اللسان أجرح جوارح الإنسان .
- ليس هناك حقد قليل أو حقد كثير .
- العدل جنة المظلوم ، وجحيم الظالم .

« كيـف تصنـع » ؟

قيل للحسن البصري : كيف تصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا ، حتى تكاد تطير قلوبنا ؟ . قال : والله لأن تجالس من يخوفك حتى يدركك الأمن ، خير من أن تجالس من يؤمنك حتى يدركك الخوف !! .

الذكــر

للذكر سبعة أنواع :

- ذكر العينين : البكاء .
- وذكر الأذنين : الإصغاء .
- وذكر اللسان : الشكر .
- وذكر اليدين : العطاء .
- وذكر البدن : الوفاء .
- وذكر الروح : الخوف والرجاء .
- وذكر القلب : التسليم والرضا .

دعــاء

اللهم اغفر لى ذنبى كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسره .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

« حرمة الحج »

فتوى وجوابها

صادرة من لجنة الفتوى بالأزهر

دعا الإسلام فيما يدعو إلى الوحدة والترابط، ونهى فيما ينهى عن الفرقة والشتات، وحذر من البغضاء واتباع وساوس الشيطان.

وشياطين الإنس لا يقلون خطراً عن شياطين الجن، وهم في كل موقع يوسوسون ويزينون.

وليس لهم من هم إلا الإضلال والتضليل، وصرف المؤمنين عن إقامة شعائر الله كاملة.

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتى :

نشطت دعاية الكفار المحاربين في بعض البلاد الإسلامية التى نزلوا فيها، تدعو المسلمين المقيمين فيها إلى تأديه فريضة الحج على أن يستقلوا إلى البلاد المقدسة بواخر هؤلاء الكفار مجاناً . وغرضهم من هذه الدعاية إيهام العالم الإسلامى بأن هؤلاء المسلمين يوالونهم ويخضعون لهم، وأنهم متسامحون مع المسلمين فى دينهم، مع حرصهم على تحويل المسلمين عن دينهم والتضييق عليهم في حياتهم .

ولقد أعرض المسلمون عن هذه الدعاية، ولكن شدة نشاطها وكثرة وسائل الإغراء التى يستخدمونها، والتجاءهم إلى التهديد والضغط، تجعلنا نخشى أن يترك كل ذلك أثراً فى بعض ضعاف الإيمان .

لذلك نتقدم إلى اللجنة الموقرة للتفضل بالإفادة عن السؤال الآتى :

ما حكم المسلم الذى يستمع إلى دعاية هؤلاء الكفار الذين يحاربون بلاده فيذهب إلى الحج على ظهر بواخرهم تاركاً الجهاد المقدس الذى خاضته بلاده ضد هؤلاء الكفار ؛ مع العلم بأن ركوبه باخرة أعداء بلاده وانحيازه إليهم يجلبان ضرراً شديداً لبلاده المسلمة . وخيانة لإخوانه المسلمين الذين لا يزالوان يخوضون غمار الحرب ضد أعدائهم ؛ ومع العلم أيضاً بأن سفره على تلك البواخر يوجب عليه أن يحمل جواز سفر يقرر فيه انتسابه إلى جنسية هؤلاء الكفار ؛ مع الرجاء ببيان حكم حجه وحكم دينه وإيمانه .

محمد زين حسن

رئيس جمعية استقلال أندونيسيا

تقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

الجـــــواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه .

الحج فريضة عينية كتبها الله على كل مسلم مكلف تُيَسِّر له قوته البدنية ومقدرته المالية اداءها إذا لم يكن هناك مانع .

وقد شرعه الله لمصالح كثيرة دينية ودنيوية ، منها ما يعود على الفرد ، ومنها ما يعود على مجموع الأمة الإسلامية .. ومن أهم هذه المصالح تمكين المسلمين بذلك الاجتماع السنوى العام الذى يفدون إليه من مختلف الأقطار من النظر فى مصالحهم الوطنية الخاصة ، ودراسة شئونهم الدينية العامة ، والإتفاق على تكميل ما ينقصهم فى هاتين الناحيتين ، والعمل على ما يرفع شأنهم ويكفل لهم سعادة الحياة فى أوطانهم ، ويضمن لهم الأمن والسلامة فى علاقاتهم مع الأمم الأخرى على أساس من أحكام الدين الحنيف ؛ وهو من أجل ذلك كان من أعظم العبادات ، وأقوى دعائم الإسلام .

غير أنه قد تعرض حالات لا يكون الحج معها مطلوباً بل ولا جائزاً شرعاً . ويتقدر الحكم فى كل حالة بقدرها وعلى حسبها ، فإن من أصول الشريعة التى لا ينبغى الامتراء فيها ما يقضى بأن العمل إذا كان يحصِّل مصلحة ومفسدة وغلبت مفسدته على مصلحته فإنه يكون ممنوعاً شرعاً درءا للمفسدة الغالبة .

وتطبيقاً لهذا المبدأ كان من المُسَلَّم فى نظر الشريعة الإسلامية :

(١) أن الرجل إذا خاف على زوجته الفتنة إذا هو خرج للحج وتركها من غير محرم يحفظها لم يجز له أن يخرج للحج .

(٢) وأن المرأة لا يجوز لها أن تخرج للحج من غير أن يكون معها زوج أو من يؤمن معه جانب الفتنة .

(٣) وأن قائد الجند أو متولى حراسة البلد إذا غلب على ظنه أن تغيبه فى الحج يمكن للعدو أن يتغلب على الجند أو يترتب عليه الاضطراب واختلال الأمن فى البلد ، لم يجز له شرعاً أن يخرج للحج . ولقد أبيح للمجاهد أن يفطر فى رمضان إن لم يكن مسافراً ولا مريضاً إذا غلب على ظنه أن صومه يضعفه عن الجهاد .

ولا ريب أن من هذا القبيل أنه إذا كان أهل بلد إسلامى أو قطر من الأقطار الإسلامية فى مهم دينى أو وطنى وعلم أن خروج واحد أو طائفة منهم للحج يحدث فتنة فى الباقين أو ضعفاً أو اختلافاً يفسد أمرهم ويفرق كلمتهم وتتمزق به جماعتهم ، كان حراماً أن يخرج أحد منهم للحج .

ومن هذا يتضح الجواب على الاستفتاء المذكور ؛ فإنه إذا علم أن سفر جماعة من

←

من روائع الماضي

المسلمين للحج على نفقة عدوهم وفى سفن أعدها لهم يتخذه ذلك العدو وسيلة لفتنتهم وإحداث الانقسام فى صفوفهم وإضعاف شوكتهم ، كان من أعظم المحرمات موافقة ذلك العدو والخروج إلى الحج ؛ وذلك لأن مفسدته تربو على مصلحة أداء الحج . هذا إلى أن فيه موالاة لأعداء الله أو ظهوراً بمظهر هذه الموالاة من غير مصلحة راجحة أو دفع مضرة .

وما مثل الذين يستجيبون لدعوة الأعداء فى هذا الشأن ويخدعون بمظاهر عطفهم المدخول الذى يفرقون به وحدتهم ويركزون به على المسلمين سلطانهم إلا كمثل من مال إلى ممالأة أولئك المنافقين الذين اتخذوا على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسجد الضرار تفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله ، فقد ادعوا أنهم لم يتخذوه إلا لما تتخذ له المساجد من العبادة وإقامة الصلاة ، وكانوا يحلفون أنهم ما أرادوا بذلك إلى الحسنى ؛ ولكن الله فضح أمرهم وكشف عن سوء نواياهم وكيدهم للإسلام والمسلمين ؛ وذلك هو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ . وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى . واللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ .

ثم إن قبول المال للحج به من العدو الذى أراد تفريق المسلمين وإفساد أمرهم من هذا السبيل إثم كبير وجرم عظيم . والحج بذلك المال أكثر شناعة وأعظم إثماً من الحج بمال الرشوة والسرقة والمال المغصوب . ولا شك أن الحج بهذه الأموال غير مقبول .

ومن يعلم حكم الشرع فى هذا ويقدم عليه مُسْتَحِلاً له فهو غير مسلم .

ولقد طلب الله من المؤمنين أن يعتصموا بحبله المكين ، وأن يكونوا يداً واحدة على من عاداهم ، وحذرهم أن يقعوا فى مخالب الفتنة عن طريق الإغراء بالمال أو الإغواء بالجاه والسلطان ، حفظاً لوحدتهم ، وبُعداً بهم عن أسباب التنازع والفشل ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ . . ﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُم ﴾ . . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ . أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ . . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ . بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ . وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثم يقول : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً . وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ . قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ . وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . . ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً . يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ ﴾ . . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ .

ولا ريب أن فى مطاوعة بعض المسلمين للكفار فى مثل حادثة الاستفتاء تفريقاً لوحدة المؤمنين ، وعملاً على تحقيق الفتنة التى يقصدها الكافرون ، وعلى تمكين سلطانهم فى بلاد

ـ البقيـة ص ١٢٩٦

اللغة والأدب والنقد

من صور الحذف البليغ

ابن قتيبة

السينما الإسرائيلية

من صور الحذف البليغ

الاحتباك

٣

نماذج من الاحتباك في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية

١ - قال تعالى في تصوير أحوال الكافرين مع النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى اتباع ما أنزل الله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ « البقرة : ١٧١ ».

لما ذكر سبحانه وتعالى ما أجابوا به النبي حين دعاهم إلى اتباع ما أنزل الله ، ونعى عليهم تقليدهم الأعمى لآبائهم فيما يضر ولا ينفع أراد سبحانه أن يقرر هذا الموقف بطريق التصوير ، فذكر هذا التمثيل العجيب .

يذكر ابن أبي الإصبع من أسرار حذف ما حذف في الطرفين أنه يتضمن أدباً كريماً مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعلمنا به المولى تبارك وتعالى كيف نحفظ للرسول قدره ونلتزم بالأدب في مخاطبته أو الحديث عنه ، ولذا لم يصرح بداعي الكفار في جانب المشبه ، حتى لا يؤدي إلى تشبيهه صراحة بالراعي الذي ينعق بالضأن ، ففي التصريح بذلك غض من جلالته ، ومخالفة للأدب في مخاطبته ، مع أن مكانته قد علت عند ربه ، وتلطف معه في مخاطبته .

كما أنه لم يصرح بالضأن في جانب المشبه به وأومأ إليها حتى لا يكون في ذلك تنفير عن نبيه ، فالضأن عند العرب شرمال ، بدليل قول الصغرى من بنات ذي الأصبع العدواني لما سألها أبوها عما سأل أخواتها ، عن مالهم فقالت : الضأن ، فقال لها : كيف تجدونها ؟ قالت : شرمال : جوف لا يشبعن ، وهيم لا ينقعن ، صم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن[1].

وأضيف إلى ما تقدم أن راعي الضأن مثل عند العرب في الجهل ، ولذا قالوا : « أجهل من راعي ضأن »[2] ، وذلك لبعده عن الناس بحثاً عن منابت الكلأ ، وربما مكث على ذلك أزمانا طوالا ، فهو أبعد عن التعلم ومعرفة آداب الاختلاط والتخاطب ولذا يقول حمزة بن الحسن الأصبهاني (ت ٣٥١هـ) في التعليق على المثل السابق ، وأما قولهم : أجهل من راعي ضأن ، فلأن بعده عن الناس فوق بعد راعي الإبل قال ذلك الأصمعي ، وأنشد لحميد بن ثور يصف بعيرا :

محلى بأطواق عتاق يبينها
على الضر راعي الضأن لو يتقوف

(١) راجع بديع القرآن : ١٣٦ ، ١٣٧.

(٢) راجع مجمع الأمثال للميداني ٣٣٧/١ المثل رقم : ١٠١٠.

د. عبد الحميد محمد العيسوي

قال : وإنما قال : راعي الضأن ، لأنه لا يعرف من أمر الإبل شيئا ، فإذا عرفه مع جهله عرفه كل الناس »[٣] .

فإذا كان الأمر كذلك فإن البيان المعجز لا يصرح بداعي الكفار لفتا إلى هذا السر البلاغي الفائق ، واتساقاً مع شأنه سبحانه في مخاطبة نبيه في الكتاب الكريم ، وهو ما نلمح نظيره في مواطن عديدة ، منها ما جاء في أول سورة الضحى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ حيث لم يوقع الفعل قلا ـ مع أنه منفى ـ على الضمير العائد إليه عليه الصلاة والسلام ، وإن كان المفهوم أنه نفى للفعل عنه صلى الله عليه وسلم ، لكن هناك فرقا بين ما نفهمه وما يعبر به عن هذا المفهوم ، وفي ذلك إشارة إلى أن إيقاع الفعل صراحة على ضميره لا يليق بمكانته ، وإن كان الذي يخاطبه ربه .. فإذا كان هذا شأنه مع نبيه فكيف يكون شأن اتباعه معه ؟

وأما مع الكفار فإنه سبحانه لم يشأ أن ينفرهم عن نبيه بالتصريح بالضأن ، وكأنه سبحانه يفتح أمام رسوله باب الأمل في أن تستمع هذه الآذان الصم لتعى حقيقة الدعوة وأن تتكلم الأفواه البكم بكلمة التوحيد ، وأن تنفتح الأعين العمى على دلالات الوجود .. وفي ذلك إشارة يجب أن يتعلمها من يتصدون للدعوة والإصلاح ، فلا يوصدون باب الأمل ، ولا يقطعون حبل الرجاء ، بل يستمرون في دعوتهم بالرفق واللين ، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، فعسى أن تثمر خيراً في قابل الأيام ، فإن لم تثمر خيراً فيكفينا التزام آداب الدعوة كما علمنا الله .. وكم في آيات الكتاب المبين من أسرار !

٢ ـ قال تعالى في جواب من سأل عن أحكام الحيض : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٢٢).

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وغيرهم ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ بالتخفيف ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ يطَّهَّرن ﴾ بالتشديد للطاء والهاء . والطهر : هو زوال دم الحيض لأنه من طهرت المرأة من حيضها ، إذا انقطع الحيض ، المعنى : لا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم ، والتطهر : الغسل بالماء ، وهو معنى لغوي وشرعي مناسب لصيغة التطهر التي تفيد المبالغة ، كما أن معنى الطهر الذي سلف مناسب لمضاده الثلاثي وهو الطمث كما نقله أبو حيان عن الفارسي .

وقد ترتب على هاتين القراءتين اختلاف الفقهاء في إتيان النساء بعد انقطاع الحيض ، فذهب الإمام مالك والشافعي ومن وافقهما إلى أن المرأة إذا انقطع حيضها لا يحل للزوج إتيانها إلا بعد أن تغتسل من الحيض ـ على خلاف في كيفية الاغتسال وحجتهم في ذلك : أن القراءة المتواترة حجة بالإجماع ، فإذا وجدت قراءتان متواترتان وأمكن الجمع بينهما وجب الجمع بينهما ،

من صور الحذف

والجمع بينهما هنا بوجوب الطهر والتطهر فلا تنتهي حرمة إتيانهن إلا عند حصول الأمرين ، كما أن قوله تعالى : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ فيه تعليق الإتيان على التطهر بكلمة إذا التي للشرط ، والمعلق على الشرط معدوم عند عدم الشرط فوجب عدم الإتيان عند عدم التطهر .

وأما الإمام أبو حنيفة فقد رأى قراءة التخفيف تدل على توقف الحل على انقطاع الحيض وقراءة التشديد على الغسل ، وكلاهما متواتر يجب العمل به ، ولا يمكن ذلك في حالة واحدة ، فعمل بهما باعتبار حالتين : فحمل قراءة التخفيف على أنه إذا انقطع الدم لأكثر مدة الحيض وهي عشرة أيام في مذهبه جاز لزوجها أن يقربها قبل الغسل ، وقراءة التشديد على الانقطاع لأقل من هذه المدة فلا تحل المباشرة إلا بالاغتسال(٤) .

والحاصل من ذلك أن رأى الإمام الشافعي على قراءة التخفيف يكون مبنياً على أن التقدير في الأصل : ولا تقربوهن حتى يطهرن ويتطهرن فإذا طهرن وتطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، واقتصر في كل من المتقابلين على ذكر أحدهما لدلالة المذكور على المحذوف في كل منهما ، وهذا هو ما تؤيده قراءة التشديد ، فصارت القراءة الثانية مؤيدة لهذا التقدير كما يؤيده ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ وبذا يفسر القرآن بعضه بعضاً ، كما تفسر القراءات المتواترة بعضها بعضاً .

وأما على رأي الإمام أبي حنيفة فإنه حمل كل واحدة من القراءتين على حالة مغايرة للحالة الأخرى ، وبذا لا يتسنى تقدير الأصل على ما رأيناه عند الشافعي ، فتكون قراءة التخفيف خاصة بالحالة الأولى للدلالة على جواز الإتيان قبل الغسل ، وهو جواز فقط ، ويكون قوله : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ للدلالة على الأفضل والأتم ، أما قراءة التشديد فهي خاصة بالحالة الثانية التي لا تحل فيها المباشرة إلا بالاغتسال ويكون قوله تعالى : ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ كالتأكيد على وجوب التريث في الإتيان حتى إتمام الغسل مع زيادة الإفادة ببيان موضع الإتيان .

ومذهب الإمام أبي حنيفة في هذه المسألة يميل إلى التيسير في حد شقيه .

ومذهب الإمام الشافعي يميل إلى وجوب الكمال ، وأنا أميل إلى الأخير لما فيه من مراعاة الفطر السامية التي تنفر من الإتيان دون أن تكون الزوج في أحسن حالاتها .

وعلى ذلك معظم فقهاء الأمصار كما ذكر أبو حيان ، ولكل إنسان بحسب مرتبة فطرته أن يختار ما يتوافق مع هذه المرتبة .. والله أعلم بمراده .

---

(٣) الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة : ١/١٢١ تحقيق عبدالمجيد قطامشن ـ دار المعارف ١٩٧١م. ومعنى يبينها : يتبينها ويعرفها ويتقوف من القيافة وهي تتبع الآثار لمعرفتها ، ومعرفة شبه الشخص بأخيه وأبيه يقول : ان هذا التعبير محلي بأطواق هو سمة الكرم والعتق بعرفها فيه هذا الراعي عندما يتقوف على ما بالبعير من الضر .

(٤) راجع ذلك في الكشاف : ١/٣٦١ ، والتفسير الكبير للفخر الرازي : ٦/٦٨ ، ٦٩ وتفسير البحر المحيط لأبي حيان : ٢/١٦٨ وحاشية الشهاب على البيضاوي : ٢/٣٠٧ ، ٣٠٨ .

وعلى أية حال فإن رأى الشافعي قد عمق دلالة الأسلوب القرآني على قراءة التخفيف بحيث اشتمل على انقطاع الدم والاغتسال معاً واكتفى بذكر كل واحد في الطرفين لشمولهما للأمرين مما يغني عن ذكر المحذوفين اللذين لا يحسن ذكرهما في الأسلوب الفصيح العالي ، وهذا هو ما تعضده قراءة التشديد كما تعضده نهاية الآية لأنها تبغى الكمال ، ولأن صيغة الأمر من الله تعالى لا تقع إلا على الوجه الأكمل كما ذكر أبو حيان ، وإن كان الأمر للإباحة ، وهذا مرجح آخر لميلي إلى رأي الشافعي .

وهكذا أفادتنا قراءة التخفيف فائدة مضاعفة من الحذف الذي يبدو في ظاهره كأنه نقصان ، وهو في حقيقته غاية التمام وآية الكمال .

٣ ـ قال تعالى في التوجيه للاعتبار بما كان من شأن فريقي المؤمنين والكافرين في غزوة بدر : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ . . . ﴾ الآية (آل عمران : ١٣).

ذكر المفسرون في الخطاب عدة أقوال : أن يكون لقريش أو لليهود أو للمؤمنين أو هو عام لكل من يتأتى خطابه ، وأيد كل وجهته بأدلة تهدف إلى ربط الآية بما قبلها ، وليس هنا مقام التعرض لها .

وتقدير الكلام في الأصل : فئة مؤمنه تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان فحذف من الأولى ما أثبت مقابله في الثانية ، ومن الثانية ما أثبت مقابله في الأولى ، وذكر في الأولى لازم الإيمان وهو القتال في سبيل الله ، وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان وهو الكفر(٥) .

فحذف مؤمنة وذكر مكانها من أحكام الإيمان ما يليق بالمقام مدحاً لهم واعتداداً بقتالهم وإيذانا بأنه المدار في تحقق الآية وهي رؤية القليل كثيراً ، ولم توصف الفئة الكافرة كما وصفت المؤمنة إسقاطاً لقتالهم عن درجة الاعتبار ، وإيذانا بأنهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة(٦).

فقوة دلالة الكلام أشارت إلى المحذوف ، في الأولى لما هو معلوم من أن القتال في سبيل الله وهو القتال الحق لا يتأتى إلا من المؤمنين الصادقين فاكتفى بالصفة عن الموصوف ، وهذا هو المصحح للحذف ، وأما مرجحه فلأن هذا هو ما يليق بمقام المدح والاعتداد بهذا القتال في سبيل الدين الحق ، والإشعار بأن ـ هذا القتال هو الأساس في تحقق العظة والعبرة من رؤية القليل كثيراً ، وربما لأمر آخر هو الإشعار بأن الإيمان القلبي لا يكفي وحده ، وإنما يجب أن يصدقه العمل كما توضحه آيات أخرى كثيرة وأحاديث نبوية عديدة .

وكذلك الشأن في حذف صفة الكافرين ، فقد اشعر بها ما ذكر في وصف المؤمنين ولكن الحذف أعطى زيادة فائدة ، حيث أشعر بإسقاط قتالهم عن درجة الاعتبار بالذكر لكونه قتالا في سبيل عقيدة زائغة عن سنن الحق ، فهو قتال لا يرتكز على حقيقة ثابتة في الفطرة ، ولا يقوم على أساس من عقل سليم متثبت ، وإنما دفع إليه وسوسة الشيطان ، هو قتال مهتز الدوافع فزلزل الأساس ، وربما كان ذكر الفئة الكافرة ـ للتسجيل بأن الكفر لا يجدى معه عمل ، سواء

(٥) راجع تفسير البحر المحيط : ٣٩٣/٢ .

(٦) راجع تفسير أبي السعود : ١٢/٢ .

من صور الحذف

الصالح منه والطالح ، ولذا فهو أجدر بأن يضرب عنه صفحا .

ولنا أن نستخلص من هذا البيان الرائع أن المؤمنين لا يهزمون أبدا إلا بذنوبهم وتقصيرهم عن بلوغ مرتبة الإيمان الصادق ، لا بكثرة عدد أعدائهم وعتادهم ، وأن النصر حليفهم ماداموا مخلصين لعقيدتهم عاملين من أجلها مهما كان عددهم وعتادهم .. ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَالِبُونَ ﴾ .

٤ ـ قال تعالى في تحذير الناس من وسوسة الشيطان : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ الأعراف الآية (٢٧) .

ذكر الزمخشري تفسير قوله تعالى :﴿ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كما أخرج أبويكم من الجنة ﴾ أن المعنى : لا يمتحننكم بألا تدخلوا الجنة كما امتحن أبويكم بأن أخرجهما منها[٧] . ومعنى ذلك أن عدم دخولهم الجنة المتوقع لهم إن هم أطاعوا الشيطان والمسبب عن فتنته قد حذف من المشبه لدلالة كما أخرج أبويكم من الجنة عليه في المشبه به ، كما أن محنة أبويهم في جانب المشبه به قد حذفت اكتفاء بسببها وهو إخراجهما من الجنة لدلالة فتنة أبنائهما عليها في جانب المشبه ، أي : أن المسبب قد حذف من المشبه لدلالة السبب في جانب المشبه به عليه ، وحذف المسبب من المشبه به لدلالة السبب في المشبه عليه ، وهذا تقدير لأصل الكلام حتى يتلاءم طرفا التشبيه ، وهذا هو الاحتباك بعينه دل فيه ما ذكر على ما حذف دلالة بينة .

وقد جوز أبو حيان وأبو السعود والشهاب الخفاجي أن يكون في الآية تقديران آخران :

أحدهما : لا يفتننكم الشيطان فتنة مثل فتنة أخراج أبويكم ، فيكون التصوير لتفتنتهم المنهي عنها لو وقعت بفتنة أخراج الأبوين الواقعة ، ويكون الكلام على تقدير مضاف في جانب المشبه به ، حتى يستقيم تشبيه فتنة بفتنة .

وثانيهما : لا يخرجنكم الشيطان عن الدين بفتنته إخراجاً مثل إخراجه أبويكم[٨] فيكون التشبيه لإخراج بإخراج عبر عن الأول بالسبب فيه ، وعلى ذلك فليس في الآية احتباك وان كان فيها حذف من لون آخر لكن الملاحظ أنهم ذكروا هذين التقديرين بعد ذكر التقدير الأول الذي قدره الزمخشري ، وهذا مشعر في كلام العلماء غالباً بأن ما ذكر أولاً أرجح وأقوى .

وعلى أية حال فقد ظهر مصحح الحذف على التقدير الأول ، وهو قوة دلالة المذكور على المحذوف في الطرفين ، وأما مرجحه فلم أجد أحداً ذكر عنه شيئاً ، ولعل ذلك ـ والله أعلم بمراده ـ راجع إلى أن المنع من دخول الجنة بالنسبة لبني آدم متوقع في المستقبل إذا لم يلتزموا بهذا النهي الناصح لهم والمحذر من الوقوع في فتنة الشيطان ، ولذا ذكر السبب الواقع في كل يوم من أيام الدنيا وترك المسبب لمعرفة المآل مما ذكر في المشبه به ، فكان ذكر السبب الواقع أهم من ذكر

(٧) راجع الكشاف : ٧٤/٢.

(٨) راجع تفسير البحر المحيط : ٢٨٣/٤ ، وتفسير أبي السعود : ٢٢٢/٣ ، وحاشية الشهاب على البيضاوي : ١٦١/٤ .

المتوقع في الآخرة ليأخذوا حذرهم من البداية ، فلا تضعف مقاومتهم له لحظة ، ولا ينخدعوا بوسوسته وتزيينه هنيهة . وأما في جانب المشبه به فقد أكتفى بذكر السبب عن المسبب لأن محنة الاخراج من الجنة قد وقعت ، وهي محنة تفوق كل ما عانياه من المحن بعد الهبوط إلى الأرض ، فكان النص عليها في ظاهر الكلام أهم وأجدر ، ولأن الآيات ـ السابقة على هذه الآية قد ذكرت ما محنا به بعد الهبوط ، ولم تذكر شيئا عن الاخراج لذا يذكر البيضاوي والشهاب أن آية التحذير والنهي التي معنا هي المقصود من ذكر قصة آدم وحواء والاجمال لها أيضاً.

فمراد نهي المخاطبين عن المحنة أهم في الاول ، والإخراج أهم في الثاني باعتبار الواقع وان كان البيان المعجز لم يهمل أيا من السبب والمسبب بهذا النظم الدال بما أبقى على ما القى ، مع ترتيب في الأولويات يتناسب مع المقصود من الآية في سياقها .

يتبع

د . عبد الحميد محمد العيسوى

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

بقية

١ ـ الأستاذ المرحوم الدكتور/ محمد البهى وزير الأوقاف ، ومدير جامعة الأزهر .

٢ ـ الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد النبى خليف نائب رئيس جامعة الأزهر الحالى .

٣ ـ الشيخ عبد المجيد اللبان .

٤ ـ الشيخ عبد المنعم النمر .

٥ ـ الشيخ محمد الشافعي الظواهرى .

٦ ـ الشيخ محمود شلتوت .

٧ ـ الشيخ محمد الفحام .

٨ ـ الدكتور عبد الله عبد الشكور وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة الإسلامية .

٩ ـ الشيخ محمد الغزالى .

١٠ ـ الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر الأسبق .

١١ ـ الأستاذ الدكتور إبراهيم البسيونى رئيس الكنترول العام بكلية اللغة العربية والأستاذ المتفرغ بالدراسات العليا بها .

١٢ ـ الأستاذ الدكتور محمد محمود العكازى عميد كلية البنات بالأسكندرية (جامعة الأزهر سابقا) .

١٣ ـ الأستاذ الدكتور محمد محمد شتا زيتون رئيس قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة سابقا .

١٤ ـ الأستاذ الدكتور على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر الحالى والمحقق المعروف .

بقى أن نذكر مجموعة من خريجى المعهد من زملائنا : الدكتور عبد الستار زموط ، والدكتور حسن زكرى مدرة ، والدكتور مصطفى حبالة وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر ..

يتبع

ابن قُتَيبَة

وكتابه الشعر والشعراء

(٢)

٣ ـ القدماء والمُحْدَثون : تلاحظ أن ابن قتيبة نظر إلى هذه القضية بمعيار علمى محايد ، وساعده على ذلك كونه قاضياً يحكم بين الناس فى تجرد وبُعْدٍ عن الهوى والتعصّب ، وإذا كان ابن سلام الجمحى قد جعل القدماء مقياساً ومرجعاً يحكم به ويقيس عليه ، فإن ابن قتيبة ، قد نظر للمسألة من وجه آخر ، هو القيمة الفنية للشعر ، سواء كان صاحبه من القدماء أو من المحدثين ، وقد مر بنا كيف عاب على الأعشى قوله فى امرأة :

وَفُـوهـا كـأقَـاحِـىّ
غَـذاهُ دائـمُ الـهَطْـل
كمـا شيـب بـراحٍ بـا
ردٍ مِـنْ عَسَـلِ النَّحْـلِ

بل إنه عابه وعاب غيره فى مواضع أخرى ، ومن ذلك انه رأى فى بيت الأعشى :

وقد غَدَوتُ إلى الحـانوتِ يتبعنى
شاوٍمِشَلٌ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ[١٤]

نوعاً من الزيادة لا مبرر له ، وقد اشار إلى الشطر الثانى من البيت قائلاً : « وهذه الالفاظ الاربعة فى معنى واحد ، وكان يستغنى بأحدها عن جميعها ، وماذا يزيد هذا البيت إن كان للاعشى أو ينقص »[١٥] .

بل إنه يجد فى نفسه الجرأة ليعامل القدماء معاملة محايدة تماماً ، تعتمد على الرأى الصريح بل نراه وكأنه يدعو إلى عدم اتباع المحدثين للقدماء فى كل شىء فيقول : وليس للمحدث أن يتبع المتقدم فى استعمال وحشى الكلام الذى لم يكثر ، ككثير من ابنية سيبويه ، واستعمال اللغة القليلة فى العرب كإبدالهم الجيم من الياء ، وكقول القائل « يارب إن كنت قبلت حجيج يريد « حجتى » وكقولهم « جمل بختج » يريدون « بختى » و « علج » يريدون « علىّ » ...[١٦]

وقد وضع ابن قتيبة خطته على هذا الأساس ، وسار فى منهجه على هدى تلك النظرة التى لا تقدس القدماء لقدمهم ، ولا تستهين بالمحدثين لحداثتهم ، وإنما سبيله فى ذلك إعطاء كل ذى حق حقه ، ويتحدث عن ذلك بصراحة قائلاً : « ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ، سبيل من قلد ، أو إذا استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كُلاًّ حظه ، ووفرت عليه حقه » .

---

١٤ ـ الشاوى : الذى شوى ، الشلول : الخفيف ، والمشل : المطرد ، والشلشل : الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والالفاظ متقاربة ، واريد بذكرها والجمع بينها المبالغة .
١٥ ـ الشعر والشعراء : ٧١/١ .
١٦ ـ السابق : ١٠١/١ .

ويبرر رأيه هذا بما رآه من سيطرة الاتجاه الذى يحترم كل ما قاله القدماء ، لأنه قديم ، ويسخر من الجديد لأنه جديد : « فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه فى متخيّره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه ، أو أنه رأى قائله » .(١٧)

ويبدو ابن قتيبة كأنه يعالج ظاهرة أدبية مرضية سائدة ، فيستطرد فى شرح رأيه وتفصيله موضحاً أن الله لم يخص أحداً أو زماناً بالعلم والشعر والبلاغة ، وأن سنة الله فى خلقه أن تتتابع الأجيال ، وأن يكون فى كل جيل ما هو حسن وما هو ردىء ، ويؤكد ابن قتيبة إصراره على منهجه الذى لا يحابى عصرا بعينه ولا شخصاً بذاته ، ويشير إلى أبى عمرو بن العلاء الذى كان ممن يقيسون على القدماء ، ويروى أنه هَمَّ برواية شعر المحدثين الحسن ، ولكنه لم يفعل لتمسكه بالقياس على الأقدمين .

يقول ابن قتيبة

« ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده فى كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً فى عصره ، وكُلّ شرف خارجيَّةً فى* أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يُعَدُّون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد عنهم ، وكذلك لا يكون من بعدهم لمن بعدنا : كالخريمى والعتابى والحسن بن هانىء وأشباههم . فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه ، كما أن الردىء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه » . (١٨)

وأُذكِّر - مرة أخرى - بأن طبيعة ابن قتيبة كقاض أثرت فيه تأثيراً واضحاً ، فلم يستطع الهوى أو الغرض أو التعصب أن يجد مكاناً لديه ، أو فى أحكامه النقدية ، ولذا نجده يلح على أن من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله ولا حداثة سنه ، وكذا الحال بالنسبة للردىء .. وهذه آية الموضوعية والحكم المنصف .

٤ - عمود الشعر :

بالرغم من أن « ابن قتيبة » يطرح قضية الجيدة بين القدماء والمحدثين ، والانتماء للحسن والجيد من الشعر فحسب ، ودون تأثر بما قاله غيره ، كما رأينا ، فإنه بالنسبة لما يسمى الآن بالتقاليد الفنية يقف موقفاً أقرب إلى الاتباع ، والتمسك بالتقاليد الفنية الموروثة ، وقد تحدث بعبارته المشهورة عن هذه القضية فقال : « وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين فى هذه الأقسام ، فيقف على منزل عامر ، أو يبكى

---

١٧ - الشعر والشعراء : ٦٢/١ - ٦٣ .

١٨ - السابق : ٧٦/١ = الخَنْوَة : نبات سَهْل طيب الريح قيل هو الريحانة ، والعرارة مثلها وقيل هى النرجس البرى .

عند مشيد البنيان ؛ لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافى ، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما ؛ لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير أو يرد على المياه العذاب الجوارى ؛ لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامى ، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد ؛ لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والْحَنْوةِ والعرارة .(١٩)

إن « ابن قتيبة » لا يبدى أية رغبة فى تجاوز هذه التقاليد ، بل يعلن أنه متبع حين يقول : « وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مُقَصِّد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق .. إلخ . حيث يمر الشاعر فى قصيدة .

بذكر الظَّاعِنِين وتتبعهم الماء ثم النسيب ، ثم الرحلة ، ثم المديح .. ويقول « ابن قتيبة » بعد ذلك : « فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب » .. فهو هنا يدعو بوضوح إلى التمسك بعمود الشعر ونظام القصيدة الموروث متبعاً فى ذلك الإسلاف دون أن يعترض على أى جانب من جوانب هذا النظام أو ذلك العمود .. ولكنه يشير إلى نقطة هامة فى نظام القصيدة ، إذ يطلب من الشاعر أن يعدل بين هذه الأقسام : (الوقوف على الأطلال ، وذكر الديار والظاعنين والنسيب والرحلة والمديح .) ولا يجعل لواحد منها الغلبة على القصيدة حتى لا يمل السامعون ولا يقطع النشوة على المترقبين .

« فقد كان بعض الرُّجَّاز أتى نصر بن سيار والى خراسان لبنى أمية فمدحه بقصيدة ، تَشْبِيبُها مائة بيت ، ومَدِيحُها عشرة أبيات ، فقال نصر : والله ما بقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً ، إلا وقد شغلته عن مديحى بتشبيبك ، فإن أردت مديحى فاقتصد فى النسيب ، فأتاه فأنشده :

هـل تعـرف الـدَّارَ لِأُمِّ الغَمْرِ
دَعْ ذا وحَبِّر مـدحـةً فى نَصْرِ

فقال نصر : لا ذلك ولا هذا ولكن بين الأمرين(٢٠) .

وهكذا يبدو طابع الاعتدال على نظرة ابن قتيبة فى بناء القصيدة ، وهو هنا يستشهد بواقعه الراجز الذى أطال فى التشبيب أولاً ولم يبق من القصيدة إلا عشرة أبيات لممدوحه ، ثم رجع عن ذلك ، وأتى بشطر واحد يتساءل فيه عن دار أم الغمر ، لينتقل بعدئذ إلى مدح نصر بن سيار .. وكلا الموقفين فيه تطرف وانحراف عن الاعتدال والاتزان .

وخوف الإطالة فإننا نكتفى بهذه القضايا التى يظهر فيها تصور ابن قتيبة للشعر وحكمه على الشعراء ، وهى بصفة عامة توضح لنا أن الرجل يمتاز بقدرة فائقة على فهم النصوص ، ووعى ملحوظ بواقع الشعر ، مع نزاهة وموضوعية فى الحكم على النماذج موضوع الحكم .

أما عن المنهج والخطة : فى كتاب « الشعر والشعراء » فإنه يمكننا أن نتعرف على بعض ملامحها من خلال التصور والمفهوم الذى عرفناه فيما سبق ، ومن هذه الملامح أن « ابن قتيبة » سيتعامل مع النصوص من خلال نظرة علمية محايدة لا يميل مع الهوى ، وأنه يضع الشعر الذى يجمع بين جودة اللفظ والمعنى فى المرتبة الأولى ، وأن هذه الجَوْدة ستكون معيار حكمه

١٩ ـ السابق : ١/٧٦ وما بعدها .
والحنوة بفتح الحاء : نبات سهلى طيب الريح ، وقيل هى : الريحانة ، والعرارة : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل : هو النرجس البرى .
٢٠ ـ الشعر والشعراء : ١/٧٦ .

بالنسبة للقدماء والمحدثين على السواء ، كذلك فإن ابن قتيبة يشير فى مقدمته إلى عيوب اللغة والعروض ، والقافية [٢١] وهى معايير يعتمد عليها النقاد اللغويون عادة .

هذه الملامح التى تحرك بها ابن قتيبة عبر كتابه ، قامت على مجموعة من النقاط ارتآى أن يسير عليها عبر صفحات الكتاب ، ويمكن تلخيص أهم هذه النقاط فيما يلى :

١ ـ الحديث عن الشعراء من خلال « بانوراما » تتحدث عن الظروف الخاصة بالشاعر تاريخياً واجتماعياً ، مع بيان قيمة شعره ، ومدى تأثره بمن سبقه ، وكأنه يرى أن الشاعر جزء من بيئته وتاريخه وثقافته والأحداث التى يمر بها ، يقول ابن قتيبة :

هذا كتاب الْفَتْهُ فى الشعراء ، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم ، وأحوالهم فى أشعارهم وقبائلهم ، وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب والكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ فى ألفاظهم أو معانيهم ، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون ... [٢٢]

٢ ـ اعتماد المشهورين من الشعراء غالباً ، الذين يحتج بشعرهم ، وهم الذين لهم قيمة فنِّية عالية يقول ابن قتيبة : « وكان قصدى للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب ، والنحو وفى كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأما من خفى اسمه ، وقلَّ ذكره ، وكَسَد شعْرُه ، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص ، فما أقل من ذكرت من هذه الطبقة ، إذ كنت لا أعرف منه إلا القليل ، ولا أعرف لذلك القليل أيضاً أخباراً ، وإذ كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمى لك أسماء لا أدل عليها بخبر أو زمان أو نسب أو نَادِرَةٍ ، أو بَيْتٍ يستجاد أو يستغرب .

« والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم فى الجاهلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط ، أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفذ عمره فى التنقير عنهم ، واستفرغ مجهوده فى البحث والسؤال ... » [٢٣]

وابن قتيبة فى هذه النقطة يصدق مع نفسه ومع الناس ، فهو لا يعتمد فى كتابه الشعراء المغمورين إلا نادراً ، ويعلل لذلك بأنه لا يعرف عنهم شيئاً ، ولذا فهو ليس بحاجة إلى تعدادهم لأن القارىء ليس بحاجة إلى الأسماء أيضاً ، ثم يبين أن هذا أمر طبيعى بالنسبة له ، لأن عدد الشعراء المعروفين بقول الشعر عند العرب أكثر من أن يحصى ، حتى لو وقف الباحث جهده على الإحصاء وحده .

ويلاحظ أن ابن قتيبة يريد أن يفيد القارىء ، فيحرص على الحديث عن الشاعر الذى يعرف عنه الأخبار ويُرْوَى عنه الأشعار ، فيضيف بذلك إضافة مهمة فى مجال تأليفه وتصنيفه ، وتلك سمة العلماء الجادين فى كل زمان ومكان .

٣ ـ الشعراء الذين يتناولهم ابن قتيبة من المشهورين بالشعر ، وليس الذين غلبت عليهم شهرة أخرى غيره ، أى بتعبير آخر ، فإن ابن قتيبة لم يتناول إلا الذين كانت صنعتهم الفنية الأولى الشعر ، وعرفوا بها بين الناس ، وهذا

←

٢١ ـ خصص ابن قتيبة جزءاً من المقدمة تحدث فيه عن عيوب الشعر ، مثل الإقواء والإكفاء والسناد والإيطاء والإجازة ثم تناول العيب فى الإعراب ، وتحدث عن الوحشى فى الكلام والإبدال فى لغة بعض العرب ، وأتى بأمثلة على ذلك وناقشها ، (الشعر والشعراء : ١/٩٥ ـ ١٠٣) .
٢٢ ـ الشعر والشعراء : ١/٥٩ .
٢٣ ـ السابق : ١/٥٩ ـ ٦٠ .

الأمر يتسق مع النقطة السابقة ،إذ أن الشعراء المشهورين بين أهل الأدب ، لابد أن يكونوا مشهورين بالشعر أكثر من غيره من الفنون ، ويعبر ابن قتيبة عن ذلك قائلا : ولم أعرض فى كتابى هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر .. ويرى أنه لو خالف هذه الخطة وسار فى ذكر من لايعرف بالشعر ، لذكر أكثر الناس [٢٤] وهذا يخرج به عما انتهجه فى تأليف الكتاب .

ويلاحظ أن ابن قتيبة بدأ كتابه بشاعرين جاهليين : أولهما « امرؤ القيس » ، وثانيهما « زهير بن أبى سلمى » ، ويأتى بعدهما بـ « كعب بن زهير » (وهو مخضرم) ثم يعود إلى النابغة الذبيانى (وهو جاهلى) ، ويتتابع الشعراء من الجاهلية والإسلام دون ترتيب لطبقة أو اعتبار بقيمة .

كما يلاحظ أنه يتوقف عند المعروفين من الشعراء بشىء من التفصيل يمتد عدة صفحات ، ولكنه يكتفى عند البعض من غير المشهورين بنسبته إلى قبيلته ، ورواية بيت واحد له كما فعل مع أمية بن أبى عائذ حيث يقول عنه : « وهو من شعراء هذيل ، وهو القائل :

يمـرّ كجنـدلـة المنجنيـ
ـقِ يُرْمى بها السوُر يوم القتال [٢٥]

أو يورد اسمه ويروى له البيت فقط ، كما فعل مع « صخر الغىّ » حيث يقول عنه : وهو القائل :

إلىّ بـدهمـاء قَـلَّ مـا أجـد
عـاودنى من حِبَـابـهـا زُؤُدُ [٢٦]

ويرى بعض المعاصرين أنه « يتضح تأثر المؤلف بمن سبقه من العلماء ، خاصة ابن سلام والجاحظ تأثراً واضحاً ، وقد نقل كثيراً من آرائهما دون الإشارة إلى أحد منهما . واختصر القول فى بعض خصائص الشعر الجيد فيما يتعلق بلفظه ومعناه ووزنه وقافيه ، وأقسام الجيد والقبيح مما فتح الباب بعد ذلك لمن بعده من النقاد ليتوسعوا فى هذه الخصائص كـ « ابن طباطبا » و « قدامة بن جعفر » و « أبى هلال العسكرى » .

وتكلم فى الضرورات الشعرية كلاما عابراً تلقفه من بعده كثير من العلماء وألفوا فيه وأبرزهم فى القرن الخامس عبد الله القزاز »[٢٧] .

وأعتقد أن هذه الملاحظات لا تؤثر على الجهد الكبير الذى بذله ابن قتيبة فى كتابه المهم ويكفيه أنه قدم إلينا أكثر من مائتى شاعر بأخبارهم وأشعارهم ، منطلقاً من مفهوم راق للشعر ، ومعتمداً على منهج علمى من أهم سماته : الحياد والعدل والوضوح .

---

٢٤ ـ السابق : ٦٢/١ .
٢٥ ـ السابق : ٦٦٧/٢ .
٢٦ ـ الشعر والشعراء : ٦٦٨/٢ ، والحباب : هو المحابة والموادة والحب ، والزؤد : بضم الزاى وضم الهمزة ، وتسكن أيضاً ، وهو الذعر والفزع ، أما (صخر الغى) ، فهو صخر بن عبد الله الخيثمى الهذلى ، ولقب بصخر الغىّ لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره .
٢٧ ـ تاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى ، ص ١٢٣ .
* قال محققه مشيراً إلى بعض نسخ مراجعته ان فيها : « وكل شريف خارجياً » والخارجى : الذى يخرج ويشرف بنفسه من غير أن يكون له قديم ، ومنه « الخارجية » وهى خيل لا عرق لها فى الجودة فتخرج سوابق ، وهى مع ذلك جياد . اهـ/٦٣،وما ساقه فى هذا المقام إنما هو تأكيد لمذهبه هذا .

السينما الإسرائيلية

تأليف : الأستاذ شفيق عبد اللطيف
عرض : عاطف شحاته زهران

تمهيد :

يسر التقدم العلمى لصناعة السينما تحقيق آثار أكثر عمقاً على المشاهدين حين تغوص فى أغوار الغريزة ودهاليز النفس . وتضرب فى الأرض من مكان إلى مكان ، وتنتقل عبر حقب عديدة من الزمان ..

وتعرض ألواناً شتى من الثقافات . وتستثير بذلك الجوانب العاطفية والخيالية والجمالية فى تكوين الإنسان ، وذلك هو الذى جعلها تؤدى دوراً خلاباً جاذباً . مما جعل أصحاب المذاهب و"الأيدلوجيات" يوظفونها فى خدمة أفكارهم بطرق مباشرة أو غير مباشرة ..

فالمشاهد يسترخى تماماً أمام الشاشة الكبيرة ويسلم عقله وعاطفته ، ولا يلبث أن يخرج بانطباع ما نحو قضية ما . وبطريقة التكرار والتركيز على فكرة بعينها يتكون رأى عام حول الفكرة أو القضية المراد نشرها أو تثبيتها بطريق التأثير التراكمى .

يقول ماكس ليرنر أستاذ الحضارة الأمريكية :

« لم يحدث قط عبر التاريخ أن انبثقت صناعة عالمية العمد كصناعة السينما انبثاقاً مباشراً سافراً من أحلام الناس » (١)

الكتاب : ومن هنا تأتى أهمية هذا الكتاب الذى صدر عن دار المعارف فى سلسلة (اقرأ) فى (١٥٠) صفحة من القطع الصغير ، وضم بين صفحاته موضوعات عديدة منها : البداية ،

(١) انظر : عالم بلا حواجز فى الاعلام الدولى ـ محمد فتحى ص ١٣١ .

← السينما الاسرائيلية

شعب الله المختار ، الصهيونية ومنطق السينما العنصرية ، عقدة النازى ، عقدة الأرض اليهودية ، اليهود السوفييت فى السينما الإسرائيلية ، عقدة السامية ، صناعة السينما فى (إسرائيل) ، الشخصية اليهودية فى السينما الإسرائيلية ، اليهودى التائه وضياع التراث ، السينما الإسرائيلية .. صناعة وتجارة ، رأس المال الصهيونى فى السينما ، صناعة السينما بعد يونية ١٩٦٧ ، وبعد أكتوبر ١٩٧٣ م ، السينما الإسرائيلية فى مهرجان (كان) ، إسرائيل وسينما الجنس ..

وأظن أن هذه الموضوعات تهم كثيراً من القراء العرب والمسلمين ، خصوصاً مع قلة الصفحات المخصصة لكل منها مما يسهل المهمة على القارىء لمطالعتها فى جلسة أو اثنتين .

وسنحاول فى هذه السطور تقديم عرض عما جاء بالكتاب عن السينما الإسرائيلية .

● **الأهداف والتطورات :**

المشاهد للسينما الإسرائيلية قد يفطن للأهداف التى ترمى إليها وقد لا يفطن ولكنه يكوّن رأياً معيناً أو تترسب لديه وجهة نظر فى بعض القضايا التى تهتم بها هذه الصناعة ، وفى الصفحات الأولى من الكتاب يضع المؤلف أيدينا على ما تهدف إليه السينما الإسرائيلية :

أ ـ اجتذاب أموال المشاهدين فى أمريكا وخارجها .

ب ـ إحلال قضية اليهود فى عقلية المشاهد لفرض وجهة نظر صهيونية حول وضع اليهود فى العالم ، والتركيز على أرض الميعاد فى فلسطين مع التقليل من شأن العرب ووصفهم بما يحط من قدرهم بوسائل التضليل غير العاقلة .. صـ ٦ .

كما أننا سنعلم من الكتاب أن السينما الإسرائيلية مرت بخمس مراحل هى :

الأولى : إحياء مجد اليهود القديم بتصويرهم جنساً فوق كل الأجناس ، وأنهم صانعوا التاريخ الحضارى للإنسان . (*)

الثانية : إبراز الجوانب البطولية والأنشطة الخارقة لليهود فى أرض فلسطين ، ونزعة أرض الميعاد التى تملأ قلوبهم مع إغفال الجانب العربى كلية .

الثالثة : تُصَوِّر حال اليهود بعد قيام إسرائيل فى فلسطين العربية وتبرز الضعف فى العرب . فإسرائيل واحة متقدمة وسط البلاد العربية المتخلفة !

الرابعة : مرحلة التفوق والمجد والإشادة بدور الجندى الإسرائيلى أسطورة زمانه الذى لا يقهر وتبدأ هذه المرحلة بعد نقطة وقف إطلاق النار بعد حرب يونية ١٩٦٧ مباشرة .

الخامسة : مرحلة الهزيمة بعد (١٠ رمضان ١٣٩٣ هـ) ٦/١٠/١٩٧٣ م التى دمرت كل شىء بنته إسرائيل فى المراحل المتقدمة ، حيث توقفت السينما الإسرائيلية ، وهرب تجارها إلى أوروبا وامريكا ، ولم يعد أمام السلطة الحاكمة إلا الجنس كمخرج من الصدمة القاتلة ص ١٤٧ ، ١٤٨ بتصرف .

● **عقدة الأرض اليهودية :**

كانت بدايات السينما الإسرائيلية فى سنة ١٩٥٤ م حيث ظهرت أفلام عديدة تركز فى مجموعها على إبراز البطولة المفتعلة لدى

(*) ينبغى الا ننسى (بيجن) فى زيارته لمصر فقد حاول أن ينسب لجنسه حضارة الأهرام وبناءها .

العصابات اليهودية المقاتلة للعرب الفلسطينيين فى أراضيهم ومدى التفكك العربى .

ويرى المؤلف أن بدايات السينما الإسرائيلية كانت تعكس قلق الإنسان اليهودى وضياعه الأبدى بين رواسب ألمانيا النازية ، ثم طغيانه بسلسلة من الادعاء الكاذب على العرب .

« إن قضية السينما الإسرائيلية منذ بدايتها تتركز فى الإنسان اليهودى القلق الذى دمرت ذاته ضربات النازية المستمرة ، وها هو ذا يلاقى العذاب فى أرض العرب .. كلها تتلاقى فى إطار الضياع الأبدى للشخصية الإسرائيلية . وهو ضياع يتجسد بشكل خطير يوماً بعد يوم .. » صـ ١٣ .

● **صورة العربى فى السينما الإسرائيلية :**

يعتبر الحط من شأن العرب بكل وسيلة وفى كل مناسبة قاسماً مشتركاً فى أعمال الدعاية اليهودية عموماً فبينما يرى اليهود أنهم شعب الله المختار يضعون غيرهم فى الدرجات الدنيا ، فهم أبناء (إسحاق) وهو من نسل السادة وأمه سارة كانت أميرة فى الأصل ، وأما العرب فهم أبناء (إسماعيل) وهو من العبيد أصلاً وأمه (هاجر) من جنس العبيد ، لذا يجب احتقارهم دائماً .

وحسبنا أن نقدم صورتين من فيلم (الخروج) الذى شجعته الصهيونية العالمية حتى وصل إلى الرأى العام العالمى ، لأنه يحمل قصة اليهود الذين بنوا وعمروا فى أرض فلسطين ، بينما العرب كسالى لا يلقون بالا لقدسية الأرض . !

وورد فى هذا الفيلم الكثير من السباب والشتائم للعرب بلا مبرر ..

ومحاولة طمس الحضارة العربية وتجاهلها .

استمع إلى ذاك الحوار :

« قال جوس : بالنسبة للأتراك يمكنك أن تشترى رضاهم ، أما بالنسبة للعرب فيجب أن تعلم كيف تعيش معهم بسلام ، شىء واحد يفهمه العرب ويعوه ، إنهم يفهمون هكذا !! الضرب .. القوة .. » ص ٢١ ، وذلك لا يكفى . فالفيلم يستنطق شخصاً عربياً ليعترف بوضاعته ، وذلك فى حوار يدور بين شاب عربى (طه) وآخر يهودى (آرى) :

قال آرى : رجاء مساعدتى .

قال طه : إننى عربى !

ــ ولكنك إنسان تعرف الفرق بين الخير والشر .

ــ لا .. أنا عربى قذر ، يجب أن تعرف هذا .. صـ ٢٢ .

فماذا ننتظر من الرأى العام العالمى الذى وقع فريسة هذه الدعاية السوداء فترسبت لديه تلك الصورة المشوهة للعربى ؟

صحيح أن هذه الحملات الدعائية المغرضة قد لا تنطلى على البعض ، ولكن المؤكد أن كثيرين خدعوا بها ووقعوا فى أسرها .

وقد انتجت إسرائيل فيلماً يدور حول العمليات الفدائية الفلسطينية فى الأراضى العربية المحتلة هو فيلم « الأحد الدامى » ملأته كذباً وتضليلاً .

حتى قال عنه المعلق السينمائى (شارل) ، (شارل ميشتر) :

« إن هذا الفيلم الذى تنتجه الصهيونية لن يقول كلمة صادقة للرأى العام عن العرب ، وأن اليد الصهيونية تعمل لتشويه الحق العربى ولتشويه الثوار العرب (الفدائيين) على أنهم قتلة يهددون الأمن .. » صـ ٦٤ .

وقليل ما هُمْ أولئك الذين يصرحون بهذه الآراء . وكثير ما هُمْ الذين يُخدعون بذلك التزييف ولن نصلح ذلك إلا بالجهد والعمل المخطط والمدروس .

● **تشويه صورة الأنبياء :**

لم يقتصر الأمر على الحط من شأن العربى

السينما الاسرائيلية

وتشويه صورته فى السينما الإسرائيلية بل تعداه إلى تشويه صورة أنبياء الله عليهم صلوات الله وتسليماته . فالغاية تبرر الوسيلة ولا ترى إسرائيل كرامة أولى بالصيانة من كرامتها وكرامة شعبها ، وما بعد ذلك فأمر يهون لا حساب له .

وسنقف مع صورتين ظهرتا فى السينما الإسرائيلية ضمن صور عديدة لنبرهن على ذلك :

أ ـ إسماعيل عليه السلام : الذى ولد من أم مصرية . بينما ولد إسحاق عليه السلام من أم يهودية ، فاستحق أن يتفاضل على إسماعيل بذلك ، ولكنهم يصورون إسماعيل ضائقاً بتلك المسألة ، متمنياً لو كان أخاً لإسحاق من أمه .

ففى فيلم « البداية » يدور ذلك الحوار بين إسماعيل وأحد اليهود .

يقول إسماعيل : لماذا تسخرون منى ؟

ــ الا تعرف يا إسماعيل أنك ابن أمة ، إنك أشبه بالمخلوقات التى تعمل فى الطحين مع البهائم ، أنت تحمل وزر أمك !!

ــ كيف ؟ لأن أبى ..

ــ الأبناء يشربون الحصرم دائماً ، لو كنت أبناً لسارة يا إسماعيل لاختلف الأمر عليك ، أنت لم تكن من سلالة الدم الأزرق .. !

ويبكى إسماعيل ويركع ساجداً ثم يصيح فى الوجود :

يا إلاهى لماذا لم تخلقنى من ظهر سارة ؟ كيف تركتنى هكذا .. ماذا جنيت ؟! ص ١٨ ، ١٩ ..

كذا نعوذ بالله ، ونصلى ونسلم على أنبيائه الكرام صفوة خلقه المختارين الأطهار .

ب ـ صورة المسيح عليه السلام :

لم تخمد جذوة العداء والصراع الصهيونى مع السامية ، فإذا اليهود يظهرون المسيح بصورة تتنافى مع ما للأنبياء من توقير وإجلال وعصمة . محاولين تبرئة يهوذا الاسخريوطى من أسطورة الدم فى العقيدة النصرانية فظهرت مسرحية مشهورة هى (المسيح .. النجم الأعظم) عرضت لمدة عام فى لندن على مسرح (البالاس) ، كما عرضت (سينمائياً) فى دار سينما تبعد بضعة أمتار عن المسرح المذكور ، وتشير قصة المسرحية إلى أن يهوذا كان مساقاً بقوى غيبية ، ولم يدر كيف فعل فعلته الشنعاء .

« .... إلى جانب إبراز شخصية المسيح فى بداية القصة فى صورة إنسان يرقص ويغنى ويتمايل هنا وهناك لإضحاك المشاهدين .. » ص ٥١ .

● سينما ما بعد يونية ٦٧ :

استغلت إسرائيل انتصارها فى سنة ٦٧ أنجح استغلال : فحاولت عن طريق السينما إفهام الرأى العام العالمى بأنها قوة لا تقهر مركزة على ما تسميه المعجزات التى حققها الجندى الإسرائيلى فى تلك المعركة ، مستغلة عنصر السينما كسلاح بالغ الإغراء ، والتفوق لغرس ما يسمى بعظمة إسرائيل وقوتها الخارقة فى المشاهد ، ولتأكيد ذلك أنتجت أكثر من مائتى فيلم سخرت لها الخبرة الأجنبية من إنتاج وإخراج وتمثيل ، حيث جذبت الوجوه العالمية من السينمائيين اليهود الذين يتسمون بالميول الصهيونية العنصرية .. وهذه الافلام حملت الكثير من المغالطات والأكاذيب التى توجه للرأى العام الإسرائيلى والعالمى عن ذلك الجندى الذى لا يقهر والذى حقق المعجزات الخارقة » ص ٩٧ .

وتعتمد السينما الإسرائيلية فى تمويلها على موارد مالية وفنية من خارجها ، ويساعد هذا التمويل الخارجى فى توظيف المخرجين العالميين والنجوم المشهورين لإيصال وجهة نظر إسرائيل

لأوسع قاعدة من الرأى العام فى أى مكان .

إن أكثر من ٧٥٪ من هذه الأفلام تمولها الصهيونية العالمية فـ « إلى جانب ما تنتجه إسرائيل من أفلام[٢] يدخلها ما بين ٢٥٠ ـ ٢٨٠ فيلماً سنوياً غالبيتها من إنتاج هوليود ، وكلها تخدم الأغراض الصهيونية وأهدافها فى تشكيل عقول الرأى العام العالمى وفق ما تريد وما تشتهى » ص ٩٢ .. « فبعد حرب يونية وجدت السينما الإسرائيلية طرائقها بالأسلوب المفتعل متأبطة ذراع السينما الأمريكية فى إنتاج مشترك . حتى أن كمية الأفلام التى انتجت داخل إسرائيل وخارجها منذ ٦٧ حتى ٧٣ تفوق أى إنتـاج فى العـالم من حيث كميـة الأفلام » ص ١٣٠ .

● تعقيبات :

اجتهد المؤلف ليقدم لنا من خلال هذه الدراسة صورة قريبة واضحة عن السينما الإسرائيلية كقناة من قنوات عديدة تعبر من خلالها الدعاية الصهيونية إلى العالم كله ، ولقد كشف الكتاب عن بعض ما تقرره معامل الإنتاج السينمائى من أفلام ، وهو حتماً ليس فى صالحنا ، وبانتشار هذه الأفلام عالمياً نعتقد أنها أدت دورها ونشرت فكرها المعادى للعرب وللمسلمين وللسامية .(*) ولا يهم أن يتنافى ذلك مع الحق الثابت والتاريخ والواقع . فمن ذا يقول ذلك أو يثبته ومتى ؟

والمؤلف قد نجح فى وضع أيدينا على الداء من خلال دراسته الشاملة والمؤلمة فإنها قدمت شيئاً نحتاجه بطريقة ميسرة ، ولأنها قدمت بين صفحاتها مشاهد من بعض الأفلام تدعيماً للأفكار التى تتناولها ، ولأنها كشفت لنا بعض الحقائق التى ينبغى أن نتجرع مرارتها . وليت هذه المرارة تدفعنا إلى جهد جاد لمواجهتها .

ولنا بعض ملاحظات نود أن يتسع لها صدر المؤلف ، بل الجندى الكريم الذى سد لنا هذه الثغرة بدراسته ، منها :

أ ـ هذا التكرار .. الذى وقع بالرغم من صغر حجم الدراسة .

فنرى أن صفحتى (٧٠ ، ٧١) قد تكرر ما فيها من معلومات ص (٩٠ ، ٩١) ، كما أننا سنقرأ موضـوعين منفصلـين عن السينما الإسرائيلية فى مهرجان (كان) وفضائحها أولهما ص ١٠١ ، والثانى ص ١١٦ . وكان من الأولى سياقهما معاً لتتم وحدة الموضوع ، ولعل لسيادته عذراً فى هذا التكرار الذى حدث فى أكثر من موضوع .

ب ـ من وجهة نظرى كان الترتيب التاريخي ضرورياً فى معالجة بعض الأحداث ، هذا الترتيب الذى فقدناه ، وبخاصة فى موضوعى « سينما ما بعد اكتوبر ١٩٧٣ » ، ص ٩٧ و« سينما ما بعد يونية ١٩٦٧ » فالكاتب الفاضل أخر وقدم ثم عاد ص ١١٢ ليحدثنا عن « سينما أكتوبر » .

وتلك ملاحظات لا تحط من قيمة الكتاب فإن مادته فى حاجة إلى الاستشهاد بين أمر وآخر والكمال لله وحده ، والعصمة لرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(٢) تنتج إسرائيل مابين ١٦٠ ـ ١٨٠ فيلماً سنوياً بين روائى وتسجيلي ودعائى .

(*) ينبغى أن نضيف ـ إلى ذلك ـ رضا الغرب بـ « دناناته » عن هذا الموقف لما يكنّ* من حقد على الإسلام والمسلمين ، والسينما الإسرائيلية هنا تقدم له مُشْتَهاهُ ، وعلى حسابها هى مما يرضيه عنها كل الرضا .. ويرحم الله أقوامنا ..... مجلة الأزهر ..

من خير ما نشر

توجيه أجهزة الإعلام

قال الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى : إننى لا أجد سبباً واحداً يمنعنا من العمل على تطويع أجهزتنا لخدمة عقيدتنا وللانتصار لشرع الله ، وكما برع الخصوم فى استخدام تلك الأجهزة لعرض أفكارهم وبث سمومهم على الناس ، فإنه ينبغى لنا ونحن أهل الحق الإلهى أن نزاحم فى هذا ولكن ببث الحق والصدق انتصاراً لدين الله عز وجل .

عـــن
(الاتحاد) الإماراتية

● **من كلمة للدكتور أسامة الباز :**

قال:
إنه على قناعة مؤكدة بأن الإسلام جزء رئيسى من تراثنا التاريخى ، وإنه حركة يتردد صداها فى أرجاء العالم ، وأننا نعيش صحوة إسلامية كما أن الإسلام أشمل من القومية العربية .

وأضاف الدكتور الباز فى نفس التصريحات أن الأقطار العربية قد استقرت على هوية خاصة نابعة من التراث ومتفاعلة مع ميراث الحضارة الإنسانية بدلاً من الانبهار بالثقافة الغربية واستيراد (أيديولوجيات) خارجية .

وراء الأحداث

للأستاذ : يوسف خاطر

إن ما حدث فى السنغال وموريتانيا من مذابح أمر يؤسف له ويدعو إلى الحسرة . فمن المعروف أن شعبى البلدين تربطهما علاقات حسن الجوار ، ولكن يبدو أن هناك قوى عنصرية وأجنبية تريد النيل من العلاقات المتينة التى تربط الشعبين المسلمين الموريتانى والسنغالى .

وإزاء هذا التطور الخطير بين البلدين المسلمين لابد أن يكون هناك تحرك عربى سريع وحاسم ـ لوقف نزيف الدم ـ بالإضافة إلى المحاولات الإيجابية التى تبذل من جانب حكومتى (نواكشوط) و (داكار) والتى تتمثل فى سرعة إعادة الموريتانيين والسنغاليين إلى بلادهم .

وكذلك التأكيد على الروابط العربية الافريقية الضاربة فى عمق التاريخ وخاصة أن الدول العربية ساهمت ولا تزال فى دعم التنمية فى أفريقيا وأن هناك دولاً عربية كبرى تعتز بانتمائها لافريقيا .. ولابد أيضاً من اليقظة للمخططات الأجنبية ضد الوجود العربى فى افريقيا .

عـــن
(الاتحاد) الإمارتية

إعـداد : د . أحمد عبد الرحيم السايح
عادل رفاعى خفاجة

● الأستاذ حسن مناع ..

الأمة والإعلام الاسلامى

عن « الوعى الإسلامى »

كان الإعلام وما زال ضرورة إنسانية ملحة وخاصة فى عصر التقدم التقنى المتطور . وإذا كان الإعلام امراً مستحدثاً بالنسبة لكثير من الأمم فهو بالنسبة للأمة الإسلامية قديم العهد ، وثيق الصلة . فالإسلام دين الإنسانية كافة ودعوته غير محصورة فى أرض أو جنس أو لون بل هو للناس فى كل زمان ومكان .

قال تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .

إن طرق مواجهة الغزو الفكرى إعلامياً متاحة للمسلمين فى كل مصر وكل عصر . غير أن نجاحها يحتاج إلى صدق النوايا وصحة العزائم وسلامة التنفيذ . وكم نادى بها المخلصون فى مؤتمرات تعقد تباعاً . وفى الجلسات الختامية تصدر قرارات لا تحظى بالتنفيذ . الأمر الذى جعل الإعلام الداخلى محبوسا فى قوالب جامدة لا يقوى معها على التطور والحركة . وأصبحت قنواته لا تقدر على تحصين الشباب وصيانته من الأوبئة الوافدة . ولا تنهض على حماية العقيدة والتقاليد الأصيلة للأمة .

وإعلامنا الإسلامى فى الخارج يحتاج إلى تخطيط أمين يرد السهام المسمومة إلى نحور أربابها عبر مراكز إسلامية ، ووكالات أنباء متخصصة وأجهزة قادرة على المحاورة العلمية ، تلتزم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الهادف دون ثورة أو انفعال . حتى لا يجد الإعلام المنحرف مجالاً لنشر الضلالات ، وتشتيت الأمة فكراً وولاء وحتى لا تتاح له فرصة استعداء بعض الأنظمة .

ومن هنا تتحدد مسئولية القيادة الفكرية ، والمراكز الثقافية فى دعم الكلمة المكتوبة والمسموعة والمرئية .

* * *

اعلن الأسقف الكاثوليكى « إيميت ولكنسن » فى « منروفيا » عاصمة « ليبريا » فى افتتاح « مؤتمر شباب جمعية الكتاب المقدس » :

ان قراءته للكتاب المقدس لا تجعله يعتقد أن المسيح إله ، وإنما هو إنسان بمعنى الكلمة .

وجاء فى قرارات المؤتمر انه :

● لم ينسب المسيح إلى نفسه الالوهية ـ فلم يوجد ـ مطلقا ـ فى اقواله الثابته ما يشير إلى أن صلته الشعورية بالله تعالى هى صلة تداخل فى الذات الإلهية ... إنما هى صلة إنسان بربه .

عن « الرابطة الإسلامية »

سبق فى دراسة بروتستنتية لسبعة من اقطاب اللاهوت فى انجلترا أن فعلت الشىء نفسه وقدمته فى كتاب بعنوان :

أسطورة الاله المتجسد

« The myth of God incarnate » نشرت مجلة الأزهر دراسة مفصلة لهذا الكتاب بعددها الخامس عام ١٤٠٦ .

السوفييت والاتجاه السلفى

خلال الندوة التى نظمتها كلية الاقتصاد

←

من خير ما نشر

والعلوم السياسية أعلن الدكتور صلاح بسيونى سفير مصر لدى الاتحاد السوفيتى : أن من أخطر الأمور التى تقلق القادة السوفيت نمو النزعات السلفية والدينية بالمشرق العربى ولا يكاد يخلو أى لقاء بين القادة السوفييت والقادة العرب إلا ويؤكد السوفييت للقادة العرب أهمية عدم السماح لنمو مثل هذه الاتجاهات الإسلامية وضرورة القضاء عليها .

وأضاف السيد السفير : أن أكثر مايقلق القادة السوفييت أيضا فى الوقت الحالى الصحوة الإسلامية التى تجتاح الجمهوريات السوفيتية الإسلامية وخاصة فى جمهورية أذربيجان .

● التعامل العربى موضوع مصيرى

فى مقدمة أولويات القضايا .

ركزت مصادر دبلوماسية واسعة الاطلاع على التحذير الذى أطلقه وزير الإعلام الشيخ جابر مبارك الحمد الصباح بشأن المأزق الحقيقى الذى ستقع فيه الأمة العربية فى عام ١٩٩٢ .

فهذا العام هو الموعد المحدد لتكامل الوحدة الاقتصادية والسياسية الأوروبية .

ولاحظت هذه المصادر بكثير من الأهمية النقطة التى أكد فيها أن الدول العربية إذا بقيت على الحال الذى هى عليه الآن ستكون أكبر سوق مربح اقتصاديا لأوروبا . بالإضافة إلى كونها ميدانا رهيبا لسياساتها .

وسيكون تعامل أى دولة عربية مع هذا التجمع القوى من موقع ضعيف .

وأيدت المصادر بشدة دعوة الوزير لجعل هذا الموضوع على سلم الأولويات ، لأنه لايقل أهمية عن القضايا العربية المصيرية الخطيرة .

عن « السياسة الكويتية »

من روائع الماضى بمجلة الأزهر - بقية

الإسلام . وكل ذلك وما يؤدى إليه من وسائل مما يأباه الدين وتحرمه الشريعة وتراه حرباً على جماعة المسلمين . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ . وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

فعلى المسلمين جميعاً أن يتنبهوا لما يصطنعه الأعداء من صور التعامل والتعليم والتنظيم والتمريض والمعالجة وغير ذلك مما يخفون وراءه مقاصدهم السيئة ضد الإسلام والمسلمين .

وإذا كان الإسلام قد نبه المسلمين إلى وجوب اليقظة والحيطة خوف الوقوع فى حبائل الشر التى يصطنعها لهم أعداؤهم ، فإنه لم يفته أن ينبههم إلى وجوب الوفاء بالعهود التى يراد بها الخير وإسعاد الإنسان ، وإلى مسالمة من لا يريدون للمسلمين شراً ولا أذى ومن يقفون منهم موقف السلم والحياد . قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ . وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

فهاتان الآيتان تعتبران دستوراً إسلامياً يرجع إليه فى معرفة ما يحل وما لا يحل من وجوه العلاقات التى تكون بينهم وبين غيرهم من المخالفين لهم فى الدين . والله أعلم .

أنباء وآراء

تقديم : عبد المنعم فودة
صفوت عبد الجواد

مؤتمر الدار البيضاء يعلن قراراته التاريخية

بدعوة من الملك الحسن الثانى انعقد مؤتمر القمة العربى الاستثنائى فى الفترة ١٧ ـ ٢٠ من شوال ١٤٠٩هـ الموافق ٢٣ ـ ٢٦ من مايو ١٩٨٩ م وكان من أهم قراراته :

الترحيب بعودة مصر للجامعة العربية . دعم الانتفاضة الفلسطينية . بارك المؤتمر قيام الدولة الفلسطينية المستقلة . العزم على تقديم كل مقومات العون والدعم والمساندة لها ـ رفض الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية الفلسطينية والعربية المحتلة . الالتزام بوحدة لبنان . الدعوة لاستئناف المفاوضات بين إيران والعراق . تعزيز التضامن العربى المشترك ودعم وحدة الصف العربى لما فيه خير الأمة العربية ونبذ الخلافات . ضرورة التزام وسائل الإعلام العربية بالمقاييس الأخلاقية ، والابتعاد عن المهاترات وتأجج الخلافات . تأييد عقد المؤتمر الدولى للسلام فى الشرق الأوسط .

استنكار الإرهاب بجميع أنواعه وأشكاله . التمسك بمبادىء الحق والعدل والشرعية الدولية فى سبيل الدفاع عن المصالح الوطنية وتحقيق الأهداف النبيلة .

• • •

الأزهر ودار الإفتاء يستنكران حادث اغتيال مفتى لبنان :

استنكر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وعلماء الأزهر وطلابه وهيئاته ، اغتيال سماحة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان كما استنكر الحادث فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية .

• • •

جمعية للدراسات القرآنية فى الأمم المتحدة

● أنشئت لأول مرة جمعية للدراسات القرآنية لتلاوة وتفسير القرآن الكريم داخل مقر الأمم المتحدة فى (فيينا) .

وقد بدأت أنشطة الجمعية بتقديم محاضرات وندوات دينية مساء كل خميس بتلاوة وتفسير

←

أنباء وآراء

القرآن الكريم يلقيها بعض العلماء المسلمين باللغتين العربية والانجليزية .
كما تقام صلاة الجمعة بنفس المبنى وتلقى خطبة الجمعة باللغتين الانجليزية والعربية .

● ● ●

أعلنت وزارة الدفاع الهولاندية استعدادها لتقديم خدمات خاصة لجنودها المسلمين ، وذلك بأن يسرت لهم إقامة صلواتهم أثناء ساعات العمل .

تقول إحصائية رسمية : إن عدد الجنود المسلمين بالجيش الهولاندى سيصل إلى نحو خمسة آلاف جندى قريبا .

بعض هؤلاء الجنود يحمل رتبة عسكرية عليا لم تتكرر فى العالم لأكثر من مرة .

كانت أندونيسيا - الدولة المسلمة - صاحبة الفضل الذى يسره الله تعالى - لأولئك الهولانديين فانخرطوا به فى الإسلام ..

● ● ●

قريبا سوق إسلامية مشتركة

● أصبح من المؤكد أن يتم الاتفاق بشكل نهائى على إقامة سوق إسلامية مشتركة لمواجهة المنافسة التجارية للدول الصناعية .

وكان ٣٧ .. سبع وثلاثون دولة إسلامية قد دعت إلى إقامة هذه السوق خلال مؤتمر عقدته الوفود التجارية لتلك الدول فى (أبو ظبى) وشددوا على الانتهاء من الصياغة النهائية لهذه السوق لمقاومة الضغوط الاقتصادية العالمية والضغوط الاقتصادية من الدول الكبرى .

أوضحت إحصائية صدرت حديثاً عن المساجد في قارة آسيا أنه يوجد بالصين ٢٣ الف مسجد تنتشر في مختلف الولايات الصينية ، وذكرت الإحصائية أن مسلمي الصين يبلغون الآن (١٦) مليون مسلم في حين أن عدد سكان الصين يزيد على الف مليون نسمة وأن المسلمين بها موزعون في عشر ولايات صينية .

● ● ●

أنشأ المركز الإسلامي في ميونيخ مدرسة لحماية أبناء المسلمين من حملات التغريب التي يتعرضون لها في المدارس الألمانية الأخرى .
أطلق على المدرسة اسم « المدرسة الإسلامية الألمانية » .

وفي هذه المدرسة يجمع التلاميذ بين المنهجين الألماني والعربي والتربية الإسلامية .
وقد اعترفت الحكومة الألمانية بالمدرسة وبشهاداتها مما يسمح للتلميذ باستكمال دراسته في المدارس الثانوية الألمانية .

● ● ●

● قررت حكومة تونس منع السائحين والسائحات من التجول فى شوارع الجمهورية عامة بملابس البحر أو ما يماثلها مراعاة لتقاليد البلاد الإسلامية .

● ● ●

تقرر إنشاء معهد إسلامي في مدينة مومباسا بكينيا يقوم بتخريج الدعاة الكينيين لنشر الوعي الإسلامي بين المسلمين في كينيا .

وسيتم إنشاء المعهد بتبرعات الهيئة العالمية للإغاثة والدعوة الإسلامية بمبلغ ١٥٠٠ الف دولار .

لحم الخنزير يؤدى إلى تليف الكبد

اكتشف كبار علماء الجهاز الهضمي في مؤتمرهم المنعقد خلال شهر مايو ١٩٨٩م في كندا ، أن لحم الخنزير يسبب مرضاً قاتلاً هو تليف الكبد وأن الحالات التي فحصت والتي كان فيها استهلاك لحم الخنزير مرتبط باستهلاك الكحول كانت نتائج التلازم فيها مذهلة .

وكم من معجزة للإسلام أغنت عن كشف وَأَثْرَتْ بإيمان .

● ● ●

قررت المنظمات الثماني الإسلامية التي تسعى للحصول على استقلالها في أرتيريا توحيد نشاطها تحت مظلة تنظيم موحد ، وقد وجدت هذه الفكرة ترحيباً كبيراً من المسلمين في أرتيريا .

● ● ●

الخمور تقتل ٢٠٠٠ شخص يوميا فى أمريكا

● ذكرت إحصائية أمريكية رسمية أن (٢١٢٩) شخصاً يلقون مصرعهم فى أنحاء الولايات المتحدة بسبب (٦٣٢٨٨)حادث تصادم سيارة يحدث يومياً ، وذلك نتيجة الإسراف فى شرب الخمور وتعاطى المخدرات .

وأضافت الإحصائية : أن الخمور والمخدرات هى المسئول الأول عن هذه الحوادث حيث بلغ متوسط استهلاك زجاجات الخمر فى الولايات المتحدة نحو ٩٠ مليون زجاجة يوميا .. وتبين هذه الإحصائية أن أكثر من نصف الشعب الأمريكى يكون مخمورا ساعات طويلة على مدى ساعات اليوم .

● ● ●

أوضحت نشرة خاصة صدرت في روما أن أكثر من عشرة آلاف إيطالي اعتنقوا الإسلام في السنوات القليلة الماضية .

وأوضحت النشرة أن عدد المسلمين في إيطاليا يتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ الف مسلم .

● ● ●

ابنة جوليوس نيريرى تعتنق الإسلام

ذكرت مجلة فانكوفر الكندية أن ابنة الرئيس التانزاني السابق جوليوس نيريرى قد اعتنقت الدين الإسلامي بعد أن ترددت كثيراً على أحد المراكز الإسلامية خلال دراستها في إحدى الجامعات الكندية .

والمعروف أن جوليوس نيريرى هو أحد التنزانيين الذين تم تنصيرهم على أيدي الإرساليات التنصيرية منذ نعومة أظافره حتى شب قسا شديد التعصب ، ثم تولى رئاسة الحكم في تنزانيا .

ويقول الخبر : إنه بإسلام ابنة جوليوس نيريرى يكون جميع ابنائه قد دخلوا في دين الإسلام الذي كرس نفسه لمحاربته .

● ● ●

فى سريلانكا :

حملة حكومية منظمة لإهانة الإسلام .. والمسلمين

● يتعرض المسلمون فى سريلانكا حاليا لحملة حكومية منظمة تستهدف الدين الإسلامى يقودها وزير الثقافة فى سريلانكا ويدعى (جياديرا كوليادر) والقصة تتلخص فى أن هذا الوزير يرغب فى إعادة احترام التلاميذ لمدرسيهم عن طريق السجود لهم عند دخول الفصل ويطبق هذا الكلام بالنسبة لجميع التلاميذ من مختلف الأديان .

والأمر لا يثير مشكلة بالنسبة للأغلبية السينهالية التى تدين بالبوذية حيث يعد ذلك نوعا من الاحترام للأكبر سنا فى عقائدهم . أما

←

أنباء وآراء

عند المسلمين فهو أمر يخالف العقيدة التى تحظر السجود إلا لله تعالى .

والغريب أن هذا الوزير أدخل ابنه مدرسة خاصة ذات نظم تعليمية غربية لا تتبع هذا التقليد مما يؤكد أن القانون موجه أساسا لإهانة المسلمين والحط من ديانتهم ، وتبذل الأقلية المسلمة جهوداً هائلة لمنع تطبيق هذا القانون على المسلمين،وقررت الأسر الإسلامية عدم إرسال أبنائها إلى المدارس الحكومية لحين التوصل إلى قرار فى هذا الشأن .

● ● ●

ضم ستة معاهد ازهرية جديدة ببنى سويف إلى الأزهر

وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على ضم ستة معاهد جديدة بمحافظة بنى سويف إلى ادارة المعاهد الأزهرية وهذه المعاهد هى :

معهد الشقر الابتدائى
معهد اطواب الابتدائى
معهد قمن العروسى الابتدائى
معهد اشمنت ابتدائى وإعدادى وثانوى
معهد أبوصير الابتدائى
معهد ياها الابتدائى
ومعهد قاى الابتدائى

صرح بذلك فضيلة الشيخ أبو المجد محمد رضوان مدير عام منطقة بنى سويف الأزهرية ..

● ● ●

انتهى مجلس الشورى للمجاهدين الأفغان بانتخاب السيد / صبغة الله مجددى . رئيساً للدولة .

والسيد /عبد رب الرسول سياف . رئيساً لمجلس الوزراء .

وكلا الزعيمين من قادة منظمات الجهاد التي أبلت بلاء حسنا في طرد الاتحاد السوفيتي من الأفغان خلال شهر فبراير الماضي .

هذا وقد اعترفت المملكة العربية السعودية في بيان صدر من الخارجية السعودية في ٩ مارس ١٩٨٩م بالحكومة الأفغانية الجديدة .

صدر بيان من شباب النمسا بالتضامن مع مجاهدي افغانستان، وجمع التبرعات لنصرة الشعب الأفغاني .

● ● ●

أعلن جمال مهجيو جلو الأستاذ في كلية العلوم السياسية بأنقرة أن حكام الأقاليم التركية ومساعديهم سيصبحون خلال العشر سنوات القادمة من أصحاب الاتجاه الإسلامي في دولة تريد الانضمام للمجموعة الاقتصادية الأوروبية في عام ١٩٩٢ م.

وأوضح جمال مهجيو جلو أن ٤٠ ٪ من الطلبة المسجلين عام ١٩٨٧ م في قسم الإدارة العامة بكلية العلوم السياسية متخرجون من مدارس إسلامية مما يعنى تغيراً كبيراً على مسرح الحياة السياسية في تركيا خلال الأعوام القادمة .

والمعروف أن المدارس الإسلامية في تركيا يبلغ عددها ٣٨٤ مدرسة في العام الماضي، ومسجل بها ٢٩٠ ألف طالب .

مجلة الأزهر : نسأل الله ـ سبحانه ـ تحقيق ذلك وصيانة هذه البراعم مما يراد لها ؛ فإن هذه الأخبار وأمثالها تعطى مؤشراً لكل عدو من أعداء الإسلام .

فهرس العــــدد

- الافتتاحيـــــة
  «د . على أحمد الخطيب» ١٢٠١
- نص كلمة رئيس الجمهورية بالمسجد الاحمدى ١٢٠٧
- اللقاء الصحفى لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الازهر ١٢١٣
- التفسير «امراض القلوب» ١٢١٦
- العبادات واثرها فى السلوك
  للشيخ محمد حافظ سليمان ١٢١٩
- فى رياض السنة المطهرة
  «المسلم السوى والتجافى عن المنكرات»
  د . رءوف شلبى ١٢٢٦
- صفحات مطوية من تاريخ الازهر
  د . مجاهد توفيق الجندى ١٢٣٣
- رسل الأزهر فى بلاد النيجر
  للسفير جمال الدين أبو العيون ١٢٤٠
- إنشاء الأسطول الإسلامى لاول مرة فى التاريخ
  لواء أ . ح محمد جمال الدين محفوظ ١٢٤٣
- الفتـــاوى
  عبدالحميد السيد شاهين ١٢٥٠

أعــلام الأزهــر

- الشيخ حسن خالد
  بقلم : جابر حمزة فراج ١٢٥٤
- الاستاذ الدكتور محمد انيس عبادة
  للأستاذ ناصر محمود وهدان ١٢٥٧

الشـعر والشـعراء
اشراف د. حسن جاد

- دمية الشيطان
  رشاد محمد يوسف ١٢٦٤
- انشــودة المســلم
  مصطفى أحمد دردير ١٢٦٦
- انـــا مصـــر
  وفيقة عواد سلامة ١٢٦٧
- قصة الثقوب فى العلوم الكونية
  أ.د احمد فؤاد باشا ١٢٦٨
- طرائـــف ومواقـــف
  للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٢٧٢
- من روائع الماضى لمجلة الأزهر «حرمة الحج»
  للأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات ....

اللغـة والأدب والنقـد

- من صور الحذف البليغ «الاحتبك»
  د . عبدالحميد محمد العيسوى ٧٨
- ابن قتيبة وكتابه الشعر والشعراء
  د . حلمى محمد القاعود ٨٤
- الســينما الإســرائيلية
  تأليف : شفيق عبداللطيف
  عرض : عاطف شحاتة زهران ٨٩
- مــن خيــر مــا نشــر
  د . أحمد عبدالرحيم السايح
  عادل رفاعى خفاجة ٩٤
- انبـــاء وآراء
  عبدالمنعم فودة
  صفوت عبدالجواد ٩٧

القســم الانجليــزى
اشراف د. أنس النجار

- المقالــة الثانيــة
  د . توفيق شاهين ٦
- المقالــة الاولــى
  د . أنس النجار ١٠

well as the laws of the religion and do that based on the original sources: The Quran, the Sunnah, and other responsible reliable Islamic origins. That would provide him with a clear picture of Islam, its laws, objectives, etc. If he understands it well, then he can communicate it to the people. This requires having special, well-planned programs and institutions to prepare the preacher from his early stages of development. He would thus be able to contribute to the course of Da'wa. However, he should always remember that no matter how knowledgeable he may be, he should never stop seeking a better understanding.

For the preacher, to be effective in delivering his message to is listeners, his knowledge should not be one of limited scope, rather it should be wide, varied and deep at the same time. At all times, he should remember that no matter how well he understands what his teacher explained, his teacher will still have a more global view of the issues, a deeper more concrete understanding by virtue of his experience. The Holy Quran provides the most fundamental methodology of Da'wa.

> "Invite all to the Way of Allah with wisdom and beautiful preaching. And argue with them in ways that are best and most gracious. For Allah knoweth best who has strayed from His path. And those who accept guidance. (Surat Al-Nahl, XVI, 125)

The individual undertaking the responsiiblity of Da'wa is first and foremost a human being. Being a preacher does not change that human nature. The Prophet himself the model for Da'wa, declared he was a mere mortal, a human being undertaking to deliver a Message from Allah, honestly, accurately and sincerely. Even though, he was human, he cleansed himself from all personal ambitions, aspirations and inclinations or longing for life's temptations. He thus excelled as a human being by controlling his human desires.

Undertaking Da'wa does not by itself make the preacher a better person. What makes a person better suited for Da'wa is his abundance of patience, true belief, sacrifice and persistence. He does not have nor is he expected to have super human qualities to foretell the future, forgive sins, control people's livelihood, etc... If a preacher behaves as though he possesses those powers then his Da'wa is false and so is he. The best we could do as humans is to control our desires and instincts and not fall for life's temptations. The advancement we achieve this way is internal and we are rewarded for it as humans.

The preacher should literally live his Da'wa since he will be viewed as an example or model of what he is preaching. He has to have tremendous inner strength to control his behaviour, beliefs and actions so he can be an accurate reflection of the message. The preacher takes it upon himself to stand in support of sincere believers and not be on the side of those fighting against the call to Islam, following thier own desires and closing their ears and hearts to the message of Allah.

The preacher's approach should be one of befriending the sincere believers, forgiving their minor insensitivities. A preacher who follows that route strengthens his beliefs and ensures that he does not end up forcing his message on someone but rather have them embrace it willingly.

The responsibility of Da'wa is not an easy one to undertake. Da'wa path is full of obstacles and requires endurance, persistence and patience. The caller to Islam is expected to persevere and stand fast in the face of difficulties. His belief in the truth of his message and its strength should be his source of patience and persistence. Knowing that he depends on Allah, should provide him with an inner strength irrespective of the materialistic means.

The preacher must have a depth of understanding of the teachings of Islam. He should fully comprehend the spirit as

Anyone who undertakes Da'wa must confront evil with good. The Message of Islam includes rules to improve and refine human behaviour; so if it is rejected or reviled, the preacher must remain benevolent and considerate. He must confront evil with kindness because Islam does not repel evil with evil, stubornness with recalcitrance or falsification with fallacy. The discussion must always remain courteous and the dialogue rational.

The preacher must not get tired to repeat his call to the truth. He must emphasize the fact that Allah forgives sins and overlooks the past, and he must warn of the terrible consequences of a continual rejection of the truth. By giving hope to people that they will be forgiven, by giving them confidence in Allah's mercy, the preacher can soften the most cruel hearts and encourage the most desperate.

The objective of Da'wa is to bring guidance to the whole of mankind, that is why the preacher should not get angry whatever obstacles he may encounter. Da'wa is for everybody, not only for the believers. Islam worries about all people, about the integrity of society as a whole and about the security, prosperity and happiness of all mankind.

Muhammad ibn Abdullah, the last Messenger of Allah, spent his entire life inviting people to the Truth, i.e. the Deen of Allah. His method was simple. It consisted of presenting cogent arguments with compassion and wisdom, without giving offense to anyone and without getting involved in irrelevant debates. The Holy Prophet, did not seek himself a position of leadership or prestige or special honour or wealth. Instead, he trusted the human intellect and expected the human mind. Not once in his entire life can anyone find a single instance or hint of his method of force or threat. Instead, he believed in the freedom of choice and in the acceptance of Truth.

By his personal example and through his teachings, the Prophet exhorted his followers to appeal to the inner goodness and sense of truth and honour in the individual to persuade him to the right path. This approach makes Islam and invitation to Islam or dawa free of all constraints-constrains of time, place, race, colour or creed.

The Qur'an clearly specifies wnat constitutes Dawa. Dawa in Islam is to proclaim Islam as the religion of Allah, The Qur'an is the book of Allah; and The Message of Islam is for all mankind and forever.

Da'wa is pacific. The call to Islam is based on peace. Islam does not ask its followers to fight opponents of Da'wa just because they reject Islam. Allah allowed believers to fight only to repel an aggression in order to allow Moslems to worship and lead their life according to the principles of their religion. Moslems are not supposed to fight to conquer, expand, oppress, exploit or rob people out of their wealth.

The call to Islam means peace in the literal as well as the figurative sense and whoever wants to spread the word must behave accordingly, showing faith and love but also courtesy, compassion and kindness. Da'wa is gentle in its ways and means.

The message of Islam must be presented with honesty. The transmission of the Islamic message requires honesty and trustworthiness, nothing has to be added to it or omitted, nothing must be concealed or falsified. The preacher must show his conviction and his faith in what he is preaching and at the same time emphasize the fact that the message is a Divine Message and that he is only transmitting it. This is a difficult test for the preacher and only those who are absolutely honest can pass it. He must show that truth is indivisible and that Islam does not accept half-baked solution. All the principles of Islam are based on the belief in the Oneness of Allah. To be loyal to the values and principles of Islam, the faith of the believers must be based on conviction and choice. To insist on the truth and present it candidly shows the preacher's honesty and loyalty and demostrates his strength and his wilingness to proceed with his Da'wa despite any difficulties or challenges he may encounter.

Anyone who undertakes Da'wa must accept criticism with open-mindedness. The loyal, trustworthy preacher is required to accept criticism from opponents and scoffers and must respond to them politely with strong and convincing arguments and point out to them the truth and the soundness of Da'wa. If opposition increases and the discussion gets out of hand, the best thing to do is not to fight but to cut it short and leave because Da'wa should not deviate from wisdom, exhortation and polite discussion. To avoid any suspicion of direct or indirect coercion, the preacher should not associate with those who stubbornly oppose the truth of Da'wa. Avoiding those who oppose the truth is an expression of dissatisfaction but it leaves the door open to those who want to reconsider and acccept the truth once they have thought about it and have been convinced by it.

DA'WA IN ISLAM

By : Dr. Tawfik M. Shahin

Da'wa is the call of Islam to ALLAH, the call to the highest ideals of mankind. So, anyone who undertakes Da'wa must be totally devoted to truth and reality. He must avoid any embellishment or ingratiation. Anyone who undertakes Da'wa must consider it as a general invitation extended to every human being whether he is close to him or far removed. He must not discriminate against any group of people. He must be tolerant and avoid anger or hate even towards those who reject the Da'wa.

Anyone who calls to Islam must do it without exercising any undue pressure or coercion because Da'wa is the call to ideals such as peace, non-aggression, respect of the dignity of man and his basic rights. Whoever accepts guidance does it for the good of his own soul and whoever strays harms himself. People must accept da'wa of their own free will and be allowed to use their right to choose to agree to it or reject it. This is the way to preach Islam, using the best arguments without forcing anybody and without deviating from the truth.

Da'wa is an expression of faith and love. It is an objective in itself and not a means of gaining wealth or leadership. It is not a profession bringing material or spiritual profits to the one who exercises it. It is just preaching values and ideals for the sake of Allah. None of Allah's Messengers, peace be upon them, asked for material rewards for transmitting their message and fulfilling their mission. They believed Allah would reward them in the hereafter and gave an example of absolute selflessness and devotion.

→

significance of freedom, justice, equality and human rights which are inherent in Islamic doctrines.

The preservation of the integrity of Islamic thought and the safeguards of its teachings were the axial concentrate of thought in the mind of Abu Bakre throughout his life. It was reflected in all his behaviours, conceptions, actions, characters' and policy in office as Khalifah of Rassul Allah. This rational axiom was the potential that dominated the total life of Abu Bakre; it was the rational belief that formulated his decisions; it was the yard stick by which he evaluated his success and fault; it was his ultimate aspiration and essential function in life. This maxim of thought was dominant in the mind of Abu Bakre as he was recumbent in bed spending the last few hours of life. His intense concern about muslims motivated him to choose the man who would govern and administer their affairs by the same mental patterns and understanding conceptions of Islamic thought. Abu Bakre consulted, thought, deliberated, thought again, supplicated to Allah to grant him the wisdom in choice. He formulated the characters, the personality, the qualifications, the knowledge, wisdom, and aptitudes of the man who would be most suitable to govern the affairs of Muslims in a manner to conform and optimize the preservation of the essential elements of Islamic thought, and to safeguard the teachings of the Prophet. That was the final and most crucial concern of Abu Bakre on his death bed.

History indicates that the choice of Abu Bakre was most precise to the purpose. Abu Bakre chose Omar Ibn Al-Khatab to administer the Muslim affairs after the death of Abu Bakre. The total Muslim populous at Al-Madinah gave concensus, and proclaimed Omar Ibn Al-Khatab to succeed Abu Bakre Al-Siddiq. The sagacity and wisdom of the dying man made him reach a perfect choice that conformed exactly with what Abu Bakre knew to be the requirements of the Muslim Ummah.

preserve the elemental integrity of Islamic thought, and to safeguard the exemplary traditions and teachings of the Prophet. In order to achieve this goal, it was necessary to choose a man whose character was coinciding with the thoughts to be preserved, and whose knowledge was compatible with the teachings to be safeguarded. The choice of the Muhagereen and Ansars to proclaim Abu Bakre as Khalifah of Rassul Allah was most concordant to the requirements of the Muslim Ummah at that critical time after the death of the Prophet. Certainly, no other man at that particular time was more qualified to succeed the Prophet than Abu Bakre. He was most conversant with Islamic doctrines, most knowledgeable in Islamic thought, most cohesive and hormonious in his faith, and his life style. Abu Bakre Al-Siddiq the first companion, the closest friend, the man who absorbed the totality and quality of the essence of Islam from the Messenger of Islam.

During his life, as companion to the Prophet or as his successor; Abu Bakre never accepted to compromise at the expense of his belief or his faith. At the early days after his succession he insisted with stone stubborness to dispatch the army of Ussamah ibn Zayed as ordered by the Prophet. He refused to reconcile and compromise with the tribes who held back the Zakah and waged a war against them. With audacious courage, he recruited and mobilized armies to confront and go on the warpath against the apostate tribes. All the trends and policies of governance during the term of Abu Bakre were trends and policies of governance during the term of Abu Bakre were optimized to preserve the elemental integrity of Islamic thought and to safeguard the exemplary traditions and teachings of the Prophet. Abu Bakre was very adamant and steadfast to achieve this optimization and to conserve it. The proliferation and propagation of Islamic thought and knowledge as fundamental doctrinal function of Islamic Theism was a major part of the Prophet's achievements and aspirations. The Prophet succeeded to proliferate Islam into the whole expance of the Arab Peninsula; and Abu Bakre succeeded in establishing this Islamic proliferation and rooting it to become concrete in the social, political, tribal, financial and theological structures of the inhabitants of the Peninsula. Abu Bakre succeeded further in crossing the geographic boundaries of the Peninsula, and drove Islam into other population groups defying all antagonist forces that confronted the proliferation of Islam. Abu Bakre fully recognized that true proliferation of Islam was through the practice of its humane doctrines and the reality of its teachings. That was the most stable and proficient means of establishing Islam in the hearts and minds of people who came in touch with Islam. With free determination, people came to understand the meanings and

who believed, the basic true doctrines of the faith were elements which advanced the Faith to be established without regression, to be strong without fault of weakness. To Muslims, the doctrines and teachings of the new faith became the fundamental ingredients of thought, the new faculty of intellect and congitation, the guidance of rational reasoning and the source of personal attitude and judgement. Based on free choice without compulsion, the new system of belief became a conviction that controlled and geared the angle of individual and community life.

The magnitude of tansformation that took place in the characters and intellectual systems of early Muslims was so enormous and of such high pitch that invoked the mind of others to wonder and inquire within the self. These early Muslims were the superb examples of mankind; they beleived with free self determined conviction in the Holy Revelation, and they were close to the Messenger. As companion to the Prophet, they conceived the factual objects and articles of the new faith. They were dedicated in theory and practice by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). His words were understood and remembered, and his life's conduct and behavior were exemplary. The early Muslims learned the maxim and axiom of Monotheism, the purpose of Creation, the role of mankind, the preparation and development of man's capabilities and potentialities to suit that role. They were educated about justice, freedom, individual, familial and community human rights, virtue, truth, magnanimity, ecumenism and liberty. These companions were educated and trained to live by the code and spirit of Islam. They were taught to shield themselves from the disease of sin and unchastity; to renounce and deny beligerence and transgression; to scorn arrogance and conceit; to refuse untruth; and to challenge greed and envy. They learned to supress the ego and to control wanton desires and lust. These companions were taught to develop love, kindness, devotion, stability in confidence, piety, and the excellence of human behavior and conduct. Those were the lessons instructed to the Muslims during the years throughout the life of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

The years of the Prophet ended by his death, and what remained in the hands of Muslims was the Holy Revelation (The Quran), and the Traditions (Sunnah) of the Prophet. Then, came Abu Bakre Al-Siddiq, unanimously chosen by Muslims to administer their affairs as the Khalifah of Rassul Allah. Abu Bakre was proclaimed against his own desire, preferring that some other companion could carry the heavy burden. His main concern as evidenced by his words during the historical meeting with the Ansars at the roofing of Bani Saaida, was to

ABU BAKRE AL-SIDDIQ

THE EPILOGUE

By : Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

The life of Abu Bakre Al-Siddiq represents not only the life of one man, but signifies the life of a whole nation through a limited period of few decades. A whole nation that emerged, from total ignorance and complete entropy, to surge with progressive dynamism to carry the banners of the most sustained civilization ever to be carried by mankind. This civilization extended in space to encompass every corner of the Earth; and extended into time to reach the limits of time. A civilization whose roots and stem go beyond space and time. The life of Abu Bakre is a living documentary of a nation's history, education, psychology, social behavior, potentialities, aptitudes and belief.

A study of the Arab tribes during pre-Islamic era reveals the extent of the chaos, disorder and anarchy that prevailed among the inhabitants of the Arab Peninsula at that time. What miracle phenomenon happened to change that environment of total weakness of disruption and disorder into one of optimized highly efficient organization and cohesion, one of solidity and progressive potency. The miracle phenomenon was that of Belief, the Belief in the Divine Message of Islam. The Message that started in the heart of one man, to extend to his tongue as he summoned men to listen and understand the genuine truth and reality of the Message. Men listened at first the very selective few, men like Abu Bakre Al-Siddiq; later, more men came to listen, to recognize the Light of Reality and radiant brilliance of Truth. The Message relayed to that chosen Messenger through the Holy Revelation. The proliferation and propagation of the Holy Message was ineffable and miraculous inspite of all the deterrent conditions that surmounted at the time. The devoutness of Belief, the changing mental patterns of those

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

VOL. 61, PART 11

ZU AL QIDDA, 1409, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq

The Epilogue

By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. Da'wa in Islam.

By: Tawfik M. Shahin.

Preparation of Prints by : Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
العنوان
إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
ذو الحجة ١٤٠٩ هـ
يوليو ١٩٨٩ م
الجزء الثانى عشر
السنة الحادية والستون

بسم الله الرحمن الرحيم

إيلاف قريش

النعمة ... والجحود

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ (١) إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

●●●

نزلت الآيات الكريمات بمكة وقريش ممعنة فى كفرها عاكفة على وثنيتها وكيدها لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا غرو أن تستفتح بالتعجب فى أول حرف من حروفها « اللام » التى أولاها كبار المفسرين تحقيقاً قيما شريفاً .

وفى الحق أن نِعَمَ الله ـ سبحانه ـ على قريش ـ لا تحصى .

ولئن شَغَلَ قرشيًا لهوُ الحياة ، أو صرفه مرح الشباب ، أو ألهاه ثراءُ الإيلاف فلم يجنح إلى تَذَكُّرِ ما أنعم الله ـ تعالى ـ به عليه من لطيف نعمتة ودقائق رحمتة فتيسرت له المتعةُ بالقوة والنعمة . فاغترف من لهو الحياة .

← إيلاف قريش

فإنه ـ أبداً ـ لا يمكنه أن ينسى فضل الإيلاف عليه وعلى قومه ؛ فإنه ـ وحده ـ نعمة فذة أدارت عجلتُها حياتَه جميعاً فقفزت بها من جوع أكل الأبدان ، وأشرف بها على هلاك وَضَيْعَة .

ومن قبل الإيلاف أسكنهم ـ سبحانه ـ أرضاً حراماً بَثَّ قدسيةَ أمنها ، وحُرْمَة أهلها فى نفس كل عربى : فَدَان لقريش :

بـ« طاعة » لم تفرضها عليه مكة بقوة حكومتها .

وبـ« وَلاءٍ » لو أنفقت قريش من أجله كنوز الأرض مانالت من نسيجه فتيلاً ، ولا من وزنه قطميرا .

فكان لها من قلوب العرب حبٌّ يحوطها بالتجلة والإكرام ، ومن أيديهم سلاح يذود عنها ، ويُقِرُّ بها الأمان ..

بينما أولئك العرب أنفسهم ـ خارج هذا الحرم يتقاتلون وَلاَ وْهَى الأسباب ، حتى ليخطف بعضهم بعضاً لدى أدنى غِرَّةٍ فى ذهاب أو إياب ثم يباع رقيقاً ـ وهو الحر الخالص ـ فيسام سوء العذاب .

فى تلك الأراضى الملتهبة بالإرهاب تنطلق رحلات الإيلاف لقريش بين طرقهم ، وفى سواء أشجانهم آمنة قريرة العين كريمة الكيان ، وقد أَلِفَ القرشيون تلك الرحلات فَأَنِسُوا إليها وأحبوها فلم يضيقوا بمشقات السفر أو يستطيلوا زمنه ، وفى الكتاب العزيز :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ العنكبوت ٦٧ .

ومع ذلك كفرت قريش .

أفليس عجيباً ـ والحال هذا ـ أن تُشرِكَ قريش ، كما أشركت العرب ، فتكفر بوحدانية ربها ، وتعبد غيره ، وتسبغ على معبوداتها قُوًى من صنع خيالها ، وما هى إلا أوثانٌ لا تملك مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، وليس لها من شركةٍ فى مُلْكٍ أو خَلْق ، وليس لله منها معين ؟ تعالى الله علواً كبيراً فليس له شريك فى الملك،وهو المنفرد بالعزة والقدرة والقهر والجلال ، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

كان ذلك واقع قريش ، وتلك كانت نعمة الله .

فكان هذا التعجب الذى صورته الآية ليكون المعنى ـ والله أعلم :

اعجبوا ـ أيها الناس ـ لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وامتيازهم بهذه النعمة الواضحة مع عكوفهم على وثنية وتركهم عبادة الله الواحد الصمد رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

فاعبدوه بغير شرك ، واشكروه فى إخلاص ، فهو المولى : لا إله غيره ، ولا رب سواه .

د. على أحمد الخطيب

كلمة الأزهر الشريف

في اليوم العالمي لمكافحة المخدرات

لفضيلة الإمام
الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

تقديم: معنى لفظ الخدر الذى منه المخدرات .

(أ) الخدر بالتحريك: استرخاء يغشى بعض الأعضاء أو الجسد كله
والخدَر : الكسل والفتور .

وخدر العضو تخديراً : جعله خدرا وحقنه بمخدر لإزالة إحساسه .. ويقال : خدره الشراب وخدره المرض . والمخدر : مادة تسبب في الإنسان والحيوان فقدان الوعى بدرجات متفاوتة كالبنج والحشيش والأفيون والجمع مخدرات وهى محدثة(1) .

(ب) التفتير: يقال : فتر عن العمل فتوراً : انكسرت حدته ولان بعد شدته ومنه قولهم : فتر الحر إذا انكسر(2) .

ومن ثم يكون التفتير تكسيراً للحدة وتليينا بعد الشدة ويكون أعم من التخدير إذ هذا نوع من ذاك .

(جـ) الاغماء: يقال أغمى عليه :عرض له ما أفقده الحس والحركة .. والإغماء فتور غير أصلى يزيل عمل القوى لا بمخدر .. فالتخدير مباين للإغماء(3) .

(د) الاسكار: يقال : أسكره الشراب أزال عقله ، فالإسكار : إزالة الشراب للعقل دون الحس والحركة .. ومن ثم يكون التخدير أعم من الإسكار(4) .

هذا :

وتوجد ألفاظ أخرى لها صلة بالتخدير كالمفسد والمرُقِّد .

قال الحطاب :

فائدة تنفع الفقيه ، يعرف بها الفرق بين المسكر والمفسد والمرُقِّد .

● اليوم العالمى لمكافحة المخدرات بتاريخ ٢٢ من ذى القعدة سنة ١٤٠٩ ٢٦ / ٦ / ١٩٨٩ .

(1) لسان العرب و « تاج العروس » والمعجم الوسيط مادة (خدر) .

(2) المصباح المنير مادة (فتر) .

(3) المعجم الوسيط .

(4) المصباح المنير مادة (سكر) .

فالمسكر : ما غيب العقل دون الحواس مع نشوة الفرح .
والمفسد : ما غيب العقل دون الحواس ، لا مع نشوة وفرح .
والمرقد : ما غيب العقل والحواس(٥) .

أنواع المخدرات :

تتنوع المخدرات بتنوع أصولها المستخرجة منها ، وهى تتناول فى جملتها نبات القنب وما يستخلص منه ، والأفيون الذى يستحضر من الخشخاش ، والقات والكوكايين ، والبنج وغير هذا .. مما يستعمل بالمضغ أو التدخين أو الحقن أو غيرها وينتج عنه تغييب العقل ويؤدى إلى الإدمان ، ويسبب تدهوراً فى عقول المدمنين وصحتهم بوجه عام ، بل وتغير الحال المعتدلة فى الخَلق والخُلق .

حكم المخدرات فى الاسلام :

لما كان الحفاظ على عقل الإنسان وصونه إحدى الضرورات الخمس التى جاءت نصوص الشريعة حاسمة فى المحافظة عليها وكانت أضرار المخدرات ـ بالعقل وبسائر الجسد ثابتة واضحة للعيان كانت محرمة سواء أكانت طبيعية أم مخلقة ، سائلة أو جامدة ، فلايحل تناولها بأى قدر قليل أو كثير وبأى طريق إلا لغرض معتبر شرعاً ، وهى محرمة لضررها باعتبارها مفسدة للعقل وللجسد وللخَلق وللخُلق ، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وقد قال العلماء : إن المضرات من أشهر المحرمات .

وقد اتفقت كلمة فقهاء المذاهب المعتبرة على تحريم تعاطى المخدرات ـ وصناعتها والاتجار فيها والجلوس فى محال تعاطيها .

وقد ساق الفقهاء للاستدلال على ذلك أدلة عديدة منها :

مارواه الإمام أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن أم سلمة أن الرسول ﷺ « نهى عن كل مسكر ومفتِّر » ورواته رجال الصحيح ..

وهذا نص فى الموضوع لأن المسكر غير المفتر إذ العطف بالواو يقتضى المغايرة ـ والمخدرات ـ جميعها من نوع المفتر والنهى يدل على التحريم ، لاسيما وقد قرن بين المسكر الثابت تحريمه بالقرآن الكريم وبين المفتر ومن ثم يتساويان فى التحريم ..

وقد استدلوا أيضاً بحديث « لا ضرر ولا ضرار .. » قال أبو داود فى شأنه : إنه من الأحاديث التى يدور الفقه عليها .. وتدخل المخدرات فى التحريم فى نطاق قول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُم إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ . وفى سورة النساء : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً ﴾ وفى سورة الحشر : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ .

وفى شأن الاتجار فى المخدرات وجلبها وتصنيعها وترويجها تسرى نصوص الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة فى تحريم صنع وبيع وترويج المحرمات والاتجار فيها مثل ما رواه البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » .

(٥) الحطاب جـ ١ ص ٩٠ والفتاوى الكبرى الفقهية لابن تيمية جـ ٤ ص ٢٣١

وما رواه ابن ابى شيبة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه » .

هذا فضلاً عما فى ترويج المخدرات وإعدادها للتداول والتناول من التعاون على المعصية وهذا من المحرمات بنص قول الله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ .

وتجريم كل من ضبط فى أمكنة تعاطى هذه المخدرات أمر له سنده فى نصوص الشريعة حيث حرم الله سبحانه مجالسة من يكفرون بآيات الله وينتهكون بذلك حرمات الله .

ففى سورة النساء قول الله سبحانه : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ . وفى سورة المؤمنون : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ .

وفى سورة الفرقان : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ .

وفى سورة القصص : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ . .

إذ كل هذه الآيات وغيرها تحرم على المسلم الجلوس فى مواطن الريب وتمتدح الذين يتجنبون مجالس اللهو واللغو ..

وقد روى الطبرانى عن ابن عباس عن النبى ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » .

وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد فى مجالس الخمر » .

وقد نقل عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يجلد شاربى الخمر ومن شهد مجلسهم وإن لم يشرب معهم ، وقد رفع إليه قوم شربوا الخمر فأمر بجلدهم ، فقيل له : إن فيهم فلاناً وقد كان صائماً فقال : أبدأوا به .

ومن ثم فإن عقاب كل من ضبط فى أمكنة تعاطى المخدرات أمر له سنده فى نصوص الشريعة الإسلامية وجرى تطبيقه قضاء ..

وإذا كان القرآن الكريم قد حرم الخمر تحريماً قاطعاً فى آية سورة المائدة :

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ شارحة ، وقضاؤه تطبيقاً لهذه الآية وللحد من ارتكاب هذه الكبيرة ..

وكان تحريم المخدرات ـ للضرر المحقق الماحق لمتعاطيها كانت مصلحة الأمة تقضى بالعقاب الرادع على مقارفتها سواء بالزراعة او بالصناعة أو بالجلب أو بالاتجار أو بالاستعمال الذاتى والتعاطى وكان الجزاء داخلاً فى باب التعازير . التى جرت عليها الشريعة الإسلامية كعقوبة لما لم يرد فى شأنه حد مقرر .

فالتعزير عقوبة لم تقدر من الشارع ، وتجب حقاً لله تعالى أو لآدمى .

« المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ ٩ ص ٢٦ ، وفتح القدير للكمال بن الهمام الحنفى جـ ٧ ص ١١٩ والأحكام السلطانية للماوردى ص ٢٢٤ » ..

والمعتمد عند الحنفية أن التعزير عقوبة مفوضة إلى رأى الحاكم ـ من حيث المبدأ ـ وأن على الحاكم فى تقدير العقوبة مراعاة حال الجريمة والمجرم ..

وهل تجاوز العقوبة التعزيرية الحد المقرر لجنس الجريمة ؟

اجاز الفقه المالكى - فى بعض الاقوال - للإمام ان يزيد فى التعزير على الحد ، رعاية للمصلحة التى لا يشوبها هوى ومنعاً للفساد والإفساد فى الارض « تبصرة الحكام لابن فرحون جـ ٢ ص « ١٦ » ط سنة ١٣٠١ هـ - ومواهب الجليل جـ ٣ ص ٣٧ » ..

واجاز الحنفية القتل تعزيرا سياسة منعا للسعى فى الارض بالفساد (حاشية ابن عابدين جـ ٣ ص ١٨٤ ، ١٨٥ والبحر الرائق لابن نجيم جـ ٥ ص ٤٥) .

ومثل هذا نقل عن الحنابلة . واذا نظرنا إلى - تداول المخدرات - كفساد وإفساد للناس انطبق على متداوليها - أياً كان وضعهم - حكم آية الحرابة بوجه عام ، باعتبار ان العمل فى ترويجها إفساد فى الارض ، فجاز فرض عقوبة الإعدام فى بعض حالات تداولها ..

على انه ينبغى التنبه إلى ان ما تداولته الالسنة اخيراً من ان المخدرات اشد حرمة من الخمر لايصادف محله ، لان حرمة الخمر ثابتة بالنص القطعى القرانى الخاص حسبما تقدم بيانه .

وهذه المخدرات ثبتت حرمتها باعتبار ضررها فهى مشاركة للخمر فى الإضرار بتعاطيها وإن كانت المخدرات اخبث وافدح فى الضرر ..

وتحريم المخدرات فى الإسلام ثابت مما سلفت الإشارة إليه من النصوص باعتبارها افدح فى الضرر ، وبهذا صارت من الخبائث التى نص القرآن الكريم على تحريمها فى قوله تعالى فى سورة الاعراف الآية رقم ١٥٧ (... وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ..) ..

والأزهر الشريف يهيب بالناس عامة وبالشباب خاصة ان يقدروا خطر هذه السموم التى تفتك بكيان الامة فى اعز مالديها من ثروة بشرية .

إن الواجب مواجهة هذا الخطر الداهم - الذى يستهدف الامة الإسلامية والعربية ومصر بوجه خاص بكل الإمكانات على مستوى الحكومات والجامعات والمعاهد والمدارس ورجال الدين والعلم والادب والفن ووسائل الإعلام بكافة اجهزتها وعلى مستوى الافراد وبخاصة الاسرة (الأب والام) فهى اللبنة الأساسية الاولى فى تربية الأبناء وتنشئتهم على الخلق والدين ومراقبتهم بالحكمة الرشيدة والتوجيه السليم، والقدوة المسئولة التى تمنعهم من الانحراف او على الأقل تدارك الامر قبل ان يستشرى - ويستفحل . وإنه لمن واجب كل مسلم ان يبلغ المسئولين عن كل من يتعامل معها - باى صورة من صور التعامل - وهذا من النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم حماية للمجتمع من هذا الخطر .

لقد آن لنا ان نطبق احكام الشريعة الإسلامية على جميع المتعاملين مع هذه السموم بكافة اشكالها ومسمياتها استجابة لاحكام ديننا وإرضاء لربنا الذى احل الطيبات وحرم الخبائث وفى مقدمتها الخمور ..

قال الله تعالى فى سورة الانفال :﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ - صدق الله العظيم ..

وفق الله الجميع للتمسك بدينه والعمل بشريعته وهو حسبنا ونعم الوكيل ..

شيخ الأزهر

« جاد الحق على جاد الحق »

مسلك ذي الوجهين

للأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾
(سورة البقرة ١٣ ـ ١٦).

مناسبة هذه الآية لما قبلها : هى الأمر بعد النهى ، والتحلية بعد التخلية .

فلما نهى المنافقين عن الإفساد فى الأرض ، أمرهم بالإيمان الذى هو فى نفسه صلاح وإصلاح ، ولكن الحديث مـع المنافقـين ، وما أدراك من هم !؟ فما خاب الملعون منهم قط فى رأى نفسه ، وإن كان كله خيبة فى آراء الصالحين ، وكل الصفات السامية ، متى نزلت على الدهماء والأوشاب ، وهذا الهمج الهامج فى إنسانية الحياة ، نحلوها أسماءً من طبيعتهم لا من طبيعتها .

فالفضيلة عندهم غفلة ، والسمو كبرياء ، والصبر بلادة ، والأنفة حماقة والروحية ضعف ، والإيمان سفه .

ومتى اضطربت الحياة تشابكت الأضداد وقلما تتميز ، والحق أن التفريق بين المتشابهات ضرورة يقتضيها فهم الواقع .

وهذه الآية قد صُدرت بأداة الشرط ﴿ إِذَا ﴾ وختمت بالاستدراك ﴿ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وافتتاح الآية بـ ﴿ إِذَا ﴾ يدل على التحقق والقطع بما يقال ، بخلاف ما إذا بدأها بـ ﴿ إِنَّ ﴾ التى هى للشك والتوهم ، وكل ما صُدر بالشرط وأداته فالمقصود منه الجواب ، إذ الشرط وسيلة له ؛ فمثلاً « إذا ذاكرت نجحت » ، كان المقصود منه إحراز النجاح ، والمذاكرة وسيلته .

وعليه فليس المراد هنا حكاية دعوة المؤمنين للمنافقين ، وإنما المراد قلب المنافقين للحقائق ورميهم المؤمنين بخلال المنافقين .

وبناء الفعل للمجهول ، يدل على العلم بالقائل ، فإنه إما أن يكون هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أحد أفراد المؤمنين الذين دَعُوا المنافقين إلى صحة الإيمان .

مسلك ذى الوجهين

ومقول القول هو : ﴿ آمِنُوا ﴾ ، فالقائل ما قال قولاً منكراً ؛ بل قال قولاً معروفاً ، يُصحح به انحراف قصد المنافقين فى دعواهم الإيمان ، فهم فهموه أنه إقرار ولا شىء وراءه ؛ لأن الإقرار يُنجيهم فى نظر المؤمنين الذين أمرهم الله أن يُعاملوا الناس على ما ظهر منهم ، وأن يكلُوا سرائرهم إلى خالقهم ، والحق أن (الظاهر) كافٍ فى إجراء الأحكام فى الدنيا ، إلا أن فقه الإيمان يُرشدنا إلى أن (الظاهر) ما لم يقم على الإخلاص فإنه لا قيمة له عند الله ، وإن كان له اعتبار عند الناس .

طلب المؤمنون من المنافقين أن يُصححوا إيمانهم بأن يُلحقوه بإيمان المؤمنين وما هم عليه من إخلاص ، فهو تشبيه إيمان بإيمان لكن المنافقين عدلوا عن ذلك ، ونظروا إلى الداعى وقالوا : ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ ، وخلاصة ما يقال عن الإيمان أنه : اطمئنان قلبى والتزام بكل ما جاء به الشرع ، وينقص الإيمان بقدر ما يفرط الإنسان فيما ألزمه الله به .

ومتى وقعت « ما » بعد « الكاف » تعين أن تكون « ما » مصدرية والتقدير : (آمِنُوا كإيمانِ المُؤْمِنِين الذين هم جمعوا معاني الإنسانية في إيمانهم ، فما فى دينهم تعصب لجنس أو لقبيل أو لحضارة معينة ، بل هو إيمان تخطى حدود الإقليمية إلى العالمية ، وتجاوز الأنانية الفردية لينتهى إلى الإيثار فى سعة الغيرية ، فالمؤمنون هم الناس ، وَفَّوا للإنسانية جمعاء بحقوقها ، وإن تخلف المسلمون اليوم فالعيب منهم لا فى دينهم الذى تحلى به غيرهم .

﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ لم يُدَّع على المنافقين بل هو تسجيل لأقوالهم ، وما فيها من إنكار على المؤمنين .

والاستفهام إنكارى بمعنى النفى ، أى : لا نؤمن إيماناً كإيمان السفهاء ؛ فإن سألتهم : لماذا اعتبر المنافقون غيرهم سفهاء ؟ كان جوابهم : أن السفيه من خف عقله وضعف تصرفه ، وهم يرون أنفسهم أصحاب الرياسة ولهم من الامتيازات ما يسلبه إيمان المؤمنين ، حيث لا فضل فيه لأحد على أحد إلا بالعمل ، فالمؤمنون بهذا (التقييم) فى نظر المنافقين سفهاء ، ولكن الله رد عليهم دعواهم فقال ـ بالاستفهام التقريري بما بعد النفى : ﴿ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

ذلك أن التفريق بين الحق والباطل أمرعقلى ، والسَّفَهُ جهل ، فَنَاسَبَهُ نفى العلم ، بخلاف الإفساد فى الأرض فإنه يُدركه الإنسان بالضرورة كما يُدرَك بالحواس ، ومن ثم قال فى الإفساد ﴿ وَلَكِن لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وقال فى السفه : ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

والقاعدة : إذا كان جواب الشرط (طلباً) أفاد العموم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى ﴾ ، وإن كان (ماضياً) لم يُفد العموم كما هنا ، فليس كل المنافقين قالوا ما حُكى عنهم ، بل منهم من كان نفاقه ضعفاً ليحصل على رزق ، ومنهم من كان نفاقه ليتخذ لنفسه نصيراً .

والحق أن الإيمان لا يبقى فيه موضع لنفاق ، والمؤمن صادق صريح لا يقبل مساومة على دينه وشر الناس من يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ، تلك خصلة من خصال النفاق

لا ظاهر له مستقر ، ولا باطن له مطمئن ، يخاطب كل قوم بما يُرضيهم وفى النهاية يركن المنافق إلى من يُشاكله ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ ، يُرضون المؤمنين إذا لاقوهم بقولهم : ﴿ آمَنَّا ﴾ ، وإذا انفردوا بشياطينهم وهم كبار الكفار قالوا : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، ولا تصاب الحياة بأكثر من النفاق ، ولا يُحطم قِيَمَهَا إلا الرضى به ، ولا يدرى المخدوع بالمنافقين أنهم سينافقون غيره مثل ما نافقوه ، ويكذبون عليه مثل ما كذبوا على غيره .

و(لقى) و(التقى) بمعنى ، و(خلا إلى) أو(خلا به) بمعنى : انفرد به ومضى إليه ، و(الشيطان) من : (شاط) بمعنى احترق ، أو من (شطن) بمعنى بَعُدَ عن رحمة الله .

وشياطين المنافقين هم : المتمردون العتاة منهم ، والذاهبون لهم هم صغار المنافقين الذين يُنافقون سادتهم .

وتأمل لقاءهم للمؤمنين والتقاءهم بالشياطين ، فمع المؤمنين يدعون الإيمان بمجرد إحداثه لأنهم يظهرونه أمام المؤمنين ، وادعاؤهم كمال الإيمان لا يخفى بطلانه عند المؤمنين ، فأما لقاؤهم مع الشياطين فيؤكدون مذهبهم بقولهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ ، وكأنهم سُئلوا عن دعواهم عند المؤمنين ، فأجابوا بأنهم : مستهزءون ساخرون منهم ومن معتقداتهم .

والعقيدة ملاذ جسد ، وملاذ روح ، وتعويض عن فخر الدول وعصبية الأقوام ، وإن الإسلام لا يصف بالجبن إنساناً يتقى مكامن اللصوص وجحور الحيات ، فالإسلام ـ سر وعلانية ـ يدعو المؤمن أن يأخذ حذره مما يحيط به من أخطار وينهاه أن يُلقى بيده إلى التهلكة ، وفى الوقت نفسه يدعو أبناءه إلى الصلابة فى الحق ، ونبذ المساومة عليه ، إذ هو يُلقنهم : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ ، وخليق بالمنافق أن يسأم نفاقه قبل أن يسأم من يُنافقه الصبر على نفاقه ، فما أخس وأصغر من المنافق إن كشف أمره ، والمؤمنون لا يُضللون العقول ، ولا يحاولون أن يخدعوا أصحابها . أما المنافقون فليس لهم مبدأ يستندون إليه : ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ . وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ .

وهنا أسئلة :

١ ـ كيف يجوز وصف الله تعالى بأنه يستهزىء ، وقد ثبت أن الاستهزاء لا ينفك عن التلبيس ، وهو على الله محال ؟ وهو ـ كذلك ـ لا ينفك عن الجهل لقوله ﴿ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، والجهل على الله محال ؟

والجواب :

أنه سبحانه سمى الجزاء باسم العمل المجازى عليه مُشاكلةً ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ، وأن ضرر استهزاء المنافقين بالمؤمنين راجع إليهم وغير ضار بالمؤمنين ، فيصير كأن الله استهزأ بهم .

روى ابن عباس : « إذا دخل المؤمنون الجنة ، والكافرون النار فتح الله من الجنة باباً على الجحيم فى الموضع الذى هو مسكن المنافقين فإذا رأى المنافقون الباب مفتوحاً ، أخذوا يخرجون من الجحيم ، ويتوجهون إلى الجنة ،

البقية ص ١٣٤٧

مكانة الحج والعمرة في الإسلام

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « ايها الناس : قد فرض الله عليكم الحج فَحُجُّوا ، فقال رجل : اكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ـ صلى لله عليه وسلم : لوقلت نعم : لوجبت ولما استطعتم .. ثم قال : ذرونى ماتركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم : بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على انبيائهم .. فإذا امرتكم بشيء : فاتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء : فدعوه » اخرجه مسلم فى صحيحه ..

● الحج لغة :

القصد إلى معظم ، وأصله من قولك : حججت الشيء أحجه حجا ، إذا قصدته .. ويقال : حججت فلاناً أحجه : إذا عدت إليه مرة بعد أخرى ، ولذا قيل : حج البيت ؛ لأن الناس يأتونه فى كل سنة ..

● وشـرعـاً :

قصد البيت العتيق : للزيارة والنُّسُك على وجه التعظيم ، بأفعال مخصوصة ، فى أشهر معلومة هى : شوال ، وذو القَعدة ، وعشر من ذى الحجة ، استجابة لأمر الله ، وابتغاء مرضاته ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ « ال عمران : ٩٧ .. » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » أخرجه البخارى .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال . « الحج المبرور : ليس له جزاء إلا الجنة ، قيل : ومابرُّه ؟ قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام » . أخرجه أحمد والطبرانى والبيهقى ..

● سـببه :

البيت الحرام؛ لأنه يضاف إليه ، ولهذا لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة لعدم تكرار السبب ، إلا أن ينذره المرء ، فيجب عليه الوفاء بالنذر ، ومازاد فهو تطوع ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ياأيها الناس : كتب عليكم الحج ، فقام الأقرع بن حابس ، فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ قال : لو قلتها :

للأستاذ:
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا . الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » .. رواه أبو داود والنسائى وأحمد ..

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : « قالوا : يارسول الله .. الحج فى كل عام ؟ قال : لوقلت نعم ، لوجبت ، ولو وجبت : لم تقوموا بها ، ولو لم تقوموا بها : لعذبتم » . رواه ابن ماجه .. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قيل يارسول الله الحج كل عام ؟ قال : لا ، بل حجة ، قيل : فما السبيل ؟ قال : الزاد والراحلة » ، رواه الدراقطنى ..

والأمر فى قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا .. » هل تقتضى التكرار أم لا ؟ اختلف الأصوليون فى ذلك على ثلاثة أقوال :

١ ـ لا يقتضيه .

٢ ـ يقتضيه .

٣ ـ يتوقف فيما زاد على مرة على البيان فلا يحكم باقتضائه ولا بمنعه .. وهذا الحديث قد يستدل به : من يقول بالتوقف ؛ لأن الأقرع بن حابس : سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مستفهماً مستوضحاً ، فقال : أكل عام ؟ ولو كان مطلقه يقتضى التكرار أو عدمه : لم يسأل ، ولأجابه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : لا حاجة إلى هذا السؤال ؛ لأن مطلق الأمر محمول على كذا .

وقد يجيب القائلون بعدم الاقتضاء : بأنه سأل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : استظهاراً واحتياطاً .

قال الماوردى : « ويحتمل أنه إنما احتمل التكرار عنده من وجه آخر ؛ لأن الحج فى اللغة : قصد فيه تكرار ، فاحتمل عنده التكرار من جهة الاشتقاق ، لا من مطلق الأمر ..

وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ذرونى ما تركتكم » ظاهر فى أن الأمر هنا لا يقتضى التكرار : على سبيل الوجوب بل على سبيل الندب ، لما روى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه : يقول الله عز وجل : « إن عبداً صححت له جسمه ، ووسعت عليه فى المعيشة : تمضى عليه خمسة أعوام . لا يفد إلىَّ لَمَحروم » أخرجه ابن حبان والبيهقى ..

● حكمــه :

الحج فرض عين على كل مكلف حر مسلم بالغ مستطيع ، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة التى بنى عليها ديننا الحنيف ، وفريضة محكمة : يكفر جاحدها ، وهو عبادة : تنتظم من الإنسان : قلبه وبدنه وماله ، وتعود عليه بخيرى الدنيا والآخرة .. حسبما قال الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ

←

مكانة الحج فى الاسلام

لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ « الحج : ٢٧ - ٢٩ » .. فقوله تعالى ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ اى ليحضروا منافع لهم مختصة بهذه العبادة : من أمور الدنيا والدين ، وقيل : المنافع : التجارة ، وقيل : العفو والمغفرة ، وعلى كل : فهى عامة مطلقة تشمل كل ما ينفع الفرد والجماعة ، بل والأمم والشعوب ، لاسيما أن الوقوف بعرفة : يعتبر اجتماعاً عالمياً ومؤتمراً دولياً للتعارف والتشاور ، وتبادل الخبرات والتجارب ، ودراسة مشكلات الشعوب .

واختلف فى وقت فرضيته : فقيل سنة ست من الهجرة ، لأنه نزل فيها قول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ « البقرة : ١٩٦ » .. وقيل : سنة تسع .

وهل هو واجب : بالنسبة للقادر المستطيع على الفور ، أو على التراخى ؟ .

قال ابو حنيفة وأحمد وأبو يوسف ، وبعض اصحاب الشافعى والمزنى : هو : على الفور ، لما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أراد الحج فليعجل ؛ فإنه يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة » .. رواه ابن ماجة وأحمد والبيهقى ..

وفى رواية اخرى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « تعجلوا إلى الحج يعنى الفريضة ، فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له » أى ما يحدث له : من مرض أو حاجة ، اخرجه احمد والبيهقى والأصبهانى .

وقال الشافعى والثورى والأوزاعى وبعض المالكية ومحمد بن الحسن : إنه على التراخى ، فيؤدى فى أى وقت من العمر ، ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره متى اداه قبل مماته وإن كان يستحب تعجيله والمبادرة إليه ، متى استطاع الإنسان اداءه ، عملاً بقول الله تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ « البقرة : ١٤٨ » . فقد ثبت أن النبى - صلى الله عليه وسلم - : لم يحج سوى حجة واحدة : هى حجة الوداع ، وذلك فى السنة العاشرة من الهجرة . وكان معه أزواجه : أمهات المؤمنين ، وكثير من أصحابه ، مع أن إيجابه : كان سنة ست أو تسع من الهجرة ، ولإجماع العلماء : على ترك تفسيق القادر على الحج ، إذا أخره عاماً أو أكثر ، وأنه إذا حج بعد مضى عدة أعوام من حين استطاعته : فقد أدى الحج الواجب عليه فى وقته .. اللهم إلا أن ينتهى إلى حالة : يظن فواته لو أخره عنها فحينئذ : يجب عليه التعجيل بأدائه ..

وقد أخذ من قول النبى - صلى الله عليه وسلم - : « لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم » :

أنه يجوز أن يُفَوِّض الله تعالى : إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - : شرح بعض الأحكام عن طريق الاجتهاد ، ولا يشترط فى حكمه : أن يكون بوحى عن الله تعالى ، وقيل : يشترط ذلك .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : « فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم » يدخل فيه ما لايحصى من الأحكام على سبيل : التخفيف والتيسير .. ورفع الحرج والمشقة ، وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ « التغابن : ١٦ » .

واما قول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ « آل عمران : ١٠٢ » فقيل إنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ

مَااسْتَطَعْتُمْ ﴾ وقيل إنها ليست منسوخة بل هى مفسرة ومبينة للمراد منها .

قالوا : ويراد من قوله تعالى : ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِ امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، ولم يأمر الله عز وجل : إلا بالمستطاع ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ « البقرة : ٢٨٦ » .. وقال جل شأنه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ « الحج : ٧٨ » .. وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ « البقرة : ١٨٥ » ..

العمرة : شروطها وأركانها :

ـــ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « العمرة إلى العمرة : كفارة لما بينهما ، والحج المبرور : ليس له جزاء إلا الجنة » . أخرجه البخارى ومسلم ..

العمرة لغة : الزيارة .

وشرعاً : زيارة البيت الحرام للنسك ..

● **حكمها** :

ذهب أحمد والشافعى فى أحد قوليه : إلى أنها : فرض عين على القادر المستطيع ، لقول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ « البقرة : ١٩٦ » .. وقد عطفت على الحج وهو فرض ، فهى فرض كذلك ، وبما روى عن عبدالرازق قال : أخبرنا معمر عن قتادة أنه كان يحدث : أنه لما نزلت : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ « آل عمران : ٩٧ » .. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : باثنتين : حجة وعمرة ، فمن قضاهما فقد قضى الفريضة » .

وعن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت » .

وذهب المالكية والحنفية : إلى أنها سنة مؤكدة فى العمر مرة ؛ لما روى عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قال : سأل رجل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العمرة : أواجبة هى ؟ قال : لا ، ولأن تعتمر خير لك ، وما روى عن أبى صالح الحنفى قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « والحج واجب والعمرة تطوع » رواه ابن ماجه ..

وأما قول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ ، فهو أمر بالإتمام بعد الشروع ، والعبادة متى شرع فيها : يجب إتمامها ، ولو كانت نفلا ، فلا يدل على الفرضية وهو الأرجح ..

● **شروطها** : الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة .

● **أركانها** : الإحرام والطواف والسعى بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير ..

زاد الشافعية : والترتيب بين هذه الأركان .

وصفة الإحرام بالعمرة : كصفة الإحرام بالحج : من حيث الغسل أو الوضوء ونية الإحرام بها والتطيب ، والتنظيف ، وما يلبسه المحرم ، وما يحرم عليه من اللباس ، والتطيب ، وصيد البر وغير ذلك .

ويجب للعمرة ما يجب للحج : فهى كالحج فى الإحرام والفرائض والواجبات والمحرمات والمكروهات والمفسدات والإحصار .

ولكن العمرة تخالف الحج فى أمور منها : أنها ليس لها وقت معين ، وليس لها وقوف بعرفة ، ولا نزول بمزدلفة ، وليس فيها رمى جمار ، ولا جمع بين صلاتين ، ولا طواف قدوم ؛ وليس لها طواف صدر (وداع) وإن ميقاتها الحل لجميع الناس .

←

مكانة الحج في الاسلام

● ميقاتها : ميقات مكانى ، وميقات زمانى ..

فأما المكانى : فإنه كميقات الحج ، وأفضل ميقات لها : التنعيم وبينه وبين مكة عشرة كيلو مترات ، وهو المعروف الآن بمسجد عائشة ، ثم الجعرانة : مكان بين مكة والطائف .. وأما الزمانى : فإن جميع السنة وقت للعمرة ، فيجوز للإنسان الإحرام بها فى أى وقت شاء .

وفى كل زمان أراد بلا كراهة ، خلافاً للحنفية : فإنها تجوز عندهم فى كل السنة : إلا يوم عرفة ، ويوم النحر ، وأيام التشريق الثلاثة ، فإنها تكره فى هذه الأيام الخمسة ..

وأفضل وقت لأدائها : هو شهر رمضان لما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « عمرة فى رمضان تعدل حجة » أخرجه البخارى ومسلم وفى رواية للبخارى « قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لامرأة من الأنصار سماها : ما منعك أن تحجى معنا ؟ قالت : كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه (لزوجها وابنها) وترك ناضحاً : ننضح عليه ، قال : فإذا كان رمضان : اعتمرى ، فإن عمرة فى رمضان : حجة أو نحوا مما قال » وفى أخرى لمسلم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فعمرة فى رمضان : تقضى حجة ، أو حجة معى » فالعمرة فى رمضان ، وإن كان لها ثواب كبير : يساوى حجة : إلا أنها لا تسقط فريضة الحج : عمن وجبت عليه ، بل يتحتم عليه الإتيان بها عندما يتيسر له السبيل لأدائها ..

ويجوز أداؤها فى موسم الحج ، وقد ثبت اعتماره ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أشهر الحج ، وخاصة فى شهر ذى القعدة ، ليكون ذلك منه : ردّاً عملياً على ما كان يعتقده المشركون من أن العمرة فى أشهر الحج : من أفجر الفجور .

روى عن أنس رضى الله عنه : « أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اعتمر أربع عمر كلهن فى ذى القعدة : إلا التى (كانت) مع حجته : عمرة من الحديبية ، أو زمن الحديبية : فى ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل : فى ذى القعدة ، وعمرة من جعرانة ، حيث قسم غنائم حنين : فى ذى القعدة ، وعمرة مع حجته » ..

● التمتـــع :

التمتع : هو أن يُهل الشخص : بالعمرة فى أشهر الحج من الميقات ، ثم يأتى حتى يصل البيت فيطوف لعمرته ، ويسعى ويحلق أو يقصر ، ثم يحل بمكة ، ثم ينشىء الحج فى هذه الأشهر بعينها ، وعليه هدى تمتع قال الله تعالى : ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ « البقرة : ١٩٦ » .

● القـــران :

القران : هو أن يهل بالنسكين معاً : الحج والعمرة ، لما رواه البخارى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لبيك عمرة وحجة » .

وروى البخارى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : « سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول وهو بوادى العقيق أتانى الليلة آت من ربى فقال : أهل فى هذا الوادى المبارك . وقل عمرة فى حجة » .

فضل الحج والعمرة :

عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تابعوا بين الحج والعمرة ؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب : كما ينفى الكير : خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة : ثواب إلا الجنة » أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى ..

السنة والحج المبرور

للأستاذ
معوض عوض ابراهيم

لا ينتهى عطاء الرسول ﷺ وهداياته لمريدى الحج والعمرة ، منذ صح عزمهم وانعقدت على ذلك نيتهم . وتوافرت لهم الاستطاعة التى اشترطها الله للفريضة الخاتمة فى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ « آل عمران ٩٧ » .

وهدايات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك وجه من وجوه قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ « التوبة ١٢٨ » .

وقوله : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ . . . . . ﴾ « الأحزاب ٦ » .

أخرج الإمام البخارى بسنده عند ذكر هذه الآية عن أبى هريرة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى به فى الدنيا والآخرة ، اقرأوا إن شئتم ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ « فأيما مؤمن ترك مالا فليورثه عصبته من كانوا ، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتنى به فأنا مولاه » ، وهو عند أحمد وأبى داود وغيرهما .

وهى هدايات يريد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نستثمرها حتى يكون حجنا مبروراً تصلح به الحياة ، ويطيب المصير .

وقد روى جابر رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة قيل : وما بره ؟ قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام » رواه أحمد فى مسنده ، والحاكم . وقال صحيح الإسناد وهو عند الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن وابن خزيمة فى صحيحه .

وتفسير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمبرور بإطعام الطعام ولين الكلام ، جليل وجميل فإن لين اللسان بطيب القول أمارة إيمان قوى وضمير

←

السنة والحج المبرور

حى وشعور بجميل إسداء الخير حباً لله العليم الذى لا تخفى عليه خافية وخشية تعصم من اقتراف الآثام وإتيان ما نهى الله عنه من قبض اليد عن المعروف ، وإرسال اللسان بما لا يجمل بإنسان .

وقد أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » .

إن الحج دورة عملية لدعم العقيدة وتصحيح العبادة ومراجعة السلوك حين يأتى الحاج هذه المشاعر التى عجت حينا بالآثام وعبادة الأصنام بعد أن كانت فى مراحل من الزمان مهاجر إبراهيم وإسماعيل أول أمرها منذ أن قام فيها « أول بيت وضع للناس » لا تشوبه شوائب الوثنية التى أطلت برأسها من قبل حين أرسل الله نوحاً ـ عليه السلام ـ فلم يغن عن قومه فيها شيئاً فكان الطوفان ماسحاً كاسحاً مطهراً الأرض كلها من هذا الشر ، ثم عاود الشرك الناس فكان إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى قومه ، كما كان مقيماً قواعد البيت على التوحيد الذى أرسى الإسلام بنيانه وأعلى جدرانه .

وكان الحج آخر لبنة فى كيان عقيدة المسلم فهو يأتى من أقصى البلاد منزل الوحى ، ويلقى أخوة العقيدة فى صلاته ومعاملاته فيتعلم القدوة ويعلم غيره كيف تكون العبادة ويكون السلوك والمعاملات على أساس رضوان الله تعالى ، ويعودون إلى الديار نموذجاً صادقاً للحج المبرور ، فلا يراهم الناس إلا وقد صلح منهم القول والعمل على نحو جديد فريد لم يكن معروفاً عنهم ولا مألوفاً قبل الحج منهم ، ويتابعون مسيرة الحياة إخواناً متوادين، لا تفسد الأنانيات بينهم ودأ ولا توهن النعرات الآثمة من إخوتهم شيئاً .

ولقد سن لنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نتعجل الحج ، وأن لا نفلت أول فرصة تتاح لأداء فريضة العمر ، فإن الفرص لا تواتى دائماً ، وكم تصير الفُرْصَةُ حين تنفلت غصة ، لأننا نريدها بعد انقلاب الزمان ، وتعذر الإمكان فتشق وتمتنع ، وليس من الإسلام أن أقترض لأحج أو أعرض للضياع أهلاً وزوجاً تتناق نفقتهم والاستطاعة .

أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تعجلوا إلى الحج » يعنى الفريضة ـ فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له » .

وهو واجب على الفور عند الأحناف والمالكية والحنابلة وبعض أصحاب الشافعى رضى الله عنهم جميعاً .

والحديث المذكور عن ابن عباس ، وحديثه الذى أخرجه أحمد والبيهقى وغيرهما ، شاهد ذلك التعجل أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة ، وتكون الحاجة » ... وقد صححه الشيخ أحمد شاكر نظراً إلى طرقه المتعددة .

والإمام الشافعى يرى وجوبه على التراخى ، يؤدى فى أى وقت ناظراً إلى تأخير النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حجة الوداع إلى السنة العاشرة بعد إيجاب الحج فى السنة التاسعة على الأصح ، وهو بذلك يرى قول الجمهور على الندب فيما أوردوا من الأحاديث الصحيحة ويقرر استحباب المكلف أداءه مبادراً أول فرصة يستطيع فيها الحج .

ويحفز الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ العزائم على الحج بمثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه

أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم » .. رواه أبو هريرة وأخرجه النسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

والعمار هم قاصدوا البيت للعمرة فى أشهر الحج أو غيرها ، وإليهم يتجه قول الله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ . . « سورة البقرة ١٩٦ » والآية أقوى دليل على أن العمرة والحج سواء فى الحكم كما قرر جمهور العلماء واستأنسوا بالأحاديث الصحيحة .

والعمرة فى رمضان تعدل حجة كما صح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والإمام مسلم يورد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

أجل إن العمرة فرض كالحج عند الشافعى وأحمد بن حنبل وحجتهم هذه الآية : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ والحديث الذى أخرجه مسلم بسنده عن جابر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى حجة الوداع : « دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » .

ويراها الأحناف والمالكية سنة وتطوعاً لأن شواهد إيجاب الحج : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ « سورة آل عمران ٩٧ » .. ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ . . . . ﴾ « سورة الحج ٢٧ » . لم تذكرها كما لم تذكرها الأحاديث التى ذكرت قواعد الإسلام ، فإنها اقتصرت على ﴿ حِجُّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ . . .

وأن الرسول ﷺ قال لعائشة وهى تستأذنه فى الجهاد : « جهادكن الحج » .. وقد صح قوله عليه الصلاة والسلام للمرأة : « حجى عن أبيك واعتمرى » فى سؤالها عن أبيها .

وقد روى جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضموناً على الله ، إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده أن يرده ، بأجر وغنيمة » ، وهو صحيح الإسناد .

وليحرص الحجاج والمعتمرون على طيب النفقة وطهارة المال من حقوق الآخرين وبراءة الذمة من ديونهم إلا أن يستأذنوهم فيما هو فى ذمتهم ، وهو فى مكنتهم .

فقد روى الطبرانى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن الرجل إذا خرج حاجاً بنفقة طيبة ، ووضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك ، زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور .

وإذا خرج الرجل بنفقة خبيثة فوضع رجله فى الغرز ، فنادى : لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء ، لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك زادك حرام ونفقتك حرام » .

والطيبات من الرزق هى حاجة المسلم ونهمته ، وزاده إلى حسن الخلافة فى الدنيا ، والتزود بالصالحات التى لا تطيب بغيرها .

والحاج ذكراً كان أم أنثى يجد السنة النبوية معه فى كل مقام ومشهد من مشاهد الحج ، منذ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجة الوداع : « خذوا عنى مناسككم » ..

وبيان المواقيت الزمانية والمكانية تجلوها السنة كما فى البخارى ومسلم وغيرهما ، فلا يجاوزها الحاج إلا محرماً مهلاً بنسكه والتلبية والتكبير يغلبان على كلام الحاج كلما لقى وفدا أو علا شرفا ، أو نزل وادياً ، وتعطى السنة ضروباً من الذكر والدعاء إذا شاهد الحاج مكة ،

السنة والحج المبرور

أو رأى البيت ، أو دخله فأخذ نفسه بتحيته « وتحية مسجدنا الطواف » كما سن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن اتى البيت الحرام ، سنة عملية في حجة الوداع . اخرج ذلك مسلم وأبو داود ، والنسائي في صفة حج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وسن بدء الطواف من الحجر وإليه ، وكيفيته وبيان عدده .

أخرج ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « والله ليبعثه الله عز وجل يوم القيامة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق به ، ويشهد لمن استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى » . ثم قرأ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ « سورة الفتح ٩ » .

وقد صحح الحاكم وابن حبان وغيرهما عن ابن عمر وانس وابن عباس رضى الله عنهم اطرافاً من قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة » وأنه يبعث يوم القيامة كما مر في رواية ابن عباس رضى الله عنهما ويشهد لمن استلمه بحق والتزام لأدب الإسلام في الفهم والاستلام ، ولا مرية في نطقه يوم القيامة ، ونحن نقرأ في سورة الزلزلة / ٣ ـ ٥ حديث الأرض ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ .

وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما ، قول عابس بن ربيعة رحمه الله قال : رأيت عمر يقبل الحجر ويقول : « إنى لأعلم انك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أنى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقبلك ما قبلتك » أخرجه الجماعة . وليس ذلك الاستلام والتقبيل من عمر من صنيع الجاهلية في شيء ، ولكنه اتباع لفعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهو حجر يحدد لنا ركن الطواف بدءاً وانتهاء ، ويقوم اثراً مادياً وحيداً محفوظاً من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وحسب المؤمن أن يحتفى بالحجر الذى تحفَّى به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن لم يعرف لذلك حكمة .

وتضيىء السنة المطهرة طريق ضيوف الرحمن إلى الحج المبرور وما أسعدهم يوم يرجعون إليها ، أو إلى من يقنعهم بها من الثقات من أهلها ، فما أكثر ماغفل الناس عن السنة ، ودخل عليهم من اقوال لا تثبت أمام النظر .. وما أخلق الفريضة الخاتمة بالتماس أحكامها وأسرارها وتحصيل أكثر ما يعين الله تعالى عليه من ذلك بالحرص والتثبت والاهتمام ، وبلوغ الغاية في ذلك سهل المدرك ميسور المنال ، وكتاب الله وسنة مصطفاه ، وأهل الذكر لا يخفُون على طالب الحقيقة في أى زمان ومكان .

وبعد فجزى الله عنا نبينا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما هو أهله ، فما ترك في أمر الحج وأركان الدين وشرائع الله شيئاً إلا فصله وجلاه .

وإن حاجة المجتمع المسلم لماسة إلى إعادة النظر في خطبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عرفه .. لنأخذ منها لدنيانا المدد والضياء ، ولنكون مرة أخرى « خير أمة أخرجت للناس » بالتأسى والاقتداء في العبادات والسلوك والعلاقات بين الأفراد والجماعات بعد تزكية الأنفس وكمال الإيمان بالله رب العالمين .

معوض عوض إبراهيم

مشيخة علماء الإسكندرية أو

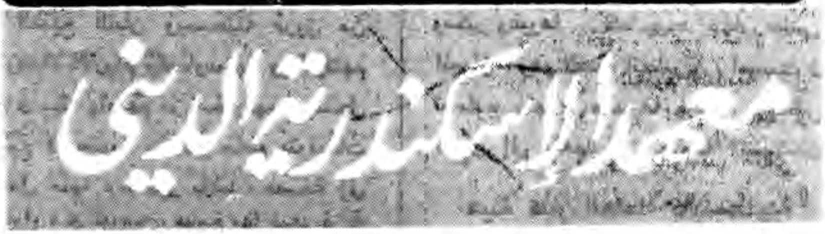

د. مجاهد توفيق الجندى

بعض الاحداث الهامة بمشيخة علماء الاسكندرية :

(١) فى عهد الشيخ محمد ابو الفضل الجيزاوى شيخ علماء الإسكندرية ، حدث أن اجتاحت مدينة الأسكندرية موجة تبشيرية مسيحية من المستعمرين ، يتخذون الدين ستاراً لغشهم السياسي فى بلاد العرب والإسلام ، فتالفت بالمعهد « جمعية إرشاد الخلق إلى طريق الحق » التى افسدت على المبشرين خطتهم وقعدت لهم كل مرصد ، وقد شكا المبشرون مما قام به علماء المعهد إلى الخديو عباس حلمى الثانى ، ورئيس نُظّارِهِ رشدى باشا ، الذى راسل بدوره الشيخ أبا الفضل فى هذا الشأن وكانت إجابة الشيخ لطمة على وجه رئيس النظّار ، حيث قال له : « إن امركم لعجيب تتركون المبشرين يعيثون فى أرضنا فساداً ضد الدين الحنيف ، ثم تحظرون على العلماء أن يعملوا لدينهم فى أمر واجب ، هذا مالا ينبغى أن يكون !! » وأرفق بالرد عليه حجة دامغة ، أربعة عشر كتاباً من اختراعات التبشير ، ولم يكن هناك بدٌ - إزاء وقفة العلماء - من الاستجابة للداعين إلى الله فكتب الخديو إلى رئيس نُظّارِهِ رشدى باشا : « لا تتعرض للعلماء ، ودعهم يعملون ويؤدون واجبهم مادام عملهم فى حدود القانون » ، وهى بدعة جديدة أن يخضع العمل فى سبيل الدين والدعوة إلى الله للقانون !! ثم ترجح كفة القانون ، فلا يخضع العمل فى شأنه لحدود الدين .

(٢) وفى عهد الشيخ عبدالمجيد اللبان شيخ علماء الإسكندرية وكان شخصية فذة كريمة موهوبة ، وكان مدرساً بالمعهد فى أحداث ١٩١٩ ، وكان الرجل كفاء الأخطار التى جدّدها الانجليز المحتلون بأخذهم أعضاء الثورة وزعمائها تشريداً وتنكيلاً ، ولم يكتف الانجليز بذلك ، بل عاودوا إلى الدس والوقيعة بين المصريين والاجانب ، وظهرت فِتَنُهم فى طائفة « الأروام » مع بعض المصريين ، وأسفرت المعركة عن موت عشرات من الجانبين ، ليكون

←

ذلك ذريعة للانجليز للتشهير بزعماء الثورة .. وإذ ذاك زار الشيخ اللبان وبصحبته فريق من العلماء ، زعماء الأروام وقساوستهم وبطارقتهم ثم جمعهم فى بيته وأمنهم من مخاوفهم ، وسجل ذلك الصنيع فى صورة محضر جامع بتوقيعات الجميع حمل منها « مدكور باشا » نسخة إلى « سعد زغلول » فى أوروبا ، فدمغ بها سعد فرية المفاوض الانجليزى عن تعرض الأجانب لأخطار الثورة .

وهذه اليقظة من رجال الدين قد ترضى فريقاً من المصريين ، إذا كان فيها ما يتصل بعدو خارجى ، وقد لا يرضى عن قريب منها ومشابه لها ... ذلك أن الانجليز لما عرضوا مشروع « ملنر » على المفاوض المصرى فى سنة ١٩٢١ م ، وطرح مناقشة الموضوع فى بلدية الإسكندرية ، ووقف كثير من المصريين الممالئين للمفاوض المصرّى - تحزبا لا وطنية - وقف الشيخ اللبان وقفته المشهورة ، ونادى باسم علماء الأمة المعبرين عنها . نادى أنه لابد أن يُحاطَ المشروع بضمانات وتحفظات يسلم بها حق مصر فى تقرير مصيرها وفى استقلالها كاملاً غير منقوص ، وكانت النتيجة أن أعلن سعد زغلول ما نادى به الشيخ اللبان : أنه لا يقبل المشروع دون تحفظات .

معمل الكيمياء والطبيعة والأحياء بمعهد الاسكندرية يعتبر متحفاً فريداً :

حوى معمل معهد الأسكندرية - باعتباره حقل التجربة الأولى لتدريس العلوم الحديثة بالأزهر مجموعة نادرة من الكئوس والمخابير والقنينات والمسّاكات والخرائط التوضيحية ، والأملاح بأنواعها المختلفة والأجهزة التى لم تعد موجودة منذ مدة طويلة . كما يوجد به مجموعة من أوراق الزنك والترشيح ، والمرشحات والمبخرات والأنابيق و « الصنج » ، وبه فانوس سحرى عتيق وآلة (سينما) وآلات تصوير ومكبر وغيرها ... كما يوجد جهاز عظمى لجسم انسان ، وهو لآنسة انجليزية ، أصيبت فى حادثة تصادم وتهدج صدرها ورمم ، والباقى سليم اهدى إلى المعهد من جامعة الإسكندرية ...

هيئة كبار العلماء بالإسكندرية :

كان لهيئة كبار العلماء لجنة فرعية بمشيخة علماء الأسكندرية علمنا ذلك من خلال ختم قديم عثرنا عليه بمحض الصدفة فى معهد الاسكندرية ضمن مجموعة أختام فى خزينة المعهد ، وقد كتب عليه السطر الأول « لجنة الإسكندرية الفرعية» السطر الأوسط « لهيئة كبار العلماء» السطر الثالث « فى حماية الدين والدعوة إلى سبيل الله » وهو من النوع البيضاوى الشكل ، ولم نعثر على اسم من أسماء هؤلاء العلماء أعضاء اللجنة الفرعية لهيئة كبار العلماء وإن كان الختم فى ذاته وثيقة نادرة وهامة ، وضياع الوثائق والسجلات وغيرها يسبب للباحث حيرة وألماً شديدين .

نشاط طلاب وشيوخ معهد الاسكندرية فى شهر رمضان :

عثرنا ضمن ما تبقى من وثائق المعهد على برنامج عن نشاط طلاب المعهد وشيوخه فى شهر رمضان سنة ١٣٧٨ هـ مارس ١٩٥٩ م .. موزع على جدولين ، رصد بأحدهما أسماء أساتذة المعهد الذين سيقومون بإلقاء دروس ومحاضرات بمساجد المدينة وأنديتها الاجتماعية وإذاعتها المحلية ، وقد وزع فيه الأساتذة بحيث يقومون بتغطية كاملة لأكثر مساجد المدينة ، سواء منها ما كان داخل المدينة أم بضواحيها

وبدأ ذلك ببداية شهر رمضان وانتهى فى التاسع والعشرين منه ، ومن أولئك الأساتذة : أصحاب الفضيلة : الشيخ محمد الصادق عرجون ، والشيخ عبدالمجيد عمارة ، والشيخ أحمد الإمام ، والشيخ محمد أبو خوات ، والشيخ حسين المصرى والشيخ عبدالمحسن بنوان وغيرهم من أقطاب علماء الإسكندرية .

وفى الجدول الثانى قائمة بأسماء الكثير من نوابغ الطلبة الذين ألقوا كلماتهم بالإذاعة المحلية لمدينة الأسكندرية ، وكانت تذاع يومياً طوال شهر رمضان قبل تلاوة القرآن الكريم قبيل المغرب وشاركوا فى هذا النشاط بجد واهتمام إلى جانب أساتذتهم .

مجلة معهد الأسكندرية

أصدر معهد الإسكندرية مجلة دينية علمية ثقافية اجتماعية أدبية سنوية ، ظهر العدد الأول منها فى سنتها الأولى فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٧٤ هـ يولية ١٩٥٥ م ، باسم « مجلة معهد الاسكندرية الديني » صدر منها خمسة أعداد فقط ، ثم توقفت كل من العدد الأول والثانى والثالث مستقل ، بينما الرابـع والخامس مجموعان فى نسخة واحدة .

وقد احتوت المجلة على موضوعات شيّقة تنم عن علم وثقافة كُتّابُها الأفاضل من الشيوخ والطلاب .

وكانت هيئة تحرير العدد الأول من المجلة مُكونة من السادة الأساتذة أصحاب الفضيلة :

عبدالرحيم الجندى ـ تاج الدين الدلتونى ـ محمد أبو خوات ـ عبدالله العزازى ـ محمد حافظ الدسوقى ـ كمال أبو زيد شلال .

وقد جاء فى كلمة شيخ الازهر فى افتتاحية العدد الأول من المجلة بعد حمد الله « أما بعد .

فيسرنى أن أعرب لعلماء معهد الإسكندرية وطلابه عن تقديرى لجهودهم الطيبة ، وإعجابى بما رأيته من نهضة مباركة ، ووثبة قوية تجلت فى هذه الصحيفة التى جاءت عنواناً لما بلغه هذا المعهد العظيم . فى هذا العهد الجديد من نشاط مشكور فى النواحى العلمية والأدبية .

....

ولى كبير الأمل أن أرى لكل معهد من المعاهد الدينية صحيفة تتجلى فيها آراء العلماء وتتبارى فيها أقلام الطلاب ، وتبدو فيها مواهبهم الكامنة وآثار عقولهم الناضجة ..

اما كلمة وكيل الأزهر فقد جاء فيها :

ليس غريباً على معهد الاسكندرية ، أن يتسنم هذه المكانة من النشاط الثقافى ، فإنه أول معهد نظامى ، وإنه لتصلنى به صلات وثيقة ذات ذكريات كريمة ، فقد أمضيت به أيام الطلب ، كما قضيت به زهاء عشرة أعوام مدرساً ..

ولكم سرنى ما لمسته هذا العام من ألوان النشاط فى المعهد الإسكندرى بفضل جهود شيخه يُعاونه إخوانه الأجلة .. وقد اطلعت على فهرست المجلة وتتبعت الموضوعات التى كتبت فحمدت لهم ـ بعد الله ـ هذا التوفيق وسألت الله لهم المزيد .. الخ .

اما كلمة فضيلة السكرتير العام للأزهر فقد جاء فيها :

إن الأزهر ليسره أن يرى من أبنائه حملة أقلام لنشر الثقافة الإسلامية ، ولبيان ما فى الشريعة الإسلامية الغراء من سماحة وسعادة ، وعلى هذه الأقلام واجب الدعوة والإرشاد

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر

والنصح وتوجيه الشباب إلى التسلح بالفضيلة والتمسك بأهدابها ، فذلك أجدى لهم من حياة ماجنة مستهترة لا تفيد ديناً ولا وطناً .. كما يجب على هذه الأقلام أن توجه كل عنايتها إلى الذود عن حياض الدين بالحجج الساطعة ، والأدلة القاطعة ، لتقمع دعاة الإلحاد والتحلل من كل دين بحجة حرية الرأى ، فهم يتمسكون بها ولو صدمت الآراء نصاً من كتاب أو سنة ..

وإن معهد الاسكندرية الذى اشتهر بالجد فى طلب العلم وخدمته ، والسبق فى مضماره ، قد عرف هذا الواجب ، وأدرك تلك الأمانة الملقاة على عاتقه قد فكر فى إصدار مجلة تحوى الكثير من التوجيهات الدينية والأحكام الإسلامية وغير ذلك من أبحاث شاملة ونافعة للمجتمع .

وأما كلمة فضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون شيخ المعهد فقد جاء فيها بعد (حمد الله) :

أما بعد : فهذه مجلة « معهد الإسكندرية الدينى » أرفعها إلى كل مسلم فى أرض الله تقع بين يديه ، رمزاً إلى وشيجة الإيمان التى جعلها الله أعز وشائج الإخاء ، وإلى كل أزهرى فى أرض الكنانة ووادى النيل وإلى كل عربى فى أقطار العروبة .. ثم قال :

ولست أريد أن أعرض هنا لما فى المجلة من مقالات توشك ألا تكون تركت غرضاً مما تكتب فيه مجلة معهدية تمثل معهداً دينياً إسلامياً إلا كتبت فيه مما يكون قرة عين المؤمنين ..

ويقترح الشيخ تكوين « شركة مساهمة » تغذيها أموال أزهرية من قوتنا وقوت أولادنا ، لإصدار صحيفة يومية أزهرية إسلامية خالصة ، وتحررها أقلام أزهرية من قلوبنا ودمائنا وأرواحنا .

أما الجواب على هذا التساؤل فالشيخ يتركه لكل أزهرى يغار على دينه ومعهده !!

كيف كان الطالب المبتدىء يلتحق بمشيخة علماء الإسكندرية ؟

كان لابد لالتحاق المبتدىء بمعهد الإسكندرية أن يكون حافظاً للقرآن الكريم كله، وأن يكون خطه حسناً وجيد الإملاء ، ويتقن الفنون الرياضية ، وأن يكون كفئاً فى الامتحانات التى تعقد له فى هذه المواد شفوياً وتحريرياً ، ولابد أن يمر على طبيب المشيخة ليتم فحصه ..

وقد عثرنا فى أنقاض مخزن من مخازن المعهد على طلب انتساب قديم ، وهو فى نفس الوقت ورقة امتحان . وتلك صورته :

بمشيخة علماء الاسكندرية

﴿ طلب انتساب ﴾

اسم الطالب ولقبه عبد العزيز شبل حاتم	ولى أمره والده عوض الحوت
بلده الحوت	مذهبه حنفى
المركز ايتاى البارود	ما يحفظه من القرآن الشريف جميعه
المديرية او المحافظة البحيرة	الجهة الرسمية التى كان تابعاً لها ـــــ
سنه ١٦	المدة التى قضاها فى التحصيل ـــــ

فضيلتلو افندم شيخ علماء الاسكندرية

انا الطالب الموضح اسمى بعاليه التمس من فضيلتكم قبول انتسابي هذا وادراج اسمى بسجلات طلبة

العلم التابعين للمشيخة . واني اتعهد بالتفرغ لتحصيل العلم والامتثال لما تصدره المشيخة للطلاب من الاوامر والمحافظة على شرف العلم والتخلق بالاخلاق الحميدة بحيث يكون للمشيخة الحق فى مراقبتى وتأديبي بما تراه مناسبا لما يصدر عنى مخالفا لاوامرها وقد فوضت اليها ان تطالب عني بجميع ما يخول لطلبة العلم من الحقوق وأن يباشر فضيلة الاستاذ شيخ العلماء أو من ينوب عنه كل ما يتعلق بشؤنى العلمية افندم ما

الامضاء
عبد العزيز بن ... حاتم

الاسكندرية فى يوم ... شوال سنة ١٣٢٦ ٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨

صاحب هذا الطلب يبلغ من العمر ١٦ سنة تقريبا وحالته الصحية جيدة

طبيب المشيخة

محول على مشيخة ...... لايضاح مدة مقدمه

شيخ علماء
الاسكندرية

انتسب هذا الطالب من واقطع من تاريخ

بسبب

الامضاء

بامتحان هذا الطالب فى القرآن الشريف وجد انه حفظ جيد

الامضاء

بامتحانه امام اللجنة العلمية المنعقدة بتاريخ
وجد انه يستحق الاندراج مع طلاب السنة
الدراسية

الامضاءات

بامتحانه فى الخط والاملاء وجد انه يستحق ٧/١٠

المصحح

« قرار التسجيل »

يسجل اسم هذا الطالب مع طلاب السنة الاولى الدراسية وتصرف له الجراية اعتبارا من يوم ... ٢٤ ... نوفمبر ٩٠٨

شيخ علماء
الاسكندرية

سجل بنمرة ٢٢٢٩ كاتب السجل

(هنا)

« يكتب الطالب ما يلى عليه »

***

من ... وصنو البياض من السواد لا يتوفق فى ... بلاده ... وطنه الذى عاش فى ... ارضه ... ببذل غاية الاجتهاد فى تحصيل العلوم ولا ونشرها فان العلم هو السبب الوحيد لنول الرغائب

بامتحانه فى الفنون الرياضية وجد أنه كفء لتلقى دروس
السنة ....

المتحن

وبعد فهذا حديث شيق عن مشيخة علماء الإسكندرية ، أو معهد الإسكندرية الدينى ، لم نستطع أن نقول فيه كلمة أخيرة ، فالحديث لم ينته عنه بعد ، نظراً لوجود بعض الوثائق تحت الأنقاض وسنرجع إليه قريباً إذا كان هناك فى العمر بقية* .

---

*) رجعنا فى مقالنا هذا إلى مجلة معهد الأسكندرية (العدد الأول يولية سنة ١٩٥٥ م من صـ ١٣ ـ ٢٢) ، كتاب كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ، وأحاديث طويلة لمدة عشرة أيام متواصلة تقريباً مع شيخ معهد الأسكندرية فضيلة الشيخ السيد محمد محمد خليل اللامى والأساتذة الشيوخ : محمد إبراهيم الشيمى ، عبداللطيف العزازى وكيلى المعهد وملاحظ المعهد الشيخ السيد أحمد جمال الدين ، والأستاذ محمد ناصف البدوى مدرس أول بالمعهد ، ورجعنا إلى بعض دفاتر الكوبيا وبعض الأوامر الملكية وأعمال مجلس الأزهر الأعلى ويشكر الباحث كل من قدم له أدنى مساعدة .. والله الموفق .

في مسألة

فوائد البنوك

لــواء ـ أ ـ ح
د. فــوزى محمد طــايــل

استجابة لدعوة فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر لمناقشة موضوع (تحديد ربح القروض والوديعة الاستثمارية) ، وفى إطار حرية الراى ، فإن الاجتهاد فريضة دينية فيما ليس فيه نص قطعى الدلالة والثبوت .

لقد حرم الله تعالى الربا فى الشرائع السماوية السابقة . قال الله تعالى : ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (سورة النساء الآية ١٦١) .

ثم كان آخر الآيات نزولا مشتملة على التحريم القطعي للربا ، والوعيد لمن يخالف هذا الحكم : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٢٧٩) .

وكان من أواخر ما أوصى به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجة الوداع قوله :

« ... قضى الله أنه لا ربا ... »

فلا سبيل بعد هذا للاجتهاد من أجل تغيير هذا الحكم حتى تقوم الساعة ، والانصياع لهذا الحكم هو التزام لحكم الله ، وليس فيه اتباع لأقوال الأقدمين .. والاجتهاد المطلوب هو تحديد طبيعة الفوائد ، وهل هى ربا ام لا ؟

إن المصلحة من وراء تحريم الربا هى ضمان ان يقوم الإنسان بوظيفته فى إعمار الأرض من خلال عمل حقيقى منتج ينفع به نفسه وينفع

←

● الكاتب : لواء اركان « حرب » وزميل اكاديمية ناصر العسكرية العليا .

في مسألة فوائد البنوك

المجتمع ، فلا يقعد منتظرا أن يلد له المال مالا ، لذا ردّ القرآن الكريم على من قالوا : ﴿ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ بقول الله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ، لأن البيع نشاط اقتصادى والربا لا نشاط فيه .

● ● ●

والربا في اصطلاح الفقهاء هو : زيادة المال بلا مقابل في معاوضة مال بمال ، أى الحصول بالانتظار على ما يتولد عن ماله دون أن يقوم بعمل أو يساهم بجهده في الانتاج . كما أن الربا في الانجليزية USURY يعنى صراحة الإقراض بفائدة INTEREST (اكسفورد) ، ولا عبرة بما إذا كان القرض سوف يستخدم في أغراض استهلاكية أو استثمارية ، فمعظم ربا الجاهلية المحرم كان يستخدم في تمويل قوافل التجارة ، وهو نشاط استثمارى .

لقد نشأت البنوك التجارية كتطور تاريخى لفئة المرابين التى عرفتها أوروبا في العصور الوسطى فاستخدمت نفس أساليبهم في حساب الفائدة ، بل إن المسيطرين على معظم البنوك الكبرى في الدول الغربية هم امتداد للفئة المذكورة .

ومن جهة أخرى فإن وظيفة « خلق الائتمان » التى تعد أهم وظائف البنوك التجارية ما هى إلا سلسلة من الإيداعات (بفائدة) ، ثم الإقراض ، ثم إعادة الإيداع ، وإعادة الإقراض ، وهكذا ، بحيث يستطيع الجهاز المصرفي أن يقرض أضعاف المبالغ الحقيقية المودعة لديه .. فَأَنَّى له هذا ؟

إن هى إلا عملية « توليد لنقود » (غير حقيقية) دون أن يكون الاستثمار عنصرا فيها . وهنا نتساءل : من أين يدفع البنك (فوائد) الإيداعات إذا كان نشاطه ينصب أساسا على الإقراض (بفائدة) ؟ : أى يَنْصَبُّ على التعامل (بالربا) .

فإذا ما سلمنا بالتدهور المستمر للقيمة الشرائية للنقود كواقع نلمسه ، فإن الخسارة الحقيقية تصيب كلا من المودع والمقترض ، والنتيجة الماثلة أمامنا منذ عشرات السنين هى تدهور الاقتصاد القومى .

● ● ●

ولا تحسبن الاقتصاد الغربى ـ الذى ابتكرت فيه فوائد البنوك ـ بمنأى من هذه النتيجة ، فعملاتهم (الحرة) تتناقص قواتها الشرائية ، هى الأخرى ، واقتصادهم القومى معرض للخراب لولا اتباعهم للأساليب التالية :

١ ـ قام الاقتصاد الغربى ولمّا يزل قائما على إيجاد خلل مجحف في شروط التجارة الدولية لصالح الدول الغربية .

٢ ـ تقوم البنوك المحلية والأفراد في الدول النامية بدعم البنوك الغربية ، من حيث لا يعلمون ، من خلال الإيداعات الضخمة وعمليات التهريب إلى البنوك الغربية .

٣ ـ تقوم البنوك الغربية بإقراض الأموال المودعة لديها للدول النامية ، ثم يتم استرداد معظم هذه القروض من خلال (طرائق احتيالية لا يتسع المقام لسردها) .

٤ ـ نجحت الدول الغربية في ربط عملات الدول النامية بعملاتها (الحرة) فأصبح بوسع

الدول الغربية أن تسترد القروض التى منحتها للدول النامية اضعافا مضاعفة من خلال تغيير أسعار الصرف وتخفيض أسعار المواد الخام التى تستوردها من الدول النامية (جبرا) .

●●●

فإذا ما نظرنا للظروف الخاصة بمصر فسوف نجد أن معدل تدهور العملة يزيد على ٣٠٪ سنويا . فهل يمكن للبنوك فى مصر أن تمنح المودعين (فائدة) تزيد على هذا القدر ؟

وهل يتصور أن تقرض البنوك بفائدة سنوية تصل ٤٠٪ مثلا ؟

إن النتيجة الحتمية - التى نراها الآن - للدوران فى الحلقة المفرغة للفوائد (الربوية) للبنوك هى إفلاس العديد من المشروعات فى ظل (الفائدة) التى لا تبلغ نصف المثال المذكور ، فيتدهور الإنتاج القومى .

هذا فضلا عن قيام الكثيرين من المقترضين بتحويل ما اقترضوه إلى عملات أجنبية تتسرب معظمها إلى البنوك الاجنبية إما مباشرة أو من خلال البنوك المحلية فيزداد الحال سوءا .

﴿ ... فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ .

●●●

إن المنهج الاقتصادى الإسلامى الذى أصبح متبلوراً واضحاً من خلال العديد من الرسالات العلمية والبحوث والاجتهادات المعاصرة ، والذى طبق بالفعل وأعطى نتائج مشجعة للغاية ، يستبعد الأسلوب (الربوى) ويستبدل به (الاستثمار المباشر) لإيداعات البنوك فلا يقع المسلمون فى حرج ، ويحترم جهد الإنسان ويكرمه ، ويساهم مال المسلمين فى عمليات إنتاج حقيقية ، ويوزع العائد الحلال الحقيقى فى مرحلة لاحقة على الاستثمار ، فيتحقق العدل ويتقاسم الجميع المسئولية .

قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾. (٩٦ سورة الاعراف) .

و قال تعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾

(١٩ - سورة الجاثية).

رسل الأزهر

في بلاد النيجر

جولات دبلوماسية

٢

يخطىء من يظن أن الدبلوماسية مكر وخديعة ، أو رياء ونفاق ، أو أنها زينات مرفوعة وموائد منصوبة !!

إنما الدبلوماسية عمل شاق ، وجهد دائب ، فى سبيل تحقيق أهداف الوطن العليا ، وأمنه الخارجى ، وهى علم وفن ، وثقافة واطلاع ، وهى حسن المقابلة ، وصدق المودة ، وأدب الحديث ، والكلمة الطيبة ، وهى بعد ذلك كله عقد الصداقات بين الدول ، وتبادل المصالح السلمية والمشروعة فيما بينها .

وكان فى النيجر على أول عهدى بها تسع سفارات فقط ، منها خمس سفارات تمثل الاتجاه الغربى الرأسمالى ، والأخرى ، ومن بينها مصر ، تمثل الاتجاه الإسلامى . وكنا على علاقة طيبة مع المجموعة الأخيرة ، أما الأولى فتصادف أن كانت علاقاتنا الدبلوماسية مقطوعة معها جميعا باستثناء فرنسا .

وأولى هذه السفارات هى ألمانيا الغربية التى قطعنا علاقاتنا بها عام ١٩٦٥ لاعترافها بإسرائيل ، وكانت تقوم فى النيجر بمشروعات استثمارية واسعة تساند بها فرنسا باعتبارهما عضوين فى السوق الأوروبية المشتركة .

أما الولايات المتحدة التى قطعنا علاقاتنا بها فى أعقاب حرب ١٩٦٧ فكانت تقوم بدور الوريث المنتظر لفرنسا وبريطانيا فى أفريقيا ، وكانت تقدم بعض المعونات للتنمية وبعض المشروعات المفيدة ، ومن أهمها إنشاء «كوبرى كنيدى» وهو الجسر الوحيد الذى يربط ضفتى النيجر عند العاصمة (نيامى) ، وقد أدى إنشاؤه إلى نمو وازدهار الضفة الغربية للنهر بسرعة وفى فترة وجيزة .

وأما (الصين الوطنية) المعروفة باسم (فورموزا) أو (تايوان) ، فقد سبق أن سحبنا اعترافنا بها منذ أن اعترفنا فى الخمسينيات بالصين الشعبية كممثلة شرعية للصين كلها ، وتبعتنا فى ذلك دول كثيرة ، وبذلك انكمش وجود

للسفير
جمال الدين محمود أبو العيون

الصين الوطنية وانحصر فى دول قليلة من بينها النيجر التى كانت الصين تساعدها عن طريق مشروع ناجح لزراعة الأرز أقامته فى (ساجا) الواقعة على نهر النيجر بالقرب من (نيامى) .

وقد يتساءل البعض عن السر فى اهتمام دول كبيرة وغنية بدولة صغيرة نامية مثل النيجر ، وتهافتهم على كسب ودها بمختلف المشروعات والمساعدات ، وماذا تبغى تلك الدول من النيجر فى مقابل ذلك ؟

والواقع أنها تنتظر الكثير .. والكثير جداً .. ومن بين هذا الكثير محاولة احتواء البلاد اقتصادياً وسياسياً وثقافياً ، ولتكون منطقة نفوذ ، وأداة لها فى المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ومجموعة عدم الانحياز ، ومنظمة الوحدة الأفريقية ، وغيرها .

والأخطر من ذلك أن تتخذ من النيجر وجيرانها وقت الحاجة نقطة وثوب إلى الدول العربية فى الشمال ، فهى حلقة فى الحزام الإسلامى الأفريقى الذى يحمى ظهر العرب فى افريقيا ، والذى يرتبط أمنه بأمننا القومى على طول الخط ، ومن هنا كان اهتمام إسرائيل بالنيجر ...

وقد اختارت إسرائيل لتمثيلها هناك سفيرا ذكيا من أصل بلچيكى ، يتكلم الفرنسية كأبنائها ، ويكتب دواوين الشعر ، وقد أوفد إلى النيجر خبيرين ، أحدهما طبيب بيطرى ، والآخر خبير للرياضة والشباب ، وهما اللذان حل محلهما الخبيران المصريان المعاران للنيجر عن طريق حكومة ليبيا ...

وكان البيطرى يتعرف من خلال عمله على كبار الملاك وأصحاب المصالح ويعقد معهم . أوثق الصلات . أما خبير الرياضة والشباب فكان ركيزة على الجيل الجديد ، فهو يجتذب الشباب اليافع يدربه على فنون الرياضة ، وهو يندس بين صفوف المجندين بتكوين فرقة للموسيقى العسكرية تشارك فى الاستعراضات العسكرية والمناسبات القومية وتجذب الأنظار بموسيقاها ونظامها الرائع ، فتثير إعجاب الجماهير البسيطة الطيبة ، وهو يقدم صندوق إسعاف صغير لاستخدامه فى مباريات كرة القدم حين يصاب أحد اللاعبين وينفخ الحكم فى صفارته فيسرع المسئول لنجدة المصاب حاملا الصندوق المرسوم عليه (نجمة داود) وسط ألوف النظارة الذين يحمدون لإسرائيل شهامتها وإنسانيتها !!

ويوم رأيت السفير الإسرائيلى جالسا بالقرب منى فى العرض العسكرى الذى أقيم فى ٢٨ ديسمبر ١٩٧١ احتفالا بذكرى استقلال النيجر ، وكان فى قمة النشوة لنجاح العرض يومها ، اقسمت الا يهدأ لى بال حتى اقتلع سفارة إسرائيل فى النيجر من جذورها ، مستعيناً بكتاب الله أدخل به بيوت العبادة واثقاً من نصرة الحق ، ومتدثراً بعباءة أفترش بها الحصير فى بيوت إخوتى فى العقيدة ، ومتسلحا بسلاح الإيمان أسير به آمنا مطمئنا فى الأزقة والحوارى التى

←

رسل الأزهر

تضيق بمرور سفير إسرائيل الصهيوني فيها ، في حين يتسع لمرور سفارة مصر كلها ، فهي سفارة الإسلام وسفارة الأزهر .

ونظرة إلى السفارات الصديقة نجد أولا سفارة نيجيريا ، وكان يمثلها الحاج محمد ساني كونتاجورا الذى كانت تربطنى به أواصر الأخوة والمحبة ، وكان يعمل قبلا رئيسا للإذاعة في نيجيريا ثم نقل بعد النيجر سفيراً لبلاده في (جدة) .

والنيجر ونيجيريا شقيقتان ، تفصل بينهما حدود وهمية شقها الاستعمار لتصبح إحداها فرنسية والأخرى إنجليزية ، ورغم ذلك فالعلاقات بينهما أشبه بالعلاقات بين مصر والسودان في تلاحمهما وترابطهما .

وكانت هناك سفارة الجزائر ، ويمثلها السفير عبدالرحمن النقلى الذى كان يعمل مديرا للمدرسة العربية في تمبكتو (في مالى) ، وكان يتحدث الفرنسية بطلاقة ، ويهتم في المقام الاول بجاليته التى تضم عدداً كبيراً من التجار الناجحين ، وبتعزيز روابط الجوار بين بلاده والنيجر وربطهما بطرق المواصلات البرية وخطوط الطيران المنتظمة .

أما سفارة ليبيا فكانت من أنشط السفارات في النيجر ، وكان القائم بأعمالها هو الأخ محمد شنيب الذى كان ضابطا طيارا في الجيش الليبى ثم الحقه العقيد القذافى بالسلك الدبلوماسى لتوثيق علاقات ليبيا مع جيرانها ، ومن بينها تشاد والنيجر ، في جميع المجالات . وقد بذلت ليبيا في سبيل ذلك مساعدات سخية للنيجر .

ولقد حاولت السفارة الليبية وسعها لتشكيل (رابطة) عربية أو (ناد) عربى في (نيامى) ولكن لم تنجح المحاولات التى بذلت في هذا السبيل ، لاختلاف أوضاع ومفاهيم الجاليات العربية في النيجر ، فالجالية الليبية صغيرة والجالية المصرية عبارة عن عدد محدود من الخبراء والموظفين الرسميين ، مثلهم في ذلك مثل المغاربة والتوانسة .

بقيت بعد ذلك جاليتان كبيرتان نسبيا ، وقوامهما من التجار ، وهما : الجالية اللبنانية والجالية الجزائرية .

أما الجالية اللبنانية فقد قدم افرادها تباعا من دول بعيدة ، واحتفظوا في النيجر بخصائصهم العرقية ، وكانوا دوما منشغلين بمصالحهم الذاتية ومشاكلهم الخاصة ، لذلك كانت ظروفهم تختلف اختلافا بينا عن التجار الجزائريين الذين كانوا يعيشون آمنين ومندمجين مع جيرانهم من أهل النيجر ، فضلا عن أن سفير الجزائر قد قصر اهتمامه على بني وطنه دون أن يحاول الدخول في متاهات لا يعلم منتهاها .

ولقد فكرت السفارة المصرية من جهتها في تحقيق لون من التقارب المنشود بين الجاليات العربية ، وساعد على ذلك وجود (كافيتريا) عمارة النصر باعتبارها ركيزة صالحة للتجمع المرجو ، وبخاصة بعد أن بدانا فيها حفلات السمر الأسبوعية التى اتسعت تدريجيا لتشمل إلى جانب المصريين أشقاءنا من السفارات العربية ومن المغاربة والتوانسة واللبنانيين وغيرهم الذين رحبوا بالمشاركة في هذه اللقاءات بشدة ..

جمال الدين ابو العيون

الأصمعي

بين يدي معاصريه

للأستاذ :
أيمن محمد ميدان

حقق الأصمعى شهرةً واسعةً الأرجاء ، عميقة الأغوار ، تجاوبت أصداؤها في حياته وبعد مماته ، فقد رحل تاركاً الألسن تلهج بفضائله الكثيرة ، ومجهوداته المضنية .

يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلى : « عجائب الدنيا معروفة معدودة منها الأصمعى » .(١)

ويقول الأخفش عنه : « ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعى وَخَلَف ، فقيل له : أيهما كان أعلم ؟ فقال : الأصمعى » . (٢)

وسأل الدوديُّ ابن معين ، فقال : « أُريد الخروج إلى البصرة ، فعمن أكتب ؟ فقال : عن الأصمعى ، فهو ثقة صدوق » . (٣)

أما خلف الأحمر فإنه ينهر « كيسان » ويقول له : « ويلك ! الزم الأصمعى ، ودع أبا عبيدة ؛ فإنه أَفْرَسُ الرجلين بالشعر » .(٤)

ويقول الفراء عن الأصمعى : « أعلمهم بالشعر ، وأتقنهم للغة ، وأحضرهم حفظاً » (٥).

ويقول المُبَرِّد : « كان الأصمعى بحراً فى اللغة ، لا يُعرفُ مثله منها ، وفى كثرة الرواية » .(٦) ويقول أيضاً : « كان الأصمعى أسد الشعر والغريب والمعانى وكان أبو عبيدة كذلك ، ويُفضَّلُ على الأصمعى بعلم النسب ،

---

(١) المزهر ٢/٤٠٤ .
(٢) نزهة الألباء ٧٥ .
(٣) تهذيب التهذيب ٦/٤١٧ .
(٤) تاريخ بغداد ١٠/٤١٦ .
(٥) مراتب النحويين ٤٨ .
(٦) تهذيب التهذيب ٦/٤١٧ .

الأصمعي بين يدى معاصريه

وكان الأصمعى أعلم منه بالنحو » .[٧]

وكان الأصمعى أثيراً عند خلفاء بنى العباس ، ووجهاء القوم ، يقربونه من مجالسهم ، ويجزلون له العطايا ، يستشيرونه فيما يَعِنُّ لهم من قضايا اللغة وما يعترضهم من غريب اللفظ .

قال سلمة بن عاصم : « كان هارون الرشيد استخلص الأصمعى لمجلسه ، وكان يرفعه على أبى يوسف القاضى ، ويجيزه بجوائز كثيرة .. » .[٨] وكان هارون الرشيد يطلق عليه : « شيطان الشعر » .[٩]

وقال أبو أحمد العسكرى : « لقد حرص المأمون على الأصمعى وهو بالبصرة أن يصير إليه ، فلم يفعل ، واحتج بضعفه وكبره ، فكان المأمون يجمع المُشْكِلَ من المسائل ، ويُسَيِّرُها إليه ، ليجيب عنها » [١٠] .

ويقول الخشنى : « .. لم يتهم الأصمعى فى شىء من دينه .. » [١١] .

ويقول عنه نصر بن على الجهضمى : « كان الأصمعى يتقى أن يُفَسِّرَ حديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، كما يَتقى أن يُفَسِّرَ القرآن .. » .[١٢]

ويقول تلميذه الرّياشى : « كان الأصمعى شديد التوقى لتفسير القرآن ، صدوقاً صاحب سُنَّةٍ » . [١٣]

ويقول أبو على القالى : « .. وكان ثقة عند أصحاب الحديث أيضاً .. » .[١٤]

وعليه فليس عجيباً أن يحظى الأصمعى بتقدير الفقهاء ورواة الحديث ، فها هو ذا الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ يقول عنه : « ما عَبَّرَ أحدٌ عن العرب بمثل عبارة الأصمعى »[١٥] .

وقال أيضاً : « ما رأيت بذلك العسكر أصدق من الأصمعى .. » . [١٦]

وكان الأصمعى يبادلهم تقديراً بتقدير ، فعندما توفى سفيان بن عُيينة ، وكان إماماً عالماً مثبتاً زاهداً ورعاً مُجْمَعَاً على صحة حديثه وروايته ، رثاه الأصمعى رثاء مكلوم ؛ فقال : [١٧]

فَليبكِ سُفيانَ باغى سُنَّةٍ درست
وَمُستَبِيتُ آثاراتٍ وآثار
ومبتغى قرب إسنادٍ وموعظةٍ
وَآفَقِيُّون من طار ومن طار[١٨]
أمسَت مجالِسُه وحشاً مُعطَّلة
من قاطنين وحُجَّاجٍ وَعُمَّارِ
من للحديث عن الزهرى حين توى
أو للأحاديث عن عَمروبن دينار[١٩]
لو يسمعوا بعده من قال حدثنا الزُّ
ـهْرى من أهل بدو أو بأمصار

لا يهنأ الشامت المسرور مصرعُهُ
من مارقين ومن جُحَّاد أقدار

---

(٧) أخبار النحويين للسيرافى ٤٥ .
(٨) تهذيب اللغة ١/ ١٤ .
(٩) نزهة الألباء ٧٤
(١٠) وفيات الأعيان ٣/١٧٢
(١١) طبقات النحويين ١٨٨ .
(١٢) بغية الوعاة ٢/١١٢ .
(١٣) طبقات النحويين ١٩٢ .
(١٤) تهذيب اللغة ١/ ١٤ .
(١٥) نزهة الألباء ٨٢ .
(١٦) نزهة الألباء ٨٤ .
(١٧) عيون الأخبار ٢/١٣٥ .
(١٨) افقيون : جمع افقى او أفقى (نسبة إلى الآفاق او الأفق) .
(١٩) الزهرى : هو أبو بكر محمد بن مسلم ، أحد الفقهاء والمحدثين بالمدينة ، رأى عشرة من الصحابة ، وروى عن جماعة من الأئمة منهم : مالك بن أنس وسفيان بن عُيينة ، وسفيان الثورى ... وعمرو بن دينار المكى ، كان من أشد الناس إتقاناً للحديث ، روى عن ابن عباس وأبى هريرة ، توفى سنة ١٢٥ هـ .

ومن زنادقة جَهْمٌ يقودهم
قَوْداً إلى غضب الرحمن والنار[٢٠]
وملحدين ومرتابين قد خلطوا
بُسُّنةِ الله أهتاراً بأهتار[٢١]

وقال ابن خِلِّكان : [٢٢] « قال أبو العيناء : كنا فى جنازة الأصمعى ، فجذبنى أبو قُلَابَةَ .. وجذبنى أبو العالية الشامى وأنشدنى ، واسم أبى العالية الحسنُ بنُ مالك :

لادرَّ درُّ الأرض إذ فُجِعَتْ
بالأصمعى لقد ابقت لنا أسفا
عش ما بدا لك فى الدنيا فلست ترى
فى الناس منه ولا من علمه خلفا

ونظراً لمكانة الأصمعى العلمية فى نفوس الناس ، فقد كانت عداوة ابن الأعرابى له مُنَفِّرَة للناس عنه ، وعن ارتياد مجالسه العلمية ؛ فقد قيل لأبى زيد الإقليدسى : لمَ لَمْ تأت ابن الأعرابى ، ولم تقرأ كتبه ؟ فقال : بلغنى أنه يستنقص الشيخين : يعنى الأصمعى ، وأبا عبيدة ».[٢٣]

وإذا كان الأصمعى قد حاز هذا الإعجاب والتقدير من معاصريه ـ خلفاء وعلماء وفقهاء ـ فإنه لم يعدم ـ أيضاً ـ من يفترى عليه ويذمه ، ويشدد النكير عليه وتلك أمارة كل زمان ومكان .

يقف ابن الأعرابى على رأس قائمة خصومه ، والدهم عداوة ، فمن مظاهر عداوته للأصمعى ما يرويه ثَعْلَبُ عن أستاذه : « سمعت ابن الأعرابى يقول فى كلمة رواها الأصمعى : سمعت من ألف أعرابى خلاف ما قاله الأصمعى »[٢٤]. وقوله أيضاً : « إن الأصمعى وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً » .[٢٥]

ولعداوة ابن الأعرابى للأصمعى جذور عميقة الأغوار ، يكشف عنها القفطى بقوله : « وكان ابن الأعرابى يطعن على الأصمعى ، وسَبَبُهُ أن الأصمعى دخل يوماً على سعيد بن سلم وابن الأعرابى يؤدب حينئذ ولده ، فقال لبعضهم أنشد أبا سعيد . فأنشد الغلام لرجل من بنى كلاب شعراً ، رواه ابن الأعرابى ، وهو :

سمين الضواحى لم تؤرقه ليلة
وأنعم أبكارُ الهموم وعونها

ورفع « ليلة » . فقال له الأصمعى : من رَوَّاك هذا ؟ فقال مُؤَدِّبى . فأحضره واستنشده فأنشده ، ورفع « ليلة » فأخذ ذلك عليه ، وفسر البيت ، فقال : إنما أراد : لم تؤرقه ليلة أبكار الهموم .. ثم قال لابن سلم : من لم يحسن هذا القدار ، فليس موضعاً لتأديب ولدك ، فَنَحَّاهُ » .[٢٦]

وليحيى بن المبارك اليزيدي شعر يهجو فيه الأصمعى ، يقول فيه :

ومن أنت هل أنت إلا امرؤ
إذا صح أصلك من باهله
وحسبك لؤم قبيل بها
لمن هى فى كفه حاصله

←

(٢٠) جَهْم : هو جَهْم بن صفوان ، صاحب الجهمية ، وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بِدْعَتهُ بترمذ ، وقتله سالم بن أحوز المازنى بمرو فى آخر مُلْكِ بنى أمَيَّة .
(٢١) أهتار جمع هِتْر ، وهو السَّقَطُ .
(٢٢) وفيات الأعيان ٣/١٧٦ .
(٢٣) طبقات النحويين ٢١٢ .
(٢٤) تاريخ بغداد ٥/٢٨٣ .
(٢٥) تاريخ بغداد ٥/٢٨٥ .
(٢٦) إنباه الرواة ٣/١٣٢ .

فكيف لمن كان ذا دعوة
وَكِفَّةٌ نسبته شائله(٢٧)

وقال أبو العيناء : كنا فى جنازة الأصمعى ، فجذبنى أبو قُلابة ، حبيش بن عبدالرحمن الجرمى ، وقيل : حبيش بن منقذ ـ قاله المرزبانى فى المعجم ـ الشاعر ، فأنشدنى لنفسه :

لعن الله أعظماً حملوها
نحو دار البلى على خشبات
أعظماً تبغض النبى وأهل البـ
ـيت والطيبين والطيبات(٢٨)

وفى النهاية : إذا كانت هذه الصفحات القليلة استطاعت أن تجسد مكانة راقية اعتلاها الرجل ، واهتماماً بالغاً ناله ، فإن هذا الاهتمام به وبتراثه لم يقف عند حدود فترة زمنية محددة ، أو خلف أسوار جنس بعينه . (٢٩) فقد شرَّق تراث الرجل وغرَّب ، وما عبر حدود أمة ، أو حلق بأفقها إلا ونال من علمائها حفاوة تعكس تقديراً للرجل وجهوده ، وشغفاً عميق الجذور بالإسلام وحضارته ، العربية وتراثها الخالد .

المصادر

١ ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافى ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى القاهرة ١٩٤٧ م .

٢ ـ اشتقاق الأسماء للأصمعى تحقيق دكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادى . القاهرة ١٩٨٠ م . (اعتمدنا عليه كثيراً) .

٣ ـ إنباه الرواة على إنباه النحاة للقفطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ م .

٤ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ م .

٥ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى القاهرة ١٩٣١ م .

٦ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى . الهند ١٣٢٥ هـ .

٧ ـ تهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى تحقيق عبد السلام هارون وآخرين القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ م .

٨ ـ طبقات النحويين واللغويين للزبيدى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٥٤ م .

٩ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة . القاهرة

١٠ ـ مراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٥٥ م .

١١ ـ المزهر فى علم اللغة وأنواعها للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين . القاهرة ١٩٥٨ م .

١٢ ـ نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات ابن الأنبارى تحقيق إبراهيم السامرائى ـ بغداد ١٩٥٣ .

١٣ ـ الورقة لأبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح تحقيق عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج . القاهرة ١٩٥٣ م .

١٤ ـ وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان لابن خلكان تحقيق محيى الدين عبد الحميد . القاهرة ١٩٤٨ م .

(٢٧) الورقة ٣٠ .
(٢٨) وفيات الأعيان ٣/١٧٦ .
(٢٩) هذا ماسنقوم بمناقشته فى مقال قادم إن شاء الله .

مسلك ذى الوجهين

بقية

واهل الجنة ينظرون إليهم ، فإذا وصلوا إلى باب الجنة ، فهناك يُغلق دونهم الباب ، فذاك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ ، فهذا هو الاستهزاء بهم .

٢ ـ كيف ابتدأ قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ولم يعطف ؟

والجواب : أنه استئناف فى غاية الجزالة والفخامة ، وفيه أن الله تعالى هو الذى يستهزىء بهم الاستهزاء العظيم الذى يصير استهزاؤهم بالمؤمنين فى مقابلة استهزاء الله كلا شىء ، فمهما بالغ العبد فى الاستهزاء فإنه لا يساوى شيئاً بجانب استهزاء الله سبحانه .

٣ ـ ولم يُطابق استهزاء الله استهزاء المنافقين فى الجمل ، لبيان أن استهزاء الله متجدد بخلاف استهزائهم فليست له إلا صورة واحدة .

﴿ وَيَمُدُّهُمْ ﴾ (المد) غالباً ما يكون فى الشر ، أما (أمدّ) فغالباً ما يكون فى الخير ، وهنا مد فى الطغيان ، والعَمَهُ : هو (التخبط) ، وكثيراً ما يكون فى البصيرة بخلاف العمى الخاص بالبصر ، ثم وصفهم سبحانه وحكم عليهم بما هم أهلٌ له ، فقال : ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ وفيه إشارة إلى بُعد منزلتهم فى الدرك الأدنى وهؤلاء المنافقون قد اشتروا الضلالة بالهدى ، فباعوا الآخرة ، وآثروا الحياة الدنيا . واعلم أن الاشتراء مستعمل فى معنى البيع ومعنى العوض عن البيع . والباء تدخل على المتروك ، وهنا استعارة حيث شبه الكفر بالضلال ، وشبه الإيمان بالهدى ، ومن باع الغالى واشترى الرخيص تعرض للخسران لا محالة ، ومن ثم قال : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ اى فما ربحوا فى تجارتهم ، ﴿ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ اى منتفعين بما يسره الله لمن يريد الهدى .

وبعد : فإن المنافقين استدفأوا فراش الشهوات وإنه لبارد ، واستلحفوا لحاف الملذات وفيه مناخس ، وبعد ذلك يُنذرهم الله بقوله : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾

وويل لمن يُصافح الموت بيد ملوثة بالآثام ، مغلولة بالشهوات ، ذاك يجد يد الموت أبرد من الجليد ، واقسى من الحديد ، وإن العطاء الذى يكون مصدره العدل لهو أعظم من الذى يبتدىء من الحسنة ، وإن المحبة التى تبتدعها الظروف تشابه مياه المستنقعات .

الفتاوى

الحـــج عـــن الغـــير

س ١ : أرجو الإفادة عن :

(أ) ما حكم الحج عن شخص ميت أو عاجز .

(ب) هل يصل ثواب الصدقة للميت من غير ولده .

جابر محمد ـ الجيزة

جـ ١ (أ) : الحج عن الميت أو العاجز عن أداء الفريضة بنفسه جائز عند جمهور العلماء ، جاء فى مسند الإمام أحمد . « جاءت امرأة إلى النبى ﷺ ، فقالت : إن فريضة الله فى الحج أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة . أفأحج عنه .

قال : أرأيت إن كان على أبيك دين أكنت قاضيته ، قالت : نعم . قال : فدين الله أحق أن يقضى » .

(ب) : ويصل ثواب الصدقة للميت ولو كان من غير ولده ، قال النووى فى شرح مسلم : الإجماع على أن الصدقة تنفع عن الميت ويصل ثوابها إليه من غير تقييد بكونها من الولد .

ــ نيل الأوطار ــ

حج المراة ..

س ٢ : إمراة وجب عليها الحج وهى مستطيعة لأداء الفريضة إلا من المحرم فهل يجوز لها أن تحج فى صحبة مأمونة ؟

جـ ٢ : مما أوجبه الإسلام على المرأة ألا تسافر مسافة قصر أو أكثر إلا فى صحبة زوج أو ذى محرم ، صيانة لكرامتها وسمعتها وحماية لها من طمع الطامعين ، وعدوان المعتدين .

وإذا تحقق المقصود ووجدت الرفقة المأمونة من الرجال الثقات أو النساء جاز للمرأة أن تخرج لأداء الحج . لما رواه البخارى أن عمر رضى الله عنه أذن لأزواج النبى ﷺ : فى آخر حجة حجها ، فبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن . (فتح البارى ج ٤ ص ٤٤٧) .

الولى فى الزواج

س ٣ : فتاة مسلمة تلتزم بتعاليم دينها بارتداء الزى الإسلامى على غير رغبة أبويها اللذين طرداها من المنزل

فهل يجوز لأحد أقاربها أن يتولى أمر تزويجها مع وجود الأب أم لا ؟

س . ى . القاهرة

جـ ٣ : قال رسول الله ﷺ : إذا بلغت المرأة المحيض فلا يظهر منها إلا هذا وذاك ، وأشار إلى

إعـداد :
علي حامد عبد الرحيم

الوجه والكفين . أو كما قال .

وعلى ذلك : فواجب المرأة المسلمة أن تستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين ، وذلك عند أمن الفتنة ، وأما إذا لم تؤمن الفتنة فيجب عليها ستر جميع البدن ، وهكذا كانت تفعل الصحابيات على عهد رسول الله ﷺ ، وبعده .

وليس لإنسان أن يمنع المرأة من الالتزام بأمر الإسلام في الملبس ، حتى ولو كان أحد الأبوين أو الأبوين ، لأنه : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وعلى الأقرباء والمحيطين بها وبوالديها أن يصلحوا بينهما حتى يتم الزواج عن طريق الأبوين وحتى تكون المودة بينها ومن تختاره وبين أبويها . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ فإذا لم يتم ذلك ، دخلنا من باب الضرورات تبيح المحظورات وكان لأحد أقربائها أن يزوجها ممن يرضى دينه وخلقه .

الزواج ممن مال أبيها من حرام

س ٤ : أسرة كان عائلها يتاجر في المحرمات ، وبعد موته تركوا هذه التجارة فهل عليهم ذنب أم لا ؟ وما حكم الإسلام في ميراث هذا المال ؟ وهل يجوز لي أن أتزوج من إحدى بناته ؟

هـ . ع . هـ سوهاج

جـ ٤ : لا ذنب عليهم إذا كانوا قد قدموا لعائلهم النصحية وحاولوا منعه عن الاتجار في المحرم ، ويجوز لهم توزيع التركة حسب قواعد الميراث دون النظر إلى الوسائل التي تكون منها هذا المال ـ ولأنهم لا يعرفون صاحبه ـ .

والتحريم هنا ينصب على فعل المورث لا على ما عنده من أعيان أو نقود وهو المسئول أمام الله عما جمعه من أموال ولا شيء عليهم ، لأنها لم تكن نتيجة لفعلهم وتصرفاتهم .

يقول علماء أصول الفقه : « لا تكليف إلا بفعل » وبناء على ما تقدم يجوز للسائل أن يتزوج بإحدى بنات هذا المورث مادامت ذات خلق ودين والله أعلم .

حكم العمل في مجال التصوير

س ٥ : أمتلك محلاً للتصوير « الفوتغرافي » وأقوم بتصوير الناس للمصالح الحكومية والمعاملات الرسمية . كما أقوم بتكبير الصور الملونة وغيرها الخاصة بالمناسبات . فما حكم هذا العمل الذي يعتبر مورد رزقي الوحيد ؟

ف . ح . خ شبين الكوم

جـ ٥ : يجوز ذلك شرعاً لعدم ورود النص الصريح القطعي بتحريمه ، ولأنه لا ضرر منه ، بل وتتوقف حياة المصور على هذا العمل .

وهذا ما لم يقم المصور بتمثيل الصور الفاتنة التي تسبب انحراف الشباب والشابات .

←

تفسير

س ٦ : ارجو تفسير قول الله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ . الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ . الخ ..

جابر محمود صبيح ـ جرجا

جـ ٦ : ويل شديد ، وعذاب اليم لكل شخص يطعن فى أعراض الناس ويغض من شأنهم .. بالهمز وهو ما يكون بالحركات كالعين والشدق واليد بقصد التحقير ، واللمز ويكون باللسان .

ومن دعاه إلى ذلك إعجابه بنفسه وغروره بماله وجمعه وتعديده مرة بعد مرة شغفا به وتلذذا بإحصائه لأنه لايرى شرفاً ولا مجداً فى سواه .

إن غروره بالمال أنساه الموت فهو يحسب أن ماله أخلده ، وكأن البارى سبحانه وتعالى يقول له : ارتدع عما ظننت فليس الأمر كما تظن من أن المال يخلدك ، بل الذى يخلدك ويبقى إنما هو العمل الصالح ـ لأن خزان الأموال يموتون وهم أحياء ، إذ يمقتهم الناس ، وأما العاملون للخير فذكرهم باق بقاء الدهر .

وكأن الله سبحانه بعد أن زجره عن البقاء على ظنه يقول والله ليطرحن فى الحطمة وهى النار التى تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب .

إن هذه الحطمة مما لاتحيط به المعرفة ـ إنها نار الله الموقدة التى لا تخمد ، فهى ملتهبة التهابا لا يدرك كنهه وحقيقته إلا الله ، فهى تصل إلى القلوب التى أودعت باطن الإنسان فى أخفى مكان منه .

إنها عليهم موصدة أى مطبقة لا يستطيعون الخروج منها .

قال مقاتل : فى قوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ : إن الأبواب أطبقت عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد مطولة تمتد من أول الباب إلى آخره فلا يفتح عليهم باب .

والمقصود تصوير شدة إطباق النار على أهلها .

نسأل الله أن ينجينا من عذاب النار ، وأن يوفقنا لصالح الأعمال .

العلوم الكونية

قصة الثقوب في العلوم الكونية

مفاعل نووي يعمل منذ نحو اثني بليون عام

قصة الثقوب
فى العلوم الكونية

٣

ثالثا : نظرية الثقب فى الفيزياء النووية :

نعلم من المبادىء الأساسية للفيزياء الذرية والنووية أن نواة الذرة يتركز فيها اكثر من ٩٩,٩٪ من كتلة الذرة وتحمل كل الشحنة الكهربية الموجبة اللازمة لتعادل شحنة الألكترونات السالبة التى تطوف حولها ، ويوصف عنصر ما من العناصر الموجودة فى الطبيعة بأنه ذو نشاط إشعاعى طبيعى إذا كانت ذراته تتحلل ببطء مع مرور الزمن عن طريق التخلص التلقائى من جزء من النواة .

كما تمكن الإنسان من صنع الكثير من العناصر المشعة عن طريق المفاعلات النووية التى تنتج كميات وافرة من النوى التى يندر وجودها على الأرض ، أو ربما تكون قد وجدت مع تكون الأرض ثم تحللت منذ زمن بعيد ، وقد وجد أن الإشعاعات الصادرة عن العناصر المشعة تتكون من واحد أو اكثر من الأنواع الآتية :

١ ـ أشعة «ألفا» وقد ثبت بالتجربة **أن وزنها يساوى** حوالى أربع مرات قدر **وزن ذرة الهيدروچين** ، وأن شحنتها الموجبة **تساوى** ضعف شحنة الألكترون وأن لها قدرة **كبيرة على** «تأيين» الغازات .

٢ ـ أشعة «بيتا» ، وقد ثبت **بالتجربة أنها** عبارة عن سيل من الألكترونات **التى تنطلق** بسرعات كبيرة جداً تقترب من سرعة **الضوء** ، ولها القدرة على النفاذ فى **الأجسام بمعدل أكبر** من مدى جسيمات «ألفا» .

٣ ـ أشعة «جاما» ، وهى عبارة عن **موجات** كهرومغناطيسية لها نفس طبيعة **الضوء العادى** ولكنها تتميز بطاقتها العالية وقدرتها **الكبيرة على** «التأيين» واختراق الأجسام .

٤ ـ يمكن لبعض نوى الذرات أن تبعث **أنواعاً** أخرى من الإشعاعات مثل **البروتونات** والنيوترونات والبوزيترونات وغيرها . **والبروتون** جسيم يحمل شحنة موجبة مساوية **عدديا** لشحنة الألكترون وكتلته تبلغ حوالى ١٨٣٦ مرة

أ.د.أحمد فؤاد باشا*

قدر كتلة الالكترون ، بينما يعتبر النيوترون جسيما بلا شحنة كهربية وكتلته تعادل كتلة البروتون تقريباً .

أما البوزيترون Positron فهو جسيم له نفس كتلة الألكترون ولكنه يحمل وحدة الشحنة الكهربية الموجبة . وتجدر الإشارة إلى أن كلا من الألكترون والبوزيترون لا يمكن أن يتواجدا بداخل نواة الذرة ، ولكن عملية تكوينهما يمكن أن تبدأ أثناء عملية التحلل الإشعاعى .

وهناك تفاعل نووى نموذجى يسمى «الإنتاج الزوجى» Pair Production وفيه يحدث لشعاع جاما ذى طاقة أكبر من ١,٠٢ مليون الكترون فولت عندما يتصادم مع نواة ذرية ثقيلة أن يختفى ليحل مكانه «زوج الألكترون - بوزيترون» وكلما زادت طاقة شعاع جاما عن الحد المذكور فإن فرق الطاقة يتحول إلى طاقة حركة تستغل فى انطلاق كل من الألكترون والبوزيترون . ونظراً لأن البوزيترون يختلف عن الألكترون فى استحالة إمكان تواجده فى الفراغ المطلق ، فإن العملية العكسية المعروفة باسم «الإفناء الزوجى» Pair annihilation تتم بفقد البوزيترون لطاقة حركته تدريجيا عن طريق تصادماته المتوالية مع الذرات المحيطة . وعندئذ يمسك البوزيترون بأى الكترون حر فى طريقه ويكون ما يسمى «بالذرة البوزيترونية» Positronium atom غير المستقرة التى لا تلبث أن تختفى فى أقل من جزء من عشرة آلاف مليون جزء من الثانية (أى 10^{-10} ثانية) ويظهر بدلا منها شعاعان متعاكسان طاقة كل منهما تساوى ٠,٥١ مليون الكترون فولت (لاحظ أن مجموع طاقتى الشعاعين الجديدين تساوى تماما الطاقة الحرجة الكلية اللازمة للإنتاج الزوجى) .

ويعتقد العلماء أن جميع الجسيمات المكونة للكون الذى نعيش فيه يوجد لها «جسيمات مضادة» Antiparticles ، والعكس صحيح ، أى أنهم يعتقدون بوجود «الكون النقيض» Antiuniverse فى مكان ما من الوجود تكون فيه «الجسيمات المضادة» أكثر ثباتا واستقرارا من الجسيمات Particles وبناء على ذلك يطلقون على «البوزيترون» الجسيم المضاد للألكترون ، وعندما يتحد جسيم ما مع جسيمه المضاد تحدث عملية الإفناء التى أشرنا إليها .

وهنا ، ربما تكون الفرصة قد سنحت لنعرض لنظرية الثقب Hole theory التى وضعها العالم الفيزيائى «ديراك» فى عام ١٩٣٠ م لتفسير ظاهرة «الإنتاج الزوجى» نظريا . وتقضى هذه النظرية بافتراض نموذج لبنية الطاقة المميزة للإنتاج الزوجى ، حيث تشغل الألكترونات جميع حالات الطاقة السالبة . وعندما يستمد أى من هذه الألكترونات قدراً من الطاقة مساويا للطاقة الحرجة (١,٠٢ مليون الكترون فولت) أو أكبر منها ، فإنه يرتفع عبر منطقة محظورة لا يستطيع فيزيائيا أن يمكث فيها ، ويصل إلى حالة من الطاقة الموجبة تاركا وراءه «ثقبا» فارغا يعرف باسم «البوزيترون»(١) .

* الكاتب : أستاذ الفيزيا بكلية العلوم - جامعة القاهرة .

(١) نال «بول ديراك» جائزة نوبل عام ١٩٣٣ م على هذا الكشف العلمى الهام . لمزيد من التفصيل راجع : د . عبدالمحسن صالح ، «هل لك فى الكون نقيض» ، الهيئة المصرية العامه للكتاب ، ١٩٧٩ .

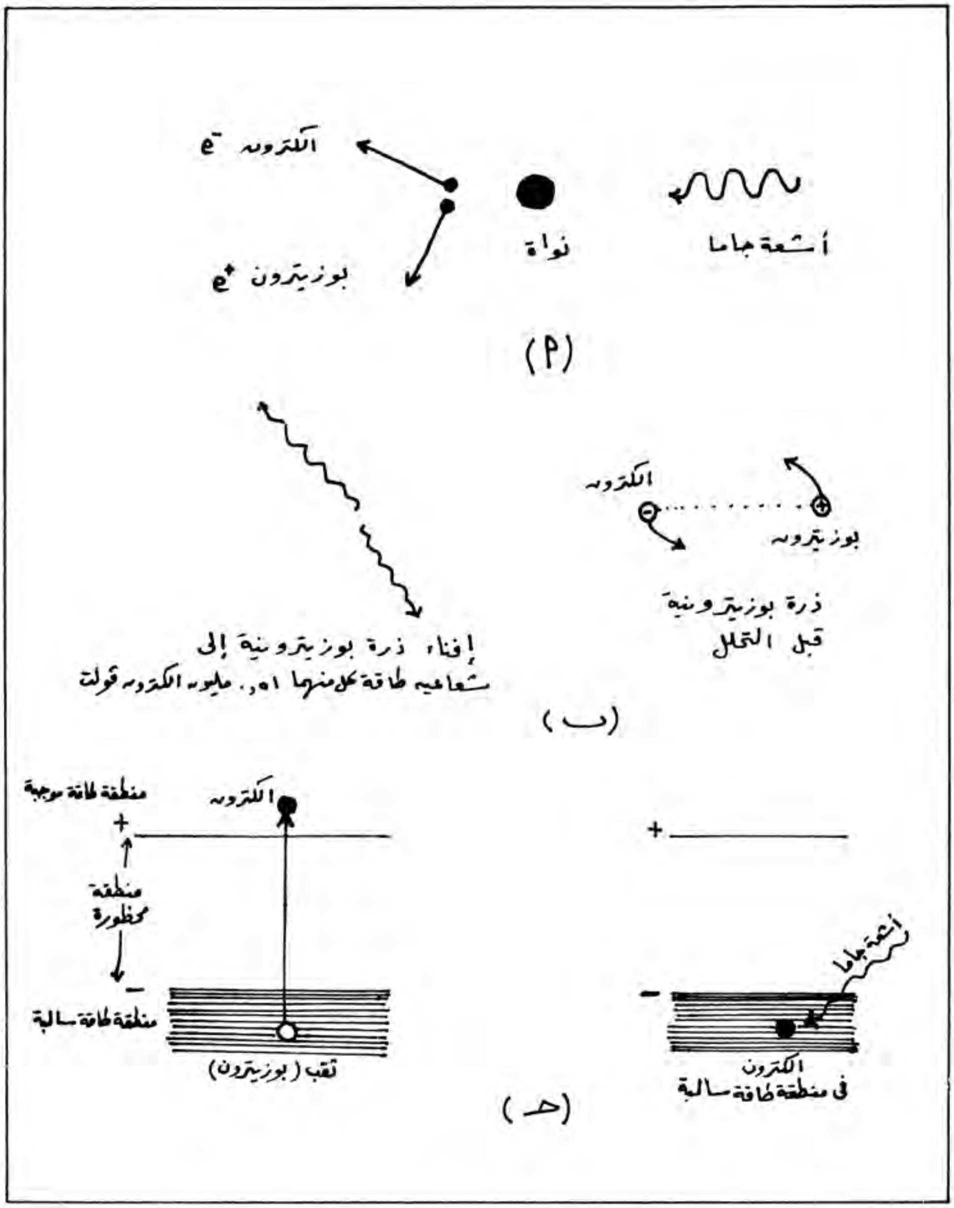

رسم يوضح : (أ) عملية الإنتاج الزوجي (الكتروني - بوزيترون) .
(ب) تكوين وإفناء ذرة بوزيترونية .
(جـ) تكوين الزوج الكترون - بوزيترون حسب نظرية الثقب لديراك .

رابعا : الثقوب السوداء والفيزياء الفلكية

عندما نصل الآن إلى قصة الثقوب السوداء Black holes أو الثقوب البيضاء White holes في أعماق الفضاء الخارجي فإن الحديث يكون أقرب إلى قصص الخيال العلمي منه إلى الأسلوب المتعارف عليه في لغة العلم الموضوعية . ذلك لأننا سنكون أمام ظاهرة غريبة على العقل والمنطق ، لا يجدي في وصفها إلا استخدام أرقام خيالية وتصورات هلامية تخرج عن إطار كل ما تعرفه الآن عن خصائص المادة وأبعاد الزمان والمكان ، لكن الموضوع من جهة أخرى يحظى باهتمام كبير لدى فئات متنوعة من الباحثين في علوم الفيزياء والفلك لاعتقادهم بأنه يشكل حلقة هامة من حلقات البحث عن أسرار الكون وخبايا الوجود ، خاصة بعد أن ظهرت حديثا نظرية «المادة المظلمة» التي تقضي بأن ما يزيد على ٩٧٪ من المادة الكلية لهذا الكون لايزال مجهولاً بالنسبة للإنسان .

ولكي نتعرف على حقيقة هذا النوع من الثقوب كما تصورها الحسابات النظرية وكمية النتائج العملية الضئيلة التي توصل إليها العلماء حتى الآن يجب أن نشير إلى خاصتين هامتين تتعلق إحداهما بعملية التطور النجمي وتتصل الأخرى بجاذبية المادة ، أما خاصية التطور النجمي فتعني أن النجوم بعد «مولدها» تمر بمراحل من التطـور تختلف باختـلاف أنواع النجـوم وأحجامها ، ويصل الحال ببعض هذه النجوم إلى درجة من الخمود في تفاعلاتها الداخلية والتقلص في مكوناتها المادية تجعلها في عداد «الموتى» ، ولقد اكتشفت بالفعل أمثال هذه «النجوم الميتة» وأمكن التعرف عليها ، والاستدلال على وجودها ، مثلما حدث لبعض النجوم الصغيرة نسبيا التي تقلصت خلال عدة عشرات من ملايين السنين إلى أجسام كثيفة وساخنة لدرجة الابيضاض ، أطلقوا عليها اسم «الأقزام البيضاء» White dwarfs وأما خاصية الجذب المادي فترجع أساسا إلى تلك القوة الخفية التي استدل على وجودها علماء المسلمين في عصر الحضارة الإسلامية ، وصاغ قانونها الرياضي من بعدهم السير إسحاق نيوتن ، فأمكن تفسير الحركة الدائبة المتوازنة للأجرام السماوية ، وحقق الإنسان على أساسها حلمه في ارتياد الفضاء والسفر إلى الكواكب البعيدة . ومن أهم سمات هذه القوة الكامنة في طبيعة المادة ذاتها أنها تتعاظم مع ازدياد كتلة المادة حتى تصبح قريبة من حدودها اللانهائية ، وعندئذ يكون لها من الآثار ما يتجاوز حدود علمنا . فإذا كانت الجاذبية الأرضية هي التي تشدنا إلى الأرض شدا بما يتناسب مع كتلة الأرض وكثافة مادتها ، فإلى أين يمكن أن يصل الخيال بنا لتصوير جاذبية جرم تقترب كثافته من اللانهاية وتزيد كتلته عن كوكبنا ملايين الملايين من المرات !؟

إلى هنا يمكن أن نتخيل الثقوب السوداء التي تنبأت بها نظريات اينشتين على أنها أجرام كثيفة وصلت إلى حالة «الموت» التي تحل ببعض النجوم في السماء وتشير المعادلات الرياضية إلى أن موت النجوم الصغيرة والمتوسطة يؤدي إلى انهيار مادتها في جوفها تحت وطأة قوى الجاذبية ، وكلما كانت كتلة النجم كبيرة كانت الكثافة في جوفه عند موته جد عالية . ويظن أن النجوم التي ينتهي بها المطاف في تطورها إلى ثقوب سوداء تبلغ حداً من الكبر في جاذبيتها لا يسمح حتى للضوء نفسه من الإفلات خارج سطحها ، وقد تبتلع في جوفها كل الأجسام والنجوم التي تدنو من مجالها .

وبعد أن وقع العلماء في جب الثقوب السوداء وتاهوا في غياهب «اللانهاية» التي تستعصي على الحس والإدراك ، لجأوا إلى البحث عن معنى التناسق في ظواهر الكون الطبيعية . وعلى غرار

ما عرفوه من ثنائيات الأضداد فى الخير والشر ، والنور والظلام ، والسواد والبياض ، والموت والحياة ، قالوا بأن الثقوب السوداء لابد لها من وجود «ثقوب بيضاء» White holes تحمل الخصائص النقيضة . لكن هذه بدورها حالة أخرى لا ندرى عن طبيعتها شيئا ، وإن كانت بعض نتائج الأرصاد تشير إلى إمكانية تكرار عملية التطور النجمى وتكوين نجوم جديدة .

ويبحث العلماء عن طرق علمية لمعرفة المزيد عن هذه الثقوب التى لا تأتينا بما تعودنا على رصده وقياسه من إشعاعات وموجات . وقد توصلوا أخيراً إلى القول بإمكان وجود «موجات جاذبية» Gravitational waves- تؤثر عليها الأجرام السماوية بطريقة مماثلة لتأثير العدسات الزجاجية على مسار الأشعة الضوئية وخصائص الصور التى تكونها للمرئيات المختلفة ، وأصبح ما يعرف باسم «العدسات الجاذبية» Gravi-tional lenses موضوعا بحثيا جديداً يعول عليه كثيراً فى الكشف عن معلومات هامة كسرعة تمدد الكون وكثافة المادة المظلمة فيه . وإذا كان الجزء الأكبر من كتلة الكون مختفيا على شكل ثقوب سوداء ، فمن المرجح أن تحدث فيما بينها تصادمات عديدة قد يصدر عنها ما يكفى لكشفها . وتعتمد الفكرة النظرية للعدسات الجاذبية على حسابات علمية نشرها أينشتين عام ١٩٣٦ م وتقضى بأنه إذا وقع نجمان على مسافتين مختلفتين من الأرض وفى موقع ظاهرى واحد من السماء ، فإن صورة النجم الأبعد لابد أن تكون حلقية الشكل . لكنه استبعد أن يكون لهذه النتيجة أهمية عملية بسبب ضآلة احتمال أن يقع نجمان على خط بصرى واحد ، وظل هذا الاعتقاد خيالا نظرياً حتى عام ١٩٧٩ م عندما بدأ توالى اكتشاف مجموعات من هذه العدسات تنشأ عن وجود جرمين أو أكثر خارج مجرتنا على استقامة خط النظر .

ويجرى حاليا التخطيط لتجارب جديدة أكثر حساسية لكشف الموجات الجاذبية ، وذلك فى المراصد التى يشيدها الباحثون لتكون قادرة فى أوائل العقد القادم على رصد الإشارات الجاذبية الآتية من خارج المجرة . وقد تم فعلا ، فى مختبرات الولايات المتحدة وأوروبا ، بناء واختبار نماذج أولية من أجهزة كشف تعتمد على تداخل أشعة الليزر . وهذا النوع من المراصد الجديدة من شأنه أن يساعد على رؤية أوضح للعمليات التى لا تستطيع كشفها أجهزة الرصد التقليدية المعتمدة على الموجات الكهرومغناطيسية ، كما هو الحال بالنسبة لانفجارات النجوم العظمى وتكوين الثقوب السوداء أو البيضاء[٢] .

وهكذا يتضح أن الثقوب السوداء أو البيضاء التى يتحدث عنها العلماء ليست الثقوب التى تعنيها لغتنا ، ولاهى سوداء أو بيضاء كما تدل الأوصاف التى نتداولها فى حياتنا ، ولكنها تسمية أطلقت على ظاهرة كونية لا تراها عيوننا ولا تكشفها حواسنا وأجهزتنا .

وكم فى العلوم من مصطلحات وألفاظ خرجت عن معانيها الأصلية فى اللغة لتدل على معان اصطلاحية تختلف من علم إلى علم ، وأحيانا تختلف باختلاف فروع العلم الواحد[٣] .

---

(٢) لمزيد من من التفصيل يمكن الرجوع إلى المقالين الآتيين :

ـ «قبور فى السماء سوداء وبيضاء» ، د . عبدالمحسن صالح، مجلة العربى ، العدد ٢٨٧ ، اكتوبر ١٩٨٢ م .

ـ «مراصد الموجات التثاقلية» ، أ . د . جفريز وآخرين ، مجلة العلوم الأمريكية ، الترجمة العربية ، المجلد ٦ ، العدد ٤ ، أبريل ١٩٨٩ م .

(٣) لمعرفة المزيد عن تصنيف المصطلحات العلمية انظر : العربية لغة العلوم والتقنية ، د . عبدالصبور شاهين ، دار الاعتصام ١٩٨٦ م

مفاعل نووى

يعمل منذ نحو بليونى عام

للأستاذ الدكتور
محمد عبد الرحمن سلامة

تتميز بعض العناصر الموجودة فى الطبيعة بظاهرة طبيعية يطلق عليها «النشاط الإشعاعى» وتنشأ هذه الظاهرة من وجود هذه العناصر فى (حالة عدم استقرار فى تركيبها الداخلى) ولذلك فهى تُعَدِّلُ نفسها باستمرار للوصول إلى حالة الاستقرار ، وهذه التعديلات تتم عن طريق خروج جسيمات كبيرة ذات سرعة تسمى (اشعة) وتطلق على ذرات هذه العناصر غير المستقرة «الذرات المشعة» وتعرف التحولات التى تطرأ بالتحلل الإشعاعى وتسمى العناصر التى تتحلل (انويتها) طبيعيا بالعناصر المشعة .

وتحتوى (نويات) العنصر الواحد على نفس العدد من (البروتونات) ولكنها قد تحتوى على أعداد مختلفة من النيوترونات ، وهذه الأنواع المختلفة من (نويات) العنصر الواحد تسمى (نظائر العنصر) .

وعنصر اليورانيوم هو أحد العناصر الموجودة فى الطبيعة على شكل نظيرين :

(اليورانيوم ٢٣٥) ويحتوى على (٩٢ بروتون) و(١٤٣ نيوترون) .

وكذلك (اليورانيوم ٢٣٨) ويحتوى على (٩٢ بروتون) ، (١٤٦ نيوترون) .

ويعتبر (اليورانيوم ٢٣٥) من الأهمية من حيث الانشطار النووى ، كما أن له خاصية نادرة حيث أنه بامتصاص نواته لأحد (النيوترونات) تنشطر إلى نَوَاتَىْ عنصرين مختلفين يطلق عليهما نواتج الانشطار ويطلق على هذه الظاهرة الانشطار النووى ، ويصاحب الانشطار النووى ←

* الكاتب : أستاذ بجهاز التنظيم والامان النووى «هيئة الطاقة الذرية» .

مفاعل نووى

انطلاق عدد يتراوح بين ٢ ـ ٣نيوترونات ، وتتحرك النيوترونات بسرعة عالية تصل إلى ٢٠ الف كيلومتر/ثانية ، ويقل مجموع كتلتى نواتج الانشطار و(النيوترونات) المصاحبة له عن مجموع كتلة نواة ذرة (اليورانيوم) و(النيوترون) المسبب للانشطار ، ويتحول هذا الفرق فى الكتلة إلى مقدار هائل من الطاقة يظهر معظمه فى صورة طاقة حركية تنطلق بها نواتج الانشطار .

وسرعان ما تتحول هذه الطاقة الحركية إلى طاقة حرارية نتيجة لاصطدام نواتج الانشطار بنويات الذرات الأخرى المحيطة بها ، وهذا يفسر لنا تولد الطاقة الحرارية العالية من الانشطار النووى ، أما النيوترونات المنطلقة من الانشطار النووى فيمكنها بدورها عمل انشطارات أخرى مولدة (نيوترونات) أخرى عديدة تدخل بالتالى فى (انشطارات) متتالية ، ويحدث ما يسمى بالتفاعل الانشطارى المتسلسل ، ولزيادة احتمال امتصاص هذه (النيوترونات) بواسطة نويات (اليورانيوم ـ ٢٣٥) دون نويات نظائر (اليورانيوم) الأخرى ، ثم لإحداث الانشطارات المطلوبة يلزم للتحكم فيها تخفيض سرعة هذه النيوترونات ويتم ذلك عن طريق إتاحة الفرصة لاصطدام النيوترونات عند انطلاقها بنويات مادة اخرى خفيفة يطلق عليها (المُهَدِّىء) وعادة ما يستخدم الماء العادى ، أو الماء الثقيل او الجرافيت كمواد مهدئة .

وقد وجد انه منذ حوالى ٢ بليون عام بدأ تفاعل انشطارى متسلسل فى احد العروق الغنية بخام اليورانيوم والمغمورة فى باطن الأرض فى الجزء الغربى من القارة الافريقية ، وقد استمر هذا المفاعل يعمل حوالى مائتى الف عام بعد بدء التفاعل ، ولم يتم بناء أى احتواء لهذا المفاعل ، ولم تنشر على الإطلاق أية بيانات عنه تتضمن أية تاثيرات بيئية لهذا المفاعل على الإطلاق .

وقد اكتشف وجود هذا المفاعل حينما اعلنت هيئة الطاقة الذرية الفرنسية فى عام ١٩٧٢ أن بقايا هذا المفاعل الإنشطارى قد اكتشفت فى منطقة (اوكلو) المعروفة الآن (بجمهورية الجابون) فى غرب افريقيا ، وقد قام اربعة وسبعون عالماً من مختلف التخصصات الكيميائية والفيزيائية والهندسية والجيولوجية من عشرين دولة بمناقشة (ظاهرة أوكلو) فى المؤتمر الدولى الذى عقدته الوكالة الدولية للطاقة الذرية تحت إشرافها فى عام ١٩٧٤ .

وكان القصور المقبول لما حدث عن (ظاهرة اوكلو) أن تركيز خام (اليورانيوم) قد حدث على ثلاث مراحل وانه خلال المرحلة الاولى التى كانت قبل حوالى ٢ بليون سنة حدث خلالها تركيز لخام اليورانيوم الموجود فى أخدود للمياه فى دلتا النهر الذى كان موجوداً فى هذه المنطقة فى العصور الجيولوجية القديمة ، وأن ترسيبات خام (اليورانيوم) التى هى عبارة عن قطع وحبيبات من (اليورانينيت) غير القابل للذوبان تحتوى جزئيا على أكسيد (اليورانيوم) قد انفصلت تدريجيا بتاثير عوامل التعرية من تكوينات الصخور البللورية وترسبت فى مجرى النهر . ونتيجة لكثافتها العالية تجمعت فى رواسب المجرى . .

وخلال المرحلة الثانية كان تواجد عنصر الاوكسجين هو المسئول عن تركيز خام اليورانيوم . فقد ثبت انه منذحوالى ٢ بليون عام بدأت الطحالب الزرقاء المائلة للخضرة المتواجدة

بالمجرى فى ذلك الوقت فى تكوين وإنتاج غاز الأوكسجين النشط (الذرى) وذلك للمرة الأولى فى تاريخ البشرية ، وبالتالى فقد تعرضت حبيبات اليورانيوم لهذه البيئة الجديدة المشبعة بالأوكسجين فتحولت إلى مركبات ذاتية ، بالإضافة إلى ذلك فقد تعرض اليورانيوم الموجود فى رواسب المجرى أيضاً للأوكسجين وذاب فى ماء المجرى وانحدر مع التيار فى العصور الأولى ، وقد أدى ذلك إلى ترسيبات كبيرة من الخام وبتركيزات عالية . وقد أمكن لهذه الجيوب الغنية باليورانيوم ، والتى تكونت على مدى الزمن أن تحدث تفاعلات (نيوترونية) متسلسلة محاطة برواسب من تكوينات الخام خلال فترة تكوين القشرة الأرضية ، وقد اتضح أن فترة تكون الخام الأساسية قد انتهت منذ حوالى بليون عام مضى .

وكما هو معروف ، فإن التفاعل النيترونى المتسلسل لا يمكن حدوثه تلقائيا فى خام اليورانيوم الطبيعى حينما يكون محاطاً بالماء ، حيث إن خام اليورانيوم الطبيعى خليط من النظيرين من (٩٩,٠٣٪ يورانيوم ـ ٢٣٨) و(٧٪ يورانيوم ٢٣٥) والنظير الأخير (اليورانيوم ٢٣٥) هو القابل للانشطار بالنيوترونات ، وحيث إن (نظير اليورانيوم ٢٣٨) نسبته كبيرة فى الخام الطبيعى ، وأيضاً له قدرة مع الماء على امتصاص النيوترونات الموجودة فى محيط التفاعل فهو ـ فى هذه الحالة ـ لايسمح بحدوث الانشطار فى (نظير اليورانيوم ٢٣٥) المصاحب له فى الخام .

وبالرجوع إلى العصور الجيولوجية القديمة نجد أن تكوين خام اليورانيوم الطبيعى الموجود فى ذلك الوقت لم يكن به هذا القصور (أى عدم السماح بحدوث الانشطار فى اليورانيوم ٢٣٥) حيث كانت نسبة (نظير اليورانيوم ٢٣٥) أكثر فى الخام الطبيعى وقت ذاك منها فى الخام المعروف حالياً ، وعليه فإن عملية الانشطار النووى فى خام اليورانيوم الطبيعى فى ذلك الوقت قد تمت .

وقد دلت الدراسات على أن نسبة نظير اليورانيوم ٢٣٥ فى خام اليورانيوم فى العصور القديمة كانت أعلى مما هى عليه الآن ، ووصلت حينئذ إلى حوالى (٣,٥٪) فى خام اليورانيوم الموجود فى منطقة (أوكلو) .

وبناء على هذه المقارنة ، فإنه يمكن القول بنوع من الإيجابية بأن التفاعل المتسلسل فى كل من اليورانيوم والماء يمكن له أن يحدث منذ حوالى (٢ بليون عام) فى العصور الجيولوجية القديمة فى هذه المنطقة .

وحاليا تقوم الصناعات النووية بإنتاج خام يورانيوم مصنع مثرى ، أى أن نسبة (نظير اليورانيوم ٢٣٥) أعلى فيه من نسبة نظير اليورانيوم ٢٣٨ ، وهذا اليورانيوم المصنع يستعمل كوقود فى مفاعلات الماء الخفيفة .

ويوجد خام اليورانيوم على مستويات عميقة تحت مستوى سطح الأرض فى (أوكلو) فقد بدأ تفاعل متسلسل فى أماكن عديدة ومتفرقة ، واستمر لأزمنة تراوحت بين مائتى الف إلى ستمائة الف عام إلى أن انخفضت نسبة نظير اليورانيوم ٢٣٥ فتوقف التفاعل .

ولقد كان التفاعل الحادث غير قابل للانفجار ، ويبدو أنه حدث على مستوى (قدرة) يتراوح بين ١٠ إلى ٢٥ كيلوات والتى تكافىء قدرة تبلغ ٣٠ حصاناً ، ولقد كانت المفاعلات المتكونة تحت الأرض تعمل على عمق حوالى ٤ كم تحت الأرض ، وكان لتآكل سطح القشرة الأرضية على

←

مفاعل نووى

مدى فترة الـ (٢ بليون عام) الماضية قد تركت هذه المفاعلات فى الوقت الحالى على عمق يتراوح بين (٢ ـ ٣٠) مترا تحت الأرض ، وقد أمكن التحكم فى قدرة هذه المفاعلات بتأثير كثافة الماء المحيطة بها .

ولقد بلغت مجموعة المفاعلات المتكونة والموجودة فى (أوكلو) حوالى ستة مفاعلات تقريباً فى سلسلة من ترسيبات اليورانيوم بلغ سمكها (مترا) تقريباً وعرضها عشرة أمتار ، وأنه لمن الجدير بالذكر أن الفترة الزمنية التى انقضت منذ توقف مفاعل (أوكلو) كانت طويلة بحيث إن النشاط الإشعاعى المتبقى فى الموقع أصبح ضعيفاً جداً فى الوقت الحالى لإعطاء أية معلومات تساعد على معرفة أى (بارامترات)[1] عن تصميم مفاعل عمره ٢ بليون عام .

وقد قدمت ظاهرة (أوكلو) للعاملين فى مجال تكنولوچيا إدارة المخلفات الإشعاعية إمكانية دراسة هجرة النواتج الانشطارية خلال فترة نشاط المفاعلات فى موقع (أوكلو) بعد أن تم استهلاك حوالى ستة أطنان من نظير (اليورانيوم ٢٣٥) وعلى الوجه الآخر قد أنتج ستة أطنان مماثلة من النواتج الانشطارية بالإضافة إلى كمية الطاقة المتولدة من جراء تشغيل هذه المفاعلات قدرت بحوالى (١٥,٠٠٠) ميجاوات سنة وهذا يكفى لتشغيل مفاعل قدرة (٥٠٠ ميجاوات) لمدة عشر سنوات ، وقد دلت الدراسات التى أجريت على موقع المفاعل أن تسرب النواتج المشعة من منطقة (أوكلو) كانت محدودة للغاية ، وقد حدث استقرار للعناصر الثقيلة ولكن حدث بعض الانتقالات خلال الحقبة الزمنية (٢ بليون عام) لعناصر (الزينون) و(الروبيديم) و(الباريوم) و(الوليبدنم) و(اليود) ، ولازالت الدراسات مستمرة فى موقع أوكلو لدراسة النواتج الانشطارية الثابتة الموجودة فى الوقت الحالى .

وقد بدأ التنقيب فى دول عديدة بحثا عن مفاعلات انشطارية أخرى والذى يجب أن نؤكده أخيراً أن الانشطار النووى ظاهرة طبيعية وليست من اختراع الإنسان .

(١) اى تصميمات .

الشعر والشعراء

إشراف : د. حسن جاد

حنين إلى عرفات

ثم طفنا وسعينا

مناط الرجاء

حنين إلى عرفات

للشاعر : عمر موسى البرعى

يارب أشهدنى سنا عرفات ... كرماً وَوَجِّهْ نحوها خطواتى

لجلالها يصبو فؤادى لهفةً ... جَمَّ الحنين لمهبط الرحمات

هى موقف غَمَرَ التجلّى ساحَهُ ... تهفو إلى نفحاته خطراتى

بخُطَى النبى على ثَرَاهُ تعطّرت ... أرجاؤه بالخير والبركات

وبفضله حلّت عليه مكارم ... أهدت إلينا حكمة وعظات

فإليه ياتى العابدون ببهجة ... وخواطرٍ تشتاق للرحمات

ولديه يبتهج الحجيج برحمة ... تُضفِى عليهم أطيب النفحات

هو مشهد أرنو إلي تحقيقه ... وإليه يصبو القلبُ طول حياتى

فيه تفيض عوارف ومعارف ... ولطائف تصفو بها أوقاتى

يامبدع الأكوان فى تكوينها ... هب لى الوقوفَ على ثرى عرفات

مالى سواك اليوم فى أمنيّةٍ ... عنها الدعاء يطول فى صلواتى

فخواطرى لَهْفَى وشوقى عارم ... لمنازل السورات والآيات

فامنن علىَّ بزورة لرحابها ... فرحابها ركن من الجنات

أنت الكريم يصيب فضلك دائماً ... من يرتجيك بصادق الدعوات

ثم طفنا وسعينا

للشاعر: محمود محمد بكر هلال

امـلأ الكـأسَ وهـاتِ — واسقنـى سـر حيـاتـى
ليس يُـرْوينـى سـواهـا — فـى مسـائـى أو غَـدَاتـى
طـالمـا كـانـت شفـاءً — لجـروحـى النـازفـات
طـالمـا كـانـت دعـاءً — فـى قيـامـى وصـلاتـى
طـالمـا كـانـت غـذاءً — وارتـواءً فـى فـلاتـى
طـالمـا كـانـت نـداءً — أيقظتنـى مـن سُبـاتـى
طـالمـا تُقْتُ إليـهـا — دون غيـرى مـن لِـداتـى
وصَبَـرْتُ العمـر حتـى — جـاءنـى يـومُ النجـاة
وأتيـتُ اليـوم أسـعـى — فـى أمـانٍ وثبـات
حـول بيـت الله سَعْيـاً — طـائفـا بيـن السُّعـاة
طـالـب الغفـران ممـا — آدَنِى مـن سيئـاتـى
بـعـد أن كنـا وقفنـا — فـوق وادى عـرفـات
وابتـهلنـا ورجـونـا — ودعـوْنـا فـى الصـلاة
ثـم بِتْنـا فـى رُبـاهـا — ورمينـا الجمـرات
فـى منـىً والخيـف فيـهـا — وهْـوَ نبـع البـركـات
وطـعمنـا وشـربنـا — ونحـرْنـا الأضحيـات
وافضْنـا ونفضْنـا — مـا بنـا مـن مُنكـرات
ثـم طفنـا وسـعينـا — ورجـونـا الصـالحـات
وطـربنـا وسكـرنـا — مـن كئـوسٍ متـرعـات
ليـت أنّـا مـا افقنـا — مـن لـذيـذ النشـوات
وبقينـا فـى ابتـهـال — لإلـه الكـائنـات
نسـعـد الـروح صـلاة — فـوق تلـك الربـوات

مناط الرجاء

للشاعر: اسماعيل يحيى

تهاوت نجومي فما من شعاع   وغامت سمائي فما من هُدى
إلامَ أسيرُ بدرب الضَّياع   وهذا الطريق طويل المدَى

* * *

قطعت الزمان نديمَ الليالي   أعيشُ الحياة كما أشْتهي
نهاري عزاء جميل لحالي   وليل الهناءة لا ينتهي

* * *

احاكي فراشاً يطوف بنارٍ   يقيم صلاة على روحِه
وأيُّ صلاةٍ وأي مزارٍ   عكفْت سنيناً على صرحِه

* * *

إلى أن سمعتُ لصوت الضمير   « زرعت القتاد فهاكَ الجنى »
أهذا المصير بحق مصيري   وهذا الهزيل المعنَّى : أنا

* * *

وأين الصِّحابُ وأين النَّدامى   فبالأمس كانوا عداد الثرى
سرابٌ تبدّى قليلاً وغاما   وها نحنُ ننفُضُ عنَّا الكرى

* * *

رفعتُ يدَيّ لربّ السماء   إلهي أعنِّي على محنتي
إذا لم يَسَعْني مناط الرجاء   فمن ذا يُقيلُ إذن عثرتي

من أعلام الأزهر

الشيخ عبد العزيز جاويش

للمستشار: محمد عزت الطهطاوى

كم انجبت امة الإسلام من رجال مخلصين قادوا على مر الزمان جنوداً اعزوا الدين ، ودكوا عروش الظالمين . فلم يطمع فى أرضهم طامع ولا رضوا بجبروت الطاغين ، ومكنهم قادة حركات التحرير التى تطارد الاحتلال الأجنبى وتجعل بقاءه منكراً . والتعاون معه جرماً ، والرضا به كفراً وبلاؤهم الحسن فى خلاص الأوطان تشرق به صحائف التاريخ ، لقد كرسوا انفسهم واموالهم للكفاح فرفعوا أصواتهم بالنذير وتقدموا شعوبهم فى ساحات الفداء والتضحية وهم مرتبطون قلبيا وفكرياً بدينهم يصدرون عنه وينطلقون منه .

ولئن كان الشيخ عبدالعزيز جاويش من هؤلاء الصفوة إلا أنه لم يكن علما فى الوطنية فحسب بل كان علّامة فى التربية أيضاً ، فلقد تقلب بين أجواء ثلاثة فى حقل التعليم إذ تعلم بالأزهر الشريف ودار العلوم ثم سافر إلى انجلترا طالبا مرة وأستاذاً للغة العربية بجامعة أكسفورد مرة أخرى ، وهناك لمس عن كثب ما بلغته التربية الانجليزية فى مدارس الانجليز من تفوق رائع ساعد على النهوض بالدولة ومكن لرجالها فى العصر الحديث أن يكونوا فى مراكز الصدارة بين الأمم ، ثم قرن ذلك بما انحدرت إليه التربية فى مصر على يد الاحتلال البريطانى فأيقن أن اصلاح طريق التعليم وإعداد مناهج التربية على وجه سليم هو مما يدفع البلاد إلى الحرية الصحيحة والكرامة المثلى .

مولده ونشأته :

ولد الشيخ عبدالعزيز جاويش بمدينة الأسكندرية فى ٣١ أكتوبر سنة ١٨٧٦ م وبهذه المدينة بدأ حياته التعليمية بالأزهر سنة ١٨٩٢ م ثم التحق بمدرسة دار العلوم ولما تخرج فيها سنة ١٨٩٧ م عين مدرساً فى مدرسة الزراعة إلا أن وزارة المعارف (التربية والتعليم حالياً) ارسلته فى بعثة تعليمية إلى جامعة (بروروذ) بانجلترا فبقى بها مدة سنتين عاد منها إلى مصر سنة ١٩٠١ م

←

الشيخ عبدالعزيز جاويش

فعينته وزارة المعارف مفتشا بها ، ثم طلبته جامعة اكسفورد ليعمل بها استاذاً للغة العربية فبقى بانجلترا حتى عاد إلى مصر سنة ١٩٠٦ م حيث تولى منصب المفتش الأول بوزارة المعارف إلى أن استقال فى ابريل سنة ١٩٠٨ ليتولى تحرير (جريدة اللواء) لسان حال الحزب الوطنى وقتئذ[١]

كيف حاول الشيخ عبدالعزيز جاويش إصلاح حال التعليم بمصر ؟

عندما أسندت إلى الشيخ وظيفة التفتيش لاحظ ما فعله المستر دنلوب مستشار الاحتلال البريطانى فى وزارة المعارف من إطفاء لجذوة التفكير ومسخ لمنهجية الدرس فى معاهد التعليم فالطلاب آلات تحفظ دون أن تفهم ، وكل ما تفعله المدرسة أن تخرج جماعات من الموظفين يسدون ثغرات النقص فى مصالح الحكومة والإدارات المهنية دون أن تعمل على تخريج جيل ينمى الفكر ويعشق الإبداع ، فشن الشيخ عبدالعزيز جاويش حملته على أسلوب التلقين الشفوى دون استبصار وتمحيص وسجل افكاره فى مؤلف تربوى يقود المدرس إلى مراشد النور ودعاه بكتاب (غنية المؤدبين) فرق فيه بين معنى التربية ومعنى التعليم ، ودعا فيه إلى الاستنباط والتعليل واستخدم الحوار فى الدرس ونعى على الإلقاء الخطابى والاستظهار اللفظى وطلب من المدرسين :

الشيخ عبد العزيز جاويش

اولا : أن يكون المدرس منهم مثالا حيا بشخصيته لا كتاباً جامداً بالمعلومات .

ثانيا : وأن يكون المعلمون مثلا حسنة فى سيرهم وأخلاقهم من جميع الوجوه لتلاميذهم ولمن جاورهم من الناس .

ثالثا : وألا يقتصروا على تعليم تلاميذهم المواد المقررة بل يجتهدوا فى بث وإحياء عادة الاطلاع فيهم مع المحافظة على الأوقات وعلى الجد والطاعة والتأمل فى الامور والذوق فى المعاملة ، والشفقة بالناس .

ولقد كان من إخلاص الشيخ جاويش فى عمله أن كان يظل فى مكتبه بوزارة المعارف عشر ساعات يوميا ليؤدى واجبه كما يطمئن هو إليه لا رغبة فى حظوة فقد كان وهو مراقب التعليم الأوّل يتقدم الكثير من كبار موظفى وزارة المعارف ويراهم فى منطق الواقع بعضا من تلاميذه[٢] .

(١) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تاليف الشيخ عبدالعزيز جاويش ـ كتاب الهلال ـ ذو الحجة سنة ١٣٧١ هـ ـ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م .

(٢) كتاب النهضة الإسلامية فى سير اعلامها المعاصرين تاليف الدكتور محمد رجب البيومى الجزء الاول سلسلة البحوث الإسلامية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

نظرته للمبعوث الذى يتزوج من فتاة جنبية :

يحكى عنه الدكتور زكى مبارك فيقول : (دخلت عليه مرة فوجدت عنده إنسانا منزويا فى إحدى نواحى المكتب ، ورأيت الشيخ جاويش غضبان والشرر يتطاير من عينيه فسلمت تسليما مختصرا وجلست ، وما هى إلا لحظات حتى انفجر الشيخ كالبركان فى وجه ذلك الجليس فقد صرخ : من يتزوج بناتنا إذا جاز لكل شاب مأفون ألا يزور أوروبا إلا عاد ومعه زوجة فرنسية أو انجليزية أو ألمانية ؟

إن الأتراك لا يتزوجون بناتنا غطرسة منهم وكبرياء ، والمغاربة وهم فى مثل حالنا لا يتزوجون بناتنا إلا فى قليل من الأحوال فكيف يجوز لشاب أن يترك بنات وطنه للبوار وهو يعرف فى سريرة نفسه أن الفتاة المصرية معدومة النظائر فى الجمال وفى أدب النفس ، وما الذى يبهرك فى الفتاة الأوروبية حتى تنسى بها بنت وطنك ومتى يصير أمثالك رجالا يعتمد عليهم الوطن وقد حرمكم الله نعمة الوطنية .

ثم خرج الشاب وهو آسف ، وكانت لحظة صمت توهمت فيها عينى الشيخ جاويش مغرورقتين بالدمع ثم تكلف الابتسام وقال : لا تؤاخذنى فذاك فتى كان أبوه من أعز أصدقائى وما كنت أحب أن ينسلخ من وطنه بالزواج من امرأة أجنبية[٣] .

اهتمامه بمتابعة منهجه التربوى بعد تركه العمل فى وزارة المعارف :

تابع الشيخ عبدالعزيز جاويش منهجه التربوى حتى بعد استقالته المفاجئة من وزارة المعارف وخوضه معركة الحرية رئيساً لتحرير جريدة اللواء فقد كان الحزب الوطنى يقيم الاحتفالات الكثيرة فى عواصم البلاد لمحاربة الاحتلال يحمل فيها الخطباء على المستعمر الانجليزى ويندون بالاحتلال فإذا جاء دور الشيخ جاويش أعلن أنه يكتب كل يوم فى افتتاحية اللواء كلمة سياسية تعبر عن رأيه ، وأنه بعد أن أسهب زملاؤه فى مسائل السياسة يخص بكلمته معاضل التربية والتعليم فيتحدث عن أقسام التربية وأنواعها من **خلقية وعقلية ووجدانية** ويدعو إلى إنشاء مدارس رياض الأطفال وضرورة إنشاء معاهد خاصة بالتجارة والصناعة والزراعة والتربية النسوية ويفصل الكلام على كل معهد ثم يعد المستمعين بأنه سيفيض فى برامج هذه المدارس بصحيفة الهداية التى كان يديرها ثم يفيض فى الحديث عن مدارس البلاد ومبلغ تأخرها الصارخ عن ركب التقدم الثقافى ويستعرض المدارس الحكومية والمدارس الأجنبية والكتاتيب الابتدائية فيصور عيوب كل منها ويدعو إلى تغيير أساليبها وتعديل برامجها مقارناً ما انحدرت إليه التربية فى مصر بما ارتفعت إليه فى شتى عواصم أوروبا ، ثم نزل الشيخ جاويش إلى الميدان التطبيقى فأسس المدرسة الإعدادية لتكون بعيدة عن سلطة المستشار الانجليزى فى وزارة المعارف[٤] .

نضاله فى إصلاح الأسرة :

كانت الدعوة المزعومة إلى تحرير المرأة قد أحدثت بلبلة فكرية فأخذ الشيخ على عاتقه أن يبين وضع الأسرة فى الإسلام فأفرد فى جريدة اللواء مكاناً لمعالجة موضوع المرأة وسمح للأقلام المتعارضة أن تبدى وجهات نظرها المختلفة ، ولما عقدت الحكومة المصرية سنة ١٣٢٩ هـ مؤتمرا

←

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

عاما لمناقشة وسائل التقدم الاجتماعى نهض الشيخ جاويش بعبئه الضخم فألقى بحثا شافيا عن الأسرة فى رأى الإسلام مهد له بأصول فقهية هامة تجعل رعاية الأصلح واختيار أهون الشرين وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح ، وتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام وأشباه ذلك قواعد عامة فضفاضة تتسع لما يتطلبه العلاج الاجتماعى من تقنين ، ثم تحدث عن الزواج والطلاق ، وأبدى الأصول النظرية لوضع الزوجة فى التشريع الإسلامى[٥] .

جهاده الوطنى :

كان المرحوم محمد فريد من أشد المعجبين بالشيخ عبدالعزيز جاويش خصوصا بعد اجتماعه معه وسماعه له فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد سنة ١٩٠٥ م فى مدينة الجزائر ، كما عرفه بصديقه الزعيم مصطفى كامل فتمكنت بينهم أواصر الصداقة والميول الوطنية ، ولما توفى مصطفى كامل وتولى زعامة الحزب الوطنى محمد فريد أسند رئاسة تحرير جريدة اللواء إلى الشيخ جاويش فافتتح مقالاته بها بكلام ناصع البيان يفيض بوطنيته وشجاعته وكريم خلقه نقتطف منه قوله (بعونك اللهم قد استدبرت حياة زادها الجبن وخور العزيمة ومطيتها الدهان والتلبيس ، فى أسواقها النافقة تشترى نفيسات النفوس بزيوف الفلوس ، وتباع الذمم والسرائر بالابتسام وهز الرءوس ، وبِيُمْنِكَ اللهم أستقبل فاتحة الحياة الجديدة ....)

هذه الحياة المحفوفة بالمخاطر ، مُنْبَرياً فى ميدانها فإما إلى الصدر وإما إلى القبر ، موقنا بما أعد الله لعباده العاملين المخلصين من الظفر والفتح المبين عارفا أن :

الحى لا يمـوت إلا مـرة
والموت أحلى من حياة مرة

وكيف لا نقدم من أنفسنا قرابين بين أيدى أهرام هذا القطر ونيله ؟

أم كيف لا نصرف كل مرتخص وغال فى سبيل تحريره وقطع اليد الغاصبة له جزاء بما كسبت فلنتمسك بذلك المبدأ الشريف ماحيينا ، ولنعتصم به ما بقينا ولنرفع أصواتنا حتى نطرق بها أبواب السماء فنستنزل المقت والسخط على من دخلوا بلادنا وقبضوا بأيدى جبروتهم على نواصينا واستخدموا فى سبيل إصابة غرضهم أفرادا إذا ما لقوكم قالوا : إنا لكم ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزءون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين .

سيسير اللواء كما كان عليه خادما للأمة المصرية ، مجاهدا الانجليز ما بقوا فى بلادنا ، حاثا على الفضيلة والأخلاق الكريمة ، داعيا إلى توحيد عناصر الأمة على اختلاف مللها ونحلها وتباين مشاربها ولهجاتها .

فاللهم أسألك لسانا ناطقا بالصواب والحكمة وقلما لا جولة له فى ميادين القحة ولا علم له بمعاهد الفحش والسباب .

فما أحوج الأمة إلى كلمة حق يستمعونها وجميل عظة يعونها ، وما أضمن الجرائد أن تتضامن وتتعاون على البر والتقوى ، وما أخلقها أن تجتمع حتى تكون يداً واحدة على أعدائها يحذرونها ويخشون بطشها وما أحراها أن تعلم أنها بتفرقها وتخاذلها إنما تشمت عدوا مبينا وتكمد صديقاً شفيعاً فأرسل اللهم على قادة هذه

(٥) المرجع السابق .

الأمة ومرشديها من عندك روحا يجمع شتيتها ويوحد كلمتها ويعصم أقدامها من الزلل وآراءها من الخطأ والخطل آمين[٦] .

محاكمته بسبب نشره أنباء ثورة مدينة الكاملين فى السودان :

كان لقلم الشيخ عبدالعزيز جاويش فى الصحافة من التأثير والسطوة مكان مهيب وإذ ضاق به رجال الاحتلال وأذنابهم تحينوا الفرص لمحاكمته والقذف به فى أعماق السجون ليستريحوا من نضاله المرير وقد واتتهم الفرصة عندما نشر بجريدة اللواء بعددها المؤرخ فى ٢٨ مايو سنة ١٩٠٨ مقالا تحت عنوان (دنشواى أخرى فى السودان) بسبب ما وقع من ثورة فى بلدة الكاملين تزعمها «الشيخ عبدالقادر» فجردت عليه الحكومة قوة من الجيش نكلت بالثائرين وقتلت عدداً كبيراً منهم وقبضت على زعيم الثورة وكثير من أتباعه وقدمتهم للمحاكمة أمام المحكمة المدنية الكبرى طبقا لنظام العقوبات فى السودان واستمرت المحكمة منعقدة من يوم ١٩ مايو سنة ١٩٠٨ إلى ٢٣ منه وفى هذا اليوم أصدرت حكمها على اثنى عشر شخصا منهم الشيخ عبدالقادر بالإعدام وعلى ثمانية بالسجن المؤبد ومصادرة أملاكهم ، لكن حاكم السودان استبدل بحكم الإعدام السجن المؤبد .

ولما أمسكت الجهات الرسمية عن نشر أنباء تلك المحاكمة كتبت جريدة اللواء أن حكم الإعدام كان على سبعين رجلا ، والسجن على ثلاثة عشر ، وأنه أعدم من المحكوم عليهم أربعون شخصا ، وعندئذ قامت وزارة الحربية بإصدار بلاغ تصحح فيه تفاصيل الخبر ونشرت الصحف ومنها جريدة اللواء بلاغ الوزارة ، وفى ٣١ مايو نشر اللواء مقالا آخر عن نفس الموضوع تحت عنوان : (الحكم على أتباع الزعيم عبدالقادر) أظهر فيه الشك فى بلاغ وزارة الحربية وأشار إلى أن عدد المحكوم عليهم بالإعدام يزيد على اثنى عشر شخصا فعدت الحكومة هذا المقال إهانة لوزارة الحربية كما عدت المقال الأول إذاعة لأخبار كاذبة يترتب عليها تكدير السلم العام ، وبناء على ذلك أقامت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ جاويش لمحاكمته عن التهمتين ونظرت القضية أمام محكمة عابدين الجزئية فى شهر يوليو سنة ١٩٠٨ وأصدرت حكمها فى ٤ أغسطس ،سنة ١٩٠٨ بالبراءة من تهمة نشر الخبر الكاذب وبمعاقبته بغرامة عشرين جنيها عن تهمة إهانة وزارة الحربية ، وقد استؤنف الحكم من جانب الشيخ جاويش ، كما استأنفته النيابة لقلة العقوبة وأمام محكمة الجنح المستأنفة بتاريخ ٣٠ أغسطس سنة ١٩٠٨ صدر الحكم بالبراءة من التهمتين فكان لهذا الحكم دوى كبير فى الأوساط السياسية والعالمية[٧]

المحاكمة الثانية للشيخ عبدالعزيز جاويش :

لما كان شهر يونيو يقترن عادة بذكرى مذبحة دنشواى التى وقعت فى ١٣ من ذلك الشهر سنة ١٩٠٦ م وأعدم بسببها ـ ظلما ـ عدد من المصريين حرر الشيخ مقالا نشر باللواء بتاريخ ٢٨ يونيو سنة ١٩٠٩ م بلغ من قوته أنه أحدث من التأثير والفزع فى نفوس رجال الاحتلال وعملائه والإدارات الخاضعة له ما جعل النيابة تعده طعنا فى حق هيئة المحكمة المخصوصة التى حاكمت الزراع البؤساء فى تلك الحادثة وقدمته

(٦) كتاب محمد فريد ـ تاريخ مصر القومى من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ تأليف المرحوم عبدالرحمن الرافعى .
(٧) المرجع السابق .

الشيخ عبد العزيز جاويش

للمحاكمة أمام محكمة عابدين الجزئية فحكمت عليه بتاريخ ٥ أغسطس سنة ١٩٠٩ بدفع غرامة مقدارها أربعون جنيها ، فاستأنف الشيخ جاويش هذا الحكم كما استأنفته النيابة فجاء الحكم فى ٢٥ أغسطس سنة ١٩٠٩ م بتعديل الحكم الابتدائى إلى الحبس ثلاثة أشهر ، فرفع محاموه نقضا للحكم قضى برفضه ، وفى نفس اليوم أنذرت الحكومة جريدة اللواء مما يشير إلى خضوعها لسطوة الاحتلال والاضطهاد المتعمد للحركة الوطنية .

ونظراً لما قوبل به الحكم من الاستياء الشديد من جانب الرأى العام عمل أفراد الشعب على رد ذلك الظلم الصارخ فَأُعْلِنَ عن اكتتاب عام بين طوائفه لإعداد وسام للشيخ المجاهد حتى إذا أخلى سبيله ، أقيمت له حفلة تكريم كبرى فى (فندق شبرد) تقلد فيها وسام الشعب فى مظهر وطنى رائع[٨] .

محاكمته للمرة الثالثة :

كان الأستاذ الشاعر على الغاياتى المحرر بجريدة اللواء قد أصدر فى شهر يوليو سنة ١٩١٠ ديوانه الشعرى المسمى (وطنيتى) ضمنه قصائده عن الحوادث التى وقعت خلال العامين الماضيين وقد كتب الزعيم محمد فريد مقدمة له كما كتب الشيخ عبدالعزيز جاويش مقدمة أخرى لذلك الديوان ، ولما كانت الحكومة قد انتهجت سياسة الشدة حيال الحركة الوطنية فإنها أمرت بمصادرة نسخ ذلك الديوان وأوعزت للنيابة بالتحقيق فيما ورد به رغم أن ما به من قصائد سبق للصحف نشرها ، ولم تجد النيابة فيها وقتئذ ما يستدعى المحاكمة ، وقد أرجأت النيابة التحقيق مع المرحوم محمد فريد لحين عودته من أوروبا ، لكنها سارت فى تلك الإجراءات مع المؤلف ومع الشيخ جاويش وأحالتهما إلى محكمة الجنايات حيث عرضت القضية فى أغسطس سنة ١٩١٠ فتبين غياب المؤلف ، بسبب سفره إلى (استامبول) ومنها إلى (سويسرا) وبعد نظر القضية وأداء الدفاع لمهامه أصدرت المحكمة حكمها على الشيخ على الغاياتى مؤلف الديوان غيابيا بالحبس سنة مع الشغل ، وعلى الشيخ عبدالعزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهرمع النفاذ ونفذ عليه الحكم فوراً[٩] .

مغادرته البلاد واستئنافه الكفاح خارج وطنه :

كان لاضطهاد الحكومة للحركة الوطنية وتقديمه للمحاكمة وحبسه فى محاولة لإسكات صوته وتحطيم قلمه ما جعله يضيق بهذا الوضع فغادر مصر سنة ١٩١٢[١٠] متنقلا بين تركيا وعواصم الدول الأوروبية والشرقية داعيا إلى الحرية والاستقلال ولم ينس مع ذلك واجبه نحو الإسلام والمسلمين إذ قام بالآتى :

أولا : فى تركيا أصدر صحائف الهداية ـ والهلال العثمانى ـ والحق يعلو للدفاع عن حقوق العالم الإسلامى .

ثانيا : وفى المدينة المنورة أنشأ الجامعة الإسلامية سنة ١٩١٤ ووضع أساسها العلمى .

(٨) المرجع السابق .
(٩) المرجع السابق .
(١٠) كتاب ذكرى فقيد الوطن أمين الرافعى بقلم محمد صادق عنبر سنة ١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٨ م .

ثالثا : وفى مدينة القدس أعاد إصلاح كلية صلاح الدين .

رابعا : ثم اشترك فى مؤتمر الدفاع عن الأمم المهضومة فى مدينة استوكهولم .

خامسا : كما سافر إلى انجلترا لإنشاء أسطول إسلامى بوساطة بعض الأغنياء من مسلمى الهند فى ذلك الوقت .

سادسا : وتزعم الدعوة إلى التبرعات وإرسال الذخائر وتهريب القواد لمحاربة الإيطاليين الذين حاولوا احتلال الأراضى الليبية(١١) .

عمله فى تركيا وخلافه مع كمال أتاتورك :

بعد سقوط الدولة العثمانية فى تركيا عينته الحكومة التركية الحديثة رئيسا للجنة الشئون الإسلامية بأنقرة ، لكنه لم يرض بما آلت إليه الدولة هناك بسبب إلغاء الخلافة ومعارضتها للقوانين الدينية الإسلامية فحمل لواء المعارضة لكمال أتاتورك وعول على العودة إلى الوطن خصوصا بعد إعلان الدستور سنة ١٩٢٣ وقيام الحياة النيابية فى مصر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وإلغاء الحماية الانجليزية عن البلاد(١٢)

عودته إلى أرض الوطن ثم وفاته :

وبعد كفاح مرير طال أمده فى سبيل تحرير وطنه اضطره بسبب ضيق ذات اليد إلى الاحتطاب بمدينة برلين فى بعض سنى الحرب العالمية الأولى ليجد ما يمسك الرمق من الطعام رجع إلى مصر متخفيا ليواصل جهاده ، وفى تاريخ وصوله يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٢٣ نشرت جميع الصحف مقالا بتوقيعه تحت عنوان : تجديد العهد ثم بعد عشرة أيام صرحت الحكومة المصرية فى ذلك الوقت وقد كان يرأسها يحيى إبراهيم باشا للشيخ عبدالعزيز جاويش بالإقامة ، ولما كانت الغربة والضائقة والتشرد قد نالت من صحته آثر العمل الهادىء فى وزارة المعارف فعين فى سنة ١٩٢٥ م مراقبا عاما للتعليم الأوّلى ، وقام فيه بجملة إصلاحات معروفة . وظل فى ذلك المنصب حتى لقى ربه فى ٢٥ يناير سنة ١٩٢٩ بعد حياة حافلة بالجهاد والوطنية وسنه لا تتجاوز الثالثة والخمسين(١٣) .

وقد رثاه كثير من شعراء مصر فى ذلك الوقت كان منهم المرحوم الشيخ محمد عبدالمطلب الذى قال فيه :

عبدالعزيز تحية من أمة
فقدتك فى ليل الخطوب سراجا
لم ينس برك من بينها معشر
سلكوا بهديك فى التقى منهاجا
هذا شباب المسلمين وهذه
عبراتهم تجرى دما أفلاجا*
نظموا خلالك فى القصيد وأقبلوا
يتساجلون بلحنها أهزاجا

(يتبع)

(١١) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين تأليف الدكتور محمد رجب البيومى ـ الجزء الأول
(١٢) المرجع السابق .
(١٣) كتاب الإسلام دين الفطرة والحرية تأليف الشيخ عبدالعزيز جاويش ـ كتاب الهلال ذو الحجة سنة ١٣٧٧ هـ سبتمبر سنة ١٩٥٢ م .
* الفلج ـ بزنة العدل ـ النهر الصغير .
(١٤) ديوان عبدالمطلب وقف على طبعه رفيقه وصديقه محمد الهراوى ـ نشر مطبعة الاعتماد بالقاهرة

طرائف

أعرابـــى

ضل أعرابى الطريق ، فمات جزعا وأيقن بالهلاك فلما طلع القمر اهتدى ووجد الطريق ، فرفع إليه رأسه ليشكره .

وقال له : والله ما أدرى ، ما أقول لك ، ولا ما أقول فيك .

أقول : رفعك الله ، فالله قد رفعك .

أم أقول : نوَّرك الله فالله قد نوَّرك .

أم أقول : حسَّنك الله فالله قد حسنك .

ولكن ما بقى إلا الدعاء أن ينسىء الله فى أجلك ، وأن يجعلنى من السوء فداك .

«قالـــوا ..»

- خف الله تأمن غيره .
- نسيان الموت صدأ القلب .
- إمام عادل خير من مطر وابل .
- فى الدنيا عمل ولا حساب ، وفى الآخرة حساب ولا عمل .
- من رفعك فوق قدرك فاتقه .
- للباطل جولة ثم يضمحل ، وللحق دولة لا تنخفض ولا تذل .

قـــدر الانســـان

أخى : لا تتكلف ما لا تطيق ، ولا تتعرض لما لا تدرك ، ولا تعد بما لا تقدر عليه ، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله تعالى ـ ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك أهلا له .

«حقيقـــة»

خلـوة الإنســـان خيـر
مـــن جليس الســـوء عنـــده
وجليـس الخيـر خيـــر
من جلوس المرء وحده

«كفانـــى ذلـــك»

لقى هارون الرشيد الكسائى فى بعض طرقه ،

للأستاذ
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

ومواقف

فوقف عليه ، وتحفى بسؤاله عن حاله !! فقال : انا بخير ياأمير المؤمنين ، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله - تعالى - لى من وقوف أمير المؤمنين لكان ذلك كافيا محتسبا .

«أنت الزمان»

سأل معاوية الأحنف بن قيس ، فقال : ياأبا يحيى كيف الزمان ؟

قال : الزمان أنت ياأمير المؤمنين ، إن صلحت صلح الزمان ، وإن فسدت فسد .

«نصيحة»

العدو عدوان ! عدو ظلمته ، وعدو ظلمك . فإن اضطرك الدهر إلى أن تستعين بأحدهما ، فاستعن بالذى ظلمك ، فإنه أحرى أن يعينك .

«كسر ميم الأيام»

جلس أبو إسحاق النجيرمى عند كافور الإخشيدى ، فدخل عليه أبو الفضل بن عباس .

فقال : أدام الله أيام مولانا (وكسر ميم أيام) فتبسم كافور إلى أبى إسحاق ، ففطن لذلك ، وقال ارتجالا :

لا غرو أن لحن الداعى لسيدنا
وغص من دهش بالريق أو بهر

فمثل سيدنا حالت مهابته
بين الأديب وبين الفتح بالحصر

وإن يكن خفض الأيام عن غلط
فى موضع النصب لا عن قلة البصر

فإن أيامه خفض بلا نصب
وإن دولته صفو بلا كدر

فأمر له بثلاثمائة دينار ، وللنجيرمى بمائتين .

«دعاء»

اللهم بنورك اهتديت ، وبفضلك استغنيت ، وبك أصبحت وأمسيت ، ذنوبى بين يديك وأستغفرك وأتوب إليك فلا حول ولا قوة إلا بك .

هل بعث الرسول إلى الجن؟

نص الكتاب العزيز على أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث إلى الإنس والجن . ولذلك أدلة ثابتة ولكن عندما تثار هذه المسألة منسوبة إلى علمين جليلين من أعلام الإسلام البارزين هما : عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم فإن الأمر يحتاج إلى استيعاب مذهبهما .. قال الكاتب ـ رحمه الله .

المستفيض على ألسنة العلماء فى كتب الشريعة الإسلامية أن الله تعالى بعث رسوله محمداً ﷺ إلى الجن كما بعثه إلى الإنس .. وهناك روايتان مشهورتان فى هذا الموضوع .

رواية « ابن مسعود » .

ورواية « ابن عباس » سنذكرهما ، ونذكر أقوال العلماء فيهما ، بعد أن نبين أن بعض الفرق أنكر وجود الجن إطلاقا ، وأن العلماء حكموا عليهم بالكفر ، ونبين آراء الذين أثبتوا وجود الجن من ناحية أنهم أجسام ، أو حالُّون فى الأجسام ، أو أنهم قوى خفية ، إلى غير ذلك مما يتصل بهذا الموضوع اتصالا وثيقا ، فنقول :

أنكر بعض الفلاسفة ، والمعتزلة ، والقدرية ، وبعض أهل الكتاب ، وجود الجن إطلاقا . وهؤلاء لا يشملهم بحثنا ؛ لأن بعثة النبى ﷺ إلى الجن إنما تكون حيث يوجد الجن ولا وجود لهم فى نظر هؤلاء ، وقد حكم العلماء على هذه الطوائف التى أنكرت وجود الجن بالكفر ، لمصادمة آرائهم صريح القرآن الكريم .

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾ إلى آخر سورة الجن وقوله تعالى فى سورة الأحقاف : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ

لفضيلة الأستاذ
الشيخ حسن حسين
إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾ إلى آخر الآيات الواردة فى الجن فى هذه السورة الكريمة ،

وقوله تعالى فى سورة الحجر :
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ . وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التى تثبت وجود الجن صراحة .

ولمصادمة آرائهم أيضا ما وقع عليه إجماع طوائف المسلمين ، وعلى رأسهم الصحابة والتابعون . مما يكاد يكون معلوماً من الدين بالضرورة .

ولما عرّف الشيخ الرئيس ابن سينا « الجن » فى رسالته التى ألفها فى حدود الأشياء بأنه : حيوان هوائى ، متشكل بأشكال مختلفة ، وقال « هذا شرح للاسم » ، فهم العلماء أن ابن سينا ينكر حقيقة الجن ، وأنها ليس لها وجود فى الخارج ، إذ لو كان لما عدل عن تعريفها إلى شرح اللفظ ، وعندى أنه استنتاج من العلماء ، فإن الرئيس لم يصرح بنفى الحقيقة والماهية ، وإنما اكتفى بشرح الاسم ، وهذا لا يعنى حتما اعتقاده نفى الوجود الخارجى . ولم لا يجوز أن يكون سلك هذا السبيل لعدم معرفته ذاتيات الجن ؟ ومعلوم أن تعريف الشىء بحقيقته وماهيته فرع العلم بذاتيات الماهية .

ولاشك عندى أن « الصيرورة » إلى هذا أفضل من أن نحشر ابن سينا فى زمرة المنكرين المحكوم عليهم بالكفر .

هذا وقد أثبت وجود الجن طوائف المسلمين على اختلاف طبقاتهم ، وتواتر ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وعن التابعين وعلماء أهل الكتاب وأتباع الرسل السابقين ، ومشركى العرب وغيرهم ، مما صار مشهوراً مستفيضاً متواتراً .

وافترق المثبتون إلى فرقتين :
فرقة ترى أنها ليست أجساما ولا حالَّة فى الأجسام ، وإنما هى جواهر قائمة بأنفسها كالأرواح ، إلا أن أنواعها مختلفة بالماهية ؛ فبعضها خيرة ، وبعضها شريرة ، وبعضها كريمة محبة للخير ، وبعضها دنيئة محبة للشرور والآفات . وأصحاب هذا الرأى لا يجدون مانعاً من انها تتعلق وتتصل ببعض أجسام هذا العالم - البشر - مادامت كالأرواح .

وفرقة ترى انها اجسام خفية عاقلة تغلب عليها النارية ، كما يشهد له قوله تعالى

←

من روائع الماضى

﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾ وهى قابلة للتشكل بأشكال مختلفة ترى بصور غير صورها الأصلية ، ولا يراها بصورها الأصلية إلا الأنبياء عليهم السلام وخواص الخواص من المؤمنين .

وأصحاب هذا الرأى انقسموا إلى فرقتين :

إحداهما تقول : إن هذه الأجسام مشتركة فى كونها حاصلة فى الحيز والمكان والجهة ، وموصوفة بالطول والعرض والعمق ، ومختلفة فى ماهيتها ؛ لأن الاشتراك فى الصفات لا يقتضى الاشتراك فى تمام الماهية .

وثانيتهما تقول : إنها مشتركة فى الصفات ، ومتساوية فى تمام الماهية .

وقد وجه إلى أصحاب هذا المذهب « مذهب المجسمة » وإلى أصحاب المذهب الأول « مذهب القوى الخفية » ، اعتراضات كثيرة وجدل عنيف ، ومناقشات حادة قاموا بدفعها والردود عليها ، ولو نقلناها هنا لطال بنا المقام .

والذى يعنينا فى هذا البحث هو أن الجن موجود ، سواء كان « قوى » أو « أجساما » فإن بعثة الرسول ﷺ إليهم تتوقف على وجودهم كما أسلفنا .

وهناك فى هذا الموضوع مذهبان مشهوران : مذهب ابن عباس ، ومذهب ابن مسعود .

مذهب ابن عباس :

يتلخص فى أن النبى ﷺ لم يبعث إلى الجن ، ولم يأمره الله بتبليغهم ، وإنما استمع الجن للقرآن الكريم صدفة واتفاقا فآمنوا به ، وكان استماعهم له أثناء مرورهم بناحية عكاظ للبحث عن السبب الذى منعهم من استراق السمع من السماء ؛ وذلك أن الجن والشياطين كانوا ـ فى المدة الواقعة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ـ يسترقون السمع ويخطفون الخطفة من ملائكة السماء ويبلغونها للكهنة ، فتضيف الكهنة على الكلمة الصادقة مائة كذبة ، كما ورد فى صحيح البخارى ؛ فلما بعث محمد ﷺ ، رميت بالشهب ، ومنعت من استراق السمع ؛ وذلك ما حكاه الله عنهم فى سورة الجن ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ فالتفوا حول إبليس وشكوا له منعهم من أمر السماء . ففرقهم طوائف وأمرهم أن يطوفوا حول الأرض كلها للبحث عن هذا الحدث العظيم ؛ فاتفق أن مرت طائفة منهم جهة عكاظ ، وكان الرسول ﷺ يصلى الصبح بأصحابه ويجهر بالقراءة ، فاستمع له الجن وقالوا : هذا والله هو الذى منعنا من أمر السماء ! ثم ولوا إلى قومهم منذرين ، دون أن يعلم الرسول من أمرهم شيئاً حتى أخبره الله بقوله ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾ الخ .

وإليك نص رواية البخارى عن ابن عباس : قال البخارى فى باب تفسير سورة ﴿ قُلْ أُوحِيَ ﴾

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال :

انطلق رسول الله ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب ،

قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ؛ فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الأمر الذى حدث ؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذى حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ ـ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ـ فلما سمعوا القرآن تسمعوا له ، فقالوا : هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك رجعوا إلى قومهم ، فقالوا : « ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً » .

وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن ا ـ هـ .

هذه رواية البخارى بنصها عن ابن عباس ، وقد رواها غيره بزيادات ، وسنذكر أقوال العلماء فى مذهب ابن عباس بعد أن نبين مذهب ابن مسعود .

مذهب ابن مسعود :

هو صريح فى أن الله تعالى أمر محمداً ﷺ بأن يبلغ الجن ، وأنه ﷺ رسول إلى الجن كما هو رسول إلى الإنس ، وأن الجن مكلفون بأصول الشريعة وفروعها كالإنس سواء . فقد جاء فى رواية عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « أمرت أن أتلو القرآن على الجن » وفى رواية أخرى عنه « أرسلت إلى الجن » .. وهذا صريح فى أنه ﷺ بعث إلى الجن .

واسمع رواية ابن مسعود بنصها : قال ابن مسعود : قال عليه الصلاة والسلام :

« أمرت أن أتلو القرآن على الجن ، فمن يذهب معى » ؟ فسكتوا ، ثم قال الثانية فسكتوا ، ثم قال الثالثة ، فقال عبد الله : قلت : أنا أذهب معك يارسول الله .

قال : فانطلق حتى إذا جاء « الحجون » عند « شعب أبى دب » خط علىّ خطا فقال : لا تجاوزه . ثم مضى إلى الحجون ، فانحدروا عليه أمثال الحجل كأنهم رجال الزُّط يقرعون فى دفوفهم كما تقرع النسوة فى دفوفها حتى غشوه ، فغاب عن بصرى ، فقمت ، فأومأ إلىّ بيده أن اجلس ؛ ثم تلا القرآن ، فلم يزل صوته يرتفع ، ولصقوا بالأرض حتى صرت أسمع صوتهم ولا أراهم ، فلما عاد إلىّ قال : أردت أن تأتينى ؟ فقلت : نعم يارسول الله . قال : ما كان ذلك لك ؛ هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين أ هـ .

وروى أبو داود عن علقمة عن ابن مسعود عن النبى ﷺ ، قال :

أتانى داعى الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن ؛ قال :

وانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نيرانهم .

وفى شرح البيهقى من طرق شتى عن ابن مسعود أن النبى ﷺ صلى العشاء ثم انصرف فأخذ بيدى حتى أتينا مكان كذا . وفى آخر هذه الرواية ما نصه : فقلت : أين كنت يارسول الله ؟ فقال : « أرسلت إلى الجن » فقلت : ما هذه الأصوات التى سمعت ؟ قال : هى أصواتهم حين ودعونى وسلموا علىّ أ هـ .

من هذه الروايات يتبين لك منها أيها القارىء الكريم ، أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الجن كما أرسله إلى الإنس ، وأنه أمره بأن يتلو

عليهم القرآن ، وأن بعض الجن مؤمن وبعضهم كافر ، مثلهم فى ذلك مثل الإنس ، انظر إلى قول الله تعالى حكاية عنهم فى سورة الجن : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا . وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ وتثبت آيات الأحقاف بأن من الجن دعاة إلى هداية قومهم .

انظر إلى قوله تعالى :

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

وبعد ، فاعلم أيها القارىء الكريم أن الذى عليه المعول لدى العلماء إنما هو مذهب ابن مسعود الموافق لصريح القرآن الكريم ، وأن مذهب ابن عباس لا يتنافى مع مذهب ابن مسعود ، فإن ما ذكره ابن عباس وقع أولاً ، فأوحى الله تعالى إلى الرسول ـ ﷺ ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ ثم أمر بعد ذلك بالخروج إليهم . وقد قال العلماء : إن واقعة الجن تكررت ست مرات ، وإن الواقعة التى رواها ابن عباس كانت أول الواقعات ، فإنها كانت قبل الهجرة بثلاث سنين .

ونَفْىُ ابن عباس بعثَ الرسول إلى الجن ليس على إطلاقه ، وإنما هوخاص بهذه الواقعة الأولى فقط . وحاشا ابن عباس أن يخالف صريح القرآن . ومتى أمكن الجمع بين الروايات وجب الجمع ، كما أسلفنا .

ويقول العلامة ابن تيمية : إن ابن عباس علم ما حكاه القرآن ، ولم يعلم ما علمه ابن مسعود ؛ فإن الواقعة الأولى التى رواها ابن عباس رضى الله عنهما وقعت فى وقت كان ابن عباس فيه شابا حدثا ، لأنه لم يناهز الحلم إلا فى حجة الوداع . ومهما يكن من شىء فالواقعة تكررت . وهذا هو سبيل الجمع بين الروايات .

وقبل إن أختم هذا المقال أود أن ألفت النظر إلى مافى قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ الآية من أسرار ـ ففيها .

١ ـ أن الصحابة عرفوا أنه عليه الصلاة والسلام بعث إلى الجن كما بعث إلى الإنس .

٢ ـ توبيخ قريش بأن الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا إعجازه فآمنوا به ولم يعاندوا كما عاندت قريش .

٣ ـ أن يعلم القوم أن الجن مكلفون كالإنس .

٤ ـ أن الجن يسمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا .

٥ ـ أن فيهم مرشدين يدعون أقوامهم إلى التوحيد . وفى آيات الأحقاف ما يدل على أن الرسول ﷺ رأى الجن وكلمهم ودعاهم إلى الإسلام وجعل منهم رسلاً إلى أقوامهم .

وفقنا الله جميعا إلى ما فيه الرشاد

اللغة والأدب والنقد

من صور الحذف البليغ

عبد الصمد بن المعذل

من صور الحذف البليغ
الاحتباك

الجزء الرابع والأخير

نمـــاذج :

(٥) ـ قال تعالى فى بيان حال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم فى أمور الدين ، تخلفوا عن الغزو مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك ثم أبدوا ندمهم وتوبتهم : ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ « التوبة : ١٠٢ » .

ذكر الزركشى فى «البرهان» والسيوطى فى شرح أرجوزة عقود الجمان «أن فى الآية حذفا تقديره : خلطوا عملا صالحا بسىء ، وآخر سيئا بصالح ، لأن الخلط يستدعى مخلوطا ومخلوطا به ، أى : تارة أطاعوا وخلطوا الطاعة بكبيرة ، وتارة عصوا ، وتداركوا المعصية بالتوبة[١] .

وقد اختلف العلماء فى الصالح والسيىء فقيل : الصالح هو الاعتراف بالذنب والندم عليه والتوبة منه ، والسيىء هو التخلف عن الغزو . وقيل : الصالح هو خروجهم مع الرسول ﷺ إلى سائر الغزوات ، والسيىء هو تخلفهم عن غزوة تبوك ــ وقيل هما التوبة والإثم .

والعبرة كما نعلم بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ولذا فالآية تفتح باب الرجاء لمن هذه أوصافهم .

ومن الظاهر على تقدير الزركشى والسيوطى أن الذى دعا إلى هذا التقدير إنما هو لفظ «خلط» الذى يستدعى مخلوطا ومخلوطا به .

وقد ذكر المفسرون أن الواو إما أن تكون بمعنى الباء ، كما فى قولهم : بعت الشاء وشاة ودرهما ، بمعنى شاة بدرهم ، لأن الباء للإلصاق والواو للجمع فهما من واد واحد فاستعيرت الواو للباء[٢] .

وعلى ذلك فلا حذف ولا تقدير فى الآية ، لكن

---

(١) راجع البرهان : ٣/١٣٠ ، ١٣١ ، وشرح أرجوزة عقود الجمان : ١٣٨ .

(٢) راجع الكشاف : ٢/٢١٢ ، وتفسير البيضاوى وحاشية الشهاب عليه : ٤/٣٦٠ .

الشهاب ذكر أن فى ذلك تكلفا ، ولذا قالوا : إنه تفسير معنى لا إعراب ، وإما أن تكون الواو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به ، لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر ، كقولك : خلطت الماء واللبن ، تريد : خلطت كل واحد منهما بصاحبه ، وفيه ما ليس فى قولك : خلطت الماء باللبن ، لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به ، وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت : خلطت الماء باللبن ، واللبن بالماء .. هذا ما ذكره الزمخشرى أولا قبل أن يذكر الرأى الثانى الذى ضعفه الشهاب الخفاجى .

لكن ابن المنير فى الانتصاف ذكر تحقيقاً فى المسألة : وهو أنك إذا قلت : خلطت الماء باللبن فالمصرح به أن الماء مخلوط واللبن مخلوط به ، ودل بطريق اللزوم لا التصريح على كون الماء مخلوطا به واللبن مخلوطا وأما إذا قلت بالواو فالمصرح به جعل كل واحد منهما مخلوطا ، وأما ما خلط به كل واحد منهما فغير مصرح به ، بل من اللازم أن كل واحد منهما لمخلوط به ، محتمل أن يكون قرينه أو غيره ، فقول الزمخشرى : إن قولك خلطت الماء واللبن يفيد ما يفيده مع الباء وزيادة ليس كذلك ، فالظاهر أن العدول فى الآية عن الباء لتضمين الخلط معنى العمل ، كأنه قيل : عملوا صالحا وآخر سيئا ومعنى ذلك خروج الآية عن الاحتباك .

ولكن الشهاب الخفاجى يذكر تحقيقا آخر فى المسألة عن أحد شراح الكشاف ، يرى فيه صاحبه أن الزمخشرى يريد أن الواو كالصريح فى خلط كل بالآخر بمنزلة قولك : خلطت اللبن بالماء وخلطت اللبن بالماء ، بخلاف الباء فإن مدلولها لفظا ليس إلا خلط الماء باللبن وأما خلط اللبن بالماء فلو ثبت لم يثبت إلا بطريق الالتزام ودلالة العقل .

وهذا قريب من تقدير السكاكى حيث جعل التقدير خلطوا عملا صالحا بسيىء وآخر سيئا بصالح ، إلا أنه جعل الصالح والسيىء فى أحد الخلطين غيرهما فى الآخر حيث قال : بأن أطاعوه وأحبطوا الطاعة بكبيرة وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة ، فالمخلوط على ذلك هو ما يقابل المخلوط سواء كان هو المذكور بعد الواو وبالعكس أولا ، إلا أن ما ذكر السكاكى من الإحباط مبنى على مذهب المعتزلة ، وهو مخالف لما عليه أهل السنة ، فالإحباط عندهم باطل .

ثم يذكر الشهاب تفريقاً بين الخلط والاختلاط ، فاختلاط أحدهما بالآخر مستلزم لاختلاط الآخر به ، وأما خلط أحدهما بالآخر فلا يستلزم خلط الآخر به ، لأن خلط الماء باللبن مثلا معناه : أن يقصد الماء أولا ويجعل مخلوطا باللبن ، وهو لا يستلزم أن يقصد اللبن أولا بل ينافيه .

وبناء على ذلك فخلط العمل الصالح بالسيىء معناه : أنهم أتوا أولا الصالح ثم استتبعوه سيئا وخلط السيىء بالصالح معناه : أنهم أتوا بالسيىء ثم أردفوه بالصالح فأحدهما لا يستلزم الآخر ، وفى ذلك ترجيح لما ذهب إليه السكاكى(٣) .

والذى يؤخذ من ذلك أن فى تعبير القرآن الكريم بالخلط دون الاختلاط مزية معنوية ، يؤديها الاحتباك بحذف السيىء من الأول للدلالة

---

(٣) راجع حاشية الشهاب على البيضاوى : ٤/٣٦٠ ومفتاح العلوم للسكاكى : ١٣٥ .

على أنهم قصدوا الصالح أولا ثم عرضت لهم بعض المعاصى بعده دون قصد أوّلى ، وإنما لخور فى الطبيعة وضعف فى المقاومة ، وفى مرة ثانية قصدوا إلى المعصية قصداً أوليا ثم عرضت لهم بعض الأعمال الصالحة فأتوها ، ومع ذلك يثابون عليها ، مع بيان أنه ليس هناك استلزام بين عمل الطاعة وعمل المعصية فى عمل المحترزين ، وإنما هو من شأن ضعاف الهمم بحسب الواقع ، ثم إن فى الآية على هذا التقدير أيضاً فتحا لباب الرجاء فى التجاوز عن المعاصى الطارئة على الأعمال الصالحة وفتحا لقبول الأعمال الصالحة وإن لم يكن مقصودا إليها ، ولا غرابة فى ذلك فقد يثاب المؤمن رغم أنفه ،وهذا هو ما يشعر به قوله تعالى : ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ومع ذلك فإنه يجب على المكلف أن يكون على الطمع والإشفاق فلا يتواكل .

هذه هى الأسرار المعنوية التى وراء هذا النظم البديع حسب ما فهمته من كلام العلماء .. والله أعلم بمراده .

(٦) قال تعالى منكرا ما نسبه قوم نوح ـ عليه السلام ـ إليه من افتراء الوحى الذى كلف تبليغه لهم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ «هود : ٣٥» .

ذكر السيوطى فى «الإتقان» نقلا عن الزركشى فى «البرهان» أن فى هذه الآية حذفا فى الطرفين ، وأن التقدير : إن افتريته فعلى إجرامى وأنتم براء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا برىء مما تجرمون ، فاكتفى من كل متناسبين بأحدهما لدلالة المذكور فى كل جانب على المحذوف فى الجانب الآخر[٤] .

والزمخشرى ذكر فى تفسير الآية : إن صح وثبت أنى افتريته فعلىّ عقوبة إجرامى أى : افترائى ، وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عنى وتتالبوا علىّ ، ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ ﴾ يعنى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ومعنى ﴿ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلىّ فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم[٥] .

والذى يؤخذ من ذلك أن رسول الله نوحا لما يئس من استجابتهم تنزلّ معهم إلى فرض غير الواقع واقعاً وأن هناك مضافا محذوفا فى قوله تعالى : ﴿ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي ﴾ ويتولد عنه أن يكونوا أحقاء فى إعراضهم عنه وتألبهم عليه والا يشاركوه فى وزر ما فعل ، لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وكذلك يكون فى قوله : ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ ﴾ حذف أيضاً تقديره : والحاصل أنه لم يثبت على ذلك حقيقة وأنا برىء من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلىّ .

وقد قدر الفخر الرازى المحذوف على وجه آخر بأن جعل المعنى على تقدير : إن افتريته فعلىّ عقاب إجرامى ، وإن كنت صادقا وكذبتمونى فعليكم عقاب ذلك التكذيب إلا أن ما حذف دل عليه الكلام[٦] .

وقدره الشهاب الخفاجى : إن افتريته فعلى عقوبة افترائى ، ولكنه فرض محال ، وأنا برىء من افترائكم أى : نسبتكم إياى إلى الافتراء ، وعدل عنه إدماجا لكونهم مجرمين ، وأن المسألة معكوسة[٧] .

وهذه الآراء فى تقدير المحذوفات تئول فى النهاية إلى معنى واحد اختلفت فيه العبارات ، والظاهر أن هذه التقديرات تفسيرات للمعنى لا تفسيرات للإعراب ، لأنه لا حاجة إلى هذه

(٤) راجع البرهان : ١٢٩/٣ والإتقان : ٨٠/٢ .
(٥) راجع الكشاف : ٢٦٧/٢ ، ٢٦٨ .
(٦) التفسير الكبير : ٢٢٠/١٧ .
(٧) راجع حاشية الشهاب على البيضاوى : ٩٦/٥ .

التقديرات من ناحية الصناعة ، لأن قوله : ﴿ وَأَنَا بَرِيءٌ ﴾ معطوف على الجملة الشرطية بتمامها ، وهو من المقول الذى أمر به .

وأما تقدير الزركشى والسيوطى ، فعلى الرغم من كونه تفسير معنى أيضاً فهو داخل فيما نحن فيه من الاحتباك بعمق دلالة النظم القرآنى على حسب المعانى المرادة ، وإن كان المآل إلى التقاء المعانى السابقة كلها ، ويكون ذكر الإجرام المترتب على الافتراء على سبيل الفرض والتقدير والتخيل ، تنزلا معهم وملاينة ، كما يوحى به النظم فى بنائه ، بينما لم تذكر براءتهم إشارة إلى أنها لن تقع لأنهم أجرموا فعلا بإسنادهم الافتراء إليه . هذا فى الجانب الأول من الآية ، وأما فى الجانب الثانى فقد ذكر براءته لأنها حقيقة واقعة وهى الأهم فى السياق ، وقد اكتفى بدلالة الإنكار الذى صدرت به الآية عن ذكر عقوبة جرمهم ، ولأن فى إدماج تسجيل الإجرام عليهم إشارة إلى الجزاء المترتب عليه كما أن تنزله معهم إلى الفرض والتقدير وملاينته لهم رجاء أن يثوبوا إلى عقولهم ورشدهم لا يلائمه مصارحتهم بتسجيل جرمهم قصداً ، بله عقوبة ذلك الإجرام .. فلهذه الأسرار حذف من الجانبين ما حذف اكتفاء بقوة دلالة النظم على المحذوف فى الطرفين .

(٧) ـ قال تعالى ـ فى شأن ما جابه به الكفار سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام من إنكار أن يكون القرآن الكريم منزلاً من عند الله : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ «الأنبياء : ٥» .

ذكر الزركشى فى «البرهان» أن التقدير : إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية ، وجعله من الحذف المقابل[٨] أو ما استقر أخيرا تحت اسم الاحتباك .

فإذا ما عدنا إلى الزمخشرى فى «الكشاف» وجدناه يذكر تقديراً آخر فيقول : صحة التشبيه فى قوله : ﴿ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ من حيث أنه فى معنى كما أتى الأولون بالآيات لأن إرسال الرسل متضمن للإتيان بالآيات[٩] .

وأبو السعود يذكر أن «ما» إما موصولة ، أى فليأتنا بآية مثل الآية التى أرسل بها الأولون ، كاليد والعصا ونظائرهما ، وأما مصدرية ، والكاف نعت لمصدر محذوف ، أى : فليأتنا بآية إتيانا كائناً مثل إرسال الأولين بها ، وصحة التشبيه من حيث أن الإتيان بالآية من فروع الإرسال بها ، أى : مثل إتيان مترتب على الإرسال ، ويجوز أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والإرسال فى كل واحد من طرفى التشبيه ، لكنه ترك فى جانب المشبه ذكر الإرسال ، وفى جانب المشبه به ذكر الإتيان اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى الموطن الآخر[١٠] .

وذكر الشهاب أن العدول عن الظاهر ، وهو : فليأتنا بما أتى به الأولون ، أو بمثل ما أتى به الأولون ، لأن الإرسال يدل على ما دل عليه الإتيان مع زيادة كونه مرسلا به من الله لا إتيانه من نفسه[١١] .

والأمر على ما هو ظاهر فى هذه التفاسير يعود إلى محاولة إيجاد التلاؤم بين المشبه وهو الإتيان والمشبه به وهو الإرسال ، فعلى تفسير الزمخشرى من أن الإرسال متضمن للإتيان بالآيات ، أى : إنه كناية عنه ، يظل سر إيثار الإرسال على الإتيان غامضاً ، فما ذكر مصحح فقط ، ولم يذكر المرجح ، وتفسير أبى السعود يحاول إيجاد هذا

(٨) راجع البرهان فى علوم القرآن : ٣/١٢٩ .
(٩) الكشاف : ٢/٥٦٣ .
(١٠) راجع تفسير أبى السعود : ٦/٥٥ .
(١١) راجع حاشية الشهاب على البيضاوى : ٦/٢٤٢ .

التلاؤم بأن يجعل فى الآية تشبيه آية بآية ، أو تشبيه إتيان بإرسال كما ذهب إليه الزمخشرى ، دون بيان أيضاً لإيثار لفظ الإتيان فى جانب المشبه ولفظ الإرسال فى جانب المشبه به ، وعلى التفسير الثالث الذى ذكره ، والذى يتواءم مع ما ذكر الزركشى من إرادة الإتيان والإرسال فى كل واحد من الطرفين يبقى الحال أيضاً غير موضح للسر البلاغى الكامن وراء هذا النظم العجيب .

ولعل السر فى ذلك أن الكفار لما تدرجوا فى وصف القرآن الكريم من كونه سحراً ، إلى كونه تخاليط أحلام ، إلى كونه مفترى من عند الرسول عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ، إلى كون الرسول شاعراً ، وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معانى لا حقيقة لها ولا ثبوت ، وبان من هذا تحيرهم ، وانتقالهم من فاسد إلى أفسد ، انتقلوا بعد ذلك إلى أن قالوا : وإن لم يكن الأمر على ما قلنا ، بل كان رسولا من الله حقا فليأتنا بآية يرسل بها ، كما أن الأولين من الأنبياء والرسل أرسلوا بآيات أتوا بها .

ومعنى ذلك أنهم ـ قاتلهم الله ـ يرفضون المعجزة الباقية بقاء الدهر لعجزهم عن تحديها ، ويقترحون معجزة حسية وقتية يلمسونها بحواسهم ، مع أن نظراءهم الذين أوتوا المعجزات الحسية من قبل قد صرحوا بعدها بقولهم : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ «الأعراف : ١٣٢» .

فالمسألة إذن تعنت ولجاج ، كأنهم يضمرون فى أنفسهم أنه لو أتاهم بآية حسية فسينكرونها بحجة أنها سحر ، أو يصرحون كما صرح كفار القبط بأنهم لن يؤمنوا على أية حال ، وما دروا أن عدم الاستجابة لما اقترحوا كان خيرا لهم ورحمة بهم ، فإنه لم يأت الله تعالى بآية مقترحة فكذب بها إلا أتى بعدها بالعذاب .

والمهم بعد استحسانى أن تكون الآية من قبيل الاحتباك البحث عن سر عدم تصريحهم بالإرسال فى جانب النبى ﷺ والاكتفاء فى التعبير بالإتيان ، وذلك ـ والله أعلم ـ راجع إلى أن فى التعبير به وعدم التصريح بالإرسال إيماء إلى أن ما أتى وما يأتى به ـ على فرض استجابته لهم ـ من عنده ، وإنكاراً لأن يكون مرسلا به من عند الله ، نفيا لرسالته من أصلها ، ففيه كما يقول الشهاب الخفاجى تعريض مناسب لما قبله من ذكر الافتراء ، كما أن ذكر الإرسال فى جانب الرسل الأولين فيه إيماء إلى أن ما أتوا به من عند الله ، وتعريض بأن ما أتوا به حق ، لأنهم رسل الله حقا ، فكان ذكر الإرسال هنا أهم لهم كما كان ذكر الإتيان أهم فى الأول ، وحذف الإرسال من الأول فيه إشارة إلى هذه الأسرار النفسية التى تجول بهذه الأنفس المريضة المصرة على الكفر على أية حال ، كما حذف الإتيان من الثانى ، لأن الإرسال الذى أثبتوه للسابقين لابد أن يتضمن إتياناً بالآيات .

وما درى هؤلاء الكفرة أن الأنبياء والرسل كلهم من بحار التوحيد يغترفون ، وعلى المحجة البيضاء يسيرون ، ولكنهم أثبتوا بما أنكروه وما اقترحوه أن الكفر كله ملة واحدة على مر الأزمان ، وأنهم فى اقتراحهم الآيات الحسية على الرسول ﷺ قد انتقصوا من شأن أنفسهم ، فهم يريدون العودة إلى الوراء بعد أن أكرمهم الله بالمعجزة الباقية الملائمة للطور الذى بلغته إنسانية الإنسان .

(٨) ـ قال تعالى فى جزاء من صدق من المؤمنين فيما عاهدوا الله عليه ، وجزاء من كذب وأخلف فيما أوجبه على نفسه من الثبات فى القتال مع الرسول ﷺ : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا

مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً . لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ « الأحزاب : ٢٣ ، ٢٤» .

ذكر الزركشى فى «البرهان» أن الآية الثانية فيها حذف مقابلى ، وأن التقدير كما قال المفسرون : ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم ، أو يتوب عليهم فلا يعذبهم وعند ذلك يكون مطلق قوله : فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيداً بمدة الحياة الدنيا[١٢] .

وقد ذكر أبو حيان أن الله تبارك وتعالى قد شاء عذابهم واخبر انه يعذب المنافقين حتما لا محالة فى مواضع أخرى من القرآن الكريم ، فكيف يصح تعليق عذابهم على المشيئة هنا ، وهو قد شاء تعذيبهم إذا بقوا على النفاق ؟ ونقل عن ابن عطية جوابا لذلك مفاده : أن تعذيب المنافقين ثمرة إدامتهم الإقامة على النفاق إلى موتهم ، والتوبة موازية لتلك الإقامة ، وثمرة التوبة تركهم دون عذاب ، فهما درجتان : إقامة على نفاق او توبة منه ، وعنهما ثمرتان : تعذيب أو رحمة ، فذكر تعالى على جهة الإيجاز واحدة من هاتين ، وواحدة من هاتين ، فدل ما ذكر على ما ترك ، ومما يدل على أن معنى قوله : ليعذب أى : ليديم على النفاق قوله : ﴿ إِنْ شَاءَ ﴾ ومعادلته بالتوبة . ثم يخلص أبوحبان من ذلك بأنه يئول إلى أن التقدير : ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه إن شاء فيعذبهم ، أو يتوب عليهم فيرحمهم ، فحذف سبب التعذيب واثبت المسبب ، واثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب ، وهذا من الإيجاز الحسن[١٣] .

ومن الواضح أن هذا التقدير فى النهاية يلتقى مع تقدير الزركشى مع زيادة تفصيل لأسباب القول بالحذف ، ومع أن القول به من الإيجاز الحسن ومن البلاغة العالية ، فإنهما لا يعللان لسر الذكر والحذف فى الآية .

ولعل ذلك ـ والله أعلم بمراده ـ راجع إلى أن ذكر التعذيب فى الآخرة إن لم يتوبوا فى الدنيا إنما صرح به ردعاً وتخويفاً من العاقبة التى تنتظرهم لو استمروا على ما هم فيه ، فكان ذكره أهم لتحقيق هذه الغاية ، ولم يشأ سبحانه أن يصرح بعدم التوبة عليهم حتى لا ييأس النبى ﷺ والمؤمنون من إيمانهم ، وقد آمن منهم اناس بعد ذلك بالفعل وحسن إسلامهم ، وكذلك حتى لا ييأس المنافقون من قبول التوبة إن هم تابوا وفى ذلك فتح لباب الرجاء ، وبعث على التوبة .

وأما فى الجانب الآخر من الأسلوب فقد ذكر التوبة عليهم للسر الذى لم يصرح فيه بعدم التوبة عليهم ، وحذف عدم التعذيب ، لأن واقعهم وقت نزول الآية لم يكن ليساعد على التصريح به ، فالآية بما تحمل من معان تشتمل على التخويف الظاهر والمستتر والرجاء الظاهر والمومى به إنما تحض هؤلاء على المراجعة وعلى الإيمان الصادق والدائم إلى الممات ، وتجعلهم بين الخوف والرجاء أملا فى الوصول إلى درجةالحسن والإحسان قولاً وعملاً .

● ● ●

وسأكتفى بما عرضته وحللته هنا من نماذج ، لتكون دليلاً يهدى إلى كيفية السير فى غيرها من شواهد الاحتباك .

ونستطيع الآن أن نستخلص من هذا العرض والتحليل عدة أمور :

أولا : أنه لا يكفى فى السر البلاغى لهذا اللون

(١٢) راجع البرهان فى علوم القرآن : ٣/١٢٩ .

(١٣) راجع تفسير البحر المحيط : ٧/٢٢٣ .

العزيز أن نذكر أن ما حذف إنما كان لدلالة المذكور عليه ، فذلك مصحح فقط ، ولابد من مرجحات لدلالات الذكر والحذف ، وإذا كانت القيمة البلاغية العامة لهذا الحذف مما يعد به الأسلوب حسناً بديعاً فصيحاً بليغاً ، وتتحقق منه الإفادة ويتزين بالإجادة فإنه لابد من البحث فى كل شاهد عن أسرار خاصة أو علة تتلاءم مع السياق العام أو السياق الخاص ، وما أشبه ذلك بما ذكره المحققون فى أسلوب الالتفات من أنه لا يكفى فى تعليل حسنه أن يقال إنه أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظا للإصغاء ، فذلك وجه عام لحسنه ، وإنما لابد فى كل موضع من سر خاص إلى جانب العلة العامة .. ومعنى ذلك أن أسرار الذكر والحذف ، كأسرار الالتفات ، فيها العام وفيها الخاص ، وإن كان الخاص لا يمكن حده بحدود أو ضبطه بضوابط ، وإنما لكل سياق أتيا فيه أسرار يبحث عنها المتذوقون وراء القيمة الجمالية العامة .

ثانيا : أن صور هذا اللون العجيب من الحذف الذى يقوم على تدبر المعانى التى تدل عليها قوة التراكيب وفحواها لا تقف عند صورة معينة من صور الحذف التى عددتها البلاغة المتأخرة ، وإنما تشملها وتشمل ما هو أعم منها .

ثالثا : أن المعول عليه فى التقدير إنما هو جانب المعنى لاستخلاص وفقه دلالات التراكيب وما يستكن فيها ، وليس الصناعة الإعرابية الشكلية ، فذلك مما يمكن تخريجه بناء على ظاهر الأساليب التى وقع فيها الحذف .

● ● ●

وأخيرا هذا ما فتح الله به علىّ فى تاريخ هذا اللون من الإيجاز ومصطلحه ومعناه ، وفى استخلاص بعض أسراره ولطائفه ، أرجو أن أكون قد وفقت فيه عرضا وفهما واستنباطاً ولله الحمد دائماً ، وعلى رسوله أفضل الصلاة وأزكى السلام .

د . عبدالحميد العيسوى

عبد الصمد بن المعذل

وموقف نقاد الشعر منه

بقلم : السيد حسن قرون

هذا الشاعر[1] من مواليد البصرة فى العصر العباسى نشا فيها ولم يعرف طريق البادية ، فشعره فيه طبيعة المدن وإن لم يخل من رواسب الشعر العربى فى الجاهلية او الإسلام ، وانت تعلم ان رواة الشعر فى العصر العباسى الأول كانوا يحجمون عن رواية الشعر المحدث اى الذى ظهر بعد بشار ، ويرونه مولدا لا يحسن الاستشهاد به فى اللغة ، ولك ان تستشهد به فى المعانى ومحمد بن يزيد «المبرد» فى كتابه الكامل تراه يروى شعر المحدثين ويصدر مختاراته بشعر للشاعر عبد الصمد بن المعذل ، وتاتى الديباجة فى الرواية هكذا :

قال أبو العباس هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج إليها للتمثل ؛ لأنها أشكل بالدهر ، ويستعار من ألفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب . قال عبد الصمد بن المعذل :

ـ والخطاب لزوجته ـ

تُكَلِّفُنِى إذلالَ نفسى لِعِزِّها
وهان عليها أن أُهان لتكرما

تقول: سل المعروف يحيى بن اكثم
فقلت: سليه رَبَّ يحيى بن اكثما

وهذا الشعر يمثل عزة النفس ، والاحتفاظ بالكرامة الإنسانية ، ويعطيك صورة عن الحياة القائمة فى العصر العباسى ، وأن هناك شعراء وعلماء ورجال تعليم يختلفون فى المذهب والتعامل مع مطالب العيش وأن هناك رؤساء وقواداً وفى مقدمتهم الخلفاء والأمراء وسوق الادباء والعلماء رائجة عندهم ، ولكن عبدالصمد بن المعذل يرى أنه أعلى قدرا ، وأعظم مقاماً من الذين يعيشون فى كنف السادة والحكام ؛ ولذلك كان الخلاف بينه وبين أخيه احمد شديدا يصل إلى حد المهاجاة ، والنقاد والرواة فى رواية الأدب والشعر يصفون

(١) توفى سنة ٢٤٠ هـ ـ ٨٥٤ م .

عبدالصمد بن المعذل

عبدالصمد بأنه «كان هجاء خبيث اللسان» وهذا الوصف تراه عند كل من كتب عنه ووازن بينه وبين أخيه وأغلب الظن أنه من آراء أبى الفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى . يقول أبو الفرج وكان أخوه أحمد شاعرا إلا أنه كان عنيفا ذا مروءة ودين وتقدم فى المعتزلة وجاه واسع فى بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبدالصمد فيه فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه .. وعبدالصمد أشعرهما .

ومن هذه النبذة ندرك أسباب الاختلاف ، فعبدالصمد كان يعيش على الشعر وينتهج نهج والده فى الترفع عن التزلف والتمرغ على أعتاب الأمراء والخلفاء ولاسيما قاضى القضاة يحيى بن اكثم .. ويحيى هو رأس المعتزلة والذين يحطبون فى حبله يقربهم ويغدق عليهم الأموال ، ولاشك أن عبدالصمد كان بعيداً عن الاعتزال أو قل لا يكلف نفسه دراسة المذهب والتعمق فيه والتعرف على وسائل الجدال لاستحضار البراهين والحجج للرد على المخالفين .

قلت إن أباه «المعذل بن غيلان» وهو من ربيعة من قبيلة عبد القيس كان يقول :

إلى الله أشكو لا إلى الناس إننى
أرى صالح الأعمال لا أستطيعها
أرى خلة فى أخوة وقرابة
وذى رحم ما كان مثلى يضيعها
فلو ساعدتنى فى المكارم قدرة
لفاض عليهم بالنوال ربيعها

فهو رجل ذو مروءة ويجعل من نفسه مسئولا عن قرابته ، ولكن ما فى يديه لا يقوم بما يريد غير انه يتجه إلى الله بالشكوى لا إلى الناس .

ومن شعره أيضاً قوله :

ولست بميال إلى جانب الغنى
إذا كانت العلياء فى جانب الفقر
وإنى لصبار على ما ينوبنى
وحسبك أن الله أثنى على الصبر

وهو شعر يذهب بالإنسان إلى منازل العلا ، ويضع القدوة ماثلة أمام السامع والقارىء لعل وعسى أن ينسج الناس على منواله ، وأغلب ظنى أن عبدالصمد اقتدى بأبيه ، وإن خالفه فى الاتجاه إلى الهجاء والطعن فى أعراض الناس أعنى أشخاصهم ، لا أشك فى أن أخاه أحمد كان من أصحاب يحيى بن اكثم وأنه انتفع باعتزاله وانظر إلى رأى عبدالصمد فى قاضى القضاة .. ذكر أن عبدالصمد كان له ميل إلى جارية لبعض وجوه أهل البصرة ، وكانت لا تخرج إلا مُنَقبة ، فخرج عبدالصمد يوما إلى نزهة ، وقدمت الجارية واسمها «مُتَيَّم» إلى القاضى العنبرى ، فاحتاج أن يشهد عليها فأمرها أن تسفر ، ورجع عبدالصمد من نزهته فقيل له : لو رأيت متيم وقد أسفرها القاضى لرأيت شيئا حسنا ، فقال عبدالصمد :

ولما سرت عنها القِناعَ متيم[٢]
تروَّح منها العنبرىُّ متيما(٢)
رأى ابن عبيد الله وهو محكم
عليها لها طرْفًا عليه محكما(٣)
وكان قديما كالح الوجه عابساً
فلما رأى منها السفورَ تبسما
فإن يَصْبُ قلب العنبرى فربما
صبا باليتامى قلب يحيى بن أكثما

(٢) متيما : صار عاشقا .

(٣) محكما : مسيطرا عليه .

ولقد سقت هذا الشعر لطرافته ولأنه ذكر فيه قاضى القضاة يحيى بن أكثم . قالوا : وبلغ قوله يحيى بن أكثم فكتب إليه : عليك لعنة الله ، أى شىء أردت منى حتى اتانى شعرك من البصرة ، فقال لرسوله : قل له : متيم أقعدتك على طريق القافية . وموقف يحيى بن أكثم منه لا يدل على غضب عليه ، ولا تفكير فى مساءلته أو محاسبته ، ويحيى بن أكثم عربى أصيل من نسل «أكثم بن صيفى» التميمى حكيم العرب فى زمانه ، ترضيه الطرافة ويعجبه القول الجميل ، وكان مجلسه عامراً بكل لسن وفقيه .

فماذا كان بين الأخوين : المتدين والمستهتر بالعبث ؟ والغريب أن الجاحظ روى شعرا غزلا فى البيان والتبيين لأحمد ، ولم يرو لعبدالصمد ، ولا بأس من ذكر بعض غزل أحمد المتدين المعتزلى ، ونحن لا ننكر عليه شاعريته ، وإنما نرى فيه طبائع البشر ومطالب الشعر ، وهو دائما يرى فى الأنثى المؤنس الذى يبكى على فراقه . يقول أحمد[٤] :

تـواعد للبـين الخليط لينبتـوا
وقالوا لراعى الظهر: موعدك السبت
ففاجأنى بغتا ـ ولم أخش ـ بينهم
وأفظع شىء حين يفجؤك البغت

إلى أن يقول :

تأيمت حتى لامنى كل صاحب
رجاء سليمى أن تئيم كما إمْتُ
لئن بعت حظى منك يوما بغيره
لبئس إذاً يوم التغابن ما بعت

فهذا الزاهد يطلب من سليمى أن تعيش بلا زوج ؛ لأنه عاش هو بلا زوج ويعلق حظه على يوم القيامة إذا باعه ، لا تقل إنه شعر فيه تدين ، فالشعر يحكى ما يحمله قلب الإنسان وعقله من هواجس وأفكار .

وما جرى بين الأخوين من ملاحاة يصور مسالك كل منهما . قالوا : كتب أحمد إلى أخيه عبدالصمد يقول : إنى أرى المكروه من حيث يرتجى المحبوب ، وقد شمل عدك[٥] وعم أذاك ، وصرت فيك كأبى الابن العاق ، إن عاش نغصه ، وإن مات نقصه ، وقد خشنت بقلب حبيبه لك ناصح . والسلام .

وهذه الرسالة العاتبة الغاضبة تعد من نماذج الإيجاز ، وإن فيها معانى دقيقة تحل فى ألفاظ جزلة ، وتدل على عميق الحزن فى قلب المرسل لما يعانيه من المرسل إليه .. وكان ينبغى للمرسل إليه أن يقبل على أخيه مسترضيا عاملا على إزالة المكروه لبلوغ المحبوب الذى يرضى الشقيق الشفيق ، ولكن الرد كان من عبدالصمد شعرا ، فيه سخرية ، وفيه إهانة ، وكأنه يلومه على عظاته وتوجيهاته ، بل يعرفه أنه لم ينجح فى أهدافه ، ولم يوفق فى نصائحه . واقرأ معى رده . قال :

أطـاع الفريضـة والسُّنهْ
فَتَاهَ على الإنس والجِنَّهْ
كأن لنا النارَ من دونه
وأفـرده اللـهُ بالجَنَّـه
وينظـر نحوى إذا زرتـه
بعيـن حـماةٍ إلـى كَنَّـهْ[٦]

(٤) البيان والتبيين جـ ٢ تحقيق السندوبى .

(٥) عدك : قدرك .
(٦) الكنة : زوجة الابن .

عبد الصمد بن المعذل

وقارىء هذا الشعر يعتقد أن مهمة الواعظ عسيرة، وتقتضى صبراً جميلاً، وأسلوباً سديداً، بعيداً عن العنف، وأنا لا أبعد العنف عن أحمد بن المعذل، فصاحب الأغانى يصفه بأنه كان عنيفا، والقرآن الكريم قد رسم الطريق المستقيم للوعاظ والسالكين مسالك الدعوة فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (١٢٥ - النحل).

ويخيل إليك من الموازنة بين الأخوين أن أحمد لا يتخذ الهجاء سبيلا إلى تقويم أخلاق أخيه كلا، فلقد كان على نظم الشعر وتوجيه الهجو فى اقتدار ملحوظ يقول هاجيا عبد الصمد:

قال لِى: أنت أخو الكلبِ، وفى
ظنه أنه قد هجانى واجتهد
أحمدُ اللهَ تعالى إنه
ما درى أنى أخو عبد الصمد

وهذا الشعر فى غاية الإقذاع، والحط من شأن المهجو، ففيه سخرية تجىء فيما يشبه النادرة، وأنا لا أدرى هل زال ما بينهما من شقاق، وتقاربا بعد الابتعاد؟ على أن الأخوين لو أخذ كل سبيله إلى منحى آخر لأتيا بما يمتع ويفيد.

ومهما يكن من شىء فإن عبد الصمد جال فى مجالات أخرى، وعرفته الأوساط الأدبية شاعرا فى عداد الفحول، ولكنى أقول إنه شغل نفسه بما نعده اليوم من أعمال محررى الصحف، تعليق على الأنباء، وتعبير عن سياسة الصحيفة، وتوجيه للرأى العام نحو فكرة جديدة، أو نظرية حديثة، فإذا كان أحمد هو النبأ حيث أحب سليمى فهو المعلق على الأحداث حين قدمتْ (مُتَيم) على قاضى البصرة وطلب منها كشف وجهها حتى يشهد عليها، وكذلك كان شأنه فى أغلب ما قرأت له، كان فى مدينة «سر من رأى» التى بناها الخليفة المعتصم لجنده من الترك حين استغنى عن العرب والفرس معا، لأنهما كانا فسادا فى خلافة الأخوين (الأمين والمأمون).

رأى عبد الصمد أمام معسكر المعتصم فى مدينته (الأفشين) وكان شابا جميل المنظر ماهر الفروسية فوصفه لا لمدحه، وإنما ليصور إحساسه برؤيته، ونحن نعرف تاريخ (الأفشين بن كاوس) وقيامه بخدمة المعتصم وحربه للخارج على الدولة «بابك الخرمى» الذى دوخ الدولة وقتل كثيرا من جند الخلافة على مدى سنين طويلة، فضيق عليه الخناق، وعرف الهزيمة ففر إلى الروم، ولكن الأفشين قبض عليه وسلمه للخليفة المعتصم.. إلا أنه تبين فيما بعد فساد سريرته وأنه يعمل على تقويض ملك العرب والكيد للإسلام، فقبض عليه المعتصم وقتله وأحرقه، فنظم أبو تمام شعراً فى تلك الحادثة منه فى وصف الأفشين ومآله منه هذا البيت:

صلى لها حيا وكان وقودَها
ميتا ويدخلها مع الفجار

لم يفعل عبد الصمد ما فعل أبو تمام، وراح فى حياة العبث التى لا تسمن ولا تغنى من جوع، وما أتى به من تشبيب لا يذكر بجانب ما كان يصنعه معاصروه من أمثال أبى تمام وصريع الغوانى ولذا تعده مقصرا فى حق أدبه وفنه، ولكن لشعره الفكه حلاوة وجاذبية..

عده أبو الفرج حاسدا لأخيه، وأعده أنا

حاسدا لأبى تمام ، والنادرة التى ذكرها أبو الفرج دليل على حسده .

قال أبو الفرج : وذكر أنه جمع بين أبى تمام وعبد الصمد بن المعذل مجلس ، وكان عبدالصمد سريعا فى قول الشعر ، وكان فى أبى تمام إبطاء ، فأخذ عبدالصمد القرطاس فكتب فيه :

أنت بين اثنتين تبرز للنا
س بكلتيهما بوجه مذال(٧)
لست تنفكُّ طالبا لوصال
من حبيب أو راغبا فى نوال
أى ماء لحر وجهك يبقى
بين ذل الهوى وذل السؤال

وواضح من تلك الأبيات أن أبا تمام انحصرت حياته بين أمرين فيهما الهوان ، ذل الهوى وذل السؤال ، وليس هناك ما يدعو إلى ذلك الهجاء .. فأخذ أبو تمام القرطاس وخلا طويلا وجاء وقد كتب فيه :

أَفِيَّ تَنْظِمُ قول الزور والفَنَدِ(٨)
وأنت أنزر من لا شىء فى العددِ ؟
أَشْرجت قلبك من بغضى على حُرَقٍ
كأنها حركات الروح فى الجسد

لم يحتمل هذا الشعر عبد الصمد ، فسب أبا تمام سبا قبيحا .. مثل « ياماص » ياغث ، أخبرنى من قولك « أنزر من لاشىء فى العدد » ؟ أخبرنى عن قولك « أشرجتِ قلبك » قلبى مفرش أو عيبة - حقيبة - أو خُرج فأشرجه ؟ عليك لعنة الله .

ومن العجيب أن صاحب الأغانى يرى أنه أشعر من أبى تمام فعبد الصمد أسرع ، وأبو تمام أبطأ ، ويصف سكوت أبى تمام قائلا : فانقطع أبو تمام انقطاعا ماروى أقبح منه .

أما أنا فأرى أن أبا تمام أصاب المحز وطبق المفصل وغلب عبدالصمد ، والدليل على ذلك هو السباب الذى فَاهَ به ولم يستجب له أبو تمام ترفعا وحفاظا على مكانهِ ومكانته ، وليس السباب من شأن الشعراء ولا هو من مسالك الأدباء ، وأين الاثنتان اللتان وصم بهما عبدالصمد أبا تمام وهما ذل الهوى وذل السؤال من «أنت أنزر من لا شىء فى العدد» ؟ ولقيمة هذه العبارة جعلها عبدالقاهر الجرجانى من مطلب بلاغة التشبيه فى كتابه «أسرار البلاغة» .

لقد وصفه أبو تمام بالقلة كأنه معدوم ، وجعل قلبه مملوءا بالحقد الذى لا يهدأ ولا يريح حامله . ولست متحيزاً لأبى تمام ولكنى أعطى كل ذى حق حقه . وماذا أقول فى رجل لقى الإساءة من إنسان ثم يختار له شيئا من شعره فى مؤلفه ؟ لقد روى أبو تمام شعرا لعبدالصمد بن المعذل فى كتابه «الحماسة» والشعر هو . قال عبدالصمد :

وفارقت حتى ما أبالى من النوى
وإن بان جيرانٌ علىَّ كِرام
فقد جعلتْ نفسى على النأى تنطوى
وعينى على فقد الحبيب تنام

وخلاصة القول: إن عبدالصمد ظاهرة لعصر أفرز لنا شعراء ننهل من حياضهم المترعة ونقطف من أزهارهم المونقة ، ونجعل من أساليبهم نماذج للشعر الجيد والتفوق المنشود .

(٧) مذال : مهان .

(٨) الفند : الخطأ ، أشرجت قلبك : جعلته وعاء للحقد .

من خير ما نشر

لابد أن نستفيد

للأستاذ/ محمد السيد على بلاسى

لعل من أسباب ضعف المسلمين اليوم أنهم لم يعودوا يستفيدون من مواقفهم ، ولم يعتبروا من ماضيهم . فالأمور عندهم أصبحت وقتية تنتهى بانتهاء وقوعها دون عبرة .

ولو قلبنا صفحات ماضينا التليد لوجدنا أن المسلمين الأوائل كانوا يطبقون مبدأ الاستفادة خير تطبيق .

ففى غزوة حنين مثلاً على الرغم من كثرة الغنائم التى تركها العدو فى انسحابه فإن المسلمين لم ينشغلوا بالاستيلاء على غنائم العدو بل أوغلوا فى تعقبه ، مستفيدين فى ذلك من درس غزوة أحد ، لذلك وجدناهم فى سنين قلائل يفتحون العالم ، وينشرون الإسلام على ربوعه ، ويقيمون حضارة فريدة فى وقتها دانت لها جميع الحضارات .

أما حين ترك المسلمون مبدأ الاستفادة ، فقد تراخت فيهم روح الطموح ، وأسلموا راية حضارتهم إلى أعدائهم . وقد نبه القرآن الكريم الأذهان إلى أهمية الاستفادة . حين سرد قصص الأنبياء السابقين .

قال جل وعلا : ﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ .

عن « منار الإسلام »

محنة الحصار.. وبطولة الانتفاضة

إذا كان الإعتقاد (الإسرائيلى) بإنهاء الانتفاضة بأقصر الطرق وفقا لتصريحات زعماء إسرائيل قد جاء مخيبا لآمالها . حتى إن هذا الاعتقاد تزامن مع اغتيال أبو جهاد باعتباره مطلق الانتفاضة فإن الظروف اللاحقة ولَّدت العشرات من الزعامات ، وصار الطفل الفلسطينى الذى يحرم من الذهاب إلى المدرسة ، يجد البيوت فصولاً للتعليم وتلقى الدروس الأساسية فى المقاومة الطويلة ومثل هذا أصبح مجالاً تتحدث عنه وسائل الإعلام العالمى وتعتبره نوعا من البطولة الخارقة لشعب يصعب قهره أو تدجينه وصار العديد من الصهاينة يؤمنون باستحالة قهر الإنتفاضة وأن أقصر الطرق لتوفير الأمن الذاتى (لإسرائيل) هو الدخول المباشر فى حوار مع الفلسطينيين .

إسرائيل الآن تجرب الحصار الطويل الأجل لمدن الضفة والقطاع ولكن التكلفة ستكون عظيمة ، لأن سياسة الحجر والضرب بقوة ، سوف تفرز أسلوبا فلسطينيا آخر لفك الحصار يضع إسرائيل أمام حقائق قد لا تخطر على بالها .

لأن طبيعة الفلسطينى أن يقاوم للحصول على حريته ، وهى أثمن من خرافة (الشعب المختار) الذى قهرته الحجارة ، وزلزلت كيانه أكف الأطفال الصغار .

عن « الرياض » السعودية

إعـداد : د. أحمد عبد الرحيم السايح
عادل رفـاعى خفاجة

العمل الجماعى فى الاسلام

الإسلام شديد الحرص على العمل الجماعى لا لشىء إلا أنه قوة القوة ، وعزة العزة ، ... ولقد ظهر هذا الحرص فى اختلاف تقدير الأجر للعمل الواحد .

فالصلاة مثلا فى جماعة تفضل صلاة الفرد سبعاً وعشرين درجة .

ولعل الإسلام حين رغب فى صلاة الجماعة ، وحين شرع للناس صلاة الجمعة وحين دعا إلى اجتماع كبير فى صلاة العيد ، وحين أذن إلى حشد أكبر فى حج بيت الله الحرام ، لعل الإسلام بهذا كله قد أراد أن يطبع الناس على العمل الجماعى وصولاً إلى النفع الأعم والخير الأشمل وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » .

والإسلام بهذا الحرص الشديد يكره للمسلم أن ينطوى على نفسه أو ينعزل فى تفكيره وإحساسه ، ذلك لأن الله تعالى لم يخلق الناس ليختلفوا أو ينعزل بعضهم عن بعض ولكن خلقهم ليتعاونوا على البر والتقوى .

عن « الهداية » البحرينية

جامعة إسلامية بالمراسلة

أعلن الدكتور نديم إلياس عضو مجلس إدارة المركز الإسلامى بمدينة آخن بألمانيا الاتحادية إنه سيتم تأسيس أول جامعة إسلامية بالمراسلة فى العالم ، وقال : إن المشروع يحظى بالدعم العلمى والمعنوى من قبل عدد من الجامعات الإسلامية فى العالم وعلى رأسها جامعة الأزهر كما أن السعودية رحبت بالفكرة ، وسوف يدرس بالجامعة الشريعة الإسلامية واللغة العربية والعلوم الإنسانية إلى جانب كافة المواد والعلوم الدينية ، ووفقا للمشروع فإن الدراسة بالمراسلة تؤدى إلى الحصول على شهادة معترف بها رسمياً من الجهات الإسلامية أو الألمانية ويمكن لكل مسلم فى أوروبا والعالم الإسلامى أن يلحق بها وسيتم تمويلها بأموال خاصة كما هو الحال بالنسبة للمركز الإسلامى .

عن « القبس » الكويتية

نقـاط وحـــروف
للأستاذ / محمـد زيـن

عندما ترسم بإصبعيك الإبهام والسبابة شكل دائرة ، فإن ذلك يعنى أنك تهدد من تخاطبه بهذه الإشارة بالانتقام منه أو تنذره بالضرب أو ربما بالموت !

هذا هو ما تعارفنا على فهمه من هذه الإشارة فى عالمنا العربى أو فى معظم أجزائه ، أما فى بلد آخر كالولايات المتحدة فإن نفس هذه الإشارة تعنى « برافو » فى حين أن معناها فى فرنسا « لا شىء » أو « صفر » ولكن إذا كنت فى اليابان ورسمت هذه الإشارة بيدك فى الشارع فسيعتقد الناس أنك متسول تطلب منهم إحساناً . ويقول

←

من خير ما نشر

د . ويزموند موريس عالم الانثروبولوجيا الشهير في كتابه « مراقبة الناس » : إن لغة الإشارات تختلف باختلاف الثقافات ، ولذلك فإنه يحذرك من الإتيان بأى إشارة وانت في بلد غريب عليك ، إلا إذا كنت واثقاً من معناها في هذا البلد حتى لا توقع نفسك في مشكلة .

ويضرب مثالاً على ذلك ، عندما تضرب بيدك على ركبة شخص تجالسه ، فهذه الحركة الشائعة بين المتحدثين في بعض البلدان لها دلالة خطيرة في بلد مثل فنلندا ، إذ أن فيها انتقاصاً من رجولة الشخص الذى تحادثه .

عن « السياسة » الكويتية

سلاح ذو حدين « فقر وجوع »
للأستاذ/ على صالح

بعد خمسة عشر عاما من الاجتماعات الدورية السنوية انتهى مجلس الغذاء العالمى بإصدار « إعلان القاهرة » الذى جاء فيه أن السلام هو الشرط المسبق لتحقيق التنمية وتوفير العيش الطيب للعالم أجمع ، مما يحتم تحويل الانفاق على التسلح إلى البرامج التنموية للدول النامية .

وإذا كان مجلس الغذاء العالمى قد وضع خطة للقضاء على الجوع والوفيات الناجمة عن المجاعات بحلول عام ٢٠٠٠ فإن مثل هذه الخطة لن تحقق أهدافها إلا بتعاون حقيقى من الدول الغنية الصناعية التى عليها أن تتخذ خطوة جماعية بمؤتمرها في يوليو القادم بإلغاء[1] ديون الدول الفقيرة كما فعلت فرنسا وتعمل بجد من أجل إشاعة أجواء السلام وتشجيع التنمية في هذه البلاد المنهكة .

عن « الاتحاد » الإماراتية

العلم المحروق
للأستاذ/ يوسف الشهاب

مع نهاية كل عام دراسى ... تستقبل صناديق القمامة « أطناناً » من الكتب الدراسية على مختلف أنواعها .. وتأتى سيارات البلدية وتحمل « العلم » إلى المحرقة ، وتذهب بعد ذلك تلك الأموال التى دفعت على طباعة هذه الكتب ..

هناك دول تعانى من نقص الكتب في مدارسها وبالتالى فإن الطالب فيها لا يجد مايمكن أن يساعده في دراسته أو قد يدفع مبالغ طائلة في سبيل توفير الكتب الدراسية اللازمة له ولمستقبله .

وزارة التربية في إمكانها أن تضع « تأميناً » على كل طالب وتطالبه بإعادة الكتب في نهاية العام وبالتالى يعاد له التأمين ، وفى إمكان الوزارة بعد ذلك أن تصرف الكتب لجيل لاحق حتى يستفيد من الكتاب أكثر من طالب ... أو أن تتبرع بالكتب التى جمعتها إلى دول فقيرة ، توثيقاً للعلاقات الثقافية .

عن « القبس » الكويتية

---

(١) يبدو أن هذا التنازل جزئى

أنباء وآراء

تقديم : عبد المنعم فودة

● المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة يقرر :
– رفع دعوى ضد إسرائيل امام محكمة العدل الدولية .
– تشكيل لجنة عليا لإنهاء الخلافات بين الدول الإسلامية .

قرر المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى اجتماعه المنعقد بالقاهرة مؤخراً برياسة فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق رفع دعوى ضد إسرائيل أمام محكمة العدل الدولية لاعتداءاتها المتكررة على المسجد الاقصى والأوقاف الإسلامية فى القدس .

ووجه المجلس نداء لكل دول العالم بضرورة دعم الانتفاضة الفلسطينية والقيام بحملة اتصالات دولية لفضح الأساليب والممارسات الإسرائيلية التعسفية ، والوقوف بحزم أمام الصلف الصهيونى وعدم الإخلال بأوضاع الأوقاف الإسلامية وضمان حرية العبادة .

كذلك بحث المجلس نتائج أعمال الإغاثة للاجئين الافغان وإغاثة اللاجئين الذين يتوافدون على العواصم الإقليمية بالسودان نتيجة للحرب فى الجنوب .

وناقش المجلس النزاع السنغالى الموريتانى واستغلال التيارات المعادية للإسلام لهذا النزاع فى تشويه صورة الإسلام والمسلمين . وقرر فى هذا الصدد تشكيل لجنة إسلامية عليا تتولى إنهاء الخلافات التى تنشب بين الدول الإسلامية .

وفى نطاق لجنة المتابعة والمعلومات بمكة المكرمة قرر المجلس إنشاء مركز موحد للمعلومات على أن يكون نواة لشبكة معلومات لإمداد المنظمات الأعضاء وغيرها بأحدث المعلومات عن واقع العالم الإسلامى .

كذلك تقرر عقد ندوة عن « الإعلام الإسلامى » فى أواخر العام الحالى ببغداد لمتابعة وبحث ما ينشر عن الإسلام فى الغرب والرد على الأفكار الهدامة التى تحركها التيارات المعادية للإسلام .

وناقش المجلس إنشاء مؤسسة قرآنية تهدف إلى توفير مطبوعات لمعانى القرآن الكريم بلغات الشعوب الإسلامية كافة ، ومجمعات لترجمات القرآن الكريم .

كما بحث المجلس مشاكل الجمعيات الإسلامية فى (الاتحاد السوفييتى) ، ومعهد النور والتربية الإسلامية فى (جيبوتى) و (معهد جنوب الفيلبين) و (جمعية الدعوة الإسلامية) بسنغافورة .

←

وأصدر المجلس قراراً بإنشاء أربعة معاهد إسلامية في كُلٍّ من: فرنسا والبرازيل وباكستان وأندونيسيا وإنشاء مركز إسلامي عالمي بلندن.

وقد أقر المجلس خطة لإمداد كليات وأقسام الدراسات العليا الإسلامية بجامعات أندونيسيا بالبرامج والمناهج وهيئات التدريس وتكليف الأزهر بإمداد هذه الجامعات بأساتذه متخصصين.

وفي نهاية الاجتماعات أعلن المجلس تأييده الكامل للسياسات الرشيدة الرامية إلى توحيد الأمة الإسلامية وأكد على أن إنشاء مجلس التعاون العربي ثم اتحاد المغرب العربي بعد النجاح الكبير الذي حققه مجلس التعاون لدول الخليج يعطي مؤشراً كبيراً على إمكانية توحيد الأمة الإسلامية كلها تحت راية الإسلام استجابة لقول الله عز وجل: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾..

الملتقى الإسلامي في الجزائر

تشهد الجزائر في أواخر "المحرم" القادم تجمعاً إسلامياً كبيراً يستمر ثمانية ايام لمناسبة انعقاد الملتقى الإسلامي الثالث والعشرين.

يناقش الملتقى موضوع «مشروع مجمع إسلامي» وذلك في ضوء مفهوم المجتمع الإسلامي بالمدينة المنورة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجتمع الإسلامي عبر التاريخ

وتدور مجالات البحث في الملتقى حول أسس المجتمع الإسلامي، وقيمه، وعقيدة التوحيد، ومفهوم الحرية في الإسلام، والشورى، والعدالة الاجتماعية ومكارم الأخلاق، وأخيراً المحاولات النظرية والتطبيقية لبناء مجتمع إسلامي في العصر الحديث.

ويعقد الملتقى هذا العام تحت رعاية الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ومن المنتظر أن يشارك في أعماله عدد من الشخصيات الإسلامية البارزة وفي مقدمتها: **فضيلة** الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر.

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر القرار رقم ٣٦٢ سنة ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م بتكوين بعثة الأزهر للحج لهذا العام ١٤٠٩ هـ برياسة فضيلة الشيخ عبد الرازق ناصر محمد ناصر رئيس الإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية.

تضم البعثة تسعة عشر عالما سوف يقدمون خدماتهم لتوعية الحجاج في أداء المناسك والرد على استفتاءاتهم فيما يتعرضون له من حاجة إلى الأحكام الشرعية.

● تقرر قبول ٥٠٠ طالب من الوافدين في مِنَح دراسية على نفقة الأزهر الشريف في العام الدراسي ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م وتسكينهم بمدينة البعوث الاسلامية.

هذا وقد بلغ عدد الطلبة الوافدين خلال العام الدراسي الحالي ٢٠٠٠ طالب من ٧٠ دولة عربية وإسلامية من أبناء الأقليات الإسلامية في آسيا وأفريقيا وأوروبا بالاضافة إلى سبعمائة طالب من الخارج.

عالم مصري مقرر للمعجم العربي الحديث

إختار الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي الأستاذ الدكتور أحمد مختار ليكون مقررا للجنة الإشراف العلمي على أصدار المعجم العربي الحديث الذي سيصدره الصندوق بتكلفة مبدئية قدرها ثلاثة ملايين دولار.

تضم اللجنة التي سيرأسها الدكتور أحمد مختار عمر رؤساء المجامع اللغوية في دمشق وبغداد وعمان والرباط.

● تقرر إنشاء قسم للدراسات الإسلامية بجامعة ويلز البريطانية يهتم بدراسة الإسلاميات

والتاريخ والحضارة الإسلامية .

ثمة جزء من هذه الابحاث والدراسات التى سوف يقوم بها القسم تتركز حول تعريف المسلمين البريطانيين بأمور دينم .

مجلة الأزهر :

نأمل أن يقوم هذا المركز وأمثاله بدراساته على وجه من الإنصاف العلمى تسطع من خلاله تعاليم هذا الدين وأحقيته فى ميراث الأديان السماوية .

مسابقة حول الأقليات الإسلامية ومستقبل الدعوة الإسلامية

وضع الأستاذ الدكتور حامد جوهر أستاذ علوم البحار ١٥ الف دولار بمصرف فيصل الإسلامى يخصص عائدها السنوى لإقامة مسابقة لطلبة العالم الإسلامى .

يدور موضوع المسابقة حول مشكلات الأقليات الإسلامية ومستقبل الدعوة الإسلامية فى العالم .

يشرف عليها عدد من رجال الدعوة الإسلامية .

النصرانية وتعدد الزوجات

ذكرت وكالة الأنباء اللندية .

أن أساقفة الكنيسة الانجليكانية المجتمعين فى بريطانيا قد اتخذوا قراراً بالسماح لمتعددى الزوجات باعتناق الديانة المسيحية .

مجلة الأزهر :

هذه الواقعة وأمثالها كثيرة تعزز من قيم ضبط السلوك الإنسانى فى إطار يحدد للإنسان الا يَظْلَم ولا يُظْلَم وذلك مبدأ الشريعة الإسلامية التى فرضت وجود بعض قوانينها على المجتمع الأوروبى ، فهذه الشريعه تقرر أنه لا ضرر ولا ضرار وقد سبق لإيطاليا أن اتخذت قرارا بإباحة الطلاق .

وقد يكون الطلاق فى كثير من أحواله بابا للسعادة الإنسانية ويعتبر قرار الكنيسة الانجليكانية هذا مخالفا لقرار سابق بتحريم التعدد اتخذ من نحو مائة عام .

● ● ●

وافقت لجنة الاقتراحات بملجس الشعب فى اجتماعها الذى عقد يوم ٨ من ذى القعدة الموافق ١٣ من يونيو ١٩٨٩ م على تدريس مادة الثقافة الإسلامية فى كافة مراحل التعليم ، وخاصة التعليم الجامعى أخذاً بتوصية اللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف التى اتخذتها فى إحدى جلساتها .

فى سبيل إعلام إسلامى

عقدت بالرباط فى الفترة من ٤ إلى ٢٦ من ذى القعدة دورة تدريبية للمهندسين الإعلاميين فى الدول الناطقة بالفرنسية الأعضاء بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) .

ويشارك فى هذه الدورة التدريبية قادة فى ميدان الإعلام من أربع عشرة دولة إسلامية .

***

استغاثة من بلغاريا

نشرت منظمة العدل الدولية عدة إعلانات فى صحف المانيا الاتحادية دعت فيها المواطنين إلى توجيه خطابات إلى الرئيس البلغارى تيودور جيفكوف تناشده فيها إطلاق سراح « إسماعيل محمد حسين » المعتقل فى سجن بيلينة منذ عام ١٩٨٥ لاحتجاجه على قرار السلطات البلغارية بتغيير أسمه إلى « صموئيل دميروف ديولفاروف » وذلك ضمن حملة تعسفية تشكلها الحكومة البلغارية ضد الأقلية المسلمة .

الفهرس السنوى

للمجلد الحادى والستين سنة ١٤٠٩ هـ
مرتبا حسب الحروف الهجائية

المقالات

حرف الألف		أشعة الليزر ومجالات استخدامها	٣٣٤
			٤٥٦
آيات موسى التسع	١٤٢	أشواق وذكرى	٤٣٨
أحمد عبدالجواد الدومى	٩٢٠	(قصيدة)	
(من أعلام الأزهر)			١٣٤٣
الإبداع الأدبى بين اكتشافه	٩٦	الأصمعى بين يدى معاصريه	
الواقع وتحويله إلى		إعداد الأمه للدفاع وتوجيهات الإسلام	٦٦٨
وعاء للمعتقدات السياسية	٢٣٣		٩٠٥
ابن سلام الجمحى وكتابه طبقات		الإعلام الإسلامى الطباعى فى الدول	
فحول الشعراء	٦٠٤	غير الإسلامية فى أفريقيا	٣٤٨
ابن قتيبة وكتابه الشعر والشعراء	١١٧١	أفيقى (قصيدة)	٤٣٩
	١٢٨٤	إلى أبطال الانتفاضة	١٠٣٤
أبو سفيان بن الحارث		(قصيدة)	
شاعر بنى هاشم على عصر النبوة	٦٦٥	إلى الرسول فى يوم ميلاده	٣٢٦
أحب الله	٧٠٣	(قصيدة)	
(قصيدة)		إلى الله ضياء الحق	١٣٣
أخلاق الإيمان	٦٤١	إمام النحاة وقضية الاستشهاد بالحديث	١٠١
أدب الجدل فى القرآن الكريم	٩٣٠		٢٢٤
(من روائع الماضى)			٣٤٠
أزهر النور (قصيدة)	٩٢٥		٤٧٠
إسلام عمر (قصيدة)	٥٦٦		٦١١
الإسلام فى جنوب أفريقيا	١١١٦	الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	
الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة	٨٤٠	شيمة من مكارم الأخلاق الإسلامية	٦٥٨
	٩٥٠	أنا مصر (قصيدة)	١٢٦٧
	١١٧٦	أنباء وآراء	١١٠

(١) جرى الترتيب على نظم الحروف الهاجئية بدون اعتبار (ال) فى اسم المقال فعلى الباحث فى هذا الفهرس أن يسقط (ال) من اسم المقال وينظر مايليه ، وإذا كن (ال) فى علم فإنه يعتد به ويدرج فى باب الألف

إعـــــداد
أبو القاسم عبد الكريم عبد الموجود
محمد عبد اللطيف عثمان

	٢٤٠		٤١٩
	٣٥٦	البرق والرعد وفيزياء السحاب	٨١٢
	٤٩٢		٩٣٥
	٦٢٠	بيان الأزهر والمجلس الإسلامى العالمى	٥٢٥
	٧٣٣	بمناسبة الانقلاب الغاشم على المالديف	
	٨٤٨	يوم الخميس ١٩٨٨/١١/٣	
	٩٥٩	بيان الإمام الأكبر بشأن الأحداث التى	٦٤٢
	١٠٦٨	وقعت بالقاهرة فى ١٤ من جمادى الأولى	
	١١٨٤	١٤٠٩ ـ ١٩٨٨/١٢/٢٤	
	١٢٩٧	بيان بشأن مفتريات بريطانى هندى	٥٢٠
	١٣٩٦		٨٧١
الانتفاضة وإعلان قيام		بيان العلماء فى الإصلاح الذى	
الدولة الفلسطينية	٨٩٧	ينشده الإسلام	٦٤٩
الإنسان وأبحاث الفضاء الكونى	٥٨٤		
	٦٩٢	**حرف التاء**	
إنشاء الأسطول الإسلامى لأول مرة		تجلى الذى لا ينام (قصيدة)	٨١٠
فى التاريخ	١٢٤٣		
أنشودة المسلم	١٢٦٦	التحذير من السفر إلى الغرب	٢٩٨
(قصيدة)		وخطره على العقيدة والأخلاق	
أنوار رمضان	١٠٣٢	تضرع وإنابة (قصيدة)	٢٠٠
(قصيدة)			
أيـــــام	٢٠١	تطوير الكفاءة القتالية لجيش الإسلام فى	١٥١
(قصيدة)		عصر النبوة وآثاره الاستراتيجية	
الإيدز الرعب القاتل	٦٩	تعقيب على موضوع حرمان العصبة من	٧٥٨
		إرث الباقى من البنات	
حرف الباء		التفسير : أمراض القلوب	١٢١٦
البحث عن الأديان القديمة	٢٨	تفسير سورة الفاتحة	٦٥٠
	١٥٩	تفسير قريش	١٢٩
	٢٩٣		٢٥٧

حرف الثاء

ثبوت رؤية الهلال يوجب العمل بلا معارضة ١٠٠٥
ثم طفنا وسعينا (قصيدة) ١٣٦٣

حرف الجيم

الجراد حياته وانتشاره وآثاره ٥٩٠
٦٩٧
جعفر الطيار ١١١٨
الجغرافيا عند العرب ٤٦١
جمال الأسلوب (من روائع الأزهر) ٥٧٨
الجوار فى الإسلام ٥١٣
الجوار المتبادل ٩

حرف الحاء

حاجة البشرية إلى هداية الإسلام وعلمه ٤٠١
الحب بين العباد والرب (من روائع الماضى) ١٠٣٥
الحرية والطير (قصيدة) ٥٨
حرمة الحج (من روائع الماضى) ١٢٧٤
حديث عن الجمعة وأول مسجد وخطبة الجمعة فى الإسلام ١٤
حسن خالد (الشيخ) (من أعلام الأزهر) ١٢٥٤
حقيقة الإسلام تسفر للرافعى العبقرى ٢٢٩
حمزة والإسلام بطولة عقيدة ٣٤٤
حنين إلى عرفات (قصيدة) ١٣٦٢

حرف الخاء

خالد بن عبدالله بن أبى بكر الجرجاوى الشهير بالأزهرى (من أعلام الأزهر) ٨٠٤
خصائص المنهج العلمى فى التراث الإسلامى ٢٠٤
خلق المسلم (قصيدة) ٧٠٢
خلق الإنسان ومبعثه ٨٧٥
خواطر متقاعد (قصيدة) ٥٦٧
الخير فى الصيام لأسباب علمية وطبية ١٠٠٢
١١٢٨

حرف الدال

دراسات فى بدر ١٠٠٩
بدر وفداء الأسرى
دراسة قرآنية تفسير سورة الفجر ٢٦١
الغِنَى ليس دليل الكرامة عند الله والفقر ليس دليل المهانة عنده
دراسة قرآنية فى وصف المؤمنين ٧٦٤
دروس فى إدارة الصراع من غزوة بدر الكبرى ١٠٦٣
دروس من يوم الهجرة النبوية الشريفة ١
دعوة الإسلام إلى الإخلاص فى العمل ٥٣٧
الدعوة إلى الإسلام والداعى لها فى ضوء القرآن الكريم ٩١١
دمية الشيطان (قصيدة) ١٢٦٤
دور الأزهر فى استقدام الطلاب الوافدين ٤٢٢
٥٥٦
الدولة الفلسطينية أمل فى الأفق ٥١٨
الدين روح الإنسان ٢٨٥
ديوان شعر جابر بن حنى التغلبى ٧١١
٩٤٥
١٠٤٨

حرف الذال

حرف الراء

الربعى وآراؤه النحوية ٨٦
الردع الإسلامى فى غزوتى بدر والفتح ١١٢٢
رجال القراءات الإمام خلف البزار الكوفى ٣٢
رسل الأزهر فى بلاد النيجر ٤٤، ١٦٣، ٣٠١، ٤٢٧، ٥٥٢، ١٢٤٠، ١٣٤١
رسل الله إلى إبراهيم ٢٥

حرف الزاى

زهور الربا (قصيدة) ٩٢٦

حرف السين

سبق الإسلام إلى منع الاستكفاف (من روائع الماضى) ٧٢٦
سر إخلاص المسلم لدينه (من روائع الماضى) ٨٢٢
السنه والحج المبرور ١٣٢٧
السمات العامة لأسلوب الرافعى ٧١٨، ٨٣٤
سوف تبقى حروفها مشرقات (قصيدة) ١١٥٤
السينما الإسرائيلية ١٢٨٩

حرف الشين

حرف الصاد

صفحات مطوية من تاريخ الأزهر ١٢٢٣
مشيخة علماء الأسكندرية أو معهد الأسكندرية الدينى ١٣٣١
الصلاة على النبى - ﷺ - فى القرآن والسنة ٢٨٠
الصوم فى السفر ٩٩٨

حرف الضاد

حرف الطاء

طرائف ومواقف ٨٢، ٢١٤، ٣٠٦، ٤٦٦، ٥٧٦، ٧٠٤، ٨٢٠، ٩٢٨، ١٠٦٤، ١١٥٨، ١٢٧٢، ١٣٧٢
طلع البدر علينا ٢٧٥

حرف الظاء

حرف العين

العبادات وآثرها فى السلوك ١٢١٩
عبدالرحمن البرقوقى صاحب مجلة البيان ومحقق التراث ١٠٢٦، ١١٤٤

عبد الصمد بن المعذل ١٣٨٧
(من أعلام الأزهر)
عبد العزيز البشري جاحظ ٦٢
العصر الحديث ١٨٦
٣١٠
(من أعلام الأزهر)
عبد العظيم الغباشى ٦٠
«الدكتور»
(من أعلام الأزهر)
عبد المجيد سليم ٥٦٨
عالم الشريعة ومفتى الإسلام ٦٨٥
(من أعلام الأزهر)
الشيخ عبد العزيز جاويش ١٣٦٥
(من أعلام الأزهر)
العباس عم الرسول ـ ﷺ ـ ٩٠
عزل الحاكم ممنوع بإجماع علماء ٥٣١
أهل السنة الصالحين
العسل فى القرآن والسنة والطب ٥١
العقاد بين نبوءة الإمام محمد عبده ٤٧٥
وتجهم مصطفى كامل لنزعته
عندما يتنفس الصبح ٢٠٢
(قصيدة)
عهد الحديبية وآثاره الاستراتيجية ٢٨٩
٤٠٦
عيد الفطر يوم الجائزة لانتصار الإرادة ١٠٨٩

حرف الغين

غاز الأوزون في جو الأرض والفجوة التي ٨١٧
حدثت في نصف الكرة الجنوبي

حرف الفاء

الفتاوى ٥٤
١٨٣
٣٠٨

٤٣٤
٥٦٠
٧٢٣
٨٠١
٩١٨
١٠٢٥
١١٤٢
١٢٥٠
١٣٤٩
فضل الإسلام على البشرية ١٦٨
فضيلة كتمان السر (من روائع الماضي) ٣٣٠
في ذكري الإسراء والمعراج معارج الأرواح ٧٨٤
في ذكري الهجرة (قصيدة) ٥٦
في رثاء فضيلة الشيخ مصطفى محمد ١١٥٣
الحديدي الطير (قصيدة)
في رحابك يارسول الله (صلى الله عليه ٣٢٩
وسلم) (قصيدة)
فى مسألة فوائد البنوك ١٣٣٧
فتح مكة ومكارم الأخلاق ٩٩٢
١١٠٤

حرف القاف

قراءة إسلامية في كتاب الكون ١٠٤٠
القصاص أساس صالح للعقاب (من ٤٥٠
روائع الماضي)
قصة الإيلاف ٧٥٣
٨٦٥
٩٨١
١٠٩٣
١٢٠١
١٣١٣
قصة الثقوب في العلوم الكونية ١١٥٥
١٢٦٨
١٣٥٢

قضية من يوجسلافيا ماذا يجري ٩٨٦
وكوسوفو الإسلامية ١١١٠
القيم الدينية للمقدسات الإسلامية ٧٧٥
٨٨٥
١٠١٨

حرف الكاف

كامل السيد أحمد شاهين ٣١٧
(من أعلام الأزهر)
كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفي ١٨٢ هـ ـ ٧٩٨ م ١٧٥
كتاب يهذي في تأويل القرآن الكريم ٧٣
(من روائع الماضي) ٢١٦
كفوا السنتكم عن أمة لا إله إلا الله ٧٦٧
كلمة شيخ الأزهر إلى المسلمين فى مستهل شهر رمضان ٩٧٧
كلمة شيخ الأزهر عن حقوق الطفل في الإسلام وتحفظاته على مشروع الأمم المتحدة ٥٢٢
كلمة شيخ الأزهر في المؤتمر العالمي الخامس للطب الإسلامي ٥٢١
١٣١٥
كلمة الشيخ الشعراوي ٦٤٦
كن على الأرض مؤمناً (قصيدة) ٥٦٤

حرف اللام

لا طيرة ولا صفر ١٤٧
اللبن ومكوناته ١٠٤٥
اللقاء الصحفي لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ومراسلة راديو الفاتيكان ١٢١٣
لماذا يحلف الله بمخلوقاته ونحن لا نحلف بها ؟ ١٣٤

حرف الميم

ما بعد الإيمان ٩٨٢
المؤمن يأتي الطاعة راغباً لا يريد إلا وجه الله ٤١٦
محاولة لاستكشاف الثقافة الإسلامية ٥٤٦
٦٧٤
محمد أنيس عبادة ـ العالم الجليل وطرف من حياته ١٢٥٧
(من أعلام الأزهر)
محمود بن سعيد عياد الطنطاوي ١٩٢
(من أعلام الأزهر)
مرحباً بصاحب النسب الزكي وسيد البشر في الدنيا والآخرة ٢٦٦
مسئولية المدرسة والإعلام نحو أبنائنا ١٧٩
مسلك ذى الوجهين ١٣١٩
المسلم السوى والتجافي عن المنكرات ١٢٢٦
مصطفى محمد الحديدي الطير وطرف من حياته ـ رحمه الله ٤٤٢
(من أعلام الأزهر)
مع القرآن الكريم الأحرف السبعة ٤١٠
مكانة الحج والعمره فى الإسلام ١٣٢٢
مكانة بيت المقدس وموقف المسلمين منه ٧٨١
مفاعل نووى ١٣٥٧
مكانة النفس في القرآن ٦٥٤
المنافقون ١١٠٠
من أسلوب المعاهدات في القرآن الكريم ٧٨٩
من أناشيد التوحيد (قصيدة) ١٠٣٣
من تاريخ الإسلام ومدرسة القضاء إلى ٩٠٠
عهد الإمام المراغي ١١٣٤
من التراث الإسلامي الخالد مدينة قرطبة ١١٣٩
من تمام الحديث عن الأستاذ كامل السيد شاهين الرائد الحديث وتصريف الأفعال ٩٤٢
من حديث الإسلام في جنوب افريقيا ٧٩٨
٨٩٤

من خير ما نشر ١٠٥ ، ٢٣٦ ، ٣٥٢ ، ٤٨٩ ، ٦١٧ ، ٧٣٠ ، ٨٤٥ ، ٩٥٦ ، ١٠٦٦ ، ١١٨١ ، ١٢٩٤ ، ١٣٩٢

منَ دلالات النبوة عند خاتم الرسل والأنبياء ٥٤٠

من صفات المؤمنين ٨٧٢

من صور الحذف البليغ الاحتباك ١٠٥٢ ، ١١٦٤ ، ١٢٧٨ ، ١٣٨٠ ، ١٣٦٤

مداط الرجاء (قصيدة)

من محاسن الإدارة في الإسلام الستر على المسلم ٨٧٩

من ملامح المنهج العلمي في الصاحبى لابن فارس ٧٠٦ ، ٨٢٨

من النفس اللوامة إلى العمل الصالح ٥٢٦

من وحي الإسلام (قصيدة) ٨٠٩

مولد رسول الرحمة ـ صلى الله عليه وسلم ـ (قصيدة) ٣٢٨

ميلاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ٣٩١

حرف النون

النبي وأمته ـ بعض خصائصه صلى الله عليه وسلم ٦٨١

نص كلمة السيد رئيس الجمهورية بالمسجد الأحمدي بطنطا ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ١٢٠٧

نظرات في اللغة وأصولها للعلامة ابن القيم ٤٨٢ ، ٥٩٦

نظرية الاختيار الأمثل وتطبيقاتها ٢٠٩

نموذج القدوة ودراسة تحليلية ١٠٦٠

حرف الهاء

الهجرة الشرعية فريضة تمت ٢١

هل بعث النبى إلى الجن ؟ ١٣٧٣

هل يؤدي العلم إلى الإلحاد ؟ (من روائع الماضي) ١١٦٠

حرف الواو

وضاع جوارقريش ٣٨٥

وضع الأسرة في الإسلام ٣٦

وفد نجران المسيحي في سورة آل عمران ٣٩٥

حرف الياء

يا إنسان (قصيدة) ٤٤١

ياظماء النفوس (قصيدة) ٤٤٠

ياقلب (قصيدة) ١١٥٢

ياليلة الإسراء (قصيدة) ٨٠٨

يانفس (قصيدة) ٩٢٤

الفهرس السنوى

للمجلد الحادى والستين سنة ١٤٠٩ هـ
مرتبا حسب الحروف الهجائية

أسماء الكُتَّاب

إعداد

حسن سليم حسن صالح
سامى عز الدين محمود أحمد

حرف الألف

إبراهيم عطوة عوض (الشيخ) ٣٢، ٤١٠
أحمد المنشاوي الورداني (الشاعر) ٣٢٦، ١٠٣٤
أحمد حلمي عزت (الأستاذ) ١٠٤٥
أحمد عامر (الشاعر) ٨١٠
أحمد عبدالحميد غراب (الدكتور) ٥٤٦، ٦٧٤
أحمد عبدالرحيم السايح (الدكتور) ١١٠، ٢٤٠، ٤٩٢، ٦٢٠، ٧٣٣، ٨٤٨، ٩٥٩، ١٠٦٨، ١١٨٤، ١٢٩٤، ١٣٩٢
أحمد عبدالمؤمن بركات (الدكتور) ١٠٠٢، ١١٢٨
أحمد عبدالخالق محمد (الأستاذ) ١٢١٣
أحمد فؤاد باشا (الدكتور) ٢٠٤، ٣٣٤، ٤٥٦، ٥٨٤، ٦٩٢، ٨١٢، ٩٣٥، ١٠٤٠، ١١٥٥، ١٢٦٨، ١٣٥٢
أحمد قاسم أحمد (الشاعر) ١١٥٣
أحمد محمد إبراهيم (الدكتور) ٤٥٠
أحمد محمد الخواص (الأستاذ) ٤٤٢
أحمد محمود مبارك (الشاعر) ١١٥٤
السيد حسن قرون (الأستاذ) ٩٠، ٣٤٤

٤٧٥ ، ٦٦٥ ، ٨٩٧ ، ١١١٨ ، ١٣٨٧

السيد خضير (الأستاذ) ٣٥٦

السيد رزق الطويل (الدكتور) ١٠١ ، ٢٢٤ ، ٣٤٠ ، ٤٧٠ ، ٦١١

أيمن محمد على ميدان (الأستاذ) ٧١١ ، ٩٤٥ ، ١٠٤٨ ، ١٣٤٣

حرف الباء

حرف التاء

توفيق إسلام يحيى (الشيخ) ٩٨٦ ، ١١١٠

توفيق محمد شاهين (الدكتور) ٣٦ ، ٤٨٢ ، ٥٩٦ ، ٩١١

حرف الثاء

حرف الجيم

جابر حمزة فراج ١٢٥٤

جاد الحق علي جاد الحق (شيخ الأزهر) ١ ، ٣٩١ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥ ، ٦٤٢ ، ٧٥٨ ، ٨٧١ ، ٩٧٧ ، ١٠٨٩ ، ١٢١٣ ، ١٣١٥

جمال الدين محمود أبو العيون (السفير) ٤٤ ، ١٦٣ ، ٣٠١ ، ٤٢٧ ، ٥٥٢ ، ١٢٤٠ ، ١٣٤٠

حرف الحاء

حامد بدر (الأستاذ) ٥٢٦

حلمي الخولي (الأستاذ) ١٤٢

حلمي محمد القاعود (الدكتور) ٦٠٤ ، ١٧٧١ ، ١٢٨٤

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

رءوف شلبي (الدكتور) ٢١ ، ٦٠ ، ١٤٧ ، ٢٦٦ ، ٤٠١ ، ٥٣١

٦٥٨
٧٦٧
٨٧٩
٩٩٢
١١٠٤
١٢٢٦
ربيع سيد قولي (الدكتور) ٨١٧
رجاء إبراهيم سليم (الدكتورة) ٤٢٢ ، ٥٥٦
رشاد محمد يوسف (الشاعر) ٥٦ ، ٤٤٠ ، ٥٦٤ ، ٧٠٢ ، ٩٢٥ ، ١٠٣٢ ، ١٢٦٤
رفعت عبدالوهاب المرصفي (الشاعر) ٧٠٣

حرف الزاي

زكريا أحمد محمد نور (الأستاذ) ٢٨٠

حرف السين

سامية أحمد أحمد علي (الدكتورة) ١٠٦٠
سعيد منصور عرفة (الدكتور) ٨٦
سيد عبدالرءوف سيد (الشاعر) ٥٨

حرف الشين

شفيق عبداللطيف (الأستاذ) ١٢٨٩
شلتاغ عبود شراد (الدكتور) ٧١٨ ، ٨٣٤

حرف الصاد

صفوت عبدالجواد (الأستاذ) ٥٤ ، ٩٥٦ ، ١٠٦٦ ، ١١٨١ ، ١٢٩٧

حرف الضاد

حرف الطاء

طه الساكت (الشيخ) ٣٣٠

حرف الظاء

حرف العين

عادل رفاعي خفاجة (الأستاذ) ١٠٥ ، ٢٣٦ ، ٣٥٢ ، ٤٨٩ ، ٦١٧ ، ٧٣٠ ، ٨٤٥ ، ٩٥٦ ، ١٠٦٦ ، ١١٨١ ، ١٢٩٤ ، ١٣٩٢
عاطف شحاته زهران (الأستاذ) ٣٤٨ ، ١٠٦٠ ، ١٢٨٩
عبدالجليل شلبي (الدكتور) ٢٨ ، ١٥٩ ، ٢٩٣ ، ٤١٩ ، ٧٩٨ ، ٨٩٤ ، ١١١٦
عبدالحفيظ فرغلي علي القرني (الأستاذ) ٢٧٥ ، ٧٨٤ ، ٩٢٠
عبدالحفيظ محمد عبدالحليم الخطيب (الأستاذ) ٨٢ ، ٢١٤ ، ٣٠٦

	٤٦٦ - ٥٧٦ - ٧٠٤ - ٨٢٠ - ٩٢٨ - ١٠٦٤ - ١١٥٨ - ١٢٧٢ - ١٣٧٢
عبدالحليم حفني (الدكتور)	٧٨٩
عبدالحليم محمود (الدكتور)	٥٧٨
عبدالحميد السيد شاهين (الأستاذ)	٥٤ - ١٨٣ - ٣٠٨ - ٤٣٤ - ٥٦٠ - ٧٢٣ - ٨٠١ - ٩١٨ - ١٠٢٥ - ١١٤٢
عبدالحميد محمد العيسوي (الدكتور)	١٠٥٢ - ١١٦٤ - ١٢٧٨ - ١٣٨٠
عبدالرحيم العدوي (الشيخ)	٩٣٠
عبدالستار سليم (الشاعر)	٤٣٩
عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (الشيخ)	٢٩٨ - ١٠٠٥
عبدالفتاح السيد عبدالسلام (الأستاذ)	١٠٥ - ٢٣٦ - ٣٥٢ - ٤٨٩
	٦١٧ - ٧٣٠ - ٨٤٥
عبدالفتاح عبدالله بركة (الدكتور)	٧٧٥ - ٨٨٥ - ١٠١٨
عبدالفتاح حسين الزيات (الأستاذ)	٧٣ - ٢١٦ - ٣٣٠ - ٤٥٠ - ٥٧٨ - ٧٢٦ - ٨٢٢ - ٩٣٠ - ١٠٣٥ - ١١٦٠ - ١٢٧٤ - ١٣٧٤
عبدالله محمد أبو هشة (الدكتور)	٩٦ - ٢٣٣
عبدالمتعال الصعيدي (الشيخ)	٧٢٦
عبدالمنصف محمود عبدالفتاح (الشيخ)	١٣٢٢
عبدالمنعم عبدالخالق على (الأستاذ)	٩٤٢
عبدالمنعم فودة (الأستاذ)	٤٩٢ - ٦٢٠ - ٧٣٣ - ٨٤٨ - ٩٥٩ - ١٠٦٨ - ١١٨٤ - ١٢٩٧ - ١٣٩٧
عبدالوهاب الشامي (الشاعر)	٩٢٤
عمر عسران أحمد (الشاعر)	٣٢٨
على أحمد الخطيب	٩

١٢٩
١٣٣
٢٥٧
٣٨٥
٥١٣
٦٤١
٧٥٣
٨٦٥
٩٨١
١٠٩٣
١٢٠١
١٣١٣

علي أوزاك (الدكتور) ١٧٥
على حامد عبدالرحيم (الأستاذ) ١٨٣
٣٠٨
٤٣٤
٥٦٠
٧٢٣
٨٠١
٩١٨
١٠٢٥
١١٤٢
١٢٥٠
١٣٤٨
علي حسن سرحان (الشاعر) ٥٦٧
عمر البسطويسي (الأستاذ) ٣٥٦
عمر موسى البرعي (الشاعر) ٥٦٦
١٣٦٢

حرف الغين

حرف الفاء

فوزى محمد طايع (الدكتور) ١٣٣٧

حرف القاف

حرف الكاف

كارم السيد غنيم ٥٩٠
٦٩٧
٨٤٠
٩٥٠
١١٧٦

حرف اللام

لجنة الفتوى بالأزهر انظر عبدالحميد السيد شاهين وعلي حامد عبدالرحيم

حرف الميم

ماهر الشيمي (الأستاذ) ٤٦١
مجاهد توفيق الجندي (الدكتور) ٩٠٠
١١٣٤
١٢٣٣
١٣٣١
محمد ابراهيم حسين (الدكتور) ٢٠٩
محمد الخضر حسين ٧٣
(شيخ الأزهر الأسبق) ٢١٦
محمد السيد عطية بكر (الدكتور) ٧٠٦
٨٢٨
محمد جمال الدين محفوظ (اللواء) ١٥١
٢٨٩
٤٠٦
٦٦٨
٩٠٥
١٠١٢
١١٢٢
١٢٤٣
محمد حافظ سليمان (الشيخ) ١٦٨
١٢١٩
محمد حسني مبارك (الرئيس) ١٢٠٧
محمد رجب بيومي (الدكتور) ٦٢
١٨٦
٣١٠

٥٦٨
١٠٢٦
١١٤٤
محمد زكي إبراهيم (الشيخ) ٢٠٠
١٠٣٣
محمد صابر البرديسي (الأستاذ) ٢٨٥
٥٣٧
٧٨١
٩٩٨
محمد عبدالخالق ندا (الشاعر) ٢٠٢
محمد عبدالرحمن صان الدين (الشاعر) ٢٢٩
محمد عبدالرحمن سلامة (الدكتور) ١٣٥٧
محمد عبدالسميع شبانة (الأستاذ) ١٧٩
محمد عبدالمنعم القيعي ٦٥٠
٧٦٤
٨٧٢
٩٨٢
١١٠٠
١٢١٦
١٣١٩
محمد عزت الطهطاوي (المستشار) ١٩٢
٥٤٠
٨٠٤
١١٣٩
١٣٦٥
محمد على جمعة الشايب (الشاعر) ٨٠٩
محمد فريد وجدي (الاستاذ) ١١٦٠
محمد مأمون الشناوي (الشيخ) ٨٢٢
محمد متولي الشعراوي (الشيخ) ٦٤٦
٦٤٩
محمد محمد المدني (الدكتور) ١٠٣٥
محمد محمد خليفة (الدكتور) ٢٥
محمد محمد علي الرماح (الشيخ) ٤١٦
محمود عبدالرازق عقباوي (الاستاذ) ٣١٧
محمود محمد بكر هلال (الشاعر) ١٣٦٣
محمود محمد رسلان (الدكتور) ٦٥٤
٨٧٥
١٠٠٩
مرعي مدكور (الدكتور) ٣٤٨
مصطفى أحمد حماد (الدكتور) ٦٩
مصطفى أحمد دردير (الشاعر) ٤٣٨
١١٥٢
١٢٦٦
مصطفى أحمد درويش (الشاعر) ٨٠٨
مصطفى محمد الحديدي الطير (الشيخ) ١٤
١٣٤
٢٦١
٣٩٥
معوض عوض ابراهيم (الشيخ) ٦٨١
١٣٢٧

حرف النون

ناصر محمود وهدان (الاستاذ) ٤٤٢
١٢٥٧
نعمت عامر (الشاعرة) ٩٢٦
نور نافع (الشاعرة) ٢٠١
٣٢٩
٤٤١

حرف الهاء

حرف الواو

واصف عبدالحليم عبدالله (الاستاذ) ٥١
وفيقة عواد سلامة (الشاعرة) ١٢٦٧

حرف الياء

يحيى هاشم حسن (الدكتور) ٨٤٠
٩٥٠
١١٧٦

الهدايا الصادرة عن مجلة الأزهر عام ١٤٠٩ هجرية

اسم الهدية	اسم المؤلف	الشهر
١ ـ سمات الحلال والحرام .	للإمام الأكبر شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق	المحرم
٢ ـ الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة	للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٨٤٨هـ ـ ٩١١ هـ	صفر
٣ ـ عالمية الإسلام ـ حقيقة أولية ـ دليلها النص القرآني والممارسات الواقعية	فضيلة الاستاذ الدكتور رءوف شلبي	ربيع الأول
٤ ـ ٧ السيرة النبوية في ضوء روايات الإمام الطبري الجزء الأول الجزء الثانى الجزء الثالث الجزء الرابع	الإمام الطبري	ربيع الآخر جمادي الأولى جمادي الآخرى رجب
٨ ـ الاقتصاد في الإسلام	الاستاذ الدكتور رءوف شلبي	شعبان ١٤٠٩
٩ ـ ١٢ كتاب المراسيل	للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب السنن جـ ١ (٢٠٠ ـ ٢٧٥هـ)	رمضان شوال ذو القعدة ذو الحجة

الفهـــرس

- إيلاف قريش
  د . على أحمد الخطيب ١٣١٣
- كلمة الأزهر الشريف
  الشيخ جاد الحق على جاد الحق ١٣١٥
- مسلك ذى الوجهين
  د. محمد عبدالمنعم القيعى ١٣١٩
- مكانة الحج والعمرة فى الإسلام
  للأستاذ عبدالمنصف محمود عبدالفتاح ١٣٢٢
- السنة والحج المبرور
  للأستاذ معوض عوض إبراهيم ١٣٢٧
- صفحات مطوية من تاريخ الأزهر
  د . مجاهد توفيق الجندى ١٣٣١
- فى مسالة فوائد البنوك
  لواء أ ح.د . فوزى محمد طايل ١٣٣٧
- رسل الأزهر فى بلاد النيجر
  للسفير جمال الدين محمود أبو العيون ١٣٤٠
- الأصمعى بين يدى معاصريه
  للأستاذ أيمن محمد ميدان ١٣٤٣
- الفتـــاوى
  للأستاذ على حامد عبدالرحيم ١٣٤٨

العلـوم الكونيـة

- قصة الثقوب فى العلوم الكونية
  أ . د أحمد فؤاد باشا ١٣٥٢
- مفاعل نووى يعمل منذ نحو بليونى عام
  د . محمد عبدالرحمن سلامة ١٣٥٧

الشعر والشعراء
إشراف د. حسن جاد

- حنين إلى عرفات
  للشاعر عمر موسى البرعى ١٣٦٢
- ثم طفنا وسعينا
  للشاعر محمود محمد بكر هلال ١٣٦٣
- مناط الرجاء
  للشاعر إسماعيل يحيى ١٣٦٤
- من اعلام الأزهر «الشيخ عبدالعزيز جاويش»
  للمستشار محمد عزت الطهطاوى ١٣٦٥
- طرائف ومواقف
  للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٣٧٢
- من روائع الماضى فى مجلة الأزهر «هل بعث الرسول إلى الجن» ؟
  للأستاذ حسن حسين
  إعداد : عبدالفتاح حسين الزيات ١٣٧٤

اللغة والأدب والنقد

- من صور الحذف البليغ
  د . عبدالحميد محمد العيسوى ١٣٨٠
- عبدالصمد بن المعذل وموقف نقاد الشعر منه
  بقلم : السيد حسن قرون ١٣٨٧
- من خير ما نشر
  د . أحمد عبدالرحيم السايح
  على رفاعى خفاجة ١٣٩٢
- انباء وآراء
  تقديم : عبدالمنعم فودة ١٣٩٦
- الفهرس السنوى العام (المقالات)
  إعداد : أبو القاسم عبدالكريم
  محمد عبداللطيف عثمان ١٤٠٠
- الفهرس السنوى العام (الكتاب)
  إعداد : حسن سليم حسن
  سامى عز الدين محمود أحمد ١٤٠٧

القسم الانجليزى
إشراف : د. أنس النجار

- الفهرس السنوى العام ١٥٠
- المقالة الثانية :
  للأستاذ لطفى على سلطان ١٤١٨
- المقالة الأولى :
  د . أنس مصطفى النجار ١٤٢٢

RAMADAN:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Illness and Death.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   Al Hajj.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

SHAWAL:

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
   The Paradigm of True Faith.
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Fundamental Articles of Faith in Islam.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

ZU AL QIDDA:

1. Abu Bakre Al-Siddiq
   The Epilogue
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. Da'wa in Islam.
   By: Tawfik M. Shahin.

ZU AL HIJJAH:

1. Abu Bakre Al-Sidiq
   The Choice
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Injunction of Jihad in Islam.
   Lotfi Aly Sultan.

JUMMADA AL-ULA:

1. Abu Bakre Al Siddiq
   The Syrian Crusade (Part I)
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

3. Suuplications from the Holy Quran.
   Collected by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

JUMMADA AL-AKHERA:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Syrian Crusade (Part II)
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   The Performance of Salah. (Prayers).
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

RAJAB:

1. Abu Bakre Al-Siddiq.
   The Compilation of the Holy Quran.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   The Zakah.
   By: Abdel-Hakim Ahmad Taha.

SHABAAN:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Khalifah of Rassul Allah.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   The Fasting of the Month of Ramadan.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

INDEX OF YEAR 1409 HIJRAH

(VOL. 61)

MUHARRAM:

1. Abu-Bakre Al-Siddiq.
   War Against Apostates, part V.
   The Last Campaigns.
   By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Muslim Theism.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

SAFAR:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Administration.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. Lessons From the Hadith.
   By: Abdel Hakim Ahmed Taha.

RABIE AL-AWAL:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Iraq Crusade.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. What is Islam?
   By: Abdel Hakim Ahmed Taha.

RABIE AL-AKHAR:

1. Abu Bakre Al Siddiq.
   The Iraq Crusade, Part II.
   By: Anas Moustafa El Naggar.

2. The Pillars of Islam.
   There is no god save Allah.
   By: Abdel Hakim Ahmad Taha.

3. Supplications from the Holy Quran.
   Collected by: Fatimah Muhammad Sirry.

intolerant and aggressive, and was propagated by the sword.

There is a great misconception which prevails in the minds of non Muslims with regard to the Islamic injunction of Jihad, and that the word Jihad is supposed to be synonymous with war, and aggression. Most non Muslim writers intentionally or unintentionally fail to understand the true meaning of Jihad. It is really a great pity that such learned scholars had not taken the trouble to consult any ordinary dictionary of the Arabic language,or to refer to the meanings of the Glorious Quran to find out the true significance of the word, so that they could avoid such a glaring misrepresentation of a vital concept in Islam, and comprehend the real understandings of Islamic theology.

The word "Jihad" in Arabic is derived from "Jahd" or "Juhd", meanning ability, exertion of power; and "Jihad" and "Mujahadah" mean the exerting of one's power and effort. The same authority then goes on to say: Jihad is of three kinds. The carrying on of struggle against a visible enemy; the struggle of one's self against the devil; and the struggle against one's self "Alnafs". A second authority gives the significance that "Jihad" is the infinitive noun of "Jahada, Yujahidu, "Jihadan". This signifies the exerting or using of one's utmost power, efforts, endeavours or ability in contending with an object of disapprobation; and this is of three kinds, namely, a visible enemy, the devil, and one's own self, all of which are included in the term as used in the Glorious Quran.

Jihad is therefore far from being synonymous with war, or aggression; while the meaning of war undertaken for the propagation of Islam, which is supposed by Western writers to be the only significance of Jihad, is unknown equally to the Arabic language and to the teachings of the Glorious Quran. Equally, or even more important is the consideration of the sense in which the word is used in the Glorious Quran. There, the word Jihad is freely used in the sense of exerting one's power and ability, without implying war or aggression.

In the text of the Holy Quran "And those who strive hard in Our Cause, We will certainly guide them to Our Ways, for Allah is surely with those who do right" (Surat Al-Ankabut, XXIX, 69). Here, indeed, the word Jihad means: all that man can do to strive in the Cause of Allah. As soon as he does that with might and main, with patience and endurance, with constancy and determination, the Light and Mercy of Allah are his reward. With these, mankind can cure his defects and shortcomings, can provide him with the means by which he can raise himself above his own self, and point out the way and path leading to that. The Jihad in this case is the spiritual striving to attain nearness to Allah and gain His mercy, and the reward is Allah's guidance.

The propagation of Islam is no doubt a religious duty incumbent upon every true Muslim who must follow the example of the Prophet. However, the spread of Islam by force is a thing of which no trace can be found in the Glorious Quran or in the sayings and practice of the Prophet. Islam is against aggression; sanction is given for war only in self defence. The Quran says: "Fight in defence of the cause against those who fight against you, but begin not hostilities; verily Allah loves not the transgressors"(Surat Al Baqarah II,190). "And fight them on until there is no more tumult or persecution and there previal justice and faith in Allah; but if they desist, then let there be no hostility except to those who practise oppression" (Surat Al Baqarah II, 193).

Therefore, war is only permissible in self defence, and under well defined requirements and justification. If it becomes necessary, it must be pushed with vigour, when undertaken, only to restore peace and freedom for the worship of Allah. In any case strict limits must not be transgressed; women, children, old and infirm persons should not be molested, nor trees and crops cut down, nor peace objected when the enemy comes to terms.

It is a sacred religious duty incumbent on the Muslim nation at large to set forth defensive confrontation against unbelievers to repel their persecution upon the believers or agression against Muslim territories. This injunction is to end persecution, and to establish religious freedom, and to save the houses of worship of every true religion from being ruined. The principle involved was that all worship, Jewish or Christian as well as Muslim, and all foundations built for that purpose should be sanctified and secure.

If ever in the history of the world a people were compelled to fight in defence of a grand cause, no nobler example of it could be given than that of the Prophet Muhammad with his few faithful followers braving the whole of Arabia in the midst of idol worshippers, who had taken the sword to annihilate Muslims for no other reason except that they were holders of the cause of the Unity and Oness of Allah. Hostile critics, however, fail to appreciate that a religion which has such an enormous following and is gaining more and more adherents every day, could not have spread through aggression but only on the basis of the merits of the divine doctrines of Islamic Theism.

Historical truth indicates that Islam has spread in the peninsula of Arabia after the enterance of Mecca, without any bloodshed, and only on the basis of its genuine excellence and its sterling merits. Therefore, there is not the least ground for the oft repeated allegation that Islam is

THE INJUNCTION OF JIHAD IN ISLAM

By :

Lotfi Ali Sultan, B.A. (Hons.), M.Ed., M.A.

The mission of Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him) was to proclaim the Oneness of Allah and the unity of mankind, and to guide humanity to the path of virtue and righteousness. In conveying his message to mankind, the Prophet was not to exercise any compulsion. The Glorious Quran ordained: "There is no complusion in religion, right has become distinct from error" (Surat Al-Baqara II,256).

"There is no compulsion in religion", and the reason is added: "the right course is clearly distinct fromn the wrong one". Compulsion is incompatible with religion; because religion depends on faith and will, and these would be meaningless if induced by force. Truth and error have been so clearly shown up by the mercy of Allah that there should be no doubt in the minds as to the fundamentals of faith. Allah's protection is continuous, and His Plan is always to lead us from the depths of darkness into the clearest light.

The Prophet, was not out to coerce anyone into submitting to Allah, but only to call unto the way of Allah with wisdom and fair exhortation, and reason with them in the better way. In most beautiful text of the Glorious Quran, the principles of religious teaching, which are good for all times. We have to invite all to the Way of Allah and expound His Universal Will. We must do this with wisdom and discretion, meeting people on their own ground and convincing them with illustrations from their own knowledge and experience, which may be very narrow, or very wide. Our preaching must not be dogmatic, nor selfregarding, not harsh, not offensive; but gentle, considerate and such as would approach the hearts and minds of people. Our manner of arguement should not be acrimonious, but modelled on the most courteous and the most gracious example, so that the listener may understand that the matter is not dealing merely with dialectics but sincerely expounding the faith with the motive of the love Allah, and the love of mankind.

→

time of his death, the Muslim Empire extended East to the borders of China, to Africa from the West, and to the Agean Sea from the North. All this was achieved during the short period of ten years. That Empire was not established by the force of the sword, or else it would have collapsed soon after. That Empire was built on the foundation of firm conviction and adherent belief in the faith of Islam, and the love to Allah above all other.

That particular quality still lives very much animated and vivacious in the hearts of the races that inhabit that vast Empire. It was essentially Abu Bakre Al-Siddiq, and Omar Ibn Al-Khattab who planned, engineered and devloped propagation of the Islamic faith. The middle of the twentieth century shows that the Muslim creed embraces a world population of one billion capita distributed in the world continents, with maximum intensity in North Africa, Middle and Far East. Every corner of the earth, the Islamic faith is being practiced. Every Muslim over the ages pays hommage to the founders of Islamic propagation and expansion of Islam.

In the whole history of Islam, with the exception of the name of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), there is no other name that is known to be as popular as the name of Omar Ibn Al-Khattab. He was an example of justice, firmness, kindness, piety, perception, sagacity, humbleness, and objective in decision. Such characteristics were enough to qualify him to be chosen as the successor of Abu Bakre. These qualities, however, were most centainly not the only factors that resulted into the surmounting success of Omar Ibn Al-Khattab, the Ameer Al-Muemineen as was his title after the death of Abu Bakre Al-Siddiq, the Khalifah of Rassul-Allah. There were other more basic and more fundamental requirements for such success of achievements in all and every aspect of governance and administration. What was the real secret behind that unparalleled success; what was the true driving energy that makes mankind reach the upmost excellence in performance of his inherent inborn qualities.

The inborn qualities, however, no matter how great they are in any man, are limited and fall behind the status of perfection. In any human individual, the qualities of character and mind form the matrix of the soil of that individual. What is essential and crucial is the seed implant that fertilizes that soil. The ultimate outcome is the interacting homogenate of soil and seed. Abu Bakre Al-Siddiq, Omar Ibn Al-Khattab, Aly Ibn Abi Taleb, Khalid Ibn Al-Walid, and scores of several others of Muslim celebrities along the ages of history are renouned for their astounding success and excellence in all disciplines of life. In administration, in warfare, in science, in language, in knowledge, in wisdom, and in all aspects of human function and manifestation. What is that seed implant that makes the qualities of mankind reach that charisma of radiance and splendor of character and performance. It is the seed of true faith and genuine belief; it is the consolidate devotion, credence, conviction,and absolute sanctification of the ordinances and doctrines of the faith. That was the real secret that made Abu Bakre Al-Siddiq, a man of such unique character reach the climax of triumph in all performance. It was also the illumination of the soul, and the divine providence that guided Omar Ibn Al-Khattab to the summit of eminence in the administration of the affairs of the Muslim Ummah.

Omar Ibn Al-Khattab as Ameer Al-Muemineen lived in poverty when he could live as the most opulent of kings. He was absolute in justice; he was pious and learned, he was strong in determination and decision. He was humble in his greatness, and very great in his humbleness. He came to office at the most crucial and critical times; and at the

of Abu Bakre to nominate Omar Ibn Al-Khattab and elect him for the Muslims to give him fealty as his successor, was one of the most important justified and crucial achievements that crowned the reign of Abu-Bakre. The situation of the Muslim Ummah at that critical time during the last days of Abu Bakre required a man of unique qualifications. The man had to be strong in personality; precise in justice; strict in virtue; objective in thought; rational in reasoning; truthful in advice; honest in faith; loving to Allah, the Prophet of Islam, and Muslims; pious, tolerant, humble and tender in feelings; capable to decide; and knowledgeable in relgion. No man was known to possess the totality of such qualities except Omar Ibn Al-Khattab.

That was the process of thoughts in the mind of Abu Bakre when he elected Omar for the Muslim Ummah, to be his successor; and that was why Omar gained the unanimous concensus of the Muhagereen and Ansars to succeed Abu Bakre Al-Siddiq. The preservation of the Islamic Theism, and the Traditions of the Prophet as the practical application and implementation of that Theism was the optimal dominant concern in the mind of Abu Bakre when he made the choice of his successor. In his true judgement, Omar Ibn Al-Khattab was the most eligible and qualified man to bear the grave responsibility of administering the affairs of the Muslim nation after the death of Abu-Bakre.

The years that followed with all the major events that history recorded to have taken place during the reign of Omar Ibn Al-Khattab, gave absolute proof of the concrete justification of the choice of Abu Baker. The foresight, perception, clairvoyance and exactness of Abu Bakre in his choice were certainly a matter more than just human capability. The extreme and true piety of Abu Bakre and his devout purity of purpose, must have been worthy of divine transcendant support in making the choice. All choniclers agree that the reign of Omar Ibn Al-Khattab was an unparalleled example of justice and prosperity. These choniclers coin the reign of Omar as the most unique. He achieved and established to the Muslim nation with all its various fractions of ethnic backgrounds a status of life style of social security, safety and justice, and an economic affluence and prosperity that embraced every single individual of the Ummah; with Omar and his family by far the last to be included. With all the modern trends of governmental administrations, management systems, economic theories, and paradigms social justice; the nations of the world nowdays have completely failed to achieve even a fragment of what Omar Ibn Al-Khattab accomplished fourteen centuries ago.

ABU BAKRE AL-SIDDIQ
The Choice

By :

Dr. Anas Moustafa El-Naggar M.D. PhD.

The perpetual conservation of Islamic doctrines, teachings, and thought; and the safeguards of the guidance of the traditions of the Prophet; were the paramount issue of concern in the mind of Abu Bakre as he lay on his bed awaiting his death. The preservation of the theo-political unity of the Muslim Ummah was a very major issue which Abu Bakre considered as his personal responsibility even after his death. He formulated the character, the personality, the qualifications, the wisdom and firmness, the diplomacy, aptitudes and talents of the man who would be most suitable to succeed him in governing the affairs of the Muslim ummah.

Abu Bakre could not dictate his choice, he only advised the Muslim Ummah of his choice of who was in his opinion most suitable to succeed him. In fact Abu Bakre elected Omar Ibn Al-Khattab to be his successor, and it was left to the Muslim Ummah of the Muhagereen and Ansars to proclaim fealty and allegiance to that man, or to deny it. The total Muslim community at Al-Madinah agreed and gave concensus and agreed to the choice of Abu Bakre that Omar Ibn Al-Khattab would succeed him. They all trusted Abu Bakre, knew of his sagacity, wisdom and honest intentions; and were confident of his choice. No body challenged the choice of Abu Bakre, every body of opinion accepted his choice with total consent and willingness. All the Muslim Ummah recognized the need for absolute unity and stability among the various fractions of the Muslims; they also realized the great necessity for continuity of an administration of similar patterns of governance to that of Abu-Bakre. Muslim worriors were confronting the throngs of Persian forces in Iraq, and the Roman legions in syria. The Arab tribes of the Peninsula had only lately emerged from the apostate wars, and were still vunerable to contention and dispute. The whole Muslim nation was in need of absolute cohesion projected upon them by the man who was to succeed Abu Bakre after his death. The choice

➤

AL AZHAR MAGAZINE
ENGLISH SECTION
VOL. 61, Part 12
ZU AL HIJJAH, 1409, HIJRAH

Editor: Dr. Anas Moustafa El-Naggar, M.D., Ph.D.

CONTENTS

1. Abu Bakre Al-Siddiq
The Choice
By: Anas Moustafa El-Naggar.

2. The Injunction of Jihad in Islam
By: Lotfi Ali Sultan.

Preparation of Prints by: Mrs. Fatimah Muhammad Sirry.

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION